الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الدكتور احمد نصيف الجنابي

كلية الاداب - الجامعة المستنصرية
ساعدت الجامعة المستنصرية على نشر الكتاب
١٩٧٨

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الدكتور

أحمد نصيف الجنابي

المدرس بكلية الآداب

الجامعة المستنصرية ـ بغداد

١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م

ساعدت الجامعة المستنصرية على نشر هذا الكتاب

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية ـ القاهرة

الإهــداء

الى استاذى الدكتور رمضــان عبد التواب رمز الوشيجة
العلمية الصــادقة .. وفــاء لعهــد لا يــزال غضــا ..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد نزل مصر من المسلمين الفاتحين جماعة قدروا باثني عشر ألفاً أو يزيدون، منهم القراء والمحدثون والمفسرون، إلى جانب كونهم مجاهدين.

ثم نشطت الحركة العلميـــة بعد استقرار المسلمين في مصر سنة ٢٠ - ٢١ هـ.

وتكاثرت الوفود العلمية إلى مصر - بعد ذلك - من جميع أقطار العالم الإسلامى المعروف آنذاك.

ونشأت - منذ القرن الأول الهجرى - ثلاث حركات علمية واضحة المعالم متميزة القسمات.

الأولى: حركة لغوية ونحوية متمثلة فى نشاط القراء فى ميدانى القراءات والتفسير.

والثانية: حركة تتصل برواية الحديث ونقله.

والثالثة: حركة فقهية، كانت نواتهـا جمـاعة من الصحابة المتازين فكرياً.

وإلى جانب هذه الأنماط الثلاثة، وبتأثيرها، نشأت حركة جديدة كان مظهرها الأول نشاط جماعة من شبان مصر لدراسة الأنماط الثلاثة خارج مصر.

ونشأت - بعد ذلك - مدارس تتوزع على هذه الأنماط كانت نتيجة لتطوير تلك المناهل الأولى.

وفى مجال الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالقراءات نشأ اتجاهان :

أما الاتجاه الأول ، فتمثله خير تمثيل « مدرسة ورش المصرى » التى تكاملت فى نهاية القرن الثانى الهجرى .

ثم قام رجال تلك المدرسة وتلاميذها - جيلا بعد جيل - بدراسات لغوية ونحوية كثيرة ، كانت لها آثار بعيدة فى الدراسات المماثلة فى المغرب والأندلس كلها .

أما الاتجاه الثانى فتمثله خير تمثيل مدرستان :

الأولى : مدرسة « ابن عباس » (ت ٦٨ هـ) ، التى تكاملت خصائصها فى القرن الأول الهجرى .

والثانية : مدرسة « ابن زيد » (ت ١٨٢ هـ) . وقد تكاملت فى القرن الثانى الهجرى .

أما المدرسة الأولى فقد أسهمت إسهاماً كبيراً فى تكوين البناء اللغوى للدراسات المصرية ، منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، وكان لها أثر ملحوظ فى كل الدراسات المماثلة التى قامت بعدها فى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

أما المدرسة الثانية ، فخير من يمثلها فى مصر عبد الله بن وهب (ت ١٩٧ هـ) ، تلميذ « ابن زيد » . واتصلت هذه الحلقة بعد ذلك بالمقرىء المصرى يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤ هـ) .

وقد أخذ الطبرى عن يونس ذلك التفسير واستوعبه استيعاباً تاماً فى كتابه المعروف « جامع البيان » المعروف بتفسير الطبرى .

وكانت مدرسة « ابن زيد » ذات ميل واضح إلى النهج النحوى

والاعتماد على التحليل السياقى والجلى ، ولذلك فهى أول مدرسة نحوية متصلة بالقرآن نشأت بمصر .

* * *

(٢)

أما الدراسات اللغوية والنحوية بمصر خارج ميدان القراءات ، فقد نشأت مع بداية القرن الثالث الهجرى .

وأول من كانت له يد فى قيام تلك الدراسات هو « عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) ، صاحب « تهذيب السيرة النبوية » وقد نقل المنهج البصرى إلى مصر ، وكان صاحب تيار لغوى ونحوى ، امتد حتى نهاية القرن الرابع الهجرى على يد سلسلة من اللغويين .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ورد إلى مصر « أحمد ابن جعفر الدينورى » (ت ٢٨٩ هـ) وسكنها وألف فيها كتبه . ويعد فى الطبقة الثانية من نحاة مصر . وكان ذا تأثير فى الدراسات اللغوية والنحوية بكتبه الستة ، وله تلامذة مصريون وغير مصريين .

ولعل أشهر تلاميذه بمصر « محمد بن ولاد » (ت ٢٩٨ هـ) وهو مؤلف كتابين : واحد فى اللغة ، وآخر فى النحو .

وإن مسك الختام بالنسبة للدراسات اللغوية والنحوية بمصر فى القرن الثالث الهجرى هو « الأخفش الصغير » (ت ٣١٥ هـ) .

وقد ألف سبعة كتب ثلاثة فى اللغة وأربعة فى النحو ، وقد تعدى تأثير مؤلفاته حدود مصر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، فى عصره وبعد عصره .

(٣)

أما فى القرن الرابع الهجرى فقد ظهر ثلاثة علماء كبار هم : « كراع النمل » (ت ٣١٠ هـ تقريباً) . وأحمد بن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) .

وهؤلاء هم المكونون الحقيقيون للصورة المتكاملة للدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ، فى هذا القرن ، وهم المؤثرون الحقيقيون فى الدراسات اللغوية والنحوية خارج مصر . وهم القمم التى وصلت إليها تلك الدراسات بمصر .

الأول متخصص فى المعاجم . والثانى جمع بين الدراسات اللغوية والنحوية . أما الثالث فكان دائرة معارف عصره وصاحب مؤلفات كثيرة تزيد على العشرين ، تناولت كل « مجالات المعرفة فى عصره . كما أنه مبدع فى مناهج البحث اللغوى والنحوى ، وصاحب نظرية الاحتمالات النحوية بصورتها المتكاملة ، ونظرية النظم النحوى بصورتها الأولى قبل عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) بما يزيد على قرن وربع القرن . ولا يوجد عالم لغوى أو نحوى فى مصر كانت مؤلفاته ذات تأثير كبير خارج حدودها ، مثل أبى جعفر النحاس ، الذى سماه « الدانى » (ت ٤٤٤ هـ): « الإمام الكبير » وناهيك بمقام الدانى « وقدر الشهادة قدر الشهود » .

فهل بعد هذه القضايا من أهمية تستحق التسجيل ؟ ولكن ... ما أندر الكلمات التى كتبت حولها ؟ ..

ليس هنا سوى أبحاث قليلة لا تمس جوهر هذه المسائل إلا مساً خفيفاً كما أنها لا تتناول سوى جزئيات صغيرة منها .

ومن هذه الأبحاث كتاب الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى « للأستاذ محمود مصطفى » ويحصر اهتمامه بالشعر ،

وقد يترجم لبعض النحاة المشهورين ترجمات منقولة نقلا حرفياً من (بغية الوعاة) .

وكل باحث جاد يعلم علم اليقين نتائج مثل هذا النقل .

ومنها كتاب « تاريخ اللغة العربية فى مصر » للدكتور أحمد مختار عمر وهو بمنأى عن لب الحركتين اللغوية والنحوية ، لأنه فى تاريخ الصراع بين اللغة العربية والقبطية . وهو لا يبدى سوى ملاحظات قليلة عن نحاة مصر كما أنه لا يترجم إلا لنفر قليل منهم . وقد أشرت إليه فى ثنايا البحث ، وناقشت بعض ملاحظاته المتصلة ببحثى .

ومنها كتاب « حياة النثر فى مصر » للدكتور بهى الدين زيان . وهو رسالة دكتوراه ، لا تزال فى مكتبة آداب القاهرة . وهو يهتم بقضية النثر الديوانى وكتب الأقاصيص والسير ويهمل إهمالا يكاد يكون تاماً ما يتصل بالحركتين اللغوية والنحوية فى مصر .

ولا يوجد - بعد هذه الكتب وأمثالها - سوى بضع مقالات وإشارات فى كتب وسجلات أشرت إلى كثير منها فى البحث (*) .

(٤)

وهذا الواقع دفعنى إلى أخذ الطريق من أوله ، وإلى اكتشاف مجاهيله وقد تحملت صعوبات الطريق حتى وضعت يدى - بفضل الله - على معالمه الرئيسية . وكان دليلى فى هذا كله أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب ، أستاذ العلوم اللغوية بكلية آداب عين شمس .

(*) وقد نبهنى الاستاذ الدكتور ، يوم المناقشة ١٤/٧/١٩٧٥ ، الى رسالة ماجستير ، عن أبى جعفر النحاس ، نوقشت قبل رسالتى ، فاطلعت عليها ، فوجدتها جيدة ، ولكنها لم تضف جديدا الى رسالتى .

وكل ما في البحث من جدية وإتقان فله فيه نصيب .

ولعل أهم العقبات التي واجهت مسيرة البحث هي أن أكثر مصادره الأساسية لا تزال مخطوطة :

فكتب « كراع النمل » و« أحمد بن ولاد » و« النحاس » مخطوطة وبعضها رسائل جامعية . ولم يطبع منها سوى « المقصور والممدود » « لابن ولاد » . وشرح القصائد التسع للنحاس . ومختصر شرح أبيات سيبويه للنحاس أيضاً (ولم يطبع الأخير إلا بعد أن تكاملت الرسالة وأعدت للطبع) وكل باحث يعلم مقدار الصعوبة التي يلاقيها حتى يحصل على رؤية المخطوطة يضاف إلى ذلك صعوبة قراءتها وتمييز الصحيح من المصحف والمحرف . وما أكثر التصحيف والتحريف في المخطوطات .

فإذا كانت مصادر البحث الأساسية المخطوطة تقرب من أربعين عرفنا مقدار الجهد المبذول ، ومدى الصعوبات المقترنة بمثله .

وثمة صعوبة أخرى هي أن المكتبات الجامعية ليس لديها خطة منهجية حتى هذا اليوم لاقتناء المصادر الأساسية التي تتطلبها الأبحاث المتخصصة .

ولم أجد بداً - بعد ذلك - من شراء معظم مصادر البحث المطبوعة ، كما أني صورت قسما من مخطوطات مكتبة المتحف البريطاني ، والمكتبة العامة بالرباط ، وساعدني معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في التصوير كله .

وإن البحث في ميدان القراءات لابد أن يعتمد على أصولها الأولى .

وهو موضوع بكر بالنسبة للدراسات الجامعية الحديثة ~~وغير الجامعية~~ ، إذ لم ينشر من كتب القراءات الكثيرة نشرة علمية سوى كتب قليلة تنقص عن أصابع اليدين .

وهذا الواقع جعلني أرجع إلى المصادر الأولى وأعود بكل نص إلى مصدره الأساسي . ولذلك رجعت إلى مثل كتاب السبعة ، لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وهو مطبوع . وكتاب « الاستكمال في التفخيم والإمالة » لأبي الطيب عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ) . وكتاب « التذكرة في القراءات الثمان » لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (٣٩٩ هـ) . وكتاب « الإيضاح في القراءات » . للأندرابي (المتوفى حوالي ٥٠٠ هـ) . « والمبهج في القراءات » . لسبط الخياط البغدادي (ت ٥٤١ هـ) . وكلها مخطوطة .

ولم أرجع إلى مختصرات كتب القراءات مثل « التيسير » للداني . ولا إلى الكتب المتأخرة مثل كتاب « النشر في القراءات العشر » . لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) و « اتحاف فضلاء البشر » للبناء (ت ١١١٧ هـ) ، إلا في حالات تعد نادرة نسبياً ، أو حين لا أجد المصدر الأول للنص الذي أستشهد به .

فأية مشقة بعد هذا ؟ .

(٥)

أما مصادر البحث فهي ثلاثة أنماط :

(أ) المخطوطات : (ب) الرسائل الجامعية (ج) الكتب المطبوعة .

وأهم المخطوطات التي غذت البحث هي : « إعراب القرآن » و « معاني القرآن » و « مختصر شرح أبيات سيبويه » و « القطع والائتناف » . للنحاس . و « الانتصار لسيبويه من المبرد » لابن ولاد . و « المنجد » و « المجرد » لكراع النمل . و « المنتهى في اللغة » لمحمد بن تميم البرمكي (من القرن الرابع الهجري) . و « معاني القرآن » للزجاج (ت ٣١١ هـ) .

والمسائل البصريات والحلبيات والعسكريات لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧هـ) و « التقريب والحرش المتضمن لقراءة قالون وورش » . لابن المرابط (ت ٤٠٣ هـ) و « الموضح فى الفتح والإمالة » لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ) و « المكتفى فى الوقف والابتداء » لابن الإمام (ت ٧٤٥ هـ) وغيرها .

أما الرسائل الجامعية التى استفدت منها فأهمها : « التكملة » لأبى على الفارسى (رسالة ماجستير بآداب القاهرة) و « الأزهرى وكتاب تهذيب اللغة » . (رسالة دكتوراه بآداب القاهرة) . و « التعدى واللزوم فى العربية مع تحقيق كتاب « فعلت وأفعلت » لأبى حاتم السجستانى (رسالة ماجستير بآداب عين شمس) . و « كتاب التقفية » للبندنيجى (رسالة دكتوراه بآداب عين شمس) .

أما الكتب المطبوعة فأهمها : كتاب سيبويه ، وكتاب المقتضب ، للمبرد ، والخصائص والمنصف وسر صناعة الإعراب والمحتسب ، لابن جنى .

وشرح القصائد السبع ، لأبى بكر بن الأنبارى ، وشرح القصائد التسع للنحاس ، وشرح القصائد العشر ، للتبريزى .

والمقصور والممدود ، لابن ولاد — وكتاب القلب والإبدال ، لابن السكيت ، وكتاب الإبدال ، لأبى الطيب اللغوى ؛ و « التنبيهات على أغاليط الرواة » لعلى بن حمزة البصرى ، و « شرح التصحيف والتحريف » لأبى أحمد العسكرى ، و « تثقيف اللسان » ، لابن مكى الصقلى ، وكثير غيرها .

ومعانى القرآن ، للفراء ، وتفسير الطبرى ، والمحرر الوجيز ، لابن عطية ، وتفسير القرطبى ، والبحر المحيط ، لأبى حيان النحوى ، وغيرها .

ولم يقتصر البحث على تلك المصادر ، بل تعداها إلى مجموعة من الكتب الحديثة المتخصصة فى اللغة ، والتى يعد قسم من أبحاثها كشفاً جديداً ، أو تفسيراً جديداً لظواهر لغوية ، وذلك فى الميادين الآتية :

(١) ميدان الدلالة اللغوية فى السياق الشعرى .

(٢) علم الأصوات الحديث .

(٣) اللهجات العربية من وجهة علم اللغة الحديث .

وأهم مراجعى فى هذا :

(١) الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس .

(٢) « سبعة أنماط من الغموض فى الشعر » . للأستاذ وليم أمبسون (بالإنجليزية) .

(٣) فصول فى فقه العربية ، للأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب .

(٤) فى اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس .

(٥) اللغة ، للأستاذ « فندريس » .

(٦) منهج علم الأصوات الإنجليزية للأستاذ « كريستوفرسن » (بالإنجليزية) .

(٧) نظرية الأدب للأستاذين : رينيه ويليك وأوستن وارين .

أما بالنسبة لمنهج البحث فقد قسمت الرسالة أربعة فصول :

الفصل الأول : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى القراء .

الفصل الثانى : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى غير القراء فى القرن الثالث الهجرى .

الفصل الثالث : الدراســات اللغوية والنحوية فى مصر فى القرن الرابع الهجرى .

الفصل الرابع : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بين الأخذ والعطاء

وقد اتبعت خلال البحث القضايا المنهجية الآتية :

(١) تجنب المقدمات التاريخية والاجتماعية والسياسية .

(٢) لم أحفل بتراجم اللغويين والنحاة إلا بالقدر الذى يخدم البحث ويقدم إضاءة جديدة .

(٣) حرصت على أن أقدم النصوص المأخوذة من المخطوطات كاملة، دون اختصار إلا نادراً .

(٤) أما بالنسبة لنصوص الكتب المطبوعة ، فلم أحفل إلا بالأفكار ، ولم أنقل النص كاملا إلا فى الحالات اللازمة .

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها جميع ما توصلت إليه من نتائج جديدة.

أرجو أن يكون بحثى رائداً فى بابه ، وأن يفتح آفاقاً جديدة ، فالكلمة النهائية فى الفكر لم يقلها أحد.

وقبل أن أختم المقدمة أرى لزاماً على أن يكون مسك الختام تقديم الشكر لكل من أعان على نشر هذا الكتاب، أو قوّم فيه حرفاً واحداً .

وأخص بالذكر أساتذتى : الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب المشرف على الرسالة ، والأستاذ الدكتور عبد الله درويش ، والدكتور طه عبد الحميد عضوى المناقشة .

وأقدم الشكر إلى كل الإخوة العاملين فى معهد المخطوطات لا سيما الأستاذ صالح أبو رقيق مدير المعهد سابقاً والأستاذ قاسم الخطاط مديره الآن .

وإلى الإخوة الأساتذة : أنور الجندى الذى أهدى إلى بعض الكتب النادرة المتصلة ببحثى والأساتذة : الدكتور عبده بدوى والأستاذ إسماعيل عبيد ، صاحب مكتبة دار التراث ، والدكتور محمد قاسم مصطفى على تعاونهم معى فى طبع الكتاب .. وإلى لجنة تعضيد النشر فى الجامعة المستنصرية ، ممثلة برئيسها الأستاذ حميد مخلف . وكل الإخوة فى دار الكتب المصرية وفى مكتبة معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .

وإلى كل من أعان على نشر هذا الكتاب ، ولو بشطر كلمة

ولله الحمد فى الأولى والآخرة

وهو حسبى ونعم الوكيل

الفصل الأول

الدراســات اللغوية والنحوية فى مصر

لدى القــــراء

المحتـــوى

يتكون هذا الفصل من قســـمين :

القسم الاول : ميدان القـــراءات ٠

القسم الثانى : ميـــدان التفســـــير ٠

أما القسم الاول فتحته أربعة مباحث :

المبحث الاول : مرحلة القراء الرواد ٠

المبحث الثانى : مرحلة تكون أصـول المدرسـة المصرية ٠

المبحث الثالث : مرحلة بروز الظواهر اللغوية والنحوية المميزة للمدرسة المصرية

المبحث الرابع : مرحلة ظهور الدراسات اللغوية والنحوية لدى القراء ٠

أما القسم الثانى فتحته مبحثان :

المبحث الاول : مدرسة « ابن عباس » فى مصر ٠

المبحث الثانى : مدرسة « ابن زيد » فى مصر ٠

القسم الأول : ميدان القراءات

المبحث الأول

مرحلة القراء الرواد

لقد شاء الله لمصر أن تتشرف بالإسلام وأن يكون دورها كبيراً فى قيادة الناس ، وأن تكون قبلة العلم والعلماء بعد أن أرسي فيها الإسلام قواعده وبعد أن انتصرت فيها لغة القرآن الانتصار النهائى .

ولم يكن الأمر مجرد صدفة — إذ لا صدفة فى الكون — ولا رغبة فى الفتح لمجرد الفتح ، بل كان الأمر أعظم .. فقد كان قدراً أراده الله ، وظهر على لسان نبيه حيث قال : « ستفتح عليكم مصر »(١) .

وإن إرسال النبي داعيته إلى « المقوقس » ، ثم زواجه من مارية القبطية ، لدليل ذو أهمية كبيرة على تصميم سابق على فتحها ، ولذلك قال : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً »(٢) .

وكيف لا ، وهى مفتاح العالم ، وفتحها يعنى فتح الطريق أمام قافلة الإسلام المباركة ليسير موكبها إلى العالم ؟

فكان اندفاع مسلمى الفتح إلى مصر قوياً ، بحيث أذهل إصرارهم على الفتح وعدم المساومة عليه بأى ثمن ، سكان مصر وحكامها على حد سواء حتى قال المقوقس : « ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها »(٣) .

وقد صدق حدس هذا الرجل الفطن ، فتم فتح مصر بين سنتى ٢٠ و٢١ هـ .

وقد كان فى هؤلاء الفاتحين العلماء ، والمحدثون ، والمحاربون ومن

---

(١) ، (٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر / ٢ والسيوطى : حسن المحاضرة ١/ ١١ ، ١٢ . (٣) فتوح مصر / ٦٧ .

هؤلاء الفاتحين نفر جاء يحمل كتاب الله بيد والسيف باليد الأخرى وفى ضميره صوت النبى عليه الصلاة والسلام ، ينادى : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[(١)] .

وإذا كان عرب الفتح قد مكنوا لانتشار اللغة العربية ، ومكنوا للإسلام سلطانه السياسى والعسكرى ، فإن جهود القراء — وهم صفوة علمية — قد مهدت لقيام مدرسة القراء فى مصر . إذ كيف يمكن تصور قيام أية مدرسة مرة واحدة دون أن يسبقها جو مناسب تتنفس فيه ، ودون أن تتهيأ لها الأرض التى تنبت نباتاً حسناً ؟

ولذلك فإن ظهور مدرسة مصرية للقراء فى القرن الثانى الهجرى بزعامة « ورش المصرى » (١١٠ — ١٩٧ هـ) ، كان حادثاً له مقدمات وإرهاصات ، ثم برزت المدرسة ونشأت لها خصائص لغوية ونحوية ، قامت على أساسها وأساس غيرها من قضايا القراءات ، دراسات كثيرة .

كما قام القراء بإرساء دعائم أول مدرسة لغوية نحوية قامت على أساس تفسير القرآن الكريم . ورأسها عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) ثم تسلمها تلاميذه فواصلوا المسير ، وأضافوا عناصر جديدة .

وفى القرن الثانى انتقلت إلى مصر مدرسة أخرى فى التفسير قام بتأسيسها عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢ هـ) . وظلت المدرستان نشيطتين إلى القرن الرابع الهجرى .

وفى المبحث القادم سنتحدث عن الرواد فى ميدان القراءات . أما فى القسم الثانى فسنتحدث عن جهود القراء فى ميدان التفسير .

---

(١) رواه البخارى : ينظر صحيح البخارى ٣/١٤٩

وأول من نشير إليه من هؤلاء الرواد، الصحابى الجليل « عقبة بن عامر الجهنى » (ت ٥٨ هـ) .

وإذا ما ذكرنا « عقبة » فإننا نجد أنفسنا أمام شخصية متعددة المواهب . فهو قائد فاتح ، وإدارى قدير ، ومحدث روى عن النبى صلى الله عليه كثيراً لدوام صحبته له ، وهو مقرىء كبير(١) .

وما يعنينا من أمره أنه مقرىء .

وقد اجتمعت فيه كل صفات المقرىء المتكاملة ..

فقد كان عالماً بالقرآن فقيهاً بأحكامه . وهذا الوعى التام مكنه من أن يصبح مفتياً فى مصر(٢) .

ومكنه هذا الوعى والصحبة الدائمة لرسول الله أن يتناول تفسير القرآن الكريم(٣) . ولكن الملاحظ أن هذا الاتجاه أضعف من كل الاتجاهات العلمية الأخرى عنده بدليلين : الأول قلة ما روى عنه فى ذلك . والآخر أنه كان يعجز عن تفسير بعض الآيات(٤) .

وكان كاتباً جيد الخط فكتب لنفسه مصحفاً ، ظل باقياً حتى القرن الرابع الهجرى حيث رآه المؤرخ المصرى ابن يونس (ت ٣٤٧ هـ) فوصف تلك الرؤية بقوله : « رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفى آخره : كتبه عقبة بن عامر بيده »(٥) .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/٤٩٨ فتوح مصر /٢٨٧ وما بعدها والكندى : الولاة والقضاة /١٤ ، ٣٦ ــ ٣٧ ، وابن عبد البر : الاستيعاب ٣/١٠٧٣ رقم ١٨٢٤ والذهبى : سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٤ وابن حجر : الاصابة ٤/٢٥ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة /٣٧ وفتوح مصر /٢٩٤ وابن حجر : تهذيب التهذيب ٧/٢٤٣ .

(٣) تفسير الطبرى ١١/٣٢ ، ٣٣٠/١٠ (٤) تفسير الطبرى ٦/٢٧٨ و

(٥) الاصابة ٤/٢٥٠ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/١٢٧

وكان إلى جانب ذلك من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وقد طلب منه عمر بن الخطاب أن يعرض عليه القرآن ، فلما عرضه بكى عمر[1] « رضى الله عنهما » .

فليس غريباً بعد ذلك أن يكثر تلاميذه ، حيث لا نجد صحابياً كثر تلاميذه فى مصر كما كثر تلاميذ عقبة .

وقد أحصيت له أكثر من اثنى عشر تلميذاً فى مختلف الاتجاهات العلمية المتصلة بكل مجالات اختصاصاته[2] .

فكان منهم من أخذ جانب القراءة ، ومنهم من أخذ جانب الفقه والأحكام ، ومنهم من أخذ جانب الحديث . ومنهم من جمع أكثر من اختصاص ، بحيث يمكن أن نقول إن عقبة بن عامر قد استطاع أن يخلق حركة علمية بمصر فى القرن الأول الهجرى . امتدت بعد ذلك إلى القرن الثانى على يد تلامذته ومريديه من عشاق المعرفة المتصلة بالحركة العلمية فى الإسلام .

فمن هم أشهر التلاميذ الذين امتدت على أيديهم الحركة الفكرية بمصر .

ولعل أهم من نشير إليه : أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى (ت ٩٠ هـ) ، الذى ظل ملازماً لأستاذه عقبة ، كما أنه درس على غيره .

وهو كأستاذه متعدد المواهب ؛ فقد كان عالماً فقيهاً . وقد مارس مهنة القضاء بمصر . وأفتى[3]

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٤ .

(٢) فتوح مصر /٨٧ ، ٢٩٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٣٤ والإصابة ٤/٢٥٠ (عن ابن يونس) والنجوم الزاهرة ١/١٢٧ .

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١/٧٣ وابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠/٨٢ .

ومن تلاميذ عقبة « عبد الرحمن بن جبير » (ت ٩٧ هـ) وكان مقرئاً فقيهاً . وليس مجرد مقرىء ، بل كان عالماً بالقراءة ، كما وصفه المؤرخ المصرى «ابن يونس» ، مما أثار إعجاب «عبد الله بن عمرو بن العاص»[١]

وكان دخين بن عامر المصرى (ت ١٠٠ هـ) تلميذاً لعقبة وكاتباً له[٢] .

ثم أبو عشانة حى بن يؤمن المصرى (ت ١١٨ هـ) . وقد وثقه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين وابن حبان[٣] .

ثم أبو على ثمامة بن شفى نزيل الإسكندرية (المتوفى قبل ١٢٠ هـ) . وقد وثقه النسائى وابن حبان[٤] :

وشارك فى الحركة الفكرية بمصر ثلاثة من من الصحابة هم : عبد الله ابن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) وابن عباس (ت ٦٨ هـ) ، وعبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ) .

وسنقتصر فى هذا المبحث على كل من : عبد الله بن عمرو ، وابن عمر لأننا سندرس نشاط « ابن عباس » فى ميدان التفسير .

أما « عبد الله بن عمرو » فقد دخل فاتحاً مع أبيه (٢٠ — ٢١ هـ) ، وبقى مدة طويلة بمصر ، واختط بها داراً ، ذكرها ابن عبد الحكم . وغيره[٥] .

وقد أثمرت صحبته لأهل مصر ، فعد منهم ، وكثرت روايتهم عنه إذ بلغ ما رووه عنه قريباً من مائة حديث[٦] .

وكان متعدد المواهب .. فهو مقرىء مشهور إلى جانب كونه محدثاً .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/١٥٤ ـ ١٥٥ (٢) تهذيب التهذيب ٣/٢٠٧ وحسن المحاضرة ١/٢٥٨ (٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٤ وحسن المحاضرة ١/٦٧ . (٤) تهذيب التهذيب ٢/٢٨ وحسن المحاضرة ١/٢٥٧ .

(٥) طبقات ابن سعد ٤/٢٦٨ وفتوح مصر/٩٧ .

(٦) فتوح مصر/٩٦ وحسن المحاضرة ١/٢١٥ (وينظر حديثه فى مسند الامام أحمد بن حنبل ٢/١٥٨ وما بعدها) .

وكان يتقن اللغة السريانية فيقرأ بها كما يقرأ بالعربية[١].

أما من حيث كونه مقرئاً، فقد وردت عنه الرواية فى حروف القرآن[٢].

وهو أحد الذين حفظوا القرآن العظيم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم[٣] وكان له مصحفه الخاص[٤].

ويبدو أنه قد كثرت عنه الرواية فى حروف[٥] القرآن حتى شملت جل السور القرآنية ولذلك ألف أبو بكر النيسابورى (ت ٣٨١ هـ) كتاباً فى قراءته سماه « قراءة عبد الله بن عمرو »[٦].

وأثار بعض الحروف التى قرأها نقاشاً طويلاً منذ وقت مبكر[٧].

ومن الحروف التى قرأ بها مِنَّةً، منونة منصوبة وهى فى الآية الكريمة: « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه »[٨].

وقد أجمع القراء على قراءتها « منه » فقراءته مخالفة لما أجمع عليه القراء المشهورون.

وفسر قراءته « ابن جنى » تفسيراً نحوياً بقوله: (أما « منة » منصوب على المصدر بما دل عليه قوله تعالى: « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً » لأن ذلك منه — عز اسمه — منة عليهم، فكأنه قال: من عليهم منة)[٩].

---

(١) فتوح مصر /٩٦ وحسن المحاضرة ٢١٥/١ (وينظر حديثه فى مسند الامام أحمد بن حنبل ١٥٨/٢ وما بعدها).

(٢) طبقات ابن سعد ٢٦٦/٤. (٣، ٤) طبقات القراء ٤٣٩/١.

(٥) ابن أبى داود: كتاب المصاحف /٨٣.

(٦) الحروف جمع حرف. وهو فى اصطلاح القراء: « ما وقع فيه الاختلاف بين القراء من كلم القرآن » (ابن القاصح: سراج القارىء المبتدى /١٤).

(٧) معجم الادباء ١٠٣/٣. (٨) طبقات القراء ٣٠٣/٢.

(٩) سورة الجاثية آية ١٣.

وقد أشار القرطبي (ت ٦٧١ هـ) إلى هذه القراءة دون أن ينسبها إلى عبد الله بن عمرو، ويرجح عليها قراءة الجمهور « منه ». ووصف الأخيرة بأنها ظاهرة[١].

أما أشهر تلاميذه من المصريين فهم: مولاه « يزيد بن رباح المصرى » (ت ٩٠ هـ) ذكره ابن حبان وقال العجلى: « مصرى ثقة »[٢].

وأبو عشانة حى بن يؤمن المصرى (ت ١١٨ هـ).

وعقبة بن مسلم التجيبى، أبو محمد القاص المصرى (ت ١٢٠ هـ، تقريباً)[٣].

ومن هؤلاء الرواة عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٧٣ هـ). وقد دخل مصر فاتحاً، واختط بها داره التى سميت « دار البركة »[٤].

وقد وردت عنه الرواية فى حروف القرآن. كما روى عنه أنه كان يتلبث طويلا ليفهم القرآن فهماً دقيقاً[٥].

فقد ورد عنه أنه قرأ (الآية ٥٤) من سورة الروم: (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة. يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)، بضم الضاد فى الجميع، لأنه روى فقال: قرأت على رسول الله ﷺ «من ضعف» بالفتح، فرد على النبى فقال: من ضعف. يعنى بالضم فى الثلاثة[٦].

---

(١) تفسير القرطبي ١٦/١٤ .
(٢) تهذيب التهذيب ١١/٣٢٤ وحسن المحاضرة ١/٢٦٣ .
(٣) تذكرة الحفاظ ١/٤٣ وتهذيب التهذيب ٧/٢٤٩ وحسن المحاضرة ١/٢٦٩ .
(٤) فتوح مصر /٩٢ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ٤/٦ .
(٥) طبقات القراء ١/٤٣٧ .
(٦) أبو الحسن بن غلبون: التذكرة فى القراءات /٣٠٨ (مخطوط المكتبة العامة بالرباط برقم ٢٨٢ ق) ومكى: الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/١٥٦ .

وقد ورد عنه أنه قرأ (الآية ٤٥) من سورة يوسف : (وادكر بعد أمه) . قرأها بعد أمة . وهى قراءة شاذة مخالفة لقراءة الجمهور[٧] .

وقرأ (الآية ٩) من سورة الجمعة « فامضوا إلى ذكر الله » بدلا من « فاسعوا إلى ذكر الله » .

وهى قراءة شاذة ولا تحمل إلا على أنها قراءة تفسيرية لقراءة العامة[٢] .

والخلاصة أن جل ماروى عنه قليل لايغطى إلا قسماً يسيراً من آيات القرآن الكريم وأن جملة ماروى عنه من حروف معدود فى القراءات الشاذة إلا نادراً[٣] .

وأشهر تلاميذه على الإطلاق مولاه : « نافع أبو عبد الله العدوى (ت ١١٧ هـ) الذى أرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر معلما[٤] .

وأشهر تلاميذه من المصريين الإمام[٥] الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) وعقبة بن مسلم التجيبى أبو محمد[٦] القاص المصرى (ت ١٢٠ هـ) .

وكل واحد من أولئك الرواد استطاع أن يخلق نوعاً من الحركة العلمية فى مصر ويهيىء الجو المناسب لقيام نهضة فى القراءات لكنه لم يستطع أن يكون مدرسة .

فلماذا . . ؟

من الثابت أنه « لم تحفظ عن النبى ﷺ قراءة مجردة على وجه واحد

---

(١) ابن جنى : المحتسب ٣٤٤/١ (والأمة : النسيان يقال أمه الرجل يأمه أمها ، اذا نسى) .

(٢) المحتسب ٣٢٢/٣ . (٣) المحتسب ٣٤٨/٢ .

(٤ ، ٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٩٩/١ ـ ١٠٠ .

(٦) حسن المحاضرة ٢٦٩/١ (وهو محدث أيضا : فتوح مصر ٢٤٣/ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢) .

من أول القرآن إلى آخره لأنه كان يقرئ أو يقرأ بالوجوه كلها مرة على ذا الوجه ومرة على ذلك»[١]

والوجوه المقصودة هى اللغات التى أنزل بها القرآن والمشار إليها بقول النبى : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر»[٢] .

فالغاية من إباحة القراءات المتعددة هى التيسير ورفع الحرج عن الأمة .

ولكن لما وقع الحرج بالاختلاف بين أتباع أصحاب المصاحف المختلفة من الصحابة حتى كادت الفتنة أن تتم جاء « حذيفة بن اليمان » إلى الخليفة الراشد « عثمان بن عفان » (٢٣ - ٣٥ هـ) فقال : « أدرك هذه الأمة »[٣] فجمع عثمان « رضى الله عنه » المصاحف وكتب مصحفه الإمام على حرف واحد[٤] ، فصار إماماً لجميع المسلمين فى القراءة ، فلم يجز التعبد بما خالف المصحف الإمام . بل يعد ما خالفه شاذاً بإجماع المسلمين .

ولما كان لكل واحد من عقبة بن عامر الجهنى[٥] وعبدالله بن عمرو[٦] وعبدالله بن عباس[٧] ، مصحفه الذى خالف فيه المصحف الإمام ، فإن من

الأندرابى : الايضاح فى القراءات ، ورقة ٧٧ : ب وينظر كتاب أبى عمر الدورى : « قراءات النبى » (مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٦ قراءات)

(٢) الحديث متواتر وقد رواه البخارى ومسلم وغيرهما وأشارت اليه مجموعة من الكتب المتصلة بالقراءات وأفرده بالتاليف بعض العلماء (ينظر ابن أبى داود : كتاب المصاحف /١٨ ومكى : الابانة عن معانى القراءات /١٠، ١٤، ١٥ ، والرازى : رسالة فى قول النبى : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ١٣٤ لغة ، وابن الجزرى : منجد المقرئين /٧٠) .

(٣) كتاب المصاحب /١٢ ، ١٤ ، ٢٠ .

(٤) وان احتمل الرسم بعض الوجوه لخلوه من النقط والاعجام ، ولكن يجب أن تكون تلك الوجوه متواترة لئلا يعمد بعض القراء فيصحف ويحرف بعض الحروف بحجة موافقتها للمصحف .

(٥) الاصابة ٤/٢٥٠ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/١٢٧ .

(٦) كتاب المصاحف /٨٣ . (٧) كتاب المصاحف /٧٣ .

الطبيعي ألا تتكون حول أي واحد منهم مدرسة لقراءة القرآن . إذ كيف يأتم المسلمون ويتعبدون بمصحف ليس إماماً ؟ .

وهذا التعليل يفسر أيضاً اتجاه ورش الذي صار فيما بعد إمام المدرسة المصرية إلى نافع بن أبي نعيم مقرىء مدينة الرسول ليأخذ عنه القرآن .

وهذا ما يتضح في المرحلة الآتية : مرحلة تكون أصول المدرسة المصرية في القراءات :

المبحث الثاني
مرحلة تكون أصول المدرسة المصرية

اتجه « ورش » أول ما اتجه إلى « المدينة » ليقرأ على « نافع بن أبي نعيم » (ت ١٦٧ هـ) ، لأن قراءته قد تواترت عن رسول الله بروايته عن مجموعة كبيرة من التابعين ، بلغوا - كما روى نافع نفسه - سبعين[١] .

وأجمعت كتب القراءات على أنه أخذ عن هؤلاء الخمسة[٢] : مسلم ابن جندب (ت ١١٠ هـ) ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧ هـ) ، ويزيد بن رومان (ت ١٢٠ هـ) ، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠ هـ) ، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ) .

وقد قرأ كل من مسلم بن جندب[٣] ويزيد بن رومان[٤] على عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة (ت ٧٨ هـ) . وقرأ عبد الله على[٥] أبي ابن كعب (ت ٢٠ هـ) .

وعرض كل من الأعرج[٦] ، وأبي جعفر[٧] على أبي هريرة

(١) معرفة القراء الكبار / ٨٩ .

(٢) كتاب السبعة / ٦٢ ، والداني : جامع البيان في القراءات السبع ، ورقة ٢٤/ب ومعرفة القراء الكبار / ٨٩ .

(٣) جامع البيان ورقة ٢٤ : ب وطبقات القراء ٢ / ٢٩٧ .

(٤) جامع البيان ورقة ٢٤ : ب ومعرفة القراء الكبار / ٦٢ .

(٥) معرفة القراء الكبار / ٤٩ وطبقات القراء ١ / ٤٤٠ .

(٦) معرفة القراء الكبار / ٤١ وطبقات القراء ١ / ٣٨١ .

(٧) جامع البيان ورقة ٢٤ ب ومعرفة القراء الكبار / ٥٨ .

(ت ٥٨ هـ) وعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) رضى الله عنهم أجمعين .

وقرأ كل من أبى بن كعب وأبى هريرة وابن عباس على النبى ﷺ[١] .

ومنهج نافع فى أخذ القراءات يعمق ناحية التواتر ، ويوضحه بقوله : (قرأت على هؤلاء فنظرت ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته ، وما شذ فيه واحد تركته ، حتى ألفت هذه القراءة)[٢] .

وقد ورد الإمام المصرى الليث بن سعد المدينة سنة ١١٣ هـ ، فوجد « نافعاً » إمام الناس فى القراءة ، وأستاذه شيبة بن نصاح ، حى[٣] .

ولذلك قرر الإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) بأن « قراءة نافع سنة »[٤]

وهذا من أهم الأسباب التى رشحت « نافعاً » ليكون واحداً من القراء السبعة فيما بعد[٥] فقد وضعه الإمام ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) أول القراء السبعة ، وشهد له فى صدر ترجمته بأنه (كان الإمام الذى قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله . وكان عالماً بوجوه القراءات متبعاً لآثار أئمة الماضين ببلده)[٦]

يضاف إلى ذلك كونه رائداً فى تأليف أول كتاب فى «وقف التمام»[٧] .

وليس من قبيل المصادفات أن يختص المصريون برواية هذا الكتاب ، بعد أن نقله عنه تلميذه سقلاب[٨] بن شيبة المصرى (ت ١٠١ هـ) .

كل هذه المناقب الحميدة زادت فى اشتياق « ورش : عثمان بن سعيد المصرى » (ت ١٩٧ هـ) ، إليه فقصده سنة ١٥٥ هـ ، وقرأ عليه ، فختم القرآن أربع ختمات[٩]

---

(١) معرفة القراء الكبار / ٤٠ وطبقات القراء ١/ ٣١ ، ٣٧٠ .
(٢) كتاب السبعة / ٦٢ ومعرفة القراء الكبار / ٩١ .
(٣) معرفة القراء الكبار / ٨٨ .
(٤) النشار : البدر المنير فى قراءة نافع وأبى عمرو وابن كثير ، ورقة ٢/ب
(٥ ، ٦) كتاب السبعة ٥٣ . (٧) القطع والائتناف لوحة ٩ : ب .
(٨) طبقات القراء ١/ ٣٠٨ رقم ١٣٥٩ . (٩) طبقات القراء ١/ ٥٠٢ ، ٥٠٣

ولم يكن « ورش » المصرى الوحيد الذى قصد « نافعاً » بل قصده وقرأ عليه آخرون أهمهم :

(١) الليث بن سعد (ت ١٧٥ ﻫ) .

(٢) وسقلاب بن شيبة (ت ١٩١ ﻫ) .

(٣) وعبد الله بن وهب (ت ١٩٧ ﻫ) .

(٤) وأشهب بن عبد العزيز (ت ٢٠٤ ﻫ) .

(٥) ومُعَلّى بن دحية .

ولكن « ورشاً » هو الذى اشتهر من بين هؤلاء ، فأصبح صاحب مدرسة ، امتدت قروناً عديدة ، وكثر تلاميذها ، وذاع صيتها فى كل أنحاء العالم الإسلامى يومئذ وقرأ بقراءة « ورش » المغاربة والأندلسيون قاطبة ، وجماعة من أهل بغداد واليمن .

وهذه القضية ملفتة للنظر وتدعونا إلى التساؤل .. فلماذا كتب الفوز لقراءة ورش ، ولم يكتب ذلك لزملائه وأقرانه فى التحصيل ؟

الحقيقة أنه توجد أسباب كثيرة اجتمعت كلها فرجحت تلك القراءة . فما هى ؟

السبب الأول : أن أكثر هؤلاء ـ ماعدا معلى بن دحية ـ اتجهوا إلى الفقه ، فكل من عبد الله بن وهب[1] ، وأشهب بن عبد العزيز[2] ، اتجه إلى فقه الإمام مالك ، بالإضافة إلى كونهما قارئين . أما الليث بن سعد فصلته بالفقه أظهر من هؤلاء جميعاً ولكنه فقيه له رأيه الخاص . وهو قرين مالك .

---

(١) الديباج المذهب فى أعيان المذهب /١٣٢ وطبقات القراء ٦/٣٣١ .
(٢) الديباج المذهب /٩٨ وطبقات القراء ٢/٢٩٦ .

أما « ورش » فقد انقطع للقراءة وجعلها همه الوحيد [١]

والسبب الثانى : أنه تعمق فى النحو وأتقنه [٢] وإتقان النحو شرط لابد من توفره فى المقرىء ، فبدونه لا يمكن تصور القراءة المتقنة .

والسبب الثالث : أنه كان حسن الصوت جيد القراءة [٣] وهى صفة محبوبة فى قارىء القرآن [٤] . ولأجلها كان النبى ﷺ يحب قراءة « عبدالله ابن مسعود » رضى الله عنه . حتى قال : « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على ابن أم معبد » [٥] .

والسبب الرابع : أن ورشاً كان ذا شخصية متميزة وعقلية مستنيرة فلم يكتف بالأخذ عن « نافع » كما فعل أقرانه وزملاؤه ، فأصبحوا ظلالا باهتة لشخصيات أساتذتهم ، بل كان « له اختيار خالف فيه أستاذه » [٦] فكان طبيعياً أن يتخذ لنفسه قراءة جديدة [٧] . هى محصول شخصيته المتطلعة المتفتحة ، وما استفاده من أستاذه « نافع » .

ويبدو هذا واضحاً عند الموازنة بينه وبين أستاذه « نافع » . فمن خصائص منهجه أنه « إذا قرأ يهمز ، ويمد ، ويشدد ، ويبين الإعراب » [٨] .

أما منهج أستاذه — فيما يوازى هذه النواحى — فهو أنه « كان لا يهمز همزاً شديداً ، ويمد ولا يشدد ، ويقرب بين الممدود وغير الممدود » [٩]

فهو يتفق مع أستاذه فى تبيين الإعراب .

---

(١) معجم الادباء ١٢/١١٩ وطبقات القراء ١/٥٠٢ .

(٢) طبقات القراء ١/٥٠٢ . (٣) طبقات القراء ١/٥٠٣ .

(٤) ابن الانبارى : ايضاح الوقف والابتداء ١/١٦ .

(٥) طبقات القراء ١/٤٥٩ .

(٦) طبقات القراء ١/٥٠٢ . (٧ ، ٨) طبقات القراء ١/٥٠٣ .

(٩) كتاب السبعة /١٣٢ ومعرفة القراء الكبار /٩١ .

واقترب من مذهب استاذه فى المد .

واختلفا فى بقية النواحى .

ولا شك فى أنهما فى التفصيلات أشد اختلافاً .

السبب الخامس : ولعله أهم الأسباب التى أدت إلى فوز « مدرسة ورش » أنه رزق تلاميذ[1] أذكياء نشطوا لنشر قراءته وكتبوا عن منهجه فى القراءة كتباً كثيرة .

وقد يضيع الأستاذ ومنهجه إذا لم يرزق التلاميذ الذين يحيون ذكره باستمرارهم فى حمل الشعلة الذهنية التى أوقدها .

وأمامنا تلميذ آخر لنافع ، هو « الليث بن سعد » ، فقد رويت عنه الحروف فى القراءات ، وكان عالماً متعدد الجوانب فهو فقيه ، ومحدث ، ومقرئ ، وقد عده الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) أفقه من « مالك » ، غير أنه ضاع فى غمار الزمن « لأن أصحابه لم يقوموا به »[2] .

أما تلاميذ « مدرسة ورش » فقد قاموا بحمل خصائص المدرسة وألفوا فى شرح أصولها الكتب وحملها تلامذتهم فى الشرق والمغرب فظلت تلك المدرسة حية تدرس أصولها ويؤلف فيها ويقرأ بها القراء حتى نهاية القرن الثامن الهجرى وبداية القرن التاسع . أى حتى عصر ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) وهو خاتمة المحققين فى هذا الشأن .

والدراسات اللغوية والنحوية التى قامت بها « مدرسة ورش المصرى » فى ميدان القراءات (بالإضافة إلى ما قامت به مدرسة القراء فى ميدان التفسير) ، تمثل الأصالة المصرية فى هذه الفترة المبكرة التى

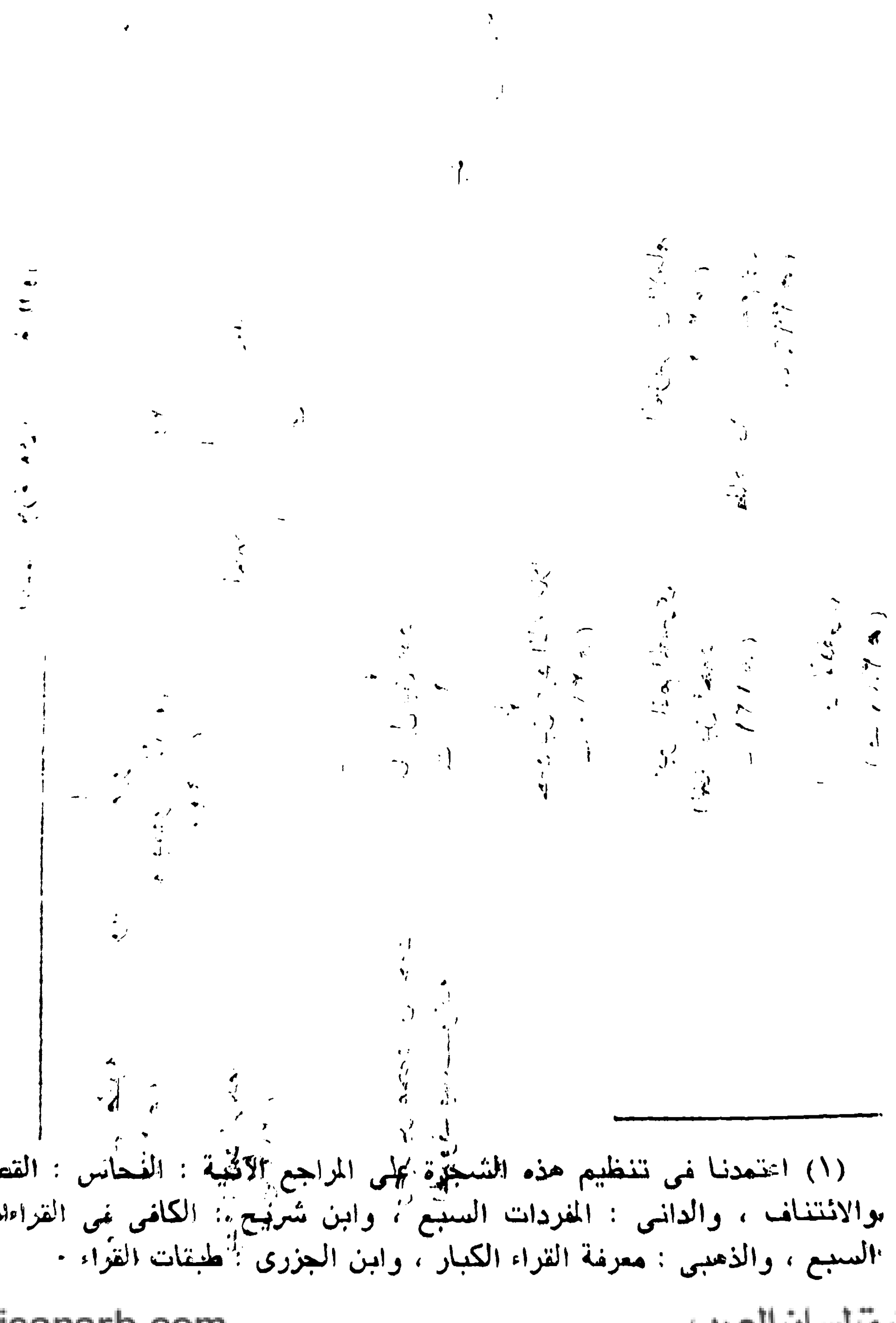
---

(١) أعنى بالتلاميذ كل الذين قرءوا أصول مدرسة ورش حتى نهاية القرن الرابع .

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢٢٤/١ ، حسن المحاضرة ٣٠١/١ .

ندرسها ، أكثر مما تمثلها الدراسات اللغوية والنحوية التقليدية فى القرن الثالث الهجرى .

فقد قامت بها عقول مصرية صميمة وهم كثيرون ، ولعل أشهرهم يمثلون بالشجرة الآتية : (١)



(١) اعتمدنا فى تنظيم هذه الشجرة على المراجع الآتية : النحاس : القطع والائتناف ، والدانى : المفردات السبع ، وابن شريح : الكافى فى القراءات السبع ، والذهبى : معرفة القراء الكبار ، وابن الجزرى : طبقات القراء .

شـــجرة مدرســـة « ورش »

- داود بن أبى طيبة (ت ٢٢٣ هـ)
  - ↓ ابنه : عبد الرحمن (ت ٢٧٣)
- يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب الأزرق (ت ٢٤٠ هـ)
  - زهير بن محمد بن أحمد المعروف بشـــرانة
  - اسماعيل بن عبد الله (ت ٢٨٠ هـ)
    - ↓ أحمد بن عبد الله هلال (ت ٣١٠ هـ)
    - ↓ أبو غانم المصرى المظفر بن أحمد (ت ٣٣٣ هـ)
    - ↓ أبو بكر الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ)
  - أبو بكر التجيبى عبد الله بن مالك بن يوسف (ت ٣٠٧ هـ)
    - أبو عـــدى عبد العزيز بن الامام (ت ٣٨١ هـ) طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ)
    - أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)
    - ابراهيم بن محمد بن مروان
      - ↑ عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ)
- أحمد بن صالح المصرى (ت ٢٤٨ هـ)
  - أحمد بن محمد بن الحجاج الرشدينى
- أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن (ت ٢٣١ هـ)
  - ↓ بكر بن سهل الدمياطى (ت ٢٨٩ هـ)
- يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤ هـ)
  - ↓ مواس بن سهل

وهذه المدرسة تميزت بخصائص لغوية ونحوية مستقلة إلى حد كبير عن مدارس القراءات الأخرى ، فى المدينة والشام والعراق ، وظلت حية متوقدة جذوتها ستة قرون لم تنقطع يوماً واحداً[١] .

و وإن المدارس الأخرى فى المغرب والأندلس قاطبة قد تأثرت منذ وقت مبكر ، بأصول ورش المصرية .

وبعض المدارس صارت امتداداً للمدرسة المصرية[٢] .

ومن القراء من لقب « بالورش » نسبة إلى قراءة « ورش » لاشتهاره بها[٣] .

وعندما نوازن بين الدراسات التى قامت بها هذه المدرسة منذ نشوئها والدراسات اللغوية والنحوية التى قامت فى مصر بالمفهوم التقليدى فى القرن الثالث ، نجد أن الأساتذة المصريين - فى المجال التقليدى - معتمدون إلى حد كبير على أصول المدارس الأخرى فى بغداد والكوفة والبصرة .

كما أن هذه الدراسات التقليدية فى اللغة والنحو لم تستمر مدة طويلة متصلة الحلقات ، كما اتصلت مدرسة القراء .

بل إن المدرسة اللغوية النحوية فى مصر - بالمفهوم التقليدى - متأثرة بمدرسة القراء على يد أبى جعفر النحاس .

---

(١) أى : من « ورش » (ت ١٩٧ هـ) الى ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) آخر من حمل أصول هذه المدرسة رواية وبعده جاء المقلدون . (والمقلد لا علم له ، كما يقول علماؤنا الأصوليون) .

(٢) معرفة القراء الكبار / ١٥١ .

المقصود هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الأعلى المفسر المقرئ (المتوفى ٣٩٣ هـ) :

(٣) السمعانى : الأنساب / ٥٨١ : ب والمقرى : نفح الطيب ٣/٤١٢ .

ولهذا فإن مدرسة القراء ودراساتها أحق بالتقديم وأجدر بالتفصيل لأنها الأساس والأصل.

وما دامت الدراسات اللغوية والنحوية فى ميدان القراءات قد قامت – أو قام أكثرها – حول الظواهر اللغوية والنحوية لمدرسة القراء المصرية، فإن هذه الظواهر أولى بالتقديم لأنها تمثل الأساس الذى بنيت عليه تلك الدراسات. وهى تمثل المرحلة القادمة..

المبحث الثالث

مرحلة بروز الظواهر اللغوية والنحوية المميزة للمدرسة المصرية

وفى هذه المرحلة تكاملت الصورة الواضحة لقراءة «ورش» فبرزت خصائصها اللغوية والنحوية.

وأهم الخصائص التى تميزت بها قراءة «مدرسة ورش» هى:

(أولا: منهج «ورش» فى الراءات واللامات)

لورش منهجه الخاص فى «الراءات واللامات»

ولأهمية هذه القضية فى قراءة ورش فقد ألف فيها جماعة من القراء سواء أكانوا من مدرسة ورش المصرية أم من المتأثرين بها خارج مصر.

وأول من ألف فيها «زهير بن أحمد المعروف[1]» بشعرانة (القرن الثالث) مقرىء مدرسة ورش وتلميذ أبى يعقوب الأزرق (ت ٢٤٠ هـ) أشهر تلاميذ ورش[2] ...

وقد ضاع كتاب «شعرانة» فى الراءات واللامات ... ولكن ...

(١) طبقات القراء ١/٢٩٥ . (٢) طبقات القراء ٢/٤٠٢ .

ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) وصف بأنه « صاحب الراءات واللامات على مذهب ورش »[١] .

كما خصص طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) بابين من كتابه القيم : « التذكرة فى القراءات الثمان » ، واحداً للراءات وواحداً للامات[٢] .

وعالج الموضوع من غير المصريين جماعة منهم : أبو الأصبغ عيسى ابن فتوح الهاشمى البلنسى[٣] المعروف بابن الرابط (ت ٤٠٣ هـ) ، فى كتابه « التقريب والحرش المتضمن لقراءة قالون[٤] وورش » .

وقد خصص للراءات باباً[٥] وللامات باباً آخر[٦] .

وكتابه باق . وتحفظ مكتبة الإسكوريال بنسخة منه[٧] ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات برقم ١/٨ (إسكوريال) .

ثم ألف فيه الإمام مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) كتابه « شرح الراءات واللامات على قراءة ورش »[٨] .

كما تحدث عنه فى كتابه « الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها[٩] » .

---

(١) طبقات القراء ١/٢٩٥ . (٢) التذكرة فى القراءات للثمان ١٢٨/١ ، ١٤٢ .
(٣) ترجمة ابن المرابط فى طبقات القراء ١/٦١٤ . GAL,1 : 718
(٤) قالون : هو عيسى بن مينا ربيب « نافع » وتلميذه ، وقالون لقب معناه بالرومية : الجيد ، توفى ٢٢٠ هـ ، (طبقات القراء ١/٦١٥) .
(٥) التقريب والحرش : باب الراءات .
(٦) التقريب والحرش : باب اللامات .
(٧) فهرس المخطوطات المصورة عن الإسكوريال بمعهد المخطوطات .
(٨) انباه الرواة ٣/٣١٧ . (٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٢٠٩ ، ٢١٨ .

وألف فيه معاصره : أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) كتابه : الراءات واللامات[١] .

وخصص له الإمام محمد بن شريح (ت ٤٧٦هـ) باباً فى كتابه « الكافى »[٢] .

وألف فيه أو خصه بالبحث آخرون لا نريد أن نفصل القول فيهم ، وإنما نكتفى بأشهرهم وأقدمهم .

وحديثنا عن « الراءات واللامات » ينقسم قسمين :

١ — منهج ورش فى الراءات .

٢ — منهج ورش فى اللامات .

١ - منهج ورش فى الراءات :

(أ) **الوصف العلمى للراء** : الراء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة . وهى كاللام فى أن كلا منهما حرف مجهور (Voiced)[٣] .

فلتكوين الراء يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ فى الحلق والفم ، حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقياً بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء .

والصفة المميزة للراء هى تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها[٤] .

(ب) **الراء بين الترقيق والتفخيم** : الراء فى مذهب « ورش » إما مرققة وإما مفخمة .

---

(١) طبقات القراء ١/٥٠٥ .

(٢) الكافى فى القراءات ورقة ١٤ : أ — ١٥ : ب .

(٣) An English phonetics course, p. 89 والدكتور أنيس : الأصوات اللغوية /٦٧ .

(٤) الأصوات اللغوية /٦٧ .

والترقيق من الرقة . ويعرف عند القراء بأنه « إنحاف ذات الحرف ونحـوله »(١) .

أما التفخيم فهو من الفخامة وهى العظمة والكثرة . ويعرف بأنه « عبارة عن ربو الحرف وتسمينه »(٢) .

والتفخيم والتغليظ بمعنى واحد ، إلا أن المستعمل فى الراء التفخيم وفى اللام التغليظ .

ومن الجدير بالذكر أن الترقيق للحرف وليس للحركة ، والإمالة فى الراء هى إمالة حركته دونه . وهى تخفيف كالإدغام . ولعل ذلك الذى دفع « مكياً » إلى أن يسمى الترقيق إمالة(٣) للصلة الجامعة بينهما وهى التخفيف وإن كان هذا المنحى غير مشهور ولا مأخوذ به عند جمهور القراء .

(ج) **الفرق بين الراء المرققة والمفخمة** : الفرق بين الراء المرققة والمفخمة يشبه الفرق بين اللام المرققة والمغلظة ، أى : أن الراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق(٤) . ولكن الرسم العربى لم يرمز لها برمز خاص يتغير بتغير معنى الكلمة . ولهذا يعد كل من النوعين رمزاً صوتياً واحداً(٥) .

---

(١) النشر ٢/٩٠ .

(٢) النشر ٢/٩٠ .   (٣) الكشف عن وجوه القراءات ١/٢٠٩ .

(٤) أصوات الاطباق : هي الحروف التى ينطبق اللسان – عند النطق بها – على الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا ، كما يرجع الى الوراء قليلا . وهى عند الرازي : الصاد والطاء . وعند سيبويه والمبرد وابن الجزرى وغيرهم : الصاد والضاد والطاء والظاء ، والتجارب الصوتية الحديثة تؤيد الآخرين (ينظر : الرازي : رسالة فى حروف العربية /٦٥ وكتاب سيبويه ٢/٤٠٣ والمقتضب ١/٦٤ والنشر ١/٢٠١ والأصوات اللغوية /٤٨ وما بعدها .

(٥) الأصوات اللغوية /٦٧ .

(د) **الراء المرققة فى منهج ورش** : رقق ورش كل راء متحركة بالفتح أو بالضم بشروط هى :

أن يكون ماقبلها ياء ساكنة أو كسرة متصلة بالراء فى كلمة واحدة[1] نحو : « بشيرا » (سبأ آية ٢٨) ، و« منيرا » (الأحزاب آية ٤٦) . و« تُعَزِّرُوهُ و تُوَقِّرُوهُ » (الفتح آية ٩) .

(هـ) **الراء المفخمة** : فإن اختل شرط من هذه الشروط فلا ترقق الراء بل تفخم[2] نحو : « فى رَقٍّ مَنْشُورٍ » (الطور آية ٣) . و« ريبٍ » (البقرة آية ٢٣) .

(و) **إمالة الراء فى منهج ورش** : الإمالة التى نريدها هنا هى « إمالة حركة الراء » وهى حالة خاصة عند ورش . قد يلتقى فيها مع تفاصيل منهج أبى عمرو بن العلاء فى الإمالة[3] . وهذا مالا نريد أن نفصل فيه القول ، إذ اقتصرنا على إمالة فتحة الراء فى قراءة ورش .

فقد كان « ورش » يميل فتحة الراء بين اللفظين[4] إذا وقع قبلها ياء ساكنة أو كسرة لازمة أو ساكن قبله كسرة ، سواء توسطت الراء فى الكلمة أو وقعت طرفاً ، أو لحقها تنوين أو لم يلحقها ، أو كان بالحرف المكسور قبلها حرف استعلاء[5] أو غيره .

فأما الياء الساكنة فسواء انفتح ما قبلها نحو : « وَافْعَلُوا الخَيْرَ » .

---

(١) ابن القاصح : سراج القارئ المبتدى / ١١٩ وغيره .

(٢) المتولى : فتح المعطى وغنية المقرى / ٤٥ .

(٣) الدكتور عبد الصبور شاهين : الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ١٤٥ (رسالة ماجستير بدار العلوم) .

(٤) هى الإمالة المتوسطة — ينظر الدانى : الموضح فى الفتح والامالة ورقة ٢٤ : ب . (٥) حروف الاستعلاء سبعة : الغين والخاء والقاف والطاء والظاء والصاد والضاد . (الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٢٥٥) .

(الحج آية ٧٧) و « الجبالُ سَيْراً » (الطور آية ١٠) .

أو انكسر ، نحو « وإن كانتْ لكبيرةً » (البقرة آيـة ٤٥) أو « ولله ميراثُ السَّموات والأرضِ » (آل عمران آية ١٨٠) .

وأما الكثرة اللازمة فإنها تقع قبل الراء على ضربين :

(أ) أن تقع الراء بعد الكسرة من غير فاصل بينهما ، نحو « باسِطٌ ذراعيه » (الكهف آية ١٨) ، و« كِراماً كاتِبِين »(الانفطار آية ١١).

(ب) أن يقع بعد الكسرة حرف ساكن فاصل بين المكسرة والراء نحو : «وما علمناه الشعر» أو « ذو مرة فاستوى » (النجم آية ٦) فالراء ممالة لورش فى جميع ذلك بين اللفظين فى حال الوصل والوقف[1] .

(ز) التعليل الصوتى لامالة حركة الراء :

التفسير الصوتى لإمالة حركة الراء مبنى على أساس التلازم بين الراء والإمالة وذلك أن الراء صوت متوسط يشترك فى هذه الصفة مع الياء[2] .

فهذا الاشتراك فى الصفة يجعل من السهل على الناطق أن يؤدى الراء الممالة أكثر من غيرها . لأنه حينئذ يجعل فتحة الفم ضيقة عند النطق بالراء ضيقة تكفى لأدائها مرققة - إذ لا يجوز مع الإمالة إلا الترقيق[3] - وضيق المخرج فى حالة الراء المرققة كاف لأداء الكسرة الممالة دون غيرها من الحركات يساعد على ذلك اشتراط وجود كسرة لازمة أو ساكن قبله كسرة أو ياء ساكنة قبل الراء الممالة ، ولا فرق بين الياء والكسرة هنا فمخرج الكسرة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ياء المد ، فالياء كسرة طويلة ولا فرق بين القصيرة والطويلة إلا فى الكمية[4] .

---

(١) التذكرة فى القراءات الثمان /١٢٨ وقرة العين فى الفتح والإمالة وبين اللفظين . ورقة ٢ : ب . (٢) الأصوات فى قراءة أبي عمرو بن العلاء /١٥٤ .
(٣) النشر ٢/٩٠ . (٤) د. أنيس : فى اللهجات العربية /٥٠ .

وأقصى ما يميل إليه اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسرة طويلة كانت أم قصيرة ، ومن هنا كان الانسجام الصوتى عند أداء مثل تلك الإمالة .

٢ — منهج ورش فى اللامات :

(أ) الوصف العلمى للام :

١ — اللام المرققة : توصف اللام المرققة بأنها صوت متوسط بين الشدة والرخاوة ، ومجهور أيضاً .

ويتكون هذا الصوت بأن « يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه فى الحلق وعلى جانبى الفم فى مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف ، وفى أثناء مروره من أحد جانبى الفم أو من كليهما ، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبه »(١) .

٢ — اللام المغلظة : أما اللام المغلظة فإن اللسان معها يتخذ شكلاً مقعراً كما هو الحال مع أصوات الإطباق(٢) .

(ب) منهج ورش فى تغليظ اللامات :

اتفق جمهور القراء من المصريين المختصين بقراءة «ورش» على أنه يغلظ اللام بشروط ثلاثة :

١ — إذا تحركت اللام بالفتح .

٢ — وتقدمها أحد الأحرف الآتية : الصاد ، أو الطاء ، أو الظاء .

٣ — وتحركت هذه الأحرف بالفتح أو سكنت(٣) .

---

(١) الأصوات اللغوية /٦٥ . (٢) الأصوات اللغوية /٤٨ ، ٦٥ .

(٣) التذكرة فى القراءات الثمان /١٤٢ والتقريب والحرش (باب اللام) . وسراج القارئ المبتدئ /١٢٣ « واقتصر صاحب التذكرة على الصاد والطاء ، ولعله فعل ذلك اختصاراً والا فهو مخالف للجمهور » .

— الصاد المفتوحة :

« فصل طالوت بالجنود » (البقرة آية ٢٤٩) و « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (البقرة آية ٢٣٨) .

« من أصلابكم » (النساء آية ٢٣) ، « وفصل الخطاب » (ص آية ٢٠)

— الطاء المفتوحة :

و« بئر معطلة » (الحج آية ٤٥) ، « وانطلق الملأ » (ص آية ٦) .

— الطاء الساكنة .

« مطلع الفجر » (القدر آية ٥) و« لم يرد فى القرآن غيرها » .

— الظاء المفتوحة :

« وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم » (هود آية ١٠١) .

— الظاء الساكنة :

« ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » (البقرة آية ١١٤) وفى كل ذلك يغلظ « ورش » اللام ، ويرققها سائر القراء .

* * *

(ثانيا : منهج « ورش » فى الادغام)

١ ـ تعريف الادغام :

(أ) **الخليل وسيبويه** : إن أول كتاب أشار إلى الإدغام من الكتب التى وصلت إلينا ـ هو كتاب سيبويه . وقد قال صاحبه : « هذا باب الإدغام فى الحرفين الذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه »[1] وقال فى موضع آخر : « فكما يريد فى الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ـ يريد الناطق ـ كذلك يُقرِّبُ الحرفَ إلى الحرف على قدر ذلك »[2] .

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٠٧ . (٢) كتاب سيبويه ٢/٢٥٩ .

وفكرة صاحب الكتاب واضحة فى هذين النصّين . وإن كانت الصياغة الدقيقة تنقصهما . وهى ما يجب توفرها فى كل تعريف .

ويبدو أنّ الفكرة ترجع إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى [(١)] .

(ب) **المبرد** : وعرف المبرد الإدغام ، ولكن تعريفه لا يخرج عن فكرة سابقيه إلا بالشرح والإطالة فى الكم لا فى النوع [(٢)] .

(ج) **ابن مجاهد** : ولعل أول من عرف الإدغام تعريفاً يجمع بين وضوح الفكرة ودقة الصياغة « أبو بكر بن مجاهد » (ت ٣٢٤ ﻫ) حيث قال : « الإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه فى مخارج اللسان كراهية أن يعمل اللسان فى حرف واحد مرتين فيثقل عليه » [(٣)] .

(د) **مكى بن أبى طالب** : أما « مكى بن أبى طالب القيسى » (ت ٤٣٧ ﻫ) فتكاد عبارته — فى توضيح فكرة الإدغام — تطابق عبارة المبرد [(٤)] .

(ﻫ) **الدانى** : وعرفه معاصره أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ ﻫ) بقوله : « إن الإدغام تخفيف وتقريب ، وهو وصلك حرفاً ساكناً بحرف آخر متحرك من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة ويلزم موضعاً واحداً » [(٥)] .

وهو تعريف يلتزم حدود عبارة « ابن مجاهد » مع شرح بسيط لا غير .

---

(١) كتاب السبعة / ١٢٥ والكشف عن وجوه القراءات ١/ ١٠٩ .
(٢) المقتضب ١/ ١٩٧ . (٣) كتاب السبعة / ١٢٥ .
(٤) المقتضب ١/ ١٩٧ والكشف عن وجوه القراءات ١/ ١٤٣ .
(٥) الدانى : الإدغام الكبير ، ورقة ٥ : ب - ٦ : أ .

وعرفه كل من ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) وابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، ولكن تعريفهما لا يخرج عن عبارة « ابن مجاهد » (١) .

والحقيقة أن تعريف « ابن مجاهد » هو تعريف جامع مانع كما يقول المناطقة ، وفكرته هى التى أيدها علم الأصوات الحديث .

٢ - فكرة الإدغام وعلم الأصوات الحديث :

فقد أيد هذه الفكرة العالم السويدى (فشلر) وأيده فى ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين (٢) .

قام هذا العالم السويدى بأبحاث خرج منها بأن الناطق بحرفين متواليين إذا تماثلا أو تشابها فإن آلات النطق لكى تنطق بالحرف الثانى منهما تحتاج إلى أن تتحرك الحركة التى تحركها لكى تنطق بالحرف الأول منهما . فإن الناطق لا يجىء بهذه الحركة إلا مرة واحدة . فحين ينطق بكلمة (وَعَدْتَ) دون إدغام ، يضع لسانه للنطق بالدال ثم لا يزيله عن موضعه بمجرد النطق بها لكى يعيده إلى الموضع نفسه لينطق بالتاء . بل يظل لسانه فى موضعه حتى يتم نطق التاء التى هى من مخرج الدال .

وبهذا يكون علماؤنا القراء الرواد ، هم أول من اهتدى إلى فكرة الإدغام بصورتها الصوتية الصحيحة .

٣ - الحروف المدغمة فى قراءة ورش :

(أ) **الدال من « قد » مع الضاد والظاء** : فقد قرأ ورش بإدغام دال « قد » بالضاد والظاء فى جميع القرآن . نحو : « قد ضّلوا » (الأنعام آية ١٤٠) « لقد ظّلمك » (ص آية ٢٤)(٣) ونحو ذلك .

---

(١) الخصائص : ٢/١٣٩ وشرح المفصل ١٠/١٢١ .
(٢) الأصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء /١٩٩ .
(٣) الدانى : المفردات السبع /١٥ .

(ب) تاء التأنيث مع الظاء : قرأ « ورش » برواية أبي يعقوب الأزرق، وعبد الصمد عنه[1] – بإدغام تاء التأنيث في الظاء نحو قوله تعالى : « حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا » (الأنعام آية ١٤٦) . و « كانت ظَّالمة » (الأنبياء آية ١١)[2] .

(ج) لام (قل) و (بل) مع الراء : وأدغم اللام من « قل » و « بل » في الراء ، نحو : « بل ران » (المطففين آية ١٤) . و « بل رفعه الله إليه » (النساء آية ١٥٨) . و « قل ربى » (الكهف آية ٢٢)[3] .

(د) نون الهجاء عند الواو : وقرأ بإدغام نون الهجاء عند الواو في سورتى « يسٓ والقرآن الحكيم » و « نٓ والقلم » . وذلك برواية عبد الصمد عنه[4] .

(ثالثا : منهج « ورش » في الفتح والامالة)

١ – تعريف الفتح :

يُعرَّفُ الفتح بأنه « عبارة عن فتح القارىء لفيه بلفظ الحرف . وهو فيما بعده ألف أظهر » .

٢ – تعريف الامالة :

أما الإمالة « أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهى المحضة . ويقال لها الاضطجاع كما يقال لها البطح . وربما قيل لها الكسر[5] . وقليلا وهو ما بين اللفظين ويقال له التقليل والتلطيف وبين بين .

---

(١) هما تلميذا ورش – تنظر شجرة مدرسة ورش .
(٢) المفردات السبع /١٦ .
(٣) المفردات السبع /١٧ . (٤) المفردات السبع /١٧ .
(٦) الدانى : الموضح فى الفتح والامالة ورقة ٢٤ : ب .

فالإمالة قسمان : إمالة شديدة وإمالة متوسطة . وكلاهما جائز فى القراءة جار فى لغة العرب [١] .

وهناك نوعان آخران من الإمالة هما :

الكسرة المشوبة بالضمة : وهى تلك التى فى صيغ البناء للمجهول ، والتى عبر عنها القراء « بالإشمام » فى مثل : قيل وبيع . وقد قرأ بها « الكسائى » فى مثل « قيل وغيض وجىء ، وحيل وسيق ، وسىء » .

الضمة المشوبة بالكسرة : كأن يمال بمثل « بوع » نحو الكسرة .

والنوع الأخير من أقل اللهجات العربية شيوعا ، وإن رويت بين لهجات العرب [٢] .

وإن النوعين الأولين هما المعروفان المشهوران ، ولذلك يتركز الحديث حولهما .

٣ — التفسير الصوتى للفتح والامالة :

وإن الإمالة ما هى إلا نوع من المماثلة التى تؤدى إلى الانسجام بين أصوات اللين . وهو ما يسمى بـ (Vowel Harmony) .

وهذه الظاهرة موجودة فى كثير من لغات العالم [٣] . ومنها العربية .

والفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين سواء كانا قصيرين أم طويلين .

وأصوات اللين القصيرة هى ما يسميه القدماء بالحركات .

---

(١) الموضح فى الفتح والامالة ورقة ٢٤ : ب .

(٢) سر صناعة الاعراب ٥٩/١ وفى اللهجات العربية /٥٦ .

(٣) An English Phonetics Course, P. 158

أما أصوات اللين الطويلة فهى ما يسمونه بألف المدّ وياء المدّ وواو المدّ (١) .

ولا فرق بين أصوات اللين القصيرة والطويلة إلا فى الكمية والزمن الذى يستغرقه نطق كل واحد منهما (٢) .

فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها . والفرق بينهما فى الكمية والزمن . وكذلك الكسرة وياء المد متماثلان فى المخرج ووضع اللسان ، كما أن الضمة وواو المد متماثلان فيهما أيضاً .

إذاً فلا فرق بين أن تمال الفتحة أو أن تمال ألف اللين لأن العملية العضلية واحدة .

واللسان مع الفتح يكاد يكون مستوياً فى قاع الفم ، فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذى يسمى بالإمالة .

وأقصى ما يصل إليه اللسان فى صعوده نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسره طويلة كانت أم قصيرة .

وهكذا نرى أن الفرق بين الفتح والإمالة ليس إلا اختلاف فى وضع اللسان مع كل منهما ، حين ينطق بهذين الصوتين . واللسان فى حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه فى حال الفتح .

وحين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة — كإماله الفتحة أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل — فليس هناك إلا نوع واحد من الانسجام بين أصوات اللين .

---

(١) سر صناعة الاعراب ١/١٩ (ومن الجدير بالملاحظة أن ابن جنى كان أول من أشار الى الارتباط بين أصوات اللين القصيرة والطويلة) .

(٢) د. رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية /٣٦٣ .

ولذلك جعل القراء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة سواء أكانت سابقة أم لاحقة .

ولا شك فى أنّ الانتقال من الكسرة إلى الفتحة يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها من بعض بأن تصبح متشابهة لأنّ حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة (٢)

٤ ـ امالة ورش :

القراء مع الإمالة ثلاثة أصناف : صنف تكثر فى قراءته الإمالة مثل حمزة والكسائى . وصنف يكثر فى قراءته الفتح ، وخير مثال لذلك : عبد الله بن كثير مقرئ الحرم المكى ، وصنف توسط بينهما ، وخير مثال لذلك هو « ورش »(٢) .

(أ) **امالة ذوات الياء :** كان « ورش » يقرأ كل ما كان من ذوات الياء فى الأسماء والأفعال فى رؤوس الآى وفى غيرها بين اللفظين ، نحو : « الهدى والعمى والكُسَالَىَ وأسارى والنصارى ويرى ونرى ويوارى » وشبهه(٣) .

(ب) **امالة موسى وعيسى ويحيى :** وقرأ ورش بين اللفظين كل ما جاء من لفظ موسى وعيسى ويحيى ، سواء أكان قبله حرف نداء أو حرف جر أو مجرداً ، نحو : يا موسى ولموسى وبموسى وموسى ويا عيسى وبعيسى ويا يحيى ويحيى ، حيث وقعت(٤) .

---

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية /٥٧ ، ٥٨ .

(٢) تنظر التفصيلات فى عبد المنعم بن غلبون : الاستكمال فى الفتح والامالة والدانى : الموضح فى الفتح والامالة . وابن القاصح : قرة العين فى الفتح والامالة وبين اللفظين .

(٣) المفردات السبع /١٧ ـ ١٨ وكتاب السبعة /١٤٧ .

(٤) التذكرة فى القراءات /١١٧ وقرة العين ورقة ٥ : ب .

(جـ) امالة الفعل ((أحيا)) : قرأ ورش « فأحيا كم » و « فأحيا به » و « ثم أحيا كم » بالمائدة . و « وأحياهم » بالنحل والعنكبوت والجاثية . و « فأحيا به الأرض » بالحج و « هو الذى أحيـا كم » . بالفتح وبين اللفظين وقرأها الـكسائى بالإماله المحضة ، والباقون بالفتح [1] .

(د) امالة الفعل يرى : وأمال ورش كل فعل جاء على يرى أو نرى. أو ترى إمالة متوسطة فى جميع القرآن . وهى ثلاثون موضعاً [2] .

(هـ) امالة حركة الراء من ((النصارى)) : وأمال «ورش» حركة الراء من النصارى ، ونصارى حيث وقعا ، إمالة متوسطة . وأمالها كل من « حمزة والـكسائى وأبى عمرو بن العلاء » إمالة كاملة . وفتحها الباقون من القراء السبعة [3] .

(و) موقفه مما كان على ((فعلى)) : وقرأ ورش: قربى والقربى ودنيا وأنثى والأنثى ، وكالأنثى وبالأنثى والوسطى والوثقى والحسنى والأولى ، وأولاهما وأولاهم والقصوى والسفلى والعليا وطوبى والمثلى ، وزلفى والزلفى ، بالإماله المتوسطة وبالفتح أيضاً [4] .

(ز) امالة (بلى) : وقرأ « بلى » بالإمالة المتوسطة حيث وقعت . وأمالها « حمزة والـكسائى » إمالة تامة . وفتحها الباقون من السبعة [5] .

(ح) موقفه من (متى و أنى) : قرأ « ورش» : « متى وأنى » بالإمالة المتوسطة والفتح ، حيث وقعا فى جميع القرآن [6] .

---

(١) قرة العين ورقة ٥ : أ م
(٢) قرة العين ورقة ٥ : ب .
(٣) قرة العين ورقة ٦ : أ م
(٤) قرة العين ورقة ٦ : أ .
(٥) قرة العين ورقة ٥ : ب .
(٦) قرة العين ورقة ٧ : أ .

ويلاحظ أنه يميل بعض الحروف والأدوات مثل « بلى » ومتى وأنى فيقترب بذلك من مذهب « حمزة » المعروف بكثرة إمالته مثل هـــذه الأدوات [١].

وبهذه الملاحظة ينتهى حديثنا عن منهج ورش فى الإمالة . . وبنهايته يتم الحديث حول الخصائص اللغوية لمدرسته .

وقد قامت دراسات لغوية ونحوية متعددة بعضها تناول الخصائص اللغوية لتلك المدرسة . وبعضها تناول ظاهرة من ظواهر قراءة ورش . وقام بعضها يقارن بين قراءة « نافع » أصل تلك المدرسة وقراءة غيره من القراء السبعة فى حين تناول قسم من تلك الدراسات جميع الظواهر اللغوية والنحوية فى القراءات المتواترة (السبع والثمان والعشر) .

ولكن الملاحظ أن جل تلك الدراسات قامت على أيدى رجال مدرسة ورش المصرية . ولم يقم غيرهم من قراء مصر إلا بقسم صغير نسبياً .

وتمثل كل تلك الدراسات المرحلة الأخيرة من مراحل تطور مدرسة القراء فى مصر . وهى :

المبحث الرابع
(مرحلة ظهور الدراسات اللغوية والنحوية)

تكاملت خصائص المدرسة المصرية واتضحت معالمها . وبرز أعلامها القراء الكبار . فظهرت على أيديهم مجموعة كريمة من الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالقراءات .

وتعد تلك الدراسات ضخمة إذا ما قيست بالدراسات اللغوية والنحوية التى ظهرت بمصر لدى غير القراء فى الفترة الزمنية نفسها .

---

(١) قرة العين ورقة ٧ ; أ .

ويمكن تصنيف تلك الدراسات إلى الأنماط الآتية :

١ - دراسات حول قراءة (نافع) :

فقد قام قسم من هذه الدراسات حول أصل المدرسة الأول : الإمام « نافع بن أبى نعيم » ، أو حول المقارنة بينه وبين غيره من القراء . وتلك الدراسات هى :

(أ) « كتاب الاختلاف بين نافع وحمزة » .

لأبى الأزهر[١] عبد الصمد بن عبد الرحمن (ت ٢٣١ هـ) .

(ب) « كتاب قراءة نافع » .

لأحمد بن صالح[٢] المصرى (ت ٢٤٨ هـ) .

(ج) « كتاب التهذيب لاختلاف قراءة نافع » .

لأبى الطيب[٣] عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ)

٢ - دراسات حول قراءة ((ورش)) :

أما النمط الآخر فقد قام حول قراءة « ورش المصرى » إمام المدرسة المصرية فى القراءات .

وسارت الدراسات حول قراءته فى اتجاهين : الأول يدور حول الظواهر اللغوية التى تميزت بها قراءته . وأهم تلك الدراسات :

(أ) « كتاب الراءات واللامات »

لزهير بن محمد بن أحمد المعروف « بشعرانة » الذى راعى فيه منهج ورش فى الراءات واللامات[٤] .

---

(١) طبقات القراء ٢/ ٢٧٥ .
(٢) طبقات القراء ١/ ٢٢٥ .
(٣) فهرسة ابن خير / ٢٥ .
(٤) طبقات القراء ١/ ٢٩٥ .

والثانى : دار حول رواية ورش عن أستاذه نافع . وأهم تلك الكتب :

(ب) « رواية ورش » .

لأبى بكر محمد بن على[1] بن أحمد الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ) .

ومن الجدير بالذكر أن نافعاً كان يقرىء تلاميذه قراءات متعددة[2] وهذا من أهم الأسباب فى اختلاف الروايات عنه .

٣ ـ دراسات حول القراءات المتواترة :

اهتمت المدرسة المصرية اهتماماً كبيراً بالقراءات المتواترة والدراسات التي قام بها رجال تلك المدرسة هى :

(أ) « كتاب اختلاف القراء السبعة » .

لأبى غانم[4] المظفر بن أحمد بن حمدان المصرى (ت ٣٣٣ هـ) .

(ب) « كتاب الإرشاد فى القراءات السبع » .

لأبى الطيب[3] عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ)

(ج) « كتاب التذكرة فى القراءات الثمان » .

لأبى الحسن[5] طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) .

ويلاحظ أن القراءات الشاذة لم تنل من عناية المدرسة المصرية أى اهتمام بالرغم من انتقال تلك القراءات إلى مصر فى وقت مبكر نسبياً . فقد قرأ « على بن قطرب » كتاب أبيه فى القراءات الشاذة بمصر[6] سنة ٢٤٩ هـ . كما أنه من الطبيعى أن عرف القراء المصريون القراءات

---

(١) طبقات القراء / ٧٥ . (٢ ، ٣) طبقات القراء ٢/١ . ٣

(٤) فهرسة ابن خير / ٢٥ . (٥) فهرسة ابن خير / ٢٦ .

(٦) المحتسب ٣٦/١ .

الشاذة قبل تلك الفترة وكيف يجوز ألا يميز أولئك القراء الكبار بين الشاذ والمتواترة وهم الأئمة المقتدى بهم ؟

وألف مقرىء من غير مدرسة ورش فى القراءات الشاذة فى القرن الرابع الهجرى [١] .

ولكن المدرسة المصرية ظلت متخصصة فى القراءات المتواترة ولم يخلف لنا أحد أعلامها أى كتاب فى القراءات الشاذة .

وللأثر الكبير الذى أحدثته المدرسة المصرية فى اتجاهات الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالقراءات فى الأندلس والمغرب ، فإن تلك الدراسات لم تهتم بالقراءات الشاذة ولذلك لم يؤلف مقرىء منها فى الشاذ . بل اقتصرا على القراءات المتواترة .

٤ ـ دراسات لغوية متخصصة :

واهتم أعلام المدرسة المصرية بموضوعات معينة تتصل بلغة القراءات أو تتناول أصلا من أصولها . وتلك الدراسات هى :

(أ) « كتاب اللامات » .

لداود بن [٢] أبى طيبة (ت ٢٢٣ هـ) .

(ب) « كتاب الحروف » .

لسليمان [٣] بن داود بن حماد (ت ٢٥٣ هـ) .

---

(١) طبقات القراء ٢/١٨٤ .
(٢) ابن النديم : الفهرست/٣٥ .
(٣) طبقات القراء ٢/١٣٥ .

(ج) « كتاب فى الإمالة »[١] .

لأبى بكر محمد بن على بن أحمد الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ) .

(د) « كتاب الاستكمال فى الفتح والإمالة » .

لعبد المنعم[٢] بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ) .

(هـ) « كتاب الوقف على الهمز » .

لطاهر[٣] بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) .

٥ ـ دراسات القراء الآخرين :

ولم يقتصر نشاط الدراسات على أعلام المدرسة المصرية بل تعداها إلى قراء مصر الآخرين ، وإن كان نشاط المدرسة المصرية فاق غيرها بأشواط بعيدة .

وأهم الدراسات عند القراء من غير مدرسة ورش ، هى :

(أ) « كتاب تعليل قراءة أبى عمرو بن العلاء » .

لأبى القاسم عبيد الله بن إبراهيم بن مهدى ، نزيل مصر . كان مختصاً بقراءة أبى عمرو بن العلاء ولذلك عرف[٤] « وقد وصف كتابه بأنه حسن معلل »[٥] .

وقد سكن مصر وأقرأ بها ولذلك نسب إليها فقيل « المصرى »[٦]

وعاصر النحاس فترة من الزمان وسمع من « ابن جميل » أستاذه كتاب المعانى للفراء رواية محمد بن الجهم السمرى عنه[٧] .

(١) معجم الأدباء ١٩/١٧٠ . (٢) فهرسة ابن خير /٢٧ .
(٣) النشر ١/٤٢٨ .
(٤) الأنساب ٣٩٩ وطبقات القراء ١/٤٨٤ .
(٥ ، ٦) طبقات القراء ١/٤٨٤ و ٢/١٨٤ .

قرأ عليه أحمد بن محمد بن إسماعيل والعباس بن أحمد وتوفى بمصر سنة ٣٠٧ هـ[١].

(ب) « كتاب المحبر فى القراءات »[٢].

(ج) « كتاب المفيد فى القراءات الشاذة »[٣].

(د) « كتاب نقط المصاحف »[٤].

وهذه الثلاثة الأخيرة من تأليف أبى بكر محمد بن عبد الله المعروف « بابن أشتة » (ت ٣٦٠ هـ).

وهو أحد تلاميذ أبى بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ).

وأشهر تلاميذه فى مصر : عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٨٩ هـ) وخلف ابن إبراهيم بن خاقان (ت ٤٠٢ هـ).

وقد وصف « الدانى » ابن أشتة بأنه (ثقة ، عالم بالعربية ، بصير بالمعانى ، حسن التصنيف)[٥] ولذلك اعتمد على كتابه « النقط » فى كتاب « المحكم »[٦].

(هـ) « كتاب المنشأ فى القراءات الثمان ».

لأبى الفتح فارس بن أحمد بن موسى بن عمران (٣٣٣ — ٤٠١ هـ)، أستاذ فى القراءات[٧] وقد نال ثقة جمهور القراء ووصف بالضبط وإذا كان الإمام الكبير « الدانى » قد قرأ عليه ووصفه بقوله : (لم ألق مثله فى حفظه وضبطه . كان حافظاً ، ضابطاً ، حسن التأدية فهماً بعلم صناعته واتساع روايته مع ظهور نسكه وفضله وصدق لهجته)[٨] « فإن ذلك

(١ ـ ٣) طبقات القراء ١/٤٨٤ و ٢/١٨٤ .

(٤) المحكم فى نقط المصاحف /٩ . (٥) طبقات القراء ٢/١٨٤ .

(٦) المحكم فى نقط المصاحف /٢١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٧) حسن المحاضرة ١/٤٩٢ .

(٨) جامع البيان فى القراءات السبع ، ورقة ١٤ ب وطبقات القراء ٢/٦ .

لأعظم شاهد على القدم الراسخة التى يتمتع بها هذا العالم الجليل فى ميدان من أدق ميادين العربية وأعظمها سمة ، ألا وهو علم القراءات .

وهذا ما يفسر بوضوح كثرة ما أخذه الدانى عنه(١) ومدى عظم ثقته به . وهو الإمام الموثوق بنقله فى الوقف والابتداء ونقط المصاحف ، وسائر ميادين القراءات(٢) .

٦ – ماذا بقى من تلك الدراسات ؟

لم يبق من كل تلك الدراسات سوى « كتاب الاستكمال » لعبدالمنعم ابن غلبون ، وكتاب التذكرة لابنه « طاهر بن عبد المنعم » وشذارت من كتاب « الوقف على الهمز » لطاهر بن عبد المنعم — أيضاً .

ولكن أى كتاب من كتب « القراءات » السبع أو غيرها ، لابد أن يتضمن قضايا نحوية كثيرة بالإضافة إلى القضايا اللغوية التى تحدثنا عنها فى هذا الفصل .

وأهم القضايا النحوية التى نشير إليها هى :

١ – الاختلاف فى اللفظ والمعنى . مثل قراءة « مالك يوم الدين » أو ملك يوم الدين ، (سورة الفاتحة آية ٤) .

٢ – الاختلاف فى الإفراد والجمع ، نحو قراءة « الرياح » « والريح » فى (سورة البقرة آية ١٦٤) ، وفى جميع القرآن .

٣ – الاختلاف فى الرفع والنصب ، مثل قراءة « حمالة الحطب » (سورة المسد آية ٤) بالرفع والنصب ، فى « حمالة » .

---

(١) الدانى : المحكم فى نقط المصاحف /١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣٥ وغيرها . والموضح فى الفتح والامالة ورقة ٢٩ : أ ، ب وجامع البيان ورقة ١٣ : ب ، ١٤ : أ ، ٢٤ : ب .

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١١٢١/٣ (وقال : القراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله فى القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء) .

٤ - الاختلاف في النصب والجر مثل قراءة « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » (سورة النساء آية ١) . بجر الأرحام ونصبها .

٥ - الاختلاف في الصرف ومنعه. مثل قراءة « ألا إن ثمودا كفروا ربهم » (سورة هود آية ٦٨) . بصرف ثمود وعدم صرفها .

٦ - الاختلاف في فتح الهمزة وكسرها ، مثل قراءة « إن الدين عند الله الإسلام » (سوره آل عمران آية ١٩) .

٧ - الاختلاف في البناء والإعراب ، مثل قراءة « لا بيع فيه ولا خلة » (سورة البقرة آية ٢٥٤) ، وذلك ببناء كلمتى « بيع وخلة » أو بإعرابها مع التنوين .

٨ - الاختلاف في إسناد الضمير للغائب أو المخاطب . مثل قراءة « ولو يرى الذين ظلموا » (سورة البقرة آية ١٦٥) ، بالياء والتاء في كلمة « يرى » .

٩ - الاختلاف في الاستفهامين يجتمعان ، فاستفهم بهما بعضهم . واكتفى بعضهم بالأول من الثانى ، مثل قراءة : « أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد » (سورة الرعد آية ٥) ، وما كان مثله في جميع القرآن .

إلى غير ذلك من القضايا النحوية التى لا يخلو منها كتاب من كتب القراءات الجامعة لأكثر من قراءة .

وحديثنا التفصيلي سيكون عما بقى من كتب المدرسة المصرية ، وهى :

أولا : كتاب الاستكمال في التفخيم والامالة

وصف الكتاب : اسمه الكامل الثابت في المخطوطة : « كتاب الاستكمال لبيان جميع ما يأتى في كتاب الله عز وجل في مذاهب القراء السبعة في التفخيم[1] والإمالة وما كان بين اللفظين »[2] .

---

(١) التفخيم هو الفتح .   (٢) كتاب الاستكمال ، ورقة ١٥ : ب .

وقد سماه « ابن خير » : « كتاب إكمال الفائدة » مرة و « استكمال الفائدة » مرة أخرى وسماه أيضاً : « كتاب الإمالة فى مذاهب القراء السبعة » . وقال : هو كتاب استكمال الفائدة [١] .

وتوجد منه نسختان مخطوطتان : الأولى نسخة المتحف البريطانى (المرقمة ٣٩٤/٢ : شرقيات) . والأخرى فى مكتبة « جستربيتى » بإيرلندا ، (برقم ٤٧٦٤) [٢] .

وكان اعتمادى على النسخة الأولى ، بعد تصويرها .

مؤلفه : أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد [٣] الله بن غلبون (ت٣٨٩هـ) ولد بحلب سنة ٣٠٩هـ ، ولما شب قرأ على مجموعة من أئمة القراء فى مدينته ، وفى دمشق وبغداد وغيرها [٤] . ثم رحل إلى مصر فاستقر وبها عرف . وصار إماماً فى القراءات لا سيما قراءة « ورش » . وسارت شهرته فى الآفاق حتى رحل إليه التلاميذ من بغداد والأندلس واليمن . وأشهر من قرأ عليه « مكى بن أبى طالب » وابنه « طاهر » [٥] .

وقد وصفه الإمام الدانى — وكان معاصراً له — بأوصاف دلت على مقدار الرجل ، وعلمه الغزير ، وضبطه فقال : « كان حافظاً للقراءة ضابطاً ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف » [٦] .

ومع شهرة الرجل فقد وهم فيه « بروكلمان » فخلط بينه وبين ابنه طاهر ، فجعلهما واحداً [٧] .

---

(١) فهرسة ابن خير /٢٧ .

(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ١٦٧/١ (الترجمة العربية) .

(٣) ورد هذا الاسم فى المخطوطة : عبد الله . والصحيح عبيد الله . وقد نقله الأستاذ فؤاد سزكين ، كما ورد فى المخطوطة .

(٤ ـ ٦) معرفة القراء الكبار /٢٨٥ وطبقات القراء ٤٧٠/١ .

(٧) GAL S, I: 330 No. 2 : E. (وقد نبه الى وهم « بروكلمان » تبلى الأستاذ فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى ١٦٧/١) .

واختلط الأمر على « الدكتور عبد الفتاح شلبي » فنسب كتاب الإمالة إلى ابنه « طاهر بن عبد المنعم »(١).

سبب تأليفه :

وسبب تأليف الكتاب يرجع إلى أن المؤلف وجد جماعة من طلاب القراءات يضطربون فى معرفة التفخيم والإمالة ، فيفخمون ما هو ممال ، ويميلون ما هو مفخم لعدم وجود أصل ثابت يرجعون إليه . وفى ذلك يقول : « اعلم أيها الناظر فى كتابى هذا - نفعنا الله وإياك - أنى نظرت إلى الطالبين القراءات والمتبعين الروايات والمواظبين على التلاوات ، فرأيتهم يختلفون فى باب التفخيم والإمالة وذلك فى الأكثر منهم إلا من عمل على الأصول ، ونسق على ما فى الفروع من ذلك . واختلاف الطائفة الأولى الكثير منهم من يأتى إلى الإمالة الفاشية ، إذ لم يكن عنده فيها أصل ، فيفخم ، ومنهم من يأتى إلى المفخم الذى لا خلاف فى تفخيمه فيميله لقلة علمه الأصل فى ذلك ومنهم من يشك فلا يدرى لقلة علمه هل الفعل والاسم مفخم أو ممال . فقويت نيتى فى تأليف كتاب مفرد يحتاج إليه المبتدى المتعلم والعالم المتكلم ، ليكون عوناً للمتعلم ، واستظهاراً للعالم المتكلم ، وسميته كتاب الاستكمال(٢).

منهجه

١ - أصول وفروع

الأول : ذكر فيه الفتح والإمالة على أبواب رتبها ترتيباً يتضمن الأصول . فذكر باب أصول القراء فى الأفعال التى من ذوات الواو(٣)

---

(١) أبو على الفارسى /٣٩٢ .
(٢) كتاب الاستكمال ورقة ١٦ : أ - ب
(٣) كتاب الاستكمال ورقة ١٩ : ب .

ثم باب ماجاء فى كتـاب الله عز وجل من قوله : « وجاء » ، وهو (٢٢٢) موضعاً[١] .

ثم باب « حاق »[٢] . ثم ، باب ما جاء فى كتاب الله عز وجل من الفتح والإمالة فى الأفعال الثلاثية من غير اعتلال فيها وذلك كل ما فتحت فاؤه . وعينه[٣] . ثم باب ما جاء على وزن « يفعل وتفعل ونفعل » بالياء والتاء والنون وهن مفتوحات مع إسكان الفاء وفتح العين مع التخفيف[٤] .

ويستغرق هذا القسم (٣٨ ورقة)[٥] .

والقسم الآخر : ذكر فيه الحروف الممالة والمفتوحة مرتبة حسب السور . فيذكر ما جاء من الفتح والإمالة فى سورة البقرة ثم آل عمران ، ثم النساء ، ثم المائدة . . وهكذا ، إلى آخر القرآن الكريم .

ويستغرق هذا القسم (٣٦ ورقة)[٦] .

٢ ـ عدم التكرار :

ويلاحظ أن المؤلف لا يكرر أصلا ولا فرعاً ، فإذا ذكر واحداً منها ثم جاء بعد ذلك ما يماثله فى موضع آخر ، أشار إلى موضعه الأول[٧] .

٣ ـ التعليـــل :

ومن الخصائص المنهجية لكتاب الاستكمال أن المؤلف يتناول قضايا وظواهر كثيرة بالتعليل اللغوى .

فعندما ما تحدث عن إمالة ثمانية أصناف من الأفعال هى : جاء .

---

(١) كتاب الاستكمال ورقة ٢٠ : ب . (٢) كتاب الاستكمال ورقة ٢٣ : أ
(٣) كتاب الاستكمال ورقة ٢٥ : أ . (٤) كتاب الاستكمال ورقة ٢٧ : أ .
(٥) كتاب الاستكمال ورقة ١٦ ــ ٥٤ .
(٦) كتاب الاستكمال ورقة ٥٤ : ب / ٩٠ : أ .
(٧) كتاب الاستكمال ورقة : ٥٢ : أ ، ٥٦ : أ ، ٥٧ : أ ... الخ .

وزاد . وزاغ . وخاف . وضاق . وحاق بهم . وطاب . وبل ران ، قال : فيها علتان إحداهما أنك إذا أخبرت عن نفسك بفعل ماض كسرت فاء الفعل وذلك قولك : جئت وزدت وزغت . . . فتاء الفعل تجدها مكسورة. والعلة الأخرى أن الألف منقلبة عن ياء فلذلك أميلت فاء الفعل»[١] .

وعلل إمالة القراء نحو قوله تعالى : كسالى ويتامى وأيامى ، بأنها من أجل الألف التي قد رسمت فى السواد ياء وهى زائدة . . « فلما أمال القراء الألف التي بعدها لام الفعل أمالوا لام الفعل فاتبعوا الإمالة الإمالة فإمالة لام الفعل من أجل الزائدة التي بعدها »[٢] .

ويريد المؤلف بإمالة لام الفعل ، « لام الكلمة » وهى تمثل الميم ، واللام من يتامى وكسالى . ويريد بإمالة اللام إمالة حركتها وهى الفتحة ، نحو الكسرة . وهذه الإمالة تابعة لإمالة الألف نحو الياء ، والألف تمثل الحرف السابق للميم واللام وإمالة هذه الألف هى الإمالة الأصلية . أما الإمالة التي بعدها فهى تابعة لها .

٤ ـ احصاء حروف القراءات :

ومن الأمور المهمة التي تميز منهج المؤلف فى هذا الكتاب أنه أحصى الحروف التي ذكرها ، فحصر عدد مرات ورود كل حرف فى القرآن كله . وعين مواضعه من السور .

فالفعل (حاق) ورد فى القرآن فى تسعة مواضع[٣] والفعل (خاف) ورد فى ثمانية مواضع[٤] . والفعل (خاب) ورد فى أربعة مواضع[٥] . أما الفعل (رأى) فجميع ما فى كتاب الله منه[٦] ستة عشر فعلا .

---

(١) كتاب الاستكمال ورقة ١٨ : ب . (٢) كتاب الاستكمال ورقة ١٦ : ب .
(٣) الاستكمال ورقة ٢٣ : أ . (٤) الاستكمال ورقة ٢٣ : أ .
(٥) الاستكمال ورقة ٢٣ : ب . (٦) الاستكمال ورقة ٢٦ : ب .

أما باب ما جاء على وزن « يُفْعَلُ و تُفْعَل بالياء والتاء مع ضمهن وإسكان الفاء وفتح العين على ما لم يُسَمّ فاعله » ، فقد ورد في ثلاثة وتسعين موضعاً (١) .

وكذلك يفعل بكل الحروف التي تحدث عنها .

وهذا عمل علمي دقيق . ويعطي قيمة كبيرة للكاتب ويصور مقدار ضبط هذا العالم الجليل ، وبهذا ندرك جانباً من الصفات التي وصفها به معاصره « الإمام الداني » حيث قال : (كان حافظاً للقراءة ضابطاً ، ذا فضل وحسن تصنيف) (٢) .

٥ — بيان مواقف القــراء :

ويبين المؤلف مواقف القراء السبعـة من كل الحروف التي يذكرها فتحاً وإمالة .

ففي باب ما جاء على وزن « افتعل » ، وذلك بفتح العين وبالتخفيف » مثل : استوى ، وابتلى ، واصطفى ، وافترى ، واعتدى « بيّن أنّ حمزة والكسائي أمالا هذا الباب كله . وأنّ أبا عمرو بن العلاء قرأ كل ما كان فيه راء بعدها ياء بالإمالة . وما كان غير ذلك بالفتح . وقرأ ورش كل ما كان فيه راء بعدها ياء بين اللفظين ، وما كان غير ذلك بالفتح . وقرأ الباقون بالفتح (٣) .

وهذا منهجه مع كل الحروف في جميع الكتاب .

---

(١) الاستكمال ورقة ٣٩ : أ ٤٤ .
(٢) طبقات القراء ١/٤٧١ .
(٣) الاستكمال ورقة ٣٣ أ — ب .

٦ ـ بيان الأصول والضوابط :

لا يكف الإمام عبد المنعم بن غلبون عن إبداء الملاحظات التى تصور الضوابط العامة والأصول فى باب الفتح والإمالة .

ومن الأمثلة على ذلك قوله : (اعلم أنّ الإمالة فى الأسماء والأفعال تكون موجودة ما لم يأت بعد الممال ساكن ، ولا سبيل إلى الإمالة إليه لأحد من القراء)[١] .

ومنها قوله : (لا قياس فى القرآن لا فى فتح ولا إمالة)[٢] .

أهميـــة كتاب الاستكمال :

١ — أنه أول كتاب وصل إلينا فى الإمالة ... والراجح أنه لم يؤلف قبله كتاب فى موضوعه .

أما كتاب الإمالة الذى نسبه « د . عبد الفتاح شلبى » « لأبى عبيد القاسم بن سلام » (ت ٢٢٤ هـ) ، معتمداً على عبارة وردت عند « الدانى » فى كتابه : « الموضح فى الفتح والإمالة » ، فإنى لا أرى فى تلك العبارة ما استنتجه الدكتور شلبى[٣] . لأن عبارة الدانى تقول : (هذا ما رواه أبو عبيد فى كتابه عن معمر بن المثنى عن العرب كما حدثنا ابن خاقان قال حدثنا أحمد قال حدثنا على قال حدثنا أبو عبيد قال : قال لى أبو عبيدة : أهل الحجاز يُفَخِّمُونَ الكلام كله إلا حرفاً واحداً : عشرة فإنهم يجزمونه[٤] .

---

(١) الاستكمال ورقة ٢٠ : آ ـ ب .
(٢) الاستكمال ورقة ٥٤ : أ .
(٣) الامالة فى القراءات واللهجات العربية /٨ .
(٤) يريد بالجزم هنا تسكين « شين » عشرة .

قال : وأهل نجد يتركون التفخيم فى الكلام إلا هذا الحرف فإنهم يقولون: عشرة بالكسر)(١) .

وهى عبارة لا تدل على أن لأبى عبيد كتاباً فى الإمالة . . وليس المقصود بالنص إلا أن أبا عبيد ذكر هذا فى كتابه القراءات وهو كتاب مشهور ومعروف عند كل القراء . ولذلك لم يسمه الدانى .

يضاف إلى ذلك أن حديث « الدانى » فى تلك العبارة لا يقصد به التفخيم الذى يقابل الإمالة ، بل يراد به التثقيل الناتج من توالى الحركات كما اتضح من تمثيله بعشرة .

٢ ـ إن كتاب الاستكمال ذو أهمية كبيرة لأنه يحتوى على إحصائيات دقيقة لمجموعة من حروف القراءات .

ولذلك اعتمد عليه من ألف فى الإمالة ، بعده ، وانتهج نهجه .

وإذا كان « الدانى » وهو إمام هذه الصنعة قد احتذاه وتابعه متابعة تامة فى هذا النهج ، فإن غيره أولى (١) .

ونجد ممن تابعه الإمام « ابن القاصح » فى كتابه :« قرة العين فى الفتح والإمالة وبين اللفظين » (٤) وإن لم يذكره واحد منهما .

ثانيا : كتاب التذكرة فى القراءات الثمان

وصف الكتاب :

اسم الكتاب « التذكرة فى القراءات الثمان (٣) » . « وسمته بعض

(١) الموضح فى الفتح والإمالة ورقة ٢٥ ب (نسخة المكتبة الأزهرية المرقمة ١٠٣ قراءات) .

(٢) الموضح فى الفتح والإمالة ورقة ٥٤ وما بعدها .

(٣) قرة العين ، ورقة ٦ وما بعدها .

(٤) طبقات القراء ١/ ٣٣٢ .

المصادر اختصاراً بكتاب التذكرة فى القراءات [١] . أو التذكرة [٢]

ويتناول قراءة ثمانية قراء هم حسب ترتيب المؤلف :

١ — نافع بن أبى نُعَيم ، مقرىء أهل المدينة .

٢ — عبد الله بن كَثِير ، مقرىء مكة .

٣ — عبد الله بن عامر ، مقرىء الشام .

٤ — عاصم بن أبى النَّجود ، مقرىء الكوفة .

٥ — أبو عمرو بن العلاء ، مقرىء البصرة .

٦ — حمزة بن حبيب الزيات ، مقرىء الكوفة ،

٧ — علىّ بن حمزة الكسائى ، مقرىء الكوفة بعد حمزة .

٨ — يعقوب بن إسحاق الحضرمى ، مقرىء البصرة ، بعد أبى عمرو ابن العلاء [٣] .

وتوجد منه ثلاث نسخ كاملة : نسختان فى تركيا ذكرهما «بروكلمان» وتابعه «الدكتور فؤاد سزكين» [٤] ، الأولى بمكتبة وهبي باسطنبول (تحت رقم ١٧) والأخرى بمكتبة عاطف باسطنبول أيضاً (تحت رقم ٤٩) . أما الثالثة فتوجد بالمكتبة العامة بالرباط (تحت رقم ٢٨٢ ق) ، مكتوبة فى القرن السابع الهجرى بخط النسخ ومحركة فى أكثر المواضع ، وتقع فى ٣٨٢ صفحة . وفى كل صفحة ١٧ سطراً وفى كل سطر ١١ — ١٢ كلمة .

وكان اعتمادى على النسخة الثالثة ، بعد تصويرها .

---

(١) فهرسة ابن خير /٢٦ . (٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/ ١٦٥ .
(٣) التذكرة فى القراءات الثمان / ٢ ـ ٣ .
(٤) GAL S, 1 : 380 وتاريخ التراث العربى ١/ ١٦٧ .

وتوجد الرابعة فى المكتبة العامة بالرباط أيضاً ، لكنها ناقصة إذ تحتوى على الجزء الثانى فقط . وهى مكتوبة بخط النسخ ويُرَجَّح أنه من خطوط القرن الخامس الهجرى .

والنسختان الأخيرتان لم يعرفهما « بركلمان » ولا فؤاد سزكين .

مؤلف التذكـــرة :

هو أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون ، المقرىء المتوفى سنة ٣٩٩ هـ[١] ، وهو ابن صاحب « الاستكمال » .

وأخذ الحروف عن عبدالله بن المبارك الحلبى ، مع أبيه ، بالشام . وقرأ بالبصرة على محمد بن يوسف بن نهار[٢] الحرتكى (ت ٣٧٠ هـ) .

وقرأ على أبيه وشاركه فى القراءة على أبى عدى عبد العزيز بن الإمام (ت ٣٨١ هـ) مقرىء مدرسة ورش بمصر[٣] .

وعنه أخذ القراء جماعة أشهرهم الإمام أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) حيث رحل إليه من الأندلس إلى مصر[٤] . وقد وصف أستاذه بقوله : (لم أر فى وقته مثله فى فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته)[٥] .

---

(١) التذكرة فى القراءات الثمان /٢ وطبقات القراء ١/٣٣٩ .
(٢ ـ ٣) طبقات القراء ١/٣٣٩ ، ٢/٢٨٨ (الحرتكى : بكسر الحاء وسكون الراء وبالمثناة من فوق) .
(٤) طبقات القراء ١/٥٠٣ ☆ (٥) طبقات القراء ١/٣٣٩ .

منهــج الكتــاب

أولا : الايجاز فى فنون القراءات ومناقب الائمة :

وقد لخص أسباب الاختصار بدافعين :

(أ) ليكون ذلك تقريباً على المتعلم ، ليسهل حفظه.

(ب) لأنّ من سبقوه من العلماء قد كفَوه بما بسطوه فى كتبهم مؤونة التكثير (١).

ثانيا : ذكر أسانيد القراءات :

وفى المقدمة ذكر إسناد كل رواية من روايات الأئمة الثمانية .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عن قراءة « نافع » : (أمّا قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم فى رواية إسماعيل بن جعفر فأخبرنى بها أبو الحسن على بن محمد بن إسحاق المعدّل قال حدثنا ابن مجاهد عن ابن عبدوس عن أبى عمر الدورى عن إسماعيل بن جعفر عن نافع) (٢).

وبعد ذكر الأسانيد التى استغرقت (١٨) صفحة ، تحدث عن الأصول .

ثالثا : أصــول القراءات :

وفى قسم الأصول ذكر الأبواب الآتية :

١ ـ باب الاستعاذة .

٢ ـ باب البسملة .

٣ ـ باب الإدغام الكبير لأبى عمرو .

---

(١) التذكرة فى القراءات الثمان /٣ .

(٢) التذكرة فى القراءات الثمان /٣ ـ ٤ .

٤ ـ باب اختلافهم فى هاء الكناية عن الواحد المذكر .

٥ ـ باب اختلافهم فى الميم إذا وقع قبلها تاء ، أو كاف أو هاء .

٦ ـ باب اختلافهم فى المد والقصر .

٧ ـ باب اختلافهم فى الهمزتين من كلمة واحدة .

٨ ـ باب اختلافهم فى الهمزتين من كلمتين .

٩ ـ باب اختلافهم فى نقل حركة الهمزة .

١٠ ـ باب الهمزة الساكنة التى تكون فاء من الفعل .

١١ ـ باب مذهب أبى عمرو فى الهمزات السواكن .

١٢ ـ باب مذهب الأعشى فى الهمزة .

١٣ ـ باب مذهب حمزة وهشام فى الوقف على الهمز .

١٤ ـ باب الإدغام .

١٥ ـ باب اختلافهم فى ستة أصول من الإظهار والإدغام .

١٦ ـ باب اختلافهم فى التنوين والنون الساكنة فى الغنة .

١٧ ـ باب اختلافهم فى الفتح والإمالة .

١٨ ـ باب مذهب « ورش » فى الراء المفتوحة .

١٩ ـ باب مذهب « الأعشى » فى الإمالة .

٢٠ ـ باب « إمالة » قتيبة .

٢١ ـ باب إمالة « نُصَير » .

٢٢ ـ باب اختلافهم فى إمالة ما قبل هاء التأنيث فى حال الوقف عليها .

٢٣ ـ باب الوقف على أواخر الكلم .

٢٤ ـ باب بيان مذهب « ورش » فى تفخيم اللام .

٢٥ ـ باب بيان مذهب حمزة فى الوقف على لام المعرفة .

ويستغرق هذا القسم (١٢٣) صفحة [١] .

رابعا : فرش الحروف أو الفروع :

وبعد ذكر الأصول السابقة ، تحدث عن الفروع وهى التى تسمى ـ فى كتب القراءات ـ بفرش الحروف .

فابتدأ بسورة البقرة وانتهى بسورة الناس [٢] .

أما سورة الفاتحة فقدّمها فى قسم الأصول ، متابعاً فى ذلك «ابن مجاهد» أول من سبع السبعة [٣] .

خامســا : خطوات منهجية أخرى :

وقد اتبع المؤلف خطوات منهجية عامة ، تتصل بالكتاب كلّه . وهذه الخطوات هى :

(١) إذا اتفقت الروايات عن إمام من الأئمة الثمانية على حرف، ذكره وحده . فقال ـ مثلا ـ قرأ « نافع » أو قرأ «ابن كثير» أو قرأ «الكسائى».

(٢) إذا اختلفت الروايات عن إمام من الأئمة الثمانية فى حرف ذكر ذلك الاختلاف مبسوطاً .

(٣) وإذا تفرد راو واحد بقراءة عن إمام ، ذكر تلك الرواية ، ونص على من تفرد بها .

---

(١) التذكرة فى القراءات الثمان /٢١ ـ ٢٤٣ .

(٢) التذكرة فى القراءات الثمان /٣٧٩ .

(٣) كتاب السبعة /١٠٤ والتذكرة /٢٢ .

(٤) وإذا اتفق « ابن كثير وابن عامر » قال : قرأ الاثنان .

(٥) وإذا اتفق « حمزة وعاصم والكسائى » قال : قرأ الكوفيون.

(٦) وإذا اتفق « أبوعمرو والكسائى » قال : قرأ النحويان .

(٧) وإذا اتفق « أبو عمرو ويعقوب » قال : قرأ البصريان .

ومن الأمثلة الموضحة ما جاء فى حديث المؤلف عن سورة « النبأ » ، حيث قال : (قرأ الكوفيون سوى الأعشى[1] ، بتخفيف التاء) وفتحت التاء وشددها الباقون وقرأ الكوفيون سوى أبى بكر[2] «وغساقا» (بتشديد السين وخففها الباقون) وقرأ « حمزة وروح[3] ، لبثين فيها » وقرأ الباقون « لابثين بالألف » . وقرأ الكسائى : « ولا كذابا » بتخفيف الذال . وقرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم سوى المفضل[4] : « رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن » بجر « رب والرحمن » جميعاً . وقرأ حمزة والكسائى بجر الأول ورفع الثانى . (وقرأ الباقون برفعهما) [5].

سادسا : الاهتمام بالقضـــايا النحوية :

ويهتم مؤلف « التذكرة » بالقضايا النحوية المتصلة بالقراءات اهتماماً كبيراً . ويتضح ذلك فى ثلاثة أمور هى :

---

(١) الأعشى : أبو حفص عمر بن خالد . روى القراءة عن عاصم بن أبى النجود (طبقات القراءة ١/ ٦٠٠) .

(٢) أبو بكر : شعبة بن عياش « الامام المعلم » ، روى القراءة عن عاصم ، (ت ١٩٣ هـ) (طبقات القراء ١/ ٣٢٧) .

(٣) روح : روح بن عبد المؤمن ، من جلة أصحاب يعقوب الحضرمى ، (ت ٢٣٥ هـ) (طبقات القراء ١/ ٢٨٥) .

(٤) هو المفضل الضبى روى القراءة عن عاصم (ت ١٦٨ هـ) (طبقات القراء ٢/ ٣٠٧) .

(٤) هو المفضل الضبى روى القراءة عن عاصم ت ١٦٨ هـ (طبقات القراء

(٥) التذكرة فى القراءات الثمان / ٣٦٨

٤ ـ اهتمامه بالتعليل النحوي :

فعندما تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة :

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير . . . ﴾(١) ، قال : « قرأ نافع وابن عامر والكسائي : ﴿ ولباسَ التقوى ﴾ بالنصب . ورفعه الباقون . وعلل هذين الموقفين قائلا : من نصب لم يبتدىء به لأنه متعلق بقوله : « لباساً يواري » بالعطف عليه ، ولكن يقف على قوله : « ذلك خير » . ومن رفعه ابتدأ به لأنه منقطع مما قبله وبذلك أنه مرتفع بالابتداء . وقوله : « وذلك » نعت له . وخبر الابتداء قوله « خير » ، والتقدير : ولباس التقوى المشار إليه خير لمن أخذ به من الكسوة والأثاث »(٢) .

وحين تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾(٣) ، قال : « قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب : « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » برفع الراء والباء ، وجزمهما الباقون . ثم علل ذلك بقوله : « فمن جزم لم يبتدىء به لأنه حمل الكلام على قوله : « يحاسبكم » ولم يقطعه منه ، فهو متصل به . وأما من رفع فإنه يجوز أن يبتدى به لأنه قد قطعه مما قبله وجعله جملة معطوفة على جملة فهو استئناف وإخبار من الله تعالى بذلك »(٤) .

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٦ .

(٢) التذكرة في القراءات الثمان /٢٠٨ (وفسر لباس التقوى بالحياء) .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٤ .

(٤) التذكرة /١٦٦ ـ ١٦٧ وكذلك /١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٦ .

٢ ـ اهتمامه بالقطع والاستئناف :

واهتمام صاحب « التذكرة » بالقطع والاستئناف (الوقف والابتداء)، ملفت للنظر بحيث نجده فى أكثر السور ، لا سيما السبع الطوال . كما أن المؤلف أعطى هذا الموضوع من الاهتمام أكثر مما أعطى لغيره .

ففى توجيه مواقف القراء من الآية الكريمة ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير ﴾[١] . إذ قرأ ابن عامر وحفص « ويكفر عنكم » بالياء . وقرأ الباقون بالنون ، وجزم الراء نافع وحمزة والكسائى ورفعها الباقون قال : (من جزم لم يبتدىء بقوله : « يكفر » لأنه معطوف على موضع الفاء من قوله : « فهو خير لكم » فهو متعلق به ، أما من رفع فله تقديران أحدهما : أن يجعل الواو فى قوله « ويكفر » واو عطف الاشتراك ، فعلى هذا لا يبتدىء به لأنه متعلق بما قبله من المبتدأ والخبر فى قوله : « فهو خير لكم » عطفاً على تقدير : (ونحن نكفر عنكم) والآخر : ألا يجعل الواو عطفاً[٢] للاشتراك ، بل يجعلها لعطف جملة على جملة ، فعلى هذا يجوز أن يبتدىء به ، لأنه مستأنف منقطع مما قبله)[٣] .

وعندما تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة : ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾[٤] ، قال : (قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧١ .

(٢) فى الاصل : « أن يجعلوا الواو عطفا .. » ، وهو خطأ . والصحيح ما أثبتناه .

(٣) التذكرة فى القراءات الثمان / ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة آية ١١٩ (أول الآية : انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل ..) .

وإسكان اللام ، وقرأ الباقون بضمهما) [١] .

ثم وجه هاتين القراءتين قائلا : (من جزم جاز له أن يبتدىء به لأنه لاستئناف ، ولذلك كان بالواو دون الفاء ، وأما من رفعه فله تقديران : أحدهما : أن يكون حالا فيكون بمنزلة ما عطف عليه من قوله « بشيراً ونذيراً » ، أى : غير مسئول عن أصحاب الجحيم ، والآخر : أن يكون منقطعاً مما قبله ، فعلى هذا يجوز الابتداء به لأنه استئناف واخبار من الله تعالى عن نفى أن يسأل محمــــد عن أصحاب الجحيم ، المعنى وليس تواخذ بهم) [٢] .

٣ – التفاته الى المشكلات النحوية :

ولعل من أوضح الأمثلة على هذا الاهتمام ، التفاته إلى مسألة (العطف بالاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر) وذلك عند توجيه قراءة (حمزة) بجر الأرحام فى الآية الكريمة : ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ﴾ [٣] ، حيث قال : (من جرها على العطف إلى الهاء فى قوله : « به » ، لم يبتدى بها لتعلقها بهاء الضمير ودخولها معها فى عمل الباء الجارة) [٤] . كما أجاز أن يكون الجر بالقسم [٥] والقراءة الأولى أشهر .

والقراءة الأولى متواترة . وقد قرأ بها أئمة آخرون غير حمزة وهم : إبراهيم النخعى (ت ٩٦ هـ) ، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٧ هـ) وسليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٨ هـ) [٦] .

---

(١) التذكرة فى القراءات الثمان /١٥١ .
(٢) التذكرة فى القراءات الثمان /١٥١
(٣) سورة النساء آية ١ .
(٤ – ٥) التذكرة /١٨١ .
(٦) النحاس : أعراب القرآن ، لوحة ٤٤ : أ .

ولكن النحاة رفضوا هذه القراءة .....

فالفراء حين تحدث عن قراءة جر الأرحام ، قال : (وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض وقد كُنِيَ عنه ، إنما يجوز ذلك في الشعر لضيقه) (١) .

وقد أطنب النحاس في الحديث عن هذه المسألة في « إعرابه » ، وبين إجماع البصريين والكوفيين على أن هذه القراءة خطأ ، للسبب الذي ذكره الفراء (٢) .

وما عرف عن « ابن مالك » من جواز كثير من المسائل التي منعها النحاة ، لاعتماده على القراءات ، إلا أنه مع العطف على الضمير والمجرور اختار إعادة الجار دون لزوم (٣) .

والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور بالاسم الظاهر دون إعادة حرف الجر ، استناداً إلى هذه الآية «فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» والآية الكريمة : «يسألونكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه ، قُل : قتالٌ فيه كبير ، وصدٌ عن سبيل الله ، وكفر به والمسجدِ الحرام» (٤) ، على رأي من ذهب إلى أن « المسجد الحرام » معطوف على الهاء من «به» (٥) ولأنه جاء في الشعر كثيراً (٦) ، ولم يأت في بيت واحد حتى يعد شاذاً .

---

(١) الفراء : معاني القرآن ٢٥٢/١ .

(٢) اعراب القرآن لوحة ٤٤ : أ .

(٣) ابن مالك : تسهيل الفوائد /١٧٧ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٥) البيان في غريب اعراب القرآن ١٥٣/١ .

(٦) معاني الفراء ٢٥٢/١ واعراب النحاس لوحة ٤٤ : أ ، وشرح الاشموني ١١٨/٢ ، والعيني عليه ١١٧/٢ ، ١١٨ .

أهميـــة التذكرة :

يمكن تلخيص أهمية هذا الكتاب بما يأتى :

١ ـ أنه أم كتاب بقى من مؤلفات مدرسة « ورش » منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

٢ ـ أنه أول كتاب من كتب القراءات الثمان يصل إلينا .

٣ ـ أنه مصدر مهم من مصادر القراءات ، وقد عده خاتمة القراء المحققين الإمام « ابن الجزرى » (ت ٨٣٣ هـ) من مصادر كتابه « النشر »[١] . واحتــذى حذوه الإمام القسطلانى (ت ٩٢٣ هـ) فى كتابه « لطائف الإشارات »[٢] .

ثالثاً : شـــذرات من

كتاب « الوقف على الهمز » لطاهر بن غلبون

فى تاريخ اللغة والنحو المرتبط بالقراءات نجد أن أول من ألف فى الهمز المقرئ الشهير عبد الله[٣] بن أبى إسحاق (ت ١١٧ هـ) ، وقد برع فى معرفة الهمز وفاق فيه أقرانه[٤] .

وبعده بما يقرب من تسعين عاماً ألف محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ، كتاباً فى الهمز[٥] .

وألف معاصره الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) كتابين : واحداً فى الهمزة وآخر فى الهمزتين[٦] .

---

(١) النشر ١/ ٧٣ . (٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/ ١٠٨ ، ١٢٤ .
(٣) الزهر ٢/ ٣٩٨ . (٤) نزهة الألباء / ٨ .
(٥) معجم الأدباء ١٩/ ٥٣ . (٦) فهرسة ابن خير / ٣٧١ .

وإلى أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) ينسب كتابان كتاب باسم الهمزة وهو مطبوع (١)، وآخر باسم تحقيق الهمز (٢).

والمقرىء الوحيد الذى سبق طاهر بن غلبون بتأليف كتاب مفرد فى «الوقف على الهمز» هو الإمام أبو بكر (٣) أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١ هـ).

وألف «ابن جنى» (ت ٣٩٢ هـ)، بعد ذلك كتابه «الألفاظ المهموزة» (٤).

وعالجت كل المعاجم العربية «مشكلة الهمزة» فى مواضع متفرقة ولا شك أن الكتب التى ألفت فى موضوع «الهجاء» تناولت مشكلة الهمزة من حيث الكتابة، وما نقله «ابن مكى الصقلى» فى كتابه «تثقيف اللسان» .. يؤيد هذا.

وكذلك فعلت كتب نقط المصاحف كالمحكم، للدانى، وغيره.

من هذا العرض الموجز يظهر أن معظم هذه الكتب لم تعالج مشكلة الهمزة فى مجال الدراسات القرآنية، إلا كتاب «مذهب حمزة فى الوقف على الهمز» والمحكم، للدانى، وربما عالج «عبد الله بن أبى إسحاق» العلاقة بين القراءة والهمزة، لأنه من القراء الكبار (٥).

---

(١) بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠ م.

(٢) ينظر ما بقى من كتاب «تحقيق الهمز» لابن زيد ضمن مجموع (برقم ١٤٠٠) محفوظ بمكتبة المتحف العراقى. وبقى منه صفحة واحدة ونصها فى «تهذيب اللغة ١٥/٦٨٧» فى باب الهمز وتحقيقه مع نصوص أخرى نقلها الازهرى وهذا يؤكد أن اسم الكتاب تحقيق الهمز لا تخفيفه، كما ورد محرفا فى معجم الادباء ١١/٢١٦ والبغية ١/٥٨٣.

(٣) طبقات القراء ١/٤٩ رقم ٢٠٨.

(٤) معجم الأدباء ١٢/١٠٥.

(٥) ترجمته فى طبقات القراء ١/٤١٠ رقم ١٣٤٤.

كما يظهر أن جُلّ هذه الدراسات قد ضاع ، ولم يبق منها سوى كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري . ونصوص من كتابه تحقيق الهمز ، ونصوص من كتاب الهجاء للدينوري وكتاب المحكم للداني .

أما كتاب .. الوقف على الهمز « لأبي الحسن طاهر بن غلبون » فهو مفقود .

وقد نقل منه « ابن الجزري » في « النشر » في مواضع من الباب الذي خصصه للوقف على الهمز(١) .

وعمل البحث يقوم على أساس جمع هذه النصوص ، ووضعها في سياق موضوعي ، لعلها تعطي فكرة تقريبية عن الكتاب ، وفي المنهج الآتي :

١ — أقسام الهمز

نذكر أقسام الهمز أولا ، ثم نتبعها رأي « طاهر بن غلبون » . لأن آراءه مبنية على أساس هذا التقسيم .

ينقسم الهمز إلى : ساكن ومتحرك .

والساكن ينقسم إلى : متطرف ، وهو ما ينقطع عليه الصوت . وإلى متوسط ، وهو ما لم يكن كذلك : أما الساكن المتطرف فينقسم إلى : لازم لا يتغير . في حاليه ، وعارض يسكن وقفاً ، ويتحرك بالأصالة وصلا .

والساكن اللازم يأتي قبله مفتوح مثل : (اقرأ) ومكسور مثل : (نبيء) (ولم يأت في القرآن قبله مضموم) .

والساكن العارض تأتي قبله الحركات الثلاث

فمثاله وقبله الضم : « كأمثال اللؤلؤ » و « إن امرؤ هلك » .

---

(١) النشر ١/٤٢٨ وما بعدها .

ومثاله وقبله الفتح : « بدأ » و « قال الملأ » .

وأما الساكن المتوسط فينقسم قسمين : متوسط بنفسه ، ومتوسط بغيره .

فالمتوسط بنفسه يكون قبله ضم ، نحو : (مؤمن) و (المؤتفكات) . نحو : (بئر) و (ننبئنا) وفتح ، نحو : (كأس) و (تأكل) .

والمتوسط بغيره قسمان : متوسط بحرف نحو : « فأووا إلى الكهف » ومتوسط بكلمة ، نحو : « قال الملك : ائتونى » .

الهمز المتوسط المتحرك .. الساكن ما قبله :

وهو قسمان : متوسط بنفسه ، ومتوسط بغيره .

فالمتوسط بنفسه لا يخلو ذلك الساكن قبله من أن يكون ألفاً أو ياء زائدة (ولم يقع فى القرآن منه واو زائدة) .

فإن كان ألفاً فتسهيله « بين بين » ، نحو : « شركاونا » و « أوليك » و « خايفين » .

وإن كان ياء زائدة أبدل وأدغم ، نحو : « خطية وخطياتكم » و « هنيا » و « خريا » .

وإن كان الساكن غير ذلك ، فهو إما أن يكون صحيحا أو ياء أو واواً أصليتين ، أو حرف مد أو حرف لين ، وتسهيله بالنقل حينئذ .

فمثال الساكن الصحيح مع الهمزة المضمومة : « مسئولا » و « مذءوما » ومع المكسورة : « الأفئدة » (لاغير) ومع المفتوحة : « القرآن والظمآن وشطأه ومجازون » .

ومثال الياء الأصلية وهى حرف مد : « سيئت » (لاغير) . ومثالها حرف لين : « كهيئة الطير » و « شىء » حيث وقع ، ومثال الواو وهى حرف مد : السوأى لاغير ومثالها حرف لين سوءة أخيه » و « سوآتهما » .

والمتوسط بغيره من المتحرك ، الساكن ما قبله ، لا يخلو ذلك من أن يكون متصلا به رسما أو منفصلا [1].

٢ — آراء طاهر فى الوقف على الهمز

(أ) الهمز المتوسط ، المنفصل رسـما :

مثال ذلك : « مَنْ آمنَ » و « قد أفلح » و « قالَ إنِّى » .

اختلف أهل الآراء فى تسهيل هذا النوع وتحقيقه .

التسهيل : روى كثير من القراء عن حمزة تسهيل هذا النوع بالنقل . وهذا رأى أبى العز القلانسى صاحب « الإرشاد » [2] . وابن شريح صاحب « الكافى فى القراءات السبع » [3] وهو رأى أبى على البغدادى صاحب « الروضة » [4] . وهؤلاء خصصوا هذا النوع وحده من المنفصل بالتسهيل .

التحقيق : والتحقيق هو رأى « طاهر بن غلبون » ، وحجته فى هذا كونه مبتدأ ، أى فى أول الكلمة ، ومذهب العرب جميعاً التحقيق فى الهمزة

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١٠٢/٢ ، والكافى فى القراءات السبع ورقة ٨ : أ وما بعدها ، والنشر ٤٢٨/١ وما بعدها .

(٢) ارشـاد المبتدى وتـذكرة المنتهى ٢٤/ (مخطوط دار الكتب رقم ٥٥ قراءات) .

(٣) الكافى فى القراءات السبع ورقة ٩ : أ ، ب (مخطوط الدار ٦١٤ قراءات) .

(٤) هو الحسن بن ابراهيم البغدادى نزيل مصر (ت ٤٣٨ هـ) . واسم كتابه « الروضة فى القراءات الاحدى عشرة » طبقات القراء ٢٣٠/١ .

المبدوء بها ، حتى عند أهل التخفيف منهم وهو مذهب كثير من القراء الشاميين والمصريين [١].

وما دام أهل الأندلس والمغرب قد تابعوا المصريين فى القراءات لا سيما قراءة ورش ، وما دام طاهر بن غلبون من هذه المدرسة فإن الأندلسيين ، والمغاربة متأثرون برأيه لا محالة ومنهم : مكى بن أبى طالب وأبو عمرو الدانى .

كيف لا ، وقد درس مكى بن أبى طالب على طاهر ، وعلى أبيه عبد المنعم [٢] ودرس أبو عمرو الدانى على طاهر [٣] ولذلك لم يجوز الدانى غير هذا الرأى ورفض ما عداه [٤] وهو الرأى الذى لم تؤيده اللغة ولا يوجد ما يدفعه من نصوصها الفصيحة .

(ب) الهمز المتوسط فى مثل : « ها أنتم ويا أيها » .

يذهب طاهر بن غلبون إلى الوقف بالتحقيق فى هذا القسم وإجرائه مجرى المبتدأ [٥] .

وقد تأثر بهذا الرأى كثير من القراء أمثال « مكى » [٦] و « الدانى » و « الشاطبى » . وصاحب « الكافى » وقال : (التسهيل أحسن إلا فى « يا أيها وها أنتم » وشبهه ذلك لأن « يا » للنداء ، وهى منفصلة من المنادى

---

(١) النشر ١/٤٢٩ ، ٤٣٤ .

(٢) طبقات القراء ٢/٣٠٩ .

(٣) الدانى : جامع البيان فى القراءات السبع ورقة ٩ [illegible] ، ١٥ أ ، وطبقات القراء ١/٥٠٣ .

(٤) [illegible] ٣٥٩/٢ [illegible] (٥) النشر ١/٤٣٤ [illegible]

(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٩٦ .

وكذلك « ها » منفصلة ممـا بعدها لأنها حرف تنبيه)[٦]. أى : أنه اختار التحقيق موافقاً مذهب طاهر بن غلبون .

التحليل الصوتى لهذا الهمز :

من المُسَلّم به أن العرب يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية ، ومن ثم لجأوا إلى إقفال بعض المقاطع[٢] . وهو ما اتخذ أحياناً صورة الإسكان . وأحياناً شكل الإدغام فى الكلمة الواحدة . أو فى الكلمتين .

وقياساً على هذا يبدو أن العرب يكرهون توالى الحركات الكثيرة ، كما كان بعض قبائلهم يكره الحركات الطوال ويعمد من أجل تخفيف طولها إلى همزها ، حين تكون فى مواضع معينة ، وإنما كان توالى الحركات ، الأصوات الانطلاقية ، مضعفاً للنظام المقطعى لأن الحركات صوت انطلاقى يمكن أن ينتهى به المقطع فى الكلام المتصل . فإذا وليها — فى الكلمة نفسها — أصوات انطلاقية أخرى ابتداء من المقطع التالى ، لم تتكون لنا صورة مقطعية لسببين :

الاول :أن الأساس العضوى للتقسيم المقطعى يعتمد على عدد ما يتضمن من دفعات هوائية ، تنتج بتأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ضغطاً يتفاوت من جزء معين من أجزاء الحديث اللغوى إلى جزء آخر ، وبدون هذا التفاوت لا يمكن معرفة بداية المقطع ونهايته .

---

(١) الكافى فى القراءات السبع ورقة ٩ : ب .

(٢) المقطع الصوتى ، حسب التصنيف العلمى الحديث نوعان : المفتوح أو المتحرك والمقفل أو الساكن . والمتحرك هو الذى ينتهى بصوت لين قصير أو طويل أما المقطع الساكن فهو الذى ينتهى بصوت ساكن (الاصوات اللغوية ١٦٠ — ١٦١) .

والآخـــر : أن المقطع مجموعة من الأصوات التى تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة، ومعلوم أن السواكن تمثل القواعد والحركات تمثل القمم، من حيث كانت أقوى الأصوات إسماعاً إذ هى الأصوات التى يَخْرُجُ الهواء عند النطق بها من الفم دون أن تعترضه أعضاء النطق العليا على الإطلاق، أو مع عدم اعتراضها اعتراضاً لا يؤدى إلى حدوث احتكاك مسموع . فتتابع الأصوات الانطلاقية على هذه الصورة لا يشكل صورة المقطع ، وهو بالتالى يضعف من عناصر تركيب الكلام [1] .

وقد حدث إقفال للمقطع المفتوح فى بعض الكلمات ولكن بصورة أخرى . فبعض العرب يهمزون الألف فى مثل « هـذه حبلاء » ويهمزون ألفات أخرى بصورة مطردة فيقولون : « رأيت رجلأ » . فقد اجتلبت الهمزة لمجرد الوقف. وكالذى ذكره صاحب «اللسان» عن أبى زيد الأنصارى أنه سمع رجلا من بنى كلب يقول : « هذه دَأَبَّة وهذه امرأة شَأَبَّة». وعقب أبو زيد على ذلك قائلا : « وذلك أنه ثقل عليه إسكان الحرفين معا »[2]، يريد التقاء الساكنين .

وهذا التعليل الصوتى ينطبق تماماً على « ها أنتم ويا أيها » فكل من هاتين الكلمتين تبدأ بمقطع مفتوح : « ها ، يا » ، فإذا سهلت الهمزة بعد هذا المقطع ، ضعف الصوت ، لأن الهواء يخرج عند النطق بها دون أن تعترضه أعضاء النطق العليا ولأن فيه تتابع الأصوات الانطلاقية ولهذا فإن الوقف عليها بالتحقيق يشكل صورة المقطع : (قاعدتان وقمة : ها أنتم) .

---

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث / ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) اللســـان ١/ ١٠ .

وكأنّ قسماً من القراء لاحظوا مجرد الرسم فلم يعيروا الناحية الصوتية أدنى اهتمام ، وهم الذين قالوا بالتسهيل والتخفيف .

وإنّ رأى طاهر بن غلبون الذى يرى فيه تحقيق هذا النوع من الهمز متفق تماماً مع التحليل الصوتى الحديث .

(ج) الهمزة المضمومة أو المكسورة المتحرك ما قبلها :

ذهب بعض النحاة إلى إبدال الهمزة المضمومة أو المكسورة بعد ضم حرفاً خالصاً ، فتبدل فى نحو : « سنقرئك » و« يستهزئون » ياء . وفى نحو « سئل » ، واواً ونسب هذا الرأى إلى الأخفش : سعيد . قال ابن الجزرى (والذى رأيته أنا فى كتاب المسعانى له أنه لا يجيز ذلك إلا إذا كانت الهمزة لام الفعل ، نحو : « سنقريك واللؤلؤ » . أما إذا كانت عين الفعل نحو : سئل أو من منفصل نحو : « يرفع إبراهيم » فإنه يسهلها « بين بين » مثل سيبويه)[(١)] . ورأى « طاهر » هو التسهيل بين بين[(٢)] .

فما هو مفهوم همزة بين بين عند هؤلاء ؟ وما التحليل الصوتى الحديث لمثل هذه الحالة ؟

مفهوم همزة « بين بين » :

أما مفهوم همزة « بين بين » — عند القدماء — فهو أنها بين الهمزة والألف وبين الحرف الذى منه حركتها .

فإن كانت مفتوحة فهى بين الألف والهمزة . وإن كانت مكسورة فهى بين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فهى بين الهمزة والواو ، إلا أنها

---

(١) النشر ١/٤٤٤ .

(٢) النشر (فى الموضع السابق) ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٠٦ .

ليس لها تمكن الهمزة المحققة . وهى مع ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة ،

هذا هو مفهوم همزة بين بين فى رأى سيبويه وابن جنى[1] ومن تابعهما.

والحقيقة أن هذا المفهوم غير سليم من الناحية العلمية ، ويتضح عدم صحته حين تكييف هذه الحالة تكييفاً صوتياً وفق المنهج الحديث لعلم الأصوات .

أما التكييف الصوتى لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً . كما يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس ثم يقول : (وإذا صح النطق الذى نسمعه من أفواه المعاصرين من القراء فإن هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام ، تاركة وراءها حركة فالذى نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير ، ويسمى عادة حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة ، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتى لين قصيرين)[2] .

والذى يرجح هذا الرأى بشأن نطق همزة « بين بين » أن مثل هذه القراءة لا تكون إلا حين تحرك الهمزة بحركة ما[3] . أما المُشَكَّلة بالسكون فلا تقرأ بين بين ، ومعنى ذلك أن « بين بين » يعنى فى الواقع سقوط الهمزة أساساً واتصال الحركتين اللتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا « المزدوج »[4] بالمعنى الكامل . وفى هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذى تنشأ عنه « أنصاف الحركات » : « الواو والياء » .

---

(١) الكتاب ٢/١٦٣ والخصائص ٢/١٤٤ وسر صناعة الاعراب ١/٥٣ .

(٢) الاصوات اللغوية /٩١ .

(٣) الاصوات اللغوية /٩٢ والقراءات القرآنية /١٠٥ .

(٤) « المزدوج » : يطلق على صوت اللين الذى تتغير خاصيته فى سياق معين ، بحيث يبدأ بصائت معين وينتهى بآخر .
(See : An English Phonetcs Course, . 65)

ومن ثم فإن الهمزة تعد عند المحققين وظيفة صوتية يعمدون إليها وهم الذين يريدون أن يؤكدوا نبرهم المقطع المنبور .

أما المخففون فلم يريدوا هذا التأكيد ، واكتفوا بهذا المزدوج الذى يعنى تتابع حركتين لما من الطـول والتوتر ما يؤدى مهمة النبر ويبرز وجود المقطع المنبور .

(د) أيجوز ابدال الهمزة الزائدة من جنس حركتها من المتوسط ؟

يرى الإمام «طاهر بن غلبون» أن الهمزة فى مثل «خائفين وأولئك وأبناؤكم وأحباؤه » ، تخفف لا غير ، ويجوز إبدالها من جنس حركتها ، لأنه فى رأيه شاذ متروك ، وأنه يخالف القياس ، ولم ترد فيه رواية صحيحة[١] .

وهو فى هـذا يوافق جميع أئمة القراءات وعلماء اللغة المعول وفق آرائهم . إلا أبا بكر بن مهران (ت ٣٨١ هـ) . وقد رد « طاهر » رأيه لأن إبدال الواو والياء محضتين مما لم تجزه العربية ، بل نص عليه العلماء بأنه من اللحن الذى لم يأت فى لغة العرب . وإنما الجائز هو « بين بين » لا غير ، وهو الموافق لاتباع الرسم أيضاً . أما غير ذلك فمنه ما ورد على ضعف ومنه مالم يرد بوجه وكله غير جائز فى القراءة من أجل عدم اجتماع الأركان الثلاثة فيه[٢] .

« فهو من الشاذ المتروك الذى لا يعمل به ولا يعتمد عليه » [٣] .

(هـ) الوقف بالبدل فى الهمز المتطرف :

أما إذا وقفت بالبدل فى الهمز المتطرف بعد الألف ، نحو : « جاء

---

(١) النشر ١/٤٦٢ .

(٢) الاركان الثلاثة التى يجب توفرها فى القراءة الصحيحة هى : أن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية — وأن توافق العربية ولو بوجة — وأن تسند برواية صحيحة ثابتة (النشر ١/٩) .

(٣) النشر ١/٤٤٠ .

والسفهاء ومن ماء » فأما أن تحذف إحداهما للساكنين أو تبقيهما ، لأن الوقف يحتمل التقاء الساكنين . فإن حذفت إحداهما فإما أن تقدر المحذوفة الأولى أو الثانية . فإن قدرتها الأولى فالقصر لا غير .. غير أن الألف تكون مبدلة من همزة ساكنة ، وما كان كذلك فلامد فيه كألف « يأمر ويأتى » . وإن قدرتها الثانية جاز المد والقصر من أجل تغير السبب ، فهو حرف مد قبل همز ، فغير . وإن أبقيتهما مددت مداً طويلاً .

ونص « مكى بن أبى طالب » فى « التبصرة » على حذف أحد الألفين ، وأجاز المد على أن المحذوف الثانى . والقصر على أن المحذوف الأول [1] .

وقطع طاهر بن غلبون بالجمع بينهما حيث تبدل الهمزة ألفاً فى حال الوقف بأية حركة تحركت فى الوصل ، لسكونها وانفتاح ما قبل الألف التى قبلها ، وتمد من أجل الألفين المجتمعين » [2] .

(و) كيفية تسهيل ما جاء من الهمز المتطرف مرسوما فى المصحف على نحو حركته :

وضح « الدانى » فى كتابه « جامع البيان فى القراءات السبع » رأى أستاذه « طاهر » فبين أن الهمزة تسهل من جنس حركة ما قبلها « فتبدل ألفاً ساكنة حملا على سائر نظائره » [3] وإن اختلفت صورتها فيه ، إذ ذلك هو القياس ، فيما جاء من الهمز المتطرف مرسوماً فى المصحف على نحو حركته ، نحو قوله تعالى : « فقال الملأ الذين كفروا » وكذلك « تفتؤا »

---

(١) التبصرة فى القراءات ، لوحة ٣٩ : أ .

(٢) النشر ١/٤٦٦ .

(٣) جامع البيان ورقة ١٠٣ ب .

وما أشبهه مما صورت فيه الهمزة واواً على حركتها أو على مراد اوعمل ..
وكذلك « من نبأ المرسلين » وشبهه مما رسمت فيه ياء على ذلك أيضاً .

ويرى أبو الفتح فارس بن أحمد (ت ٤٠١ هـ)[١] وهو رأى « الدانى » أيضاً ، أن تسهيل الهمزة فى ذلك أن تبدل بالحرف الذى منه حركتها موافقة على رسمها ، فتبدل واواً ساكنة فى مثل قوله تعالى : « الملأ » وتبدل ياء ساكنة فى مثل قوله تعالى : « من نبأ المرسلين » .

ورأى أبو الفتح : فارس هو الراجح ، لأنه هو التسهيل الذى يجرى على سنن العربية[٢] وتأتى صور منه فى كثير من أوجه القراءات السهلة[٣] .

(١) جامع البيان ورقة ١٠٣ : ب (وقال الدانى : ان ابدال الهمزة بالحرف الذى منه حركتها فى الوقف خاصة لغة معروفة حكاها سيبويه وغيره من النحويين) .

(٢) كتاب سيبويه ٢/١٦٤ .

(٣) سراج القارئ المبتدئ /٧٥ .

القسم الثاني

ميدان التفسير

المبحث الأول

مدرسة ابن عباس في مصر

يعد « ابن عباس » (ت ٦٨ هـ) أول مفسر في الإســـلام بالمعنى المتكامل لهذه الكلمة لأنه تناول تفسير القرآن كله ولأنه صاحب منهج واضح الملامح والسمات وقد سبق في هذين الأمرين غيره ...

وقد مكنته الصحبة الدائمة لرسول الله وحفظه القرآن الكريم ومعاصرته لنزوله من معرفة دلالة الآيات معرفة جيدة ، حتى قال تلميذه مجاهد بن جبر (ت ١٠٢ هـ) « عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية وأسأله كيف نزلت وكيف كانت »(١)

وظهرت ملامح هذه الموهبة في الإحاطة بتفسير القرآن ومعرفة أحكامه وأسباب نزوله في فترة مبكرة من حياته . فشهد له بها أقرانه وإخوانه من الصحابة ، حتى قال مقرىء القرآن وحافظه عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس »(٢) .

وشهد له الخليفة الراشد عمر بن الخطاب — وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم — بقوله الخالد : « والله إنك لأصبح فتياننا وجهاً وأحسنهم

---

(١) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ١١٧/٢ .

(٢) ابن عبـــد البر : الاستيعاب ٩٣٣/٣ وصـــفوة الصفوة ٣١٥/١ وابن حجر : الاصابة ٩٢/٤ .

عقلا وأفقههم فى كتاب الله عز وجل »[(١)] ولذلك كان يأذن له مع « شيوخ معركة بدر الفاصلة » ، وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره[(٢)]، فيسأله ويستمع إلى ما يقوله أمامهم ، وكان يفتى طول عهد عمر[(٣)] .

وفى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٣ — ٣٥ هـ) ، دخل « ابن عباس » مصر . ولذلك روى عنه أهلها أحاديث[(٤)] . .

وتأثروا بمنهجه جملة وتفصيلا . . وامتدت مدرسته فى مصر حتى القرن الرابع الهجرى على الأقل ، ولا يوازى امتدادها وتأثيرها فى مصر إلا « مدرسة ورش » غير أن « مدرسة ابن عباس » سبقت مدرسة الأول بنحو قرن وربع القرن من الزمان[(٥)] .

فمن هم تلاميذ « مدرسة ابن عباس » فى مصر ؟

وما هى الخصائص المنهجية لمدرسته ؟

أما تلاميذ مدرسة ابن عباس ، فأعنى بهم كل من روى التفسير وأسنده لابن عباس ، من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجرى

ففى القرن الأول دخل مصر من تلاميذ ابن عباس : مجاهد بن جبر (٢١ — ١٠٢ هـ) ، وعكرمة بن عبد الله (ت ١٠٤ هـ) .

---

(١) صفوة الصفوة ١/٣١٥ .

(٢) ولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفى النبى وهو ابن ثلاث عشرة فتكون سنة فى أول خلافة عمر خمس عشرة سنة وفى نهايتها خمسا وعشرين . (التفاصيل فى صفوة الصفوة ١/٣١٤ والاصابة ٤/٩٤) .

(٣) صفوة الصفوة ١/٣١٤ — ٣١٥ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/١١٥ وحسن المحاضرة ١/٢١٤ .

(٥) أى : الفرق بين سنة ١٥٥ هـ ، وهى السنة التى سافر فيها « ورش » الى المدينة فقرأ على « نافع » وسنة ٣٥ هـ وهى آخر سنة من خلافة عثمان رضى الله عنه .

أما « مجاهد بن جبر » فقد تبتل للتفسير وانقطع له ، وهو القائل : « استفرغ على التفسير[١] » .

وعده الإمام قتادة بن دعامة[٢] السدوسى (ت ١١٧ هـ) ، أعلم من بقى فى التفسير بعد أستاذه ابن عباس[٣] .

ولمجاهد تفسيره الخاص بالإضافة إلى كونه راوية لتفسير أستاذه وقد ميز المفسرون تمييزاً واضحاً بين هذين التفسيرين[٤] .

وفى دار الكتب المصرية نسخة من تفسير « مجاهد » برواية « ابن أبى نجيح »[٥] برقم ١٠٧٥ فى ٩٥ ورقة .

وقد دخل « مجاهد » مصر فروى عنه أهلها[٦] .

أما « عكرمة » (ت ١٠٤ هـ) . فترجع صلته بابن عباس إلى الفترة التى ولى فيها الأخير البصرة[٧] للخليفة الراشدين على بن أبى طالب (٣٥ — ٤٠ هـ) .

وقد وصف « عكرمة » بأنه عالم بالتفسير[٨] وفضله «سعيد بن جبير» التلميذ الثالث لابن عباس - على نفسه ، فقال « عكرمة أعلم منى »[٩] .

---

(١) طبقات القراء ٢/٤٢

(٢) ترجمته فى وفيات الاعيان ٣/٢٤٨ وطبقات القراء ٢/٢٥ وطبقات المفسرين ٢/٤٣ .

(٣) طبقات القراء ٢/٤٢ وطبقات المفسرين ٢/٣٠٧ .

(٤) النحاس : الناسخ والمنسوخ فى القرآن /٧١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، وأبو حيان : البحر المحيط ١/٢١

(٥) عبد الله بن أبى نجيح المكى ، المتوفى ١٣١ هـ . أمام ثقة . (ترجمة فى ميزان الاعتدال ٢/٥١٥ وطبقات المفسرين ١/٢٥٢) .

(٦) تفسير الطبرى ٢٨/٥٨ وصفوة الصفوة ٢/١١٧ .

(٧ - ٨) صفوة الصفوة ٢/٥٨ .

(٩) طبقات المفسرين ١/٣٨١ .

ولما دخل « عكرمة » مصر روى عنه عالمها الكبير « يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٨ هـ) . وهو فقيه مصر ، ومفتيها[1] . وقباث بن رزين المصرى (ت ١٥٦هـ) ، الذى روى عن أستاذه فقال سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : « كل سلطان فى القرآن فهى حجة »[2] .

أما تلميذ ابن عباس الثالث : سعيد بن جبير[3] (المقتول سنة ٩٥ هـ) فإنه لم يأت إلى مصر . ولكن تفسيره وجد طريقه إليها عن طريق العالم المصرى « عطاء بن دينار »[4] . الهذلى (ت ١٢٦ هـ) الذى وثقه الأئمة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، وأبو داود (ت ٢٧٥ هـ) وابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)[5] .

وعطاء الهذلى لم يلق سعيد بن جبير ، لكنه روى تفسيره من صحيفة وجدها فى الديوان . ولذلك توقف منه بعض علماء الحديث موقفاً فيه تحفظ[6] .

وقد روى هذا التفسير — عن عطاء بن دينار الهذلى — العالم المصرى الكبير عبد الله بن لهيعة (٩٧ — ١٧٤ هـ) .

ورواه عن ابن لهيعة[7] المحدث المصرى : يحي بن عبد الله بن بكير[8] (ت ٢٣١ هـ) ، بهذا الإسناد :

---

(١) فتوح مصر / ١٩٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٦ وحسن المحاضرة ١/٢٩٩ (حيث ترجمته) .

(٢) تفسير ابن أبى حاتم م ٧/٣٦٠ (مخطوط دار الكتب ١٧٥ تفسير) .

(٣) صفوة الصفوة ٣/٤٢ وتذكرة الحفاظ ١/٧٦ وطبقات القراء ١/٣٠٥ وطبقات المفسرين ١/١٨١ (وفيه قتل سنة ١٧٥ هـ وهو خطأ واضح) .

(٤) تفسير ابن أبى حاتم م ١ ورقة ٩ : ب .

(٥) تهذيب التهذيب ٧/١٩٨ وحسن المحاضرة ١/٢٦٩ .

(٦) ميزان الاعتدال ٣/٧٠ وتهذيب التهذيب ٧/١٩٨ [illegible]

(٧) ترجمة فى طبقات ابن سعد ٧/٥١٦ وميزان الاعتدال ٢/٤٧٥ .

(٨) تفسير ابن حاتم م ١ ورقة ٩ : ب ، وتكرر فى ١٨ [illegible] ١٩ : ٢٢ : ب وكذلك م ٧/٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ .

يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير(١) . (تلاحظ لفظة حدثنى إلا ما قبل سعيد) .

ويلاحظ أن صحيفة سعيد بن جبير التى رواها عطاء بن دينار الهذلى أصبحت من اختصاص المدرسة المصرية .. وكل من رواها فيما بعد أخذها عنهم .

تلاميذ مدرسة « ابن عباس » فى مصر حتى نهاية القرن الرابع :

١ - أبو صالح عبد الله بن صالح (١٣٧ - ٢٢٣ هـ) :

ويروى تفسير ابن عباس عن معاوية بن صالح الحضرمى (ت ١٥٨ هـ) عن على بن أبى طلحة (ت ١٤٣ هـ) عن ابن عباس(٢) (ت ٦٨ هـ) .

ومما تجدر ملاحظته أن تفسير « ابن عباس » بهذه الطريق قد اختصت به المدرسة المصرية ولا يروى إلا عنها .

٢ — وأهم من رواه عن أبى صالح بكر بن سهل الدمياطى (ت ٢٨٩ هـ) مقرىء مدرسة ورش ، وهو محدث ومفسر أيضاً(٣) .

ثم روى ، أبو جعفر النحاس ، عن أستاذه بكر بن سهل كثيراً من حروفه(٤) .

ومن أمثلته ما رواه النحاس فقال(٥) : (حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا أبو صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : أول ما نسخ الله عزوجل من القرآن القبلة وذلك أن

---

(١) تفسير ابن حاتم م أورقة ٩ : ب . وتكرر فى ١٨ : أ ، ١٩ : أ ، ٢٢ : ب وكذلك م ٧/ ٩ ، ٢٢١ و ٢٢٣

(٢) تفسير الطبرى (الاجزاء الثلاثون) وتفسير ابن أبى حاتم ١ ورقة ١٣ : أ ، ١٤ : أ ١٥ : أ وكذلك م ٧/ ٢٢٣

(٣) طبقات القراء ١/ ١٧٨ وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٧ وطبقات المفسرين ١/ ١١٧

(٤) النحاس : الناسخ والمنسوخ ٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦

(٥) الناسخ والمنسوخ / ١٢ - ١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان أكثرها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود بذلك . فاستقبلها رسول الله بضعة عشر شهرا ، وكان يحب قبلة إبراهيم عليه السلام فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى[١] « قد نرى تَقَلُّبَ وجهِكَ فى السماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها فَوَلِّ وجهك شَطْرَ المسجد الحرام وحيث ما كنتم فَوَلُّوا وجوهَكُم شَطْرَه » . يعنى نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : « ما وَلّاهُم عن قبلتهم التى كانوا عليها » [١] فأنزل الله تعالى : قُل لِلَّهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ [٢] . . وقال تعالى : « وما جَعَلنا القِبلَةَ التى كنت عليها إلا لِنَعلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرسولَ مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيهِ » [٣] قال ابن عباس : ليميز الله أهل اليقين من أهل الشك والريبة) .

وقد طعن فى هذا الإسناد بعض العلماء لأن « على بن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة[٤] » — « وهذا القول لا يوجب طعنا » — كما يقول النحاس — لأن عليا أخذ التفسير عن ثقتين وهو فى نفسه ثقة[٥] .

وبكر بن سهل لا يعتمد على هذا الوجه وحده ، بل يروى من طريق أخرى هى[٦] طريق عبد الله بن يوسف التنيسى (ت ٢١٨ هـ) — مالك (ت ١٧٩ هـ) — محمد بن شهاب الزهرى (١٢٤ هـ) — سليمان بن يسار

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٤
(٢) سورة البقرة آية ١٤٢
(٣) سورة البقرة آية ١٤٣
(٤ ، ٥) الناسخ والمنسوخ /١٤ (ولكن أبا صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث مختلف فى توثيقه أيضا — ينظر تذكرة الحفاظ ١/٣٨٩) .
(٦) الناسخ والمنسوخ /٢٨٨

(ت ١٠٧ هـ) ـ ابن عباس[1] .

٣ — ومن رواة مدرسة ابن عباس فى مصر « يَمُوت بنُ المُزرع » (ت ٣٠٣ هـ) وهو مقرىء ومحدث ومفسر وشاعر[2] ، وعده الزبيدى من الطبقة الثانية من نحاة مصر[3] .

٤ — وروى عن يموت « تلميذه أبو جعفر النحاس » (ت ٣٣٨ هـ) بهذا الإسناد : حدثنا يموت المزرع ـ قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو عبيدة قال حدثنا يونس عن أبى عمرو عن مجاهد عن ابن عباس[4] .

وأحيانا كثيرة يكتفى باسم أستاذه عن ابن عباس فيقول: حدثنا يموت بإسناده عن ابن عباس ، ثم يورد شيئاً من تفسير الأخير[5] .

٥ — وآخر من روي لمدرسة ابن عباس من المصريين فى القرن الرابع : « ابن حسنون »[6] المقرىء اللغوى سند القرآن[7] فى زمانه (ت ٣٨٦ هـ) .

---

(١) عبد الله بن يوسف ترجمته فى حسن المحاضرة ١/١٤٦ .
والامام مالك ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١/٢٠٧ . وطبقات القراء ٢/١٣٥ .
ومحمد بن شهاب الزهرى ترجمته فى وفيات الاعيان ٣/٣١٧ وطبقات القراء ٢/٣٥ وتذكرة الحفاظ ١/١٠٨ وسليمان بن يسار ترجمته فى طبقات القراء ١/٣١٨

(٢) معجم الادباء ٢٠/٥٧ ـ ٥٨ ؛ وفيات الاعيان ٦/٥٢ وطبقات القراء ٢/٣٦٢

(٣) طبقات الزبيدى /٢٣٥

(٤) الناسخ والمنسوخ /١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٧٦

(٥) الناسخ والمنسوخ /٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠

(٦) ابن عباس : كتاب اللغات فى القرآن /١٦

(٧) هو عبد الله بن الحسين بن حسنون أبو أحمد السامرى . قرأ على يموت بن المزرع وابن مجاهد وغيرهما . وقرأ عليه أبو الفتح فارس بن أحمد وغيره توفى ٣٨٦ هـ (طبقات القراء ١/٤١٥ وحسن المحاضرة ١/٤٨٩) .

وقد روى لنا كتاب ابن عباس المهم : « اللغات فى القرآن » .

ورواه عنه[١] مقرىء مدرسة ورش المصرى : ابن راشد[٢] الحداد (ت ٤٢٩ هـ) .

والخلاصة أن مدرسة ابن عباس فى التفسير أول مدرسة دخلت مصر فى القرن الأول الهجـرى وفى وقت مبكر منه (بين سنة ٢٣ ـ ٣٥ هـ) . وظلت حية مستمرة خلال الفترة التى ندرسها .

خصائص منهج « ابن عباس »

١ ـ الاستشهاد بالشعر :

ولعل أبرز الخصائص ، اعتماد ابن عبـاس على الشعر العربى لبيان معانى الـكلمات الغريبة . وقد روى عنه أنه قال : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه فى أشعـار العرب فإن الشعر ديوان العرب »[٣] .

وقد وردت تطبيقات كثيرة على هذا المنهج .

وأثبت ما أثر عنه فى ذلك «سؤالات نافع بن الأزرق» (ت٦٥هـ) ، فقد دخل « نافع بن الأزرق » المسجد الحرام فإذا هو بابن عباس جالس وإذا الناس قيام حوله يسألونه عن التفسير فقال « نافع » : يا ابن عباس إنى أريد أن أسألك عن أشياء فأخبرنى بها . قال : فأخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٥) ، ما السنة ؟ قال النعاس . قال زهير بن أبى سلمى :

(١) كتاب اللغات فى القرآن /١٦

(٢) هو اسماعيل بن عمرو بن اسماعيل بن راشد الحداد المصرى ، قرأ على أبى عدى عبد العزيز المعروف بابن الامام ، وتوفى سنة ٤٢٩ هـ (طبقات القراء ١٦٧/١) .

(٣) ابن الانبارى : ايضاح الوقف والابتداء / ١٠٠ .

لا سِنَةٌ فى طوال الدهر تأخذُه

ولا ينام ولا فى أمره فند

قال نافع فأخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ (سورة المائدة آية ٣) ، ما المخمصة ؟

قال ابن عباس : الجوع . وفيه قال الأعشى :

تَبِيتُونَ فى المَشْتَى مِلاء بطونُكُمْ

وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصاً

ثم أخذ يسأله عن أشياء أخرى . . وفى كل ذلك يجيبه ابن عباس مستشهداً على كل كلمة ببيت من الشعر(١) .

٣ – بيان لغات العرب :

والصفة الثانية لمنهج ابن عباس هى أنه يهتم ببيان لغات العرب التى جاءت فى القرآن .

وأشهر ما بقى له فى ذلك كتابه « اللغات فى القرآن » . واللغات التى تضمنها القرآن بناء على ما جاء فى كتاب « ابن عباس » هى لغات : قريش ، وهذيل ، وكنانة ، وحمير ، وجرهم ، وتميم ، وقيس عيلان ، وأهل عُمان وأزد شنوءة ، وخثعم وطيء ، ومذحج ، ومدين ، وغسان ، وبنو حنيفة ، وحضرموت ، وأشعر ، وأنمار ، وخُزاعة ، وبنو عامر ، ولخم ، وكندة ، وسبأ ، وأهل اليمامة ، ومُزَينة ، وثقيف ، والعمالقة ، وسدوس ، وسعد العشيرة(٢) .

وأكثر لغات القبائل وروداً هى لغة قريش . وأقلها وروداً لغات

(١) ايضاح الوقف والابتداء ١/ ٧٦ – ٩٨ .

(٢) كتاب اللغات فى القرآن ٧/١ (من مقدمة المحقق) .

« سدوس والعمالقة وسعد العشيرة » .

فقد وردت لغة قريش (١٠٤) مرات[1] ووردت لغة كل واحدة من هذه القبائل الأخيرة مرة واحدة.

ومن أمثلة تلك اللغات ما جاء في بيانها من سورة البقرة[2] :

- « أنؤمنُ كما آمن السفهاءُ » (آية ١٣) :

السفيه الجاهل بلغة كنانة ..

- وقوله : « رغدًا » (آية ٣٥) : يعنى الخصب بلغة طيء .

- « فأخذتكُمُ الصاعقةُ » (آية ٥٥) : يعنى الموت بلغة عمان ..

- « ما اشتروا بهِ أنفسَهم » (آية ٩٠) : يعني باعوا بلغة هذيل ..

- « تلك أمانيهم » (آيه ١١١) : يعنى أباطيلهم بلغة قريش .

- « لفي شِقاقٍ بعيد » (آية ١٧٦) : يعني في ضلال بعيد بلغة جرهم ..

- « بَغْياً بينَهم » (آية ٢١٣) : يعنى حسداً بلغة تميم .

وهكذا يتناول ابن عباس بيان اللغات الواردة في القرآن بهذه الصورة البسيطة الواضحة حتى يأتي إلى آخر سورة العاديات . .

أما بقية السور (وهي سورة: القارعة والتكاثر، والعصر ، والهمزة ، والفيل وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس) ، فلم يرد ذكرها في كتابه .

٣ - الاهتمام بالكلمة المفردة :

من الخصائص البارزة في «منهج ابن عباس» اهتمامه بالكلمة المفردة .

وليس معنى هذا أنه لا يهتم بالسياق العام للآيات ، ولا يهتم بالجملة ،

(١) كتاب اللغات في القرآن / ٧ (من مقدمة المحقق) .

(٢) كتاب اللغات في القرآن / ٧ وما بعدها .

بدليل ما أثر عنه من اهتمام بالسياق العام . ومن أمثلة ذلك ما أسنده النحاس عن ابن عباس [١] أنه قال فى معنى الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ [٢] (أن تجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائم وتقوموا بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم) .

ولكن جميع ما أثر عنه من اهتمام بالجملة وبالسياق العام قليل إذا وضع بجانب اهتمامه بالكلمة المفردة .

فقد أثر عنه كتابان : أحدهما « سؤالات أو مسائل نافع بن الأزرق » [٣] والآخر : « لغات القرآن » . وكل منهما يهتم بالكلمة المفردة اهتماماً بارزاً .

ولذلك فإن هذه الناحية هى أكثر النواحى تأثيراً فى كتابات المفسرين المعتمدين على تفسير « ابن عباس » مثل الفراء (ت ٢٠٧ هـ) فى « معانى القرآن » . وابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، فى « تفسيره » وأبى بكر محمد بن عزيز (أو عزير) السجستانى ، فى كتابه « غريب القرآن » وابن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) ، فى « تفسيره » . والنحاس فى « معانى القرآن » .

٤ ـ الاهتمام بالقرائن المفسرة :

ومن خصائص « منهج ابن عباس » الاهتمام بالقرائن المفسرة للنص مثل معرفة الناسخ والمنسوخ . ومعرفة هذا الموضوع مهمة جداً لأن من لا يعرف الناسخ والمنسوخ وقع فى الخطأ لا محالة ، فجعل الآية المنسوخة محكمة فأجاز ما فيها من حكم . ولذلك قال « حذيفة » : (إنما يفتى الناس

---

(١) الناسخ والمنسوخ فى القرآن /٨٨ وينظر تفسير ابن أبى حاتم (ورقة ١٢ : ب) .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

(٣) مسائل نافع بن الأزرق ، مخطوط دار الكتب المرقم ١٦٦ ـ طلعت مجاميع الأوراق ١٠ ـ ٣٣ .

أحد ثلاثة : رجلٌ تعلمَ الناسخَ والمنسوخ ، ورجل قاض ، لا يجد من القضاء بُدّاً ، ورجل متكلِّف)[١] .

أما اهتمام « ابن عباس » بهـذا الموضوع ، فقد جاء من اعتقاده أن معرفته تعنى الحـكمة التى أشار إليها القرآن ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الحِـكْمَةَ فقد أُوتِىَ خيراً كَثيراً ﴾[٢].

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه النحاس بإسناده عن ابن عباس أنه قال فى توجيه حكم الآية الـكريمة ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ﴾ (سورة البقرة : آية ٢١٧) . (إنّ القتال كان محظوراً فى الأشهر الحرم حتى نسخته آية السيف فى « براءة » . ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [فأبيح القتال فى الأشهر الحرم وغيرها)[٣].

وفى كتاب « الناسخ والمنسوخ » للنحاس ، أمثلة كثيرة على هـذا الجانب من خصائص منهج ابن عباس فى التفسير .

والخلاصة .....

أن مدرسة « ابن عباس » فى التفسير ، أول مدرسة لغوية نشأت فى مصر فى القرن الأول الهجرى وظلت حية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى وما بعده .

وأن أهم رواة تلك المدرسة من المصريين : يزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨ هـ) وقباث بن رزين المصرى (ت ١٥٦ هـ) ، وعبد الله بن لهيعة (٩٧ ـ ١٧٤ هـ) وأبو صالح بن عبد الله كاتب الليث (١٣٧ ـ ٢٢٣ هـ) وبكر بن سهل

(١ ، ٢) الناسخ والمنسوخ / ٥ .

(٣) الناسخ والمنسوخ / ١٠٦ ، ١١ ، ١٢٩ .

الدمياطى (ت ٢٨٩ ت هـ) ، ويموت بن المزرع (ت ٣٠٣ هـ) وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، وابن حسنون المقرىء (ت ٣٨٦ هـ) .

أما المدرسة الأخرى وهى مدرسة « ابن زيد » فكانت أول مدرسة أكدت الجانب النحوى فى التفسير .

وهذا الجانب هو الذى ميزها عن مدرسة «ابن عباس» وهو ما سنفصل فيه الحديث فى المبحث القادم .

المبحث الثانى

مدرسة « ابن زيد » فى مصر

رأس هذه المدرسة عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدنى (ت ١٨٢) ، والمعروف عند المفسرين « بابن زيد » (١) .

وقد تتلمذ عليه المقرىء المصرى : عبد الله بن وهب (١٩٧ هـ) ونقل مدرسته بكل خصائصها المنهجية . ومعنى هذا أن مدرسة « ابن زيد » قد عرفت طريقها إلى مصر فى القرن الثانى الهجرى .

ثم أخذ « يونس بن عبد الأعلى » (ت ٢٦٤ هـ) ، مقرىء مدرسة « ورش » عن أستاذه « ابن وهب » خصائص هذه المدرسة ...

وجعل أصول هذه المدرسة مدنية ، لأن صاحبها مدنى . ولأن معظم ما ترويه عن المدنيين ، وقلما تروى عن غيرهم (٢) .

---

(١) تفسير الطبرى ١٣/٧٧ ، ١٤/٦٩ وتفسير ابن أبى حاتم ٧/٤ وترجمته فى ميزان الاعتدال ٢/٥٦٤ وطبقات المفسرين ١/٢٦٥

(٢) تفسير الطبرى ٢/٣٠ ، ١٤٠ ، ٣٠/٩٧ - ٤/١٤٤ - ١٠/٨٤ - ١٨/٩١ - ٢٤/٤٩ - ٢٦/٥٠ - ٢٧/٢٤ (عن المدنيين) . و ٤/١٥٣ ، ١١٧ ، ٧/١٣١ (عن المكيين) .

وترجع بعض منابع هذه المدرسة إلى « زيد بن أسلم[١] المدنى » والد « ابن زيد » (ت ١٣٦ هـ) .

وهو مقرىء معروف وردت عنه الرواية فى حروف القرآن[٢] . وله تفسير ذكره « حاجى خليفة[٣] ولكنه مفقود » .

وقد وصف بأنه عالم بتفسير القرآن . وليس مجرد راو ، بدليل ما قيل عنه : « إنه يفسر القرآن برأيه[٤] » .

ولكن مجموع ماروى عنه قليل فلايعطى صورة واضحة عن خصائص منهجه ولولا ما احتفظ به كل من الطبرى والنحاس من شذرات لما عرفنا شيئاً عن تفسيره سوى الاسم .

ويبدو أن صفة استقلال الرأى أثرت فى ميل ابنه « عبد الرحمن ابن زيد» إلى هذا الاتجاه فسار فيه حتى النهاية ، فأنتج ذلك التفسير الذى ذكره الداودى[٥] ، واحتفظت به كتب الطبرى والنحـاس وابن أبى حاتم[٦] ، فأعطتنا الصورة المتكاملة لخصائص منهجه .

خصائص منهج « ابن زيد »

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن :

لقد أدرك « ابن زيد » بثاقب بصيرته أن كثيراً من الآيات لها سياق يمكن أن يفسر بسياق آيات أخر .

ومن أمثلته ماجاء فى تفسيره الآية ٤٣ من سورة النحل :«وما أرسلنا

(١ ، ٢) طبقات القراء ١/٢٩٦

(٣) كشف الظنون ١/٤٤٨

(٤) تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥

(٥) طبقات المفسرين ١/٢٦٥

(٦) أعنى تفسير الطبرى ، والناسخ والمنسوخ للنحاس وتفسير ابن أبى حاتم .

من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ . إذ يرى أن « الذكر هو القرآن[١] » ، استناداً إلى الآية الكريمة : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون ﴾ [٢] .

وعند تفسير الآية ٤٦ من سورة البقرة : ﴿ الذين يظنّون أنّهم ملاقوا ربّهم وأنّهم إليه راجعون ﴾ يرى أن معنى الظن : اليقين . وحجته فى ذلك أنهم لم يعاينوا فكان ظنهم يقيناً وليس ظناً فى شك [٣] واستدل على ذلك بالآية الكريمة : ﴿ إنى ظننت أنّى ملاقٍ حسابيه ﴾ [٤] .

وقد مكنته هذه القدرة وتلك الملاحظة من أن يميز معانى الكلمات المشتركة فى اللفظ المختلفة فى معانيها ومدلولاتها استناداً إلى ظلال تلك الكلمات فى سياق آخر .

ففى تفسير الآيتين ٧١ و ٧٣ من سورة الزمر : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ﴾ . . . . ﴿ وسيق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمراً ﴾ ، ميز بين معنى « الزمر » فى الآية الأولى ومعناها فى الآية الآخرى[٥] ، فقال : (كان سوق أولئك عنتاً وتعباً ودفعاً وقرأ : ﴿ فذلك الذى يدعّ اليتيم ﴾ [٦] قال : يدفعه ، وقرأ : ﴿ يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمن وفداً . ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً ﴾ [٧] .

---

(١) تفسير الطبرى ١٤/ ٦٩

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) تفسير الطبرى ١/ ٢٠٦ (وهو رأى دافع عنه الطبرى كثيراً واستشهد له بالشعر فى الموضع السابق وفى ٢٥/ ٧٦) .

(٤) سورة الحاقة آية ٢٠

(٥) تفسير الطبرى ٢٤/ ٢١

(٦) سورة الماعون آية ٢

(٧) سورة مريم الآيتان : ٨٥ ، ٨٦

والميل فى تفسير القرآن بالقرآن فى منهج « ابن زيد » ميل غامر ؛ فقد أكثر منه ، ولهج به ، ولا يخلو تفسير سورة منه ، بل قد يتناول مجموعة من الآيات ويفسرها وفق هذا المنهج فى سورة واحدة [١] .

٣ – الاهتمام بالسياق العام :

ومن صفات منهجه الاهتمام بالسياق العام . فقد تجاوز – فى مجموعة كبيرة من الآيات – حدود الاهتمام بالكلمة المفردة ، إلى الاهتمام بالسياق الجلى والأسلوبى .

ففى تفسير الآية ١٤٣ من سورة البقرة : ﴿ وماجَعَلْنا القِبْلَةَ التى كُنْتَ عليها إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرسولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ ، وإنْ كانت لَكَبِيرَةً إلاّ على الذينَ هَدَى اللهُ ﴾ ، يقول : (كبيرة فى صدور الناس الناس فيما يدخل الشيطان به على روع ابن آدم إذ يقول : « ما لَهُمْ صَلّوا ههنا ستة عشر شهراً ثم انحرفوا » ؟ فكبر ذلك فى صدور من لا يعرف ولا يعقل وفى صدور المنافقين ، فثبت الله جل ثناؤه ذلك فى قلوب المؤمنين) [٢] .

وفى تفسير الآية ٩٣ من سورة يُونُسَ : ﴿ ولقد بَوّأْنا بَنِى إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة ﴾ ، قال : (ورزقنا بنى إسرائيل من حلال الرزق ، وهو الطيب وقوله : ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ ، قال : فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبى ﷺ مجمعين

(١) تفسير الطبرى ٢٥/٨١ (سورة الجاثية) .
(٢) تفسير الطبرى ٢/١٠ (بتصرف قليل) .

على نبوة محمد والإقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذى كانوا يجدونه مكتوباً عندهم . فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم)[١].

وهذه الصفة فى منهج « ابن زيد » هى الميزة الثانية التى تجعل منهجه يختلف عن منهج « ابن عباس » ، إذ قلما يهتم الأخير بمثل هذا الاتجاه .

٣ — الاهتمام بالتركيب المجازى :

ويلتفت « ابن زيد » فى تفسيره إلى الآيات التى يمكن أن تحمل على غير ظاهرها . وأعنى بذلك : الآيات المعبرة عن القضايا المتصلة بالعقائد والأفكار والمعنويات بصورة عامة ، وحين يكون التعبير بتراكيب وصور ظاهرها مادى ، لتقريبها إلى العقول البشرية .

ويظهر أن تلك التراكيب لفتت نظر صاحب المدرسة فأعطى مدلولاتها المعنوية الكامنة وراءها .

وقد فضلت أن أسميها « التراكيب المجازية » ، لأن فيها تعبيراً عن أشياء معنوية بألفاظ وتراكيب لم توضع فى الأصل لتلك الأفكار والمعنويات . وذلك فيما يختص بالأمثال القرآنية سواء ما جاء منها صريحاً بلفظ المثل أم بسياق يفهم منه ضرب المثل .

أما ما يتصل بالعقائد فمثاله ما جاء فى توجيه الآية ٣٩ من سورة النور : ﴿ والذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بِقِيعةٍ يحسَبُه الظمآنُ ماءً . حتى إذا جاءهُ لم يجِدْهُ شيئاً . ووجدَ اللهَ عنده فوفّاهُ حِسابَهُ . واللهُ سريعُ الحسابِ ﴾

---

(١) تفسير الطبرى ١١/١٠٦ — ١٠٧ .

إذ يوضح أن هذا مَثَلُ الذين كفروا فوثقوا من أنفسهم فمثلهم كمثل الذى (قد رأى السراب ووثق من نفسه أنه ماء ، فلما جاءه لم يجده شيئاً) قال : (فهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة وأنهم سيرجعون منها إلى خير ، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب)[١] .

أما ما يتصل بالأفكار فمثاله توجيه الآية الكريمة : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فسالَتْ أودِيَةٌ بِقَدَرِها ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدونَ عليهِ فى النارِ ، ابتِغاءَ حِليةٍ أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كذلك يَضْرِبُ اللهُ الحقَّ والباطِلَ ، فأمَّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فيمكُثُ فى الأرضِ ، كذلكَ يضربُ اللهُ الأمثالَ﴾[٢] .

فقد قال ابن زيد فى توجيهها : (هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، فقرأ « أنزل من السماء ماء » إلى قوله : « زبداً رابياً » وقال : هذا الزبد لا ينفع . « أو متاع زبد مثله » هذا لا ينفع أيضاً . وبقى الماء فى الأرض ينفع الناس ، وبقى الحلى الذى صلح من هذا فانتفع الناس به ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » . وقال : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل)[٣] .

أما ما يتصل بالمعنويات فمثاله ما رواه الطبرى فقال : حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد فى قوله تعالى : ﴿ولا تَكونوا كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعدِ قُوَّةٍ أنكاثاً﴾[٤] : (هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد الذى يعطيه . ضرب الله هذا مثلا بمثل التى غزلت ثم

---

(١) تفسير الطبرى ١٨ / ١٠٣ - ١٠٤ .
(٢) سورة الرعد آية ١٧
(٣) تفسير الطبرى ١٣ / ٨١
(٤) سورة النحل آية ٩٢

نقضت غزلها . فقد أعطاهم ثم رجع فنكث العهد الذى أعطاهم)[1] .

وهذا الاتجاه العام عند « ابن زيد » نجد جذوره عند « ابن عباس » ولكن بندرة .

٤ — **الاهتمام بالقرائن المفسرة :**

وأعنى بالقرائن المفسرة ما يتصل بالآيات من أسباب النزول ومن ناسخ ومنسوخ .

والمفسرون يختلفون فى مناهجهم فيختلفون فى مدى استعمال هذه القرائن .

وقد نال الجانبان اهتماماً كافياً فى مدرسة «ابن زيد» . وهذا الاتجاه يجعل منهجه أكثر كمالا من منهج « ابن عباس » . إذ يهتم الأخير بالناسخ والمنسوخ كثيراً ، ويقل اهتمامه بالجانب الآخر . ولكن معرفة أسباب النزول ترتبط بالناسخ والمنسوخ ارتباطاً قوياً . ومثال ذلك مارواه الطبرى بسنده عن ابن زيد قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ وإن تُبْدُوا ما فى أنفسِكُمْ أو تُخْفُوهُ يحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فيغفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعذِّبُ مَنْ يشاءُ ، واللهُ على كُلِّ شىءٍ قديرٌ ﴾[2]

اشتدت على المسلمين وشقت مشقة شديدة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو وقع فى أنفسنا شىء لم نعمل به وآخذنا الله به ؟ قال : فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل «سمعنا وعصينا»[3] قالوا : بل سمعنا وأطعنا يارسول الله ، قال : فنزل القرآن يفرجها عنهم : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها

---

(١) تفسير الطبرى ١٠٢/١٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٤

(٣) سورة البقرة آية ٩٣

ـما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (١) قال ابن زيد : فصيره إلى الأعمال وترك ما يقع فى القلوب) (٢) .

(أ) الاهتمام بالناسخ والمنسوخ :

أما الاهتمام بالناسخ والمنسوخ عند ابن زيد فمن أمثلته ما جاء فى توجيهه حكم آية المداينة (٣) ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل .. ﴾ ، إذ يرى أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى ائتمن أمانته ﴾ .

وهى الآية اللاحقة لآية المداينة ، ويقول ابن زيد :(فلولا هذا الحرف لم يبح لأحد أن يدان بدين إلا بكتاب وشهداء أو برهن) .

ولم يرتض « الطبرى » هذا الرأى ، بل جعل آية المداينة محكمة (أى غير منسوخة) ، وحجته فى ذلك أنه (لوجب أن يكون قوله تعالى : « وإن كنتم مرضى أو على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى ائتمن أمانته » ناسخاً قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » ، لوجب أن يكون قوله: ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً (٤) ﴾ ناسخاً الوضوء بالماء فى الحضر عند وجود الماء فيه ، وفى السفر الذى فرضه الله عز وجل بقوله (٥) :

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٢) تفسير الطبرى ٣/٨٩ — ٩٠
(٣) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .
(٤) سورة المائدة آية ٦
(٥) تفسير الطبرى ٣/٧٣

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ .

وهو رأى راجح ، لأن كون الرهن فى السفر لا ينفى حكم الآية فى الحضر (وهذا محتوى القياس الذى أدلى به الطبرى) . كما أن الآية تنص على أنه حكم من لم يجد كاتباً

ويرى «ابن زيد» أن الآية الكريمة : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(١) منسوخة بالأمر بالقتال ، ويوضح هذا الرأى قائلا : (نزلت «خذ العفو» فأقام النبى ﷺ بمكة عشر سنين لا يعرض لأحد ولا يقاتله ثم أمره الله عز وجل أن يقعد لهم كل مرصد وألا يقبل لهم إلا الإسلام ، وأنزل : ﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين﴾(٢) وقال : ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾(٣) ، فنسخ هذا العفو)(٤) .

ويرى «ابن عباس» أن «العفو» فى الآية منسوخ بالزكاة المفروضة لأن معنى العفو عنده : «الفضل» .

ولكن عبد الله بن الزبير وأخاه عروة يريان أن آية العفو غير منسوخة بل محكمة ، وإنما أمر النبى باحتمال من ظلم ، وأمر بالسهل من الأخلاق وترك الغلظة .

ويرجح «النحاس» رأى ابن الزبير لسببين : الأول : أنه قول صحابى .

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٩
(٢) سورة التوبة آية ٧٣
(٣) سورة التوبة آية ١٢٣
(٤) الناسخ والمنسوخ /١٤٧

وجاء بإسناد صحيح ، وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يَسَعْ أحداً مخالفته .. والسبب الآخر : أن المعنى : خذ العفو ، أى : سهل من أخلاق الناس، ولا تغلظ عليهم ولا تعنف بهم [١] .

ولكني أرجح رأى « ابن زيد » لأنه لاحظ أن آية العفو « مكية »، ولم يؤمر النبي برد القوة بالقوة في العهد المكي . أما في العهد المدني فقد أُمِرَ بالقتال وكل من له معرفة بالقرآن يعلم أن سورة التوبة آخر ما نزل من القرآن . والآيات التي استشهد بها هي من هذه السورة ، وهي واضحة الدلالة

(ب) الاهتمام بأسباب النزول :

أما اهتمامه بأسباب النزول فمن أمثلته ما جاء عن سبب نزول الآية الكريمة : ﴿ ولو أنَّ قرآنا سُيِّرَتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ ، أو كُلِّمَ به الموتى ، بل لله الأمرُ جميعاً ﴾[٢] قال ابن زيد : (قالوا للنبي إن كنت صادقاً فسيرعنا هذه الجبال واجعلها حروثاً كهيئة أرض الشام ومصر ، أو ابعث موتاهم فاخبرهم فانهم قد ماتوا على الذي نحن عليه ، فقال الله تعالى : « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض .. الآية » ، لم يصنع ذلك بقرآن قط ، ولا كتاب فيصنع ذلك بهذا القرآن)[٣] .

ويلاحظ أن الرجل قد انتبه إلى هذا الشرط ، وأن جوابه محذوف فقدّره .

والأمثلة على هذا كثيرة ، قد استوعبتها كتب التفسير التي نقلت عن تلاميذ مدرسته ، لا سيما الطبري[٤] .

(١) الناسخ والمنسوخ /١٤٨

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٣٧ ـ ٣٨

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٩٠

(٤) سورة الرعد آية ٣١

وبهذه الخصائص الثلاثة : الاهتمام بالسياق العام ، والاهتمام بالتركيب المجازى ... والاهتمام بالقرائن المفسرة ، تكون هذه المدرسة أول مدرسة اهتمت بالسياق الجلى والتراكيب النحوية فهى أول مدرسة نحوية نشأت فى مصر إلى جانب مدرسة « ابن عباس » اللغوية .

الاهتمام بالكلمة المفردة :

ويهتم « ابن زيد » بالكلمة المفردة أيضاً ، وإن كان اهتمامه بها أقل من اهتمام « ابن عباس » .

فقد فسر « الحوب » بالذنب[1] فى الآية الكريمة : ﴿ إنه كان حوباً كبيراً ﴾[2] .

وفسر « الذى » كان على بينة من ربه « بأنه » الرسول محمد « عليه الصلاة والسلام »[3] . وذلك فى الآية الكريمة : « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ »[4] .

وفسر «الرجس» بالشر[5] فى الآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾[6] .

ولكننا مهما حاولنا أن نجمع الأمثلة على هذا الاهتمام فإن مدرسة ابن عباس تبقى متفوقة فى هذا الجانب .

---

(١) تفسير الطبرى ٤/٢٤٣

(٢) سورة النساء آية ٢

(٣) تفسير الطبرى ١٢/١٠

(٤) سورة هود آية ١٧

(٥) تفسير الطبرى ٧/٢٠

(٦) سورة المائدة آية ٩٠

٦ ـ قلة الاستشهاد بالشعر :

وإذا كانت مدرسة ابن زيد قد اهتمت بجوانب معينة فأولتها عناية تامة فإنها قليلة الاهتمام ببعض الجوانب مثل الاستشهاد بالشعر . إذ يقل استشهادها به إلى درجة الندرة ، ومن الأمثلة التي وجدتها بعد لأى شديد قوله فى توجيه معنى « الوتين » فى الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا منه الوتين ﴾ . نياط القلب الذى يتعلق به القلب قال : وإياه عنى الشماخ بن ضرار بقوله :

إذا بَلّغتِنِي ، وحملتِ رحلى   عَرابةَ فاشرَقِي بِدَمِ الوتين[1]

٧ ـ قلة الاهتمام بلغات القرآن :

وابن زيد قليل الاهتمام ببيان لغات القرآن التى خصص لها « ابن عباس » كتاباً . ومن الأمثلة القليلة على ذلك تفسيره « الطور » بأنه الجبل بالسريانية[2] وذلك فى الآية ٦٣ من البقرة : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ .

تلاميذ مدرسة ابن زيد فى مصر

١ ـ عبد الله بن وهب (١٢٥ ـ ١٩٧ هـ) :

وهو تلميذ هذه المدرسة المباشر . وقد نمى فروعها ونقلها من مدينة الرسول إلى مصر .

أما من حيث الميول العلمية فهو يجمع بين القراءات والفقه والتفسير .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٩ : ٣٧ (وقد وقع فى اسم الشاعر تحريف ووقع فى البيت تحريف أيضا . والتصحيح من الاغانى ٨/١٠٦ ، وعرابة ـ بفتح العين ـ ابن أوس بن قيظى الأوسى ، صحابى ، ترجمته فى الاصابة ٤/٣٣ ، رقم ٥٤٩٠

(٢) تفسير الطبرى ١/٢٤٧

فهو تلميذ « نافع » فى القراءة [١] وتلميذ « الإمام مالك » فى الفقه [٢] .
وإلى جانب هذين الاتجاهين استطاع أن يحتل مكاناً بين المفسرين . وله تفسير ينسب إليه [٣]. ومؤلفات أخرى فى الفقه تدور حول « موطأ مالك » ، وفى غير الفقه ، مثل كتاب المغازى [٤] .

ولذلك نال كلمات المديح من جماعة معروفين برجاحة العقل . فقد وصفه أستاذه مالك بأنه « فقيه مصر » [٥] ووصفه الإمام أحمد بن حنبل قائلا : « ابن وهب عالم صالح ، فقيه ، كثير العلم » [٦] أما فى ميدان القراءات فقد وصفه « ابن الجزرى » . (ت ٨٣٣ هـ) بأنه « أحد الأئمة الأعلام .. ثقة كبير » [٧] .

هذا هو الإمام العلم الذى أخذ التفسير عن « ابن زيد » ، ونقله إلى مصر فى القرن الثانى الهجرى . وكانت رحلته إلى المدينة سنة ١٤٨هـ ، على وجه التحديد [٨] .

ما أضافه « ابن وهب »

وقد أضاف إلى تفسير أستاذه شيئاً ما ... فماذا أضاف ؟

إن ما أضافه « ابن وهب » ، يمكن تلخيصه فى نقطتين :

الأولى : إضافات « كمية » تلحق كل جزئية منها بصفة من صفات

(١) طبقات القراء ١/٤٦٣
(٢) الديباج المذهب فى أعيان المذهب /١٣٢
(٣) كشف الظنون ١/٤٤٠
(٤) الديباج المذهب / ١٣٣
(٥، ٦) الديباج المذهب /١٣٣
(٧) طبقات القراء ١/٤٦٣
(٨) الديباج المذهب /١٣٣.

منهج أستاذه ، كأن يروى عنه تفسير كلمة مفردة[١] أو تفسير القرآن بالقرآن[٢] . . أو الاهتمام بالسياق العام[٣] .. إلى آخر ما وصفنا فى منهج المدرسة .

والاخـرى :

إضافات فقهية . تتناسب تماماً مع نزعته الفقهية ، التى لم يختلف عليها اثنان ممن ترجموا له .

ولـكننى أرى — خلافاً لجميع من كتبوا عنه أو ترجموا له — أنه لم يكن فى التفسير إلا راوية وجماعاً ... ولم يكن فقهياً يجتهد فيبدع ... لأن إضافاته فى التفسير ليست إضافات نوعية ، بل « كمية » ... وهى نقلية[٤] .. وليست اجتهادية . حتى إضافاته « الفقهية » فى تفسير آيات الأحكام تقع تحت هـذا الحكم . . . فهى لم تنتج عن عقلية فقهية ولـكنها مجموعة من الروايات ينسبها إلى الإمام مالك أستاذه فى الفقه[٥] ، أو غيره[٦] .

ولذلك فإن ما أضافه « ابن وهب » إلى تفسير « ابن زيد » لا يعد جوهرياً . . . ولـكنه جزئى ، لا يغير تغييراً جوهرياً فى خصائص منهج أستاذه .

ماذا أضاف (ابن عبد الأعلى) ؟

والتلميذ المصرى الآخر لهـذه المدرسة هو « يونس بن عبد الأعلى » (ت ١٧٠ — ٢٦٤ هـ) ، مقرىء مدرسة « ورش » ، و « وهو فقيه

---

(١) تفسير الطبرى ١٢٣/٣ وتفسير ابن أبى حاتم ٨/٧

(٢) تفسير الطبرى ٨٨/٣

(٣) تفسير الطبرى ١٦/٢٤

(٤) تفسير الطبرى ٣٢/٢ ، ٦٨/٢ وتفسير ابن أبى حاتم ٤/٧

(٥) تفسير الطبرى ٢٩/٢ ، ١٢٤/٢

(٦) تفسير الطبرى ١٢٣/٣

كبير ، ومحدث ثقة »[١] ، انتهت إليه رئاسة العلم وعلو الإسناد فى الكتاب والسنة[٢] .

وقد أخذ ميراث المدرسة عن أستاذه «ابن وهب» أخذاً مباشراً[٣] وأضاف جزئيات إلى تفسير أستاذه ... ويمكن أن توضع كل جزئية تحت عنوان من عناوين خصائص منهج المدرسة .

فقد يفسر معنى كلمة فيقول : (أخبرنى ابن نافع عن أبى معشر عن محمد بن قيس عن أبى هريرة ، أنه كان يقول: « لغو الحديث » : حلف الإنسان على الشىء يظن أنه حلف عليه فإذا هو غير ذلك)[٤] .

وحين يفسر السياق العام للآية الكريمة: ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾[٥] يقول : (أخبرنى أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال : زعم ابن رومان أن قوله تعالى : « تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم ... الآية » ، قال : كانت تأتيهم يوم السبت فإذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شىء إلى السبت فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً فربط حوتاً منها فى الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم : « لو شئتم صنعتم كما أصنع . فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل ...)[٦] .

ويلاحظ أن هذه الإضافات ليست اجتهادية ، بل نقلية . وسائر ما يرد عنه فى التفسير لا يعدو ما مثلنا به .

(١،٢) طبقات القراء ٢/ ٤٠٦

(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٩١ وتفسير ابن أبى حاتم ٧/ ٤ ، ٨

(٤) تفسير الطبرى ٢/ ٢٩٦

(٥) سورة الاعراف آية ١٦٣

(٦) تفسير الطبرى ٨/ ٦١ (باختصار) .

فالمدرسة بكل خصائصها المنهجية قد انتقلت إلى مصر عن طريق « ابن وهب » ثم عن طريق « يونس بن عبد الأعلى » ولهما فضل حفظ تلك الخصائص ... ولهما فضل نقل هذا التفسير إلى جميع أنحاء العالم عن طريق المفسرين الذين أخذوا عن « يونس » لأنه اختص برواية ذلك التفسير ولولاه لاندثرت معالم تلك المدرسة .

* * *

والخلاصة . . أن القراء ساهموا فى تكوين البناءين: اللغوى والنحوى بمصر فى ميدانى : القراءات والتفسير . . . وفى ميدان القراءات ساهموا فى تأليف الدراسات اللغوية والنحوية الكثيرة لا سيما دراسات مدرسة ورش المصرى .

وفى ميدان التفسير أسهمت مدرسة « ابن عباس » فى تكوين البناء اللغوى فى مصر إسهاماً واضحاً . . . وأسهمت مدرسة « ابن زيد » فى تكوين البناء النحوى إلى حد ما ، والسياق الجلى إلى حد كبير .

أما مجال الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى غير القراء فهذا ما يتكفل به الفصل القادم .

* * *

الفصل الثانى

الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى غير القراء

فى القرن الثالث الهجرى

المحتـــوى

يتضمن هذا الفصل تمهيدا وخمسة مباحث هي :

المبحث الاول : دراسات ابن هشام ٠

المبحث الثانى : دراسا تأبى على الدينورى ٠

المبحث الثالث : دراسات أبى موسى الضرير ٠

المبحث الرابع : دراسات محمد بن ولاد التميمى ٠

المبحث الخامس : دراسات الأخفش الصغير ٠

التمهيد

إن الدارس للحركتين : اللغوية والنحوية فى مصر يلاحظ أنه لاتوجد فيهما دراسات لغوية أونحوية متكاملة عند غير القراء إلا فى القرن الثالث الهجرى .

ووجود دراسات متكاملة فى هذا القرن يعنى أنه قد سبقتها إرهاصات ومقدمات مهدت لظهورها ، ومن هذه المقدمات ماقام به القراء ، إذ لابد أن يتعلم القارىء المبتدىء أصول اللغة ومبادىء النحو والظواهر العامة فيهما : من أصوات لغوية وفتح وإمالة وإدغام ، ووقف وابتداء ... كما أن رحلة العلماء من مصر وإليها ساعدت على رحلة كثير من الكتب والدراسات فى اللغة والنحو وهى وما قام حولها فى مجالس العلم والتدريس كانت بمثابة الروافد التى أغنت الدراسات التى ظهرت متكاملة فيما بعد مع إضافات جديدة . وتلك صورة طبيعية ومألوفة لنمو الدراسات ليس فى مصر وحدها بل فى العالم العربى المعروف آنذاك .

(٢)

والملاحظة الأخرى هى بروز دراسات متخصصة لها اتجاهات واضحة فهناك اتجاه لغوى واضح عند « عبد الملك بن هشام » (ت ٢١٨ هـ) فى كتابه « شرح ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب » .

وهناك اتجاه نحوى وعلى رأسه « ولاد التميمى » جد ابن ولاد المعاصر لأبى جعفر النحاس وزميله فى الدراسة . وإن كان قد جمع بين اللغة والنحو .

ووجد إلى جانب ذلك اتجاه واضح للتأليف فى علمى اللغة والنحو نجده فى مؤلفات أحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ)، وفى دراسات على بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ).

(٣)

ويظهر أن المدرسة البصرية كان لها التغلب فى السنوات الأولى لظهور الدراسات فى القرن الثالث.

فقد نقل محمد بن ولاد التميمى (ت ٢٩٨ هـ) كتاب سيبويه إلى مصر[1] وهو أول من نقله.

ولم يكتف بمجرد النقل بل درسه لتلامذته، وكان يشرح لهم بعض أجزائه إذ ذكر أبو جعفر النحاس — تلميذه — أن محمد بن ولاد أملى شرحاً لقول سيبويه فى أول الكتاب: «هذا باب علم ما الكلم من العربية».

وكان للنسخة الجيدة التى انتسخها محمد بن ولاد من أصل «المبرد» أثر فى تنشيط الحركتين: اللغوية والنحوية فى مصر منذ القرن الثالث.

ثم أخذ النسخة ابناه: أحمد بن محمد المعروف بابن ولاد وأبو القاسم عبد الله بن محمد الذى «كان دون أخيه فى العلم» وكان عنده كتاب أبيه الذى انتسخه من أصل أبى العباس المبرد «وكان يقرأ عليه الكتاب بعد أخيه أحمد»[2].

---

(١) الزبيدى: طبقات النحويين واللغويين ٢٣٠/ (ونشير إليه ب «طبقات الزبيدى»).

(٢) طبقات الزبيدى ٢٣٩/

وقد اهتم به أحمد بن ولاد اهتماماً تجاوز قراءته على تلميذه ، إذ كتب عنه دفاعه المعروف « بالانتصار لسيبويه من المبرد » .

وأخذه عنه تلميذه الأندلسى محمد بن يحيى المعروف [1] بالرياحى (ت ٣٥٨ هـ) ، وهى أول نسخة من « الكتاب نقلت إلى الأندلس ولا تزال نسخة منها أثبتت فيها رواية الرياحى باقية إلى يومنا هذا » [2] .

وإذا وازنا بين نشاط مدرسة الكوفة والبصرة فى مصر فإننا لا نجد كتاباً من كتب الكوفيين لقى من الاهتمام ما لقيه كتاب سيبويه البصرى .

وتم هذا الرجحان لأنه لم يكن لكتاب سيبويه ما يضاهيه أو يضاهى الاهتمام به والسبب الآخر أن المدرسة البصرية هى التى وضعت أسس النحو الأولى ، وهذا واضح فى «تعليل ابن النديم» تقديم المدرسة البصرية على الكوفية حيث يقول « إنما قدمنا المصريين ، لأن علم العربية عنهم أخذ » [3] .

وهذا السبق هو الذى دفع بالكسائى إلى أن يأخذ كتاب سيبويه عن أهل البصرة وفى بيئتهم نفسها [4] ، وأن يجلس إلى حلقة يونس بن حبيب البصرى [5] .

---

(١) يذكر الزبيدى أن « الرياحى جعل كتاب سيبويه رواية عن «النحاس» ، وتؤكد الرواية المثبتة فى النسخة الخطية أن الرياحى أخذ عنه وعن ابن ولاد ، فالظاهر أنه روى عنهما ويؤيد ذلك ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ١/٧٠ والسيوطى : البغية ١/٦٢

(٢) كتاب سيبويه (مخطوط برقم ٢٣٢ بمعهد المخطوطات قائمة السعودية الاخيرة) .

(٣) الفهرست /٦٤

(٤) السيرافى : أخبار النحويين البصريين ٤٠ ، ٤٤

(٥) الزجاجى : مجالس العلماء /٢١ . مجلس رقم ١٠

وقد أنبأنا « الدينورى » ، ختن ثعلب قرأ « كتاب سيبويه » ولكن على نفسه (١) .

وذكر « البغدادى » أن ثعلباً ألف كتاباً فى « تفسير أبنية سيبويه » (٢) .

وحكى « النحاس » أن بعض « الكتاب » وجد تحت وسادة « الفراء » (٣) .

وهؤلاء الأئمة : الكسائى والفراء وثعلب هم أعمدة المدرسة الكوفية الثلاثة فكيف بمن دار حولهم ونهل من معينهم ؟

وهذا لا يعنى أن جميع المؤلفين للدراسات اللغوية والنحوية فى مصر كانوا يمثلون المدرسة البصرية ، بل توجد جماعة من غيرهم .

فأبو الحسن الأعز الذى ذكره الزبيدى فى نحاة مصر ، أخذ عن الكسائى ثم « لقيه قوم من أهل الأندلس فحملوا عنه » (٤) .

وأحمد بن جعفر الدينورى حمل بذور المدرستين (٥) والأخفش الصغير درس على ثعلب الكوفى والمبرد البصرى .

وكان لكل من ابن هشام والدينورى والأخفش الصغير وغيرهم دراسات لغوية ونحوية عبروا فيها عن ميولهم وظهرت فيها اتجاهاتهم ومناهجهم وما أخذوه عن كل مدرسة ... وما أضافوه . .

فما هى تلك الدراسات ؟ وما هى صفاتها ؟؟ وما هى مناهجها ؟ ؟

---

(١) طبقات الزبيدى / ١٥٦ ومعجم الادباء ٢ / ٢٣٩
(٢) خزانة الادب ١ / ١٧٩
(٣) طبقات الزبيدى / ٧٣ وكتاب سيبويه ١ / ٦ (ط . هارون) .
(٤) طبقات الزبيدى / ٢٣٣
(٥) طبقات الزبيدى / ٢٣٤ ومعجم الادباء ٢ / ٢٣٩

المبحث الاول

دراسات «ابن هشام»

من هو ابن هشــام ؟

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى النحوى أصله من البصرة لكنه سكن مصر فعد من المصريين [١] .

ومن أسماء الأعلام الذين يروى عنهم فى السيرة يظهر أن كل أساتذته ينتمون إلى المدرسة البصرية .

وقد روى « المغازى والسير » لمحمد بن إسحاق[٢] (ت ١٥١ هـ) عن تلميذه زياد بن عبد الله البكائى [٣] (ت ١٨٣ هـ) .

ولما ورد مصر حدث بالمغازى والسير ، وبكتبه .

ويظهر على صعيد العلم بمصر لأول مرة سنة ١٩٨ هـ ، هى السنة التى ورد فيها الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) مصر[٤] ، يقول ابن هشام : «جالست الشافعى زماناً فما سمعته يتكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر لا يجد فى العربية أحسن منها » [٥] ، وقد تناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة[٦] .

وهو متقدم في علوم اللغة والنحو والنسب وكان ثقة فيما يرويه . [٧]

---

(١) السهيلى : الروض الانف ١/٥ وابن خلكان : وفيات الاعيان ٢/٣٤٩
(٢) ترجمتها فى الروض الانف ١/٥٠٤
(٣) آنباه الرواة ٢/٢١١ ـ ٢١٢
(٤) معجم الادباء ١٧/٢٨٢ وفيات سنة ١٩٩
(٥) معجم الادباء ١٧/٢٩٩
(٦) حسن المحاضرة ١/٥٣١
(٧) آنباه الرواة ٢/٢١١ والبغية ٢/١١٥

وقد وصفه تلميذه محمد بن حسان المصرى خير وصف فقال : « ما رأيت بعينى ممن فهمت عنه مثل ابن هشام »(١) .

مؤلفاته :

وهو مؤلف ثلاثة كتب : شرح ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب . وتهذيب السيرة النبوية والمغازى لابن إسحاق ، والذى سمى فيما بعد باسم « السيرة النبوية لابن هشام » والكتاب الثالث هو : «شرح أنساب حمير وملوكها » وقد يسمى بأسماء أخرى مقاربة(٢) .

والكتابان الباقيان هما الثانى والثالث . والثانى يتصل بالدراسات اللغوية فى جزء منه ، وفى جانب من جوانبه .

ولذلك فإن حديثنا سيقتصر على : «تهذيب السيرة النبوية» ما دام كتاب ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب مفقوداً .

لكنه يعد بهذين الكتابين رائد الدراسات اللغوية بمصر خارج ميدان القراء .

يظهر أن اهتمام « ابن هشام » بالسيرة النبوية هو الذى حرك فيه هذا الاتجاه اللغوى المبكر الرائد ونماه ونحن نعلم أنه « كان إماماً فى اللغة والنحو أديباً نسابة أخبارياً »(٣) .

وهذه المؤهلات أعطته قدرة فائقة على تهذيب السيرة والمغازى « لابن إسحاق » مرة بالزيادة ومرة أخرى بالنقصان حسب حاجة المواضع فى تلك السيرة العطرة(٤) .

---

(١) معجم الادباء ٢٩٩/١٧

(٢) طبع بحيدر آباد الدكن باسم : « كتاب التيجان فى ملوك حمير » ع

(٣) « انباء الرواة » ١١/٢ وحسن المحاضرة ٥٣١/١

(٤) أنباه الرواة ٢١٢/٢

يضاف إلى ذلك أنه كان ناقداً لغوياً بصيراً بدقائق العربية وأشعارها، ولذلك حذف من الأشعار التى أوردها ابن إسحاق إيراد غير خبير (١) جملة ونبه على كثير من الشعر المنحول . وكان يقول فى أثر القصيدة المنحولة « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها » ...

وتقابلنا ونحن نقرأ « تهذيب السيرة » شروح وتوضيحات للغريب وللأخبار وضبط للأعلام ومجموعة من التواريخ .

إذاً فغير غريب بعد هذا الجهد الواسع ، أن تنال السيرة النبوية لابن هشام كل ما تستحقه من تقدير وأن يلهج الناس بذكرها ويفضلوها على الأصل (٢)

والمصريون يعتزون بها اعتزازاً يفوقون به غيرهم ولأنها من إنتاجهم الأصيل ولهم بها فرط غرام (٣) . وعنهم نقلت إلى سائر الأقطار (٤) .

منهجه فى ((تهذيب السيرة)) :

يمكن تلخيص منهج « ابن هشام » فى هذا الكتاب بما يأتى :

١ — أنه منهج لغوى يبين معانى المشترك اللفظى . وقال ابن هشام — وهو يشرح معنى قوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » : —

(إيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت قريش

---

(١) فابن إسحاق « أول من هجن الشعر وأفسده » على حد تعبير ابن سلام .

(٢) المزهر ١/٢١٢ .

(٣) أنباء الرواة ٢/٢١٢ .

(٤) الروض الانف ١/٣ وفهرسة ابن خير /٢٣٣ والخشنى شرح السيرة النبوية /٢

لهم خرجتان خرجة فى الشتـاء وخرجة فى الصيف . أخبرنى « أبو زيد الأنصارى » أن العرب تقول : ألِفتُ الشىء إلفاً وألفته إيلافاً فى معنى واحد . وأنشدنى لذى الرمة :

من المؤلفات الرسل أدماء حرة شعاع الضحى فى لونها يتوضح (١)

والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك ، يقال : آلف فلان إيلافاً . قال : « الـكميت ابن زيد » .

بعام يقول له المؤلفـــو ن هـــذا المعيم لنا المرجل (٢)

والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفه إياه إيلافاً .

والإيلاف أيضاً : أن تصير ما دون الألف ألفاً ، يقال : (آلفت إيلافاً) (٣) .

٢ — ويتناول تفسير الـكلمات الغريبة والصعبة .

قال ابن إسحاق : قال أمية بن أبى الصلت :

أنى موهناً وقد نام صحبى وسجى الليل بالظلام البهيم

وقال ابن هشام « سجى : سكن ، وهـذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية وسجى طرفها ، قال جرير :

ولقد رمينك حين رحن بأعين يقتلن من خلل الستور سواجى (٤)

---

(١) الادباء من الظباء : السمراء الظهر ، البيضاء البطن .

(٢) المعيم من الميعة « وهو الشوق الى اللبن . والمرجل : الذى تذهب ابله ويمشى على رجليه .

(٣) السيرة النبوية ١/٥٧ ، ٥٨

(٤) السيرة النبوية ١/٢٥٧

٣ — لا يكتفى — أحيانا — بشرح الكلمة الصعبة ، بل يشرح معنى البيت بإيجاز .

قال ابن إسحاق ، قال ابن لقيم العبسى ، يوم خيبر :

فرت يهود يوم ذلك فى الوغى   تحت العجاج ، غمائم الأبصار

فيقول ابن هشام « فرت : كشفت . كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها يريد : كشف عن جفون العيون غمائم الأبصار (١)

٤ — ويبين « اشتقاق » الكلمة ، أحيانا .

قال ابن اسحاق : قال « لبيد بن ربيعة الكلابى :

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه   وعند الرداع بيت آخر كوثر

فقال ابن هشام (وصاحب ملحوب : عوف بن الأحوص بن جعفر ابن كلاب مات بملحوب . وقوله « وعند الرداع بيت آخر .. » يعنى شريح ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع .

وكوثر أراد به الكثير ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال « الكميت ابن زيد » يمدح هشام بن عبد الملك :

وأنت كثير يا ابن مروان طيب   وكان أبوك ابن العقائل كوثراً

وهذا البيت فى قصيدة له) .

٥ — وإذا حدث فى الكلمة « إبدال » بينه .

قال ابن اسحاق : حدثنى وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثى : حدثنا يا عبيد

---

(١) السيرة النبوية ٣/٣٥٦

(٢) السيرة النبوية ٢/٣٤

كيف كان ما ابتدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يجاوز فى «حراء» من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تتحنث به قريش فى الجاهلية .

فقال ابن هشام : تقول العرب : (التحنث والتحنف ، يريد الحنيفية ، فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدث وجدف ، يريدون القبور ، كما قال رؤبة بن العجاج :

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد الأجداث .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول :

« فم » فى موضع « ثم » ، يبدلون الفاء من الثاء) [١] .

٦ — ويلاحظ أن الشرح جزئى يتناول البيت المفرد أو جزءاً منه ، ولا يحفل بالقصيدة متكاملة .

٧ — يستشهد على شرحه الغريب بالشعر زيادة فى الإيضاح ويلاحظ أنه كثير الاستشهاد بالكميت بن زيد الأسدى ، الذى طعن الأصمعى فى لغته . وحملته ضده مبسوطة فى كتب اللغة . بالرغم من أن لغته فصيحة [٢] .

واستشهاد ابن هشام بالكميت بهذه الصورة يدل على أنه كان مهتما بشعره ويدل على عدم تأثره — وهو بصرى الثقافة والمولد — بإمام بصرى كالأصمعى ، وتلك إمارة تدل على استقلال الرأى والأصالة .

---

(١) السيرة النبوية ٢٥٢/١ .

(٢) فى مجالس العلماء ٢١٦/ (مجلس رقم ١٠٣) ما يشهد للكميت بأنه عالم باللغــة .

(٧)

المبحث الثـانى

دراسات أحمد بن جعفر الدينورى

أحمد بن جعفر الدينورى : ختن ثعلب ، المتوفى ٢٨٩ هـ ، فى طليعة علماء اللغة فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ، وهو معدود فى الطبقة الثانية من نحاة مصر[١] وصاحب دراسات كثيرة ، كان لبعضها أثر فى الدراسات اللغوية التى أعقبتها .

فهو مؤلف ستة كتب : ثلاثة منها فى اللغة وثلاثة فى النحو ، أما الكتب اللغوية فهى إصلاح المنطق ، ولحن العامة ، وكتاب الهجاء ، أما النحوية فهى ضمائر القرآن ، والمهذب فى النحو ، ووقف التمام .

وهو رائد فى كل هذه الدراسات بالنسبة للعلماء المصريين .

أولا : الدراسات اللغـوية

١ - اصلاح المنطق

من المعروف أن ابن السـكيت (ت ٢٤٤ هـ) قد سبق الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) بكتاب يحمل هذا العنوان ، غير أن تشابه الكتابين فى العنوان لا يعنى أن مادتهما واحدة ، وإن كانا قد عالجا فى جملة ما عالجا موضوعاً مشتركا هو داء اللحن والخطأ فى الكلام المستشرى فى لغة العرب والمستعربة فى عصرها .

وكتاب ابن السكيت مطبوع ... ولـكن كتاب الدينورى مفقود .

وقد احتفظ ابن السيد البطليوسى « بنصين منه فى كتاب الاقتضاب » .

١ — ففى الأول قال[٢] (قال أبو على الدينورى فى كتابه الذى

(١) طبقات الزبيدى /٢٣٤

(٢) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب / ٧

وضعه فى إصلاح المنطق : تقول فلان من آل فلان وآل أبى فلان ولا تقول [١] من الكوفة ، وتقول هو من أهله ولا تقول من آله إلا فى قلة من الكلام) .

وهذا النص يدور حول استعمال لفظه « آل » وأنها لا تضاف إلى الضمائر بل إلى الأسماء الظاهرة ..

ولأبى جعفر النحاس [٢] رأى يحمل هذا المعنى أسبق من نقله إلينا أبو بكر الزبيدى حيث قال فى « لحن العوام » : (ويقولون - يريد عوام الأندلس - اللهم صلى على محمد وآله ، وقد رد ذلك أبو جعفر النحاس ، وزعم أن العرب لا تستعمل إضافة آل إلا إلى المظهر خاصة وأنها لا تضاف إلى مضمر ، والصواب اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وفى الحديث أن بشير بن سعد قال : يا رسول الله إن الله أمرنا أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد [٣] . وبهذا الحديث أيد الزبيدى رأى النحاس ورأيه ، غير أن تعقيبه عليه يحتاج إلى وقفة حيث قال : « وفى هذا الحديث الذى ذكرناه دلالة على ما ذكره أبو جعفر النحاس ، مع أنا لم نره مضافاً إلى مضمر لمن يوثق بعربيته » .

فهذا الرأى الذى زعم فيه الزبيدى أن « آلا » لم ترد مضافة إلى

---

(١) فى الاصل « تتقل » والراجح ما أثبتناه لان لا نافية وليست ناهية بدليل الجملة الثانية المعطوفة « وتقول هو من أهله ولا تقول من آله » .

(٢) شرح القصائد التسع ٧٢٢/٢ (فاذا كنيت لم تقل الا أهله لان الكناية ترد الشىء الى أصله) . ويريد بالكناية : الضمير .

(٣) لحن العوام ١٠٤/ - ١٠٥ .

مضمر فى قول أحد يوثق بعربيته ، غير مسلم به لأن « ابن السيد » قد أورد رأى النحاس هـذا وأشار إلى متابعة الزبيدى له ، لـكنه عده غير صحيح ؛ « لأنه لا قياس له يعضده ولا سماع يؤيده »[1] وفى الشعر الفصيح ما يرده ، ففى الشعر جاء قول خفاف بن ندبة :

أنا الفارس الحامى حقيقة والدى وآلى كما تحمى حقيقة آلـكا

وجاء أيضاً قول : الـكميت بن زيد :

فأبلغ بنى هند بن بكر بن وائل وآل مناة والأقارب آلهـا

مؤيداً لهذه اللغة ، كما ورد ما يؤيدها فى شعر غيرها[2] .

٢ — والنص الآخر ، الذى نقله «ابن السيد» من « إصلاح المنطق » للدينورى بعد أن أورد قول : ابن قتيبة فى أدب الـكتاب ، قال فيه : (وفى هذا الباب سكران ملطخ ، خطأ ، إنما هو « ملتخ » أى : مختلط لايفهم شيئاً لاختلاط عقله[3] قال المفسر (أى ابن السيد) وحكى أبو على الدينورى فى إصلاح المنطق ملتبخ وملطخ) .[4]

ويؤيد ماذهب إليه الدينورى ماحكاه الفراء عن امرأة من بنى أسد أنها قالت فى كلامها : (جاءنا سكران ملتكا فى معنى جاءنا ملتخا ، وهو اليابس من السكر)[5] .

ولعل « كراع النحل » قد اعتمد على رأى « الدينورى » وكتابه

(١) الاقتضاب /٦ ، ٧

(٢) الاقتضاب /٧ ، ٨

(٣) لابد من الاشارة الى أن عبارة (وفى هذا الباب سكران ملطخ خطأ ، أى هو ملتخ أى مختلط لا يفهم شيئاً لاختلاط عقله) هى عبارة ابن قتيبة .

(٥) الاقتضاب /٢٢٠ ـ ٢٢١

(٤) ابن السكيت بالقلب والابدال /٦٥ وأبو الطيب كتاب الابدال

« إصلاح المنطق » حين نقل أن « اللتخ لغة فى اللطخ » . ورجحت أنه نقل من كتاب الدينـورى ولم ينقل من كتب الفراء لأن الأول من أبناء بلده أو معدود فى المصريين على الأقل .

ومن هذه الأمثلة نرى أن اللغويين يختلفون فى تقرير ما كان صواباً أو خطأ فى اللغة فابن قتيبـة رأى أن لفظه « ملطخ » خطأ والصواب ـ فيها ـ « ملتخ » بالتاء فى حين يقرر كل من الفراء وأبى على الدينورى و « كراع » بعدهما ، أن اللفظتين لمعنى واحد .

والظاهر أن هذا النزاع انعكاس لحالة الصراع بين من يؤيدون طبيعة اللغة وقوانينها الصوتية فى التطور وبين من يضعون « المقاييس » التى إن خرجت عنها ألفاظ من اللغة عدوها بعيـدة عن جادة الصواب أو شذوذاً لا يؤبه له .

وإذا ما أردنا أن نضع الأمور فى مكانها الصحيح كان علينا أن نقبل بمنطق التطور اللغوى ، فـكثير من الأصوات يلحقها التعبير نتيجة لذلك . فصوت « الجيم » فى العربية قد لحقته تغييرات صوتية كثيرة تبعاً لبيئة الناطقين له . فهو ينطق فى العراق نطقاً جعله حرفاً شمسياً . وينطق فى مصر مثل حرف « G » بالإنجليزية والألمانية وينطق فى لبنان وتونس كما ينطق حرف « J » بالفرنسية .

بحكم منطق التطور حدثت ظاهرة الابدال بصورة عامة ولا سيا بين التاء والطاء ، موضوع بحثنا ، لاشتراكهما فى المخرج والصفة(١) . كاحدث

---

(١) اللسان « لتخ » ٤/٦٩

(٢) اما مخارجها فتكاد تنحصر بين أول اللسان بما فيه طرفه ، والثنايا العليا بما فيها أصولها . أما الصفة المشتركة بينهما فهى الشدة . (الاصوات اللغوية : ٤٦ ، ٤٨) .

الإبدال بين حروف أخرى تشترك فى هاتين الخاصتين . وتلك سنة من سنن العربية أشار إليها اللغويون القدامى قبل المحدثين . ولم أجد عبارة أكثر وضوحاً وأقـدم دلالة على تلك الظاهرة من عبارة « المبرد » (ت ٢٨٥ هـ) حيث قال فى (الكامل ٢/٢٢٣) : (أن بنى عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيناً لقرب الشين من الـكاف فى المخرج ، وأنها مهموسة مثلها فأرادوا البيان فى الوقف لأن فى الشين تفشياً » فيقولون جعل الله البركة فى دارش . ويحك مالش . والتى يدرجونها يدعونها كافاً والتى يقفون عليها يبدلونها شيناً) .

وكذلك الابدال بين التاء والطاء يجرى فى نطاق هذا القانون الصوتى ففى اللغة العربية « قط وقَتّ » بمعنى واحد[١] . والأقتار لغة فى الأقطار بعض النواحى . وأستيع لغة فى أسطيع[٢] وهكذا .

وكتب اللغة والنحو ضاجة بهذا النزاع الجميل الذى لا نهاية له .

وخير ما يصور جانباً من ذلك كتب لحن العامة وكتب القراءات وكتب معانى القرآن وإعرابه .

فالابدال بين السين والصاد من أوضح المسائل فى القراءات وكذلك إبدال الزاى منهما[٣] .

وهذا النوع من الإبدال ظاهرة لغوية مطردة . فإنه يقال : نشزت المرأة وتشصت وهو النشوز والنشوص . ففى النشوز « جاء قوله تعالى »

---

(١) شرح القصائد التسع ١/١١٣

(٢) المزهر ١/٤٦٤

(٣) كتاب السبعة /١٠٥ الكشف عن وجوه القراءات ١/٣٤ ـ ٣٥ والابانة عن معانى القراءات /٧٣ والبحر المحيط ١/٢٥

واللاتى تخافونَ نُشوزَهُنّ » (سورة النساء آية ٣٤) . وقوله تعالى « وإن امرأةٌ خافتْ مِن بَعْلِها نُشوزا » (النساء آية ١٢٨) وجاء قول جرير[١] :

ألا أصبحتْ عِرْسُ الفرزدق ناشِزاً
ولو رَضِيتْ رمح استه لاستقرتِ

وفى « النشوص » جاء قول الأعشى[٢] :

تقمرها شيخ عشاء فأصبحت
قضاعيةً تأتى الكواهِنَ ناشصا

فإنكار أبى جعفر النحاس قلب الصادر زايا ألا أن تكون الأولى ساكنة[٣] وإنكار أبى على الفارسى لهذا القلب مطلقاً[٤] أمر يخالف منطق اللغة المطرد .

وقال أبو عمرو بن العلاء[٥] : (أزفلان فلاناً أزا وأسه أسا إذا حركه وهو الأز والأس ، وذلك أن يحرك حميته حتى يغضبه) . ويقال للصقر : الزقر والسقر[٦] ومن الإبدال بين الزاى والسين قول أبى ذؤيب :

أكل الجميمَ ، وطاوَعَتْهُ سَمْحَجٌ
مثلُ القناة وأزعلته الأمرع

(١) أبو الطيب اللغوى : كتاب الابدال ١٢٤/٢

(٢) ابن السكيت القلب والابدال /٤٤ ، ٤٥ وكتاب الابدال ٢٥/٢ ، واللسان « نشص » ٣٦٦/٨

(٣) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب

(٤) الحجة فى القراءات السبع ٣٧/١ (الجزء المطبوع) .

(٥) الابدال ١١٣/٢

(٦) اللسان (سقر) ٣٧/٦

حيث يروى بالوجهين: أزعلته وأسعلته: أنشطته، والزعل: النشاط[٢].

ويُروى بيت «الراعى»:

وَعَمْلَى نَصِيٍّ بالمتان كأنّها
ثعالبُ موتَى جلدها قدْ «تَسَلّعَا»

وكذلك يروى: تزلعا: أى تشقق.

وقد لاحظ اللغويون أن «بنى كلب» يقلبون السين مع القاف خاصة، زايا. يقولون فى «مس سقر» (القمر: ٤٨) «زقر»[٢]:

وإبدال الزاى من الصاد إنما يفعله «بنو كلب» أيضاً[٣].

فالمسألة لا تعدو أن تكون ظاهرة لغوية مطردة، وليست من باب الخطأ والصواب فيما يظهر.

٣ ــ كتاب لحن العامة:

ويذكر «ابن السيد» كتابا آخر للدينورى اسمه[٤] «لحن العامة» غير أن كتب التراجم لا تذكره فى ترجمته. وهذا لا يعنى نفى نسبته إليه. فعدم الذكر فيها قد حصل لغير كتبه مع ثبوت نسبة تلك الكتب إلى أصحابها فى غير كتب التراجم.

فكتاب «أبنية سيبويه» لثعلب، لم يذكر فى مصادر ترجمته

---

(١) القلب والابدال: ٤٣ والابدال ٢/١١٠ ــ ١١١ (والبيت فى وصف حمار الوحش. والجميم هو الحشيش. والسمحج، الاتان طويلة الظهر، والمريع الخصيب والجمع: الافرع).

(٢) القلب والابدال /٤٣ والابدال ٢/١١١ والجمهرة «غلم» ٣/١٤٩ واللسان «غمل» ١٤/١٩ (وغمل النبت: اذا ركب بعضه بعضا حتى يسود ويعفن).

(٣) ابن عصفور: الممتع فى التصريف /٤١٥.

(٤) الاقتضاب /٢٠٧

الكثيرة ، وقد ذكره البغدادى[١] .

وكتاب « وقف التمام » للدينورى لم تذكره كتب التراجم ، ولكن النحاس ذكره فى « القطع والائتناف[٢] » .

وكتاب اللامات للنحاس ، لم تذكره مصادر ترجمته على كثرتها غير أن (ابن الجزرى) ذكره استطراداً فى ترجمته[٣] «عمر بن محمد بن عراك» « ت ٣٨٨ هـ » .

فكتب التراجم ليست هى المصدر الوحيد لتوثيق نسبة الكتب إلى أصحابها .

وكتب التراجم غالباً ما ينقل بعضها عن بعض ، فإذا أهمل واحد من المتقدمين كتاباً تبعه الباقون ، وقلما يستدركون عليه ، وكتاب لحن العامة للدينورى واحد من تلك الكتب المهملة .

وقد أورد أستاذنا الفاضل الدكتور رمضان عبد التواب احتمال أن يكون كتاب لحن العامة وإصلاح المنطق للدينورى كتاباً واحداً ، حيث قال « ولعل كتاب لحن العامة للدينورى وكتاب إصلاح المنطق له شىء واحد[٤] » .

وربما دفعه إلى ذلك ما لاحظه من تشابه فى نصوص الكتابين وهذا لا يكفى فإن أبا جعفر النحاس - مثلا ناقش فى كل من كتابيه القطع والائتناف وإعراب القرآن مواد متشابهة بل موضوعاً واحداً هو

---

(١) خزانة الادب ١/١٧٦

(٢) القطع والائتناف ، لوحة ٢ : ب

(٣) طبقات القراء ١/٥٩٧

(٤) لحن العامة والتطور اللغوى /١٦٦

« العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض[١] ومع ذلك فلم يقل أحد إنهما كتاب واحد ، والتشابه جاء من ناحيتين : الأولى أن الموضوع واحد ، والأخرى أن المؤلف واحد ويكفى فى نسبته إلى الدينوى أن يكون « ابن السيد البطليوسى » قد سماه « لحن العامة » ونسبه إليه[٢] ونقل منه نصاً كبيراً حيث قال : وقال أبو على الدينورى فى كتاب لحن العامة : الجنازة بكسر الجيم : السرير الذى يحمل عليه الميت ، ولا يقال للميت جنازة . وروى السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابى أنه قال : الجنازة النعش إذا كان عليه الميت ولا يقال له - دون ميت - جنازة . كذا رواه بكسر الجيم[٣] . وقال صاحب كتاب العين : الجنازة بفتح الجيم : الإنسان الميت . والشىء الذى ثقل على القوم واغتموا به جنازة ، وأنشد قول « صخر » :

وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ، ومن يغتر بالحدثان

قال : وأما الجنازة مكسور الصدر فهو خشب الشرجع[٤] . قال : وينكرون قول من يقول : الجنازة الميت ، وإذا مات الإنسان فإن

---

(١) ينظر القطع والائتناف لوحة ١٢٤ واعراب القرآن لوحة ٤٤ فى الحديث عن قوله تعالى : واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام (النساء آية ١) .

(٢) الاقتضاب /٢٠٧ ونقل هذه المعانى صاحب اللسان (جنز) ١٨٩/٧ .

(٣) هذا رأى ابن كيسان وأبى جعفر النحاس . ينظر شرح القصائد التسع /٣٠٨ .

(٤) الشرجع : السرير يحمل عليه الميت ، والشرجع الجنازة . ينظر اللسان (شرجع) ١٤٥/١٠

العرب تقول : رمى فى جنازته فمات . وقد جرى فى أفواه الناس : الجنازة بفتح الجيم والنحارير ينكرونه » .

ويلاحظ على أبى على الدينورى ما لوحظ على أكثر من كتب فى لحن العامة من إنكار قسم من اللغات الفصيحة مثل جنازة بفتح الجيم بمعنى الإنسان الميت ، فقد رواها الخليل بن أحمد الفراهيدى فى « العين » وناهيك بإمامة الخليل فى اللغة .

وتبقى ملاحظتنا صحيحة حين ندرس الكتابين « إصلاح المنطق » ولحن العامة » ضمن الإطار العام لحركة تنقية اللغة التى تبناها اللغويون لاسيما المؤلفون فى لحن العامة .

وإذا كان المقصود بكلمة اللحن « مخالفة العربية الفصحى فى الأصوات أوفى الصيغ أوفى تركيب الجملة وحركات الإعراب أوفى دلالة الألفاظ »[١] فإن كثيراً من اللغويين تجاوزوا ذلك فمنعوا بعض الصيغ الواردة فى العربية ولحنوها ، فضيقوا من مجال العربية الواسع الرحب .

فالأصمعى رد صيغة « أبرق » لأنها وردت فى بيت للكميت ، وبالرغم من أن أباحاتم قال له : أخبرنا أبو زيد عن العرب أنه سمعها من الفصحاء فإن الأصمعى أبى قبول تلك اللغة[٢] . وقد وردت فى شعر ابن أحمر وشعر ذى الرمة أيضاً[٣] .

وقد أنكر الأصمعى دخول الألف واللام على بعض وكل غيره أن

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوى /٩ .
(٢) مجالس العلماء /١٤١ والموشح /٣٠٢ واللسان « برق » ١١/٢٩٥ .
(٣) اللسان (برق : ١١/٢٩٥) ، وردت هذه اللغة فى شعر مهلهل ـ الاغانى ٥/٥٧) .

الأزهرى قال[١] : (النحويون أجازوا الألف واللام فى بعض وكل وإن أباه الأصمعى) .

وكلنا يعرف إنكار الأصمعى للفظة « زوجة » مع ورودها فى شعر الفرزدق . وعلى الرغم من موقف الأصمعى من شعر الفرزدق فإنها لغة تميم وهم يقولون زوجة المرأة . وأهل الحجاز يضعون المذكر والمؤنث لفظاً واحداً . تقول المرأة هذا زوجى ويقول الرجل هذه زوجى[٢] . وبهذه اللغة جاء التنزيل العزيز[٣] .

وقد احتج الأصمعى بلغة التنزيل فقيل له : « نعم كذلك قال الله تعالى فهل قال عز وجل لا يقال زوجة ! وكانت من الأصمعى فى هذا شدة وعسر[٤] .

ولعل أباء الأصمعى قبول الحقيقة حيث تستبين له هو الذى دفع ابن الاعرابى « محمد بن زياد ت ٢٣٠ هـ » إلى أن يقول : « سمعت من ألف أعرابى خلاف ما قاله الأصمعى »[٥] مغالبة له ومكايدة .

وغير خاف أن « الألف » يراد بها الكثرة . ولا يراد بها تحديد العدد .

وليس الأصمعى منفرداً فى رد ماتكلم به الفصحاء بل شاركه فى ذلك سائر من ألف فى لحن العامة ، ولحن الخاصة إلا قليلا منهم بل انزلق بعض العلماء إلى تلحين القراء وهذا اتجاه خطير .

---

(١) اللسان (بعض ٨/٣٨٨) .
(٢) اللسان (زوج ٣/١١٦) .
(٣) اللسان (زوج ٣/١١٧) .
(٤) معجم الادباء ١٨/١٩٠
(٥) القطع والائتناف لوحة ، ٢٤٣ : ب

ولذلك وقف كثير من النحاة ضد هذه البادرة الخطيرة التى تجاوزت حدود المعقول[١] .

وحق بعد ذلك المستشرق الألمانى « برجشتراسر » أن يقول : (والذى منع علماء الشرق – مع بذل الجهد العجيب فى درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات – عن الاعتناء الكافى بالكشف عن تطور اللغة ، بعد الإسلام ، سببان مرتبطان أحدهما بالآخر، أولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز فى اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات . وهذا وإن كان واجباً نافعاً فى اللغة فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون فى الحقيقة ، لا عما كان ينبغى أن يكون والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فإن نسى هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها جازته وغفلت عن تعليمه . فيتسع إذا الشق الحاجز بين اللغة الحية وما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك فى تاريخ اللغة العربية . والسبب الثانى : اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد فى الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمى[٢]) .

مكانة الدنيورى فى تاريخ حركة تنقية اللغة :

وقد بقيت لدينا نقطة مهمة جداً ، هى أهمية كتابى الدينورى فى « إصلاح المنطق » و « لحن العامة » فى ميدان حركة تنقية اللغة فى مصر .

والحقيقة الماثلة أمامنا أن محاولة الدينورى اللغوية هذه هى أول محاولة فى الديار المصرية فى ميدان تنقية اللغة من اللحن والخطأ الفاشى

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب والبحر المحيط ٤/٢٢٩ .

(٢) برجشتراسر : التطور النحوى للغة العربية ١٧/ (ط القاهرة ١٩٢٩ م) .

بين العامة والخاصة بين العرب والمستعربين فى الديار المصرية . وهى بذلك محاولة رائدة . .

أما ما يراه أحد الباحثين المحدثين ، وهو يتكلم عن افتقار مصر إلى تلك الدراسات ، فيقول : « ويبرز من بين المحاولات التى بذلت لتسجيل بعض جوانب التطور اللغوى نوعان من البحوث : أولها كتب اللحن والخطأ والمولّد والتصحيف والتحريف ، وثانيهما : كتب المعرب والدخيل وكتب اللحن — وما لف لفها — عبارة عن رسائل صغيرة ألفت على مر العصور وفى مختلف الأصقاع التى تتكلم العربية بقصد علاج داء استشرى فى لغه العرب ، وهو داء اللحن والخطأ فى الكلام ، وقد بدأ التأليف فى عصر مبكر جداً ، وربما منذ القرن الثانى الهجرى ، وشهدت بداية القرن الثالث طائفة كبيرة من كتب هذا النوع ، ويدخل فى هذا الباب ، تلك الفصول التى اشتملت عليها كتب مثل : إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والغريب المصنف لأبى عبيد ، والتى تعالج مظاهر التغييرات التى حدثت فى بعض الكلمات ، سواء من ناحية اللفظ أو من ناحية الدلالة ، أما كتب المعرب والدخيل فمن أشهرها كتاب الجواليقى . . . . . ولكننا مع الأسف لا نظفر بشىء ذى بال فى أى من هذين المجالين إبان فترتنا المبكرة »[1] ، فهو قول يتجاهل محاولة الدينورى هذه ، ومحاولته الأخرى فى (كتاب الهجاء) مع أنه أشار إلى الدينورى ، ضمن أسماء اللغويين والنحاة المصريين قبل كلامه السابق بصفحات[2] .

---

(١) د. أحمد عمر مختار — تاريخ اللغة العربية فى مصر / ٧٣ — ٧٤

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر /٦٢

وقد ظن بعض المحققين(١) أن أبا القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربى ، قد هذب (إصلاح المنطق) للدينورى ختن ثعلب ، معتمداً على عبارة وردت فى كشف الظنون ، إلا أن الذى ذكره صاحب الكشف(٢) وهو تهذيب إصلاح المنطق لأبى حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢ هـ) معاصر أبى على الدينورى ، وقد أخطأ صاحب الكشف أيضاً لأن الوزير المغربى هذب إصلاح المنطق لابن السكيت وليس اصلاح أى من الدينوريين — ومن تهذيب إصلاح المنطق للوزير المغربى (ت ٤١٨هـ) نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم ٧٦٢٧ أدب فى ١٠٤ ورقة(٣)

٣ ـ كتاب الهجاء :

معنى الهجاء : أصل معنى الهجاء (رسم خط المصحف من الزيادة والحذف والهمز والبدل والفصل والوصل ، وما فيه قراءتان فكتب على إحداها(٤).

وفى هذا المفهوم ورد الخبر عن عبيد الله بن عمير الليثى حين دخل على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقال : جئتك لأسأل عن آية فى القرآن . فقالت : أى آية هى ؟ فقال : « الذين يأتون ما أتوا »(٥) « ويؤتون ما آتوا » ؟ فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتون ما أتوا ولكن الهجاء حرف(٦).

---

(١) أبو الفضل ابراهيم : هامش أنباه الرواة ١/٣٣

(٢) كشف الظنون ١/١٠٨ وتنظر ترجمة الوزير المغربى فى معجم الادباء ١٠/٧٩

(٣) ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٢٤٣ لغة .

(٤) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٢/٣٧٢ (نشر دار الكتب الحديثة ١٩٦٨) .

(٥) سورة المؤمنون آية : ٦٠ (٦) المحتسب ٢/٩٥ (باختصار) .

وله قوانين ورسوم حرص المسلمون على الالتزام بها وكرهوا تجاوزها أول الأمر، لأن الغاية من هذه القوانين كانت :

حفظ المصاحف الكريمة عن مخالفة المصحف الإمام [١]. ولأن الأصل فيه هو خط المصاحف العثمانية التي أجمع الصحابة عليها [٢].

وقد تضافرت الروايات على أن أول من نقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي غير أنه جعل الحركات والتنوين نقطاً.

وأخذ عنه يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم الليثي، ويحتمل أنهما أول من نقط المصاحف للناس بالبصرة [٣]. بناء على نهج أبي الأسود نفسه [٤] ....

ثم حدثت الخطوة الأخرى التي دفعت منهج الكتابة القرآنية بخاصة والعربية بعامة ..... إلى الأمام .... على يد الرجل الفذ : الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد جعل الهمز والشدات، وهي قضايا تؤثر تأثيراً مباشراً على صحة النطق، وتتصل اتصالا مباشراً بالخط (الهجاء).

وقد وقف قسم من العلماء موقف المعارض لأي نهج مبتدع جديد، فمنعوا كتابة المصحف بالخط الذي أحدثه الخليل . . . . . فهذا إمام دار الهجرة : مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) يسأل : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس في الهجاء؟ فيجيب قائلا : (لا)، إلا على الكتبة الأولى [٥]، ولكنه أجاز ذلك في المصاحف التي يتعلم بها الصبيان [٦].

(١) مفتاح السعادة ٢/٣٧٢.
(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٨.
(٣، ٤) الداني : المحكم في نقط المصاحف /٦.
(٥) المحكم في نقط المصاحف /٩.
(٦) المحكم في نقط المصاحف /١١، واتحاف فضلاء البشر /٦.

والغريب أن الإمام الدانى (ت ٤٤٤ هـ) ، وهو المؤلف في رسم المصاحف وفى الوقف والابتداء والقراءات وصاحب الكتب الجليلة يقف هذا الموقف ويؤكد المنع بقوله : « وترك استعمال الشكل الذى اخترعه الخليل فى المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق ، اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين واتباعاً للأئمة السالفين » [١] .

وهو موقف بعيد عن الصواب فإن فريقاً من أفذاذ العلماء المقرئين أمثال عبد الرحمن بن أبى ليلى [٢] (ت ٨٣ هـ) . والحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) . ومحمد بن سيرين [٣] (ت ١١٠ هـ) والكسائى (ت ١٨٩هـ) ، أجازوا الكتابة بالخط المحدث واستحسنوه لأنه تنوير للقرآن [٤] أى توضيح لما غمض من حروفه المتشابهة وأشكاله التى يقع فيها التصحيف والتحريف عادة ، وبذلك يزول الإبهام الذى يقع فى الحروف ولا سيما المتشابهة ، وهنا تسقط حجة المانعين الذين ظنوا أن النقط والشكل ذريعتا التحريف والتغيير ، وهما وسيلتان للضبط والإتقان وتركهما يوقع فيما خاف منه المتمسكون بالمنع .

ولا شك فى أن انتصار الخطوة التى خطاها الخليل بن أحمد ، انتصار لمنهج الأقوم فى كتابة المصحف : أقدس ما عند هذه الأمة وأغلاه وأبعده أثراً فى حياتها ...

ومع تطور الهجاء ورسمه توسع مجاله فانتقل من اقتصاره على خط المصحف إلى ميدان أوسع وأشمل فاكتسب مفهوم أصول الكتابة وقواعد

---

(١) المحكم فى نقط المصاحف /١١ .

(٢) ترجمة القراء ١/٣٧٧

(٣) ترجمته فى طبقات القراء ٢/١٥٢ .

(٤) المحكم في نقط المصاحف /١٢ ـ ١٣ .

الخط وأصول كتابة الهمزة والفصل والوصل ، وما يكتب بلام واحدة ولامين وحذف الألف وإثباتها ، وما يكتب بالياء والألف من الأسماء والأفعال إلى غير ذلك ، وذلك ابتداء من القرن الثانى الهجرى عندما ألف الخليل كتابه المعلل فى النقط والشكل . ولما كانت شهرة الخليل ومؤلفاته واكتشافاته — فى اللغة والعروض — قد مهدت له الولوج إلى عالم العربية من أوسع الأبواب ، فقد تأثر به الكثيرون وتابعوه ، منهم أبو محمد يحى بن المبارك اليزيدى (١) (ت ٢٠٢ هـ) ، وابنه (٢) إبراهيم ابن يحى (ت ٢٢٥ هـ) ، وابنه الآخر (٣) عبد الله بن يحى (ت ٢٣٧هـ) وأبو إسحاق (٤) إبراهيم بن سفيان الزيادى (ت ٢٤٩ هـ) وأبو حاتم (٥) السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) .

ويبدو أن ملاحظة الدانى ، التى تقول إن البصريين هم رواد هذا الفن صحيحة ، وترتب على ذلك أن تبعهم فى أصول هذا الفن سائر من ألف فيه من كوفيين وأندلسيين حتى أهل المدينة (٦) .

ولكن تطور هذا الفن بهذه الصورة لا يعنى أنه انفصل تماماً عن ميدان القراءات والخط القرآنى ، فإن الموضوعات التى عالجها كتاب الهجاء للدينورى هى نفسها موجودة فى كتب هجاء المصاحف . كما أن كتب اللغة حفلت ـ فيما بعد ـ بمواد كتب الهجاء ، وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى ، من خير الشواهد على هذا وكل هذا من تأثير كتب هجاء المصاحف .

(١) المحكم فى نقط المصاحف /٩ ومعرفة القراء الكبار ١/١٢٥ .
(٢) الفهرست /٥٨ ومعجم الادباء ٢/٩٨
(٣) الفهرست / ٣٥ والمحكم فى نقط المصاحف /٩
(٤) الفهرست /٣٥ ومعجم الادباء ١/١٦١ وأنباه الرواة ١/١٦٧ .
(٥) الفهرست /٣٥ والمحكم فى نقط المصاحف .
(٦) المحكم فى نقط المصاحف /١٧

موضوعات كتاب الهجاء :

إن معرفتنا بكتاب الهجاء للدينورى محددة بالنصوص التى اقتبسها صاحب (تثقيف اللسان) منه .

ويمكن تصنيف موضوعاتها إلى ما يأتى :

أولاً — ما يتعلق بالهمزة :

موضوع الهمزة من الموضوعات المهمة جداً ، وقد عالجه القراء قبل غيرهم ، كما عالجته كتب النحو واللغة ، وهو ما اهتم به كتاب الهجاء للدينورى أيضاً .. ..

ولدينا خمسة نصوص باقية من كتاب الدينورى فيما يتعلق بالهمزة :

١ — الأول يعالج كتابة الهمزة (أو هجاءها) إذا كانت متحركة وهى عين الكلمة ، وفى ذلك يقول الدينورى [١] : « إن كانت الهمزة عيناً متحركة وما قبلها متحرك ، كتبتها بالحرف الذى هو من جنس حركتها فإن كانت مضمومة كتبتها واواً ، نحو : رؤف ، ولؤم الرجل .

وإن كانت مفتوحة كتبتها ألفاً ، نحو : سأل ، وزأر الأسد ، وإن كانت مكسورة كتبتها ياء ، نحو : سئم ، ورئم ، وكذلك إن كان ما قبلها مضموماً ، نحو : سئل ، قال الدينورى [٢] أما رأى [٣] وحدها فإنه تكتب بالألف لئلا يجتمع ياءان » ..

٢ — الثانى : يعالج كتابة الهمزة المتحركة وهى لام الكلمة ، مثل = وضوء ، وقرأ ، وجرأ ، قال الدينورى [٤] اتفقوا فى مثل قولهم : « أنت

(١ ، ٢) تثقيف اللسان /٣٠٧ ورئم بمعنى ألف ..

(٣) وهذا الرأى غريب ، ولم يتابع عليه .

(٤) أى تكتب الهمزة مفردة هكذا (تقرءين) ..

يا هند توضؤين من الوضاءة وتجرئين من الجرءة ، على كتابته بواو وياء ، لا اختلاف فيه ، إنه لم يجتمع فيه واوان ولا ياءان . فأما مثل : أنت تخطئين ، وتقرئين ، وتبيادين ، إحداهما الهمزة ، والأخرى ياء التأنيث .

هذا مذهب أهل البصرة . والكسائى والفراء يكتبانه بياء واحدة[١] .

وإذا أضفت الممدود والمقصور والمهموز إلى نفسك ، نحو : كساى ورداى ومتوضاى ، ومخباى ، كتبت جميع ذلك بألف وبعدها ياء الإضافة[٢] لا غير ، لئلا تجتمع ضرورتان ، حذفوا الهمزة فى الممدود ، وأبدلوا منها فى المقصور ألفاً .

٣ — والنص الثالث يعالج كتابة الهمزة وهى ساكنة فى حالتى : الفصل والوصل .

(ا) حالة الفصل : أما فى حالة الفصل فيعالج الدينورى كتابة الهمزة بقوله[٣] : فإن كانت الهمزة ساكنة تبعت حركة ما قبلها فتكتب فأس بالألف وبئر بالياء ولؤم بالواو ، وكذلك فى الجميع ايتوا صفا ، وايذنوا ، وكذلك إذا كان قبله « ثم » كقولك ايذنوا ثم ايتوا صفا[٤] ، تكتبه بالياء أيضا على لفظ الابتداء لانفصال ثم منه . فإن كان قبله واو ، أو فاء لم تثبت الياء ، فتكتب فات واذن عليه لاتصال الواو والفاء بالحرف فكأنهما منه . وتكتب ايجل من زيد وما أشبه ذلك بالياء لأن الواو تنقلب ياء لانكسار ما قبلها .

---

(١) أى تكتب الهمزة مفردة هكذا (تقرءين) .

(٢) ولكن القياس أن يقول : كسائى ، وردائى ، ومتوضئى ، ومخبئى

(٣) تثقيف اللسان /٣٠٧

(٤) فى هجاء القرآن الكريم ما يخالف قاعدة الدينورى : قال تعالى : فاجمعوا أمركم ثم ائتوا صفا (سورة طه ٦٤) .

(ب) فى حال الوصل : أما فى حال الوصل فقد عالج كتابة الهمزة بقوله[1] : « فإذا وصلت كلامك وكان ما قبلها مفتوحاً أو مضموماً فإنه يكون فى اللفظ واواً ، وكتابه بالياء كقولك : قلت له : ايجل من ربك ، وقلت له ايجل لفلان ، وقلت لها : ايجلى» .

غير أنه ورد فى هجاء المصاحف ما يخالف القاعدة التى بسطها الدينورى ، فقد كتبت الهمزة على الياء فى « ثم ائتوا صفا »[2] بالرغم من مجيئها بعد « ثم » وبالرغم من أن العبارتين واحدة .

٤ — والنص الرابع يعالج رسم الهمزة وهو يدور مع الحركات الإعرابية الثلاث متصلة بالمغير أو منفصلة عنه .

(ا) فى حالة الانفصال : فنى حالة الانفصال تكتب على الألف فى حالة النصب ، وعلى الياء فى حالة الخفض وعلى الواو فى حالة الرفع ، قال الدينورى فى ذلك : « قد أثبت بعضهم فى الرفع واواً وفى النصب ألفاً وفى الخفض ياء فيكتب هذا نشؤ صدق ، ورأيت نشأ صدق ، ومررت بنشىء صدق »[3] .

(ب) حالة اتصالها بالضمير . وفى حالة اتصالها بالضمير تكتب كما كتبت فى حالة الانفصال . وفى ذلك يقول : « فإن اتصل بها مضمر بعدها أثبت لها فى الخط صورة ، لأنها حينئذ متوسطة ، فتكتب واواً فى الرفع ، وألفاً فى النصب وياء فى الخفض ، تقول هذا جزؤك ، ورأيت جزأك ، وعجبت من جزئك .

٥ — والنص الخامس يعالج إلحاق الهمزة ألفاً .

---

(٥) تثقيف اللسان ٣٠٨/٨

(١) سورة طه آية ٦٤

(٣،٢) تثقيف اللسان / ٣٠٦

(ا) إذا كانت الهمزة متطرفة ، وفى حالة النصب ، منونة ، فتلحق بها ألفاً عوضاً عن التنوين .

(ب) أما إذا ألحقت الهمزة مفتوحة فإنما تكتب على الألف (إلا أن تكون قبل هاء التأنيث ياء أو واو ، فإن الألف تحذف) .

قال الدينورى(٣) : « إذا كان الحرف منصوباً منوناً نحو قولك قرأت جزءاً تلحقه الألف المعوضة من التنوين ، وكذلك إذا ألحقته هاء التأنيث يفتح ما قبلها ، فتكتب المرأة والنشأة الأولى بالألف وإذا كان قبل هاء التأنيث ياء أو واو أو ألف فإنك تحذفها فتكتب الهيئة والسوءة والباءة » .

ثانيا : ما يتصل بالمقطوع والموصول :

وتحدث الدينورى عن الموصول والمقطوع ، من الأدوات التى تكتب متصلة وهى فى الأصل مكونة من كلمتين ، وما يترك فيه الوصل منها فتبقى منفصلة ، مثل ، مِن من ، وعن من وكى لا ، وكى ما .

١ ـ قال الدينورى : « كتب بعض الكتاب (ممن) بالإدغام والقياس الانفصال وكتبوا (عن من) على الانفصال وتكتب كيما موصولة وكى لا مقطوعة » (١) .

٢ ـ وقال : « كتبوا إلا تقم أقم وإن لم تقم أقم بالإدغام والإظهار ، والاختيار الإظهار ، وتكتب لئن فعلت كذا لأفعلن كذا بالياء » (٢) يعنى : متصلة .

---

(١) تثقيف اللسان /٣١٤
(٢) تثقيف اللسان /٣١٥

٣ — وتحدث الدينورى عن أدوات أخرى من هذا النوع الذى مر، فقال: « وقد كتبوا (كيلا) موصولا ومقطوعاً، والاختيار القطع كما كان الاختيار فى (كيما) وكذلك (هلا) فى الوصل »[1].

ومن هـذه النصوص نستطيع أن نستشف سبباً من أسباب اختلاف اللغويين فى كتابة هذه الأدوات موصولة أو مقطوعة وهـذا السبب هو اختلاف كتابتها فى المصحف، مرة موصولة وأخرى مقطوعة. كيف لا.. والقرآن أساس تلك الدراسات جميعاً والدافع الأول إليها ...... ؟

ثالثا: ما يكتب بالالف والياء:

وتحدث الدينورى عما يكتب بألف أصلها ياء أو واو، وعما يكتب بالياء وأصل ألفه واو، من الأسماء والأفعال.

فعندما نقل ابن مكى الصقلى[2] قول على بن محمد بن منصور الأهوازى: « كان القدماء من النحويين يكتبون كل ما كانت فى آخره ألف مقصورة بالألف على اللفظ حتى أخرج المحدثون هذا الطريق الذى عليه الكتاب اليوم »، اتبعه بقول الدينورى: « وكذلك الفعل المستقبل، تجريه مجرى الماضى، فتكتب (يسعى) بالياء، لأنك تقول: سعيت .. وتكتب (صفا) بالألف، لأنك تقول صفوت، وصفوك مع فلان، أى ميلك، إلا أن يكون الفعل لما لم يسم فاعله[3] فإنك تكتبه بالياء على كل حال، وإن كان أصله الواو، نحو: يغزى، ويدعى، لأن ماضيه قد عاد إلى الياء فى قولك غزى ودعى، إلا أن يكون قبل آخره ياء، وهو مما لم يسم فاعله

---

(١) تثقيف اللسان / ٣١٤

(٢) تثقيف اللسان / ٣٠٤

(٣) ما لم يسم فاعله: المبنى للمجهول.

تكتبه بالألف كراهة اجتماع ياءين نحو قولك : يحيا زيد بأمره ، ويعيا به ،
ويحيا حيـــاة طيبة . وكذلك الأسماء فى هذا بمنزلة الأفعال ، تكتب
الحيا ، الذى هو المطر ، بالألف وإن كان من ذوات الياء كراهة اجتماع
ياءين ، كما كرهوا اجتماع ألفين ، فكتبوا ذوات الواو بالياء نحو : شأى
زيد عمراً أى سبقه ، وهو من شأوت ، وكذلك بأى عليهم يبأى ، إذا
تكبر ، فكتب بالياء وهو من بأوت » .

قال الدينورى : « لأنهم كرهوا أن يجمعوا بين صوتين . وهذا
قول الـــكسائى والفراء ، وأما أهل البصرة فيكتبونه بالألف على
القياس » .

رابعا : حذف الالف واثباتها :

وهذا الموضوع من مباحث كتب هجاء المصاحف ، وقد تناول فيه
منهج الكتاب فى رسم ما كان فيه ألف فحذفوها منه ، وما كان فيه ألف
فأثبتوها قائلا : « وقد حذفوا من شيطان وشياطين الألف ، لأنها لا تلابس
شيئاً ، ولم يحذفوا من (مساكين) لأنه يشبه مساكين . وتكتب (السلم
عليكم) و (عبد السلم) بغير ألف وإذا كتبت الملائكة ، فإن شئت أثبت
ألفها وإن شئت حذفتها ، وكذلك ثلاثة وثلاثون وثمانية وثلاثون ، أثبت
بعضهم ، وحذف بعضهم إذا أضيفت إلى المعدود كقولك : (ثلثة دراهم
وثمنية دراهم) فأما إذا لم تضف إلى معدود فلابد من إثبات الألف ،
فتقول : عندى ثلاثة وعندى ثمانية » .

وقد لاحظ « ابن مكى الصقلى » أن الدينورى قد فصل القول فى هذا
ولم يفصل غيره فى الكتاب .

ونلاحظ أن ابن قتيبة يخالف الدينورى فى حذف الألف من شيطان

قائلا : « أما دهقان وشيطان فقد أجمعوا على إثبات الألف فيهما في حال التنكير والتعريف »[١] ، وهذا هو الرأى .

حذف الالف من هذا وأخواتها :

وتحدث عن ألف (هذا وأخواتها) فقال : « أما هذا وهذه وهذان وهؤلاء فقد استعملوا إسقاط الألف منها لما كثرت صحبتها مع (ذا) ، جعلوها معها حرفا واحداً . وكذلك هي مع المكنى في كثرة الصحبة ، تقول : (هأنذا وهأنت ذا وهأنتم) ، تكتب بألف واحدة لأنها مع المكنى كالحرف الواحد والساقط ألف أنت بدليل (ها نحن) ، هذا قول الفراء وهو الصحيح »[٢] .

خامسا : اثبات اللام والالف :

(أ) اثبات اللام :

والنص الذى تحدث فيه الدينورى عن إثبات اللام هو أكمل النصوص المنقولة في كتاب «تثقيف اللسان» ، فهو يبسط القاعدة ثم يذكر الاختلاف في كتابته علماء اللغة ، ثم يبين الصواب فيه ، ويعلل الأسباب .

١ — يقول الدينورى[٣] : « وكل حرف في أوله لام فإنك إذا أدخلت عليه لام التعريف كتبته بلامين ، نحو اسم الله تعالى ، واللحن ، واللحم ، واللبن ، واللجام ، إلا الذي والتي فإنهم كتبوها بلام واحدة ، لكثرة الاستعمال وأدخلوا اللام في تثنية الذى فكتبوا اللذان واللذين ، بلامين للفرق بين التثنية والجمع ، لأنهم كتبوا « الذين » في الجمع بلام واحدة كما

---

(١) أدب الكاتب /١٩٢ وتثقيف اللسان /٣١٠

(٢) تثقيف اللسان /٣١١

(٣) تثقيف اللسان /٣١٢

كتبوا الواحد . فأما اللتان واللتين واللتي فبلام واحدة ، لأنه لا يلتبس تثنيته بجمعه ، وقد كتب قوم « اللتان واللتين » بلامين لتجرى تثنية المذكر والمؤنث مجرى واحداً ، وهذا هو الصحيح ، ألا ترى أنهم كتبوا « اللذان » بلامين فى الرفع لئلا يختلف الحكم فى الرفع والنصب والخفض ، ولو كتبوه بلام واحدة لكان لا يلتبس بالجمع كما يلتبس « اللذين » .

٢ — وزعم الدينورى ـ وهذا لفظ ابن مكى ـ أن بعض الكتاب قد استعمل حذف إحدى اللامين من (اللهو) و (اللعب) تشبيهاً (بالذى) وعاب ذلك عليهم . ثم قال : « والصواب أن تكتب جميع ذلك بلامين إلا الذى والتى والذين » (١) .

(ب) اثبات الالف فى (بنة) :

قال أبو جعفر الدينورى : « وإنما لم تحذف الألف مع « ابنة » كما حذفت مع المذكر ، لأنه لم يكثر استعمالهم المؤنث كما كثر للمذكر » .

هذه هى كل النصوص التى نقلها لنا « ابن مكى الصقلى » (ت ٥٠١ هـ) من كتاب الهجاء للدينورى ، ولولا « ابن مكى » لما عرفنا شيئاً عن كتاب الدينورى هذا سوى اسمه .

ثانيا : الدراسات النحوية

١ ـ ضمائر القرآن :

هـــذا الكتاب يدخل فى باب الدراسات النحوية ، وهو مفقود ولا نعرف عنه سوى ملاحظة أبداها « الزبيدى » حيث قال : (وللدينورى مختصر فى ضمائر القرآن استخرجه من كتاب معانى القرآن للفراء » (٢) .

(١) تثقيف اللسان /٣١٢
(٢) طبقات الزبيدى /٢٣٤

وتابعه على ذلك كل من « ياقوت » و « القفطى » [1] .

ولكن هذه الملاحظة تبدو — فى ضوء معانى الفراء نفسه — بعيدة عن الصواب ، لأن كتاب الفراء هذا لا يحفل بمثل هذا الحقل من الدراسة .

٢ - المهذب فى النحو :

وهو مفقود أيضاً . وقد بين كل من الزبيدى والقفطى وغيرهما ، أن الدينورى بسط فى هذا الكتاب أوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين [2] .

ويظهر أن الدينورى كان له علم تام بتلك الأوجه ولا غرابة ، إذ قرأ على إمامى المدرستين فى عصرهما : المبرد وثعلب .

وإذا ما بحثنا عن تاريخ التأليف فى كتب الخلاف النحوى بين المدرستين وجدنا أن كتاب المهذب من أوائل الكتب فى الموضوع ، وإن كان ثعلب قد ألف فى اختلاف النحويين كتاباً [3] ، وهو معاصر للدينورى ، فإن هذا يجعلنا نتوقف فى الحكم للسابق منهما ، ما دامت القرينة القاطعة غير متوفرة . وإذا كان سنة وفاة [4] الدينورى (٢٨٩ هـ) قد سبقت سنة وفاة ثعلب (٢٩١ هـ) فإن هذا السبق الضئيل ليس قرينة فاصلة لسبب بسيط هو أن ثعلباً عاش عمراً طويلا امتد ٩١ سنة (من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٢٩١ هـ) [5] .

---

(١) معجم الادباء ٢/٢٤٠ وأنباه الرواة ١/٣٤
(٢) طبقات الزبيدى /٢٣٤ ومعجم الادباء ٢/٢٣٩ وأنباه الرواة ١/٣٣
(٣) معجم الادباء ٥/١٤٣ والبغية ١/٣٩٧
(٤) طبقات الزبيدى /٢٣٤ وأنباه الرواة ١/٣٤
(٥) معجم الادباء ٥/١٠٣ والبغية ١/٣٩٧

ومن يدرى فلعله سبق الدينورى إلى التأليف فى موضوع الخلاف بين المدرستين ؟

وسواء كان الدينورى سابقاً أم ثعلب فإن « المهذب » أول كتاب مصرى يؤلف فى المقارنة بين المدرستين ، وتبعه أبو جعفر النحاس فى كتابه « المقنع » .

وقد أكدت المصادر التى تحدثت عن « المهذب » أنه انتصر للبصريين [١] وكتاب ثعلب لا بد أن يكون قد انتصر للكوفيين دون ريب .

وتلك النزعة البصرية عند الدينورى سبقت تأليفه الكتاب المذكور ، فهو منذ عهد التلمذة كان يتخطى حلقة ختنه (ثعلب) بعد أن يخرج من بيته ليقرأ كتاب سيبويه على المبرد . فكان ثعلب يعاتبه على ذلك ويقول : « إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه فماذا يقولون » ؟ فلم يلتفت الدينوري إلى قوله .

منهج الكتاب ومحتواه :

الملاحظات التى ذكرها الزبيدى [٢] وتبعه فى ذلك ياقوت [٣] وغيره هى أقدم الملاحظات التى وصلت إلينا عن الكتاب ، بل هى الملاحظات الوحيدة وهى تحدد منهج الكتاب ، ومحتوياته ، إجمالا . ولهذا فهى مهمة جداً . قال الزبيدى : « وألف كتاب المهذب فى النحو وكتب فى صدره اختلاف البصريين والكوفيين ، وعزا كل مسألة إلى صاحبها ، ولم يمتل

(١) طبقات الزبيدى /٢٣٤ ومعجم الادباء ٢/١٤٠ وانباه الرواة ١/٣٤
(٢،١) طبقات الزبيدى /٢٣٤ ومعجم الادباء ٢/٤٠

لواحد منهم ولا احتج لمقالته . فلما أمعن فى الكتاب ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين » .

فالكتاب مكون من قسمين :

الصدر : وذكر فيه اختلاف البصريين والكوفيين .

العجز : وذكر فيه مذهب البصريين فى كل مسألة من مسائل النحو التى عالجها .

أما عن حديث المنهج فإنه :

١ — نسب كل رأى لصاحبه .

٢ — لم يناقش رأياً .

٣ — سرد المسائل سرداً دون تعليل .

والملاحظ أن الزبيدى كان يشكك فى أصالة الدينورى . فهو يرى أنه عول — فى القسم الثانى من الكتاب : العجز — على كتاب الأخفش سعيد[١] . غير أننا لا نستطيع أن نتبين صدق هذه الدعوى لأن الكتابين مفقودان .

٣ ـ كتاب وقف التمام :

مفهوم الوقف :

الوقف معناه قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة ، بنية استئناف القراءة بما يلى الحرف الموقوف عليه أو بما قبله[٢] .

أنواع الوقوف

وتتعدد أحكام الوقف بين : تام ، وكاف ، وحسن ، وقبيح .... تبعاً

(١) طبقات الزبيدى /٢٣٤.

(٢) النشر فى القراءات العشر ١/٢٤٠.

لكل نوع ، ويتصل كل واحد منها بأحكام ومعايير نحوية للصلة الوثيقة بين النحو والوقوف .

ولذلك سنتحدث عن أنواع الوقف .... ثم عن الصلة بين النحو ووقف التمام .

١ — الوقف التام : هو الذى يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق به شىء مما بعده ، وذلك عند تمام القصص ، وأكثر ما يكون موجوداً فى الفواصل ورءوس الآى ، كقوله تعالى: «أولئك هم المفلحون»(١) والابتداء بقوله :« إن الذين كفروا »(٢) . وكذلك «بكل شىء عليم »(٣) والابتداء بقوله : « وإذ قال ربك للملائكة»(٤) . وقد يوجد قبل انقضاء الفاصلة ، كقوله تعالى : « وجعلوا أعزة أهلها أذلة »(٥) . هذا هو التمام ، لأنه انقضاء كلام « بلقيس »(٦) .. ثم قال تعالى : « وكذلك يفعلون » . وكذلك : « لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى »(٧) ، هذا هو التمام أيضاً ، لأنه انقضاء كلام الظالم .. ثم قال تعالى: « وكان الشيطان للإنسان خذولا » ، وما أشبه ذلك .

٢ ـ **الوقف الكافى** : هو الذى يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، غير أن الذى بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ ، وذلك نحو الوقف على

(١) سورة البقرة آية ٥
(٢) سورة البقرة آية ٦
(٣) سورة البقرة آية ٢٩
(٤) سورة البقرة آية ٣٠
(٥ ، ٦) والآية ٣٤ من سورة «النمل» توضح السياق (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ٠ وكذلك يفعلون) ٠
(٧) سورة الفرقان آية ٢٩

قوله : « حرمت عليكم أمهاتكم » (١) ، والابتداء بما بعده ، وذلك فى الآيات كلها .

وكذلك الوقف على قوله : « ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم » (٢) ، والابتداء بما بعدذلك إلى قوله : « أو أشتاتاً » وكذلك الوقف على قوله « اليوم أحل لكم الطيبات » (٣) ، وكذلك القطع على الفواصل فى سور : الجن ، والمدثر ، والتكوير ، والانفطار ، والانشقاق . وما أشبههن والابتداء بما بعدهن . لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض فما بعده متعلق بما قبله فالقطع عليه كاف .

٣ ـ الوقف الحسن :

أما الوقف الحسن فهو الذى يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً وذلك نحو : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . من سورة الفاتحة وشبهه .

لكن الابتداء بقوله : « رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » لا يحسن ، لأن ذلك مجرور . والابتداء بالمجرور قبيح . لأنه تابع لما قبله .

٤ ـ الوقف القبيح : أما الوقف القبيح فهو الذى لا يعرف المراد منه نحو الوقف على « بسم » و « مالك » ، والابتداء بقوله « الله » ... و « يوم الدين » ، لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أى شىء أضيف . ويسمى هذا وقف الضرورة ، لأنه لا يجوز إلا فى تلك الحال .

---

(١) سورة النساء آية ٢٣

(٢) سورة النور آية ٦١

(٣) سورة المـائدة آية ٥

(٤) الدانى : المكتفى فى الوقف والابتداء ورقه ٧ : ب ـ ٩ : ب

كتاب وقف التمام وعلم النحو

يتصل مفهوم « وقف التمام » بمعانى الجمل وإعراب الكلمة كما يتصل بالمعانى العامة .

ونعطى مثالا واحداً يوضح هذه الصلة ، وهو من كتاب « القطع والائتناف » (أى الوقف والابتداء) ، للنحاس ، لأنه الكتاب الوحيد من بين كتب الوقف والابتداء الذى نقل قسما من آراء « الدينورى » فى هذا الموضوع ، مع مناقشتها ، وهذا يعطى قيمة خاصة لكتاب الدينورى .

قال النحاس — وهو يتحدث عن القطع والائتناف فى سورة الفاتحة :

« المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد ، والقطع على « بسم الله » جائز ، إلا أن الائتناف بما بعده لا ينبغى لأنه نعت ، وكذا الوقف على « الرحمن » ، والتمام(١) : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا تقف على «الحمد» لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على « لله » جائز إلا أنه لا ينبغى أن يفعل ذلك ، لأن قوله : «رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين» نعت . وهذا هو التمام . ولا تقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد ، ولا على «نعبد» لأن ما بعده معطوف عليه ، والتمام «نستعين ». ولا تقف على « اهدنا » لأن الصراط منصوب به ، ولا على « الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن ما بعده بدل . ولا على «الذين» لأن ما بعده من صلته . ولا على «عليهم» لأن « غير » بدل من الذين أو نعت . . . . والتمام ، ولا الضالين » (٢) .

---

(١) التمام : يعنى وقف التمام .

(٢) القطع والائتناف ، لوحة ١١ ب - ١٢ : أ (باختصار) .

هذا مثال يوضح لنا وضوحاً كاملا صلة علم النحو بعلم وقوف القرآن، كتاب الوقف والابتداء لأبى بكر الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ.) ، وكتاب القطع والائتناف للنحاس : هما من أكبر الشواهد على قيام تلك الصلة ..

أما صلة علم وقوف القرآن بعلم القراءات فهى صلة متينة ما دامت الأئمة مبنية على تصميم نحوى معين وعلى قراءة مخصوصة .

وإن أى اختلاف أو اتفاق بين قارئين على وقف معين مبنى على خلفية سابقة من اختلاف أو اتفاق فى حرف معين من أحرف القرآن الكريم .

وفى النص الآتى تتضح هذه القضية . قال النحاس : « روى عن علقمة أنه كان يقرأ كل شىء فى سورة « الجن » من أنا وأنه بنصب الألف . وهذه قراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش وحمزة والكسائى ، إلا ما كان بعد القول فإنهم يكسرون فيه الهمزة . وكذا روى أبو عمرو عن عاصم . وأما « نافع » فكان يكسر الهمزة فى جميع السورة إلا فى ثلاثة مواضع هى : «قل أوحى إلى أنه» (آية : ١) ، وكذا «وأن لو استقاموا» (الآية : ١٦) ، وكذا : « وأن المساجد لله » (الآية : ١٨) .. وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع بكسر الهمزة منها كلها إلا فى سبعة مواضع ، منها الثلاثة التى قرأ بها « نافع » ، والأربعة : « وأنه تعالى جد ربنا » (الآية : ٣) ، وكذا : « وأنه كان يقول سفيهنا » (الآية : ١٤) ، وكذا : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه» (الآية : ١٩) ، وكذا « وأنه كان رجال من الإنس» (الآية : ٦) . وروى أبو بكر بن عياش عن «عاصم» مثل قراءة « نافع» وقراءة « الحسن وأبى عمرو » مثل قراءة « نافع » إلا « وأنه لما قام عبد الله » . فأما قراءة « حمزة » فأكثر النحويين يذهب إلى أنه لا تجوز القراءة بها لأن المعنى على خلاف قراءته ، وتأولوا أنه إنما فتح « إنا وإنه »،

لأنه معطوف على : « قد أوحى إلى » ، فقالوا : لا يصح المعنى لأنه جعل كلام الجن معطوفاً على ما أوحى إلى النبي ﷺ (١) » .

لكن النحاس لا يرضى برد هذه القراءة ، بل هي صحيحة عنده ؛ ولهذا يعقب على الرد بقوله : « هذا طعن على ما روته جماعة . ومن قرأ به أئمة يقتدى بهم منهم : علقمة ويحيى بن وثاب . وقال من خالفهم : «القراءة جائزة» وليس الأمر كما ذهب إليه . ولكن التقدير (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وآمنا أنه تعالى جد ربنا) فعلى هذا التقدير يصلح الوقوف على « ولن نشرك بربنا أحدا » ـ (الآية : ٢) ثم يصلح الوقف على رءوس الآيات إلى « ماء غدقا » (الآية : ١٦) فإنه لا يصلح الوقوف عليه لأنه بعده لام كى ، وعلى قراءة نافع إن قدرت المعنى وإنه أى يكون معطوفاً على «إنا سمعنا قرآنا عجبا» لم يصلح الوقوف على رءوس الآى وإن قدرته على إضمار : (وقالوا) فالقول فيه كما مر فى قراءة حمزة ومن تابعه ، وكذا على قراءة الحسن وأبى عمرو ، والتمام : «لنفتنهم فيه» (الآية : ١٧) . وكذا : « عذاباً صعدا » (الآية : ١٧) وليس « وأن المساجد لله » معطوفاً على ماقبله ، والتقدير عند الخليل وسيبويه : « ولأن المساجد لله» . ثم القطع على الآيات كاف ، إلا « ملتحدا » فإنه ليس بقطع كاف والتمام « ورسالاته » (الآية : ٢٣) وكذا : « خالدين فيها أبدا » (الآية : ٢٣) « هذا وأقل عدداً » (الآية : ٢٤) و « أم يجعل له ربى أمداً » — (الآية : ٢٥) كاف ، وإن جعلت التقدير هو عالم الغيب والشهادة فليس « فلا يظهر على غيبه أحدا » (الآية : ٢٦) بقطع كاف والتمام آخر السورة » .

---

(١) القطع والائتناف لوحة : ١٤٣ ، أ ـ ب .

وآخر السورة قوله تعالى : « إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا » (الآيتان : ٢٧ — ٢٨) .

وإنما لم يجز أن يوقف وقفاً تاما على « فلا يظهر على غيبه أحدا » إلا بتتمة الآيتين (٢٧ ، ٢٨) لأن بداية الآية (٢٧) استثناء من الآية (٢٦) . ولا يجوز الوقف على المستثنى منه دون المستثنى .. كما أن الآية (٢٨) آخر آية فى السورة مبدوءة بلام كى .. .. ولا يجوز الوقف على الآية (٢٧) ؛ لأن لام كى تعليل لما قبلها ....

إذاً فاتصال علم (وقف القرآن) بعلم القراءات اتصال وثيق وتام ، ولا يمكن فصلهما .

وما دامت القراءات أم النحو وعموده الفقرى فاتصال علم وقوف القرآن بالنحو اتصال طبيعى ، ولذلك فإنه (لا يقوم بالتمام إلا نحوى عالم بالقراءة عالم باللغة التى أنزل بها القرآن ، على حد تعبير (ابن مجاهد) [١] . وآية ذلك اهتمام النحاة التقليديين أمثال : الأخفش سعيد (ت ٢١٥ هـ) ، وأبى حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٥ هـ) وأحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٧٩ هـ) ، بهذا العلم . فقد ألف كل واحد منهم كتاباً فيه [٢] .

كتاب وقف التمام من خلال القطع والائتناف :

(النحاس) قليل النقل من هذا الكتاب بالنسبة لما نقله من غيره .

فهو يذكر كتاب (التمام) لنافع بن أبى نعيم أكثر من (١٦٠ مرة) اقتباساً يشتمل على كل سور القرآن (عدا سورتى الفاتحة والدخان) .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١١٧ : ب .

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٢ : ب .

أما اقتباساته من كتاب (الدينورى) فهى قليلة جداً ونسبتها إلى اقتباساته من كتاب « نافع » هى (١ : ١٠) تقريباً ولا تشتمل إلا على ١٣ سورة من مجموع ١١٤ سورة تشكل كل القرآن .

ومن أمثلة اقتباسات (النحاس) من كتاب « الدينورى » :

١ — فى الحديث عن وقف التمام على الآية الكريمة « إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ... »(١) قال النحاس: (كان محمد بن جرير يذهب إلى أن التمام « لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم » ، ويتأول قول أهل التأويل إن المرسلين لا يخافون إلا أن يذنبوا فإذا أذنبوا خافوا العقوبة . وقال أحمد بن جعفر :

«إنى لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء» (تمّ). والمعنى : « ولا من ظلم » .

ويعقب النحاس على رأى الدينورى قائلا : (وإلا بمعنى الواو لا يعرف ولا يصح ، وفيه بطلان المعنى)(٢).

٢ — وفى الحديث عن (الوقوف) فى سورة الحجر ، يورد الآيات ٩ — ١٣ :(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين) .

ثم يذكر أقوال العلماء فى ذلك فيقول :(والتمام عن نافع « لا يؤمنون به » . وكذلك قال أحمد بن جعفر)(٣).

---

(١) سورة النمل آية ١٠

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٦٥ : أ ــ ب

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب

٣ — وعند تحديد موقع التمام فى الآية الكريمة « وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب) (١) ، يورد آراء مجموعة كبيرة من العلماء لأن الآية مشكلة ، فيقول : (حكى أشهب عن مالك بن أنس أنه قال : « ما يعلم تأويله إلا الله» ثم ابتدأ « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به» ولا يعلمون تأويله . أى أن موقع التمام (إلا الله) ثم يتابع النحاس قوله (وقال بهذا ثلاثة من القراء : نافع ويعقوب والكسائى . وقال بهذا من النحويين : الأخفش سعيد والفراء . وممن قال به أبو إسحاق — أى : الزجاج — والحسن بن كيسان وأحمد بن جعفر »(٢) .

ومن خلال هذه الاقتباسات يمكن أن نبين منهج (وقف التمام) للدينورى .... وقيمة الكتاب :

(أ) **منهجه** : أنه يعتمد على تعيين مواضع وقف التمام فى القرآن دون تعليل أو شرح إلا نادراً .

وأنه كثير المتابعة للإمام « نافع » وهى ظاهرة يمكن أن يتلمسها كل من قرأ كتاب (القطع والائتناف) (٣) .

(ب) **قيمة الكتاب وأهميته** : أما قيمة الكتاب فتكمن فى أنه يمثل موقف الدينورى من هذا الحقل المهم من الدراسات النحوية المتصلة بالقرآن . ويوضح أثر القراء فى بناء الكيان النحوى للدراسات المصرية فى القرن الثالث الهجرى... لأننا نعلم أن أول كتاب نقل إلى مصر هو (وقف التمام) لنافع ، فكتاب الدينورى أول مؤلف من نوعه فى مصر .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧

(٢) القطع والائتناف لوحة ٤٧ : أ

(٣) القطع والائتناف لوحات : ١٦٣ : ب ، ١٦٤ : ب ، ١٧٠ : ب

المبحث الثالث

دراسات أبى موسى الضرير

كان عبد الله المكنى أبا موسى والملقب بالضرير من النحاة الذين سكنوا فترة من حياتهم فى بغداد . ولما اشتهر بعلمه اتخذه الخليفة العباسى المهتدى (خلافته من ٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ) مؤدباً لأولاده . ثم سكن مصر ، وتتلمذ للدينورى(١) .

ولكن أبا موسى النحوى لم يكتف ، فيما بعد بممارسة هوايته النحوية بل كان له نشاط آخر فى اللغة ، فقد ألف فيها كتابين هما : (كتاب الفرق)، وكتاب (الكتابة والكتاب(٢)) .

١ ـ كتاب الفرق :

لقد تنوعت اهتمامات اللغويين : جامعى اللغة ـ فمنهم من جمع ما يتعلق بغريب القرآن ، ومنهم من جمع ما يتعلق بغريب الحديث ومنهم من جمع ما يتعلق بالحيوان كالخيل . ومنهم من جمع الفروق اللغوية .

وأول كتاب ظهر فى الفروق اللغوية هو كتاب : (ما خالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء الوحوش وصفاتها) ، لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ثم كتاب (الفرق) للأصمعى (ت ٢١٦ هـ) .

والكتابان متقاربان من حيث المادة اللغوية فى كل منهما ، وإن كان الخلاف بينهما فى العنوان . . .

ومن الموازنة بين أوائل المؤلفات فى الموضوعات اللغوية المختلفة يظهر أن الفروق اللغوية ظهرت متأخرة نسبياً . وذلك أمر طبيعى ،

(١،٢) البغية ٢/٤٩

فالمعقول أن المادة اللغوية تفسح المجال أمام العلماء ليوازنوا بين الكلمات ويجدوا الفروق اللغوية .

وقد تناولت كتب « الفرق » ما يغاير فيه المذكر المؤنث فى الصفات والأسماء ، وتناولت الفروق بين الألفاظ التى قد يقترب معنى بعضها عن بعض فى الظاهر ، ولكن يوجد بينها اختلاف ، مثل : « اللب والعقل » و « الصب والسكب » و « المدح والثناء[١] » .

وتناولت الكلمات التى تطلق على عضو واحد ينتمى إلى حيوانات مختلفة . كالرجل من الإنسان ، والحافر من الفرس ، والخف من البعير والظلف من الشاة والبقر[٢] .

ولكن كتاب الفرق لأبى موسى الضرير . . مفقود . .

فهل يمكن عده مثل كتاب الأصمعى ؟

الظاهر أنه يمكن ذلك . فكتب الأصمعى نالت شهرة كبيرة فغير بعيد أن يتأثر بها مثل أبى موسى .

وقد سبق أبا موسى ـ غير الأصمعى وقطرب ـ أبو عبيدة[٣] معمر ابن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، وأبو زيد الأنصارى[٤] (ت ٢١٥ هـ) ، وأبو زياد يزيد بن عبدالملك الكلابى[٥] (ت ٢١٥ هـ) ، ثم ثابت بن أبى ثابت[٦] (من

---

(١) أبو هلال العسكرى : الفروق اللغوية /١٣ ، ٣٧٠ .
(٢) الاصمعى : كتاب الفرق /٨
(٣) الفهرست /٥٤ ومعجم الادباء ١٩/١٦١ .
(٤) معجم الادباء ١١/٢١٦
(٥) الفهرست /٤٤
(٦) الفهرست /٦٩ ومعجم الادباء ٧/١٤١ .

علماء القرن الثالث) ويعقوب ابن السكيت[١] (ت ٢٤٤ هـ) ثم أبو حاتم السجستانى[٢] (ت ٢٥٥ هـ) .

ثم يأتى دور صاحبنا أبى موسى الضرير الملقب بالنحوى ولهذا لا يمكن أن نتوقع الذيوع والشهرة لكتابه وقد سبقه إلى معالجة الموضوع هؤلاء الأعلام ، وهم أشهر منه ، وأرسخ قدماً فى علوم اللغة .

وهكذا ما حدث . . . فإن كتب الفروق التى نالت الشهرة وانتقلت إلى الأندلس هى كتب الأصمعى وابن السكيت وثابت بن أبى ثابت[٣] . مع أن صلة الأندلس بمصر كانت صلة وثيقة منذ عهد مبكر ، وظلت مستمرة مدة طويلة امتدت عدة قرون[٤] .

ولكن القيمة الوحيدة لهذا الكتاب هى أنه أول بادرة من نوعها فى موضوع ذى طابع لغوى . . . عند أهل مصر . . .

٢ ـ كتاب الكتابة والكتاب :

نشطت الكتابة فى هذا الموضوع ـ منذ القرن الثالث الهجرى ـ تلبية لحاجتين :

أولاهما : حاجة الدواوين الرسمية إلى الكتاب المثقفين المتخصصين فى الكتابة وآية ذلك أن قسما من كتاب الدواوين قد عالجوا مثل هذه الموضوعات مثل : أحمد بن محمد بن ثوابة[٥] الكاتب (ت ٢٧٣ هـ) فى

---

(١) الفهرست /٧٣ وفهرسة ابن خير /٣٨٢ .

(٢) أنباه الرواة ٦٢/٢

(٣) فهرسة ابن خير /٣٧٥ ، ٣٨٢ .

(٤) طبقات الزبيدى /٢٣٤ ، وتاريخ علماء الاندلس ٢٩/٢ ، ٦٧ ونفح الطيب ٤١٩/٢

(٥) معجم الادباء ١٤٦/٤ (وترجمته فى المرجع السابق وابن الابار فى اعتاب الكتاب : ١٦٧) .

كتابه (الكتابة والخط) وأبى بكر الصولى (ت ٣٢٥ هـ) فى كتابه المشهور (أدب الكتاب) .

وآخرهما : حاجة اللغويين والنحاة إلى تقويم اليد ووضع منهج فنى للكتابة تفاديا لوقوع اللحن والخطأ .

فقد شكا أبو جعفر النحاس فى كتابه (صناعة الكتاب) من وقوع الخطأ على أيدى كتاب مشهورين أمثال : عبد الله بن سليمان ، وأحمد ابن إسرائيل مع تقدمهما فى الكتابة[1] .

ومما يدل على حاجة اللغويين والنحاة إلى مثل هذه الكتب ، أنها تحتوى على موضوعات لها طابع يقصد منه تفادى الخطأ فى الخط والهجاء ، تحتوى على موضوعات تتصل بكتابة الهمزة بأوضاعها المختلفة . وعلى ما تثبت فيه الألف أو تحذف ، وما يكتب بلام واحد أو بلامين من الأسماء[2] ولهذا نقل « ابن مكى الصقلى » فى (تثقيف اللسان) من (أدب الكاتب) لابن قتيبة فى المكان الذى نقل فيه من كتاب الهجاء الدينورى[3] .

وعالجت هذه الكتب موضوعات نحوية يحتاج إليها الكاتب فى خطاباته ورسائله المختلفة مثل (أما بعد) وأحكامها[4] وإعراب العدد[5] وهذه الأمور كثيرة الدوران فى تلك الكتب . وكل كاتب لا بد أن يستعملها . . .

---

(١) صبح الاعشى ١/١٧٩ (نقلا عن النحاس) .
(٢) أدب الكاتب /٢١٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، وأدب الكتاب /٢١ ، ٢٨
(٣) تثقيف اللسان /٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٦
(٤) صبح الاعشى ٦/٢٣١
(٥) ابن درستويه : كتاب الكتاب /٨٤ ـ ٨٥

وبناء على هذا يكون كتاب (الكتابة والكتاب) لأبى موسى النحوى قد عالج مثل هذه الأمور المهمة أو بعضها على الأقل ، ليسد حاجة المجتمع المصرى فى عصره إليها . . . أكثر من حاجة المجتمعات الإسلامية فى العراق والشام مثلا . . . لأن حركة التعريب فى مصر تأخرت عن بقية أخواتها لأسباب كثيرة ليس هذا المكان مجالا لبسطها وتوضيحها[1] .

وقد شكا أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) فى أوائل القرن الرابع من حركة قوية فى مصر ضد تعلم النحو[2] وبالغ فى تبيين فضل اللغة العربية على سائر اللغات[3] . ولم يكن ليفعل ذلك لولا وجود تيار معاكس لحركة التعريب ولتعلم اللغة العربية .

ولعل كتاب أبى موسى عبد الله بن عبد العزيز النحوى : كتاب الكتابة والكتاب قد سد حاجة من حاجات قادة التعريب فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ويعد كتابه رائداً فى موضوعه بالنسبة للدراسات اللغوية فى مصر . . .

المبحث الرابع

دراسات محمد بن ولاد التميمى

محمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) عماد من أعمدة الطبقة الثانية من نحاة مصر . وقد جعله الزبيدى قريناً للدينورى ويموت بن المزرع[4] .

ودراساته ، ذات أهمية خاصة فى بحثنا ، لأسباب كثيرة :

---

(١) ينظر د. شكرى فيصل : المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول الهجرى ، ففيه كثير من التفاصيل وهو يعد رائدا فى موضوعه .
(٢،٣) القلقشندى : صبح الأعشى ١/١٧١ .
(٤) طبقات الزبيدى /٢٣٦

أولا : أنه أول من نقل كتاب سيبويه وشرحه (بمصر) . وهذا ليس غريباً ، فهو من أهل البصرة ، وكان أهلها إبان عصره يتفاخرون بكتبهم ولا سيما كتاب سيبويه . وهو الذى حمله إلى مصر وكان يقرؤه على تلاميذه وشرح جزءاً منه وعلى وجه التحديد إعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : (هذا باب علم ما الكلم من العربية)(١) . . . وقد انتسخ الكتاب من أصل المبرد . . وذلك أصل جليل لعلو قدر صاحبه وتفضيل العلماء له(٢) وكان يقرئه أبناءه . وقد أبقاه لهم . وهو خير تراث . . .

وصار عند أبى القاسم عبد الله بن محمد بن ولاد(٣) . ومما يزيد فى قيمة هذه النسخة من كتاب سيبويه أن محمد بن ولاد موصوف بأنه (حسن الخط صالح الضبط)(٤) .

ولما كانت هذه النسخة مضبوطة جيدة الضبط حسنة الخط . . فقد كتب لها الخلود . . . . وانتقلت إلى الأندلس . . ورواها الرياحى محمد ابن يحيى بن عبد السلام (ب ٣٥٨ هـ) عن محمد بن ولاد . . وروايته مثبتة فى مقدمة كتاب سيبويه المخطوط(٥) .

ثانيـا : أنه رائد فى تأليف موضوعات معينة فى اللغة والنحو . . . وهى

---

(١) النحاس : رسالة فى اعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : (هذا باب علم ما الكلم من العربية) .

(٢) طبقات الزبيدى / ٢٣٦

(٣) طبقات الزبيدى / ٢٣٩ ويذكر القفطى انها انتقلت الى ابنه أحمد ابن محمد بن ولاد (أنباه الرواة ٣/ ٢٢٤) وليس فى الامر خلاف جذرى فقد يكون أحدهما نقل من الآخر .

(٤) طبقات الزبيدى / ٢٣٦

(٥) كتاب سيبويه (مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم : ٢٣٠٢ / قائمة السعودية الاخيرة) .

من مصادر المؤلفات التى قام بها رجال الطبقة الثالثة . أمثال ابنه أحمد بن محمد بن ولاد وأبى جعفر النحاس ...

فقد ألف (محمد بن ولاد) كتاباً فى المقصور والممدود وألف ابنه (أحمد) كتاباً فيه، لا يزال موجوداً . ولا بد أنه قد استفاد من جهود أبيه كما استفاد من نسخته لكتاب سيبويه .

ومما يؤسف له أن كتاب (المقصور والممدود)[1] لمحمد بن ولاد قد ضاع ، مع بقية كتبه .

وألف فى (وقف التمام) كتاباً ذكره النحاس فى مقدمة كتابه (القطع والائتناف) .. ولكن يبدو أن هذا الكتاب ليس تاماً . ويؤخذ ذلك من عبارة النحاس حيث قال : « ولمحمد بن وليد شىء ، كان قد عمله فى التمام »[2] غير أن النحاس لم ينقل من هذا الكتاب شيئاً خلافاً لما فعله مع المؤلفات الأخرى المماثلة له فى الموضوع . وبذلك فاتنا منه علم ، أقل ما فيه فكرة عامة عن الكتاب .

وألف ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ كتاباً فى النحو سماه (المنمق) ولم يلق قبولا لدى النحاة (لأنه لم يصنع فيه شيئاً)[3] . فهو كتاب ... ولكنه لا غناء فيه .

ولمحمد بن ولاد رسالة فى النحو هى فى إعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : « هذا باب علم ما الكلم من العربية » وقد ذكرها النحاس

---

(١) معجم الادباء ١٩/١٠٦

(٢) القطع والائتناف ـ لوحة ٢ : ب (والوليد هو ولاد ـ ينظر معجم الادباء ١٩/١٠٥ وانباه الرواة ٣/٢٢٤) .

(٣) طبقات الزبيدى /١٣٦ ومعجم الادباء ١٩/١٠٦

فى رسالته التى تناولت الموضوع نفسه ونقل منها[1] وصرح بأن أستاذه محمداً أملاها عليهم فى مجلس العلم[2].

المبحث الخامس

دراسات الاخفش الصغير

ورد على بن سليمان الأخفش مصر سنة ٢٨٧ هـ ، وظل يدرس فيها إلى سنة ثلاثمائة للهجرة ، حسب رواية الزبيدى[3] . فكان مقامه فيها ثلاث عشرة سنة وأشهر — ويتابعه على هذا كل من (ياقوت)[4] . و (السيوطى)[5] .

غير أن (ابن خلكان)[6] يروى أنه بقى إلى سنة ٣٠٦ هـ ، ولكننا لا نسلم بهذه الرواية .

ورواية الزبيدى أرجح لأنها أقدم من رواية ابن خلكان ، كما أنها ترتبط بحادثة تاريخية مشهورة هى خروج الأخفش مع على بن أحمد بن بسطام إلى حلب ، وأنها مفصلة بالسنوات والأشهر .

والأخفش الصغير من علماء العربية الكبار ، وله نشاط فى التأليف يقسم قسمين[7] :

(١، ٢) النحاس : اعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : (هذا باب علم ما الكلم من العربية) . وسيأتى الحديث عنها .

(٣) طبقات الزبيدى / ١٢٥

(٤) معجم الادباء ٢٥٦/١٣

(٥) البغية ١٦٨/٢

(٦) وفيات الاعيان ٤٦٢/٢

(٧) تنظر كتب القسمين فى المصادر الاتية : الفهرست ٨٣ ومعجم الادباء ٢٤٨/١٣ وأنباه الرواة ٢٧٦/٢ ووفيات الاعيان ٤٦٢/٢ والبغية ١٦٧/٢

أولا – الدراسات اللغوية :

١ – كتاب الانواء :

كان لارتياد العرب المفاوز والصحارى بالرحلات شتاء وصيفاً وليلاً ونهاراً أثر وأى أثر فى اهتمامهم بالأنواء والأزمنة ، فقد (عرفوا الآثار فى الأرض والرمل وعرفوا الأنواء ، ونجوم الاهتداء ، لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس ، حيث لا أمارة ولا هادى مع حاجته إلى بُعد الشقة مضطر إلى التماس ماينجيه ويؤديه ، ولحاجته إلى الغيث وفراره مع الجدب وضنه بالحياة ، اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث ، ولأنه فى كل حال يرى السماء وما يجرى بها من الكواكب ويرى التعاقب بينها وبين النجوم الثوابت فيها وما يسير منها فارداً وما يكون منها راجعاً ومستقيما)[١] .

وإذا كان معنى النوء (سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق)[٢] فإن كتب الأنواء قد تخطت حدود هذا التعريف الضيقة وتجاوزتها . وكتاب الأنواء لابن قتيبة – وهو من نوادر ما بقى من هذه الكتب — يؤيد ما ذهبنا إليه — فقد أخبر فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم : مطالعها ومساقطها وصفاتها ، وصدرها وأسماء منازل القمر منها ، وأنوائها ، وفرق بين يمانيها وشاميها ، والأزمنة وفصولها ، والأمطار وأوقاتها ، واختلاف أسمائها فى الفصول وأوقات التبدى لتتبع مساقط الغيث وارتياد الكلأ ، وأوقات حضور المياه ، وما أودعته العرب أسجاعها فى طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث

---

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ٦/ ٣٠

(٢) ابن قتيبة : كتاب الانواء /٦

عند طلوعه ، وعن الرياح وأفعالها ، وتحديد مهابها ، وأوقات بوارحها . [وعن الفلك والقطب والمجرة والنجوم الخنس والشمس والقمر ، ودرارى الكواكب ومشاهيرها ، والاهتداء بها وعن السحاب ومخايله : ماطره ومخلفه ، والبروق ، خلبها وصادقها وأمارات خصب الزمان وجدوبه...[1] إلى غير ذلك .

وقد مرت معرفة الأنواء — منذ العصر الجاهلى حتى عصر تدوين اللغة — بثلاث مراحل :

١ — فقد كان أول الأمر يقتصر على معرفة أوقات المطر ومنازل النجوم والقمر ، ليهتدوا بها فى أسفارهم وفى ظلمات البر والبحر .

٢ — ثم جاء الإسلام فزاد مقصداً آخر ، هو معرفة القبلة وأوقات الصلاة ، والصوم والحج ، ومعرفة الفجر والشفق ...... وطلوع الشمس وزوالها وغروبها وطلوع الهلال والسحر ..... وغيرها ، وآية ذلك أن القرآن أكثر من ذكرها تدليلا على قدرة الله الذى سخر كل هذا لعباده ، فهو الذى يستحق العبادة . . . . فقال تعالى : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره »[2]

٣ — والمرحلة الثالثة هى مرحلة التدوين اللغوى إبان النهضة العباسية وقد شملت اللغة والعلوم والفنون ...

فقد اهتم اللغويين من جانبهم بالأنواء والأزمنة ، فجمعوا ما يتعلق بالأنواء والأزمنة من ألفاظ وتسميات وما قيل فى النجوم والرياح والأمطار من أشعار وأسجاع بالإضافة إلى ما استفادوه من تجارب الأمم الأخرى

(١) كتاب الانواء ١/١ .

(٢) سورة النحل آية ١٢ .

التى دخلت فى الإسلام ، تمشياً مع المبدأ الإسلامى القائل : (الحكمة ضالة المؤمن : أنى وجدها فهو أحق الناس بها) .

وأول من نسب إليه كتاب فى الانواء هو « مؤرج[١] السدوسى » (المتوفى ١٩٥ هـ) .

وبعده ألف قطرب (ت ٢٠٦ هـ) كتابه (الأنواء)[٢] وهو ذو نشاط لغوى ملحوظ ، وبعض المصادر تضيف إليه كتاب (الأزمنة)[٣] ، ولعلهما كتاب واحد .

فإن نظرة واحدة إلى المؤلفات فى الأنواء ، ترينا أن (الأزمنة والأنواء) تقترن فى عنوان واحد[٤] أو يقتصر العنوان على إحدى الكلمتين ليدل على الأخرى .

وقد ألف ابن كناسة : محمد بن عبد الله (١٢٣ — ٢٠٧) ، معاصر قطرب ، كتاباً فى الأنواء أيضاً[٥] والمؤلف لغوى معروف وشاعر مشهور[٦] .

وألف معاصرهما « النضر بن شميل » المتوفى (٢٠٤ هـ) كتاباً فى الأنواء بالإضافة إلى كتبه الكثيرة فى اللغة[٧] .

---

(١) الفهرست /٤٨ وتاريخ بغداد ٢٥٨/١٣ وانباه الرواة ٣٣٠/٣
(٢) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ٢٢٠/٣
(٣) نزهة الالباء /٩٢
(٤) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ٢٥١/٣
(٥) الفهرست /٨١ وانباه الرواة ١٦١/٣ ، وقد نشر صديقى الدكتور محمد قاسم مصطفى ما تبقى من الكتاب فى مجلة آداب الرافدين العدد السادس، حزيران ١٩٧٥ (ص ٢٨٧ ـ ٣٤٠) .
(٦) الاغانى ١٠٥/١٢ ـ ١١٠
(٧) الفهرست /٥٢ ونزهة الالباء /٨٥ ومعجم الادباء ٢٤٣/١٩ وفى انباه الرواة ٣٥٢/٣ (الانوار) وهو تحريف .

وألف الأصمعى كتاباً فى الأنواء أيضاً [١] .

وجاء بعده ابن الأعرابى محمد بن زياد (ت ٢٣٠ هـ) فألف كتاباً فى الأنواء [٢] ..

ويظهر أن العلماء البصريين قد تفوقوا على أقرانهم الكوفيين فى هذا الميدان من البحث اللغوى ... لأنه يلاحظ أن أكثر من ألف فيه كانوا من البصريين .

وفى نهاية النصف الأول من القرن الثالث ألف كل من محمد بن حبيب [٣] (ت ٢٧٦ هـ) وأبى محلم السعدى : محمد بن سعد [٤] كتاباً فى الأنواء .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث ، ألف كل من (ابن قتيبة) [٥] (ت ٢٤٥ هـ) وأبى حنيفة : أحمد [٦] بن داود الدينورى (ت ٢٨٢ هـ) ، والمبرد [٧] (ت ٢٨٥ هـ) وأحمد بن محمد بن بشر بن سعد المرثدى [٨] كتاباً فى الأنواء وقد وصف «ياقوت» كتاب المرثدى بأنه (فى غاية الحسن) .

واختتم ابن خرداذبه : أبو القاسم [٩] عبيد الله بن أحمد (ت ٣٠٠ هـ) ، هذا التأليف فى هذا القرن بكتاب الأنواء ...

---

(١) الفهرست / ٥٥ ، ٨٨ ، وانباه الرواة ٢/٢٠٢ والبقية ٢/١١٣

(٢) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ٣/١٣١

(٣) الفهرست /٨٨ والبقية ١/٧٤

(٤) الفهرست /٤٦

(٥) الفهرست ٨٨ وانباه الرواة ٢/١٤٦ (والكتاب مما بقى من كتب الانواء وهى مطبوع فى حيدر آباد الدكن) .

(٦) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ١/٤١

(٧) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ٣/٢٥١

(٨) الفهرست /١٢٩ ومعجم الادباء ٤/١٨٧

(٩) الفهرست /١٤٩

ويحتمل أن يكون تأليف الأخفش الصغير كتاب (الأنواء) في هذه الفترة[١] ـ نهاية القرن الثالث .

ويظهر أنه لم يكن ذا تأثير كبير في المؤلفات التي جاءت بعده ... لأننا لم نجد له ذكراً ولا إيماءة فيما وصل إلينا من تلك المؤلفات ولاسيما مؤلفات تلميذيه الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) والنحاس (ت ٣٣٨ هـ) .

٣ ـ كتاب الجراد :

اهتم العلماء بالمادة اللغوية التي تتعلق بالحيوان اهتماماً كبيراً ، ولا سيما الإبل والخيل . وهما من أعز الحيوان عند العرب وأثمنها ... وقد خصصت كتب كثيرة لهذين الحيوانين ونالا عناية خاصة في المؤلفات المبسوطة الواسعة مثل كتاب (المعاني الكبير) لابن قتيبة و(كتاب المخصص) لابن سيده .

غير أن الذي يهمنا من كتب الحيوان هو ما يتعلق بالحشرات وخاصة الجراد .

وأول من ألف في الحشرات ـ فيما نقل إلينا ـ « أبو خيرة الأعرابي » : نهشل بن زيد . وقيل : نهشل بن يزيد[٢] .

ونقل لنا أبو حاتم نصاً عنه ، يعد مهماً بالنسبة لبحثنا لأنه يعطي مفهوم هذا العلم عند العرب في تلك الفترة المبكرة . قال أبو خيرة :[٣] « حشرة الأرض : الدواب الصغار ، منها اليربوع ، والضب ، والقنفذ ، والفأرة ، والجرذ ، والحرباء ، والعظاية ، والثعلب ، والهر ، والأرنب . وقيل :

---

(١) الفهرست ٨٣/
(٢) الفهرست /٤٥ ومعجم الادباء ٢٤٣/١٩ والبغية ٣١٧/٢
(٣) المخصص ٩١/٨

للصيد أجمع حشرة ما تعاظم منه أو تصاغر ، وما أكل منه صيد فهو حشرة ...» .

وقال أبو حاتم : « وقيل : الطير أيضاً من الحشرة ، وقيل : الحشرة ما أكل من بقل الأرض نحو الدعادع والعث » . اهـ . باختصار .

ومن هذا النص يظهر لنا أن مفهوم الحشرات يشمل العظايا وبعض الزواحف والطير وبعض الفقريات ، وما أكل من بقل الأرض كالجراد .

ولم يؤلف فى الجراد من اللغويين سوى نفر قليل ، منهم : أبو نصر[١] أحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) ، ثم جاء بعده أبو حاتم السجستانى فخصص كتاباً للجراد[٢] ، وتلاهما الأخفش الصغير (ت ٣١٥ هـ) ، بكتاب الجراد[٣] ، الذى عد به ثالث ثلاثة ألفوا فى موضوع «الجراد» وبذلك يكون واحداً من قلة ساهموا فى ذلك الميدان اللغوى .

٣ - التعليقات على «الكامل» :

الأخفش الصغير من تلاميذ المبرد و (الكامل) من الكتب التى قرأها على أستاذه[٤] .

ويظهر أن المبرد لمح فى تلميذه مخايل الذكاء والفطنة وأدرك — وهو

---

(١) الفهرست /٥٦ ، والبغية ٣٠١/١ ، وتحرف فى معجم الادباء ٢٨٥/٢ الى « الجزاء » !!

(٢) الفهرست /٥٩

(٣) الفهرست /٨٣ والبغية ١٦٨/٢ (وتحرف فى معجم الادباء ٢٤٨/١٢ الى « والحذاء » !! ، ونقله محرفا الدكتور الشلقانى فى كتابه : رواية اللغة /٢٥٨) .

(٤) الكامل ٥١/١ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ١٢٥

الأديب العالم — أن الأخفش ذو قدرة علمية كبيرة ولهذا ندبه للتدريس في حياته . وتلك مزية كبرى . وآية ذلك أنه عندما سأله « إبراهيم بن المدبر » ، الكاتب الشاعر (ت ٢٧٩ هـ) ، جليساً يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإيناسه ومباسمته ، وهو يومئذ والى المعتضد وكاتبه ، ندب الأخفش لذلك ، وليس هذا فحسب ، بل كتب معه إليه :

« قد أنفذت إليك فلاناً وجملة أمره كما قال الشاعر :

إذا زرت الملوك فإن حسبي ... شفيعاً عندهم أن يخبروني »(١)

وهذا الخبر يشير إلى حقيقة كبيرة هي أن الأخفش كان واسع العلم كثير الرواية للأشعار والآداب ، حسن الأداء حلو المعاشرة ، وتلك الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يؤدب أولاد الملوك والولاة والرؤساء ، ويجالسهم ، وتؤكد الأخبار أنه كان كثير الصدق ولا سيما من جانب الرؤساء(٢)

وقد ظهرت بعض ملامح ذكائه وآفاق علمه في تلك التحاليقات ولذلك سنبسط فيها القول .

ونحن نعد هذه التعليقات كتاباً ، كما عد كل تعليق على كتاب سيبويه كتاباً .... (٣) .

ولعل إشارة المصادر إلى تعليقات الكتاب (٤) وعدم إشارتها إلى تعليقات الأخفش على الكامل للمبرد يرجع إلى أن شهرة سيبويه طغت على شهرة المبرد وأكبر دلالة على ذلك أن (الكتاب) اشتهر اشتهار الشمس والقمر وانزوى كتاب (المقتضب) للمبرد .

---

(١) طبقات الزبيدى ١٢٦ وانباه الرواة ٢/٢٧٧

(٢) معجم الادباء ١٣/٢٥٤

(٣،٤) فهرسة ابن خير /٣١٨ والبغية ١/٤٩٨ وكشف الظنون ٢/١٤٢٨

«... ويظهر أن هذه التعليقات كتبت بعد وفاة المبرد (سنة ٢٨٥ هـ) لأن فيها نقداً مؤثراً قوياً لأستاذه وتشكيكاً فى قدرته العلمية واتهاماً له بالتدليس ...... وهذا لا يحدث إلا إذا كان الأستاذ قد لحق بالعلى الكبير ..... أو أن تكون هذه التعليقات كتبت فى حياة أستاذه ...... ولم تملى على طلاب الأخفش إلا بعد وفاة المبرد ...»

منهجه فى التعليقات :

من الملاحظ أن الأخفش يكرس أكثر جهوده فى التعليقات على الشعر، ويبدى اهتماماً خاصاً به، ومن خلاله تتفجر سائر اهتماماته وتظهر مناحى تفكيره، وقلما يهتم بالنصوص النثرية ... ولا غرابة فى ذلك فالشعر ديوان العرب والمنبع الأساسى لكل المناحى اللغوية . . . فهو العنصر الأول فى الاستشهاد النحوى . . وهو مادة اللغة الأولى . . . وهو أساس القواعد التى استخرجها العلماء منذ عهد أبى الأسود الدؤلى حتى سيبويه ومن جاء بعده ..

ويمكن تحديد منهجه فى النقاط الآتية :

أولا : ينظر الأخفش إلى القصيدة أو المقطوعة الشعرية على أنها وحدة متكاملة ولا يترك فرصة تمر دون أن يؤكد هذه النظرة التى تعد رائدة فى عصره .

فعندما يروى المبرد أبياتاً من قصيدة ما يروى الأخفش تلك القصيدة كاملة برواية كوفية(١) أو برواية الشاعر نفسه(٢)، أو يضيف إليها أبياتاً

---

(١) الكامل ١/١٠٥

[illegible]

جديدة غابت عن أستاذه ، وسمعها هو من أحد العلماء المعروفين ، أو الرواة المشهورين .[١]

فإذا ما روى المبرد سبعة أبيات من قصيدة (أبى عيينة) القافية :

أعاذل صه لست من شيمتى   وإن كنت لى ناصحاً مشفقاً

أكمل الأخفش القصيدة فزاد فى أولها ثلاثة أبيات وفى آخرها أحد عشر بيتاً فأصبحت واحداً وعشرين بيتاً[٢] .

وعندما روى أستاذه ثلاثة أبيات رائية (لابن حبناء التميمى) أورد هو القصيدة كاملة برواية ثعلب ، فقال : « أنشدنا أحمد بن يحيى الأبيات الرائية المتقدمة بتمامها » ثم يذكر الأبيات[٣]

وعندما روى المبرد ثلاثة أبيات لشاعر نسبه إلى بنى سـعد ، مجيداً بقوله :

ولما التقى الصفان واختلف القنا   نهالا وأسباب المنايا نهالها

قال أبو الحسن الأخفش بعدها : « أنشدنى أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر بتمامه ، وهو شعر مختار لرجل من طىء ، وقولك على ذلك ما تسمعه من الشعر ، وهو قوله : (فأتى بالقصيدة كاملة) »[٤].

فهو لم يكتف بإكمال القصيدة ، بل صحح نسبتها ، مستدلاً بالبناء المعنوى والدلالى للقصيدة ، وحكم على القصيدة حكماً نقدياً موجزاً ، فقال : (إنها مختارة) ، ولعل ذلك يبرر روايتها كاملة عنده .

---

(١) الكامل ١/٩٤ ، ١٢٥ ، ١٦٣ — ١٦٤ ، ٣/١٠ ، ٤/٣٦

(٢) الكامل ٢/٣٦ — ٣٧

(٣) الكامل ١/١٠٥

(٤) الكامل ١/٩٤

ثانيا ـ ايضاح الغموض :

البناء الشعرى غير البناء النثرى . . . ووظيفة الكلمة فى الشعر غير وظيفتهافى النثر فلو رجعنا إلى كتابى :(المعانى الكبير) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، و (معانى الشعر) للأشناندانى (ت ٢٨٨ هـ) وغيرهما ، لوجدنا أن كثيراً من (أبيات المعانى) توحى ألفاظها الظاهرة بشىء هو خلاف معناها . ولهذا وقع جماعة من العلماء ــ المشهود لهم بالقدم الراسخة فى العلم — فى الخطأ عندما أجابوا إجابة مسرعة عن معنى بيت من تلك الأبيات مأخوذين بظاهر اللفظ ....

من ذلك أن الرشيد سأل فى مجلسه عن بيت الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال : (أى إحرام هذا) ؟ فقال الكسائى : أراد أنه أحرم بالحج. فقال الأصمعى : والله ما أحرم ولا عنى الشاعر هذا ، ولو قلت : أحرم دخل فى الشهر الحرام كما يقال : أشهر أدخل فى الشهر كان أشبه : قال الكسائى : فما أراد بالإحرام ؟ قال : « كل من يأت شيئاً يستحل به عقوبته فهو محرم » خبرنى عن قول عدى بن زيد :

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يمتع بكفن

أى إحرام كان لكسرى ؟؟ فسكت الكسائى» .

ولهذا كان العلماء يهتمون بهذه الأبيات ويفردونها بالتأليف ، بحيث أصبح لفظ (أبيات المعانى) مصطلحاً يعنى (الأبيات التى تحتاج إلى من يسأل عن معانيها ولا تفهم من أول وهلة) ، مما حدا بالسيوطى لأن يجعلها

(١) مجالس العلماء ٣٣٦ ـ ٧ والاشباه والنظائر ٧٢/٣ والمزهر ٨٤/١.

ضمن (الألغاز اللغوية)[١] .

وأبيات المعانى هذه تجعل البناء الشعرى غامضاً فى كثير من الأحيان ويحتاج إلى التأمل فى تتبع المعانى . . . والتمرس فيه ، فلا غرابة أن نجد وجهين من المعانى لبيت واحد من الشعر فى شروح الدواوين ، لأن الشعر «ينظم نمطاً فريداً من الكلمات غير قابلة للاعادة وتكون كل كلمة موضوعاً بقدر ما هى إشارة ، وتستعمل بصورة لا يمكن لاية منظومة خارج القصيدة أن تتنبأ بها »[٢] . مما حدا بالناقد « فيليب ويلرايت » أن يقسم الشعر — من حيث الدلالة — قسمين : « وحيد الإشارة ، ومتعدد الإشارة » . ومتعدد الإشارة من الناحية الدلالية تأملى بمعنى أنه جزء مما يعنيه ، وبعبارة أخرى فإن متعدد الإشارة لا يستعمل مجرد استعمال فقط ، بل يستمتع به أيضاً ، فليست قيمته بأنه أداة فحسب ، بل هى قيمة جمالية معقدة[٣] .

وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار النقاد المعاصرين كما لفتت أنظار القدامى فخصصوا للشعر ومنهجه ودلالاته مؤلفات كثيرة .

ولعل أشهر من نشير إليه فى هذا الصدد الأستاذ « هوالى » فى كتابه المنهج الشعرى » : The Poetic Process ، والآخر هو « وليم أمبسون » فى مؤلفه الرائد : « سبعة أنماط من الغموض » : Seven Types of Ambiguity

وقد حاول الأول أن يبين طريقة الشعر فى التعبير والحالات التى يختلف فيها مع النثر ، كما حاول أن يكشف عن خصائص الشعر المميزة له

---

(١) المزهر ١/٥٧٨ وما بعدها ..
(٢) نظرية الادب /٢٤٠
(٣) نظرية الادب /٤٣٤

كما درس امتزاج القيم العقلية بالقيم الشعورية فى البناء الشعرى [١] ، وهذا مالا يحدث فى النثر إلا نادراً .

أما الناقد الثانى فحاول أن يكشف بأصالة نادرة عن أن الغموض يعتمد أساساً على تعدد المعنى بالنسبة للكلمة أو الجملة الشعرية ، فقد تحدث الكلمة فى الجملة الشعرية آثاراً عدة فى وقت واحد — والكلمة قد تنطوى — كما يقول أمبسون — [٢] على معان عدة يرتبط بعضها ببعض ، أو معان يحتاج بعضها إلى بعض ليكمل معناها أو معان تتحد معاً لتعبر عن علاقة واحدة أو عملية واحدة . والغموض قد يعنى ترددك فى الجزم بأن أحد هذه المعانى هو المراد » .

وهذا ما يحدث دائماً بالنسبة للشعر قديماً وحديثاً ، ولذلك يحتاج إلى نوع من الأناة فى الشرح تزيل الغموض ، وهذا مافعله الأخفش الصغير فى تعليقاته ، فشرح الغموض سواء أكان ناتجاً عن ازدواج الدلالة فى الكلمة المفردة أم ناتجاً عن تركيب فى البيت كله أو فى جملة شعرية .

(أ) شرح الغموض في المفردات :

من ذلك ما أورده المبرد فى قصيدة الراعى النميرى ، حيث يقول :

زجل الحداء كان فى حيزومه   قصبا ، ومقنعة الحنين عجولا

وقد عقب عليه الأخفش بقوله : [٣] « الزجل اختلاط الصوت الذى لصوته تطريب ، والحيزوم : الصدر ، ومقنعة ، أراد ، وصوت مقنعة ،

---

(١) Q. Whalley : The Poetic Process, P. 47

(٢) W. Empson : Seven Types of Ambiguity, P. 5

(٣) الكامل ٤/٥٤ — ٥٥

يعنى ناقة ، ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه ، وقصباً يعنى مزمار شبه صوت الحادى بالمزمار .

ومنه ما رواه المبرد فقال : أنشـــدنى أبو زيد وهى لأبى العيال الهذلى :[1]

مشيح فوق شيحان يشـد كأنه كلب

قال وشيحان اسم فرسه .

وقد عقب عليه الأخفش بقوله : «شيحان بفتح الشين ، وحقه على راوية أبى زيد ألا ينصرف لأنه فعلان ، فالألف والنون زائدتان وهو معرفة ، فضارع عطشان ، وما جرى مجراه ، وإنما اضطر فصرفه . وعن أبى زيد أيضاً يرويه : شيحان وهو الجاد وهو صفة شائعة وليس كالأول ، فالأول معرفة مشتق من النعت» .

وعندما روى المبرد ثلاثة أبيات لشاعر من بنى سعد ، أكمل الأخفش القصيدة ، ثم تناول المعانى الغامضة للأبيات ، ولم يغادر سوى الأبيات الواضحة جداً ، بحيث لا يخفى على أحد معناها .[3]

(ب) ايضاح الغموض فى التركيب أو الجملة الشعرية :

وأحياناً يكون الغموض ناتجاً عن ورود جملة شعرية أو تركيب يحتاج إلى توضيح لا يفهم البيت بدونه ، فيتناوله بالتبسيط ، إما بشرح قصير

---

(١) الكامل ١/٨٩

(٢) انظر ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج /٣٥ باب ١٦ حيث تفاصيل المسألة .

(٣) الكامل ١/٩٤ ــ ٩٦ .

يكفى لإزالة ذلك الغموض وإما بشرح طويل حين لا يكون الإيجاز موفياً بالغرض ، بل يكون مخلا فيضطر عندئذ إلى الإطناب .

١ — فمن النوع الأول ما عقب فيه على قول مهلهل بن ربيعة : —

فلو نشر المقابر عن كليب فتخبر بالذنائب أى زير

حيث قال : « يقال فلان زير نساء ، وطلب نساء ، وتبع نساء ، وخلو نساء ، وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء ، فكان . . . كليب يقول : إن مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثأر ، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب قال : أى زير فرفع (أياً) بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال : أى زير أنا فى هذا اليوم »[1] .

٢ — ومن النوع الثانى ما عقب به على قول الشاعر السعدى :

تقول – وصكت صدرها بيمينها أبعلى هـذا بالرحى المتقاعس

قال أبو الحسن[2] تأويل قول السعدى : (أبعلى هذا بالرحى المتقاعس) بالرحى تبيين ولم يوضحه ، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال : « أبعلى هذا بالرحى المتقاعس » ، فإن التقاعس يدل على أن تقاعساً وقع ، فكأنه قال : وقع التقاعس بالرحى لأنه فى الصلة ، والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء ، فكما لا يجوز أن تتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول — فأما قول الله عز وجل : « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين »[3] وكذلك « وأنا على ذلكم من الشاهدين »[4] ، فإنه يكون على التبيين الذى قدمنا ذكره وهو قول

---

(١) الكامل ٢/٢٠٤

(٢) الكامل ١/٣٩

(٣) سورة الاعراف ٢١ (وانظر البيان فى غريب اعراب القرآن ١/٣٥٧ للانبارى حيث تأثر بهذا الايضاح فنقله فى بيانه) .

(٤) سورة الانبياء ٥٦ (وينظر البيـان فى غريب اعراب القـرآن ٢/١٩٦٢ – حيث نقل أبو البركات الانبارى الشرح) .

البصريين أجمعين - إلا أبا عمر الجرمى أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما « من الناصحين » و« من الشاهدين» لأن (من) مبعضة فكأنه قال ، والله أعلم : « وقاسمهما إنى ناصح لكما من الناصحين » وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين» .

ثالثا - التماس صحة النسبة فى الشعر :

ومن خصائص منهجه أن تمام صحة الشعر التماس صحة نسبته إلى قائله . ولذلك يناقش المبرد فى نسبة أبيات كثيرة ويبين مخالفته للصحة .

١ - فقد نسب المبرد إلى أبى قيس بن الأسلت الأنصارى قوله :

تمشى الهوينى إذا مشت قطفاً كأنه بان عودة قصف

فعقب عليه الأخفش قائلا : «هذا وهم من أبى العباس ، ما تروى إلا لقيس بن الخطيم » (١) .

٢ - وعندما نسب المبرد قول الشاعر يصف حمامة :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بليلى ، شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهاج لى البكا بكاها ، فقلت : الفضل للمتقدم

إلى عدى بن الرقاع ، رد الأخفش هذه النسبة فقال :

« الصحيح أنها لنصيب » (٢) .

وهكذا نجد الأخفش يقف من أستاذه موقفاً واعياً ، فيناقشه ويفاتشه، ويرد عليه كثيراً فى ثنايا تعليقاته على الكامل (٣) .

---

(١) الكامل ٨٨/٢
(٢) الكامل ١٢٥/٣
(٣) الكامل ٢٨٩/٢ ، ١٢٥/٣ ، ١٢/٤

ويدخل فى باب التأكيد من نسبة الشعر إلى قائله أن المبرد يورد فى أحايين قليلة أبياتاً مجردة من النسبة — فيتولى الأخفش نسبتها إلى أصحابها ..(١)

وهذا دليل على قوة ملكة الحفظ عنده وسعة علمه بالشعر صحيحة وزائفه سهله وصعبه .

أهمية التعليقات :

وهذه التعليقات ذات أهمية قصوى لكل من يريد التحدث عن دراسات الأخفش الصغير ، للأسباب الآتية :

أولا : أنها الأثر الوحيد الذى وصل إلينا من دراسات الاخفش ، ولم يصل إلينا من دراساته الأخرى سوى نتف قليلة جداً لا تغنى شيئاً .

ثانيـا : إنما تغطى أنواع اهتماماته اللغوية التى أشارت إليها المصادر أو إلى عناوينها مع إبداء تحفظ واحد هو أن هذه التعليقات لا تستوعب كل آرائه وإن كانت قد بلغت المائة .. وتتوزع مادتها فى أجزاء الكامل الأربعة . ففى الجزء الأول (٤٩) تعليقاً ، وفى الجزء الثانى (١٨) تعليقاً ، وفى الجزء الثالث (١٩) تعليقاً ، وفى الجزء الرابع (١٤) تعليقاً .

* * *

ثانيا : الدراسات النحـوية

(د) شرح كتاب سيبويه :

إهتمام النحاة بكتاب سيبويه وانبهارهم به مبسوط فى مصادره وقد أفاض فيه القول كثيرون . وأفرد بعض المحدثين تلك الشروح بالتأليف(٢) فلاحاجة بنا إلى مزيد من القول المكرور .

---

(١) الكامل ١٤٦/١ ، ١٤٧ ، ١٨٦/٣ ، ١٢/٤

(٢) د. خديجة الحديثى : كتاب سيبويه وشروحه (بغداد ١٩٦٧)

غير أن اهتمام الأخفش الصغير بالكتاب ذلك الاهتمام الكبير، حيث شرحه فى خمسة مجلدات ملكها القفطى فى مصر [1] ، يدل دلالة قاطعة على سعة علم الأخفش الصغير بالنحو خاصة ، وإلا ما استطاع أن يبسط القول فى شرح الكتاب حتى يصل به إلى هذا القدر .. ومما يؤيد قدرة الرجل النحوية إطلاق لقب « النحوى » عليه [2] . وهذه دلالة واضحة على اشتهاره بهذا اللقب .. والشهرة عادة ناتجة عن بروزها فى شخصية من الشخصيات حتى لو كانت تجمع بين صفات عديدة .

فأبو جعفر النحاس كان جامعاً لفنون شتى والكثير من المعارف والعلوم، فقد كان لغوياً بارزاً [3] ، ومفسراً كبيراً [4] ، ومقرئاً بقراءة « ورش » [5] ، ولكنه اشتهر بالنحوى ، لأن هذه الصفة أبرز خصائصه العلمية .

٢ ـ تفسير رسالة سيبويه

وهو كتيب صغير فى خمس كراريس ، كما ذكر « ياقوت » [6] .

ولكن .. ماذا يراد برسالة كتاب سيبويه ؟

عند الرجوع إلى كتاب الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ـ تلميذ الأخفش الصغير ـ نجد الزجاجى قد ألف كتاباً أسماه « تفسير رسالة سيبويه » [7] .

وإذا كانت الصلة بين الأستاذ وتلميذه وجهاً من وجوه التقارب

(١، ٢) معجم الادباء ٢٤٧/١٣ ، ٢٤٨

(٣) فهرسة ابن خير /٣٨٦ وفيات الاعيان ٨٣/١ والبغية ٣٦٢/١

(٤) معجم الادباء ٢٢٨/٤ وانباه الرواة ١٠٣/١ والبغية ٣٦٢/١

(٥) الدانى : القراءات السبع /٩

(٦) معجم الادباء ٢٤٨/١٣

(٧) الايضاح فى علل النحو /٤٥

العلمى ، ولابد أن يكون مفهوم الكتابين — وعنوانهما واحد — واحداً أو متقارباً على أقل تقدير .

والظاهر أن مفهوم رسالة سيبويه هو مقدمة « الكتاب » .

وآية ذلك أن الزجاجى يقول فى كتابه « الإيضاح » : (فأما القول فيما قاله سيبويه فى كتابه : « هذا باب علم ما الكلم من العربية ، ومافى ذلك من الألفاظ والوجوه فقد ذكرته أجمع فى كتاب أوردته لتفسير رسالة سيبويه)[١] . وقال — وهو يتحدث عن الفعل — : (وقد أشبعت المعنى فى تفسير كلام سيبويه هذا فى تفسير رسالته فكرهت الإطالة باعادته هنا)[٢] .

ويؤيد هذا الرأى أن الزجاجى يطلق اسم الرسالة على شرحه لمقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة ، فيقول : (هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة فى أدب الكاتب)[٣] .

وهذا يعنى أن رسالة سيبويه هى مقدمته .

٣ — كتاب التثنية والجمع :

نشط التأليف فى أواخر القرن الثامن الهجرى فى مسائل اللغة والنحو — فى غير مصر — حتى إذا ما أطل القرن الثالث بربعه الأول كثرت هذه المؤلفات وازدادت بتقدم عقود هذا القرن ...

فقد ألف اللغويون والنحاة فى الاشتقاق بأنواعه ... وألفوا فى اللامات ... وألفوا فى المصادر ... كما ألفوا فى موضوع « التثنية والجمع » .

(١) الايضاح فى علل النحو /٤٥
(٢) الايضاح /٦٣
(٣) د. مازن المبارك : الزجاجى /٢٧

والمبادر إلى التأليف فى الموضوع الأخير هم الكوفيون وأولهم أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسى (ت ١٨٧ هـ) فى كتابه « الإفراد والجمع » (١).

وتلاه إمام من أئمة تلك المدرسة هو « الفراء » (ت ٢٠٧ هـ) بكتابه « الجمع والتثنية فى القرآن » (٢).

وأما البصريون فأول من ألف منهم كتاباً فى « التثنية والجمع » هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) واسم كتابه « الجمع والتثنية » (٣) وينسب إلى معاصره : أبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) : كتاب الجمع والتثنية (٤).

وبعد أبى زيد الأنصارى توالت التآليف ، ومن بسط القول فى ذلك الجرمى (ت ٢٢٥ هـ) بكتابه « التثنية والجمع » (٥) ، وبعده ألف ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) كتابه « المثنى والمكنى والمبنى والمؤاخى » . وقد احتفظ السيوطى بأجزاء من هذا الكتاب (٦) .

وبعد هؤلاء الأعلام جاء دور الأخفش الصغير (ت ٣١٥ هـ) فألف كتاب « التثنية والجمع » ... الذى غُم على مؤلف « المعجم العربى » فظنه كتاب « الواحد والجمع فى القرآن » للأخفش الأوسط ، حيث قال : (ولعله كتاب الواحد والجمع فى القرآن الذى نسبه السيوطى إلى أحد الأخافش (٧).

---

(١) طبقات الزبيدى /١٣٥

(٢) الفهرست /٦٧

(٣) الفهرست /٥٤

(٤) الفهرست /٥٥ ومعجم الادباء ١١/٢١٦

(٥) الفهرست /٥٧

(٦) المزهر ١/٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٣٠ ، ٢/١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨

(٧) المعجم العربى /١٧٢

ولكن إطلاق اسم الأخفش – وقد أطلقه السيوطي[١] – يراد به دائماً الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة[٢] كما أن الكتابين يختلفان في العنوان. مما يرجح أنهما كتابان وليس كتاباً واحداً.

٤ – المهذب في النحو :

وله في النحو كتاب آخر اسمه «المهـــذب» ولا نعرف عنه سوى اسمه[٣].

أما ما ينقله «ياقوت» عن «القفطي» من أنه وجد أهل مصر ينسبون إلى الأخفش الصغير، كتاباً في النحو هذبه أحمد بن جعفر الدينوري وسماه المهذب[٤] فأراه وهماً من القفطي[٥] بدليل ما ذكره ياقوت نفسه في مكان آخر من كتابه، إذ زعم أن – كتاب المهذب للدينوري ملخص من كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة[٦] وهذا السبب يدفعنا إلى رفض ما قاله القفطي. والسبب الآخر: أن الدينوري معاصر للأخفش الصغير – وإن كان الأول قد توفي سنة ٢٨٩ هـ، والثاني سنة ٣١٥هـ، فإنهما درسا في مصر متعاصرين، وسكنا فيها مدة طويلة، وتوفي الأول فيها – ومع ذلك فلا يمكن أن نحكم لأحدهما بالسبق..... وإذا كانت مندوحة في ذلك فالأصل أن يحدث العكس وأن يهذب الأخفش كتاب الدينوري. والسبب الثالث لوهم القفطي. أن الدينوري والأخفش كانت بينهما خصومة الأقران، فلم يجمعهما

(١) المزهر ٢/١٤٩.
(٢) المزهر ٢/٤٥٥
(٣) معجم الادباء ١٣/٢٤٨ وانباه الرواة ٢/٢٦٧ والبغية ٢/١٦٧
(٤) معجم الادباء ١٣/٢٤٨.
(٥) وقد نقل هذا الوهم الدكتور عبد الحميد الشلقاني في كتابه: رواية اللغة/ ٢٥٨
(٦) معجم الادباء ٢/٢٤٠.

مجلس علم ولم يأو أحدهما إلى مكان الآخر . . . وإذا حضر أحدهما رحل الآخر بعيداً عنه (١) كما يذكر القفطى نفسه ـ ، فكيف يأتى خصم إلى كتاب خصمه فيعمد إلى تهذيبه فيؤدى إليه خدمة كبيرة ؟ ؟ . . . هذا أمر لا يعقل . . .

وبعد بيان نشاط هذا العلم فى ميدان اللغة والنحو نرد على المرزبانى حين زعم أن الأخفش الصغير « لم يكن بالمتسع فى الرواية للأشعار والعلم بالنحو وما علمته صنف شيئاً ألبتة ، ولا قال شعراً ، وكان إذا سئل عن مسألة فى النحو ضجر وانتهر من يسأله » (٢).

وهذه الفرية ذات ثلاثة جوانب :

١ ـ إنه لم يكن متسعاً فى الرواية .

٢ ـ إنه لم يؤلف شيئاً .

٣ ـ إنه لم يكن له علم بالنحو وإذا سئل عن مسائل النحو ضجر .

أما الجانب الأول من الزعم فيمكن الرد عليه بما أصبح من البديهيات ، وذلك أن سمة الرواية كانت من الخصائص البارزة عند الأخفش ، وقد اعتمد على هذه الخصيصة اثنان من تلامذته : الأول الزجاجى (ت ٣٣٧هـ) فى كتابه « مجالس العلماء » فقد نقل عن أستاذه ثمانى عشرة رواية ، أربع عشرة منها تمثل أربعة عشر مجلساً كاملا من كتاب الزجاجى وليس للأخير فيها سوى روايتها ونقلها إلينا .

واستفاد الزجاجى من أستاذه فى هذا الكتاب فى أربعة مجالس أخرى ،

---

(١) انباه الرواة ١/٣٤

(٢) وفيات الاعيان ٢/٤٦٣

قال فى مجلسين : حدثنى أبو الحسن « على بن سليمان »[١] وقال فى الآخرين أنشدنى أبو الحسن على بن سليمان فروى عنه أشعاراً هى من شواهد تلك المجالس بصيغة المفرد مرة وبصيغة الجمع (أنشدنا) أخرى[٢] .

والتلميذ الثانى هو أبو على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ويبدو أن أبا على انتفع بالجانب الذى برع فيه على بن سليمان . فالفارسى يروى عنه بسنده قصيدة يزيد بها الحكم الثقفى لأخيه عبد ربه بن الحكم التى أولها :

تكاشرنى كرها كأنك ناصح وعينك تبدى أن صدرك لى دوى

وقد بلغت فى البصريات سبعة وعشرين بيتاً[٣] .

وهذه القصيدة ليست كل ما ينشده الفارسى عن أستاذه الأخفش ، فإن ما ينشده فى المسائل البصريات يرويه غالباً عنه وعن أبى زيد وعما ينشده ثعلب فى نوادر اللحيانى أو نوادر ابن الأعرابى وأبى عمرو وما يضيفه هو من الشواهد[٤] .

أما الجانب الآخر من الزعم . . . وهو أنه لم يكن له علم بالنحو فهو جانب منهار أيضاً .... فقد ألف فى النحو أربعة كتب أشهرها شرح كتاب سيبويه فى خمس مجلدات .

وقد اعتمد على آرائه النحوية ونقلها لنا كل من النحاس (ت ٣٣٨هـ) وأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) وغيرهما .

فالنحاس اعتمد عليها أو نقلها فى أربعة كتب هى (إعراب القرآن)[٥] ،

---

(١) مجالس العلماء ١٨ ، ٦٠ ، ٣٠٦

(٢) مجالس العلماء ١٧ ، ٣٢٨

(٣) أبو على الفارسى : المسائل البصريات ، لوحة : ٥٧

(٤) د. عبد الفتاح شلبى : أبو على الفارسى /٤٩٧

(٥) اعراب القرآن لوحة : ٢ ، ولوحة ٣٢٥

و(الناسخ والمنسوخ فى القرآن)(١) و (شرح القصائد التسع المشهورات)(٢) كما نقل عنه فى كتب أخرى.

وكذلك نص الزجاجى على أن على بن سليمان كان من العلماء والشيوخ الذين لقيهم وقرأ عليهم (٣).

وكثيراً ما يقول النحاس سألت على بن سليمان فأجاب ، أو رأيته يستحسن هذا الرأى : (أو سمعته يقول كذا) (٤).

وكل هذه اللقاءات بينه وبين تلامذته ... وهذه المناقشة بين الأستاذ وتلميذه النحاس ، لا يمكن أن تحدث إلا إذا كان الأستاذ رحب الصدر واسع العلم متمكناً من مادته حتى يقف أمام أولئك الأفذاذ كالزجاجى والنحاس وأبى على الفارسى ... فأى تلاميذ كانوا ؟؟

وإنهم لخير دليل على فساد زعم المرزبانى ...

(١) الناسخ والمنسوخ فى القرآن /١٧٠

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات /٢١٩ ، ٣٠٥

(٣) الايضاح فى علل النحو /٧٩

(٤) شرح القصائد التسع ٢١٩ ، ٣٠٥ ، نصوص باقية من صناعة الكتاب /١٩٧ و ١٩٨ والناسخ والمنسوخ فى القرآن /١٧٠.

الخلاصـة :

وبعد أن درسنا كل آثار اللغويين والنحاة المصريين فى القرن الثالث الهجرى نقف عندها وقفة قصـــيرة لنستخلص منها نتائجها ، ونصف خصائصها وهى :

أولا : أنها بدأت بالظهور فى القرن الثالث منطلقة فى جزء من مسارها من الدراسات القرآنية كما وجدنا فى كتب الدينورى : ضمائر القرآن ، وقف التمام ، كتاب الهجاء . أو مهتمة بالسيرة النبوية كما وجدنا فى كتاب ابن هشام : « شرح ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب » .

ثانيا : شاركت تلك الدراسات فى موضوعات شتى ، ويمكن حصرها فى رافدين : رافد اللغة ورافد النحو .

ثالثا : شاركت مصر فى تغذية (المعجم العربى) بدراسات تعد من أهم موارده بالنسبة للمواد المماثلة لها ، ومن تلك الدراسات « كتاب الفرق » لعبد الله بن عبد العزيز تلميذ الدينورى ـ وكتاب المقصور والممدود لابن ولاد . وكتاب الأنواء للأخفش وكتاب الجراد له أيضاً ... وقد أصبحت مصادر أصيلة لكتاب القرن الرابع ومن جاء بعدهم فى مصر وغيرها ـ وقد أخل بها كتاب (المعجم العربى) ولم يذكر سوى كتاب الجراد للأخفش .

رابعا : أسهمت مصر — فى هذه الفترة — بنقل المنهج المصرى فى وقت مبكر حيث نقلت كتاب سيبويه ـ ودرّسته وشرحته ونقل إلى الأندلس عن طريقها ..

وعلى هذا تكون الدراسات المصرية ـ فى ذلك القرن ـ حصيلة تمتاز

فى قسم منها بالأصالة من حيث (الكيف) كما أنها حصيلة كبيرة من حيث (الكم) نسبياً دون أن نبالغ مبالغة من قال : (ومع مطلع القرن الثالث الهجرى غصت مصر باللغويين والنحاة ونشطت فيها الحركة اللغوية إلى حد كبير وعلى رأس اللغويين الأجانب الذين وفدوا إليها نجد أسماء مثل : محمد بن يحيى اليزيدى الذى جاء إلى مصر مع المعتصم عام ٢١٤ هـ، ومات بها تاركاً عدة كتب منها : النوادر والمقصور والممدود ومختصر النحو والنقط والشكل)[١].

والمبالغة واضحة فى هذا القول، فإن عدد اللغويين فى مصر آنذاك لم يتجاوز عشرين لغوياً ونحوياً : منهم من ترك دراسات قد ذكرناها ومنهم من لم يترك سوى الذكر الحسن ... وهذا العدد لا يتفق مع قوله : «غصّت مصر باللغويين» وهو لم يؤكد هذا القول لأنه لم يذكر سوى أسماء عدد قليل منهم[٢].

وبالإضافة إلى المبالغة الموجودة فى هذا القول، فإن نسبة تلك المؤلفات إلى محمد بن يحيى اليزيدى لا تؤيدها المراجع التى ترجمت له أو ذكرته.

فكتب الإحصاء العام للنشاط العلمى كفهرست ابن النديم وكتب اللغويين والنحاة أمثال طبقات الزبيدى وطبقات السيرافى وبغية الوعاة وكتب القراء طبقات القراء مثل لابن الجزرى .. هذه الكتب وغيرها لاتذكر من هذا شيئاً.

---

(١) الدكتور أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ٦١/٦٢

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر : ٦١ — ٦٢

ومن ناحية أخرى أثبت كل من ابن النديم[١] وأبى البركات[٢] الأنبارى وياقوت[٣] وابن الجزرى[٤] والسيوطى[٥]، هذه الكتب لأبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى (ت ٢٠٢ هـ) أى أن هذه الكتب للأب وليست الابن ولم يثبتها للابن سوى القفطى[٦] ولعله وهم فى ذلك أو جاء الوهم من الناسخ حيث كتب محمد بن يحيى بدلا من أبى محمد يحيى فحرف ... لأنّ الصورتين متقاربتان .

وهكذا أسهمت مصر فى بناء صرح اللغة العربية وتطويره وحفظ التراث ونقله إلى أنحاء العالم ... وهى كذلك دائماً ...

(١) الفهرست : ٥١
(٢) نزهة الالباء ٨١
(٣) معجم الادباء ٢٠/٣١
(٤) طبقات القراء ٢/٣٧٧
(٥) بغية الوعاة ٢/٣٤٠
(٦) أنباه ٣/٢٤٠

الفصل الثالث

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

في القرن الرابع الهجري

المحتوى

يتكون هذا الفصل من (تمهيد) وخمسة مباحث هي :

المبحث الاول : دراسات « كراع النمل » اللغوية

المبحث الثانى : دراسات « ابن ولاد » اللغوية والنحوية

المبحث الثالث : دراسات « أبى جعفر النحاس » اللغوية والنحوية

المبحث الرابع : ثلاث قضايا جديدة ...

المبحث الخامس : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بعد « كراع وابن ولاد والنحاس » .

التمهيـــد

الابعاد الفكرية والحضارية للقرن الرابع الهجرى

«١»

قبل أن نفصل القول فى الدراسات اللغوية والنحوية فى القرن الرابع الهجرى ، نشير إلى أن أصول هذا القرن ممتدة إلى القرنين الثانى والثالث.

وإذا ما رجعنا إلى القرن الثـانى فإننا نجد الخليل (ت ١٧٠ هـ) وسيبويه (ت ١٨٠ هـ) والـكسائى (ت ١٨٩ هـ)، أكثر الذين أثروا فى الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر.

والدراسات اللغوية والنحوية التى قام بها علماء القرن الثالث تلقاها الدارسون فى مصر ، وأضافوا إليها جديداً . . . ولهذا فإن بصمات القرن الثالث بارزة فى ملامح القرن الرابع وسماته الفـكرية عموماً .

ولعل أكثر من يمثـلون تلك البصمات من اللغويين والنحاة فى مصر ثلاثة هم : محمـــد بن ولاد التميمى (ت ٢٩٨ هـ) ، ويموت بن المزرع (ت ٣٠٣ هـ) ، وعلى بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) .

أما من أثروا فى الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر من غير المصريين منهم أبوعمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) ، وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) والأخفش سعيد (ت ٢١٥ هـ) والأصمعى (ت ٢١٦ هـ) وابن الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) .

وكانت لتلك الشخصيات العلمية المصرية وغير المصرية بصمات واضحة

وملامح بارزة فى مؤلفات من جاء بعدهم فى مصر خاصة وفى البلاد الإسلامية الأخرى عامة .

« ٢ »

أما فى القرن الرابع فقد ظهرت الدراسات المتكاملة ، وشملت كل معارف العصر ، يضاف إلى ذلك تراث الماضى واجتهاد العلماء الكبار . .

فما أضافه إلى الماضى كثير ، وما بناه لحاضره أكثر ، ثم ظهرت ثماره بعد ذلك .

فقد انتشرت مؤلفات العلماء المصريين اللغوية والنحوية فى أرجاء العالم وتأثر بها كثيرون . وسنرى آثارها فى الدراسات المماثلة فى العراق والأندلس والمغرب وصقلية .

وهذا ما يعطى الدراسات المصرية فى القرن الرابع سمة التميز والأصالة ويجعلها تؤثر أكثر مما تتأثر وتعطى أكثر مما تأخذ .

وفى هذا العصر تكاملت شخصية مصر العلمية ، كما تكاملت شخصية العراق والشام وغيرها . ولا غرابة فى ذلك فهو عصر النهضة العلمية فى الإسلام ، كما سماه « متس » بحق [(١)] .

وأشهر من يشار إليه بالبنان : أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، فقد هضم ومثل جميع معارف العصر ، وتراث الماضى ، ورسم فى مؤلفاته الخطوط العريضة لأهم مجالات المعرفة العربية والإسلامية ، فقد

---

(١) Mez فى كتابه : Renaissance des Islams
وقد ترجمه الاستاذ عبد الهادى أبو ريدة تحت عنوان : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .

كتب فيها المؤلفات الضخمة تجمع فيها وأوعى ، وألف فى اللغة وفى النحو وفى الأدب وفى الفقه . وهو بحق شخصية تمثل موسوعة علمية .

وظهور موسوعية النحاس آذنت - فى مصر - بظهور أوائل المؤلفات فى موضوعات شتى فى اللغة والنحو والأدب .

وفى هذا القرن ظهرت مؤلفات « كراع النمل » (ت ٣١٠) أول المعجميين المصريين ، وله مؤلفات كثيرة فى هذا الميدان ، كان لها تأثير فى مؤلفات الأندلسيين خاصة .

وفى هذا العصر ظهرت شخصية أحمد بن محمد بن ولاد (ت ٣٢٢ هـ) وهو ألمع شخصية فى العائلة الولادية وصاحب مؤلفات فى اللغة والنحو والأدب كان لبعضهما شأن وأثر فى المؤلفات المماثلة .

فكان ظهور مؤلفات هؤلاء الثلاثة فى القرن الرابع مؤذنا بميلاد مرحلة جديدة خصبة فى حياة اللغة وحركة النحو فى مصر ، وكان لها أبعاد أخرى تمتد إلى خارج مصر .

فما هى تلك الدراسات ؟ وما هى خصائصها وما هى مناهجها ؟

هذا ما سنتحدث عنه فى السطور القادمة .

المبحث الأول

دراسات (كراع النمل) اللغوية

هو أبو الحسن على بن الحسن الهنائى (المتوفى حوالى سنة ٣١٠ هـ) وتتصل دراساته بأساتذة المدرستين البصرية والكوفية فى العراق[1] .

---

(١) ترجمته فى الفهرست /٨٣ ، ومعجم الادباء ١٣/١٣ ، وانباه الرواة ٢/٢٤٠ ، والبغية ٢/١٥٨

وتكمن أهميته فى أنه أول لغوى مصرى يؤلف معاجم لغوية على صورة فريدة من التخصص والتركيز فى ناحية واحدة ، وتلك مسألة مهمة لم يسبقه إلى ذلك أحد من المصريين وإن سبقوه بدراسات أخرى .

وتكمن أهميته أيضاً فى أنه نال بمؤلفاته إعجاب اللغويين بعده . فاشتهرت كتبه وتأثر قسم من أصحاب المعاجم بها فاقتبسوا منها واستفادوا من مادتها اللغوية .

وقد نالت شهرة واسعة فى بغداد فى القرن الرابع . وآية ذلك اهتمام ابن النديم (ت ٣٨٤ هـ) بتسجيلها[1] ، مع إهماله كثيراً من مؤلفات غيره من المصريين ولا سيما معاصرى الهنائى : ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) والنحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، إذ الظاهر أن مؤلفاتهما لم تشتهر فى العراق إلا بعد القرن الرابع الهجرى وإن اشتهرت فى الأندلس فى القرن الرابع .

غير أن مؤلفات (كراع) اشتهرت فى المغرب أيضاً وكانت مرغوباً فيها هنالك[2] واشتهرت فى الأندلس فنالت مكانة مرموقة تجسمت - فيما بعد - فى اعتماد ابن سيده (على بن إسماعيل ت ٤٥٨ هـ) عليها فى كتابيه المهمين : (المخصص) و (المحكم) فقد نقل منه فى الأول وصرح باسمه فى كثير من المواضع وفى مقدمة الثانى[3] قال : (أما ما ضمنا كتابنا هذا من كتب اللغة ، فمصنف أبى عبيد والإصلاح والألفاظ . وكتب الأصمعى والفراء وأبى زيد وكتب كراع إلى غير ذلك) . وفى هذا دلالة كبيرة على أهمية كتب كراع بحيث تقرن بكتب الأصمعى والفراء وأبى زيد .

---

(١) الفهرست /٨٣

(٢) انباه الرواة ٢/٢٤٠

(٣) المحكم والمحيط الاعظم فى اللغة ١/١٥.

وقد بلغت كتبه تسعة هى :

١ ـ كتاب الأوزان . أتى فيه على وزن الأفعال[١] .

٢ ـ أمثلة الغريب على وزن الأفعال[٢] أورد فيه غريب اللغة .

٣ ـ كتاب الفريد[٣] .

٤ ـ مجرد الغريب[٤] . على مثال العين وعلى غير ترتيبه . وأوله : (هذا كتاب ألفته فى كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين) .

٥ ـ كتاب المصحف[٥] .

٦ ـ كتاب المنظم[٦] .

٧ ـ كتاب المنضد . أورد فيه لغة كثيرة مستعملة وحوشية ورتبه على حروف الفاء باء تاء ثاء إلى آخر الحروف[٧] .

٨ ـ كتاب المجرد[٨] .

٩ ـ كتاب المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه ويروى كل من ياقوت والسيوطى[٩] أن المنجد اختصار للمجرد غير أن القفطى رأى

(١) آنباه الرواة ٢/٢٤٠

(٢) معجم الادباء ١٣/١٣ وبغية الوعاة ٢/١٥٨

(٣) الفهرست /٨٣

(٤) الفهرست ٨٣

(٥) معجم الادباء ١٣/١٣

(٦) معجم الادباء ١٣/١٣ وبغية الوعاة ٢/١٥٨

(٧) الفهرست ٨٣ ومعجم الادباء ١٣/١٣ وانباه الرواة ٢/٢٤٠

(٨) معجم الادباء ١٣/١٣ وبغية الوعاة ٢/١٥٨

(٩) معجم الادباء ١٣/١٣ وبغية الوعاة ٢/١٥٨ (وفيه : المجهد وهو تحريف) .

الكتاب وقال « ملكته »[1] لكنه لم يذكر أنه اختصار للمجرد.

وبعد نظرة واحدة إلى هذه الكتب يتبين لنا أن (كراع النمل) قصر اهتمامه على غريب اللغة وحوشيها أو كاد.

وإذا ما رجعنا إلى ما بقى من كتب (كراع النمل) وجدناه يهتم بناحية لغوية تلفت النظر هى مسألة الألفاظ البعيدة فى المعنى والدلالة. المألوفة فى اللفظ بحيث يكثر من تلك المعانى غير المألوفة. أما المعانى المشهورة فهو أقل اهتماما بها من سابقتها.

(١) المنجد فى اللغة

يوجد من هذا الكتاب أربع نسخ الثلاث الأولى بدار الكتب المصرية والرابعة فى المتحف البريطانى.

الأولى : مكتوبة بخط نسخ مضبوط بالشكل مكتوبة سنة ٥٨٥ هـ (برقم ٩١١١ هـ). وهى مصورة عن الأصل المرقم ٢٦٥ لغة.

الثانية : برقم ٤٩٠ وتتكون من ٢٣٤ صفحة وهى منقولة عن الأصل نفسه، ومكتوبة بخط نسخ سنة ١٣٣٨ هـ.

الثالثة : برقم ٥١٣٥ مجاميع، وهى مكتوبة سنة ٧٧٥ هـ.

الرابعة : هى نسخة المتحف البريطانى وتتكون من ٧٧ ورقة، ومكتوبه سنة ١٢٢٩ هـ وفى معهد المخطوطات نسخة مصورة عنها برقم ٢٧٧ لغة.

وقد حققه السيد (فوزى مسعود) ونال به درجة الماجستير من آداب

---

(١) انباه الرواة ٢/ ٢٤٠

القاهرة سنة ١٩٧٣ م . غير انه لم يدرسه دراسة جيدة ، ولم يبين الظواهر اللغوية فيه ، ولم يلاحظ اهتمامه بالغريب والحوشي ولم يدرس الشواهد .

وخير ما عمله المحقق أنه نقل الكتاب من نص مخطوط إلى صورة أخرى أكثر وضوحاً وأيسر منالا . وقد قمت بدراسة القضايا التي أهملها .

منهج الكتاب

أولا : أبوابه :

يمكننا أن نرسم منهج المؤلف في هذا الكتاب من حيث الخطوط العامة بما ذكره في أوله إذ يقول(١) : (هذا كتاب ألفته فيما اجتمعت عليه الخاصة والعامة من الألفاظ التي عمت مرائيها وخصت معانيها وجعلته ستة أبواب :

الباب الاول منها : في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .

الباب الثاني : في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام .

الباب الثالث : في ذكر الطير الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .

الباب الرابع : في ذكر السلاح وما قاربه .

الباب الخامس : في ذكر السماء وما يليها .

الباب السادس : في ذكر الأرض وما يليها . وفي هذا الباب ثمانية وعشرون فصلا ، على عدد حروف الهجاء من الألف إلى الياء ، وأثبت في كل باب منها ما قصدت له من الحروف المتشابهة بأجناسها ، وما سنح من الشواهد عليها ما يكون فيه الدلالة دون الإكثار والإطالة .

وبالله التوفيق ، والتسديد ، ومنه العون والتأييد .

---

(١) المنجد في اللغة /١

ومن هذا يظهر أن الخطوط العامة للمنهج تتلخص فى النقاط الآتية :

١ - الكتاب مقسم إلى ستة أبواب تبتدىء بخلق الإنسان وتنتهى بالأرض وما يليها . .

٢ - حرص فى كل مادة لغوية - وفى كل الأبواب - على ذكر ما تشابه لفظه واختلف معناه وهذا ما يعنيه (بالألفاظ التى عمت مرائيها وخصت معانيها) .

٣ - لم يراع - فى إيراد (ما تشابه لفظه واختلف معناه) منهجا واحدا ، فقد يطيل إطالة نسبية ومن أمثلة ذلك كلامه فى شرح كلمة « السماء »[1] حيث قال :

(السماء جمعها سماوات والسماء : المطر . قال النمر بن تولب :

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر

غمام تدلى برزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

وقال آخر[2] :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

والجميع : سمى (قال العجاج :[3] تلفه الأرواح والسمى) وسماوة البيت رواقه وهو الشقة دون العاليا . قال طفيل الغنوى :

سماواته أسماء برد محبر وصهوته من أتحمى معصب

---

(١) المنجد في اللغة /٥٨

(٢) البيت لمعوذ الحكماء : معاوية بن مالك . انظر اللسان (سما) ١٢٣/٢٩

(٣) اللسان (سما) ١٢٣/١٩ ونسبة لرؤبة بن العجاج وتمامة (فى حفه أرطاة لها حنى) .

وسماء البيت أعلاه من السمو وهو العلو ـ قال ذو الرمة يذكر بيت العنكبوت وأنه خرقه بالدلو :

وبيت بموماة خرقت سماءه إلى كوكب يزرى له الوجه شاربه

والكوكب معظم الماء ، وكوكب كل شيء معظمه وكوكب الكتيبة معظمها) .

وقد يوجز فى الشرح إيجازا غير مخل بحيث لا يورد أقل من كلمتين متشابهتين فى اللفظ مختلفتين فى المعنى كما فى مادة : الثريا [(١)] والجان [(٢)] وحوثرة [(٣)] والرمان [(٤)] .

لكنه قد يوجز أحيانا فيذكر معنى غير مشهور للكلمة ويترك المعنى الأصلى لأنه مشهور ـ كما قال فى مادة (جنب) قال : (وجنب قبيلة من قبائل اليمن) [(٥)] . وفى مادة (أذن) قال : (الأذن من الرجال الذى يأذن لكل قائل أى يسمع [(٦)] . وفى مادة (عظم) قال : (والعظم خشب الرحل بلا انساع ولا أداة) .

٤ ـ واتبع فى ترتيب المواد نهجين مختلفين ، ففى الأبواب الخمسة الأولى رتبها على أساس المعانى . أما الباب السادس فرتب مواده على أساس المبانى .

---

(١) المنجد / ٩٨
(٢) المنجد / ١٢٧
(٣) المنجد / ١١٢
(٤) المنجد / ١٣٧
(٥) المنجد / ١٩
(٦) المنجد / ٦

ثانيا ـ عدد المواد :

ففى الباب الأول أورد (٩٣) ثلاثا وتسعين مادة لغوية ، ابتدأها بالرأس[١] وأنهاها بالقدم[٢] .

وفى الباب الثانى باب صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم الأهلية والوحشية والهوام أورد (٦٣) ثلاثا وستين مادة لغوية أكثرها فى أسماء الحيوان ، منها أسماء أصلية كالنمر ، والأسد والفيل والقط[٣] ومنها صفات لمسمى واحد كالجارية والصبى والعجوز والحماة إذ إنها صفات للإنسان الذى ذكر فى أول الباب ....[٤]

وفى الباب الثالث أورد (٤٠) أربعين مادة لغوية[٥] أكثرها يتصل بأسماء الطير (الجارح) كالعقاب والصقر والنسر ، وغير الجارح كالبلبل والوطواط والخطاف والحمامة والقطاة .

ونجد أنه أضاف قسما من الحشرات إلى هذا الباب كالذباب والزنبور واليعسوب والفراشة والبعوض[٦] ولعله أضافها لأنها تطير .

وفى الباب الرابع : باب السلاح وما قاربه ـ يذكر عشر مواد لاغير هى سيف ، درع ، سنان ، جوشن ، بيضة ، سهم ، وتر ، سوط ، جرز[٧]

وفى الباب الخامس ذكر تسع مواد فقط هى :

---

(١) المنجد /٢

(٢) المنجد /٥

(٣) المنجد /٢٩ ـ ٣٠

(٤) المنجد /٢٦ ـ ٢٧

(٥) المنجد /٤٧

(٦) المنجد /٥٦ ـ ٥٧

(٧) المنجد /٥٦ ـ ٥٧ والمجرد ورقة ٨٤ : أبواب السلاح : باب السيف ، باب الرمح باب القوس ، باب الاوتار ، باب السهام باب الترس ، باب الدرع ، باب الجعاب .

سماء ، نجم ، برق ، رعد ، شمس ، هلال ، قمر ، عرش ، ليل(١) .

أما فى الباب السادس والأخير فقد انتهج فيه نهجا آخر إذ رتب المواد اللغوية ترتيبا هجائيا ابتدأه بالألف وانتهى بالياء بالنسبة للحرف الأول(٢) .

وراعى الحرف الثانى ورتبه ترتيبا هجائيا بالنسبة لكل حرف من الحروف الثمانية والعشرين ـ ففى كل حرف فصل التزمه فى جميع مواده لكنه راعى فى الحرف الثانى من كل مادة فى هذا الفصل الترتيب الهجائى ففى فصل الطاء مثلا أورد مادة الطائف ، ثم الطاق ثم الطارق ثم الطالع ثم الطبل ثم الطبق ثم الطريق ثم الطرة ثم الطر ثم الطريد ثم طفه ثم الطفل ثم الطلق وأخيراً الطوفان(٣) .

أى أن ترتيب الحروف بعد الحرف الأول (فى فصل الطاء) جاء هكذا: ط أ ، ط ب ، ط ر ، ط ف ، ط ل ، ط و .

وفى فصل الميم أورد مادة الماعز وبعدها مالك ، ثم المأتم ثم المبين (ثم المثرود ثم المجاعة) ثم المحار ، ثم المحدود ، ثم المحراب ، ثم المخالف ثم المختفى ثم المخلب ثم المخراق ثم المداد ثم المدية ثم المد ثم المدرجة ثم المدرى ثم المدمر ثم المدهن ثم المرج ثم المزر ثم المسيح ثم المستنجى ثم المصاص ثم المصباح ثم المصمت ثم معاوية ثم المعمم ثم المغربل ثم المغرم ثم المقود ثم المكوك ثم المسكر ثم المن ثم المولى ثم المهاة ثم المهبل .

---

(١) المنجد ٥٨ ـ ٦٠

(٢) المنجد ٦١ وما بعدها .

(٣) المنجد /١٥٩ ـ ١٦٢ .

أى أنه رتب الحروف الهجائية بعد الحرف الأول هكذا .

م ا ، م أ ، م ب ، م ث ، م ج ، م ح ، م خ ، م د ، م ر ، م ز ، م س ، م ص ، م ع ، م غ ، م ق ، م ك ، م ن ، م و ، م هـ .

ومنهج (كراع) فى هذا الكتاب يجعلنا نقف وقفة طويلة لنتأمله فى تفرده وفى نواحيه الأخرى التى قد يكون فيها موفقا أو غير موفق .

فالمعاجم المعروفة لدينا نوعان : معاجم المعانى ومعاجم الألفاظ ، فالأولى رتبت المواد اللغوية تبعا للمعانى فقسمت إلى : كتاب خلق الإنسان وخلق الفرس وكتاب الإبل وكتاب السماء[١] .

أما معاجم الألفاظ فقد رتبت موادها اللغوية حسب بنائها اللفظى ، ولكل واحد ، أو مجموعة من تلك المعاجم طريقة . فمنها مارتب مواده حسب مخارج الحروف كالعين ومن تابعه فى منهجه كالازهرى والقالى : فى تهذيب اللغة والبارع .

ومنها مارتبة حسب الترتيب الهجائى ، وأول معجم من هذا النوع هو (الجيم) لأبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) وقد راعى الشيبانى الحرف الأول دون بقية الحروف[٢] .

وفى النصف الثانى من القرن الثالث حدث تطور جديد فى المعاجم التى قامت على أساس الترتيب الهجائى ، حيث التزمت ترتيبين هجائيين فى آن واحد . فمع الحرف الأول رتبت جميع حروف الهجاء هكذا :

---

(١) فصول فى فقه العربية / ٢٠٥

(٢) ينظر كتاب الجيم (مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٠٨ لغـة) .

أب ، أت ، أث ، أج ، أح ، أخ ، أد ، أذ ، أر ، أز ، أس ، أش ، أص ، أض ، أط ، أظ ، أع ، أغ ، أف ، أق ، أك ، أل ، أم ، أن ، أو ، أه ، أى .

غير أن النظام الذى اتبعه (كراع) فى المنجد يلفت النظر فهو فى الحقيقة مبنى على منهجين : منهج يماثل معاجم المعانى ومنهج يماثل معاجم الألفاظ المرتبة ترتيبا هجائيا .

فالأبواب الخمسة الأولى منه لا تلتزم بالنظام الهجائى بل هى مرتبة ترتيبا يخضع لاجتهاد المؤلف وموضوع الباب ففى باب أعضاء البدن من الرأس إلى القدم) يبدأ بذكر الرأس . ثم يذكر الهامة ، ثم الجمجمة ثم الوجه ثم الجبهة ثم الحاجب ثم العين . وهكذا[١] .

وفى باب السماء وما يليها ، يبدأ بذكر السماء ثم يذكر الكوكب ثم النجم ثم البرق ثم الرعد ثم الشمس ثم الهلال . وهكذا[٢] .

ولا يلتزم بالتنظيم الهجائى إلا فى الباب السادس والأخير ، وهو (باب الأرض ـ وما عليها)[٣] .

وهذا المنهج المركب يجعلنا نشك فى القول الذى اتفق عليه كل من (ياقوت[٤]) والسيوطى[٥] حيث ذكر أن المنجد هو اختصار المجرد وأن المجرد هو اختصار المنضد ولما كان المنضد مرتبا على حروف الهجاء ألف باء تاء ، كما روى (ياقوت) نفسه[٦] . فمعنى ذلك أن المنجد مرتب ترتيبا هجائيا كأصله .

---

(١) المنجد /٢

(٢) المنجد ٥٨ ـ ٥٩

(٣) المنجد فى اللغة ٦١ وما بعدها .

(٤) معجم الادباء ١٣/١٣

(٥) بغية الوعاة ١٥٨/٢

(٦) معجم الادباء ١٣/١٣

فلو كان ماقاله صحيحا لكان المنجد كله مرتبا ترتيبا هجائيا ولما كان هذا الترتيب غير متوفر إلا فى باب واحد من مجموع ستة أبواب ، فهو كتاب مستقل ، وعبارته الأولى توحى بذلك .

ثالثا ـ أهم قضاياه اللغوية :

١ ـ ذكر الجموع :

ومن اهتمامه اللغوى الذى بدأ واضحا فى المنجد أنه يحفل بذكر الجموع كثيراً فأحيانا يذكر جمع المادة اللغوية فى مقدمة الشرح وأحيانا يؤخرها . وفى حالات أخرى يورد عدة جموع للكلمة الواحدة . وإذا كانت الكلمة مما يذكر ويؤنث — باختلاف معنى — مثل (لسان) فإنه يورد جمع مذكره وجمع مؤنثه .

فى الباب الأول وفى مادة (بدن) قال : (والبدن : الدرع القصيرة وجمعها أبدان[١] . وفى مادة « حلقوم » قال : (حلاقيم البلاد نواحيها واحدها حلقوم على القياس[٢] . وفى مادة (منكب)[٣] قال : (المنكب : جانب الأرض والجمع مناكب . وفى القرآن : « فامشوا فى مناكبها » (الملك : ١٥) .

وفى مادة « لسان »[٤] قال : (لسان القوم : المتكلم عنهم ، ولسان الميزان ، ولسان النار فأما اللسان من الإنسان وغيره فيذكر ويجمع على

---

(١) المنجد /٩

(٢) المنجد /١٠

(٣) المنجد /١٣

(٤) المنجد /٧

ألسنة ، ويؤنث ويجمع على ألسن ، فإذا أريد به الرسالة فإنه مؤنث لا غير قال الشاعر وهو أعشى باهله :

إنى أتتنى لِسانٌ لا أُسَرُّ بها

مِن عَلْوُ لا كَـذِبٌ فيها ولاسَخَرُ

وفى مادة[1] (راحة) قال :(الراحة من الإنسان جمعها راح وراحات كما قيل آية وآى وآيات وهى العلامة وَراية الحرب راى ورايات ، وغاية وغاى وغايات وغابة وغاب وغابات ومساحة ومساح ومساحات) .

٢ ـ ذكر اللغـات :

ومن اهتمام كراع فى (المنجد) ذكره لغات الكلمة ، وأعنى بلغات الكلمة تغير دلالتها بعد تغير حركاتها ، أو إبقاء الدلالة ثابتة مع تغيير حركات الكلمة ، وكذلك تغير مدلول الكلمة بالنسبة للقبائل المختلفة وبعض هذه الدلالات مألوفة وبعضها شاذ يخرج عن القياس المطرد المألوف عند اللغويين .

ومن الأمثلة على الحالة الأولى الفرجة بضم الفاء وفتحها باختلاف الدلالة[2] . فالفرجة بالضم ، يقال له عندى فرجة إن كنت صادقا ـ والفرجة فى الحائط ونحوه ، والفرجة بالفتح فى الأمر . قال الشاعر .

رُبما تَـكَرهُ النفوسُ مِن الأمـ ـر له فـَرجة كَحَلِّ العقالِ

(١) نفسه /١٦

(٢) المنجـد /١٨١

ومن هذا النوع مادة (الفص) إذ الفص فص الخاتم وجمعه فصوص والفصوص المفاصل ، كلها إلا الأصابع واحدها فص بالفتح .

ومن الأمثلة على الحالة الثانية كلمة (إصبع) ففيها ثمانى لغات : أصبع بفتح الألف والباء وأصبع بفتح الألف وكسر الباء . ويقال أصبع بضم الألف والباء ، وأصبوع بالواو ويقال أصبع بضم الألف وفتح الباء ، ويقال : إصبع بكسر الألف والباء ، وإصبع بفتح الباء وإصبع بضمها[1] ومنها مادة (النطع) فالنطع الذى يفترش فيه أربع لغات : نِطْع ونَطَع ونَطْع ، ونُطْع .

وربما كان هذا التعدد فى اللغات نتيجة تعدد اللهجات التى جمع مادتها اللغويون دون أن تنسب إلى قبيلة معينة ، لأنه لا يمكن أن تنطق القبيلة الواحدة بكلمة على أربع صور ، مع بقاء دلالة الكلمة ثابتة ، لأن ذلك يحدث اضطرابا فى الفهم والإبانة عن مقاصد الكلام . فمن المنطق اللغوى السديد أن تكون كل صورة منسوبة إلى قبيلة أو منطقة لغوية ما لم تبين هويتها كتب اللغة التى أهملت هذا الجانب وقلما اهتمت به . وهو الجدير بالاهتمام .

أما أن يكون للكلمة شكلان مختلفان باختلاف الحركات مثل العدس بفتح الدال (الذى يؤكل) والعدس : ساكن الدال (بمعنى شدة الوطأ على الأرض) فيمكن أن تكون ـ فى هذه الحالة ـ منسوبة إلى قبيلة واحدة لأنه من الضرورى أن يختلف شكل الكلمة من حيث الحركات باختلاف الدلالة ـ مادام رسمها واحدا ـ لتظهر الحركة الفرق بين المعنين ، أو المعانى إن تعددت تلك المعانى .

(١) المنجد ١٦ ـ ١٧ (باختصار وبتصرف قليل مع المحافظة على تسلسل أفكار المؤلف) .

ويمكن أن نعزو قسما مما جاء متشابهاً فى اللفظ مختلفاً فى المعنى إلى اختلاف لهجات القبائل وآية ذلك أن « المقود » الذى يقاد به البعير ، هو عند أهل اليمن يعنى الأنف[١] والسرحان : الذئب ، وهو فى لغة هذيل : الأسد[٢] والضنا : السقم ، والضنا فى لغة طيء[٣] الولد . وما زال المصريون يستعملون الكلمة بهذا المعنى ، فتقول الأم ، يا ضناى تريد : يا ولدى . والطالع : الذى يطلع عليك ، والطالع : الهلال بلغة أهل اليمن .

٣ ـ الاهتمام بالمذكر والمؤنث :

ونراه يهتم ـ فى الباب الأول : باب أعضاء البدن ـ ببيان المذكر والمؤنث من أعضاء الإنسان .

فاللسان يذكر ويؤنث ، فإذا ذكر فإنه يجمع على ألسنة وإذا أنث جمع على ألسن[٤] .

وذراع الإنسان يذكر ويؤنث[٥] ، والكبد مؤنثة[٦] والساق من الإنسان مؤنثة[٧] وضلع الإنسان مؤنثة[٨] .

وإذا ما قابلنا قائمة المؤنثات بما أورده الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) فى تهذيب العين وجدناهما متشابهتين تماماً[٩] .

أما مايذكر ويؤنث فهو يطابق تماماً ماذكره ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ فيما يذكر ويؤنث[١٠]

---

(١) المنجد ٢١٠

(٢) المنجد /٢٩

(٣) المنجد ١٥٨

(٤) المنجد /٧

(٥) المنجد /١٤

(٦) نفسه /١٩

(٧) المنجد /٢٤

(٨) المنجد /١٩

(٩، ١٠) المزهر ٢ ٢٢٣ ، ٢٢٤

فربما اعتمد هذان العالمان كتاب المنجد مصدراً فى هذا الموضوع ،
وربما نقل كل واحد منهم : كراع والزبيدى وابن مالك من مصدر واحد .

رابعا ـ شــواهده :

شواهد كراع خمسة أنواع هى :

١ — الشاهد الشعرى ...

٢ — الشاهد القرآنى ...

٣ — شاهد الحديث النبوى ...

٤ — الشاهد من أقوال الفصحاء ...

٥ — الشاهد المثلى ...

١ ـ الشاهد الشعرى :

عند إحصاء شواهده الشعرية نجدها بلغت (٧٠٤) شواهد منها (٤٥٠) شاهداً منسوبة نسبة صريحة إلى مجموعة كبيرة من الشعراء ينتمون إلى أربع طبقات وهم :

(ا) الشعراء الجاهليون .

(ب) الشعراء المخضرمون .

(ج) الشعراء الإسلاميون .

(د) الشعراء المحدثون (أو العباسيون) .

(ا) أما الشعراء الجاهليون فبلغ عددهم عنده (٥٨) شاعراً هم : ابن أخت تأبط شراً ، وابن براقة الهمدانى ، وأبو جندب الهذلى (ساعدة ابن العجلان) ، وأبو دؤاد الإيادى ، وأبو فرعون السعدى وأبو قيس

ابن الأسلت ، وأبو مهراس ، والأعشى الكبير ، وأعشى باهلة ، وأعشى نهشل ، والأعلم بن عبد الله الهذلى ، والأفوه الأودى (صلاءة بن عمرو ابن مالك) وامرؤ القيس ، وأمية بن أبى الصلت ، وأوس بن حجر ، وبشر ابن أبى خازم الأسدى ، وبشر بن سفيان الراسبى ، وبيهس بن صريم الجرمى وتأبط شراً (ثابت بن جابر) وثعلبة بن صعير المازنى ، والجموح الهذلى ، والجميح منقذ بن الطماح الأسدى ، والحارث بن حلزة اليشكرى ، وخراشة ابن عمرو ، والخطيم الضبابى ، وذو الإصبع العدوانى (حرثان بن عمرو بن قيس ابن عيلان) وزبان بن سيار الفزارى ، والزباء ، وزهير بن أبى سلمى ، وساعدة ابن جؤية ، وسراقة البارقى ، وشبيل بن عذرة ، وشوأل بن نعيم ، وطرفة ابن العبد ، وطفيل الغنوى ، وعامر بن الطفيل ، وعبيد بن الأبرص الأسدى ، وعدى بن زيد العبادى ، وعطاف بن أبى شفقرة الكلبى ، وعقبة ابن سابق الجرمى ، وعتبة بن مكدم التغلبى ، وعلقمة ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة ، وعدى بن الحذير ، وفاطمة بنت الأحجم الخزاعية ، وقيس بن الخطيم ، والكلحبة العرنى (هبيرة بن عبد مناف التميمى) ومالك بن نويرة ، والمتلمس (جرير بن عبد المسيح الضبى) والمثقب العبدى ، والمسيب بن علس ، والمنخل اليشكرى ، والمهلهل بن ربيعة ، والنابغة الذبيانى ، وهند بنت عتبة ، ووعلة الجرمى ، ويزيد بن خذاق العبدى .

ومجموع الأبيات التى استشهد بها هؤلاء جميعاً (١٩٨) شاهداً .

(ب) أما الشعراء المخضرمون فبلغ مجموعهم فى كتابه (٢٩ شاعراً) هم : ابن أحمر (عمرو بن أحمر الباهلى) وأبو ذؤيب الهذلى ، وابن مقبل (تميم بن أبى بن مقبل) ، وأبو المثلم الهذلى ، والأغلب العجلى ، وأمية ابن أبى عائذ الهذلى ، وأوس بن مغراء ، وجريبة بن أشيم الأسدى ،

وحسان بن ثابت ، والحطيئة ، وحميد بن ثور الهلالى ، والخنساء ، وزيد الخيل الطائى ، وسحيم بن وثيل الرياحى ، وسويد بن كراع ، والشماخ بن ضرار الغطفانى ، وصخر الغى الهذلى ، وعباس بن عبد المطلب ، والطرماح بن عدى ، وعبد الله ذو البجادين ، وعبده ابن الطبيب ، وعبد مناف بن ربع الهذلى ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، ومتمم بن نويرة ، والنابغة الجعدى ، والنجاشى (قيس بن عمرو) والنمر بن تولب ، وهند بنت أبى سفيان .

أما مجموع شواهد هؤلاء فبلغت (١٠٧) شواهد .

(ج) أما الإسلاميون الذين استشهد « كراع » بشعرهم فبلغوا (٣٠) شاعراً هم :

أبو النجم العجلى (الفضل بن قدامة) والأخطل التغلبى ، وأيمن بن خريم الأسدى ، والبعيث (خداش بن زهير) وجرير ، وحميد الأرقط ، ودكين ابن رجاء الفقيمى ، وذو الرمة (غيلان بن عقبة) والراعى النميرى (حصين ابن معاوية) ، ورؤبة بن العجاج ، وزياد الأعجم ، وسعدى بنت الشمردل ، والشمردل اليربوعى ، والطرماح بن حكيم ، وعبد الرحمن بن حسان ، وعبدالله بن الدمينة ، والحجاج ، وعدى بن الرقاع العاملى ، وعمر بن حطان السدوسى ، وعمر بن أبى ربيعة ، والفرزدق ، والقطامى (عمير بن شييم التغلبى) وقيس بن معاذ (المجنون) ، وكثير بن عبدالرحمن الخزاعى ، وكعب بن جعيل ، والكميت بن زيد الأسدى ، والمتوكل الليثى ، والمرار الفقعسى ، ومسكين الدارمى ، ونصيب بن رباح

أما مجموع شواهد الشعراء المخضرمين فبلغت (١٣٩) شاهداً .

(د) أما الشعراء المحدثون الذين استشهد بشعرهم فبلغوا خمسة شعراء هم :

بشار بن برد، وبشر بن المعتمر، وأبو شبل الأعرابى (عصم بن وهب) وأبو المقدام البصرى، وابن هرمة[1] .

أما مجموع شواهد شعر المحدثين فبلغت ستة شواهد .

ويمكن بيان طبقات الشعراء، وعدد شعراء كل طبقة وشواهدها بالجدول الآتى :

الطبقة	عدد الشعراء	عدد الشواهد
الجاهليون	٥٨	١٩٨
المخضرمون	٢٩	١٠٧
الإسلاميون	٣٠	١٣٩
العباسيون	٥	٠٠٦

أما أكثر الشعراء الجاهليين الذين استشهد لهم، مرتبين حسب سلم التدرج فى الاستشهاد، فيبينهم الجدول الآتى :

الشاعر	مرات الاستشهاد	الشاعر	مرات الاستشهاد
الأعشى	٢٣	زهير	١٥
امرؤ القيس	١٧	أوس	١٤
النابغة	١٦	عدى بن زيد	١٣

(١) اعتمدت فى تصنيف هؤلاء الشعراء على الكتب الآتية : طبقات ابن سلام، والشعر والشعراء، والاغانى، والمؤتلف والمختلف، ومعجم الشعراء، وعلى اجتهادى .

أما المفضلون من المخضرمين فهم :

الشاعر	مرات الاستشهاد	الشاعر	مرات الاستشهاد
ابن مقبل	١٥	النابغة الجعدى	١١
لبيد بن ربيعة	١٤	الشماخ	٧
أبو ذؤيب	١٣	ابن أحمر	٧

أما المفضلون من الإسلاميين فهم :

ذو الرمة	٣١	جرير	٦
الكميت ورؤبة وأبوه	١٦ مرة (لكل واحد)	الراعى	٦
الأخطل	٧		

بين منهج كراع ومناهج اللغويين النقدية :

وهذا المنهج الاستشهادى لكراع يثير مشكلات نقدية عدة :

الاولى : أن عدد الشعراء الجاهليين الذين استشهد بهم كراع يعادل مجموع شعراء الطبقتين التاليتين (تقريباً) كما أن عدد الشواهد الجاهلية هى أكثر من أية مجموعة أخرى من الشواهد .

الثانية : أنه استشهد بالشعراء المحدثين وتجاوز بعددهم مقاييس كثير من اللغويين .

الثالثة : سلم التفضيل فى الاستشهاد .

أما بالنسبة لتفضيل الشعراء الجاهليين فى الاستشهاد والثقة بلغتهم فأمر يكاد يكون ظاهرة عامة عند اللغويين والنحاة .

فهذا أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) أول النقاد طراً يقف بجانب

الشعراء الجاهليين ، ويروى شعرهم فيقتصر عليه ، حتى قال الأصمعي : « جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ، ما سمعته يحتج ببيت إسلامي)[1].

أما ابن الأعرابي (محمد بن زياد - ت ٢٣٠ هـ) فيرى الأفضلية للطلقة للشعر الجاهلي وهو بصدد الموازنة بين شعرهم وشعر المحدثين حيث يقول : إنما أشعار هؤلاء المحدثين — مثل أبي نواس وغيره — مثل الريحان يشم يوماً ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً) .

ويظهر أن هذه المسلّمة شائعة بين الشعراء كما هي شائعة بين النقاد . فقد جاء رجل من بني تميم إلى الفرزدق فقال : قد قلت شعراً فانظر فيه ، وأنشده . فقال الفرزدق[2] (يا ابن أخي إن الشعر كان جملا بازلا عظيماً ، فأخذ امرؤ القيس برأسه وعمرو بن كلثوم سنامه وعبيد بن الأبرص فخذه ، والأعشى عجزه ، وزهير كاهله ، وطرفة كركرته ، والنابغتان جنبيه وأدركناه ولم يبق إلا المزارع والبطون فتوزعناه بيننا) .

وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، رغم ادعائه إنصاف الشعراء ماداموا محسنين ، دون النظر إلى كونهم قدامى أو محدثين ، فإنه عند التطبيق لم يستطع أن يغلب تلك الموجة الطاغية بل قرر اتباع أساليب الجاهليين في بناء القصيدة ، والشاعر الجيد من سلك هذه الأساليب[3] .

أما تفضيل الشعراء الجاهليين بهذا التسلسل : الأعشى ، ثم امرؤ القيس

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢١ .
(٢) الموشح / ٢٤٦ .
(٣) الشعر والشعراء ١ / ٧٥

ثم النابغة ، ثم زهير - عند كراع - فيمكن مقارنته بالمبادىء النقدية التي كانت سائدة في زمن كراع وقبله .

فقد كان أمراً مجمعاً عليه أن أشعر الشعراء الجاهليين امرؤ القيس والأعشى والنابغة وزهير وهو رأى أقره أبو عمرو بن العلاء (١) .

وقد احتفظ امرؤ القيس بالمكانة الأولى ، عند « معاذ الهراء »(٢) ، ثم تلاه زهير ثم عبيد . وارتضى « يونس بن حبيب » التصنيف الذي وضعه أبو عمرو بن العلاء .

غير أن هذا الترتيب ليس قانوناً (مطرداً) لا يقبل التخلف ، فغالباً ما عقد اللغويون الموازنة بينهم ، فقد اختلطت مكانة النابغة وامرىء القيس في ذهن الأصمعي : فهو تارة يفضل النابغة ويراه أشعر الناس ، لكنه ما يلبث أن يقول : ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرىء القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهم بِبَنِي أَبِيهم وبالأشقَيْنَ ما كان العقاب (٣)

وفي هذا القول مبالغة كبيرة . . لأن فيه إهداراً لما قاله الشعراء الآخرون .

أما زهير فلم يحظ بتقدير أبي عمرو بن العلاء ، لأنه رجح عليه كفة النابغة(٤) بل كان شاعر قريش المفضل ، وإلى هذا المعنى ذهب حماد الراوية عند قوله : إنه لم يدرك أحداً من أهل العلم من قريش يفضل على زهير أحداً من الناس في الشعر (٥) .

---

(١) سنية أحمد : النقد عند اللغويين في القرن الثاني ١٣٢ (رسالة ماجستير بآداب القاهرة) .

(٢) الاغاني ١٧ : ٣٣

(٣) الاصمعي : فحولة الشعراء /١١٣

(٤) الموشح /٤٧

(٥) ثعلب : شرح ديوان زهير ١٣،٢٦

ويحتل زهير المرتبة الثانية عند أبى عبيدة [١] وقد وضع أوساً فى الطبقة الثالثة من الشعراء التى تضم المرقش وكعب بن زهير والحطيئة ، وخداش بن زهير ، ودريد بن الصمة ، وعروة بن الورد ، والنمر بن تولب ، والشماخ بن ضرار وعمرو بن أحمر ، فى حين يضع ابن سلام (ت ٢٣٢ هـ) أوساً فى الطبقة الثانية من فحول الجاهلية [٢] .

أما الأعشى فقد نال إعجاب جل النقاد ، فكان أبو عمرو بن العلاء (يفخم منه [٣]) . وهناك مايشبه الإجماع على أن أهل الكوفة لايقدمون على الأعشى أحداً [٤] لكن علماء البصرة يقدمون امرأ القيس وأهل الحجاز يقدمون زهيراً [٥] .

وهذا ما يجعلنا نقول مطمئنين : إن تقديم (كراع النمل) هؤلاء الشعراء واستشهاده بهم بذلك الترتيب ناتج عن المسلمات النقدية السائدة وقتئذ بقدر ما هو انعكاس كلى لها .

أما موقفه بالنسبة للشعراء الإسلاميين فيختلف تماماً . . . فقد كان أمراً مجمعاً عليه أن أشعرهم (جرير والفرزدق والأخطل) ، [٦] وهؤلاء الثلاثة احتلوا المقام الأول لدى أبى عمرو بن العلاء ، حيث لا يرى فوقهم أحدا ، [٧] فى حين فضل الأخطل [٨] كل من عبد الله بن أبى إسحاق

---

(١) السيوطى : شرح شواهد المغنى ١/٢٣.
(٢) طبقات ابن سلام /٨١
(٣) شرح شواهد المغنى ١/٢٤٣
(٤) فحولة الشعراء /٥٤
(٥) طبقات ابن سلام /٤٤
(٦) الاغانى ٨/٥
(٧) شرح شواهد المغنى ١/٢٢
(٨) الاغانى ٨/٢٨٣.

(ت ١١٧ هـ) وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ) وكان (يونس) يقدم[1] الفرزدق[2] وأبو عبيدة يرى ما يراه يونس[3].

وعند موازنة خلاصة هذه الآراء بما قدمه لنا (كراع النمل) نجد أنه خالف تلك الآراء النقدية فى منهجه لأنه قدم غير هؤلاء الثلاثة.

فقد قدم «ذا الرمة» واستشهد له إحدى وثلاثين مرة واستشهد بعده لكل من الكميت ورؤبة والعجاج بست عشرة مرة.

أما جرير والفرزدق والأخطل فيأتون عنده، فى مرتبة الاستشهاد بعد هؤلاء الأربعة وبهذا يكون صادراً عن أصالة فى الرأى واستقلال عن أية فكرة نقدية سائدة.

أما بالنسبة للاستشهاد بخمسة شعراء محدثين فأمر يثير الالتفات لأن اللغويين المشهود لهم بالتقدمة أمثال: أبى عمر بن العلاء، والأصمعى وأبى زيد الأنصارى (ت ٢١٥ هـ). وقفوا جميعاً بالشعر عند حدود (إبراهيم ابن هرمة) الذى أدرك أوائل العصر العباسى[4] أما ابن الأعرابى (ت ٢٣٠ هـ) فقد مسح بقلمه على الشعر المحدث كله وموقفه هذا تجسده مقالته فى شعر أبى تمام وقد أنشده: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»[5] غير أن رواة الكوفة ختموا الشعر بمروان بن أبى حفصة (ت ١٨١ أو ١٨٢ هـ). وهذا لم يرض الأصمعى[6].

(١، ٢) طبقات ابن سلام /٢٥١.

(٣) المبرد: الفاضل /١٠٩.

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣/٢ والأغانى ١٠٤/٤ والخزانة ٢٠٣/١.

(٥) الموشح /٣٠٤.

(٤) الموشح /٢٥١.

لكن كراع النمل تجاوز اختلاف وجهتي النظر هاتين فاستشهد بأربعة أبيات لأبي شبل الأعرابي : عاصم بن وهب بن أبي إبراهيم التميمي البصري الذي كان في أيام المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) وعمر بعده عمراً طويلاً. كما يقول المرزباني (١).

ولهذا يكون أول لغوي استشهد بالشعراء المحدثين وتجاوز الحدود التاريخية التي وضعها اللغويون الكبار قبله.

وهذا يجعل منهجه الاستشهادي في جملته متميزاً عن غيره ، بعيداً عن تأثره بالمسلمات اللغوية التي وضعها النقاد قبله ، إلا في بعض تفاصيله ، كما بينا .

٣ - الشاهد القرآني :

أما الشاهد القرآني فلم ينل (عناية كراع) بحيث تضاءل عدد الآيات التي استشهد بها فوصل إلى (سبع وعشرين) آية فاستشهاده بالآيات - من حيث العدد - يأتي بعد الشعر ، وإن كان الفارق كبيراً جداً ، فعدد الشواهد الشعرية (٧٠٤) فالنسبة بينهما ٢٣ : ١ .

أما المواد التي استشهد لها بالآيات فهي .

عنق ، منكب ، قدم ، قسط ، شيطان ، نجم ، أمر ، أسف ، أصاب ، برد - بمعنى نوم - ، بعل ، التمني - بمعنى القراءة - الجان ، - بمعنى الحية - الحرج - بمعنى الضيق - ، الخالفة ، دار ، الذنوب ، شاكل ، الشطر ، الطبق العول ، الغاشية ، الفتح ، اللحن ، النحاس ، اليمين ، يئس .

وقد لاحظت - بعد الموازنة بالمصحف - أن الآيات التي استشهد بها

---

(١) معجم الشعراء / ٢٧٥

جاءت حسب قراءة (حفص عن عاصم) المتواترة والموجودة الآن في مصاحف العراق والشام ومصر ، أما القراءات غير المتواترة ، فهو قليل الاهتمام بها ، بل هو عديم الاهتمام بها . أما قراءة يعقوب والحسن البصري[(١)] : « آمرنا مترفيها » « الإسراء » ، التي استشهد بها[(٢)] فليست دليلا كافياً على اهتمامه بالقراءة غير المتواترة ، فإذا ما وازنا بينه وبين معاصره النحاس في استشهاده بالقراءات في مجال التفسير اللغوي بدأ الفرق نجحة لما نقول، فالنحاس تزيد شواهده القرآنية على شواهده الشعرية كثيراً، كما أنه كثير الاستشهاد بالقراءات غير المتواترة[(٣)] .

٣ ـ شاهد الحديث النبـوى :

أما شواهد الحديث النبوى فقليلة جداً في « المنجد » وقد تختلط بأقوال الصحابة ، وقد بلغ مجموع الأحاديث التي استشهد بها كراع ثلاثة عشر حديثاً[(٤)] .

٤ ـ الشـاهد من أقوال الفصحاء :

وموقفه من أقوال فصحاء العرب ليس أحسن من موقفه من الحديث فإذا كان نصيب حديث سيد الفصحاء وصحابته ما وصفنا ، فما بالك بنصيب غيره ؟ ؟

ولهذا فإننا لا نعجب ـ وقد عرفنا السبب ـ إذا عرفنا أن جملة الأقوال التي استشهد بها لفصحاء العرب خمسة ليس فوقها قول[(٥)] .

(١) اتحاف فضلاء البشر /٢٨٢ .
(٢) المنجد فى اللغـة /٦٢
(٣) شرح القصائد التسع ٢٢٦ ، ٢٩٢ ، ٧١٨
(٤) المنجـد : ٣ ، ٢٩ ، ٦٤ ، ٨١ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ٢٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ حديثان ، ٢٢٥ .
(٥) المنجـد ٦١ ، ٨٨ ، ١٤٤ ، ١٢٥ ، ٢١٥ .

٥ ـ الشاهد المثلي :

أما الأمثال فبالرغم من صلاحيتها الكبيرة للاستشهاد اللغوي ـ لأنها مضبوطة في النقل لقصرها مما يسهل حفظها ، فإن ذلك لم يفسح لها المجال لتنال مكاناً في المنجد يناسب أهميتها اللغوية فكراع لم يستشهد إلا بأربعة منها [١] ، فكأنه اقتصر على الاستشهاد بالشعر أو كاد . أما بقية أنواع الشاهد من قرآني وحديثي فيبدو أنها ليست من استشهاده المباشر بل مما تسرب إليه من الكتب التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ـ أو مما سمعه من مجالس العلم .

خامسا ـ ملاحظات عن منهج (كراع) :

١ ـ يلاحظ أن المؤلف لا يرتب المواد بناء على الأصل الفعلي للكلمة كما هو مألوف في معظم المعاجم كالعين والجمهرة وتهذيب اللغة ومقاييسها وغيرها . . . بل التزم بالأصل الاسمي ولاسيما أسماء الفاعلين ، وقلما يورد أصلا فعلياً ، ففي (فصل العين) [٢] أورد المواد الآتية :

العاتب ـ عاثر ـ العاذر ـ العاذل ـ العارف ـ العادية ـ والعاثر ـ والعاني ـ والعائن ـ والعائذ ـ والعاقد ـ والعافي ـ وعثير ـ والعبقري ـ وعثر ـ والعثنون ـ والعجف ـ والعدل ـ العدس ـ والعزبة ـ والعذر ـ والحرب ـ والعرة ـ والعروة ـ والعرف ـ والعرجون ـ والعراق ـ والعروق ـ والعسف ـ والعصابة ـ والعصب ـ والعضد ـ والعصر ـ والعفج ـ والعقل ـ والعكم ـ وعكر ـ وعكل ـ والعلك ـ والعمى ـ والعمائم ـ والعنان ـ والعنبر ـ

---

(١) المنجد ٤٢ ، ٨٢ ، ١٦٠ ، ١٨٤ .
(٢) المنجد /١٦٤ وما بعدها .

والعنصل ـ وعوف ـ والعول ـ والعيد [1].

فقد رأينا أنه أورد (١٢) مادة لاسم الفاعل ـ من مجموع ٤٨ مادة ـ لم يذكر فيها سوى (٤) مواد فعلية هي ، عبر عثر عكر وعكل . كما أنه خصص (٨) مواد للمصدر .

٢ — كما يلاحظ أنه قد فاته الاستشهاد بكثير من الآيات المسعفة في مواد عديدة في حين أكثر من الاستشهاد بالشعر .

ففي مادة (الجرز) ـ في باب السلاح [2] يأتي قوله : (الجرز الذي يقاتل به جمعه جرزة وأرض جرز : لم تمطر) . وعندها كان يستطيع أن يستشهد بالآية الكريمة : « ألم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا » (السجدة : ٢٧) .

وفي مادة (العرجون) ـ فصل العين من الباب السادس ـ [3] جاء قوله (العرجون النخلة جمعه عراجين) ، وتضمنت هذا المعنى الآية الكريمة : « حتى عاد كالعرجون القديم » (يس : ٣٩) لكنه أغفلها .

وفي مادة (الفالق) [4] جاء قوله : (الفالق الذي يفلق الشيء يشقه شقاً) . وفي هـذا المعنى جاء قوله عز وجل : « فالق الحب والنوى » . (الأنعام : ١٩٥) .

وفي مادة (الفوت) بمعنى : الفوت في الطلب [5] جاء قوله تعالى « فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » (سبأ : ٥١) .

---

(١) لابد أن أشير ـ هنا ـ الى انى إعتمدت على الرسالة المحققة من المنجد ، وليس على المطبوع .
(٢) المنجد /٥٧
(٣) نفسه /١٧٠
(٤) المنجد /١٧٧
(٥) نفسه /١٨٨

وفى مادة (القبيل) بمعنى الجماعة[١] من الناس من الثلاثة فصاعداً جاء قوله عز وجل : « أو تأتى بالله والملائكة قبيلا » (الإسراء : ٩٢) .

غير أن « كراع النمل » أهمل ذكر هذه الآيات وغيرها ، وكان يستطيع أن يُثرى بها كتابه ويزيده بياناً ووضوحاً لو فعل !

٣ — ويلاحظ أن قسما من المواد مضطربة فى ترتيبها أو ناقصة من حيث مادتها فى بعض الأحيان .

فالاضطراب يبدو حيث يضع « كراع » (الإنسان والجارية والصبى والعجوز والحماة والحر) ، مع (الفيل والنمر والفهد) فى باب (صنوف الحيوان)[٢] وكان يجب أن يضع ما يتعلق بالإنسان فى « باب خلق الإنسان » .

وذكر فى باب السماء وما يليها مواد قليلة جداً جعلت عمله موجزاً إيجازاً مخلا ، حيث اكتفى بذكر (السماء والنجم والرعد والبرق والشمس والهلال والقمر والعرش والليل)[٣] .

فلماذا ذكر (الهلال والقمر) ولم يذكر البدر ؟ ولماذا ذكر (الليل) ولم يذكر النهار ؟ واللفظ الأخير يمكن أن يكون مما تشابه لفظه واختلف معناه بدليل ذكره له فى الفصل الأخير فى مادة النهار حيث قال : (النهار ضد الليل ، والنهار فرخ الحبارى وهو أيضاً ذكر البوم)[٤] .

وفى باب (خلق الإنسان) يبدو النقص واضحاً إذا ما وازنا جهود

---

(١) المنجد /١٩٠
(٢) المنجد /٢٦ وما بعدها
(٣) نفسه / ٥٨ ـ ٦٠
(٤) نفسه /٢١٧

« كراع » بجهود من سبقه في هذا الميدان : ميدان خلق الإنسان ، لا سيما كتاب ثابت بن أبي ثابت أو كتاب خلق الإنسان للأصمعي.

ولعل عذره في هذا أن كتاب المنجد غير مخصص لخلق الإنسان وأن كتابي الأصمعي وثابت مخصصان لذلك ، ومن هنا يأتي تبرير بعد الشقة بين نضوب معين كتاب كراع في خلق الإنسان وجود كتابي الأصمعي وثابت فيه .

٢ ـ المجرد في اللغة

وصف الكتاب :

توجد من كتاب (المجرد) نسخة واحدة خطية بدار الكتب برقم ٨٥٨ في ١٣٩ ورقة بخط مغربي ، تعسر قراءته وعنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم ٢٧٥ لغة .

والكتاب مرتب على أساس تنظيم كتب المعاني ويخلو تماماً من التنظيم الهجائي .

هذا الوصف ينطبق عليه إذا تجاوزنا بعض الفروق البسيطة بينه وبين كتب الصفات ، فهو يبدأ بمواضيع هي أدخل في باب الصفات ، ثم يستمر إلى منتصف الكتاب تقريباً ، وبعد ذلك يدخل في موضوعات كتب اللغات فقد أورد كثيراً من أبواب أمثلة الأسماء مثل باب فعلال وفعلول وفنعال وفنعول وختم الكتاب بموضوعات تتعلق بالقافية .

وفي القسم الأول أورد أربعة أبواب تتعلق بأول الشيء ، ثم ناحية الشيء ، ثم الوسط ، ثم العلو . وجاء بالألفاظ التي تتعلق بهذه الأمور . وهذه الأبواب الأربعة لم تتجاوز من الكتاب أكثر من ورقة واحدة .(٦)

وبعد ذلك أورد ما يتعلق بخلق الإنسان غير أنه مزج بينه وبين سائر الحيوان فى العنوان وفى المادة اللغوية . وفى هذا القسم أورد ما يزيد على أربعين باباً تتعلق بالإنسان خاصة وقليل منها يشترك فيه مع سائر الحيوان. وهذه الأبواب هى :

١ ـ باب خلق الإنسان وسائر الحيوان

٢ ـ باب الذكران من الحيوان ٣ ـ باب الإناث من الحيوان

٤ ـ باب الحمل ٥ ـ باب شهوة النكاح

٦ ـ باب النكاح ٧ ـ باب الولادة

٨ ـ باب ما يخرج من الولد ويكون فى الرحم

٩ ـ باب سقوط الولد لغير تمام ١٠ ـ باب نعوت الحيوان من الأولاد

١١ ـ باب أحوال المولود من صغره إلى كبره على التدريج

١٢ ـ باب الشباب ١٣ ـ باب الهرم

١٤ ـ باب العقل والرأى ١٥ ـ باب الحمق وضعف العقل

١٦ ـ باب اسجاء النفس ١٧ ـ باب الطبيعة والخلق

١٨ ـ باب القصر ١٩ ـ باب الطول

٢٠ ـ باب الجبن وضعف القلب ٢١ ـ باب القوة وشدة البدن

٢٢ ـ باب الحسن وجميل الأخلاق ٢٣ ـ باب القبح وبذىء الأخلاق

٢٤ ـ باب الخفة ٢٥ ـ باب صغر الخلق

٢٦ ـ باب عظم الخلق ٢٧ ـ باب الثقل

٢٨ ـ باب المداراة ٢٩ ـ باب العداوة والشتم والمراء

٣٠ ـ باب الإسراع والشر ٣١ ـ باب الإصلاح بين الناس

٣٢ ـ باب الإفساد بين الناس ٣٣ ـ باب الإبطاء والتامث

٣٤ ـ باب السكوت ٣٥ ـ باب النشاط

٣٦ ـ باب الكلام ٣٧ ـ باب الضحك

٣٨ ـ باب البكاء ٣٩ ـ باب الكسل

٤٠ ـ باب العزب ٤١ ـ باب البعل

وتستغرق هذه الأبواب (٢٥) ورقة من كتاب المجرد [١] وكل هذه الأبواب تتعلق بخلق الإنسان .

وبعد ذلك يورد قسما من الأبواب يتجاوز فيها ترتيبه السابق .

فحين يورد باب الجدب وشدة العيش والسنة يورد بعده باب النوم ثم باب الضوء والبياض ثم باب السهر ثم باب الجوع ثم باب كثرة المال وقلته ثم باب العطش ثم باب الرى ثم باب الشمس والقمر ثم باب الذهب والفضة ، ثم باب الدينار والدرهم ، ثم باب السير الشديد واللين ، ثم باب الجماعات من الناس وغيرهم ، ثم باب سمات الإبل ، ثم باب الاكتساب ، ثم باب الكبر ، ثم باب الكذب ، ثم باب الظلم ، ثم باب النصيحة .

وتستغرق هذه الأبواب (١٨) ورقة [٢] .

ويلاحظ أن « كراعا » أورد كثيراً من الأبواب التى تحمل ألفاظاً (متضادة) مثل باب السكوت وباب الكلام [٣] وباب الضحك والبكاء [٤]

(١) المجرد ورقة ٤ ـ ٢٩
(٢) نفسه ورقة ٣٣ ـ ٥١
(٣) المجرد ورقة ٢٨
(٤) المجرد ورقة ٢٩

وباب الإصلاح بين الناس ، وباب الإفساد بين الناس [1] وباب القصر وباب الطول [2] ، وباب الحسن وجميل الأخلاق ، ثم باب القبح وبذاء الأخلاق [3] .

غير أننا نلاحظ أن هذا الترتيب يضطرب فى بعض الأبواب : فباب النشاط [4] يأتى بعده باب الكلام وباب الضحك وباب البكاء [5] ثم يأتى (باب الكسل) ويأتى باب السكوت [6] وبعده باب النشاط ، ثم يأتى باب الكلام [7] ويأتى باب الخفة ولا يأتى بعده باب الثقل إلا بعد أن يأتى بابا « صغر الخلق وعظم الخلق » [8] .

منهج المجرد فى ضوء علم اللغة الحديث :

لو نظرنا إلى موضوعات (كتاب المجرد) فى ضوء علم اللغة الحديث ، وجدناه يشتمل على موضوعات تدور فى فلك علم اللغة . ومعظم أبوابه يمكن أن تدرس على أنها من أبواب علم دلالة الألفاظ وهذه أهم موضوعاته :

١ — توارد عدة أصول على معنى واحد أو ما يسمى : « المترادف » .

ومنهجه فى تناول هذا الموضوع يسير فى عدة اتجاهات :

---

(١) المجرد ورقة ٢٦

(٢) المجرد ورقة ١٦

(٣) المجرد ورقة ٢٠

(٤) المجرد ورقة ٢٨

(٥) المجرد ورقة ٢٩

(٦) المجرد ورقة ٢٤ ، ٢٥

(٧) المجرد ورقة ٢٨

(٨) المجرد ورقة ٢٨

(أ) فهو إما أن يجمع الألفاظ المختلفة لمعنى واحد فيجعلها تحت عنوان يدل عليها . ومن أمثلة ذلك :

« باب أسماء السُّم » . (١)

و « أسماء الدواهى » . (٢)

و « أسماء الأثر » . (٣)

(ب) أو يجمعها تحت عنوان يحمل لفظين مختلفتين من ذلك :

« باب الباطل والضلال » . (٤)

و « الردىء والدنىء من كل شىء » . (٥)

و « السكون والطمأنينة » . (٦)

و « القلق والضجر » . (٧)

(جـ) اتحاد الدلالة باختلاف الحركات :

ومنها ما يدخل فى بنية الكلمة الواحدة باختلاف الحركات مع اتحاد الدلالة من ذلك باب ما جاء على فِعَل وفَعَل سالمًا ومعتلا (٨) .

وباب ما جاء على فَعْل وفِعْل بمعنى واحد(٩) وباب ما جاء على فَعْل وفُعْل(١٠) بمعنى واحد وما جاء على فَعِل وفَعُل(١١) ، وما جاء على فَعْلل

(١) المجرد ورقة ٥٢ : أ
(٢) المجرد ورقة ٥٢ : ب
(٣) المجرد ورقة ٥٤ : ب
(٤) المجرد ورقة ٥٢ : ب
(٥) المجرد ورقة ٥٥ : أ
(٦ ، ٧) المجرد ورقة ٥٧ : ب
(٨) المجرد ورقة ٩١ : أ
(٩) نفسه ورقة ٩١ : أ
(١٠) نفسه ورقة ٩١ : ب
(١١) نفسه ورقة ٩٠ : أ

وفُعْلَال بمعنى واحد كذلك(١) .

(د) اتفاق الدلالة واختلاف اللفظ :

وعقد لهذا أكثر من فصل من ذلك باب(٢) إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان كقوله تعالى : « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » (طه : ١٠٧) .

وقوله تعالى : « فرجع موسى إلى قومه غضبان آسفاً » (طه : ٨٦)

وقوله تعالى : « وإني عليه لقوى أمين » (النمل : ٣٩) .

وقوله تعالى : « يجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجاً » (الأنعام : ١٢٥) .

وقوله تعالى : « فلا يخافُ ظلماً ولا هَضْماً » (طه : ١١٢) .

وقوله تعالى : « عَبس وبَسَر » (المدثر : ٢٢) .

وقوله تعالى : « إنما أشكو بثي وحزني إلى الله » (يوسف : ٨٦) .

وعقد لهذا الموضوع باباً آخر تحت عنوان : باب إذا اجتمع للشيء « اسمان مختلفان »(٤) وباباً ثالثاً تحت عنوان « باب إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان »(٢) .

٣ ـ تبادل الدلالات بتبادل البناء (أو قلب المعنى) :

وهذا الموضوع عقد له ابن الأول(٥) باب جعل فيه المفعول فاعلا والفاعل مفعولا من ذلك قوله عز وجل : « خُلِقَ الإنسان من عَجَل » (الأنبياء : ٣٧) ، وإنما العجل من الإنسان . وقوله تعالى : « ما إنّ مفاتحه

---

(١) المجرد ورقة ٩٠ : ب
(٢) المجرد ورقة ١١٥
(٣) المجرد ورقة : ١١٨ : أ
(٣) المجرد ورقة : ١١٥
(٤) المجرد ورقة : ١١٦

لَتنوءُ بالعُصبة » (القصص : ٧٦) . أى : تنهض ، وإنما العصبة هى التى تنهض بالمفاتح .

والباب الثانى عنوانه ربما جعلت العرب مفعولا بمعنى فاعل كقوله تعالى : « إنه كان وعده مأتياً » (مريم : ٦١) وكقولهم « رجل مأثوم بمعنى آثم » .

٣ - الاشتراك اللفظى :

وهذا يدخل فى باب الحقيقة والمجاز أو يدخل فى باب دلالة اللفظ الواحد على معان بعضها حقيقى وبعضها مجازى ، مثل لفظ «الثوب» ، فقد يراد به اللباس ، وقد يراد به مذهب الشخص وفعله ، مثل قولهم :« فلان طاهر الثياب أو دنس الثياب » أى حسن الفعل أو سيئه وعلى ذلك فسر « الهروى » قول النبى عليه السلام : « إن الميت يبعث فى ثيابه » . وقد يراد به القلب والنفس وفى ذلك جاء قوله تعالى : « وثيابَكَ فطهر » (المدثر : ٤) .

أما « كراع» فقد أورد هذا اللفظ فى باب مفرد هو « باب الثوب»(١) الذى ربما ذكرته العرب وإنما يريدون البدن ويريدون صاحب الثوب . واستشهد بقول عنترة :

فشككتُ بالرُّمح الأصم ثيابَهُ ... ليس الكريمُ على القَنا بُمحرم

ويقول الراعى النميرى :

فقام إليها حبتر بسلاحه ... فلله ثوبا حبتر أيما فتى

---

(١) المجرد ورقة : ١٦٩ .

وقول امرىء القيس :

ثياب بنى عوف طهارى نقية ... وأوجههم بيض المسافر غران

كما استشهد بشعر أوس بن حجر وأبى ذؤيب والفرزدق . غير أنه اقتصر فى كل هذه الشواهد على المعنى المجازى للثوب [١] ولم يذكر أى شاهد على المعنى الحقيقى لأنه معروف فيما يظهر .

أليس هذا أدخل فى باب تطور الدلالة بالانتقال من المعنى الحقيقى إلى المعنى المجازى ؟

٤ ـ تطور الدلالة أو انتقالها :

ويكون تطور الدلالة ببطء وبتدرج [٢] ، فتغير مدلول الكلمة لا يتم بشكل مفاجىء ، بل يستغرق وقتاً طويلا ، و « إن الحالة التى تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التى انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعى المعانى ونعنى بهما علاقتى المجاورة والمشابهة [٣] ، وهذا معنى الباب الذى عقده « كراع » تحت عنوان (باب ربما نقلت العرب المعنى من الشىء إلى الشىء الذى هو معه أو بسببه) [٤] . ويدخل تحت هذا « باب ربما أرادت العرب أن تذكر الشىء من جنس الإنسان فتجمعه بما حوله » [٥] . ومن حالات التطور الدلالى عامل يتعلق باستخدام الكلمات إذ إن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التى يكثر فيها استعمالها [٦] .

وينطوى تحت هذا النوع الباب الذى عقده « كراع » تحت عنوان

(١) المجرد ورقة : ١٢١

(٢) د. على عبد الواحد وافى : علم اللغة ، صفحات : ٢٨٧ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه /٢٨٩ .

(٤) المجرد ورقة : ١١٩ .

(٥) نفسه ، ورقة : ١١٩ .

(٦) علم اللغة /٢٩٢ .

« باب ماعُدِل به عن جهته لكثرة الاستعمال »[(١)].

المبحث الثانى

دراسات «ابن ولاد» اللغوية والنحوية

أولا : المقصور والممدود

١ ـ وصف الكتاب :

كتاب أشبه بمعاجم الألفاظ ، وهو قسمان :

القسم الأول : وخصصه للمسموع من ألفاظ المقصور والممدود ويقع فى (١٣٤) صفحة من طبعة المستشرق « برونله ».

والقسم الثانى : وقد جعله للمقيس من المقصور والممدود وتعريفه وتثنيته وجمعه ... وما يكتب بالألف والياء . ويقع فى ٣٣ صفحة .

وقد جعل القسم الأول أكبرهما كما هو واضح . لأن المقصور والممدود أكثر ما يعتمد على السماع ، كما يعلل ذلك ابن ولاد[(٢)].

وقد رتب مواد هذا القسم على حروف المعجم : أ ، ب ، ت ... ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجه من موضعه[(٣)].

وليس هو أول من راعى الترتيب الهجائى فى المعجم ، فقد سبقه إليه « أبو عمرو الشيبانى : إسحاق بن مرار » (ت ٢٠٦ هـ) و « كراع النمل » (ت ٣١٠ هـ تقريباً) .

والعلماء الذين نقل « ابن ولاد » من أفواههم أساتذته ، ولعل أشهرهم الزجاج (ت ٣١١ هـ) الذى فضله على زميله النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ـ

(١) المجرد ورقة : ١٢٠

(٢ ، ٣) المقصور والممدود /٣

ولكن « ابن ولاد » لم يصرح باسم أستاذه وإن كان قد نقل منه ولعل هذا النقل من كتابه « خلق الإنسان » ، لوجود قرائن تدل على ذلك ، سنشرحها فى فصل « الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بين الأخذ والعطاء » .

ومن أساتذته الذين صرح بالأخذ المباشر عنهم ، أبو جعفر أحمد بن رستم [1] الطبرى (المتوفى بعد ٣٠٤ هـ) .

أما العلماء الذين صرح بالأخذ من كتبهم أو من آرائهم فهم : عيسى [2] بن عمر (١٤٩ هـ) وأبو عمرو [3] بن العلاء (١٥٤ هـ) . والخليل ابن [4] أحمد (١٧٠ هـ) وسيبويه [5] (١٧٥ هـ) والكسائى [6] (١٨٩ هـ) ، وأبو عمرو [7] الشيبانى (٢٠٦ هـ) والفراء [8] (٢٠٧ هـ) ، وأبو عبيدة [9] معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) والأصمعى [10] : عبد الملك بن قريب (٢١٦ هـ) وابن الأعرابى [11] : محمد بن زياد (٢٣١ هـ) ، وابن [12] السكيت (٢٤٤ هـ) ، والمبرد [13] (٢٨٥ هـ) .

---

(١) المقصور والممدود / ١٣٣
(٢) المقصور والممدود / ٦٨
(٣) نفسه ٣١ ، ٣٣ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٧
(٤) المقصور والممدود / ٥ ، ١٤٣ ، ١٤٧
(٥) نفسه ٦٠ ، ٨٩ ، ١٠٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٣
(٦) المقصور والممدود / ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٤٥
(٧) نفسه ٦٨ ، ٧٩ ، ١١٣
(٨) المقصور والممدود ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤١ (من كتاب المقصور والممدود للفراء) ٩٩ (من كتاب الابنية) .
(٩) المقصور والممدود / ٣ ، ٦١ ، ٨١ ، ١١٩ ، ١٣١
(١٠) المقصور والممدود / ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٩٦ ، ٩٧
(١١) المقصور والممدود ١٣ ، ٦٨ ، ١٠٧
(١٢) نفسه ٨٠ ، ١١٤ ، ١٢١
(١٣) المقصور والممدود / ١٣٩ ، ١٤٨

هؤلاء هم اللغويون الذين صرح بالنقل من كتبهم أو من آرائهم ، التى نقلت عنهم .

أما ذكر أبى عبد الله بن[(١)] خالويه (٣٧٠ هـ) ومعاصره الأزهرى[(٢)] (٣٧٠ هـ) ، فى كتاب « المقصور والممدود » فهو من زيادة النساخ فيما أرى ، ولم ينبه على ذلك ناشرا الكتاب بطبعتيه .

وأكثر ما يذكرهم بأسمائهم ، دون إشارة إلى كتاب معين . وقلما يذكر أسماء الكتب التى ينقل منها . ومن الكتب التى ذكرها كتاب « المقصور والممدود » [(٣)] للفراء و « كتاب الأبنية » [(٤)] له أيضاً .

٢ - طبعتا الكتاب :

طبع كتاب (ابن ولاد) مرتين ، ففى الأولى نشره المستشرق الألمانى « برونله » فى « ليدن » سنة ١٩٠٠ م .

أما الطبعة الأخرى فهى من نشر الخانجى وطبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م .

والطبعة الأولى مضبوطة وينقصها تخريج الشواهد ودراسة للكتاب ومصادره فهى تخلو من أية دراسة .

أما طبعة مصر فتخلو من الدراسة . لكنها لا تخلو من الأخطاء والتحريفات .

---

(١) المقصور والممدود /٤

(٢) نفسه /١٢٠

(٣) المقصور والممدود ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤١

(٤) المقصور والممدود /٩٩ وقد أهمل ذكره الدكتور أحمد مكى الانصارى فى كتابه « أبو زكريا الفراء » .

وكان اعتمادى على الطبعة الأولى لأنها أضبط وأدق .

٣ - منهجه :

(أ) فى تنظيم المواد :

يبين ابن ولاد فى أول كتابه المقصور والممدود منهجه فى ترتيب مواد كتابه وموضوعاته فيقول : «هذا كتاب نذكر فيه المقصور والممدود ما كان منه مقيساً وغير مقيس مؤلفاً على حروف المعجم ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجه من موضعه . وأبدأ فى هذا الكتاب بما كان متفرقاً منثوراً مما لا حد له يحصره ولا قياس يجمعه لأن طريقه التى يعلم منها السماع فقط ، والمسألة عنه أكثر والعناية به من السائل أشد . وما كانت هذه حاله ، فعلى المخبر أن يجعله فى أول خبره ويقدمه فى صدر كلامه . وإن وقع فى الباب مقصور له نظير من الممدود أو حرف يقصر ويمد قدمناه فى أوله ، ثم نتبعه المقصور الذى لا نظير له من الممدود ، ثم الممدود الذى هذه سبيله ، وإذا تمت الحروف ذكرنا ما كان مقيساً من المقصور والممدود ثم نأتى بتثنيته وجمعه وهجائه » .

فمنهج ابن ولاد قائم على أساس :

أولا : ترتيب الأبواب ترتيباً هجائياً متحاشياً فى ذلك طريقة الخليل الشاقة ، التى تتعب طالب الحرف وبذلك تكون طريقته أسهل وأيسر منالا ، وإن لم يكن أول من اتبع هذه السبيل التى وضعها « نصر بن عاصم » فقد سبقه إلى تطبيقها « أبو عمرو الشيبانى » فى كتابه « الجيم » . وبعده آخرون أما فى كتب المقصور والممدود فالظاهر أنه أول من اتبعها .

ثانيا : يذكر المقصور الذى له نظير من الممدود ، أى « ما يمد ويقصر »

ومعناه واحد ، مثل : أيا الشمس . أى ضوؤها . مقصور وكتابه على الألف فإن فتحوا أوله مدوه . فقالوا : « إياء الشمس » [١].

ثالثـا : فإذا انتهى من ذلك اتبعه المقصور الذى لا يعلم له نظير فى لفظه من الممـدود مثل : الأسى : الحزن . مقصور يكتب بالياء لأنك تقول : « رجل أسيان » . وقالوا : أسوان فجائز أن يكتب بالألف على هـذا القول [٢].

رابعـا : ويبدأ بذكر الثلاثى ثم يتبعه الزائد على ثلاثة أحرف ولا يلتزم - فيما زاد على الثلاثة من مواد - ترتيباً يتلاءم مع عدد حروفها ، بل قد يقدم الخماسى على الرباعى . فقد جاء من المقصور الزائد على ثلاثة فى باب الباء : « البلوى ، ويشكى - بالتحريك . والبقوى : « أى صرعى » وبلندى ، وبلنزى والبخنداة من النساء [٣] - أى التامة [٤] - القصب .

خامسا : لكنه يلتزم ترتيباً شبه ثابت بالنسبة لحركات الممدود والمقصور . فيبدأ بالممدود والمفتوح كالزهاء والركاء والرماء والرعاء والرخاء ثم يتبعه المضموم مثل الرهاء والرخاء والرناء ، والرغاء ، ثم الممدود المكسور مثل رواء ورياء ، ورشاء والرداء والرفاء [٥] . وربما خالف هذا النهج ، كما فى ترتيب مواد حرف الشين من الممدود [٦].

سادسا : ولم يلتزم بكون الحرف الأول - الذى عقد له الباب - أصلياً أو زائدة

---

(١) المقصور والممدود /٩

(٢) المقصور والممدود /١٠

(٣) المقصور والممدود /١٨ - ١٩

(٤) القصب : القوام (اللسان : قصب ٢/١٦٢)

(٥) المقصور والممدود ٥٦

(٦) المقصور والممدود /٧٠ - ٧٢

أو بكونه صحيحاً أو معتلا ، بل ساوى بينها ليخفف على طالب الحرف، ولا يكلفه عناء .

أما ترتيب المواد — داخل الأبواب — فلم يلتزم فيها ترتيباً هجائياً ومن ذلك مواد حرف الباء ، ويمكن أن نجد لها نظائر فى الأبواب الأخرى مما يؤكد أنه جمع المواد داخل الأبواب وحشرها حشراً ، دون التزام بالطريقة الهجائية(١) .

(ب) موقفه من السماع والقياس :

تسيطر على منهج «ابن ولاد» نزعة عقلية تجريدية ، ظهرت فى المناقشات التى دارت بينه وبين زميله « النحاس »(٢) فقد كان يبنى أمثلة لا وجود لها فى اللغة ، نتيجة وقوعه تحت وطأة القياس العقلى الصارم ... ومن أمثلة ذلك ما يبدو فى المناقشة الآتية :

إبتدأ النحاس فقال لابن ولاد : كيف تبنى من « رجا يرجو افعليته وافعلات وافعلوت »؟؟

فقال ابن ولاد : « أما افعليت فارجويت ، وأما افعلات فارجووته وأما افعلوت فارجووت أيضاً » .

قال النحـــاس : « أما أرجويت فى افعليت فلا يعرف فى كلام العرب » .

وعقب السخاوى على جواب ابن ولاد فقال : « أما ارجويت فى

(١) المقصور والممدود /١٥ ــ ١٦ .

(٢) طبقات الزبيدى /٣٨ ، ٣٩ ، وعلم الدين السخاوى : سفر السعادة وسفير الافادة (مخطوط الدار : ٢٢ لغة تيمور) والسيوطى : الاشباه والنظائر ١٣٦/٣ .

افعليت خطأ لأن هذا لو صح لقيل فى قال وباع وزنه . قال: ثم قال: « وأما ارجويت فى افعلوت وافعلات فأعجب فى الخطأ من الأول لأنا لا نعلم خلافا بين النحويين أن الواو إذا وقعت طرفاً فيما جاوز الثلاثة من الفعل إنما تقلب ياء ، كما قالوا فى « افعلت من غزوت أغزيت . وفى استفعلت استغزيت » . فالوجه عن أبى جعفر النحاس ألا يُبنى من رجا إلا افعليت فيقال : أرجويت أرجوى إرجاء فأنا مَرْجُوّ . مثل أحْمَرّ احمراراً فأنا مُحْمَرّ . إلا أنك تفك فى أرجويت أرجوى ، وتدغم فى احمر يحْمَرّ ، وهو كثير فى كلام العرب نحو : ابيَضْضتُ واصفررت »[١] .

والقياس العقلى هو الذى أوقع « ابن ولاد » فى شرك النحاس الرجل الذى يمزج بين القياس والسماع بحيث لا يطغى جانب على جانب ، وقد لاحظ الإمام الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) ذلك فقال : « أبو جعفر النحاس يسلك فى كلامه طريق النحاة »[٢] .

أما « ابن ولاد » فكان قياسياً ولذلك فإنه كان يبنى الأمثلة لما لامثال له ، على حد تعبير « القفطى »[٣] .

لقد غاب عن ذهن « ابن ولاد » أن واقع اللغة أية لغة يرفض القياس أحياناً ، مما جعل عالماً لغوياً يقول : « يرجع الخلاف بين النحو والمنطق إلى أن الفصائل النحوية والفصائل المنطقية لا تلتقى إلا نادراً »[٤] . ويقول فى فصل آخر : « القياس لا يكف عن أن يصحح أثر القوانين الصوتية

---

(١) الاشباه والنظائر ٣/١٣٧ .

(٢) الاشباه والنظائر ٣/١٣٦ .

(٣) أنباه الرواة ١/١٠١ .

(٤) فندريس : اللغة /١٥٣ .

أو يعواقها فكثيراً ما يعرقل تطور الأصوات فى سيره المطرد »[١] .

فغلبة النزعة التجريدية العقلية فى اللغة أمر غير مستحسن لأن للغة منهجاً فى النمو والتطور مستقلا ، لا يخضع لإرادة العقل ومقاييسه .

(ج) شـواهد المسـموع :

يبدو أن « ابن ولاد » يريد بالمسموع ما اعتمد على السماع من أفواه العلماء الثقات ، وما نقلوه فى كتبهم نقلا ثابتاً عن العرب الذين يحتج بلغتهم ، واعتمد على شواهد صحيحة من أشعارهم وأقوالهم .

ولهذا فإن دراسة الشواهد من صميم دراسة السماع .

ويكاد يقتصر فى كتابه « المقصور والممدود » على الشاهد الشعرى والشاهد القرآنى . أما الأحاديث النبوية والأمثال وأقوال الفصحاء فهى إما نادرة الوجود أو معدومة .

فقد استشهد بالحديث مرتين[٢] . واستشهد بأقوال الفصحاء ثلاث مرات[٣] أما الأمثال فلم يستشهد بها ، فهو لم يهتم إلا بالشاهد القرآنى والشاهد الشعرى .

١ ـ الشـاهد القرآنى :

إن مجموع الآيات التى استشهد بها (٣٢) آية منها (٣١) فى القسم السماعى وآية واحدة فى القسم القياسى .

أما المواد التى استشهد لها فى القسم السماعى فهى : الإنى ، وفى أداه

---

(١) اللغـة /٨٠

(٢) المقصور والممدود ٦٩ ، ٧٤

(٣) المقصور والممدود /٣٧ ، ٨٩ ، ٢٠٦

أولى ، البرّاء ، البغاء ، تلى ، تترى ، تلقاء ، الجلاء ، الجفاء ، الحما ، الذرأ ، الرّجا «واحد الأرجاء ، الرّجاء ، «الخوف» ، الزّلفى ، سبأ ، السوأى ، الصّفا ، الضّهاء ، «المضاهاة» ، الطّغوى ، «الطغيان» ، طوبى ، العراء «المكان الخالى» ، العثا ، «الفساد» ، العمى ، الملأ ، النّجوى ، الهواء ، الهباء ، القوى .(١)

وقد فاتته بعض الآيات لغياب موادها عنه ، ومن المواد التى فاتته : «الإسراء» وقوله تعالى «سبحانَ الذى أسرى بعَبدِهِ» (الإسراء : ١) والأداء وقوله تعالى : «وأداء إليه بإحسان» (البقرة : ١٧٨) . ومواد أخرى لا تدخل فى باب الشاهد القرآنى(٢) وثلاثون آية من الآيات السابقة استشهد بها بصورتها الموجودة فى المصحف أى بحالتها المتواترة لا الشاذة .

أما الآيتان الأخريان فقد استشهد بهما بصورتهما الشاذتين وهما : قرأ بعض القراء «ومِنْ قِطرآنٍ»(٣) وهى فى قراءة السبعة «من قَطِرَانٍ» (سورة إبراهيم : ٥٠) .

والآية الثانية : هى قرأ بعض القراء «شديد القوى» (النجم : آية ٥) بكسر القاف(٤) .

وهو هنا لا يختلف عن «كراع النمل» فما قلناه هناك فى موضوع الشاهد القرآنى يمكن أن يكون حكمنا فى هذا المكان .

---

(١) القوى بكسر القاف هى المادة الوحيدة التى استشهد لها فى القسم القياسى . وقال قرأ بعض القراء : «شديد القوى» . المقصور والممدود /١٣٥ .

(٢) الحداء ، والرمضاء ، والرداء ، والسخاء ، والعذراء ، والعشاء ، والنجاء .. الخ .

(٣) المقصور والممدود /٧

(٤) المقصور والممدود /١٤٩ .

٢ ـ الشاهد الشعرى :

الشاهد الشعرى يحتل المرتبة الأولى عند « ابن ولاد ». وقد بلغت شواهده (٣٥٨) شاهداً .

وقسم كبير من هذه الشواهد غير منسوب ، وهو كثيراً ما يضع أمام الشاهد عبارة « قال الشاعر »(١) أو « قال الراجز »(٢) أو « أنشد »(٣) .

وأحياناً ينسب الإنشاد إلى بعض اللغويين المشهورين . فيقول : قال الفراء : قويت الأرض قوىً وأنشد ..(٤) ، أو أنشد الأصمعى عن أبى عمرو(٥) أو أنشد أبو عبيدة عن يونس .(٦)

وأحيانا ينسب الشاهد للقبيلة دون أن يذكر اسم الشاعر ، كأن يقول قال بعض بنى أسد(٧) أو أنشد أبو عبيدة لرجل من خزاعة(٨) أو قال الهذلى . والعبارة الأخيرة أكثر هذه العبارات دوراناً فى الكتاب ، بحيث وردت ست مرات(٩) . أما تلك العبارات فلم ترد كل واحدة سوى مرة ، إلا عبارة بنى أسد « فوردت مرتين »(١٠) .

أما الشعراء الذين صرح بأسمائهم فهم ثلاث طبقات :

---

(١) المقصور والممدود ٨ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ .. الخ .

(٢) المقصور والممدود ١٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٩٦ .

(٣) المقصور والممدود ١٣ ، ٦٨ ، ٧٣

(٤) المقصور والممدود ٩٩

(٥) نفسه /٣٣

(٦) نفسه /٨١

(٧) نفسه /١٢٧

(٨) المقصور والممدود /٨١

(٩) المقصور والممدود /٧ ، ٣٣ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ١٢٨ .

(١٠) المقصور والممدود ٨١ ، ١٢٧

(١) الجاهليون (٢) المخضرمون (٣) الإسلاميون .

الجاهليون :

أما الشعراء الجاهليون الذين استشهد بشعرهم فقد بلغوا ٣٥ شاعراً هم أبو الجشر الضبى ، أبو حازم العكلى ، أبو داود الإيادى ، أبو الغول الطهوى ، الأسود بن يعفر ، الأفوه الأودى ، الأعشى ، امرؤ القيس ، أوس بن حجر ، بشر بن أبى حازم ، ثعلبة بن صعير المازنى ، الجميح ، حاتم الطائى ، الحارث ابن حلزة ، الخطفى جد جرير واسمه حذيفة ، الربيع بن ضبع الفزارى .(١) وزرارة بن سبيع الأسدى ، وزهير بن أبى سلمى ، وسلامة بن جندل ، وطرفة بن العبد ، وطفيل ، وعامر بن جوين الطائى ، وعبد الله بن عنمة الضبى ، وعجير السلولى ، وعدى بن زيد ، وعلقمة بن عبدة ، وعمرو بن أخت جذيمة الأبرش ، وعمرو بن زيد الكلبى ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة ، وقيس ابن الخطيم ، ومالك بن نويرة ، والمرقش ، والنابغة الذبيانى .

وعدد الشواهد الجاهلية (٧٣) شاهداً .

أما الشعراء الذين أكثر الاستشهاد بشعرهم فهم امرؤ القيس حيث استشهد له (٩) مرات ، ثم زهير بن أبى سلمى وعدد شواهده ثمانية ثم الأعشى وعدد ما استشهد له ستة شواهد .

وهو بذلك لا يخرج عن المذهب النقدى السائد فى عصره وقبله .

الشعراء المخضرمون :

أما الشعراء المخضرمون الذين استشهد بشعرهم فبلغوا ثمانية عشر شاعراً هم : أبو خراش (خويلد بن مرة الهذلى) أبو ذؤيب (خالد بن خويلد

---

(١) ورد فى المقصور والممدود : « ضبيع » وهو تحريف ، والتصحيح من كتاب سيبويه ١٠٦/١ ، والمؤتلف والمختلف /١٢٥ .

الهذلى) . أبو زبيد الطائى، ابن أحمر (عمرو بن أحمر) ، ابن عنقاء :(عبد قيس ابن بجرة الفزارى) ، ابن مغراء : (أوس بن مغراء). ابن مقبل ، أمية بن أبى عائذ الهذلى، حسان بن ثابت ، الحطيئة، حميد بن ثور ، سحيم عبد بنى الحسحاس ، الشماخ ، صخر الغى الهذلى ، عبد الله بن رواحة الأنصارى ، لبيد ، ا ز بن تولب ، النابغة الجعدى . .

ومجموع ما استشهد لهم به (٤٧ شاهداً) .

وأفضلهم عنده وأكثرهم دوراناً فى كتابه هم :

ابن أحمر وشواهده تسعة

وحسان بن ثابت وشواهده خمسة .

وأبو ذؤيب مثل حسان بن ثابت .

ثم ابن مقبل وشواهده أربعة .

الشعراء الاسلاميون :

أما الشعراء الإسلاميون الذين استشهد بشعرهم فبلغوا (١٧) شاعراً هم : أبو النجم ، الأخطل ، جرير ، جميل ، ذو الرمة ، رؤبة ، الراعى ، النميرى ، الطرماح، العجاج ، عدى بن الرقاع ، الفرزدق ، القطامى ، كثير عزة ، الكميت ، ليلى الأخيلية ، مزاحم العقلى ، نصيب .

ومجموع ما استشهد لهم به (٥٨) شاهداً

وأكثرهم دوراناً فى كتابه :

العجاج وعدد شواهده (١٢) شاهداً .

ثم ذو الرمة غيلان وشواهده ثمانية .

ثم أبو النجم العجلى ومجموع شواهده خمسة .

وهما يظهر لنا ثلاثة شعراء هم غير الثلاثة الذين فضلهم النقاد المشهورون فلقد أجمع النقاد أن أشعر الإسلاميين « جرير والفرزدق والأخطل »(١) .

فابن ولاد قد خرج على الرأى المألوف هنا كما خرج معاصره « كراع النمل » وإذا وضعنا بجانب هذين العلمين أبا جعفر النحاس (وقد فضل ذا الرمة واستشهد بشعره « فى شرح القصائد التسع » إحدى عشرة مرة (٢) وهى تقارب ضعف ما استشهد به للفرزدق)(٣) ، فهل يحق لنا أن نعد اللغويين والنحاة المصريين مستقلين فى الرأى فى ميدان الاستشهاد اللغوى ؟

أعتقد أن ذلك هو الواقع... المشهود ، واتفاق هؤلاء الثلاثة الأعلام أعمدة القرن الرابع الهجرى بمصر ، خير حجة وأبين دليل .

(د) النزعة العقلية التجريدية :

الملاحظ أن « ابن ولاد » ذو نزعة عقلية تجريدية غالية . وهى تطغى على أسلوبه وتجعله يميل دائماً إلى تجريد القواعد الكلية فى ثنايا روايته مواد المقصور والممدود فى القسم السماعى ، وآية ذلك :

١ ـ أنه على الرغم من تقديمه المقيس على المسموع لحجة ذكرها فى أول الكتاب ، إلا أن نزعته العقلية القياسية غلبته فقدم تعريفاً للمقصور والممدود(٤) ، وكان حقه أن يأتى فى القسم المقيس ، ثم أتبعه بذكر قاعدة فى صرف الممدود فى الرفع والنصب والجر وعدم صرفه .

---

(١) الاغانى ٨/٥ وشرح شواهد المغنى ٢٢/١

(٢) شرح القصائد التسع ١٣٨ ، ١٤٢ ، ٢٠٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣ ، ٤٤٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٩٢ ، ٥٢٣ ، ٥٥٠

(٣) نفسه ١٣٩ ، ٢٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٤٣٦ ، ٥٢٤

(٤) المقصور والممدود /٣

٢ ـ وبعد أن قدم التعريف والقاعدة أتبعهما بذكر قاعدة كلية فى طريقة كتابة المقصور والممدود . . كل ذلك بصيغ تدل على الشمول ، مثل : « وجميع ذلك . . . . وكل . . . »[1]

٣ — أنه لا يكتفى بالتقرير المجرد ، بل يعلل ذلك ، وكل ذلك فى قسم المسموع

فبيانه معلل مزود بالبيان والشرح ، أو بالعلل المشروحة المفسرة . فهو فى مادة (متى) مثلا ، يقول : (ولما صارت الألف من « متى » متوسطة لاتصال « ما » بها كتبت على اللفظ لأن التغيير ألزم لآخر الكلمة ، ألا ترى أنك تكتب « رمى » وما أشبهه بالياء فإذا وصلته بمضمر كتبت جميعه بالألف نحو : « رماك ، ورماه » وكذلك « رَحى » تكتبها بالياء ، فإذا وصلتها بمُضمر كتبتها بالألف فقلت « رحاك ورحاه ورحانا »[2] ، ولو قرأنا ما كتبه فى مواد : البكاء[3] والبُقيا[4] ، والجى[5] والحِنا[6] وغيرها لوجدنا مثل هذه العلل المفسّرة المشروحة .

٤ — وتتجاوز نزعته العقلية المادة التى يكتب عنها فى قسم المسموع فينتقل إلى إيجاد قاعدة كلية مستخلصة مما يكتب ، فهو عندما أورد مادة (متى) تحدث عن الأفعال وقاس عليها الأسماء ، ثم انتزع قاعدة كلية فقال معقباً : « وكذلك ما يكتب بالياء من اسم أو فعل » . كل هذا فى (متى) التى هى ليست باسم ولا فعل .

---

(١) المقصور والممدود ٣ ، ٣٥
(٢) المقصور والممدود /١١٦
(٣) المقصور والممدود /١٨
(٤) المقصور والممدود /١٩
(٥) المقصور والممدود /٢٧
(٦) المقصور والممدود /٣٢

فنزعته العقلية تتجلى فى المقيس بكل وضوح وبكل خصائص المنطق العقلى وتتصف هذه النزعة بثلاث صفات :

١ ـ التجريد العقلى وانتزاع القواعد الكلية .

٢ ـ التعليل .

٣ ـ القياس .

(هـ) موقفه من اللغويين :

وفى المقصور والممدود برزت شخصيته بروزاً واضحاً ، بحيث تخلص من سلطان سيبويه ومن العبودية الفكرية له فى كتاب « الانتصار »[١] فلم يكن هناك يصدر عن رأى إلا بعد أن يمرّ على « كتاب سيبويه » ولا يخطو خطوة إلا بعد أن يتكىء عليه . أما فى « المقصور والممدود » فهو مستقل إلى حد كبير ، فله رأيه الخاص بجانب رأى سيبويه وله حجته ، صحيح أنه يقتبس من كتب السابقين ، ومنهم سيبويه ، لكنه لا يأخذ هذه الآراء فحسب ، بل يناقشها ويراجعها ويبدى رأيه فيها .

أما بالنسبة لسيبويه فهو يشير إلى خطئه أحياناً فى سياق يفهم منه الرد عليه . ففى قسم المسموع قال : الزمكّى والزمجى لغتان : أصل ذنَب الطائر وقد روى سيبويه هذا مقصوراً وممدوداً ولا أحفظه ممدوداً إلاّ عنه ، أما ماحكاه غيره فلم يذكر فيه إلا القصر[٢] وقد لاحظنا أنه أثبت المقصور وهو رأى المخالفين لسيبويه وفى القسم المقيس قال[٣] : (إذا جمعت «موسى وعيسى ويحيى» جعلت ما قبل الواو والياء مفتوحاً ، وزعم سيبويه :

---

(١) اسمه الكامل « انتصار لسيبويه من المبرد وسيأتى »
(٢) المقصور الممدود / ٦٠
(٣) المقصور والممدود /١٥٣

أن من قال موسون فضم ما قبل الواو وكسر ما قبل الياء فقد أخطأ وأجازه غيره).

وليس هذا حسب ، بل إن موقفه من « المبرد » خصم سيبويه فى « مسائل الغلط » قد تغير . . . . فهو فى « الانتصار » أعظم الذنب على « المبرد » لأنه رد على « سيبويه » وخطأه ، فلذلك انتصر له منه . أما فى « المقصور والممدود » فقد نقل من أقوال المبرد مرتين مصرحاً باسمه[1] فلم يرد عليه ، فى حين رد على سيبويه ، وفى موضع ثالث نقل رأيه فى أن « جمع قرية على قرى شاذ »[2] دون أن يشير إليه . . . . ومع ذلك فالرأى رأى المبرد وثابت فى كتابه « المقتضب » . . .

فابن ولاد يبدو فى المقصور والممدود عالماً قد استوى عوده ونضجت آلة البحث عنده ، فلم يعد يلتزم برأى شخص التزام تزمت ـ بل أخذ يناقش الآراء ولا يأخذ منها شيئاً إلا بعد روية واقتناع .

ففى باب القاف قال : « القِبَضَّى : الشديد من العدو : عن أبى عمرو. وأنشد للشماخ :

أعدو القِبَضَّى قَبْلَ عَيْرٍ وما جرى
ولم تدر ما شأنى[3] ولم أدر مالَها

وغير أبى عمرو يقول : القبيصى بالصاد غير معجمة . والمعروف عند أهل اللغة ما قاله أبو عمرو[4] .

والظاهر أنه يريد بالمعروف ما اطرد فى اللغة وأجمع عليه العلماء . .

(١) المقصور والممدود ١٣٩ ، ١٤٨
(٢) المقتضب ٣/٨٦ والمقصور والممدود ١٤٩
(٣) فى ط مصر (ما شاءنى) وهو تحريف .
(٤) المقصور والممدود /١٠٣

وفى أول باب النون (١) يناقش ماقيل عن إضافة العرق إلى النسى ، فالأصمعى يرى أن العرب لاتقول : عرق النسى . وغير الأصمعى أجاز أن يقال : عرق النسى

أما ابن ولاد فيرد على هؤلاء المخالفين للأصمعى فيرى أن «القول ماقال الأصمعى لأن النسى هو اسم عرق بعينه فلا معنى لإضافة العرق إلى اسمه ـ وقاس هذا الاسم على غيره لأنه لا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الأكحل»

ومعروف أن مسألة إضافة الشىء إلى نفسه مسألة خلاف بين جمهور نحاة البصرة والكوفة . فالأولون لايجيزون ذلك والآخرون يجيزونه(٢) .

ولو اكتفى بهذه المناقشات وأمثالها لكفتنا دليلا على نضجه غير أنه لا يقتصر على هذا ، بل تظهر فى أسلوبه نغمة أخرى لاعهد لنا بها من قبل وهى أن يقول : هذا رأيى ، وأرى كذا وكذا . . ففى المقصور المكسور الأول من باب الحاء قال(٣) :(الحمى يكتب بالألف على قول الفراء وإن شئت بالياء لمكان الكسرة التى فى أوله لأنه يقال فى تثنيته حموان) ـ ثم عقب على هذا بقوله :(الأحسن عندى فى أوضاع الخط أن يكتب بالياء لأن من حميت أحمى . والواو فى تثنيته حكاية شاذة) .

وفى « حوائج » قال . « ونرى أن حوائج مقلوبة من حواج كما قالوا شوائع وشواع » .

فهل بعد هذا دليل على استقلاله ونضجه وكمال آلته العلمية ؟

٤ ـ رأيى فى الكتاب :

(أ) النواحى الايجابية :

١ ـ هو أول كتاب فى الموضوع يرتب مواده ترتيباً هجائياً ، وكان

---

(١) المقصور والممدود /١٢٢ ، ١٢٣

(٢) الانصاف فى مسائل الخلاف : مسألة ٦١

(٣) المقصور والممدود /٣٦

« أبو عمرو الشيباني » قد سبقه إلى تطبيق هـذا النظام في معجمه الكبير (الجيم) أما « ابن ولاد » فلم يسبق إلى تطبيق هذا النظام في باب «المقصور والممدود » ولهذا نال تقدير العلماء وحسبه أنه خلد وبقي واندثر كثير من المؤلفات في موضوعه ، وذلك دليل اهتمام الناس به .

وقد تأثر به عالم عصره « أبو علي الفارسي » (٣٧٧ هـ) فنقل منه في « التكملة » كثيراً ، وتأثر بمنهجه تأثراً واضحاً . وقد بينت ذلك في الفصل الأخير .

وهذا النظام الهجائي الذي انتظم كتاب المقصور والممدود بموجبه سهل طريق الاستفادة منه ، وجعله مرجعاً للباحثين أكثر من غيره ، كما جعله مصدراً من مصادر المعاجم والموسوعات اللغوية بعده .

٢ — ومن النواحي الإيجابية فيه ، أنه جمع مادة كبيرة من مواد المقصور والممدود وجملة من شواهده بلغت (٣٥٨) شاهداً مما جعله مصدراً من مصادر المعاجم اللغوية .

٣— ومن أكثر هذه النواحي إيجابية وتأثيراً أمران؛ الأول : تحديده مفهوم المقصور والممدود ، تحديداً دقيقاً فاق فيه من سبقه لا سيما سيبويه والمبرد . وسأوازن بين تعريفه وتعريف كل منهما لنتبين تميزه في هـذه الناحية . والثاني : تقسيم المقصور والممدود ثلاثة أقسام وترتيبه اعتماداً على حركة أوله .

أولا ـ تعريف المقصـور والممـدود :

١ ـ تعريف المقصـور :

(أ) تعريف سيبويه :

يعرف سيبويه المقصور كما يعرف المنقوص ، وإن كان عنوان الباب

«هذا باب المقصور والممدود»[1] ومعنى ذلك أنه جعل المنقوص كالمقصور وعرفه بقوله: (المنقوص: كل حرف من بنات الياء والواو وقعت ياؤه أو واوه بعد حرف مفتوح، وإنما نقصانه أن تبدل الألف مكان الياء والواو فلا يدخلها نصب ولا رفع ولا جر. وأشياء يعلم أنها منقوصة لأن نظائرها من غير المعتل إنما تقع أواخر من بعد حرف مفتوح، وذلك نحو معطى ومشترى، وأشباه ذلك، لأن مُعطى مُفعل وهو مثل مُخرج، فالياء بمنزلة الجيم والراء بمنزلة الطاء فنظائر ذا تدلك على أنه منقوص).

ودليلنا على ذلك أن السيرافى (٣٦٨ هـ)، علق على عبارة سيبويه بقوله: «ويقال للمقصور أيضاً منقوص فأما قصرها فهو حبسها عن الهمزة بعدها. وأما نقصانها فنقصان الهمزة منها»[2].

وهو لا يريد بالمنقوص ما نريده نحن حين نجعله الاسم الذى تلازمه كسرة قبل الياء فى آخره مثل «الماضى».

(ب) تعريف المبرد:

أما المبرد فقد عرف المقصور بقوله: المقصور كل واو أو ياء وقعت بعد فتحة وذلك نحو مغزى لأنه مَفْعَل. فلما كانت الواو بعد فتحة وكانت فى موضع حركة انقلبت ألفاً، كما تقول: غزا ورمى، فتقلب الواو والياء ألفاً، ولا تنقلب واحدة منها فى هذا الموضع إلا والفتح قبلها إذا كانت فى موضع حركة ...[3]

---

(١) كتاب سيبويه ٢/١٦١
(٢) هامش سيبويه ٢/١٦١
(٣) المقتضب ٣: ٧٩

فالمبرد — فيما يظهر — قد تابع سيبويه ، ولم يغير شيئاً ذا قيمة في تعريفه .

(ج) تعريف ابن ولاد :

أما « ابن ولاد » فقد بين قبل أن يعرف المقصور بأن بعضه يسمى منقوصاً ثم عرف المقصور بقوله : « المقصور ما اتفقوا عليه كل اسم كانت في آخره ألف في اللفظ زائدة كانت أو غير زائدة كقولك : ماهي ومرمى، وبشرى وتقى وتقوى ومعزى » [(١)].

فأما المقصور الذي يسمى منقوصاً فهو ما كانت ألفه التي في آخر مبدلة من ياء أو واو وانفتح ما قبلها وكانت في موضع حركة فأبدل منها ألف نحو ملهى ، ألفه مبدلة من واو لأنه من اللهو ، ومرمى ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمي والأصل فيها ملهو ومرمى فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها أبدل منها ألف[(٢)] .

ويلاحظ على هذين التعريفين أن « ابن ولاد » حدد بدقة ما يراد بالمقصور وما يراد بالمنقوص ، وفرق بينهما تفرقة محددة واضحة بالتعريف والأمثلة ، وكذلك كانت عباراته دقيقة وبعيدة عن الإطناب الذي لاحظناه في تعريفي سيبويه والمبرد ، وقد خلطا فيه بين المقصور والمنقوص. فتعريفه أقرب إلى الفهم الواضح والأسلوب الدقيق المبين فكأنه السهل الممتنع .

(١ ، ٢) المقصور والممدود /٣

٢ ـ تعريف الممدود :

(أ) تعريف سيبويه :

عرف سيبويه الممدود بقوله :(أما الممدود فكل شيء وقعت ياؤه أو واوه بعد ألف ، فأشياء يعلم أنها ممدودة وذلك نحو : استسقاء لأن استسقيت استفعلت مثل استخرجت فإذا أردت المصدر علمت أنه لا بد من أن ياءه بعد ألف كما أنه لابد من أن تقع ياؤه بعد ألف كما أنه لا بد للجيم[١] من أن تجيء فى المصدر بعد ألف . فأنت تستدل على الممدود كما يستدل على المنقوص بنظيره من غير المعتل حيث علمت أنه لابد لآخره من أن يقع بعد مفتوح ، كما أنه لابد لآخر نظيره من أن يقع بعد مفتوح ، ومثل ذلك الاشتراء لأن اشتريت افتعلت بمنزلة احتقرت فلابد من أن تقع الياء بعد ألف ، كما أن الراء لابد من أن تقع بعد ألف إذا أردت المصدر وكذلك الإعطاء)[٢].

أهذا تعريف دقيق ... أم رحلة طويلة فى شرح ليس وراءه تحديد ؟

(ب) تعريف المبرد :

أما المبرد فلم يزد على أن اختصر تعريف سيبويه فقال :[٣] « أما الممدود فإنه ياء أو واو تقع بعد ألف زائدة ، أو تقع ألفان للتأنيث فتبدل الثانية همزة ، لأنه إذا التقت ألفان فلابد من حذف أو تحريك لئلا يلتقى ساكنان ، فالحـــذف لو وقع ها هنا لعاد الممدود مقصوراً فحرك لما ذكرت لك » .

---

(١) يريد جيم المصدر « استخراج » .
(٢) كتاب سيبويه ٢ : ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٣) المقتضب ٣ : ٨٤

(ج) تعريف ابن ولاد :

أما ابن ولاد فعرّفه بأقصر عبارة دالة عليه فقال : « الممدود كل اسم كانت فى آخره همزة بعد ألف زائدة كقولك مراء وقباء ورداء . وعلباء وحمراء » .

أليس فى هذا التعريف ما يغنى ويكفى عن ذينك التعريفين اللذين يوقعان الإنسان المتعلم فى متاهة أكثر مما يحددان له معالم الطريق ... ؟

ثانيا ـ تقسيم المقصور والممدود وترتيبه :

فقد قسمه ثلاثة أقسام : مفتوح الأول ومضمومه ومكسوره ؛ ورتبه ترتيباً مبتدئا بالمفتوح ومنتهياً بالمكسور .

وهذا المنهج الإيجابى كان له أثره فى منهج العالم اللغوى النحوى أبى على الفارسى حيث أخذه وطبقه فى كتابه « التكملة » مع أكثر المواد الموجودة فيه ، غير أنه ابتدأ بالمفتوح وانتهى بالمضموم .

فإذا علمنا أن « ابن سيده » قد اعتمد على كتاب « التكملة » فى « المخصص » ونقل منه معظم مادة المقصور والممدود فإن « ابن ولاد » قد أثر فى كتاب « ابن سيده » بصورة غير مباشرة أى بواسطة كتاب التكملة . وهذا سر التشابه الكبير بين مادة « المقصور والممدود » « لابن ولاد » ، والمادة نفسها من كتاب المخصص فى الجزء الخامس عشر منه [1] . وهذا ما يحسن بدارس تطور هذا اللون من التأليف اللغوى أن يراعيه . كما يراعيه من يريد أن يحقق كتاب المقصور والممدود أو كتاب المخصص ، ليكون التحقيق مستوفياً لشرط من أهم شروطه العلمية التى أكدها المحققون المعاصرون .

---

(١) المخصص ١٥ : ٩٥ وما بعدها .

(ب) النواحى السلبية :

كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد . ولكل باحث مزايا وعليه مآخذ . وقد وجدنا أن كتاب « المقصور والممدود » قد أثار قضايا لغوية كبيرة وتناول موضوعات بتحديد ووضوح جعله يتميز عمن سبقه ، لكنه لا يخلو من مآخذ قليلة لا يخلو منها أى كتاب مثله وحسبنا أن نشير إلى مالم يشر إليه القدماء .

والمآخذ التى لاحظناها هى :

١ ـ اهمال الترتيب الهجائى داخل الابواب :

على الرغم من أن « ابن ولاد » التزم بالترتيب الهجائى لأبواب كتابه فعُدَّ هذا الترتيب من محاسن الكتاب ، إلا أنه لم يلتزم به فى ترتيب المواد داخل كل باب فى أحيان كثيرة سواء كان ذلك فى المقصور أم فى الممدود .

ففى باب الراء — من المقصور المفتوح مما يزيد على ثلاثة أحرف — أورد المواد الآتية : (الرغدى ـ الرعوى ـ الرضوى)[١] . وفى المضموم منه أورد : (الربى ـ الرقبى ـ والرقى ـ الرخامى ـ الرغامى ـ الرجعى)[٢] . وفى أول باب الصاد جاءت المواد الآتية : (الصفا ـ الصَّبا ـ الصيا ـ الصراء صَرى وصِرى) بفتح أوله وكسره لغتان[٣] .

ويمكن أن نجد لهذا الاضطراب نظائر فى الأبواب الأخرى إذ هى كثيرة[٤] مما يؤكد أنه جمع المواد داخل الباب دون أن يراعى الحرف

(١) المقصور والممدود / ٥٥

(٢) نفسه ٥٥ ـ ٥٦

(٣) المقصور والممدود / ٧١

(٤) باب الباء / ١٥ ، ١٦ وباب التاء / ٢٢ ، وغيرها .

الثانى للمواد داخل الباب الواحد ، وحشرها حشراً دون أن تكون لديه فكرة ترتيبها وفقاً للنظام الهجائى كما وجدنا فى الباب الأخير من كتاب « المنجد » لكراع النمل .

٢ ـ الغموض فى شرح أسماء النبات والاماكن :

ومن المآخذ الغموض فى شرح أسماء النبات والأماكن ، وهذا يوقع طالب المادة فى حيرة لعدم وضوح السبيل أمامه .

فابن ولاد يقول ـ مثلا ـ « الجواء بكسر أوله ممدود : اسم أرض ... » ويكتفى بذلك[١] .

ولكن أين هى ؟ . إنه لا يقول لنا ذلك . والخرشاء : نبت ... دون أن يزيد عليه[٢] حرفاً .. ولكن أى نوع من أنواع النبات هو ؟ والدُّنا موضع[٣] .. والحِجْلى : جمع حجلة وهو نبت أيضاً .. ولكن أى نبت ؟ إنه لم يوضح لنا ذلك .

غير أنه يوضح فى بعض الأحيان ، فالسحاء ، بالمد والكسر نبت تأكله النحل واحدته سحاءة[٤] و « ركاء » اسم واد بسرة نجد[٥] . وهكذا نراه يترك توضيح أسماء النبات والأماكن مرة ويشرح مرة أخرى ، وإن كان شرحه غير كاف لأنه لم يحدد المقصود من الكلمة تحديداً دقيقاً ، مع أنه كان يستطيع الاستعانة بكتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى أحمد بن داود

---

(١) المقصور والممدود /٣١
(٢) المقصور والممدود /٤٦
(٣) المقصور والممدود /٣٨
(٤) المقصور والممدود /٦٦
(٥) نفسه /٥٦

(المتوفى ٢٨٢ هـ) ، وقد سبقه بنصف قرن تماماً وكتابه « لم يؤلف فى معناه مثله »[1].

٣ ـ اهمال بعض المواد :

ومن المآخذ التى تؤخذ عليه أنه أهمل قسما من مواد المقصور والممدود فلم يذكرها . وقد اعترف فى أول القسم القياسى أنه ترك جملة من حروف المقصور والممدود . إما لكونها شاذة لم يرد للتكثير فيها وجهاً ، وإما أنه لم يحط بها علماً[2].

ومن المواد التى فاتته من المقيس المعروف دون الشاذ المتروك مع الآيات التى تسعفه فى الاستشهاد ... قوله تعالى : « قال يا بشرى هذا غلام » (يوسف : ١٩) فى مادة « بشرى »[3] وكذلك قوله تعالى : « إنّ إلى ربك الرجعى » (العلق : ٨) ، فى مادة الرجعى بمعنى الرجوع .[4] وقوله تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » (القيامة : ٣٦) ، فى مادة « السدى »[5] إلى غير ذلك من المواد ...

٥ ـ دراسات حول « المقصور والممدود »

أولا ـ ملاحظات المتنبى والمهلبى :

ولأهمية كتاب « المقصور والممدود » نال عناية الأدباء والعلماء ، فقرأه بعضهم فى مجلسه وناقش مسائله وأقام بعضهم حوله دراسة .

---

(١) البغية ١/٣٠٦
(٢) المقصور والممدود /١٣٥
(٣) المقصور والممدود /٢٠
(٤) نفسه/٥٦
(٥) نفسه /٦٣

ففى مصر قرىء فى مجلس المتنبى ، وكان يرد ما يراه غلطاً ويناقش مسائله اللغوية[١] وهذا دليل على أهمية الكتاب ولولا ذلك لما قرىء على أبى الطيّب العالم النحرير الذى امتحنه أبو على الفارسى فقال له : « كم لنا من الجموع على وزن فِعْلَى » ؟ فقال المتنبىء فى الحال « حجلى وظربى » قال أبو على : فطالعت كتب اللغة فلم أجد لهذين الجمعين ثالثاً[٢] وحسبك من يقول أبو على فى حقه هذه المقالة » .

ويزعم على بن حمزة البصرى (٣٧٥ هـ) فى تنبيهاته « أن أبا الحسين على بن أحمد المهلبى (٣٨٥ هـ) ، جمع ردّ المتنبى وشواهده وادّعاه لنفسه بعد خروج أبى الطيب من مصر »[٣] .

وأرى فى قول البصرى مبالغة ، وهى آتية من انتصاره لأستاذه المتنبى فهو راوية ديوانه بصقلية ولما ورد المتنبى إلى بغداد كان بها فنزل فى داره . وقد وقعت بين المتنبى وأبى الحسين المهلبى خصومة بسبب الاختلاف حول تفسير قول العدوانى :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وذلك أن المتنبى[٤] قال : إن الناس يغلطون فى هذا البيت والصواب « اشقونى » من شقأت رأسه بالمشقاة وهو المشط . فقال المهلبى : أخطأت من وجوه : أحدها أنه لم يرد كذلك . والآخر : أنه يقال : شقأه بالهمزة... إلخ » فانتصر البصرى من المهلبى لأننا لم نر أحداً ذكر ذلك ولا نقل منه شيئاً غير البصرى فى تنبيهاته .

(١) البصرى : التنبيهات على أغاليط الرواة ٣٢٥
(٢) وفيات الاعيان ١ : ١٠٢
(٣) التنبيهات / ٣٢٥
(٤) معجم ١٢ : ٢٢٥

فالظاهر أن المتنبى أبدى بعض الملاحظات[1] حول مجموعة من المواد .

وبالإضافة إلى ملاحظات المتنبى فإن تلميذه البصرى له ملاحظاته التى أودعها كتابه « التنبيهات على أغاليط الرواة » ، كما أن أبا الحسن المهلبى (٣٨٥ هـ) له بعض الملاحظات التى أودعها كتابه (المقصور والممدود) ، وسيأتى بحث هذا الأخير فى موضعه .

ثانيا ـ تنبيهات البصرى :

غير تنبيهات أن البصرى استوعبت كل هذه الملاحظات وهذا حدد منهجى بالخطوط العريضة الآتية :

أولا : اقتصرت على تنبيهات البصرى لأنها استوعبت ملاحظات المتنبى والمهلبى مع إضافات كثيرة . وقد أشار إليهما فى التنبيهات .

ثانياً : وكان تعقيبى على كل ملاحظة إما بالتصحيح لموقف البصرى إن وجدت فى كتب اللغة ما يؤيده ، وإما بالتأييد لموقف ابن ولاد .

ثالثاً : وقد قسمت التنبيهات قسمين :

الأول : يختص برواية الأبيات وعدد تنبيهاته (١٠) .

والآخر : يختص بمفردات اللغة ومعانيها وعدد تنبيهاته (٣٥) .

(أ) ما يختص برواية الابيات :

رأى البصرى أن قسما من هذه الأبيات العشرة روى محرفاً وقسما يروى محركا بحركة غير حركته الصحيحة[2] .

---

(١) التنبيهات ٣٤١ ، ٣٤٣

(٢) التنبيهات ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢

وهما مسألتان كثر النزاع حولها بين اللغويين والنحاة . فما يراه بعضهم محرفاً يراه الآخر صحيحاً . وما يرويه قسم منهم بالرفع يرويه الآخرون بالنصب أو الجر . وقد يرويه مصدر واحد بالرفع والنصب أو بالصور الثلاث .

فقد صدر سيبويه كتابه بباب ضمنه أشعاراً على روايات توافق ما بنى عليه الباب ويخالفه رواة الشعر فى أكثرها »[1] فمنها روايته لقول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى   بما لاقت لبون بنى زياد

ورواه غيره : (ألم يبلغك والأنباء تنمى)[2] .

وهذا بيت لرؤبة بن العجاج يرويه سيبويه بهذه الصورة[3] :

إنِّى وأسطارٌ سطرنَ سطرا   لقائل : يا نصرُ نصراً نصرا

ويرويه كل من : المبرد[4] ، والنحاس[5] ، والفارقى[6] ، بهذه الصورة :

إنى وأسطار سطرن سطرا   لقائل : يا نصرُ نصرٌ نصرا

أما (الأصمعى) فزعم أن رواية البيت : (يا نصر نصراً نصراً) وإنه يريد المصدر ، أى انصر نصراً[7] .

وقال أبو عبيدة : هذا تصحيف إنما قاله لنصر من سيار : (يا نصر نصراً نصراً) إغراء . أى : عليك نصراً ، يغريه به[8] .

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف /١٥٣.

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف ١٥٣.

(٣) كتاب سيبويه ١/٢٠٤

(٤) المقتضب ٤/٢٠٩

(٥) الابيات المشكلة /١٢٧

(٦) شرح أبيات سيبويه ورقة ٧١

(٧ ، ٨) المقتضب ٤/٢١٠ ، ٢١١.

وقد يكون الاختلاف في موضع الشاهد . ومثاله قول عمرو بن شأس الأسدي :

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا

قال الأعلم في توجيه رواية النصب : « أراد إذا كان اليوم يوماً ، وأضمر لعلم المخاطب ومعناه : إذا كان اليوم الذي وقع فيه القتال يوماً ذا كواكب أشنعا » (١) .

ورواية « منتهى الطلب » برفع يوم (٢) .

وسيبويه يؤيد رواية الرفع بقوله : « سمعت بعض العرب يقول أشنعا ويرفع ما قبله . كأنه قال : إذا كان يومٌ ذا كواكب أشنعا » (٣) بالرغم من روايته له بالنصب .

ورواه النحاس برفع يوم (٤) .

وبيت ابن هرمة :

أنُصْبٌ للمنية تعتريهم رجالي أم هم درج السيول

«فيه حجتان : الرفع والنصب في درج . فإذا نصبت فعلى الظرف وإذا رفعت جعلته اسما » (٥) .

وقد أورد النحاس مجموعة من الشواهد الشعرية تروى بالرفع أو بالنصب .

---

(١) الاعلم بهامش سيبويه ١/٢٢

(٢) محمد بن مبارك : منتهى الطلب ، ورقة ٨٠ أ (مخطوط جامعة ييل أمريكا) .

(٣) كتاب سيبويه ١/٢٢

(٤) شرح القصائد التسع /٦٩٣

(٥) شرح أبيات سيبويه ورقة ٥٥ : ب

وهذا يجعلنا نقرر مطمئنين أن الاختلاف فى رواية الأبيات سواء بحجة التحريف أو بحجة نحوية هو من المسائل التى لم ينته الخلاف حولها بين اللغويين والنحاة .

وموقفنا يلتزم جانب الاتساع اللغوى وعدم المجازفة فى اتهام الآخرين بالخطأ ، ما دام فى اللغة مندوحة من الصواب ..

ما يختص بمفردات اللغة :

أما ما يختص بمفردات اللغة من تنبيهات البصرى ، فإنا نبدى فيه هذه التحفظات :

١ ـ إنّ مسائل اللغة لا يمكن أن يؤخذ فيها برأى واحد من اللغويين مادام الآخرون يخالفونه ، وهذا من باب ماقال فيه ابن جنّى : « اللغات على اختلافها كلها حجة ، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها »(١) .

٢ ـ إنّ من مسائل اللغة ما تفرد به واحد من ثقات رواتها ، فلا يطعن فيما أورده ما دام ثقة ، « وحكمه القبول إن كان المتفرد من أهل الضبط والإتقان كأبى زيد والخليل والأصمعى وابن حاتم وأبى عبيدة وأضرابهم »(٢) .

٣ ـ أما ماروى خطأ فيمكن أن نتبين وجهه من إجماع كتب اللغة ، أو من إشارات مصنفاتها المتخصصة مثل كتب التصحيف والتحريف

---

(١) المزهر ١/٢٥٧ .

(٢) المزهر ١/١٢٩ (وقد جمع فيه الصاغانى كتابا اسمه : ما تفرد به بعض أئمة اللغة ، مخطوط دار الكتب برقم ٤١٨ لغة) .

والمعاجم بشرط أن نتأكد من صحة ملاحظاتها ، وألا يكون ذلك مما ورد فى باب الإبدال ، الذى عده بعض اللغويين خطأ وليس بخطأ .

وفى ضوء هـذه الملاحظات والتحفظات النحوية واللغوية نناقش تنبيهات البصرى .

(أ) ما يختص برواية الابيات :

١ — روى « ابن ولاد » فى المقصور والممدود[١] :

* لم يُبق هذا الدهر من تَرْيائه *

غير أن البصرى يرى أن الرواية الصحيحة هى[٢] :

* لم يبق هذا الدهر من ثريائه *

أما روايته فى كتب اللغة ، ففيهـا اختلاف أيضاً . ففى اللسان والمخصص « ثريائه »[٣] . مثل رواية البصرى .

أما فى أدب الكاتب ، فالرواية من آيائه ووافق ابن السيد عليها[٤] .

وما دام الاختـلاف قد وقع فى رواية البيت وما دام الفريقان المختلفان ثقات فليس لنا أن نرد إحدى الروايتين بالأخرى .

٢ — قال ابن ولاد[٥] :

البلنصى اسم طائر يقال أن ذكره البلصوص . قال الشاعر :

* البَلَصُوصُ يَتْبَعُ البلنصى *

---

(١) المقصور والمدود / ١٥

(٢) التنبيهات / ٣٢٩

(٣) اللسان : ثرا ١٨ : ١٢٠ والمخصص ١٦ ، ٧٦

(٤) الاقتضاب ٤٦٨

(٥) المقصور والممدود / ١٩١

وإنما الرواية عند البصرى[1] :

كالبلصوص يتبع البلنصى

وإذا ما رجعنا إلى كتب اللغة[2] ، وجدنا أن الرواية كما قال البصرى .

٣ — روى ابن ولاد[3] :

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا تَشُقُّ على البَصَرْ

فعقب البصرى على هذه الرواية بقوله : « وقد أعلمتك أن الرواية بالخير وأنبأتك بقول أبى رياش فى هذه الرواية فيما تقدم من التنبيهات على أغلاط الكامل[4] » .

وعند الرجوع إلى ما لاحظه على الكامل من التنبيهات وجدناه قد قال : « سمعت أبا رياش يقول : لا يروى بيت ابن عنقاء الفزارى ـ بالحسن ـ إلا أعمى البصيرة ، لأن الحسن مولود ، وإنما الرواية بالخير »[5] .

ولكن هذه الحدة تتبخر فى شمس الحقيقة الناصعة ، لأن كثيراً من العلماء بالشعر رووه كما رواه ابن ولاد ، منهم : المرزبانى[6] والعسكرى[7] والحصرى[8] (٤٨٨ هـ) . فحدة أبى رياش لا مبرر لها سوى التعصب . وحجة البصرى واهية .

(١) التنبيهات /٣٣٣
(٢) الجمهرة ٣/٢٩٨ والمخصص ١٦/٨
(٣) المقصور والممدود ٦٢
(٤) التنبيهات /٣٣٨
(٥) التنبيهات ٩٦
(٦) الموشح ٣٢٣
(٧) كتاب المعانى ١/٢٣
(٨) زهرة الاداب ٤/٩٧ (المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥) ع

٤ — روى ابن ولاد[١].

كأنَّ عذيرَهُم بجنوب سِلّى نَعامٌ قاقَ فى بلدٍ قَفـار

ويرى البصرى أن الرواية كان « عَدِيَّهُمْ » وهم القوم يَغْدُون[٢].

ويرد على البصرى بأن هذا البيت لم يرد إلا برواية ابن ولاد. وأن رواية البصرى غير محفوظة عند الثقات[٣].

٥ — أنشد ابن ولاد[٤] لعنترة :

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأَظَلَّهُ حتى أنال به كريمَ المأكل

أما البصرى فيرى أن القصيدة ميمية، والرواية « المطعم »[٥].

ولكن الرواية المشهورة كما رواها ابن ولاد. وهى فى شعر عنترة برواية الأعلم[٦]. والمنقوص والممدود للفراء[٧]، والأغانى[٨] والاقتضاب[٩] وغيرها فرأى البصرى مردود بهذا الإجماع.

٦ — وأنشد ابن ولاد فى باب العين[١٠].

لله درك أنى قد رميتهم حتى حُددت ولا عُذْرَى لمحدود

أما البصرى فيرى أن الرواية الصحيحة[١١] : « لولا حددت ».

(١) المقصور والممدود ٦٤
(٢) التنبيهات / ٣٣٩
(٣) كتاب سيبويه ١ : ١٠٩ وما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٣
(٤) المقصور والممدود / ٣٣٢
(٥) التنبيهات / ٣٤٢
(٦) مختار الشعر الجاهلى ٣٨٨
(٧) الفراء : المنقوص والممدود / ٤٢
(٨) الاغانى ٨ : ٢٤١ (الدار)
(٩) الاقتضاب : ٤٦٠
(١٠) المقصور والممدود / ٨٦
(١١) التنبيهات / ٣٤٦

وعند الرجوع إلى أشعار هذيل[١] وجدنا رواية البيت كما رواه البصرى وهو فى « المخصص »[٢] كما رواه « ابن ولاد » .

أما فى « اللسان »[٣] و « الخزانة »[٤] فهو « لولا حددت » . فهو مما اختلفت فيه الرواية خارج حدود الخطأ ، أو التصحيف والتحريف .

٧ ـ روى ابن ولاد[٥] :

أسدٌ يَفِرُّ الأُسْدُ مِن عُرَوَاته   بعوارض الرَّجّاز أو بعيون

ويرى البصرى أن الرواية الصحيحة : « بمدافع الرجاز ، والرجاز واد معروف[٦] .

لكن رواية ابن ولاد ، هى رواية السكرى فى « أشعار الهذليين » فيجوز أن تكون للبيت روايتان كل منهما صحيحة ، حفظ السكرى غير ما حفظ البصرى ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

٨ ـ قال ابن ولاد فى باب الغين[٧] : الغمى أيضاً مقصورة : الشديدة من شدائد الدهر وغماء البيت إذا كسرت أوله مددته ، وإذا فتحته قصرت . قال ابن مقبل :

خروج من الغمى إذا صُكَّ صكة   بدا والعيون المستكفّة تلمحُ

---

(١) السكرى : شرح أشعار الهذليين ٢/٨٧١ (حيث البيت للجموح الظفرى) .

(٢) المخصص ١٥/١٩٠

(٣) اللسان (عذر) ٦/٢١٩

(٤) خزانة الادب ١/٢٢١

(٥) المقصور والممدود ٨٩ والبيت لبدر بن عامر الهذلى (ينظر ديوان الهذليين بشرح السكرى ١/٤٠٩) العرواء القشعريرة من الحمى . ومعناها : حسه ودنوه والرجازوعيون : موضعان .

(٦) التنبيهات /٣٤٧

(٧) المقصور والممدود /٩١

قال البصرى (٢) : « وإنما الرواية من الغمّى » بضم الغين « فإذا فتحت الغين فهى الغَمّاء » .

والظاهر أن الحق مع البصرى، فرواية الديوان واللسان هى كما قال (٣) .

٩ ــ وروى « ابن ولاد » فى باب الميم (٤) :

يا ابن هشام عَصر المظلوم إليكَ أشكو جَنَفَ الخصُومِ

وشَمّةً من شارف مزكوم قد خمّ أو زاد على الخصوم

فهى تمَطّى كمطا المحموم شَمِمتها فكرهتُ شميمى

قال البصرى (٥) : هذه الرواية مغيرة ، والرجز لذروة بن جحفة الصَّوتى وروايته عن أبى زياد وغيره :

يا ابن هشام . . . . الخصومِ

ورِهاءَ ذات عطَلَ وسيمِ قد نفرتْ من شارفٍ مزكومِ

قد خَمَّ أوزاد على الخصوم شَمِمْتُها فكرِهتُ شميمى

فهى تمَطّى كمَطَى المحمومِ

ولكن رواية اللسان (٦) كما روى ابنُ ولاد . فلا مبرر لاتهامه بالتحريف .

---

(١) التنبيهات ٣٤٧ واللسان « كفف » ٢١٣/١١

(٢) ديوان ابن مقبل /٢٩

(٣) المقصور والممدود /١١٦

(٤) التنبيهات ٣٥٢ (حيث أشار الى صحة الرواية فى تنبيهاته على اصلاح المنطق ٢٩٠ والنقل من هناك) .

(٥) اللسان (سطا) ١٥٣/٢٠ وروى البيت الثالث بتقديم الشطر الثانى و (خمم) ٨١/١٥ حيث روى البيتين الاولين .

١٠ — قال ابن ولاد : « المشنأ مفتوح الأول . المبغض . قال ذو الرمة :

أهلاكُ أو تضمنى قَليبُ   زَلَجُ المقام مُشنأ مَهيب

قال وحكى أبو عبيد عن أبى عبيدة : المشناء مثال مفعال الذى يبغضه الناس »(١) .

قال البصرى(٢) : « وقد غلط ابن ولاد فى روايته ، وغلط أبو عبيدة فى مثاله ، لأن روايته زلخ المقام بالخاء » .

لكن الذى أورده كل من البصرى وابن ولاد له وجه فى اللغة يقال : مكان زلج ومكان زلخ بالجيم والخاء بمعنى واحد(٣) . فهو من باب الإبدال فيما أرى . وإن كان غير مطرد فقد جاء ما يشابهه(٤) .

(ب) ما يتصل بمفردات اللغة :

١ — قال ابن ولاد فى باب(٥) الألف : « الأزبى » النشاط ، يقال : مر وله أزبى وأزيب » .

وقال البصرى :(٦) « والوجه أزبى ، يقال : مر وله أزبى وجمعه الأزابى ، وأنشد ابن الأعرابى(٧) :

---

(١) المقصور والممدود /١١٩

(٢) التنبيهات /٣٥٤

(٣) اللسان « زلخ » ٣/٤٩٨ ، ٤٩٩

(٤) ابن السكيت : القلب والابدال /٢٩ وأبو الطيب : الابدال ١/٢١٣ (يقال أصلج وأصلخ وهو الاصم لغتان فصيحتان) .

(٥) المقصور والممدود /١١ (وفيه الازبى : النشاط) .

(٦) التنبيهات /٣٢٥

(٧) الرجز فى اللسان (أدب) ١/٢٠١ ، (زبى) ١٩/٧٢ لمنظور بن حبة وهو له فى الجمهرة (شمجى) ٣/٣٦٥

أرأمتُها الأنساع قبل السَّقب إرآم كُرْهٍ وعِطاف عَطْب
حتى أتى أزبيُّها بالأدْبِ

فهذا هو الصحيح. فأما الأزْيَب فتصحيف . وإنما هو الأذيب بالذال.

وعند الرجوع إلى مصادر اللغة وجد أن كلمة «أزيب» تروى بالزاى كما رواها « ابن ولاد » ، وتروى بالذال [1] ، فلا حجة للبصرى فيها .

٢ — وقال ابن ولاد فى باب الألف[2] :

الأَبَزَى محركة العين مشية يستراح فيها أحيانا ويُمضى أحيانا يقال : «مر يأبز فى عدوه» . وقال البصرى : «وهذا غلط فى اللفظ والمعنى . وإنما الأبز : الوثب . يقال : أبزَ يأبِز أبْزاً : إذا وثب . والواثبة : أبوز . قال الراجز :

لقد صبحتُ حَمَلَ بن كُوز عُلالَة من جَمَزى أُبوز
تريح بعد النفس المحفوز إراحة الجِداية النَّفوز

وقوله : يأبز ، صحيح، والمصدر منه الأبز، ثم بنوا من الأبز أَبَزَى كما بنوا من الجَمْز جَمَزَى. فقالوا : جَمَزَى وأَبَزَى للذى يجمز ويأبز»[3] .

لكن رد البصرى ضعيف إن لم نقل غير صحيح ، لأن ما جاء به ابن ولاد وارد فى اللغة .

قال ابن سيده : « الأبزى مشية فيها تبختر »[4] . وقال ابن منظور « أبز الإنسان فى عدوه يأبز أبزا وأبوزاً استراح ثم مضى »[5] .

(١) المزهر ٥٩/١ (نقلا عن أبى عبيد فى الغريب المصنف)
(٢) المقصور والممدود /١٢
(٣) التنبيهات /٣٢٧
(٤) المخصص ١٩٥/١٥
(٥) اللسان (أبز) ١٦٨/٧

ولا حجة للبصرى فى رده .

٢ — قال ابن ولاد فى باب الألف[١] : الأرانى : جنساة الضعة ، والضعة : نبت ، قال ابن الأعرابى : هو حبّ بقلة يقال لها الأرانى و لأرنى والأرنة ، وهو حب يطرح فى اللبن فينتفخ .

وأنشد :

* هدانٌ كشحم الأرنة المترجرج *

وأنكر البصرى هذه اللغة .

غير أن ما أنكره البصرى وارد فى اللغة . فقد ذكره ابن السكيت فى المقصود والممدود ، والقالى (ت ٣٥٦ هـ) فى المقصور والممدود أيضاً وأورده ابن خالويه فى شرح الدريدية . قال السيوطى : (قال ابن السكيت فى المقصور والممدود « كل ما جاء فى آخره ألف مضوماً أوله فهو ممدود ، إلا ثلاثة أحرف جاءت نوادر من ذلك : الأُرَنَى والأُدَمَى وشُعَبَى وفى شرح الدريدية لابن خالويه : (ليس فى كلام العرب اسم على فعلى إلا ثلاثة أحرف وذكرها . ثم قال وزاد أبو عمر الزاهد : جُنَفَى : اسم موضع . وزاد القالى فى المقصور : أرنى : حبة تطرح فى اللبن فتخثره ...[٢]) .

وما دام وارداً فى اللغة برواية الثقات فهو غير منكر .

٤ — قال ابن ولاد فى الباب نفسه[٣] « آء » : نبت واحده آءة .

قال زهير :

أصكَّ مصلَّمُ الأذنين أجْنَى له بالسِّيِّ تنّومٌ وءاءٌ

---

(١) المقصور والممدود /١٣

(٢) المزهر ٢/٦٤

(٣) المقصور والممدود /١٤

واعترض البصرى عليه قائلا : (وإنما الآء عِنَبُ السَّرْح . وهو أبيض تأكله الناس ويربِّبُون منه الرُّبّ[1]) .

لكن ما أورده ابن ولاد صحيح . قال ثعلب فى شرح ديوان زهير[2] :

« الصك : اصطكاك العرقوبين . أجنى : أى أدرك أن يجنى .

والتنوم : الواحدة تنومة شجيرة غبراء تنبت خباً دسماً .

والسى : أرض . وآء : الواحدة آءة : ثمر السرح .

وقال ابن سيده «الآء شجرة واحدتها آءة وهو فى الصحاح أيضا»[3] .

فالخلاف ليس جدياً ولا يصل إلى حدود الخطأ . . . بل هو من باب السعة فى اللغة وما أوسع هذا الباب لمن تتبعه .

٥ ــ قال ابن ولاد فى هذا الباب[4] : « ومن الممدود المكسور أوله : الإساء : جمع آس ، قال الحطيئة :

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لمّا ... تواكَلَها الأَطِبَّةُ والإِسَاء

قال البصرى : (وهذا غلط وإنما الإساء ههنا الدواء . يكسر فيمد ، ويفتح فيقصر ، والشاهد على المد والكسر قول الحطيئة المتقدم ، وعلى القصر مع الفتح قول الأعشى :

عنده البِرُّ والتقى وأسى الصد ... ع ، وحَمْلٌ لِمُضلِعِ الأثقال

(١) التنبيهات ٣٢٧ ــ ٨
(٢) ثعلب : شرح ديوان زهير ٦٤
(٣) المخصص ١٦/٢٠
(٤) المقصور والممدود / ١٤

وقد جاء به « ابن ولاد » قبل هـذا على الصحة . . . ولا يجوز أن يكون الإساء فى بيت الحطيئة إلا الدواء ، وابن ولاد وإن كان قد غلط فى هذا فإنه تبع ابن قتيبة ، لأن ابن قتيبة هكذا جاء به فى أدب الكاتب. وقد وهما معاً[١]) .

أما ما خطأ به البصرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وابن ولاد (٣٣٢ هـ) فهو صواب حيث أورد ابن منظور بيت الحطيئة موضع الشاهد وقال بعده مباشرة :

(والإساء : ممدود مكسور : الدواء بعينه . وإن شئت كان جمعاً للآسى وهو المعالج كما تقول : راع ، « رعاء »[٢] .

فرأى البصرى يوجد إلى جانبه رأى آخر فلا حجة فيه .

٦ — قال ابن ولاد : فى حرف الباء : وبدا مقصور واحد الأبداء ، وهى مفاصل الأصابع . وقد يهمز هـذا ويسكن وسطه فيقال : بدء وجمعه بدوء[٣] .

قال البصرى[٤] : « وهـذا كلام من لم يعرف أسماء مفاصل الأصابع من خلق الإنسان ولا عرف الأبداء وإنما الأبداء أشراف أعضاء الجزور » .

أما أنا فأقول : إن كلام البصرى غريب جداً . . لأن الرجل ناقض نفسه فأثبت ما نفاه . . وإن قول ابن ولاد يوجد معناه فى خلق الإنسان

---

(١) التنبيهات ٣٢٨ ـ ٣٢٩
(٢) اللسان (أسا) ١٨/٣٦
(٣) المقصور والممدود /١٦
(٤) التنبيهات /٣٣٢

لثابت بن أبي ثابت منقولا عن أبي عمرو الشيباني : حيث يقول (١) : الأبداء المفاصل . واحدها بدا « مقصور » ويقال بدء والجمع بدوء على فعول » .

وقد نقل البصري مضمونه . ونقل عن الأصمعي ما يؤيد أن الأبداء : أشراف أعضاء الإنسان (٢) » .

فهو مما جاء بصورتين فلا حجة لواحدة على الأخرى ، ما دامت الروايتان بعيدتين عن الخطأ والتصحيف والتحريف .

٧ — قال ابن ولاد في هذا الباب (٣) : « البزا مقصور يكتب بالألف وهو تأخُّرُ العَجُز وخروجه . وكتب بالألف لأن أصله الواو » . وقال البصري (٤) « هذا الذي قاله ابن ولاد قد قاله غيره والصواب سواه ، إنما البزا دخول الظهر وخروج الصدر » .

غير أن الذي قاله ابن ولاد موافق لقـــول فريق من اللغويين كالأصمعي وغيره (٥) فلا حجة للبصري فيه .

٨ — قال ابن ولاد (٦) : الرِّشاء والرِّواء : الحبل . يقال : رويت الحمل بالتخفيف ، فأنا أروى ريا . إذا أدرت عليه الحبل والرواء . وقال البصري : « أما قول ابن ولاد رويت الحمل فغلط ، إنما تقول العرب رويت على الحمل وعلى الحمل أروى ريا (٧) » .

---

(١) ثابت : خلق الانسان / ٢١٩

(٢) التنبيهات / ٣٣٢

(٣) المقصور والممدود / ١٨

(٤) التنبيهات / ٣٣٤

(٥) الاصمعي : خلق الانسان / ٢١٢ واللسان (بزا) ٨/٧٧

(٦) المقصور والممدود / ٥٨

(٧) التنبيهات ٣٣٤

لكن الذى صحح به البصرى كلام ابن ولاد موجود فى « المقصور والممدود[١] فلعل اعتماد البصرى كان على نسخة غير دقيقة .

٩ — قال ابن ولاد : (والرُعَيْداء هو ما يرمى به من الطعام من القَصَل والزؤان[٢]) .

وقال البصرى[٣] : « إنما هو الرغيداء بغين معجمة لا غير » .

والذى قاله « ابن ولاد » وردَ فى معاجم اللغة كالتهذيب والمخصص واللسان[٤] .

وما قاله البصرى غير وارد .

١٠ — قال ابن ولاد : « وزبانى العقرب مضموم الأول غير مشدد . قال الكميت :

ولم يك نشؤك لى إذ نشأت   كنوء الزبانى عجاجاً مسوراً

فأما الزنابى بتقديم النون على الباء فهو مخاط الإبل[٥] مقصور أيضاً .

قال البصرى : « هذا غلط إنما هو الذنانى بذال العجمة ونونين وهو مأخوذ من الذنين .

قال الشماخ[٦] :

---

(١) المقصور والممدود /٥٨

(٢) المقصود والممدود ٥٧

(٣) التنبيهات /٣٣٦

(٤) تهذيب اللغة : (رعد) والمخصص ١٦/٧٠ واللسان (رعد) ٤/١٦١.

(٥) المقصور والممدود /٥٩

(٦) البيت فى الصحاح (ذنن) وروايته « حوالب أسهريه » وهو فى اللسان (ذنن) ١٧/٣٢ للشماخ ، يصف اتانا وعيرا ، وأوله : توائل من مصك أنصبته وقال : هكذا رواه أبو عبيد ويروى « حوالب اسهرته » ٠ قال ابن برى : وتوائل أى : تنجو ، أى تعدو هذه الاتان الحامل هربا من حمار شديد مغتلم لان الحامل تمنع الفحل والاسهران : عرقان يجرى فيهما ماء الفحل ٠

* جوالبُ أُسهِرتهْ بالذنين *

ويروى أسْهَرَيْهُ(١) .

وكأن الذى قاله البصرى صحيح . فإن رواة اللغة الذين يحتج بهم يجمعون على ما قاله . وماشذ عنه فهو غير صحيح (٢) .

١١ — قال ابن ولاد فى الباب نفسه : «وزَبى جمع زُبية : وهى أماكن تحفر للأسد ، قال الراجز :

فظلت فى الأمر الذى قد كيدا كاللذ تزبى زبية فاصطيدا

والزبى : الأماكن المرتفعة . ويقال فى مثل هـــذا : « قد بلغ الماء الزبى » (٣) .

وقال البصرى : « وقد وهم — ابن ولاد — فى هذا القول « وإنما تحفر الزبى للأسد فى الأماكن العالية فلذلك قالوا : « قد بلغ الماء الزبى . وهذه هى الأولى فجعلها وجهين وهما واحد (٤) » .

لكن ابن ولاد غيرواهم فيما قاله . فالزبى : جمع زبية وهى من الأضداد حيث « يكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين» (٥) وقد أجمع كل من الأصمعى (٦) وأبى عبيدة وابن السكيت وأبى حاتم السجستانى

(١) التنبيهات ٣٣٧

(٢) ينظر الصحاح (ذنن) ٢١١٩/٥ واللسان (ذنن) ٣٢/١٧ والاقتضاب /١٥٦ والمزهر ٢٤٢/٢ .

(٣) المقصور والممدود ٥٩

(٤) التنبيهات ٣٣٧ — ٣٣٨

(٦) ابن الانبارى : الاضداد /١

(٥) الاصمعى الإضداد : ٥٥

وأبى بكر بن الأنبارى[١] (٣٢٨ هـ) على عبارة واحـدة تقريباً هى : (الزبية حفرة تحفر للأسد والزبية جمعها زبى : أماكن مرتفعة ويقال فى المثل علا الماء الزبى أى بلغ الأمر أقصاه) ...

وجاء فى الصحاح « زبى »[٢] والمخصص[٣] ما يوافق الذى رواه ابن ولاد كل الموافقة .

فالذى قاله البصرى فيه مجازفة لغوية وعدم إحاطة باللغة .

١٢ — قال ابن ولاد : « السخاء بالمد أيضاً : بقلة »[٤]

وقال البصرى : « إنما النبتة صخاء بالصاد »[٥]

ولـكن القولين واردان فى اللغة . فهو من باب إبدال السـين صاداً وهو كثير[٦] .

وقد غاب عن ذهن البصرى ، ما حفظته كتب اللغة . وقد أوردها أبو حنيفة الدينورى فى النبات بالسين والصاد[٧]

١٣ — قال ابن ولاد فى باب السـين[٨] : السدى على ثلاثة أوجه كلها مقصورة تـكتب بالياء : وهو سدى الثوب ويقال ستى الثوب بالتاء

---

(١) ابن السكيت الاضداد ٢٠٦ السجستانى الاضداد ٨٧ وابن الانبارى : الاضداد /٣٣٨

(٢) الصحاح (زبى) ٢٣٦٦/٦

(٣) المخصص ١٧٨/١٥ (ولفظه يقارب لفظ ابن ولاد) .

(٤) المقصور والممدود ٦٢

(٥) التنبيهات ٣٣٨

(٦) اللسان (سخا) ٩٥/١٩ ، وينظر هذا النوع من الابدال فى : ابن السكيت : القلب والابدال /٣٢ وأبى الطيب : الابدال ١٧٢/٢ .

(٧) اللسان (سخا) ٩٥/١٩

(٨) المقصور والممدود ٦٣

أيضاً ، وهما لغتان بمعنى والسدى : البلح الواحدة سداة . والسدى : الندى أيضاً » .

وقال البصرى [١] « وقد غلط فى أن قرن البلح بالسَّدَيَيْنْ الآخرين لأن سدى البلح يقصر فيقال سدى ويمد فيقال سداء .. إلخ » . لكن الذى قاله ابن ولاد قاله الفراء قبله فى المنقوص والممدود/٣٢ وأحر بنص ابن ولاد أن يكون منقولا من الفراء .

١٤ — قال ابن ولاد [٢] « والسُّمى بُعْدُ ذَهاب اسم الرجل . قال الشاعر

لأوضحها وجهاً وأكرمها أباً واسمحها كَفاً وأبعدها سُمىَ

ويروى وأعلنها[٣] .

وقال البصرى : « وهذا الذى قاله وإن كان مذهب الكوفيين فهو غلط ، والصواب أن « سمى » ها هنا بمعنى الاسم . وأعلنها يريد وأعلنها اسما . وسِمٌ وسُمٌ وسُمى بمعنى واحد[٤] .

ولكن الذى قاله « ابن ولاد » فى « السُّمى » صواب[٥] ، وأما ما قاله فى اشتقاق الاسم فهو من مسائل الخلاف بين اللغويين .. وكل له حجة .. [٦]

---

(١) التنبيهات /٣٣٨
(٢) المقصور والممدود /٦٣
(٣) اللسان (سمو) ١٢٧/١٩ والمخصص ١٧٨/١٥
(٤) التنبيهات ٣٣٩ — ٣٤٠ وينظر ابن السيد البطليوسى : كتاب المثلثات : حرف السين المثلث المتفق المعانى (مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب رقم ١٣٤) .
(٥) اللسان (سما) ١٢٧/١٩
(٦) نوادر أبى زيد /١٦٦ والنحاس : اعراب القرآن ورقة ٢ : أ واللسان (سمو) ١٢٧/١٩

١٥ — قال ابن ولاد : « السابياء : النتائج ، يقال يورك له في السابياء . وهو اسم لبعض جحرة اليربوع »[1]

وقال البصري :[2] وقد أساء في هذا القول وغلط ؛ وإنما السابياء النتاج على الاستعارة فأما قوله « وهو أيضاً اسم لبعض جحرة اليربوع فنقل فاسد . نقله من الكتاب الكامل وقد أنبأتك بعلة هذا النقل فيما نبهنا عليه من أغلاط الكامل ».

وقد رجعت إلى تنبيهاته على الكامل[3] فوجدته يقول : « قال أبو العباس المبرد : جحرة اليربوع أربعة أبواب : النافقاء والرهطاء والدأماء والسابياء وكلها ممدود . وأخذ من سابياء الولد وهي الجلدة التي يخرج فيها من بطن أمه . وقد أساء المبرد في تفسيره وألحق بنفسه التهمة فيما يروى ، لأن الذي ذكره من السابياء وأنه جحر اليربوع لم يحكه أحد قبله . وقد تبعه ابن ولاد ، وكلاهما غير مصيب ، ومع هذا فإنما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع ولد . وهو السقىء ، وليس يخرج الولد فيه كما قال المبرد .... » .

ولكن الذي أنكره البصري غير منكر . قال الأصمعي والأحمر[4] : « السابياء هو الماء الذي يخرج على رأس الولد إذا ولد وقيل السابياء : المشيمة التي تخرج مع الولد وقال هشيم : ومعنى السابياء أيضاً النتاج[5] وقال أبو عبيد : « الأصل في السابياء ما قاله الأصمعي ، والمعنى يرجع إلى ما قاله هشيم[6] وقال الأزهري : قيل للنتاج السابياء لما يخرج من الماء

---

(١) المقصور والممدود /٦٥
(٢) التنبيهات /٢٤٠
(٣) التنبيهات /١١٩
(٤ ـ ٧) اللسان (سبى) ٨٩/١٩

عند النتاج على رأس المولود [١] .

أليس فى أقوال هؤلاء الأئمة ما يغنى ويكفى رداً على البصرى ؟ ؟

١٦ — قال ابن ولاد : « سِلاءُ السَّمْنِ وسباء العدو وسباء الخمر أيضاً ممدود » [٢] .

ويقول البصرى [٣] فى التعليق على « سلاء السمن » : (وهى عبارة فاسدة وإنما السلاء ما سلأته من سمن وغيره ، والفعل السلء) .

لكن هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وهو كثير فى العربية [٤] ، ومنه قوله تعالى : ﴿إنَّ هذا لَهُوَ حقُّ اليقين﴾ (آية : ٩٥ سورة الواقعة) والحق هو اليقين ومنه قوله تعالى : « وذلك دِينُ القيِّمة ».(آية : ٥ من سورة البينة) .

١٧ — قال ابن ولاد فى باب الشين [٥] : « وذكر عن أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر أنهما قالا :« الشَّذْوَ لونُ المِسْك . قال الشاعر :

إنْ يَكُ الفضل فى صحبتى ... والمسك قد يستصحب الرامكا
حتى يعود الشذُو من لونه ... أسوَدَ مضنوناً به حالكا

قال البصرى : «هذا مما أخذه عليه المتنبى قبلنا فقال الشذو بالكسر، وقد أصاب المتنبى . وغلط ابن ولاد فى فتحه » [٦] .

ولكن ابن ولاد لم يغلط ، بل المشهور فيه هو الفتح وإن ورد بالكسر، ولكن بالياء : الشذى » .

---

(١) المقصود والممدود /٦٦
(٢) التنبيهات ٣٤٠
(٣) الفراء : معانى القرآن ١/٣٣٠
(٤) المقصور والممدود /٦٨
(٥) التنبيهات /٣٤٠ ـ ٣٤١

قال ابن الأعرابى : « شذا إذا تطيب بالشَّذْو وهو المسك ، ويقال هو رائحة المسك »[1] .

وقال أبو عمرو بن العلاء : الشذو لون المسك[2] وأنشد :

إن لك الفضل . . . .   الرامكا .

(البيتين)[3]

١٨ — قال ابن ولاد[4] : « شحى اسم ماءة لبعض العرب وهى غير مصروفة يقال هذه شحا قد اعترضت ، بغير تنوين تكتب بالألف والياء جميعاً ، لأن منهم من يقول : شحوت ، ومنهم من يقول : شحيت. وهذا عن الفراء فى كتابه . وقد يجوز صرفها . وحكى عن ابن الأعرابى أنه قال : إنما هى سجا بالسين غير معجمة والجيم : اسم بئر . وأنشد :

* ساقى سجى يميد ميد المخمور *

وقال البصرى : « هذا مما غلط فيه الفراء قبله . هى سجا . قال ابن الأعرابى : أنشد أبو عمرو :

* سَاقِى سَجَى يميدُ مَيدَ الَمخْمُورْ *

وكل الرواة على أنها سجى ، وكان يلزم ابن ولاد أن يوردها فى باب السين »[5] .

ولكن فى قول البصرى : أنها بالسين بإجماع الرواة وأن الفراء وابن ولاد غلطا فيها . مجازفة ؛ لأن الرواة لم يجمعوا على روايتها بالسين

(١ ، ٢) اللسان (شذا) ١٩/١٥٥ ورواية البيت : « ان لك » ينظر كذلك اللسان (رمك) ١٢/٣١٨

(٤) المقصود والممدود /٦٨

(٥) التنبيهات /٣٤١

بل رويت بالشين أيضاً . فقد أوردها الأزهري في مادة « شحا »[1]، وأوردها أبو علي الفارسي بالشين أيضاً[2] كما أوردها ابن سيده فقال[3]: شحا لا تجرى ماءة لبعض العرب تكتب بالياء والألف لأنهم يقولون شحوت وشحيت . قال الفارسي : ويقال لها وشحاة . وقال : وجدت بخط أبي إسحاق برقة وشحى ولم أرها إلا في شعر . وهي مقصورة فيه وأنشد في « شحا » :

* ساقى شحا يميد ميد المخمور *

وأوردها أبو عبيد البكري في مادتي « سحا وشحا »[4] فالإجماع الذي ادعاه غير صحيح . . ولذلك فإن الفراء وابن ولاد كانا على صواب فيما أورداه .

١٩ — قال ابن ولاد :[5] « الطلا يكتب بالألف وهو ولد البهمة ، ولد الظبية والبقرة » .

وقال البصري :[6] « هذا كلام فاسد . البهمة لا ولد لها إنما أراد أن يقول : كولد البهمة » .

والحق مع البصري في أن الطلا كولد البهمة من الظبي والبقر .

قال الأصمعي[7] : « الطلا : الولد من ذوات الأظلاف ساعة تلقيه والجميع أطلاء » .

(١) تهذيب اللغة (شحا) واللسان (شحا) ١٩/١٥٣ .
(٢) المخصص ١٥/١٦٥ .
(٣) المخصص ١٥/١٦٥ .
(٤) معجم ما استعجم (سحا) /٧٦٥ و « شحا » /٨٠٢ .
(٥) المقصور والممدود /٧٨ .
(٦) التنبيهات ٣٤٢ .
(٧) كتاب الفرق /١٦ .

قال زهير :

* وأطلاؤها ينهضْنَ من كلِّ مَجْثِمِ *

٢٠ — قال ابن ولاد فى باب الطاء :(١) « الطرقى فى النسب من قولهم : الطُّرَقى والقُعْدى فالطرقى أبعد نسبا والقعدى أدناهما نسبا » .

وقال البصرى : « وهذا مما أخذه المتنبى قبلنا . فقال : الصواب الطرفى بالفاء وقال أبى الأعرابى : يقال فلان أقعد من فلان . أى : أقل آباء ، وأطرف من فلان أى أكثر آباء ، وهو مأخوذ من الطرف وهو البعد ، قال الأصمعى : فلان بين الطرافة إذا كان كثير الآباء إلى الجد الأكبر . وهو عندهم مدح » (٢) .

وما قاله البصرى صحيح ، وقد أشار إلى تصحيف ابن ولاد ، « ابن برى » (٣) .

٢١ — قال ابن ولاد فى باب الظاء : « الممدود من هذا الباب الظرباء ممدود : دابة شبيهة بالقرد عن أبى زيد ، وقال أبو عمرو : الظربان » (٤) وقال البصرى : « وقد غلط — ابن ولاد — وحكى عن أبى زيد ما لم يقله وإنما الظربان للواحد بالنون ، ويجمع على ظربى بالقصر » (٥) .

لكن الذى أنكره البصرى غير منكر . فقد روى ابن منظور عن أبى زيد(٦) قوله : الظرباء ممدود على فعلاء : دابة تشبه القرد ، قال أبو عمرو

(١) المقصور والممدود / ٧٩
(٢) التنبيهات / ٣٤٢
(٣) اللسان (طرف) ١١ / ١١٩
(٤) المقصور والممدود / ٨٠
(٥) التنبيهات ٣٤٣
(٦) اللسان (ظرب) ٢ / ٥٩

(هو الظربان) وما نقله ابن ولاد ثابت فى نوادر أبى زيد(١) . فلا معنى لكلام البصرى فى أن ابن ولاد حكى عن أبى زيد مالم يقل …

٢٢ — قال ابن ولاد : « العَلْهَى : المشتاقة إلى وطنها من الناس والإبل »(٢) وقال البصرى : « هذا شرط يفسده قول الشاعر :

* كَخَبَبِ العَلهى إلى رِئالها(٣) *

والعَلَهِ إلى الشىء ليس إلا الطرب والنزوع » .

ولكن الذى ورد فى كتب اللغة يجعل كلا القولين : قول ابن ولاد وقول البصرى متقاربين وليس فى أحدهما خطأ يحيله إلى الفساد اللغوى.. قال ابن دريد(٤) : « عله يعله علها : إذا طرب إلى ولد أو وطن » .

٢٣ — قال ابن ولاد :(٥) « العُجَى : جمع عُجْوة . وهو عجب الذنب قال الشاعر :

ومعصب قطع الشتاء وقوته أكل العجى ولمس الأشكاد

وقال البصرى : « وقد غلط ابن ولاد من جهات : وإنما العجى : عصب الوظيف ، فأما عجوب الأذناب فالعُكى الواحد عَكْوة ، قال الراجز :

هلكتَ إن شربت فى أكبابها حتى تُوَلّيك عُكى أذنابها

والعجى فى البيت الذى أنشده ابن ولاد : جلود قد يَبِست يطحنونها ويأكلونها .

---

(١) نوادر أبى زيد /٢١١ واللسان (ظرب) ٢/٥٩.

(٢) المقصور والمدود /٨٥

(٣) التنبيهات /٣٤٤

(٤) الجمهرة (عله) ٣/١٤١.

(٥) المقصور والمدود /٨٦

وهكذا قال أبو عمرو ، وقال الواحدة : «عُجَيَّة » (١) .

ورأى البصرى أوردته المعاجم فهو الراجح .

٢٤ — قال ابن ولاد فى هذا الباب : «وعَفاراء» : اسم أرض »(٢)

وقال البصرى : إنما هى عَقاراء بالقاف ، وهى تعرف بعقاراء الكروم

قال حميد بن ثور :

ركود الحميا طلة شاب ماءها بها من عقاراء الكروم ربيب

وقد قيل : إن عقاراء اسم رجل ، وقيل أراد من كروم عقاراء ، تقدم . (٣) .

والظاهر أن ماقاله البصرى صحيح كما يؤخذ من ديوان الشاعر ومن معجم البلدان(٤) .

٢٥ — قال ابن ولاد : الغماء : الكثيرة شعر الوجه والجبهة بالمد ، يقال : وجه أغم وجبهة غماء ورجل أغم وامرأة غماء ، وهو كثرة شعر الجبهة فيها (٥)

وقال البصرى : « والغَمَمُ قد يكون فى الوجه كما قال وفى القفا وقد ذَكَرَ الوجهَ ولم يذكرِ القفا ، وقد أساء فى ذلك »(٦) .

---

(١) التنبيهات /٤٤ ـ ٤٥

(٢) المقصور والممدود /٨٨

(٣) التنبيهات /٣٤٦

(٤) ديوان حميد بن ثور /٥٢ بيت رقم ١٤ ومعجم البلدان ٦/١٩٠ (أما عفاراء بالفاء فليس لها وجود فيه) .

(٥) المقصور والممدود /١١

(٦) التنبيهات /٣٤٧

ولكن الذى قاله ابن ولاد ليس فيه إساءة ، بل صحيح ، أما عدم ذكر القفا فهى مسألة لها نظائر عند اللغويين ، فليس من المفروض أن يستوعب اللغوى كل ما يتعلق بمادته . . . . كما أن كتاب ابن ولاد من الكتب الموجزة وليس من أمهات الكتب المستوعبة للدقائق فهو معذور من هذه الجهة . .

٢٦ — قال ابن ولاد(١) : غضى : مائة من الإبل ، كقولك هنيدة.

قال الشاعر :

ومستخلف من بعد غَضْيِ صُرَيْمَةً　　فأحرِ به لطول فقر وأحريا(٢)

وقال البصرى : « هذا مما رده المتنبى فادعاه ابن المنبوز ، فقال : الذى رواه أبو العباس ، غضى بالنون ، وهو خطأ ، إنما هو غضيا بالياء وهذا صحيح » (٣)

لكن الذى أورده «ابن ولاد» رواه الأصمعى فى كتاب الإبل (٤) وفيه شاهد ابن ولاد نفسه ، وذكر الجوهرى(٥) .

فهو ليس من باب الخطأ ، بل من باب ما ورد بصورتين كل منهما صحيحة ما دام الرواة ثقات . . . . . .

٢٧ — قال « ابن ولاد » : « الغُمَيصاء : إحـــدى الشِّعْرَيَيْن ،

---

(١) المقصور والممدود /٩٢

(٢) أراد (احرين) وهذه ألف الوقف ، ينظر الصحاح (غضب) ١٩٤/١

(٣) التنبيهات /٣٤٨

(٤) كتاب الابل /١١٦

(٥) الصحاح (غضب) ١٩٤/١.

ويقال للأخرى : العبور : وتسمى الغميصاء أيضاً : الغموص ، وهى من منازل القمر)[١].

وقال البصرى : (هذا سهو منه رحمه الله ، ليست الشعرى من منازل القمر)[٢]

وكأن ماقاله البصرى صحيح ، فإن الشعرى ليست من منازل القمر[٣].

٢٨ — قال « ابن ولاد »[٤]. (الفقعاء : نبت).

- وقال البصرى : (إنما هى القفعاء بتقديم القاف)[٥].

- والقول ما قال البصرى . وليس هناك من يخالف قوله فى المصادر التى ذكرت هذه المادة بل شواهدها تؤيده[٦].

٢٩ — قال ابن ولاد فى باب القاف : « وجبل يقال له قسا مقصور يكتب بالألف ، قال : ويروى بالكسر . قِساً ، حكاه الفراء »[٧].

وقال البصرى : « وقد غلط الفراء وابن ولاد . فغلط الفراء فى التفسير ، وإنما قسا : حبل رمل من حبال الدهنا وإنما الجبل قساء بالمد والضم ».

لكن الذى أورده ابن ولاد ليس من باب الغلط ، لأن له ما يؤيده من اللغة .

---

(١) المقصور والممدود /٩٣

(٢) التنبيهات /٣٤٨

(٣) ابن الاجدابى : الازمنة والانواء / ٦١ — ٦٢ (حيث منازل القمر وليس بينها الغيصا أو الغوص) .

(٤) المقصور والممدود /٩٨

(٥) التنبيهات /٣٤٨

(٦) ينظر على سبيل المثال ديوان كعب بن زهير : قصيدة البردة وفيها (كأنها حلق القفعاء مجدول) . واللسان (قفع) ١٠/١٦٢ والمخصص ١٠/١٩٩

(٧) المقصور والممدود ١٠١ والفراء : المنقوص والممدود /٣٨

قال أبو عبيد البكرى (٤٨٧ هـ) : « قسا » جبل ببلاد باهلة . وروى عن أبى سعيد الضرير : أنه علم بالدهناء جبيل صغير لبنى ضبة » .

٣٠ ــ قال ابن ولاد[٢] قَطَوْطى : « طويل الرجلين » .

وقال البصرى[٣] « إنما القطوطى : القصير الرجلين » .

والذى أورده «ابن سيده»[٤] (أن القطوطى الذى يقارب المشى من كل شىء ، يقطو فى مشيته نشاطاً ومرحاً وبغياً . ويقطو يقارب الخطو . والأنثى قطوطاة) فليس فيه قصر ولا طول .

٣١ ــ وقال ابن ولاد فى باب القاف : (القلولى : الطائر إذا ارتفع فى طيرانه »[٥]

فقال البصرى : « هذا نقل عن الفراء أو عن الغريب المصنف ، وقد غلط فيه أبو عبيد إنما يقال : اقلولى فهو مقلولٍ ومنه قول الفرزدق :

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت ألا ليس ذو عيش لذيذ بدائم

وقد غلط الفراء فى هذا قبله ، فقال فى المقصور والممدود : القلولى الطائر إذا ارتفع فى طيرانه ، فجعل الفعل اسماً وأدخل عليه الألف واللام فحذف أبو عبيد الألف واللام ، ونونه ، فزاد على ضغثه إبالة[٦] .

لكن الذى قاله كل من الفراء (٢٠٧ هـ) وأبى عبيد (٢٢٤ هـ)

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم (قسا) ٣/١٠٧٢ ـ ١٠٧٣

(٢) المقصور والممدود /١٠٢

(٣) التنبيهات /٣٥٠

(٤) المخصص : ٢٠٨/١٥

(٥) المقصور والممدود /١٠٢

(٦) التنبيهات ٢٤٢ ، ٢٤٣

وابن ولاد (٣٣٢ هـ) ، صحيح ، قال ابن سيده نقلا عن أبى على الفارسى : القلولى : الطائر إذا ارتفع فى طيرانه . وقد اقلولى ، وأنشد الفارسى :

تقول إذا اقلولى . . . . البيت[1] » .

٣٢ — قال ابن ولاد[2] الـكِمِرى : غليظ الـكمر . قال الراجز :

* قد أرسلت فى غيرها الـكمرى *

قال البصرى[3] : (وقد أساء فى التفسير وصحّف فى الرواية ، إنما الـكمرى غليظ الـكمرة على التوحيد ، والرواية « فى عيرها » بالعين غير معجمة وهو الحمار . ويروى « فى عِيرها » وهى الإبل) .

لـكن الذى أنـكره البصرى غير منكر ، فقد أورده « ابن سيده » فى (المحـكم) ونقله صاحب « اللسان »[4] .

٣٣ — قال ابن ولاد فى باب اللام[5] : واللأى : الثور . وزعم أبو عمرو أنها البقرة مقصورة تـكتب بالياء » .

فقال البصرى : واللأى : البقرة كما قال أبو عمرو . ولا يقال ذلك للثور . والجمع ألاء ويقال له : لاءة والجمع لاء[6] .

لـكن الذى أنـكره البصرى وارد فى اللغـة ، فقـد روى عن اللحيانى[7] وله شاهد من شعر الـكميت وأورده البصرى نفسه فى تنبيهاته عن ابن السكيت قال : « واللأى : الثور الوحشى » .

---

(١) المخصص ١٥/٢٠٩

(٢) المقصور والممدود /١٠٤

(٣) التنبيهات /٣٥١

(٤) اللسان (كمر) ٦/٤٦٨

(٥) المقصور والممدود /١١١

(٦) التنبيهات /٣٥١

(٧) اللسان (لاى) ٢٠/١٠٣

قال الطرماح :

كظهر اللأى لو تُبتغى ريه بها لعبّت نهاراً فى بطون الشواجن[1]

فاللأى يطلق على البقرة وعلى الثور . فلا إنكار على ابن ولاد .

٣٤ — قال ابن ولاد فى باب اللام : « لُغَيزى ولبادى : اسم طائر[2] »

فقال البصرى : « والمعروف لبادى بالتخفيف على وزن صبارى وقد جاء به أيضاً ابن ولاد فى آخر كتابه بالتخفيف فقال لبادى ولباديات . وهذا هو الصحيح[3] » .

لكن الذى أورده ابن ولاد تكاد تجمع عليه كتب اللغة ، مع ورود التخفيف لغة أخرى ففى اللسان : لبد ولُبدّى ولُبّادى ولبادى بالتشديد والتخفيف . وقال ابن سيده : (لبّادى — بالتشديد — طائر على شكل السمانى إذا أسفّ إلى الأرض لبد فلم يكد يطير عن الأرض حتى يُطار)[5] .

٣٥ — قال ابن ولاد فى باب الميم : « المطلاة واحدة المطالى[6] » .

فقال البصرى[7] : إنها مطلى كما قال حُمَيد بن ثور الهلالى وهِميان ابن قحافة السعدى[8] وغيرهما مما أنشدناه ، وأنبأتك أيضاً أن المَطْلى يقصر ويمد . وقد غلط ابن ولاد فى أن جاء به فى باب المقصور . . . » .

---

(١) التنبيهات / ٢٨٥
(٢) المقصور والممدود / ١١٢
(٣) التنبيهات / ٣٥٢
(٤) اللسان (لبد) ٤ / ٣٩٠
(٥) المخصص ١٥ / ٢٠٣
(٦) المقصور والممدود / ١١٩
(٧) التنبيهات / ٣٥٣
(٨) أوردهما فى تنبيهاته على كتاب النبات لابى حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢ هـ) .

ولكن الكلمة ما دامت تقصر وتمد – كما ذكر البصرى نفسه – فلا ضير في إيرادها في باب المقصور .

٦ – رأيي في منهج التنبيهات البصرية :

بالرغم من أن البصرى نبه على بعض الأخطاء اللغوية التي كانت في حقيقتها مثار نقاش بين اللغويين وموضع خلاف بينهم ، فإن لى على منهجه اللغوى بعض الملاحظات وهى :

أولا : ينظر البصرى إلى اللغة من زاوية لا تتسع إلا لأضيق اللغات . فهو ينظر إليها من زاوية ضيقة تُضَحِّى في أحيان كثيرة بقسط كبير من اللغة فتهدره وتلغيه مع كونه صحيحاً إذا نظرنا إليه في ضوء طبيعة اللغة دون قصر أو تضييق ، ومن المعروف أن بعض اللغويين كالأصمعى نظر إلى اللغة هذه النظرة فجاء قسم من أحكامه لا يتفق مع طبيعة اللغة ، بل خالفه فيه حتى معاصروه . فهو ينكر استعمالات لغوية فصيحة مثل صيغة « أبرق » وهى واردة في شعر المهلهل وابن أحمر وذى الرمة[١] . وينكر استعمال زوجة مع أنها لغة تميم[٢] .

صحيح أن هذا المنهج قد يعتمد على الكثرة والندرة والاطراد والشذوذ فيصحح ما جاء مُطَّرداً موافقاً للكثرة ويرد النادر والشاذ . ولكنه بهذا يتغافل عن كثير من الاستعمالات اللغوية التي قد تأتى نادرة في اللغة لكنها مطردة في الاستعمال[٣] في حين تترك اللغة القياسية في

---

(١) مجالس العلماء /١٤١ ، الاغانى ٥/٥٧ ، (ط الدار) واللسان (برق) ١١/٢٩٥

(٢) اللسان « زوج » ٣/١٦٦

(٣) المزهر ١/٢٢٨

الاستعمال[١] . بل قد يكون الشاذ هو المستعمل والقياسى هو المتروك كما ذكر الأصمعى نفسه[٢] . . . وكما ذكر غيره[٣] . ولهذا كان حكم أبى حاتم عليه أنه « يضيق اللغة ولا يجيز إلا أفصح اللغات[٤] حكماً دقيقاً » .

لكن النظرة الحديثة ترى[٥] أنه مهما بالغ اللغويون فى ضبط اللغة وقوانينها ، فإن القوانين التى يصوغونها لا تعبر إلا عن حالات وسطى سواء كان ذلك فى الزمان أو المكان » .

ويشترك منهج النقد عند البصرى مع منهج النقد عند الأصمعى فى أنهما لا يتقبلان من اللغة إلا الحالات المتناهية فى الفصاحة .

ثانياً : أنه لايكاد يعتد باختلاف رواية الشعر بين لغوى وآخر أو بين مجموعة من اللغويين وأخرى ، ولذلك يرمى كل من يخالف حفظه بالخطأ[٦] أو بألفاظ أشد قسوة[٧] دون موازنة بين الروايات أو مفاضلة على الأقل .

ومن يطلع على كتب اللغة يجد فى اختلاف رواية الأشعار ، متسعاً فى اللغة واستعمالاتها ومعيناً لا ينضب من اللهجات .

وقد وجدت أن كثيراً مما رده البصرى من الروايات يرجع إلى اختلاف الروايات فى غير ميدان الخطأ العام وغير ميدان التصحيف

---

(١) النحاس : شرح القصائد التسع ٦٥٢
(٢) شرح القصائد التسع / ٣٣١
(٣) نفسه /٤٩٩
(٤) فعل وافعل / ١٩٠.
(٥) فندويس : اللغة /٧٧ (ترجمة الدواخلى والقصاص) .
(٦) التنبيهات ٣٢٩ ــ ٣٣٨
(٧) التنبيهات /٩٦

والتحريف . كما وجدت بعض مروياته تكاد تخالف ما أجمع عليه علماء اللغة .

ثالثاً : ومنهج البصرى لا يكاد يعرف الإبدال الصوتى أو يتجاهله على أقل تقدير . فهو لا يفتأ يدفع مجموعة من الكلمات التى تصح فى باب الإبدال . معتمداً فى ذلك على نظرة ضيقة للغة .

وما أحسن ما قاله أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) فى هذا الميدان « وليس إذا كان المعنى موافقاً للصواب وإن لم تسمعه وجب معه الحكم على الرجل بالتصحيف إذا كان لما رواه وجه فى اللغة »[(١)] .

وهذه النظرة منسجمة كل الانسجام مع سعة اللغة وثرائها . ولا عجب أن يوصف أبو عمر الزاهد[(٢)] بسعة الحفظ والرواية وبأنه (لم يتكلم أحد فى العربية أعلم منه) ، حتى قال التنوخي (لم أر قط أحفظ منه[(٣)]) .

ثانياً ــ الإنتصار لسيبويه من المبرد :

وصف كتاب الإنتصار :

يوجد هذا الكتاب مخطوطاً ، ولم يطبع حتى الآن . ومنه فى مكتبة المتحف العراقى نسختان : الأولى (برقم ١٣٥٢) قسم النحو . والثانية ضمن مجموعة تضم مؤلفات أربعة لمؤلفين مختلفين (رقمها ٧٧٨) من القسم نفسه .

وفى دار الكتب نسخة (برقم ٧٠٥ نحو ــ تيمور) فى ٣٣٤ صفحة متوسطة .

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف /٢٠١

(٢) هو محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز اللغوى المعروف بغلام ثعلب ولد سنة ٢٦١ هـ وتوفى سنة ٣٤٥ هـ (بغية الوعاة ١/١٦٤) .

(٣) البغية ١/١٦٤.

وقد حققه السيد / عبد الحميد السيوزى ونال به درجة الماجستير من كلية آداب القاهرة ، ويوجد الكتاب المُحَقّق فى مكتبة آداب القاهرة (برقم ٧٩٩ رسائل) ، ولكن النسخة المكتوبة على الآلة الكاتبة رديئة الطبع كثيرة الأخطاء — وهى صورة سابعة عن الأصل — ولذلك فضلت الاعتماد على مخطوطة دار الكتب .

وقد أشار إليه القدماء ، وسماه « ياقوت » : (الانتصار لسيبويه فيما ذكره المبرد) ،[١] وسماه « القفطى »[٢] : (انتصار سيبويه من المبرد) وسماه « السيوطى »[٣] (انتصار سيبويه على المبرد) ، أما « حاجى خليفة »[٤] فسماه : (الانتصار لسيبويه على المبرد) .

والانتصار فى اللغة[٥] : الانتقام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ (الشورى : آية ٣٩) ، والانتصار من الظالم الانتقام والانتصاف منه ، وانتصر منه انتقم . وإن نوحاً (عليه السلام) لما سأل ربه أن ينتقم من الكافرين بحيث لا يذر على الأرض منهم دياراً . ﴿ دعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ (القمر : آية ١٠) .

وبهذا يتضح لنا أن معنى الانتصار هو الانتقام ، وهذا يفسر لنا شدة ابن ولاد وقسوته فى الرد على المبرد ويفسر لنا كذلك تجاهله لكثير من آراء المبرد الصائبة .

---

(١) معجم الادباء ٤/٢٠٢

(٢) انباه الرواة ١/٩٩

(٣) بغية الوعاة ١/٣٨٦

(٤) كشف الظنون ١/٧٣

(٥) اللسان (نصر) ٧/٦٦

مسائل الانتصار :

يتضمن كتاب الانتصار « مسائل الغلط » أيضاً لأن « ابن ولاد » كان يقدم المسألة من مسائل الغلط بقوله : « قال محمد بن يزيد » أى : المبرد أو « قال محمد » ثم ينتصر لسيبويه منه ، فهى مسائل متداخلة ، كما أن كتاب مسائل الغلط مفقود ، فلابد من الاعتماد على كتاب الانتصار نفسه.

ويمكن تصنيف مسائل الانتصار ومسائل الغلط صنفين :

١ — مسائل النحو . ومجموعها ٩٢ مسألة .

٢ — ومسائل اللغة . وهى ٤١ مسألة من مجموع المسائل التى بلغت ١٣٣ مسألة .

وتشمل مسائل النحو : النواحى الشكلية فى الإعراب وأوجهه من رفع ونصب والعوامل النحوية والقضايا الأخرى التى تناولتها كتب النحو مثل مسألة « اسم نعم »[١] ، وكون « حاشا » حرفاً ـ كما يرى سيبويه ـ أو فعلا وحرفاً كما يرى المبرد[٢] وكون « ما » زائدة مع جواز إظهار كان فى قولك : « أمّا أنت مُنْطلقاً انطلقتُ »[٣] ، والخلاف فى « ما » التميمية[٤] أيجوز أن تتقدم أدوات الشرط[٥] أم لا ؟ ومسألة الاسم المرفوع بعد إذا الشرطية الذى بعده فعله ، وغيرها مما هو مبسوط فى كتاب الانتصار .

---

(١) الانتصار /١٤٤ ـ ١٤٨ والكتاب ١/٣٠٠ والمقتضب ٢/١٤٠ .
(٢) الانتصار ١٨٧ ـ ١٩٠
(٣) الانتصار ٨٠ ـ ٨٤ والمقتضب ٤/٣٤
(٤) الانتصار /١٩٨
(٥) الانتصار /٣٤ ، والكتاب ١/٥٤

أما مسائل اللغة فمنها الخلاف فى مصدر « فاعلت مفاعلة »(١) ، وفى عمل « فعيل وفعل »(٢) والخلاف فى أصل كلمة « دم »(٣) والخلاف فى « يأتمد مضارع وعد »(٤) إلى آخر مسائلها ....

مسائل الغلط :

أما « مسائل الغلط » فعددها مثل عدد مسائل الانتصار ، ونقد « المبرد » يبدأ من « باب مجارى الكلم »(٥) وينتهى فى آخر صفحة من الكتاب .

ولم يتناول النقد كل الأبواب ، بل تناول قسما منها ، وتجاوز قسما آخر .

وكان المبرد أمينا فى ذكر ما أخذه من الأخفش والجرمى والمازنى .. ومجموع المسائل التى أخذها منهم بلغت أربعين مسألة . وما بقى منها فهى له خالصة(٦) .

منهج الانتصار :

(أ) تسلسل الأفكار :

يراعى « ابن ولاد » أول ما يراعى أن يسلسل الأفكار بصورة منطقية ، وهذا دينه ، فهو يبدأ بقول « سيبويه » ، ثم يتبعه قول المبرد ، ثم قوله مُصَدَّراً بقال أحمد ، أو قال أحمد بن محمد ...

فى المسألة الأولى يقول : « من ذلك قوله فى باب مجارى أواخر الكلم :

---

(١) الانتصار ٣٠٤ والكتاب ٢/٢٤٣ والمقتضب ٢/٩٩

(٢) الانتصار ٣٨ ـ ٤٠ والكتاب ١/٥٨

(٣) الانتصار ٢٤٦ والكتاب ٢/١٩٠

(٤) الانتصار /٣٢٥

(٥) الكتاب ١/٣

(٦) الاستاذ عضيمة : مقدمة المقتضب /٩١

قال سيبويه : وإنما ذكرت ثمانية مجار لأُفَرِّق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شىء منها إلا وهو يزول عنه ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شىء أحدث ذلك فيه من العوامل ، وقال محمد بن يزيد : هذا تمثيل ردىء وذلك أن الذى يدخله ضرب من هـذه الأربعة هو الحرف نحو الدال من زيد والذى يبنى عليه الحرف هو الحركة نحو الضمة التى يبنى عليها ثاء حيث والفتحة التى يبنى عليها نون أين، فعدل حركة بحرف إنما كان ينبغى أن يعدل الحركة بالحركة والحرف بالحرف » .

قال أحمد بن محمد .... إلخ ......(١) وهكذا بقية المسائل ... بحيث لا يشذ من هذا المنهج قيد أنملة .

(ب) غلبة الناحية العقلية التجريدية :

ونمثل لهذا بما جاء عن (من) بعد أفعل التفضيل .

فهى عند المبرد لابتداء الغاية(٢) ، أما عند سيبويه فتكون لابتداء الغاية فى الأماكن ، وتكون فى التفضيل للتبعيض . قال(٣) : (أما من فتكون لابتداء الغاية فى الأماكن وذلك قولك من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا ، وتقول إذا كتبت كتاباً : من فلان إلى فلان ، فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها وتكون أيضاً للتبعيض تقول : هذا من الثوب وهذا منهم كأنك قلت بعضه ... وكذلك أفضل من زيد، إنما أراد أن يفضله على بعض ويعم وجعل زيداً الموضع الذى ارتفع منه أو سفل منه).

---

(١) الانتصار /٤
(٢) الانتصار ٣١٣ والمقتضب ١/٤٤
(٣) كتاب سيبويه ٢/٣٠٧

قال المبرد فى مسائل الغلط : (هذا غلط لأنه يجوز أن تقول : أنت أفضل من جميع الناس ، ومعناه أنت تفضُل زيداً ، وتفضل جميع الناس وإنما « من » ـ هنا ـ موصلة ليست على جهة تبعيض ولـكن ابتداء غاية ، وذلك أنك تعرف تقدمه فى الفضل عن فضل زيد ولولا معرفتك بمقدار فضل زيد لم تدر ما فضل من تفضله عليه).

فقال ابن ولاد بعده مباشرة : (قال أحمد : أما قوله : « إن من فى قولك هذا أفضل من زيد لابتداء الغاية فلا يصح ، لأن ابتداء الغاية يقتضى الانتهاء ويكون الفعل واقعاً على ما بين الغايتين ، ألا ترى أنك إذا قلت : سرت من مكان كذا إلى مكان كذا فالسير قد وقع على ما بين الغايتين . فأما الغايتان فربما دخلتا فى الفعل ، وربما لم تدخلا . وأما ما بينهما فالفعل واقع عليه لا محالة . ومثال ذلك أنك إذا قلت أكلت من رأس السمكة إلى ذنبها فقد يدخل الرأس والذنب فيما أُكِلَ . وقد لا يدخلان فيه فيلزمه على هذا إذا جعل « من » فى قوله : هذا أفضل من زيد لابتداء الغاية أن يكون الفضل واقعاً على زيد ، وليس المراد فى هذا الـكلام . ألا ترى أنه لو كان معناه ما ذكر ثم جئنا باللفظ مطابقاً فقلنا : ابتداء فضله من زيد لوجب بهذا أن يكون ها هنا مفضـول غير زيد ، وزيد طرف له غاية ، وليس يريدون ذلك فى قولهم : هذا أفضل من زيد ، ولا أن يفضلوا على سوى زيد فإذا لم تـكن « من » ها هنا ، لابتداء الغاية ، ولا زائدة فلم يبق إلا قاله سيبويه فى التبعيض ، لأن هذه وجوهها فى الـكلام .. إلخ[٢] .

---

(١) الانتصار /٣١٣
(٢) الانتصار /٣١٣ ـ ١٤

٥ - أسلوبه :

(ا) يتميز أسلوب ابن ولاد العام بالطابع العقلي التجريدى . . . وهذا نم ابن ولاد ليس فى «الانتصار» ، فحسب ، بل فى «المقصور والممدود» فهو لا ينفك يتلمس العلل العقلية ، ويضع المقاييس المنطقية حتى فى السماعى من من اللغة[1] وكأن اللغة عنده قوالب محدودة و « مناطق حمًى » لا يمكن تجاوزها .

وقد يدفعه ذلك القياس العقلي إلى أن يتجاوز المنهج اللغوى الذى يعتمد على السماع ، إذ يثبت اللغة بالقياس وحده . حتى إنه عندما سأله أبو جعفر النحاس « كيف تبنى مثال : افعلوت من رميت ؟ قال ابن ولاد : ارمييت ، فخطأه النحاس وقال : « ليس فى كلام العرب : افعلوت ولا افعليت[2] » .

وقد قاس المسألة قياساً عقلياً . فهى من ناحية القياس صحيحة ولكنها لا وجود لها فى لغة العرب .

وقد لاحظ القدماء ذلك حتى من أيده مثل الزبيدى ، إذ رأى أن « ابن ولاد » أحسن فى قياسه حين قلب الواو ياء حين صاغ من رميت : ارمييت على مثال : « افعلوت »[3] ولكنه مع ذلك أيد ما ذهب إليه النحاس من أنه لا يقال : « افعليت » .

والحكم الصحيح أن النحاس أراد أن يمتحن ابن ولاد وحفظه فطرح

---

(١) ينظر المقصور والممدود ١١٦ - ١١٧ .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٣) طبقات الزبيدى /٢٣٨

عليه هذه المسألة وغيرها(١) . وهى إن دلت على قوة ابن ولاد فى الاستنباط العقلى المجرد فهى دالة فى الوقت نفسه على ضعفه فى حفظ كلام العرب وأوزانهم المستعملة . ويؤيد هذه النزعة العقلية التجريدية مع ملاحظة ناحية الضعف فيها القفطى حيث قرر أن (ابن ولاد تبع سُنّة الأخفش سعيد ابن مسعدة فإنه كان يبنى الأمثلة لما لا مثال له ، يفعل ذلك إذا سُئل أن يبنى عليه)(٢) .

وعند الموازنة بينه وبين النحاس نجد الثانى — فى الغالب — على النقيض لأنه (يسلك فى كلامه طريق النحاة) ، كما يقول الإمام(٣) الشاطبى (ت ٥٩٠ هـ) .

وابن ولاد يتجرد فى قياسه — أحياناً — فينقطع عن أصول اللغة ولكن النحاس يمزج بين السماع والقياس ، ويقيس على المسموع ، دون أن يتجرد تجرداً ينقطع معه عن معين اللغة وأصولها وشواهدها إلا نادراً ، وفى رسالته « إعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية » ، بالذات . لأنه سئل عن هذا القول ، وكان من قبله قد أجاب برأى أستاذيه الزجاج وابن كيسان فأراد هذه المرة أن يظهر براعته العقلية بين هذين العملاقين ... فكان له ما أراد ...

أما ابن ولاد فهو القياسى الأول ، والأخير من نحاة مصر فى القرن الرابع الهجرى . كما يبدو من خلال كتابيه .

---

(١) الاشباه والنظائر ١٣٦/٣ — ٢٥٧ .

(٢) أنباه الرواة ١٠١/١ .

(٣) الاشباه والنظائر ١٣٦/٣

ومن الأمثلة على تجريد « ابن ولاد » موازنًا لخصمه المبرد فى « مسائل الغلط » مسألة (فاعل نعم)[١].

قال سيبويه (١ / ٣٠٠) : « هذا باب ما لا يعمل فى المعروف إلا مُضمراً لأنهم شرطوا التفسير » ، قال : « ولا يكون فى موضع الإضمار مظهر . . وأما قولهم : نعم الرجل عبد الله فهو بمنزلة ذهب أخوه عبد الله عمل نعم فى الرجل ولم يعمل فى عبد الله . وإذا قال : عبد الله نعم الرجل فهو بمنزلة عبد الله ذهب أخوه ، وكأنه قال : نعم الرجل فقيل له : من هو ؟ فقال : عبد الله . . . فنِعْمَ تكون مرة عاملة فى مضمر يفسره ما بعده . . . وتكون مرة أخرى تعمل فى مظهر لا تجاوزه » .

وقال المبرد فى مسائل الغلط : (من ذلك قوله فى باب نعم : « هذا باب ما لا يعمل فى المعروف إلا مضمراً لأنهم شرطوا التفسير » . . . ثم قال فى موضع آخر من هذا الباب : « ولا يكون فى موضع الإضمار مظهر » . . . ثم نقض جميع ذلك بقوله فى هذا الباب : « أما قولهم : نعم الرجل زيد فهو[٢] بمنزلة قولهم : ذهب أخوه زيد عمل نعم فى الرجل ولم يعمل فى عبد الله . وإذا قال : عبد الله نعم الرجل فهو بمنزلة عبدالله ذهب أخوه . فنعم تكون مرة عاملة فى مضمر يفسره ما بعده وتكون مرة تعمل فى مظهر لا تجاوزه » .

وقال المبرد يرد على سيبويه : (وهذا الذى حكيناه عنه ما يكون من

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ٣٠٢ والمقتضب ٢/ ١٤٠ ـ ١٤١ والانتصار ١٤٤ ـ ١٤٨ .

(٢) فى كتاب سيبويه ١/ ٣٠٠ : « نعم الرجل عبد الله بمنزلة قولهم : ذهب أخوه عبد الله » .

النقض . وإذا زعم أنها لا تعمل فى مضمر ، ثم أطال لها الإعمال فى المظهر . وإنما كان حد الكلام أن يقول : هذا باب ما يقع ثناء عاماً ويعمل فى مضمر على شريطه التفسير أو مظهر يحتاج إلى تسمية من يعنى به ، وجرى هذا المظهر مجرى المضمر فى الاحتياج إلى المعنى بالمدح والذم وذلك أنك إذا قلت : « نعم رجلا عبد الله » ففى نعم ضمير ، ورجل تفسير[1] ، كأنك قلت : محمود من الرجال أو فى الرجال بقولك « نعم رجلا » فإذا قلت عبد الله أوضحت من تعنى بالمدح أو الذم . وإنما احتجت إلى ذكرك رجلا بعد نعم ، لأن « نعم » مبهمة تقع على كل شيء ، فإذا قلت رجلا أو دابة أو داراً ، أوضحت النوع الذى كان ممدوحك أو مذمومك منه ، وكذلك إذا قلت « نعم الرجل ، وبئس الرجل » احتجت إلى أن تقول : زيداً أو ما أشبهه ، وكان الرجل غير مخصوص ، ولكنه واحد من جنس يدل على جميع جنسه ، حتى تختص ذكر من إليه تقصد لأن معناه من الرجال وهو قولك : « أهلك الناسَ الدينارُ والدرهمُ وكثرة الشاة والبعير » ، إلى : هذا النوع .... ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾ (سورة العصر) ، ثم قال جل وعز : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

أما ابن ولاد فرد عليه بقوله : (لو تأمل محمد هذا الفصل الذى حكاه عن سيبويه لأغناه عن الرد عليه ، وهو قوله : « فنعم تكون مرة عاملة فى مضمر يفسره ما بعده . وتكون مرة أخرى تعمل فى مظهر لا تجاوزه فلو أنعم النظر فى هذا الفصل لعلم أنه لم يناقش كما ذكر ، وإنما اشتبه عليه قوله فى موضع « إنها لا تعمل فى المعروف إلا مضمراً » ثم ذكر أنها تعمل

---

(١) التفسير يعنى التمييز .

فى المظهر فى قولك : نعم الرجل عبد الله ، وهذا الوضع غير هذا الوضع لأنك إذا عديتها إلى نكرة تبين بها الضعف فى قولك نعم رجلا عبد الله فلا يجوز فى هذا ألبتة أن تعمل فى المعروف إلا مضمراً ، ألا ترى أنك إذا أتيت مع رجل باسم فيه الألف واللام لم يجز ، وإذا قلت نعم الرجل عبد الله لم تجاوز الرجل إلى نكرة منصوبة ، فهذا تأويل قوله : «وتكون مرة أخرى تعمل فى مظهر لا تجاوزه» أي لا تجاوزه إلى منصوب فالمنصوب لا يكون معه إلا المضمر ، والمظهر لا يكون معه منصوب ، فقوله فى ذلك الوجه أنها لا تعمل فى المعروف إلا مضمراً حق ، وليس عملها فى موضع آخر فى المظهر بناقض لذلك لأنهما موضوعان ومسألتان ولو كانا موضعاً واحداً أو فى مسألة واحدة لكان الأمر متناقضاً .. إلخ) .

فالمنهجان مختلفان . المبرد يمزج بين الأدلة العقلية والنقلية ويزاوج بين الأمثلة المعروفة المحسوسة والمقاييس العقلية المستنبطة من هذه الأمثلة بحيث لا يطغى جانب على آخر .

وابن ولاد تطغى فى أسلوبه الناحية العقلية المجردة وتظهر فى افتقاره حتى إلى مثال واحد استعاره من خصمه ثم كرره مرتين . وذلك التجريد المنطقى يجره أحياناً إلى الاحتجاج بأمور عقلية كثيرة خارجة عن المسألة التى يناقشها(١) .

ويترتب على هذا أن شواهده تكاد تقتصر على الأمثلة الصناعية وهى غير ذات حجة فى هذا الخضم القوى من الرد على من سُمِّى (إمامَ النحاة) والانتصار له ، وهو وجه من وجوه ضعف الراد ، إذ الحجة ترد بأقوى منها أو بمثلها . . . وفى غير هاتين الحالتين تكون واهنة . وهذا ما فعله

---

(١) ابن مضاء : الرد على النحاة ١٣٥.

« ابن ولاد » ، هنا وفى مواضع أخرى من كتاب الانتصار .

(ب) والأمر الثانى الذى يتجلى فى « الانتصار » هو التشدد فى استعمال ألفاظ المناقشة والمحاججة حيث استعمل ألفاظاً مثل : الشناعة(١)، والخطأ ابتداء قبـــل تقديم الدليل (١) ، أو « ليس فى هذه المسألة غير الدعوى » ..(٢)

وهذا كله آت من مغالاة « ابن ولاد » فى التزام آراء سيبويه ، بحيث جره ذلك إلى العبودية الفكرية له والدوران فى فلكه ، ومن نتائج ذلك وصفه علماء اللغة والنحو مثل المبرد والمازنى والجرمى بأنهم دون سيبويه ، وألحق « الشبة بالأول » حتى قال فى أول « الانتصار » : (هذا كتاب نذكر فيه المسائل التى زعم أبو العباس محمد بن يزيد أن سيبويه غلط فيها ، ونبينها ونرد الشبة التى لحقت فيها . ولعل بعض من يقرأ كتابنا هذا ينكر ردنا على أبى العباس ، وليس ردنا عليه بأشنع من رده على سيبويه ، فإنه رد عليه برأى نفسه ورأى مَن دون سيبويه ..) .

وكان من الممكن أن يرد على خصمه بالحجة الواضحة والدليل الراجح من غير أن يلتجئ إلى هذه الأوصاف ، فليس سيبويه حجة على من سواه ، ولا سواه حجة عليه ، ولا أحد منهم أو من غيرهم حجة على أحد من الناس . فمسائل النحو واللغة تناقش فى ضوء الدليـل والشاهد من لغة العرب . . . فكل ما خالف الدليل الثابت والشاهد الصحيح فهو رأى مردود أو مرجوح .

---

(١) الانتصـــار/٢

(٢) الانتصار/١١٩

(٣) الانتصار/٢٥١

ثم إن « المبرد » ليس وحده الذى خالف سيبويه أو رد عليه ، بل خالفه ورد عليه من قبله : الأخفش وأبو عثمان المازنى ، واستدرك عليه أبو بكر (١) الزبيدى (ت ٣٧٩ م) وغيره.

وسيبويه باحث جاد له منهجه وله تفكيره ، وله محاسن وله مساوىء فمن الطبيعى أن يخالفه الجادون والمفكرون والناس يختلفون ما داموا يفكرون . . . ومن طرح التفكير الجاد جانباً . . . أراح نفسه بالتقليد والمُقَلِّدُ لا علم له.... كما يقول الفقهاء ...

وفى حدود هذا الفهم نضع رد المبرد على سيبويه فهو ، وإن كان أقوى الرادِّين عليه ، فهو يقول فى إطراء كتاب سيبويه إلى درجة المغالاة (لم يُعْمَل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك أن الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لا يحتاج مَنْ فَهِمَه إلى غيره)(٢) .

إن هذا القول لا يصدر إلا عن تقدير كبير لصاحب الكتاب ولهذا فإن « مسائل الغلط » هى مسائل طبيعية ما دام المبرد من العلماء الأفذاذ ومن العقول الناضجة التى لا تقنع بما هو موجود ، وإن كان ذا قيمة ، بل تبحث عن حقائق جديدة لتضيف إلى العلم جديداً .

٦ ـ رأيى فى مسائل الانتصار والغلط :

لقد تناول « المبرد » كتاب سيبويه بالنقد وتصيد أخطاءه أو ما رآه

---

(١) ينظر : الاستدراك على سيبويه فى الابنية والزيادة ١ ـ ٢ والكتاب كله حجة لهذا الرأى .

(٢) كتاب سيبويه ١/٥ (ط هارون) والخزانة ١/١٧٩

خطأ .... وتناول « ابن ولاد » نقد المبرد بالنقد والرد منتصراً لسيبويه من المبرد ...

ولكن الذى نريد أن نضعه فى ميزان الاعتدال هو : هل كان المبرد على حق فى نقده ؟ وهل كان منصفاً ؟

وهل كان ابن ولاد معتدلا فى رده ؟ ثم هل كان على حق فى كل ما قاله ؟

أما بالنسبة لابن ولاد فإنه انطلق من نقطة الإعجاب بسيبويه كما يبدو من أول كتاب الانتصار .

وأما أحمد ـ صاحب الانتصار ـ فقد شارك والده الإعجاب بكتاب سيبويه وزاد عليه حتى غالى فى ذلك فوصف المبرد بالشناعة وألحق به النسبة فى أول صفحة من كتابه ، قبل أن يرد عليه ، وقبل أن يناقش مسائله ، انسياقاً مع هذا الإعجاب ، دون أن يقدر مبدأ بسيطاً ، هو أن سيبويه اجتهد فأصاب وأخطأ مثل غيره من العلماء ، سواء فى المنهج العام أم فى التفاصيل ، وما أحسن ما قاله « حمزة بن حسن الأصفهانى » (ت ٣٦٠ هـ) فى هذا الصدد : « وقد صدّر سيبويه كتابه بباب ضمنه أشعاراً على روايات مختلفة توافق ما بنى عليه الباب ويخالفه رواة الشعر فى أكثرها . فمنها[1] ..... » ثم سرد مجموعة من الأبيات التى خالف فيها[2] سيبويه رواة الشعر .

وما أشار إليه « حمزة الأصفهانى » يمثل أساساً من أسس الخلاف بين سيبويه والمبرد .

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف /١٥٣.

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف ١٥٣/ ١٥٤.

كما أن كثيراً من مسائل اللغة والنحو ليست إلا وجهات نظر اختلف فيها أصحابها حتى الأخفش مع أستاذه سيبويه . . . فإذا كانت هذه حال التلميذ والأستاذ ، فكيف بغيرهما ؟

فلماذا لا يقف المبرد وغيره من سيبويه هذا الموقف فيناقشون مسائله ويردون ما خالف فيه وجهاً راجحاً من وجوه العربية . . أو ما خالفهم فيه أيضاً ؟

ومن تلك المسائل رأى « سيبويه » في « حاشا » فهو يراها حرفاً في حين يرى « المبرد » أنها قد تأتى فعلا كما قد تأتى حرفاً . (١)

والحق في ذلك مع المبرد بدليل قول النابغة :

* وما أحاشي من الأقوام من أحد *

ويقوى رأى « المبرد » دخول ما المصدرية على حاشا (٢) ، كما في قول الشاعر :

رأيتُ الناس ما حاشا قريشاً … فإنا نحن أفضلُهم فعالا

ومنها أن سيبويه كان يقدم النصب ويثنى بالرفع في الفعل المضارع حين يعطف على اسم صريح (٣) ، كما في قول الشاعر :

لَلُبْسُ عباءةٍ وتقرّ عيني … أحبُّ إلىّ من نقرِ الدُّفوفِ

في حين يفضل المبرد الرفع ويثنى بالنصب .

ورأى المبرد هو الراجح ، ويؤيده قول كعب الغنوى :

---

(١) الكتاب ١/٣٧٧ والمقتضب ٤/٢٩١

(٢) همع الهوامع ١/٢٣٢

(٣) الكتاب ١/٤٢٦ ، وفيه : « لمن لبس الشفوف »

وما أنا للشيء الذى ليس نافعى ويغضبُ منه صاحبى بقؤول

حيث يجوز فى يغضب الرفع والنصب ، فالرفع على أن يكون « يغضب » داخلا فى صالة الذى ، معطوفاً على قوله : « ليس نافعى » والنصب عطف على الشيء كما قال : « وتقر عينى »[(١)] .

ومنها أن سيبويه يذهب إلى أن « ما »[(٢)] حين تدخل على قل ونحوها مثل : (كثر وطال) ، تكفها عن العمل ولا يليها حينئذ إلا الفعل . فأما قول المرار الفقعسى :[(٣)]

صَددْتِ فأطولتِ الصُّدود وقَلّما وصالٌ على طول الصدود يدوم

فقال فيه إن (قلما) دخلت على اسم ضرورة والتقدير على مذهبه[(٤)] أن يقول : « وقلما يدوم وصال » .... فى حين يرى « المبرد » أن « ما » هنا زائدة ، وهى لا تكفها عن العمل ، « فوصال » فاعل « قلما » .

والمسائل كثيرة ... وتحتاج إلى بحث مستقل .. وفيما قدمنا دليل على ضعف حجج سيبويه أحياناً ... وكونها مرجوحة فى أحيان أخرى .

ولا غرابة فى هذا ، فالمبرد إذا وضع فى ميزان العلم فهو أمة واحدة ، وكتبه دالة على خبرته العلمية وعلى دقته فى منهجه وسعة اطلاعه فى الكليات والجزئيات ، فالمقتضب والكامل والمذكر والمؤنث وغيرها من كتبه خير دليل... وقد وصفه ابن جنى فقال : (يُعَدُّ جِيلاً فى العِلم) ، وكفى بشهادة

---

(١) ابن مضاء : الرد على النحاة ١٤٩ ، ١٥٠

(٢) الكتاب ٤٥٩/١

(٣) نسبه فى الكتاب ١٢/١ ، ٤٥٩ الى عمر بن أبى ربيعة ، وليس فى ديوانه والصحيح أنه للمرار الفقعسي كما في المغنى ٣٠٧/١ والاعلم على سيبويه ١٢/١

(٤) الكتاب ٤٥٩/١ وشرح القصائد التسع ٥٦٥

هذا العلم الفذ شهادة « وقدر الشهادة قدر الشهود » ، فإذا علمنا أنه ممن انتصر لسيبويه من المبرد [١] ، عرفنا قيمة هذه الشهادة .

وليس معنى ذلك أن المبرد مبرأ من المبالغة والإسراف أحياناً ومن الخطأ فى أحيان أخرى .

فقد رد رواية سيبويه [٢] لبيت امرىء القيس :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

وقال : ليست هذه هى الرواية الصحيحة للبيت ، إنما روايته الصحيحة فى مطلعه هى : (فاليوم فاشربْ) ، ويكون سكون الفعل طبيعياً لأنه فعل أمر

غير أن الحق مع سيبويه ، وروايته صحيحة ، فله من لغة العرب شواهده ومن قراءة القراء [٣] السبعة ما يؤيده ، ولهذا فقد انتصر « ابن جنى » لسيبويه ، فقال : « اعتراض أبى العباس فى هذا الموضع إنما هو رد للرواية وتحكم على السماع بالشهوة مجردة من النصفة » . [٤]

وأحياناً يخطىء « المبرد » وتتقاصر الأدلة على خطئه ، فقد تجاور فى قراءته بعض مسائل سيبويه أسطراً فجاء نقده مبنياً على وهم ، قال سيبويه [٥] : (ويكون الاسم على مُفْعَل نحو : مُصْحَف ومُخْدَع ومُوْسَى ، ولم يكثر فى كلامهم اسماً ، وهو فى الوصف كثير ، والصفة قولهم : مُكْرَم ومُدْخَل مُعْطًى ، ويكون على مُفْعُل نحو منخل ومسعط ... ولا نعلمه صفة) .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/٧٢ والخزانة ٣/٥٣٠
(٢) الكتاب ٢/٢٩٧
(٣) كتاب السبعة /١٥٥
(٤) الخصائص ١ : ٧٢
(٥) الكتاب ٢/٣٢٨

غير أن المبرد تجاوز نظره فى القراءة بعض الأسطر فألحق قوله : «لا نعلمه صفة » بقوله : « ويكون على مفعل » ، ثم نقده بقوله: « قال محمد : وهـذا المثال من أكثر ما جاءت عليه الصفات لما تصرف من الفعل نحو : مكرم ومخرج ومعطى وكل ما كان منعولا ، لا فعلا ، وأحسب هذا غلطاً ، بل لا أشك فى ذلك إن شاء الله »[1] فرد عليه « ابن ولاد » بقوله : (هذا غلط من المبرد على الكتاب لا على سيبويه ..... وقد نظرنا فى عدة نسخ فوجدنا الكلام صحيحاً مستقيما على غير ما حكى ، وليس هو عندنا ممن يتعمد الكذب ، ولكنه موضع ظننا أنه تجاوز نظره لأن هذا الكلام الذى ذكره يتلوه بسطر فى مثال مخالف لذلك المثال » .[٥]

ولا ريب فى أن الحق مع ابن ولاد وأن المبرد واهم . . . لكنه ليس واهما أبداً ، فقد أثار كثيراً من المسائل التى تستحق المناقشة ، ولم يكن مقلداً تقليداً أعمى بلا تفكير ولا روية ، فقد دلت « مسائل الغلط » على نضجه وقوة حجته فى كثير من الأحيان ، أو على استقلاله العلمى على أقل تقدير .

المبحث الثالث

دراسات أبى جعفر النحاس اللغوية والنحوية

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادى المصرى ، المعروف بالنحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، ثالث ثلاثة ازدان بهم القرن الرابع الهجرى بمصر ، وواحد من القلائل الذين تطورت على أيديهم الدراسات اللغوية والنحوية ، ليس

---

(١) الانتصار /٣١٧

(٢) الانتصار ٣١٦ ـ ٣١٧

فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى المعروف آنذاك [١].

فهو يعد بحق من أساطين تلك الدراسات ومن أعمدتها الأساسية ، ويمكن أن يقرن بالزجاج وابن كيسان ونفطويه لأنه لا يقل عنهم من حيث غزارة الإنتاج ، ولا من حيث نوعيته ، بل وقد فاق بعضهم كأستاذه « نِفطويه » .

ومؤلفات النحاس بمجموعها تمثل معارف عصره وما بعده ، فقد ألف فى اللغة وفى النحو وفى الأدب العام ، وفى علم الحديث ، وفى علم الفقه وفى علوم القرآن .

غير أننا ملزمون بحكم منهج بحثنا بأن نقتصر على كتبه فى اللغة والنحو وما يجرى مجراها ..

تصنيف كتبه :

من أراد أن يصنف كتب النحاس إلى لغوية ونحوية ، فإن أول ما يصادفه اختلاط المادة اللغوية بالنحوية فى قسم من هذه الكتب ، كشرح القصائد التسع المشهورات .

صحيح إن المادة اللغوية تمتزج بالمادة النحوية فى مؤلفات العلماء فى عصره وقبل عصره . لكنه من الصحيح أيضاً وجود مؤلفات لهؤلاء العلماء متميزة فى اللغة وفى النحو . والنحاس لا يشذ عنهم . فله كتب متميزة فى

---

(١) ترجمته التفصيلية فى : طبقات الزبيدى /٢٣٩ ، ونزهة الالباء /٣٩١ ـ ٣٩٢ والانساب ٥٥٥ : أ ، ومعجم الادباء ٢٢٤/٤ ، وانباه الرواة ١٠١/١ ـ ١٠٤ ووفيات الاعيان ٨٢/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٠٠/٣ والمقفى للمقريزى ، ورقة ١٥٤ : ب وبغية الوعاة ٣٦٢/١ ، وحسن المحاضرة ٥٣١/١ وطبقات المفسرين ٦٧/١ « وفيه قرأ على سيبويه ، وهو خطأ » .

اللغة مثل كتاب الاشتقاق ، والأنواء وخلق الإنسان . كما أنه ألف في النحو كتباً ، مثل الكافى ، والتفاحة ، والمقنع .

ولكن ... ماذا يقول الباحث فى مثل كتابه « شرح القصائد التسع » وما كان على شاكلته ؟ ففى هذا الكتاب تختلط المادة اللغوية بالنحوية اختلاطاً لا انفصام له ، وبالرغم من أن المؤلف صرح فى أول الكتاب بأنه سيبسط القول فى النحو ويوجز من قضايا اللغة فإنه لم يستطع أن يفعل ذلك دائماً ، بل ظل يتناول بالبسط قضايا لغوية ونحوية فى وقت واحد .

والحقيقة التى لا مفر من قبولها أن الفصل الدقيق بين مفهوم اللغة ومفهوم النحو صعب للغاية . ويرافقه صعوبة أخرى هى استحالة التمييز بين شخصية النحوى وشخصية اللغوى فالخليل وسيبويه والمبرد وابن كيسان ، وأبو بكر بن الأنبارى هم لغويون ونحاة فى وقت معاً وكذا أبو جعفر النحاس ..

فقضية اللغة والنحو قضية تلازُم أصلا وهى أشد ما تكون شبهاً بوجهى العملة لا يمكن تصور أحدهما بدون وجود الآخر .

ومع وجود هذه الصعوبة فإننا حاولنا أن نصنف كتبه بناء على وجود مادة غالبة على الكتاب .

فكتابه « إعراب القرآن » يعد من كتب النحو ، لأن مادة الإعراب تطغى عليه وإن كان مؤلفه يستعين باللغة وعلومها .

أما كتابه « معانى القرآن » فقد أفصح المؤلف عن منهجه وقراءة ما بقى من الكتاب ، تدل دلالة واضحة على أنه كتاب لغوى ، يهتم باللفظة المعجمية ، كما يهتم بالمعنى العام للآية ويُعطى جزءاً من اهتمامه لاشتقاق

الكلمات ، ونحوى يهتم بالإعراب وبعض تفصيلاته ، وباختلاف النحاة وتوجيهه وتعليلاته ، وبالقراءات ، وحججها اللغوية والنحوية .

أما كتاب «اللامات» ، فهو فى النحو لأنه اهتم بها من هذه الناحية ودرسها من هذه الزاوية .

أما كتاب « القطع والائتناف » فهو كتاب أستطيع أن أزعم أنه فريد فى منهجه الذى عالج فيه موضوع « الوقف والابتداء » فى القرآن الكريم . وقد استخدم علم النحو ببراعة تامة وبصورة لم يسبق إليها ، ولم يلحقه أحد فى منهجه ، وكل من جاء بعده وعالج هـذا الموضوع واستخدم النحو ، فإنه عيال عليه ، ابتداء بالدانى (ت ٤٤٤ هـ) وماصره مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، وانتهاء بالسيوطى (ت ٩١١هـ) .

فهذا الكتاب يعد بحق من كتب النحاس المتفردة فى أصالتها وتميز منهجها ولا يدانيه أو يوازيه فى تفرده إلا طريقة عبد القاهر الجرجانى فى « دلائل الإعجاز » ، إذ فسر الأساليب النحوية وفق منهجه الممتاز ، فأنتج « نظرية النظم » المعروفة .

وأستطيع أن أسمى طريقة النحاس فى كتابه : القطع والائتناف ، بالمنهج النحوى فى توجيه الوقف والابتداء .

وقد قسمت كتبه ثلاثة أقسام :

أولا : الدراسات اللغوية .

ثانيا : الدراسات النحوية .

ثالثا : الدراسات المشتركة بين اللغة والنحو .

أولا – الدراسات اللغوية :

دراسات النحاس اللغوية هى: اشتقاق أسماء الله تعالى (أو الاشتقاق)، والأنواء، وخلق الإنسان، ومعانى الشعر[١]. وكلها مفقودة.

ثانيا – الدراسات النحوية :

١ — إعراب القرآن

يحتل هذا الكتاب مكانة كبيرة بين الدراسات النحوية واللغوية ويقف فى المرتبة الأولى فى قائمة كتب النحاس مع كتابيه : « القطع والائتناف » و « شرح القصائد التسع ».

وحديثنا عنه يتناول وصفه، ومنهجه، ثم أهميته وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية.

(أ) وصفه :

يتناول هذا الكتاب « إعراب القرآن » من أول « البسملة » التى تسبق « سورة الفاتحة » إلى آخر « سورة الناس »، والمطلع على الكتاب يرى أنه لم يتناول كل الآيات، بل ترك بعضها، إما لأن فى القرآن ما يشابهها فى الإعراب، وإما لأنها بسيطة ليس فيها إشكال أو صعوبة بحيث يفهمها المتعلم وإما لأنه ليس فيها اختلاف بين اللغويين والنحاة.

وهو كتاب ضخم يقرب من ٣٢٥ ورقة فى نسخة فاتح، (المرقمة ٨٨). ويوجد منها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات (برقم ١٥ تفسير).. كما توجد

---

(١) طبقات الزبيدى / ٢٤٠، وفهرسة ابن خير ٣٨٦ ومعجم الادباء ٢٢٨/٤ (وقد تحرف فيه كتاب « الانواء » الى « الانوار ») وانباه الرواة ١٠١/١ ووفيات ٨٢/١

منه نسخة أخرى محفوظة بالمكتبة العمومية بالآستانة (برقم ٢٤٥) . ومصورة بدار الكتب تحت رقم (١٩٦٦٧ ب) ، ومصورة بمعهد المخطوطات تحت رقم (١٤ تفسير) . وتوجد منه نسخة ثالثة ناقصة محفوظة بالمكتبة العمومية بالآستانة (برقم ٢٤٦) . ويظهر أنها مكتوبة فى القرن الثامن الهجرى . ومنها نسخة مصورة بدار الكتب تحت رقم «١٩٦٦٨ب» فى ١٧٨ لوحة ، وهى تبتدىء بسورة « غافر » وتنتهى بسورة « والعاديات » ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات تحت « رقم ١٧ تفسير » ، وتوجد نسخة رابعة ناقصة أيضاً ، وهى من مخطوطات الدار (ورقمها ١٧٨ تفسير - تيمور) ، الموجود منها الجزء الثالث فقط ، ويبدأ بسورة « يس » وينتهى بآخر سورة « الناس » [١].

وعلى نسخة فاتح المصورة بمعهد المخطوطات كان اعتمادى لأنها أقدم النسخ وأوضحها وأكملها وتكاد تكون كل كلماتها مضبوطة بالشكل .

وقد ذكره جماعة ممن ترجموا له ، وأول من ذكره أبو بكر[٢] الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) وهو معاصر تلميذ النحاس المعروف بالرياحى (ت ٣٥٨ هـ) . ولتلميذه محمد بن مفرج بن عبد الله المعافرى (ت ٣٧١ هـ) ، وذكره ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) فى ترجمة « المعافرى » [٣] ، ومعنى هذا أن الكتاب انتقل إلى الأندلس فى حياة مؤلفه . وعنه مباشرة[٤] عن طريق الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ) أشهر تلاميذ النحاس المصريين وراوى جميع كتبه .

---

(١) وتوجد نسخة فى دار الكتب برقم ٤٨ تفسير ، ولكننى لم أستطع الاطلاع عليها — رغم محاولاتى المتكررة فى طلبها . فلعلها ضاعت .

(٢) طبقات الزبيدى /٢٣٩.

(٣) تاريخ علماء الاندلس /٨١

(٤) فهرسة ابن خير /٦٥

وهذا ما يؤخذ من ذكر ابن خير الإشبيلي للكتاب[١] . ثم ذكره « ياقوت »[٢] . وبعده « القفطى » وأبدى ملاحظة ذكية فقال : « وله مصنفات فى القرآن منها : كتاب الإعراب وكتاب المعانى وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنف قبلهما فى معناها »[٣] . ولكن هذا الوصف يتناسب تماماً مع « الإعراب » ولا يتناسب مع « المعانى » .

وذكره الإمام القرطبى فى تفسيره ، عشرات المرات ونقل منه كثيراً ..[٤]

(ب) منهجه :

بين النحاس فى مقدمة كتابه « إعراب القرآن » أصول منهجه فقال :

« هذا كتاب نذكر فيه إن شاء الله إعراب القرآن والقراءات التى تحتاج أن نبين إعرابها والعلل فيها ولا أخليه من اختلاف النحويين ، وما يحتاج فيه من المعانى وزيادة فى المعانى وشرح لها ، وما أجازه بعضهم ومنعه بعضهم من الجموع واللغات ، ونسب كل لغة إلى أصحابها . ولعله يمر الشيء غير مشبع فيتوهم متصفحه أن ذلك إخلال وإنما هو لأن له موضعاً غير ذلك ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة فى موضعها من غير إطالة . وقصدنا فى هذا الكتاب الإعراب وما شاكله بعون الله وتوفيقه » .

---

(١) فهرسة ابن خير /٦٥

(٢) معجم الادباء ٤/٢٢٨.

(٣) انباه الرواة ١/١٠١

(٤) تفسير القرطبى ١/٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٤٣ ، ٢/١٦ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٥٥ ، ١٣٢ .

فالخطوط العريضة لمنهجه هى :

١ ـ إيضاح الإعراب وماشاكله .

٢ ـ بيان اختلاف النحويين .

٣ ـ بيان القراءات وتعليلها .

٤ ـ بيان ما يحتاج إليه من المعانى .

٥ ـ اللغات فى القرآن .. ونسبة كل لغة إلى أصحابها .

٦ ـ اختلاف العلماء فى إجازة بعض اللغات .

وهو فى كل ذلك يتوخى الإيجاز ويأتى بالنكتة فى مكانها .

هذه الخطوط العامة التى أوضحها ... ولا شك فى أنها تحتاج إلى إيضاح وتفصيل ، فماذا يعنى بالإعراب وما شاكله ؟ وما موقفه من اختلاف النحويين ؟ وما موقفه من نحو القراءات ولغتها ؟ وهل التزم مدرسة معينة فى القراءه ؟ ثم ما هى الأصول العامة التى اعتمدها فى توجيه القراءات ؟ وهل كان موفقاً فى كل ما ذهب إليه من آراء وما انتهجه من مناهج ؟ .

٤ ـ معنى الاعراب :

الإعراب لغة الإيضاح والبيان[1]، أما فى اصطلاح النحاة فقد وقع فيه الاختلاف .... وهذا الاختلاف يرتبط تماماً بالحركات الثلاث وما يتولد منها من ألف وواو وياء ، إذ إن هذه الحروف هى حركات طويلة ، ليس غير . ويرتبط هذا الاختلاف بمفهوم النحو أهو الإعراب نفسه أم لا ؟

---

(١) اللسان (عرب) ٧٨/٢

أما بالنسبة لمسألة ارتباط مفهوم الإعراب بالحركات فيرجع إلى أن بعض النحاة يرى أن الحركات لا تدل على معان إعرابية ، وهو رأى ينسب إلى « قطرب » (ت ٢٠٦ هـ) ، وهو القائل [١] : « إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان فى الوصل والوقف . فكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام . . . . ويرى رأيه من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس . [٢] ورأيه واضح فى إبطال الإعراب وفى التوسع على كل قائل أن يحرك كما شاء فى كل موضع . ولو كان كما قال لجاز جر الفاعل مرة ورفعه أخرى أو نصبه ، وجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد فى هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً ليعتدل بها الكلام فأية حركة أتى بها المتكلم أجزأته . وهذا فساد للكلام وخروج من أوضاع العرب . [٣]

والقسم الآخر من النحاة يرى أن الحركات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعنى ، وهو رأى أكثر العلماء .

ويرى بعض النحاة أن النحو هو الإعراب [٤] . ولكنه رأى غير دقيق ، إذ الإعراب ما هو إلا جزء من النحو وبينهما عموم وخصوص ، فالنحو يشتمل على الإعراب والعكس ليس صحيحاً ، ويعرف ابن جنى النحو تعريفاً دقيقاً بقوله : « النحو هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من

---

(١) الزجاجى : الايضاح فى علل النحو / ٧٠
(٢) د. ابراهيم انيس : من اسرار العربية / ١٤٢.
(٣) الايضاح فى علل النحو / ٧١
(٤) حاشية الصبان على الاشمونى ١٦/١

إعراب وغيره ، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك.(١)

أما مفهوم الإعراب عند النحاس فهو الحركات وما يتولد منها وما يرتبط من المعانى ولهذا نراه يهتم بهذه القضية اهتماماً واضحاً ويعطيها أكثر مما يعطى غيرها من القضايا النحوية واللغوية .

ففى إعراب : « الحمد لله »(٢) من سورة الفاتحة قال : (الحمد : رفع بالابتداء على قول البصريين . وقال الكسائى : الحمد : رفع بالضمير الذى فى الصفة ، والصفة اللام بمنزلة الفاعل . وقال الفراء : الحمد رفع بالمحل وهو اللام . جعل اللام بمنزلة الاسم لأنها لا تقوم بنفسها . وقرأ ابن عيينة ورؤبة بن العجاج : الحمدَ لله على المصدر ، وهى لغة قيس والحارث بن أسامة . والرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى . فأما اللفظ فلأنه اسم معرفة خبرت عنه . وأما المعنى فإنك إذا رفعت أخبرت أن حمدك وحمد غيرك لله جل ثناؤه ، وإذا نصبت لم يعد حمدك نفسك ...... روى إسماعيل بن عياش عن زريق عن الحسن أنه قرأ : « الحمدِ لله » ، وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة : الحمدُ لُله ، وهذه لغة بعض بنى ربيعة . والكسر لغة تميم ، فأما العلة فى الكسر فإن هذه اللفظة تكثر فى كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما إذا كان بعد كسرة ، فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شىء واحد . والكسرة مع الكسرة أضعف ، وكذلك الضمة مع الضمة ، ولذلك قيل : « الحمد لله »).

وواضح من هذا أنه يركز على كل ما يتصل بالحركات وما يترتب

---

(٢) الخصائص ١/٣٤

(٣) اعراب القرآن : لوحة ٢ : أ ــ ب

عليها من معان إعرابية متصلة بالمعنى ، ولهذا فإنه يبين ما يحتاج إليه الإعراب ، وما يتعلق به من قضايا الاطراد والشذوذ ، فقوله تعالى : «ويل للمطففين » ، تعرب فيه (« ويل » : مبدأ مرفوع ، و « المطففين » : خبره . ويجوز النصب فى غير القرآن ، لأن ويلا بمعنى المصدر ، وكان الاختيار الرفع لأنه لم ينطق منه بفعل إلاشاذاً ، أنشده محمد بن الوليد وهو .

فما والٍ ولا واخٍ ولا واشٍ أبو هِنْدِ

فإن كان مشتقاً من فعل فالاختيار النصب عند النحويين ، نحو : بؤساً له . وإن لم تأت بالخبر فى الأول نصبت ، فقلت : ويلَه وويحَه) .(١)

وهو يطلق « مشكل الإعراب » على ما عسر فيه فهم الرابطة بين الحركات وما يتصل بها من معان . ففى إعراب قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعاً » (الأنعام آية : ٦٥) ، قال : (روى عن أبى عبد الله المدنى : أو يُلبسكم بضم الياء . أى : يجللكم العذاب ويعمكم به ، وهذا من اللُّبْس بضم اللام . والأول اللَّبْس بفتحها . وهو موضع مشكل الإعراب نبينه قبل التقدير أو يلبس عليكم أمركم فحذف أحد المفعولين وحرف الجر ، كما قال جل وعز : « وإذا كالوهم أو وزنوهم »(٢) . وهذا اللبس بأن يكون يطلق لبعضهم أن يحارب بعضاً أو يريهم آية يتفرقون عندها فيصيرون شيعاً ، وشيعاً منصوب على الحال أو المصدر) .(٣)

وإذا اتصل اختلاف القراء بالمعانى الإعرابية ، بسطه وبينه تبييناً كلياً . فعند قوله تعالى : « فَقُلْ سَلام عليكُمْ كتبَ رَبُّكُمْ على نفسه الرحمةَ أنه

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣٠٦ : ب
(٢) سورة المطففين آية ٣ (وتقدير الكلام : واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم)
(٣) اعراب القرآن لوحة : ٦٧ : أ

مَن عَمِل منكم سُوءاً بجهالة ثم تاب فإنه غفور رحيم » (سورة الأنعام:٥٤)» ذكر قراءة من قرأ أنه فإنه بفتحها جميعاً وقراءة من كسرها جميعاً. وقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية . وقراءة من قرأ بكسر الأولى وفتح الثانية. ثم بين اتصال هـذه القراءات بالمعانى الإعرابية فقال : (فمن فتحها جميعاً جعل الأولى بدلا من الرحمة أو على إضمار مبتدأ . أى : هى كذا والثانية مكررة عند سيبويه . كما قال جل وعز : « لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » . وقال عز وجل : « إنّ الذين آمنوا والذين هادوا ... » ثم قال بعد ذلك: « إنّ الله يفصل بينهم » قال أبو حاتم : إنّ الثانية فى محل رفع بالابتداء . أى فالمغفرة له ، وقال بعض النحويين : « يجوز أن تكون الثانية فى موضع رفع . على إضمار مبتدأ » ، أى فالذى له أن الله غفور رحيم . ومن كسرها جميعاً جعل الأولى مبتدأة وجعل كتب بمعنى قال . وكسر الثانية لأنها بعد الفاء فى قول بعضهم لأنها جواب الشرط، ومن كسر الأولى وفتح الثانية جعل الأولى كما قلناه ، وفتح الثانية على إضمار مبتدأ ، ومن فتح الأولى وكسر الثانية جعل الأولى كما ذكرنا فيمن فتحها جميعاً . وكسر الثانية على ما يجب بعد الفاء ، فهذه القراءة بينة فى العربية) .. (١)

وكثيراً ما تدفعه الرغبة فى تقصى الإعراب إلى ذكر جميع وجوهه المحتملة جالباً فى ذلك الأقاويل ومجتهداً فى التحليل ليصل إلى أقصى غاية ممكنة من تلك الوجوه الإعرابية ، فيكون الاسم جائز النصب والرفع والخفض ، ولكل وجه عِلّة . . . فالاسم الموصول فى قوله تعالى : « الذين

(١) اعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب وتنظر هـذه القراءات فى كتاب السبعة /٢٥٨.

يؤمنون بالغيب » (البقرة آية : ٣) ، يكون (في موضع خفض نعت المتقين[١] . ويكون أيضاً نصباً بمعنى أعني . ورفعاً من جهتين : بالابتداء، والخبر لأولئك على هدى من ربهم ، وعلى اضمارهم يؤمنون، (بالهمز)[٢] .

وتكون هـــذه الاحتمالات جزءاً من منهج النحاس العام ، بحيث يمكن أن تكون عنده ظاهرة جديدة سميناها « نظرية الاحتمالات » وسنفصل فيها القول ..

٢ - موقفه من اختلاف النحويين :

اهتمام النحاس بالاختلافات النحوية يأتي من ولعه بالمناقشة لأنه عقلية ناضجة لا يقبل آراء الآخرين دون فحص وأخذ ورد ، كما أن له سبباً آخر هو حبه للتقصي والتتبع واستيعاب الآراء في المسألة الواحدة ، والسبب الثالث أن اهتمامه بنظرية الاحتمالات يجره إلى إيراد ما يؤيد قسما منها بآراء اللغويين والنحاة . . . كمحمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) وعلى بن سليمان (٣١٥ هـ) ، وابن كيسان (٣٢٠ هـ) ، وإذا رتبناهم حسب درجات الأخذ ، فأولهم الزجاج[٣] ، وثانيهم ابن كيسان[٤] وثالثهم على بن سليمان[٥] وآخرهم محمد بن وليد (ولاد)[٦] ، بحيث نستطيع أن نستخلص جل آرائهم النحوية،من هذا الكتاب «ولاسيما ابن كيسان» الذي ضاعت معظم كتبه ...

---

(١) لان سياق الآيات جاء هكذا « ذلك الكتاب لا ريب فيه . هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » .

(٢) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

(٣) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب ٣ : ب ، ٥ : أ ، ١٣١ : ب .

(٤) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب ، ٣ : ب ، ٥٢ : ب ، ٦٧ : ب .

(٥) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ ، ٦٨ : أ ، ١٣١ : ب ، ٣٢٥ : ب .

(٦) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ ، ٣١٣ : ب .

وموقفه من آراء هؤلاء العلماء هو موقف العالم المتميز فى درايته فهو يخضع كل رأى لمنهجه ، ويناقشه أحياناً ويقبله أحياناً أو يضمه فى سياق يفهم منه القبول أو الرفض . ويتخذ هذا الوقف فى كتبه الأخرى ، فقد ناقش رأى أستاذه على بن سليمان الأخفش الذى رفض القراءتين (١) : « الحمدُ لُله والحمدِ لِله » . وردّه ، لأنّ هاتين القراءتين مرويتان عن أئمة القراء ومعتمِدتان على لغة العرب ، فالأولى لغة بعض بنى ربيعة والكسر لغة تميم .

ويقف من أساتذته الآخرين هذا الموقف فيقبل من آرائهم بقدر ويرد منها بقدر يتفق مع منهجه ورأيه .

أما النحاة الآخرون الذين أورد آراءهم فهم الخليل وسيبويه والكسائى والفراء وقطرب والأخفش سعيد وأبو عبيدة وثعلب ، وغيرهم .

ويأتى بالدرجة الأولى كل من سيبويه والكسائى والفراء وموقفه هنا يختلف شيئاً قليلاً عن موقفه من أساتذته ، فللأستاذ حرمة ولرأيه مكان حتى لو كان صادراً عن خطأ فى الاجتهاد ، أما غيره ... فله منزلة أخرى... هذه واحدة والأخرى أن النحاس يتجاوز هذه المسألة فيتحيز أحياناً لسيبويه ويقسو على الفراء فى أحيان أخرى . وسنورد أمثلة لذلك توضح ماقصدناه ، ثم نحكم على ذلك الموقف حكماً عادلا .

فعند الآية الكريمة : « يسألونَكَ عنِ الشهرِ الحرام قتال فيه ؟ قل : قتالٌ فيه كبيرٌ وصَدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام .. » (الآية ٢١٧ من سورة البقرة) . أورد قراءة « عبد الله » عن قتال فيه ، وقراءة

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب

« عكرمة » : عن الشهر الحرام قَتْلٍ فيه بغير ألف . وكذا : قل قتل فيه كبير وقراءة الأعرج : ويسألونك - بالواو - عن الشهر الحرام قتال فيه[١].

ثم قال : (الخفض عند البصريين على بدل الاشتمال . وقال الكسائى : هو مخفوض على التكرير أى عن قتال فيه . وقال الفراء : هو مخفوض على نية « عن » . وقال أبو عبيدة : هو مخفوض على الجوار) . فالآراء حول تعليل خفض كلمة « قتال » أو قتل أربعة رأى من سماهم البصريين وهو أنه مخفوض على أنه بدل اشتمال ورأى الكسائى أنه مخفوض على التكرير أى عن قتال فيه ، ورأى الفراء أنه مخفوض على نية « عن » ورأى أبى عبيدة أنه مخفوض على الجوار .

وقد رفض رأى الفراء ورأى أبى عبيدة بقوله[٢] : (لا يجوز أن يعرب شىء على الجوار فى كتاب الله جل وعز ، ولا فى شىء من الكلام وإنما الجوار غلط ، وإنما وقع فى شىء شاذ وهو قولهم : «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » والدليل على أنه غلط قول العرب فى التثنية : هذان جحرا ضب خربان ، وإنما هذه بمنزلة الإقواء ، ولا يحمل كتاب الله عز وجل على هذا ولا يكون إلا بأفصح اللغات وأصحها .

ولا يجوز إضمار « عن » لأن حروف المعانى لا تضمر والقول فيه أنه بدل . وأنشد سيبويه :

فما كان قيس «هلكه» هُلْكُ واحد ولـكنه بنيانُ قـوم تَهَدَّما

فكيف يجوز رَدُّ رأى الفراء برأى سيبويه ؟ أليس هـذا من باب

(١) اعراب القرآن لوحة ٢٤ أ

(٢) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ

التحيز ؟ ثم ألم يرد الجوار فى كلام العرب أيضاً فى غير هذا المثال الذى أورده سيبويه ، عن الخليل[1] ألم يقل امرؤ القيس :

كأنّ ثَبيراً فى عرانينِ وبلِه كبيرُ أُناسٍ فى بجادٍ مزَمّلِ

وكان يجب أن يقول مزملُ « بالرفع » لأنه نعت للكبير إلا أنه خفضه على « الجوار » . هـذا ما قاله النحاس نفسه ، فى شرح « القصائد التسع[2] » . وقد تعسف فى الرد عليه كما تعسف فى الرد هنا .

ثم إن حجته فى أن قولهم : « هذا جحر ضب خرب » غلط لأنهم يقولون فى التثنية : « هذان جُحْرا ضَبٍ خَرِبانِ » : حجة غير سليمة لأن العرب قد يعاملون كلمة فى المثنى بطريقة تختلف عن معاملتهم لها فى حالة الإفراد . فلغة بلحارث بن كعب بناء المثنى على الألف وعليه جاء قوله تعالى : « إنّ هذان لساحران » (سورة طه آية ٦٣) ومنه قول المتلمس[3] :

فأطرقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَساغاً لِناباه الشجاعُ لَصَمَّما

وهو ما أقره النحاس نفسه فى إعراب القرآن »[4] .

أما ردُّه رأىَ الفراء ، فهو منقوض بكلام النحاس نفسه وفى إعراب الآية نفسها التى رد فيها الفراء . ففى إعراب قوله تعالى : « قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام . . » قال : « عن سبيل الله » خفض بعن ... و «المسجد الحرام» عطف على « سبيل الله »[5] أليس العطف يقتضى المشاركة فى الحكم ؟

---

(١) شرح القصائد التسع /١٩٧

(٢) شرح القصائد التسع /١٩٧

(٣) كما فى اللسان (صمم) ١٥/٢٣٩

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣٢

(٥) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ

فرأى الفراء راجح وكذلك رأى أبى عبيدة ، أما رأى سيبويه فمرجوح .

ولو اكتفى بالرد المادىء لكان للأمر ما يبرره . . . لكنه يبادر أحيانا بالرد على «الفراء» رداً قاسياً . ففى إعراب قوله تعالى : «لِلَّهِ الأمرُ مِن قبل ومن بعد» (الروم آية ٤) قال النحاس[1] : (ويقال لله الأمر من قبل ومن بعد . وحكى الكسائى.. وحكى الفراء : من قبلِ ومن بعدِ مخفوضتين بغير تنوين وللفراء فى هذا الفصل من كتابه فى القرآن[2] . أشياء كثيرة الغلطُ فيها بَيِّن فمنها أنه زعم أنه يجوز من قبل ومن بعد كما قال الشاعر وهو الأعشى :

إلا عُلالة أو بُداهةَ سابحٍ نَهْدِ الجزاره

وكما قال :

يا مَنْ رأى عارضا أرقتُ لَهُ بَيْنَ ذراعى وجبهةِ الأسد

والغلط فى هذا بيِّن لأنه ليس فى القرآن لله الأمر من قبلِ ومن بعدِ ذلك فيكون كقوله : بين ذراعى وجبهةِ الأسد) .

ولا أرى ما يرى النحاس لأن القرآن عربى . . . ويقاس إعرابه وتقاس لغته بلغة العرب وهذا أحد أسس المعيارية النحوية واللغوية التى وزن بها النحاس الأمور وأعرب القرآن بناء عليها ... ألم يقل فى إعراب «قتال فيه» (من آية البقرة ٢١٧) : أما «قتالٌ فيه» بالرفع فغامض

---

(١) اعراب القرآن لوحة ١٦٧ : أ

(٢) يريد «معانى القرآن» (للفراء) .

فى العربية، والمعنى فيه : يسألونك عن الشهر الحرام أجائز قتال فيه ؟ فقوله : « يسألونك » يدل عليه ، كما قال امرؤ القيس :

أصاحِ ترى برقاً أريكَ وميضَه كلمعِ اليدينِ فى حبيٍّ مكلّلِ

فالمعنى : « أترى برقاً أريك وميضه » تحذف ألف الاستفهام[1] لأن الألف فى « أصاح » بدل منها وتدل عليها وإن كانت حرفاً فحجة النحاس مردودة بنص كلامه .

والسؤال الذى يرد هنا : لماذا هاجم الفراء وردّ عليه بكثرة ولم يردّ على أستاذه الكسائى ، مع أن الأخير رأس والفراء فرع ولماذا لم يعنف بالرد عليه ولا يعنف بالرد على الكسائى ؟ . يبدو لى أن رده آتٍ من أنه أخذ عنه كثيراً جداً ، بحيث استوعب كتابه « معانى القرآن » وكتبه الأخرى فى الدراسات المقاربة مثل « لغات القرآن » ، صحيح أنه يورد اسم الفراء كثيراً ، ولكنه قد يأخذ منه ولا يشير إليه فى أحيان أخرى .

٣ – موقفه من نحو القراءات ولغتها :

النحاس أحسن صورة المزج بين منهج النحاة التقليد بين الذين يرفضون القراءات القرآنية بالقياس ومنهج القراء الذين يأخذون القراءات ولا سيما إذا كانت عن الأئمة المشهورين ولا يرفضون شيئاً منها ، ما دامت ثابتة بالتواتر ، كالقراءات السبع والعشر .

أما الفريق الأول فهم كثير ولعل أشهر من نشير إليه سيبويه والمازنى والمبرد وعلى بن سليمان الأخفش وابن جنى . والذين رفضوا حتى بعض

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ

القراءات المتواترة مثل قراءة : « نافع بن أبى نعيم » (ت ١٦٧ هـ) : « وجعلنا لكم فيها معائش » ، بحجة أن « همزة » « معائش » خطأ[1] .

وفى كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد أمثلة واضحة على هذا الاتجاه . وقد أوردنا لعلى بن سليمان مثالا . أما منهج القراء فتمثله كتب القراءات .. وما أكثرها .

أما النحاس فإن منهجه وسط بين هؤلاء وأولئك ... هو مقرىء قرأ القراءات المشهورة على مجموعة من القراء ، ثم هو نحوى مشهور ، ولغوى نحرير وهذا المنهج هو المنهج الذى ينسجم مع بنية النحاس الثقافية ، والتى استوعبت كثيراً من الاتجاهات وهضمت مجموعة من المناهج .

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى أوجه قراءات « يخطف[2] » فى الآية الكريمة « يَكادُ البَرْقُ يخطفُ أبصارَهُمْ » (البقرة آية : ٢٠) حيث أورد فى يخطف سبعة أوجه : القراءة الفصيحة : « يَخْطَف » وقراءة على بن الحسين ويحيى بن وثاب : « يكاد البرق يخطِف أبصارهم » بكسر الطاء ، قال سعيد الأخفش : هى لغة . وقراءة الحسن وقتادة وعاصم الجحدرى وأبى رجاء العطاردى : « يَخِطِّف » بفتح الياء وكسر الخاء والطاء .

وقال الكسائى والأخفش والفراء : يخطف بكسر الياء والخاء والطاء . وقال الفراء : وقرأ بعض أهل المدينة بتسكين الخاء وتشديد الطاء . وروى عن الحسن أنه قرأ بفتح الخاء يخطف . وفى مصحف أُبَىّ : « يتخطف » ..

---

(١) ابن جنى : المنصف ١/٣٠٧

(٢) اعراب القرآن لوحة ٦٤ : أ

ثم أورد من أقوال النحاة ما يوجه بعض القراءات فقال : (وزعم سيبويه والكسائى أن من قرأ « يَخِطِف » بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده : « يختطف » ، ثم أدغم التاء فى الطاء فالتقى ساكنان فكسر الخاء لالتقاء الساكنين . قال سيبويه : ومن فتحها ألقى حركة الياء عليها . قال الفراء : وهذا خطأ ، ويلزم من قاله أن يقول فى « يَمُدّ » يَمِدّ لأن الميم كانت ساكنة[1] قال الفراء : وإنما الكسر لأن الألف فى « اختطف » مكسورة)[2] وعقب على ذلك بقوله : (قال أصحاب سيبويه الذى قال الفراء لا يلزم لأنه لو قيل : « يَمِدّ » لأشكل بيفعِلُ ، ويفتعِلُ لا يكون إلا على جهة واحدة ، قال الكسائى : من قال : « يِخِطِّفُه » كسر الياء لأن الألف فى « اختطف » مكسورة)[3] .

وأخيراً ... رفض ما أورده « الفراء » عن بعض أهل المدينة فقال : (أما ما حكاه الفراء عن بعض أهل المدينة من إسكان الخاء ، والإدغام ، فلا يعرف ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين) .

والمثال الآخر من (سورة طه آية ١١٣) حيث أورد قراءة أهل المدينة وأبى عمرو وعاصم والكسائى : « وأنا اخترتك » وقراءة سائر الكوفيين : « إنّا اخترناك » ، ثم قال : (المعنى واحد إلا أن « وأنا اخترتك » أولى لجهتين : إحداها أنه أشبه بالخط والثانية أنه أولى بنسق الكلام لقوله جل وعز : « يا موسى إنى أنا ربك » . وعلى هذا النسق جرت المخاطبة)[4] .

---

(١) لأن أصلها قبل الادغام : يمدد

(٢ ـ ٣) اعراب القرآن لوحة ٦ ـ ا

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣٠ ـ ا

فهو قد أورد القراءتين على أنهما صحيحتان مرويتان عن أئمة القراء ثم رجح إحداهما لأنه أشبه بخط المصحف وبنسق الآيات فى هذه السورة .

هذه صورة واضحة لمنهجه فى المزج بين طريقة النحاة وطريقة القراء الخالصتين .

ولكن هل التزم بمدرسة معينة عند توجيه القراءات ؟

يبدو أن النحاس لم يلتزم بمدرسة معينة فى القراءات بالرغم من أنه كان متخصصاً بمدرسة « ورش[1] » وهذا يرجع إلى أنه كان ذا رأى متميز وشخصية بارزة فلا يقلد مدرسة معينة لا فى القراءات ولا فى النحو بل له اختيار خاص فى كل ذلك . يعتمد على أسس معينة يوازن بها ويرجح بواسطتها وهى : الفصيح من لغات العرب ولهجاتها[2] والاعتماد على قراءات أئمة القراء[3] ومراعاة سياق الآيات القرآنية[4] . ومراعاة خط المصحف[5] ، ومراعاة أواخر الآيات إن كانت القراءة تتعلق بكلمة هى رأس آية[5] . والاعتماد على الأصول العامة فى النحو العربى[6] .

٤ - منهجه فى بيان المعانى :

قبل أن نتحدث عن تفصيل القول فى منهجه فى توضيح للمعانى نبين مفهوم المعانى عنده . . . . فهو يريد بالمعانى ما صعب من لفظ مفرد مثل

---

(١) الدانى : المفردات السبع /٩

(٢) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب و ٥ : أ و ٦ : أ و ١٣١ : ب

(٣) اعراب القرآن لوحة ٧١ : أ

(٤) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ

(٥) اعراب القرآن لوحة ١٣٠ : أ

(٦) اعراب القرآن لوحة ١٢٩ : أ

(٧) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب و ٢٤ : أ

الغريب ، وما أشكل من المعانى العامة التى تتصل بالجملة والمفهوم العام للآية التى يحاول إعرابها لأن الإعراب يبنى فى الغالب على المعنى العام ، فليس من الغريب أن نجد بيان المعانى ومراعاة السياق مرتبطاً ببيان أوجه الإعراب وباللغات أيضاً .

ففى حديثه[1] عن الآية الكريمة (٦٣ من سورة الأنعام) : « تدعونه تضرُّعاً وخفية » ، قال : (تضرعاً : مصدر ، ويجوز أن يكون حالا ، وبمعنى ذو تضرع ، وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم : « وخِفية » بكسر الخاء[2] ، وروى عن الأعمش : « وخيفة » الياء قبل الفاء ، وهذا معنى بعيـــد لأن معنى تضرعاً أن يظهروا التذلل وخفية أن يبطنوا مثل ذلك) .

غير أن النحاس لم يكن موفقاً فى رده سواء أراد قراءة « عاصم » كما يفهم من تعقيبه أم أراد قراءة « الأعمش » إذا أخذنا بالإشارة إلى الأقرب لأنه فى الحالة الأولى رد قراءة مشهورة متواترة[3] وفسر التضرع إلى الله بإظهار التذلل ، وهذا الوجه ليس بمستقيم بدليل آية أخرى هى قوله تعالى : « ادعوا ربكم تضرّعاً وخيفة إنه لا يحبّ المعتدين » (الأعراف آية ٥٥) وفيها جمع بين التضرع والخفية ، أما فى حالة قصده قراءة الأعمش « خيفة » ، فإننا نرد عليه بالآية الكريمة : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة » (الأعراف آية ٢٠٥) وفيها جمع بين التضرع والخيفة .

ومن الأمثلة على مراعاة المعانى الحديث عن (الآية ٧٨ من سورة الأنعام) : حكاية عن « إبراهيم » : « فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا

(١) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ
(٢) كتاب السبعة /٢٥٩
(٣) كتاب السبعة /٢٥٩

ربى » . قال النحاس : (بازغة : نصب على الحال لأن هـذا من رؤية العين ، « قال هذا ربى » ، قال الكسائى والأخفش : أى قال هذا الطالع ربى . وقال غيرهما : أى هـذا الضوء ، قال على بن سليمان : أى هذا الشخص)[١] .

ولعل أوضح الأمثلة دلالة على منهجه فى إيراد المعانى ما دار حول القسم الأول من « سورة قريش » .

فالسورة ليست مقطعاً مأخوذاً من سياق ولكنها سورة متكاملة القسمات والملامح ... مع أنها من السور القصيرة ، التى تبعدنا عن الإطالة. قال النحاس[٢] : « لإيلاف قريش » مذهب الأخفش : فعل بهم ذلك ليؤلف قريشاً . وهذا القول الخطأ فيه بيّنٌ لو كان كما قال لكانت لإيلاف بعض آيات « ألم تر » وفى اجماع المسلمين على الفصل بينهما مايدل على غير ما قال ، وأيضاً فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماماً . وهـذا غير موجود فى شىء من السور . وقيل فى الكلام حذف ، والمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت . وهذا الحذف مذهب الفراء . وتحتج له بأن العرب تقول : لله أبوك[٣] . فيكون فى اللام معنى التعجب . وأصح من هذين القولين ـ وهو قول الخليل ـ أن المعنى : لِأنْ يؤلفَ اللهُ عز وجل قريشاً فليعبدوا رب هذا البيت ، أى لهذا فليعبدوه. قال أبو جعفر : فهذا لا خلاف فيه ، وهو من حسن النحو ودقيقه . وإن كان أصحاب كتب المعانى قد أغفلوه ....) .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٦٨ : أ
(٢) اعراب القرآن لوحة ٣٢٢ : ب
(٣) الفهرست /٣٥.

ﻫ – منهجه فى بيان اللغات :

لا نكون مغالين إذا قلنا : إن كتاب إعراب القرآن للنحاس من مصادر اللغات واللهجات العربية ، ففيه مادة غزيرة منها وهو لا ينى عن ذكرها ، ولم أجد فى الكتب المشهورة المعروفة كمعانى الفراء ومعانى الزجاج وتفسير الطبرى ما يضاهى إعراب القرآن للنحاس فى هذه الناحية . صحيح أنه مسبوق بكتب تناولت اللغات فى القرآن مثل كتاب : اللغات فى القرآن لابن عباس (ت ٦٨ ﻫ) ، وكتاب « لغات القرآن »[١] للفراء (٢٠٧ﻫ) ، وإن كان النحاس يشير إليه لا تصريحاً ، بل تلميحاً ، وكتاب لغات القرآن لأبى زيد الأنصارى (٢١٥ ﻫ) وكذلك للأصمعى وللهيثم بن عدى[٢]. غير أن هذه الكتب مفقودة كلها ما عدا كتاب ابن عباس ، فهو مطبوع ، لكنه لا يتصل إلا بغريب القرآن .

ولعل أهم فرق بين منهجه ومنهج تلك الكتب أنه استوعب هذه اللغات ، واستعملها فى مكانها ، واستخدمها فى توثيق القراءات وتعليلها وتوجيهها واستند عليها أيضاً فى رفض بعض الآراء أو قبولها ، مع ملاحظة واحدة هى أنه ليس هناك دليل على أنه أخذ من تلك الكتب كل مادة ذكرها ، وإن لم يكن من المعقول أنه أهمل قسما كبيراً منها وهو المعروف باستيعاب مصادر للموضوع الذى يعالجه أو الاطلاع على أهم مصادره كما فعل فى هذا الكتاب وفى كتابيه : « القطع والائتناف » و« شرح القصائد التسع » أما تلك الكتب فقد اكتفت بإيراد اللغة أو اللهجة واستشهدت

(١) اعراب القرآن لوحة ١٣١ : أ (حيث ينقل رأى الفراء فى لغة بلحرث بن كعب فى بناء المثنى على الالف دائما) ، وفى غير هذا الموضع .

(٢) الفهرست / ٣٥.

لها بالشعر إن وجـــــد ، ودليلنا على ذلك كتاب اللغات فى القرآن لابن عباس ، والنصوص التى نقلها النحاس معزوة إلى الفراء ، ومعانى القرآن للفراء نفسه .

وأهم لغات القبائل التى ذكرها ، لغة أهل الحجاز [١] ولغة بنى تميم [٢] ، ولغة قيس [٣] ولغة ربيعة [٤] ، ولغة بكر بن وائل [٥] ، ولغة بنى أسد أو بعضهم [٦] ولغة بلحارث بن كعب [٧] ، ولغة هذيل [٨] ، وبنى عامر [٩] والحارث بن أسامة [١٠] وكنانة [١١] وقضاعة [١٢] . ولغة بنى العنبر [١٣] .

ويلاحظ أن أكثر اللغات دوراناً فى كتابه هى لغة أهل الحجاز ولغة تميم وكأنهما توءمان لا يكادان يفترقان .

وأهم القضايا اللغوية التى عالجها هى :

(أ) الامالة والفتح :

ومما يتصل بموضوع الدراسات الصوتية حديثه عن ظاهرتى الإمالة والفتح وموقف القبائل منها [١٤] فى الحديث عن الآية [١٥] الكريمة :

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب ، ٤ : ب

(٢) نفسه ٦٧ : أ ، ١٣١ : أ

(٣) نفسه لوحة ٣ : ب

(٤) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب

(٥) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب

(٦) اعراب القرآن لوحة ٦ : ب

(٧) اعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب

(٨) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

(٩) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب

(١٠) نفسه لوحة ٢ : ب

(١١) اعراب القرآن لوحة ٩ : أ

(١٢) اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب

(١٣) اعراب القرآن لوحة ١٣ : أ

(١٤ـ١٥) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ

« ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . (البقرة آية : ٢٩) .
ذكر أن أهل الحجاز يفخمون وأهل نجد يميلون ـ أى الفعل استوى ـ ليدلوا على أنه من ذوات الياء . والتفخيم معناه الفتح فى اصطلاح القراء[1]، والإمالة عكسه ، فالقبائل التى تميل لا تفتح والتى تفتح لا تميل . وقد مضى الحديث عن الإمالة ... وقد تحدث عن الإمالة وموقف القراء منها ورأيه فى قسم منها أيضاً[2].

(ب) ما يتعلق بالاتبــاع :

فقد لاحظ النحاس ببراعة أن بنى ربيعة يحركون الكسرة إذا كانت بعد مرفوع بالرفع اتباعاً لما قبله . وعلل ذلك بالخفة لأن الضمة مع الضمة أخف على ألسنتهم من الانتقال من ضم إلى كسر فقالوا : « الحمدُ لُله » . ولاحظ أيضاً أن بنى تميم يتبعون الأول الآخر على العكس فيقولون : « الحمدِ لِله » فأما العلة فى الكسرة فإن هذه اللفظة تكثر فى كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما إذا كانت بعده كسرة ، فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شىء واحد والكسرة مع الكسرة أخف .

وهذا النوع من الانسجام والمماثلة بين الأصوات اللغوية نتج عن المجاورة ، وتأثير بعضها فى بعض ، ففى حالة النطق الربعى تأثر الصوت الثانى بالأول فقالوا : « الحمدُ لُله » بدلا من[3] « الحمدِ لِله » فى حالة النطق التميمى ، إذ حدث التأثير بالعكس .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ٢/٩٩
(٢) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ
(٣) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب نفسه لوحة ١٣١ : أ

(ج) ما ينطق بالابدال والقلب :

وقد لاحظ أن بنى تميم وبنى عامر يبدلون من إحدى الميمين ياء فيقولون فى « أما » « أيما » وعلى ذلك ينشد بيت عمر بن أبى ربيعة[1] فى رائيته المشهورة :

رأتْ رجُلاً أيما إذا الشمسُ عارضتْ فيضحى وأيما بالعشىِّ فيخصَرُ

وقد لاحظ أن « هُذَيلا » يقلبون ياء الذين إلى واو فيقولون : « الذون[2] » ومن العرب من يقول الذى للجميع[3] كما قال الشاعر[4] :

إنّ الذى حانَتْ بفَلْج دماؤهُمْ هُمْ القومُ كُلُّ القومِ ياأُمَّ خالدِ

(د) النطق بالاصوات على الاصل :

ومن القضايا الجديرة بالتسجيل نطق بعض القبائل العربية بالأصوات دون إبدال أو إعلال ، بل على الأصل .

وتجرى هذا المجرى لهجة هذيل ولهجة بنى دبير من أسد فينطقون الفعل « قيل » : « قول » ، على الأصل ، لأنه من قال يقول . وقريب منها لهجة كثير من قيس الذين يُشمُّون القافَ الضمَّ ، وإن كانوا ينطقونها بما يشبه « قُيل » ، إلا أن الياء تكاد تختفى عند الإشمام لأن الإشمام معناه « الإشارة إلى الحركة من غير صوت أو أن تجعل الشفتين على صورة الضمة إذا لفظت »[5] ولاحظ أيضاً أن أهل الحجاز وبنى أسد ينطقون (يملل)

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب

(٢–٣) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

(٤) الشاعر هو الاشهب بن رميلة كما فى المنصف ١/٦٧ : « وفيه : فان الذى » . وهو من الطويل . وعلى هذا يكون البيت مخروما على رواية النحاس .

(٥) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ والنشر ٢/١٢١ .

على الأصـــــل وتميم يقلبون اللام ياء فيقولون « يملى » وجاء القرآن بالفتين[١]

(هـ) اتفاق مجموعة قبائل على لغة واحدة :

١ ـ فقد لاحظ اتفاق لغة « هذيل » و « بنى دبير من أسد » فى نطق « (قول) على الأصل .

٢ ـ كما لاحظ أن لغة قيس وربيعة وتميم تتفق على نطق فاء « فعيل » فى مثل رحيم ورغيف وبعير بالكسر ، فى حين ينطقه أهل الحجاز بالفتح متفقين فى ذلك مع بنى سعد[٢] .

٣ ـ ولاحظ لغة قيس وتميم ، قصر « هؤلاء » فعلى لغتهم « هاؤلاء » وله شاهد من شعر « أعشى قيس » أورده النحاس[٣] .

(و) لغـــات نادرة :

اللغات فى « حيث » :

حكى « سيبويه » أن من العرب من يفتحها على كل حال . وقال الكسائى : الضم لغة قيس وكنانة ، والفتح لغة بنى تميم ، وبنو أسد يخفضونها فى موضع الخفض وينصبونها فى موضع النصب[٤] .

فاتقوا النـــار :

لغة تميم وأسد : « فَتَقُوا النَّارَ »[٥]

(١) اعراب القرآن لوحة ٣٠ : ب
(٢) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب
(٣) اعراب القرآن لوحة ٨ : ب
(٤) اعراب القرآن لوحة ٩ : أ
(٥) نفسه لوحة ٧ : أ

الامالة فى «كافر» :

والإمالة فى «كافر» لغة تميم، وهى حسنة لأنه مخفوض والراء بمنزلة حرفين وليس لها حرف مانع والحروف الموانع : الخاء والغين والقاف والصاد والضاد والطاء والظاء[1]

«رسل» بين توالى الضم وتخفيفه :

لغة أهل الحجاز «رُسُل» بضمتين مضافاً كان أو غير مضاف ولغة تميم التخفيف — أى : بتسكين الوسط — مضافاً أو غير مضاف[2] .

عشرة فى «اثنتا عشرة» بين التثقيل والتخفيف :

لغة «بنى» تميم «عشرة» بكسر الشين، وهذا من لغتهم نادر لأن سبيلهم التخفيف، ولغة أهل الحجاز (عشْرة) بالتخفيف وسبيلهم التثقيل[3] .

وهكذا نجد أبا جعفر النحاس قد التزم بمنهجه الذى قرره فى أول الكتاب إذ وعد أن يلتزم بنسبة كل لغة إلى أصحابها إلا حروفاً قليلة لم ينسبها[4] .

٦ — اللغات بين الجواز والمنع :

أما اختلاف العلماء فى إجازة بعض اللغات، ومنع الآخرين لها، فهو قليل التحدث عنه . وإن وعد به . من ذلك قوله: (وواحد الأزواج زوج) قال الأصمعى : ولا تكاد العرب تقول : زوجة : قال الفراء : يقال : زوجة . وأنشد:

---

(١) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ
(٢) نفسه لوحة ١٤ : أ
(٣) نفسه لوحة ١١ : ب
(٤) نفسه لوحة ٥ : أ، ولوحة ٦ : أ

إنَّ الذى يَسْعَى لِيُفْسِدَ زوجتى كساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرى يستبيلها[1]

غير أنه لم يبد رأيه فى هذا الاختلاف اللغوى كما يفعل مع الاختلافات النحوية. لكنه علق على رواية الفراء للبيت فقال: (الرواية: «وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى») [2] فأصلح الخرم، وهو جائز فى «الطويل» [3].

والحق مع الفراء، فإن البيت الذى استشهد به «للفرزدق» وهو من «تميم»، وهم يقولون للمرأة «زوجة»، وأهل الحجاز يضعون للمذكر والمؤنث لفظاً واحداً هو «زوج» [4]، والأصمعى لم يسمع بها فى لغة تميم.

وجهة نظرى فى الكتاب:

(أ) النواحى الايجابية:

١ ـ أهميته:

تنحصر أهمية كتاب إعراب القرآن فيما يأتى:

أولا: أنه مصدر ثر لآراء كثير من اللغويين والنحاة الذين ضاعت بعض كتبهم أو معظمها أو كلها أمثال: الخليل (١٧٠ هـ) ويونس بن حبيب (١٨٣ هـ) والكسائى (١٨٩ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) ومحمد بن ولاد (٢٩٨ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) وعلى بن سليمان الأخفش (٣١٥ هـ) وابن كيسان (٣٢٠ هـ) وغيرهم.

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧ : أ

(٢) اعراب القرآن لوحة ٧ : أ

(٣) الخرم: حذف حرف متحرك من أول كل شعر ابتداؤه حرفان متحركان والثالث ساكن، وذلك فى «فعولن» و «مفاعيلن» و «مفاعلتن» (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ٢٣٧)

(٤) اللسان (زوج) ٣/١١٦

ثانياً : أنه مصدر من مصادر اللهجات العربية ، وكل باحث لا يعتمد هذا الكتاب ولا يرجع إليه وهو يريد استقصاء اللهجات فالبحث ينقصه مصدر مهم .

ثالثاً : أنه مصدر من المصادر الباقية فى نحو القراءات ولغتها وتعليلها . ولهذا يعد كتاب النحاس أول مؤلف وصل إلينا فى تعليل القراءات وشرحها والبسط فى عللها ، بحيث لا يترك قراءة مشهورة أو غير مشهورة إلا نادراً .

٢ ـ أثر اعراب القرآن :

ولذلك صار هذا الكتاب عمدة الباحثين فى إعراب القرآن ولغته ونحوه ، وأشهر الذين ترسموا خطاه فى المنهج والمادة ثلاثة : ـ

أولهم مكى بن أبى طالب القيسى (٤٣٧ هـ) فى كتاب « مشكل إعراب القرآن » فقد أخذ منه كثيراً ، حتى عنوان الكتاب حيث ورد فى عبارة للنحاس . (١)

وقد سبقنى إلى الكشف عن أثر كتاب النحاس فى كتاب مكى باحث معاصر ، حيث قال فى « مقدمة » تحقيقه لكتاب « مشكل إعراب القرآن » : (وقد اتضح لى بعد اطلاعى على كتاب « إعراب القرآن للنحاس » أن « مكياً » تابع النحاس فكل ما أورده « مكى » إنما أورده النحاس قبله ، والردود على الفراء وأبى عبيدة والزجاج وغيرهم هى ردود النحاس نفسها والمصطلحات التى استعملها « مكى » هى مصطلحات النحاس

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ حيث قال النحاس : (وهو موضع مشكل الاعراب) .

أما الشواهد والقراءات فهي هي).[١]

ولكنه مبالغ في ذلك ... لأن « مكياً » له دوره في الكتاب ، وله إضافات وملاحظات كثيرة فاتت النحاس .

وثانيهم : أبو البركات عبد الرحمن الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) فقد أخذ معظم مادته من النحاس وتأثر بمنهجه في كثير من المواضع ولم يشر إليه إلا في مواطن المحاججة والمخالفة .

وسأكشف عن تفاصيل ذلك في الفصل الأخير .

وثالثهم : محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) فقد أخذ كل مادة إعراب القرآن في تفسيره ، من إعراب النحاس ، وكان الرجل أميناً فأشار إلى جل تلك المواضع .

(ب) النواحي السلبية :

أولا — غرابة في الاشتقاق :

يبالغ النحاس أحياناً في توجيه اشتقاق بعض الأسماء إلى درجة يصح أن نسميها تعسفاً اشتقاقياً .... فهو حين يتحدث عن الآية الكريمة : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة » (الأنعام آية ٧٤) ويأتي إلى « آزر » يذكر ما قاله العلماء في تفسير معناه فقال الحسن : كان اسم أبيه آزر ، وقيل كان له اسمان : آزر وتارح . وروى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : بلغني أنها أعوج ، قال وهي أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه . وقال الضحاك : معنى آزر : شيخ .[٢]

ويعقب على هذا ، مبيناً معناه واشتقاقه بقوله[٣] : (ويكون هذا

(٢) مشكل اعراب القرآن /١٤ (من مقدمة المحقق : الاستاذ حاتم الضامن)
(٢ ، ٣) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : ب

مشتقاً من الأزر وهو الظهر ، ولا ينصرف لأنه على أفْعَل ، ويكون بدلا كما يقال : رجل أجوف ، أى : عظيم الجوف ، فكذا « آزر » يكون عظيم الأُزر معوجه) .

والصحيح أن اسم « آزر » أعجمى [1] ، فلا يعامل معاملة الأسماء العربية فى الاشتقاق .

وليس معنى ذلك أن النحاس يتعسف القول فى الاشتقاق دائماً بل له نظرات كثيرة صائبة وتوجيهات سليمة منشورة فى ثنايا كتابه .[2]

ثانيا ـ تعسف فى القول :

وفى أحيان قليلة يرى رأياً يخالف السماع والقياس ويخالف إجماع علماء اللغة ، فحين يتحدث عن الآية الكريمة « وعنده مفاتح الغيب » (الأنعام آية : ٥٩) ، يقول : (ومفاتِح جمع مِفْتَح ، وهذه اللغة الفصيحة ، ويقال : مفتاح وتجمع على مفاتيح [3] وهـذا رأى غريب جداً . فالياء فى مفاتيح جاءت من استطالة الكسرة فى مفاتِح كما جاء فى صياريف ، ودراهم : دراهيم وعليه جاء قول الفرزدق [4] :

تنفى يداها الحَصى فى كل هاجِرةٍ نفىَ الدراهيم تنقاد الصياريف

وقد قال سيبويه فى مفتح : « هذا الضرب ما يعتمل مكسور الأول كانت فيه الهاء أولم تكن والجمع مفاتيح ومفاتح ، وفى الحديث : «أوتيت مفاتيح الكلم » ، وفى رواية « مفاتح » . وهما جمع مفتاح ومفتح : فالمفتح

(١) الجواليقى : المعرب /٦٣
(٢) ينظر اعراب القرآن لوحة ٥ : أ و ٦ : ب
(٣) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : أ
(٤) الكتاب ١/١٠ ، والخصائص ٢/٣١٥ ، والمحتسب ١/٦٩ والخزانة ١/٢٥٥

والمفتاح . واحد[1] وليس واحد منهما أفصح من الآخر لأن الثانى هو الأول والأول هو الثانى .

ويمكن أن يقال إن الألف فى مفتاح تولدت من إطالة فتحة التاء فى مفتح ، وله نظائر فى العربية .[2]

٢ - مؤلفات النحاس حول كتاب سيبويه

(أ) رسالة فى : (إعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية) .

وصف الرسالة وأهميتها :

عنوان هذه الرسالة : (الكلام على تفصيل إعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية) .

والرسالة مخطوطة ضمن مجموعة فى مكتبة شهيد على باشا بتركيا (تحت رقم ٢٧٤٠) تبدأ بالورقة ٢٧ أ . وتنتهى بالورقة ٣٠ ب .

يقول فى أولها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد ، وسلم تسليما دائما ، قال أبو جعفر ...) .

ولها أهمية كبيرة وذلك :

١ — لأنها تمثل منهج النحاس فى بسط المسائل النحوية وطابعها هو الطابع العقلى ذو الاحتمالات المتعددة ، ولا غرابة فى ذلك ، فالنحاس صاحب « نظرية الاحتمالات النحوية » ، التى بسطنا فيها القول فى موضع آخر .

---

(١) اللسان (فتح) ٣/٣٧٠ (والظاهر أن الحديث عن اسم الآلة مثل مسحاة ومفتاح .)

(٢) المحتسب ١/٦٩

وعندما رجعت إلى شرح كتاب سيبويه ، للسيرافى (ت ٣٦٨ هـ) ، وقرأت شرحه لقول سيبويه الذى شرحه النحاس بهذه الرسالة ، وجدته قد أوصل احتمالات وجوه الإعراب إلى خمسة عشر احتمالا [١]. أما النحاس فقد أوصلها إلى بضعة وأربعين احتمالا .

٢ — لأنها تشير إلى حقائق لا تذكرها كتب التراجم ، إذ تنص على أن لمحمد بن ولاد شرحاً لقول سيبويه : « هـذا باب علم ما الكلم من العربية » وكان قد أملاه وسمعه منه النحاس ، وتنص على أن لابن كيسان شرحاً مماثلا سمعه النحاس أيضاً وكذا للزجاج فى حين لا تذكر كتب التراجم مثل هذه الكتب لهم . ولا تذكر تلمذة النحاس لابن كيسان ، وإن ذكرتها للآخرين .

منهج الرسالة :

١ — احكام البنـاء اللغوى :

يبين النحاس فى أول هذه الرسالة أنه أملاها مرتين : الأولى : بصورة موجزة وأخذ شرحها عن أستاذيه أبى إسحاق الزجاج وابن كيسان لأنهما « أجل من رأى من النحويين » [٢] ، ثم أملاها مرة أخرى بعد ما سُئِل عن تفصيل إعراب قول سيبويه ... وهذه هى الصورة الأخيرة . وفى المرة الأولى أملاها من حفظه وفى الأخرى أملاها من صحيفة مكتوبة كما يؤخذ من عبارته وأسلوب الرسالة محكم البناء وضعت كل كلمة فيه فى موضعها تماماً . بحيث لا يمكن أن تسقط من الرسالة كلمة واحدة .

---

(١) السيرافى : شرح كتاب سيبويه م ٦/١ (نسخة جامعة القاهرة المصورة)

(٢) الرسالة ٢ ورقة ٢٧ : أ

٢ – بيــان الاقتباسـات :

ويوضح النحاس الاقتباسات التى أخذها من غيره . فقد أخذه من أستاذه محمد بن ولاد وجهين فقال : (قال محمد بن الوليد : إن شئت قلت : هذا باب علم ما الكلم ، قال : وإن شئت قلت : هذا باب علمِ ما الكلم ، فتجعل « العلم » بدلا من الباب ، و « ما » بدلا من العلم ، فهذان وجهان) وأخذ عن أستاذه ابن كيسان نقلا عن المبرد قوله : (الذى أختار : هذا باب علمٍ ما الكلم ، تنون علماً وتجعل « ما » استفهاماً والكلم خبر « ما » ، ويوقع العلم على الجملة كأنه قال : أن تعلم أى شىء الكلم) :[(١)]

٣ – بيــان الاحتمالات :

وتتجلى فى هذه الرسالة قمة نظرية الاحتمالات النحوية بحيث يجوز فى مثل هذه العبارة (هذا باب علم ما الكلم من العربية) ، بضعة وأربعون وجها من وجوه الإعراب وليس هذا فحسب ، بل الوجوه تولد وجوها كأن الأمر عملية حسابية ، فبعد أن بين أن الكلام على « ما » من ثلاثة أوجه : (أحدها أن تكون استفهاماً ، والثانى أن تكون بمعنى الذى والوجه الثالث أن تكون « ما » صلة[(٢)] ، قال : (فهذه ثلاثة أوجه ، ولك أن تنوّن العِلْمَ وألا تنونه فى كل واحد من هذه الثلاثة الأوجه ، فصارت ستة أوجه ، ولك أن تجعل العلم إذا نونته مخفوضاً بمعنى أن يَعْلَمَ – على مالم يُسم فاعله مع تصريف « ما » على الأوجه الثلاثة ، فتصير مع الستة المتقدمة تسعة ، وهذه التسعة كلها على أن الباب فيها مرفوع مضاف إلى العلم . ولك فى الباب أن يكون مضموماً منوناً وغير منون ، ولك فيه أن يكون

(١) الرسالة ، ورقة ٢٨ : أ

(٢) تاريخ علماء الاندلس ٣٣٢/١

مفتوحاً منوناً بمعنى الحال . فصارت على تصريف وجوه « ما » « والعلم » ثمانية عشر وجهاً متولدة . وذلك أنك تضرب الثلاثة الأوجه الأولى فى الثلاثة الثانية فتصير تسعة ، ثم تضرب التسعة فى الثلاثة الأوجه الأخيرة فتصير سبعة وعشرين ...) .

٤ ـ قلة الشواهد :

ولهذا قلت الشواهد عنده وندرت ندرة كبيرة حيث استشهد بشطرين كل شطر فى موضع . وهذا أمر طبيعى لأن العربية لا يمكن أن تحتمل كل هذه الوجوه .

ولذلك يمكننى أن أقول مطمئنا : إنّ جملة من هذه الوجوه ما هى إلا مجرد احتمالات عقلية وتمحلات منطقية بعيدة عن واقع الأسلوب اللغوى العام ومنهج العربية فى نصوصها الفصيحة ، وهى وإن دلت على براعة النحاس العقلية ودقته المنطقية ، فإن اللغة شىء والمنطق شىء آخر .

(ب) شرح أبيات سيبويه :

وصفه :

توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة واحدة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا . (رقمها ٤ ٨٤ أ ، ٢٦٣٥) ، فى (١٠٩) أوراق : منها مصورة بمعهد المخطوطات رقمها ٥٧ نحو) .

وقد ذكره ابن خير وسماه : « كتاب الأبيات لسيبويه »(١) ثم

---

(١) فهرسة ابن خير /٣١٢

ابن خير [١] ، وسماه « تفسير أبيات سيبويه » وكذا سماه القفطى [٢] ، وسماه ابن خلكان : « شرح أبيات سيبويه [٣] » وكذا سماه البغدادى [٤] . وسماه كل من الصفدى [٥] والسيوطى [٦] : شرح أبيات الكتاب . وسماه حاجى خليفة [٧] شرح شواهد كتاب سيبويه ، وكلها معانى متقاربة ، غير أنى التزمت بعنوان المخطوطة الذى يوافق تسمية ابن خلكان والبغدادى .

وقد جعله النحاس أبواباً ابتدأه بباب « ما حذف منه اضطراراً لتصحيح الوزن وإقامة القافية [٨] » . وآخره « باب التصريف والإدغام » [٩] ومجموع هذه الأبواب (٩٣) باباً كما ذكر محقق كتاب « شرح القصائد التسع » [١٠] . وليست تسعين كما ذكر الدكتور عبد الله درويش فى مقاله عن النحاس . [١١]

منهجـه :

وقد رتب الأبواب ترتيباً يختلف عن ترتيب كتاب سيبويه ، وبين فى المقدمة المخطوط العريضة لمنهجه كما عودنا ، فقال : « جملة أبيات سيبويه مما جمعه من الخليل بن أحمد وأبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب ،

(١ ، ٢) تاريخ علماء الاندلس ١/٣٣٢

(٢) انباه الرواة ١/١٠١

(٣) وفيات الاعيان ١/٨٢

(٤) خزانة الادب ١/٧٦ ، ١١٨

(٥) الوافى بالوفيات ٧/٣٦٢

(٦) بغية الوعاة ١/٣٦٢

(٧) كشف الظنون ١٤٢٧

(٨) شرح أبيات سيبويه ورقة ٢ : أ

(٩) نفسه ورقة ١٠٩ : أ (وبها ينتهى الكتاب)

(١٠) شرح القصائد التسع ٢٢/١ (تحقيق أحمد خطاب)

(١١) د· عبد الله درويش : أبو جعفر النحاس (مقال منشور بمجلة كلية الشريعة ببغداد العدد الثالث سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) صفحات ١٥٦ ـ ١٧٦

وأبى الخطاب الأخفش وغيرهم ، ألف وخمسون بيتاً منها خمسون غير معروفة ، وسأوجز في شرح معانيها وحل مشكلاتها ولا أخِلُّ بمُبهمٍ من إعرابها وأقسمها أبواباً ليأتلف نظمها ويقرب فهمها ، والله المرشد للصواب .

١ – حقيقة الايجاز في شرح المعاني :

أما الإيجاز في المعاني فيريد به الغريب ، ومعنى البيت العام إن وجد فيه غموضاً وأحياناً يشرح منه موضع الغموض دون غيره .

ففي باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر. قال الشاعر:(١)

وأغفِرُ عوراءَ الكريم ادخارَهُ وأعرِضُ عن شتمِ اللئيم تكرُّما

وقال آخر :

فَفرتُ منهم والأحبة وَسْطَهُمْ طمعاً لهم بعقاب يوم مُفْسِدِ

وقال الراجز :

تركبت كلَّ عاقرٍ جمهور مخافةً وزعلِ المحبور

فعقب النحاس على الأول بقوله : (كأنه قال : فعلت هذا لادخاره)

وعقب على الثاني بقوله : (كأنه قال لطمع فحذف اللام ونصب) .

وعقب على الثالث بقوله : (الزعل : النشاط . والزعل : الرحل ، كأنه قال : تركب مخافة ، أي : لمخافة ، فلما حذف اللام نصب ») .

٢ – جمع الشواهد المتماثلة :

أما المشكلات التي تناولها فهي لغوية ونحوية ، لكنه أشار إلى الإعرابية منها تغليباً ، ومنهجه في ذلك قائم على أساس إيراد مجموعة

---

(١) شرح أبيات سيبويه ورقة ٥٣

الشواهد التي تخدم قضية نحوية أو لغوية واحدة ، وهو في سبيل ذلك ينقل شاهداً من باب آخر من كتاب سيبويه ، ليضمه إلى ما يشابهه من الشواهد ، ومن أجل ذلك يترك بعض الشواهد التي لا تخدم غرضه .(١)

ومن الأبواب النحوية التي نوردها مثلا لذلك هو : « باب ما ينتصب على التعظيم » قال النحاس : (وما ينتصب على التعظيم قوله :

ولكنني استبقيتُ أعراضَ مازن　　وأيامُنا من مُستضيء ومُظلِم

أُناساً بثغر لا تزال رماحهم　　شوارعَ من غير العشيرة بالدَّم

وحجته أنه نصب « أناساً » قال : « أعنى أناساً » .

ومن التعظيم قول الشاعر :(٢)

ولم أر ليلى بعد يوم تعرضت　　له بين أبواب الطراف من الأدم

كلابيـة وبرية حبـترية　　نأتك وخانت بالمواعيد والذمم

أناساً عدى علقت فيهم وليتني　　طلبت الهوى في رأس ذي زلق أشم

فهذا كله وما أشبهه من الشتم والمدح . نصبه على إضمار فعل . وقال :

ضننت بنفسي حقبة ثم أصبحت　　لبنت عطاء بينها وجميعها

ضبابية مرية حابسيـة　　. . . . .

كأنه قال أعنى هذا فنصبه على التعظيم) .

ومن الأمثلة اللغوية على مراعاة جمع الشواهد في المشكلة الواحدة هو « باب إبدال الحروف لقرب مخرجها »،(٣) حيث ابتدأه بقول الراجز :

---

(١) د. عبد الله درويش : مقاله : ابو جعفر النحاس / ١٦٩

(٢) ينظر كتاب سيبويه ١/ ٢٨٨ ـ ٨٩ .

(٣) شرح أبيات سيبويه ورقة ١٠٦ : ب وينظر كتاب سيبويه ٢/ ٤٧٥ ، ١/ ٤٧٥ ، ٢/ ٢٧٩

(يا أيُّها الناسُ ألا هَلُمَّهْ) وعقب عليه بقوله : أدخل الهاء لحركة الميم إنه لا يوقف على متحرك » .

ثم أورد قول الشاعر (١) :

وَيَقُلْنَ شيبٌ قد علا كَ ، وقد كَبِرْتَ فقلتُ : إنّه

وقال بعده : أدخل الهاء للحركة وإنما هو : إنّ ، أى : نعم .

ومن الأمثلة التى أوردها هو قول رجل لعبد الله بن الزبير : « لعن الله ناقة حملتنى إليك . وقول ابن الزبير له : إن وصاحبها » يريد نعم وصاحبها .

ويلاحظ أن الأمثلة النثرية التى يوردها نادرة .

وأورد بعد هذا قول الشاعر (٢) :

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عجبُهْ مِن عَنَزِىٍّ سَبَّنى لم أضْرِبُهْ

وعقب عليه بقوله : « فحرك الباء لالتقاء الساكنين كما وقف على الهاء »

ومن أنواع الإبدال الطريقة التى أوردها ، قول الراجز :

خالى عويفٌ وأبو علجّ المطعمان الشحمَ بالعشجّ

حيث أبدل الياء جيما لقرب المخرج ، « لما أراد تبيين الياء لأنها خفية » وهى قريبة المخرج منه فى قولك : على وعشى » .

ولكن يلاحظ أن العنوان لا يكاد يتفق مع ما تحته من شرح وأمثلة ، فالحديث عن الوقف وإبدال الحروف معاً ، وليس عن الإبدال فقط ،

---

(١) شرح أبيات سيبويه ورقة ١٠٦ : ب وينظر كتاب سيبويه ٢/٤٧٥ ، ٢/٢٧٩

(٢) شرح المفصل ١٠/٥٠

ويمكن أن نبرر هذا الوقف ، بأن هذا النوع من الإبدال يجرى فيه الوصل مجرى الوقف . بدليل ما أورده ابن يعيش[1] فى باب الإبدال حيث قال : « وقد أجرى الوصل مجـــرى الوقف من قال : (خالى عويف وأبو عاج ... إلخ) » .

وقد تحدث اللغويون عن هذا النوع من الأصوات اللغوية منذ عهد مبكر فى تاريخ البحث اللغوى ، فقد نُقِل عن أبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) أنه قال : « قلت لحنظلى : ممن الرجل ؟ فقال : فقيمج . يريد فقيميا . فقلت : مِنْ أيِّهم ؟ فقال : مُرِّج يريد مريا . وقد قرر هـذا الإمام أنهم يقلبون الياء الخفيفة جيما أيضاً[2] أما تلميذه الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) فيقرر أن كل ياء مشددة للنسبة وغيرها ، فإن بعض العرب يقلبها جيما[3] وأنشد عن خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) :

خالى عويفٌ وأبو عَلِجّ (الرجز)

وقد خص الفراء قلب الياء الخفيفة جيما ببنى دبير من بنى أسد[4] وأنشد لهميان بن قحافة :

* يطير عنها الوبر الصهابجا *

يريد الصهابى من الصهبة . ويقولون : هذا غلامج يريدون : غلامى ، وهذه دارج ، يريدون : دارى .

ولـكن هل كان النحاس غافلا عن هـذه المعلومات التى سبقته وهو العالم المتتبع الدقيق والجواب : أن لا ... ولـكن لكل مقام مقال . . .

---

(١) شرح المفصل : ١/ ٥٠

(٢) أبو الطيب اللغوى : كتاب الابدال ١/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

(٣) كتاب الابدال ١/ ٢٥٧ — ٢٥٩

(٤) كتاب الابدال ١/ ٢٥٧ — ٢٦٠

٣ – موقفه من الخلافات النحوية بين سيبويه ومخالفيه :

يبدو أن النحاس قد تجنب الخوض فى هذه الخلافات فى هذا الكتاب وفى الرسالة ، لأنه قد تناول كثيراً منها فى كتابه «شرح القصائد التسع»[١] ، كما أنه خصص كتاباً كاملا للخلافات النحوية وهو « المُقْنِعُ فى اختلاف الكوفيين والبصريين » وإن كان الكتاب الأخير مفقوداً ، فإنه من غير المعقول أن يترك آراء سيبويه ومخالفيه ، فى مثل هذا المكان .. وهو يتناول مثل هذا الموضوع ... ويظهر لى أن جميع آراء من ينسبون إلى المدرستين ، والتى تناولها فى كتاب « شرح القصائد التسع » [٢] قد تضمنها كتاب « المقنع » ، وإلا فماذا تضمن ؟ أما ما يقوله د . عبد الله درويش وهو يشرح منهج النحاس فى كتابه « شرح أبيات سيبويه » : (كان لا يكتفى بعرض آراء سيبويه ، بل كان يذكر آراء العلماء فى القضية النحوية ليمحصها ويرجح منها ما يراه)[٣] ، فلا أراه إلا وهماً ، لأن ما قاله ليس له وجود فى « شرح أبيات سيبويه »

٤ – موقفه من الشواهد ونسبتها :

أما الشواهد فإنه غالباً ما يهمل نسبتها ، ولا يذكر من أسماء شعرائها إلا قليلا ..

أما سبب إهماله نسبة الشواهد فيرجع إلى أن أكثرها منسوب فى كتاب سيبويه .

---

(٥) شرح القصائد التسع ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ـ ١٥٠ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٣٤٦

(١) شرح القصائد التسع ١٣٩ ، ١٨٦ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، ٣٦٨ ، ٥١١ ، ٥٨٤ ، ٦٤٣ ، ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ، ٧٣٩ (حيث أشار الى كثير من الخلافات)

(٢) أبو جعفر النحاس ١٦٥ (المقال المشار اليه سابقا)

اهمية شرح أبيات سيبويه :

يبدو أن هذا الكتاب أول مؤلف تناول أبيات سيبويه بالشرح والتفسير ، وجمع الأشباه والنظائر بعضها إلى بعض ، وأزال ما وقع فيه من غموض ، بالإضافة إلى بساطة الأسلوب وبعده عن التعقيدات اللفظية والفكرية . وهذه الصفات تؤهله لأن يكون فى متناول يد الطلاب ينهلون منه ، صحيح أن المبرد [١] والزجاج [٢] قد سبقاه إلى الموضوع ، ولكن الظاهر أن كتابه نال إعجاب الأجيال التى جاءت بعدهم . فقد قال عنه القفطى : (لم يسبق إلى مثله وكل من جاء بعده استمد منه) [٣] وقال عنه فى موضع آخر : « فيه علم كثير طائل جليل » [٤]... ومما يؤيد هذه العبارات اعتماد جماعة من العلماء « الذين يعتد بهم فى ميدانى اللغة والنحو » على كتاب النحاس المذكور ، فقد استمد من مادته الرضى [٥] الأسترابادى (٦٨٤ هـ) ، والإمام النحوى ابن [٦] هشام (٧٦١ هـ) ، والبغدادى (١٠٩٣) والأخير اقتبس منه ما يقرب عن مائة مرة فى أجزاء الخزانة الأربعة ... فأى كتاب مهم هذا ؟؟

(ج) شرح كتاب سيبويه :

وهذا الكتاب من مؤلفات النحاس المفقودة . وقد ذكر ابن خير الإشبيلى (٥٧٥ هـ) وتفرد بذلك [٧] .

---

(١) إنباه الرواة ٣/٢٥٢ وبغية الوعاة ١/٢٧٠
(٢) نباه الرواة ١/١٦٦
(٣) انباه الرواة ١/١٠١
(٤) انباه الرواة ١/١٠٣
(٥) خزانة الادب ١/٣٠٠
(٦) خزانة الادب ١/١٥٢
(٧) فهرسة ابن خير /١٣٢

غير أن المعلومات التي تأتي في صدر كتاب سيبويه برواية الرّباحي (ت ٣٥٨ هـ) ، تلميذ النحاس ، توحي بأنها بقايا من كتاب النحاس ، فهي مروية مباشرة عنه...[1] وهي معلومات مهمة لأنها تتناول قيمة كتاب سيبويه من وجهة نظر كثير من النحاة واللغويين . أمثال الجَرمي والمبرد والزجاج وابن شُقَير وابن كيسان وأحمد بن رستم الطبري ، وقد اعتمدها البغدادي [2] ونسبها إلى النحاس مباشرة ولم ينسب شيئاً منها إلى غيره ، مع بُعد الشقة الزمنية بينهما حيث تزيد على سبعمائة سنة (من ٣٣٨ - ١٠٩٣هـ) وهـذا يدل دلالة واضحة على أنه لا يوجد كتاب آخر نقل مثل هـذه المعلومات خلال تلك الفترة الطويلة ، أليس هذا دليلا كافياً على أنها قد ضُمِّنَتْ « شرحَ كتاب سيبويه » ، للنحاس ؟

وأهم من هذا دلالةً ، تلك المعلومات الدالة على مدى أصالة سيبويه فإذا أضفنا إليها ماجاء في مقدمة « شرح أبيات سيبويه ، بدا لنا النحاس وقد وضع سيبويه في « ميزان الاعتدال » .

ولكن كيف كان ذلك ؟

سيبويه في ميزان « النحاس » :

وقف النحاة واللغويون موقفين مختلفين من كتاب سيبويه وكأنهما على طرفي نقيض : فمنهم الذي مدحه حتى لم يجعل لأحد بعده فضلا ومن هؤلاء الزجاج الذي نقل عنه النحاس قوله :« إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة »[3].

---

(١) كتاب سيبويه ١/٥ - ٩ (ط . هارون)

(٢) خزانة الادب ١/١٧٩ - ١٨٠

(٣) كتاب سيبويه ١/٧ (ط . هارون) والخزانة ١/١٧٩

وفى هذا القول إهدار لقيمة الأفذاد الذين أخذ عنهم سيبويه علمه ولا سيما أبو عمرو بن العلاء والخليل ، وناهيك بهما .

ومنهم من حاول أن يمحو كل حسنة له ، ويخطئه بالحق والباطل وخير الأمثلة على ذلك « المبرد » فى كتابه مسائل الغلط ، فهو وإن كان محقاً فى قسم كبير من تلك المسائل إلا أنه كان مجانباً للصواب فى جزء منها . . . ويوضع فى الجانب المقابل « ابن ولاد » الذى بالغ فى الدفاع عن سيبويه والرد على المبرد فى كتابه « الانتصار » حتى رمى المبرد بالشناعة وغيرها من الألفاظ .

والفريق الآخر هو فريق الاعتدال وقليل ماهُمْ ، ومن هؤلاء الأخفش والجرمى والنحاس .

أما الأخفش (ت ٢١٥ هـ) فهو تلميذ سيبويه وعنه روى الكتاب[(١)]، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمى وأبو عثمان المازنى[(٢)] لكنه مع ذلك فقد جعل الكتاب إحياءً لعلم الخليل .[(٣)]

أما الجرمى (صالح بن إسحاق المتوفى ٢٢٥ هـ) ، فإنه قرأ الكتاب على الأخفش[(٤)] ، ولم يلق سيبويه ، ومع ذلك فقد خدم الكتاب فنسب مجموعة من شواهده وألف كتاب « غريب سيبويه »[(٥)] وقد صرح بأن سيبويه أخذ إنشاد شواهده عن الخليل ويونس وغيرهما من شيوخه[(٦)] .

أما موقف النحاس فهو ذو جانب واحد كما رأينا عند المبرد وابن ولاد

(١ ، ٢) الفهرست ٧٨ ٠٠ نور القبس /٥ والبغية ١/ ٩٠

(٣) كتاب سيبويه ١/٨ (ط ٠ هارون)

(٤ ، ٥) تاريخ بغداد ٩/٣١٣ ـ ٣١٥

(٦) كتاب سيبويه ١/٩ (ط ٠ هارون) والخزانة ١/١٧٨

والأخفش بل هو ذو جانبين : فهو يعتمد عليه كثيراً فى مجموعة من كتبه ثم يبدى تقويماً دقيقاً للكتاب ...

أما الاعتماد على آرائه فقد تخلل جميع مؤلفاته المهمة وهى : إعراب القرآن (١) ، وشرح القصائد التسع (٢) ، والقطع والائتناف (٣) ، ومعانى القرآن (٤) والناسخ والمنسوخ فى القرآن ، (٥) وهذا هو الجانب الأول .
أما الجانب الآخر فهو يبدو فى مقدمة (شرح أبيات سيبويه) له ، حيث شكك فى أصالة سيبويه ، فيقول فى المقدمة « جملة أبيات كتاب سيبويه مما جمعه من الخليل بن أحمد وأبى عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وأبى الخطاب الأخفش وغيرهم ألف وخمسون بيتاً منها خمسون غير معروفة» (٦) .
وفى هذه المقدمة أول إشارة من النحاس إلى التشكيك فى أصالة سيبويه .
فإذا كانت كل شواهده ليست له ، والشواهد لا تتعرى عن مضامينها ومسائلها ، فماذا قد بقى له ؟ .

وليس هذا فحسب ، بل روايته فى « شرح كتاب سيبويه » ما يراه بعض العلماء أن كتاب سيبويه هو فى جملته من علم الخليل (٧) ما توحى بشىء خطير جداً ، هو أن النحاس وقف من هذا الكتاب أعدل المواقف فاعتمد عليه من جانب ، وبين حقيقة ما فيه من علم ، فكأنه يريد أن يقول لنا أن سيبويه جمع الكتاب من أفواه العلماء أمثال أبى عمرو

---

(١) اعراب القرآن ورقة ٢
(٢) شرح القصائد التسع ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٥١١
(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٤٤ : أ
(٤) معانى القرآن ورقة ١ : ب
(٥) الناسخ والمنسوخ فى القرآن ٦٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٢
(٦) شرح أبيات سيبويه ورقة ٢ : أ
(٧) كتاب سيبويه ١/٨ (ط . هارون)

والخليل وأبى الخطاب الأخفش وغيرهم ، وليس له فيه إلا التنظيم والتبويب وقليل من الآراء .

وبهذا يكون النحاس أول من شكك فى أصالة « سيبويه » .

أما إشارته - فى المقدمة - إلى أن خمسين بيتاً غير معروفة النسبة فقد أثبت الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب أنها أسطورة ، إذ وجد أن أبيات الكتاب التى لم تنسب إلى قائل معين تزيد على (٣٤٠) بيتاً (١)

وقد نسب « الأعلم » (٥٧) موضعاً عند شرحه كتاب سيبويه .

ونسب الأستاذ عبد السلام هارون مجموعة من الأبيات حين نشر أجزاء من « الكتاب » .

واهتدى الأستاذ أحمد راتب النفاخ إلى نسبة جملة من أبياته عندما نشر فهرس شواهده .

وبلغ جملة ما اهتدى إلى نسبته الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب (١٦٧) موضعاً (٢) .

ويبقى بعد ذلك (١٠٣) مواضع لم ينسب فيها الشعر إلى قائل معين (٣) .

٣ - التفاحة فى النحو :

(أ) وصــــفه :

كتاب مختصر فى النحو .. . . فى حدود خمس عشرة صفحة من القطع المتوسط وأسلوبه مبسط بعيد عن التعقيد المألوف فى كتب النحو المعروفة قبله وفى عصره مثل كتاب سيبويه والمقتضب وأصول النحو لابن السراج

(١ ، ٣) أسطورة الابيات الخمسين فى كتاب سيبويه/٤

(٣١٦ هـ) كما أنه بعيد عن الخلافات النحوية التى بسطها فى كتابه شرح القصائد التسع وخصص لها كتابه « المقنع » ، ولعله جاء تلبية لحاجة الناشىء الذى يتعلم النحو ومبادئه ، كما أن الدافع إلى هـذا الاختصار والتبسيط يفسره بوضوح ما سجله النحاس فى « صناعة الكتاب » من إدبار الناس عن تعلم النحو ، بل الطعن على متعلميه[1] : « وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمى العربية جهلاً وتعدياً حتى إنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة[2] قال : النحو أوله شغل وآخره بغى . . . قال - وهذا كلام لامعنى له ، لأن أول الفقه شغل ، وأول الحساب شغل وكذا أوائل العلوم ، أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل .. . ثم يقول بعد كلام طويل : « وقد كان الكتاب - فيما مضى - أرغب الناس فى علم النحو وأكثرهم تعظيما للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحق هذا الاسم ، فصَعُب عليه باب العدد ، فعابوا من أعرب الحساب[3] ، وبعدت عليهم معرفة الهمزة التى ينضم وينفتح ما قبلها أو تختلف حركتها وحركة ماقبلها ، فيكتبون : يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها » .

فهو يعلل سبب كراهية أكثر الناس للنحو ومتعلميه بصعوبته ، وهى نغمة ما زالت قوية الصدى بين أكثرهم ...

---

(١) نصوص باقية من صناعة الكتاب ، النص رقم : ٣

(٢) القاسم بن مخيمرة التابعى الامام ، أبو عروة الهمدانى الكوفى نزيل دمشق حدث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وحدث عنه الاوزاعى وغيره وثقة يحيى بن معين ، وتوفى (١١١ هـ) . (انظر الذهبى : تاريخ الاسلام ٢٩٤/٤ وتذكرة الحفاظ ١٢٢/١)

(٣) اعراب الحساب أو اعراب العدد : (أن تراعى قواعد العدد والمعدود من حيث التذكير والتأنيث ، والبناء مع ملاحظة تمييز العدد فى حالتى النصب والجر (انظر : نصوص باقية من صناعة الكتاب - مجلة المورد عدد سنة ١٩٧٣ ص ٢٠٤)

غير أن باحثاً معاصراً[1] استنتج من نص النحاس استنتاجاً غريباً فقال: « يبدو أنه كان فى عصر النحاس ـ وربما من قبله ـ حركة قوية بين المستعمربين أو غير العرب ضد اللغة العربية ومن يتكلمونها أو يتعلمونها ». والفرق واضح وكبير بين النص والاستنتاج ... لأن النحاس لا يعنى غير العرب أو المستعربين وإنما قال أكثر الناس ولا شك أن قسما كبيراً من هؤلاء عرب ومسلمون بدليل أنهم يحتجون بالإمام التابعى القاسم بن مخيمرة (ت ١١١ هـ) كما أن منهم فريقاً من الكتاب الذى صعب عليهم مراعاة العدد والمعدود من حيث التذكير والتأنيث والبناء والإعراب وملاحظة تمييز العدد ، وصعب عليهم هجاء الهمزة وكتابتها ، ومن جهل شيئاً عاداه ...

فالظاهر أن الكتاب وضع مراعياً هذه الظروف الثقافية المعادية لتعلم النحو فلا عجب أن يأتى مبسطاً بعيداً عن التعقيد والخلاف النحوى المعروف ، وفى عنوان الكتاب « التفاحة » ، ما يبرر مثل هذا . . . فكأنه قصد هذا العنوان قصداً وأراده عمداً ليجذب به النفوس النافرة ويرغب فى النحو نفوساً قالية .. . . وفى التفاحة خصال : جمال المنظر ولذة الطعم ، وسهولة الهضم وعظم الفائدة ولعله أراد أن يوحى بكل هذه الخصال وهو يقدم هذا الكتاب لمواطنيه من الكتاب والمتعلمين .

ولعل سائلا يقول : فلماذا ألف كتبه الأخرى فى النحو أمثال « الكافى » و « المقنع » ، وإعراب القرآن . . . ؟

إن قسما من هذه الكتب ألفت استجابة لدواعى الطلاب الوافدين من الأندلس والمغرب وصقلية ، وهم متعطشون إلى علوم العربية بدليل أن

---

(١) د. أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ، ص ٧٦ .

أكثر تلامذة النحاس كانوا من أهل الأندلس وصقلية وجلهم من علية الناس أو فطاحل العلماء أمثال : قاضى القضاة المنذر بن سعيد البلوطى (ت ٣٥٥ هـ) ومحمد بن يحيى الرباحى (٣٥٨ هـ) ومحمد بن مفرج القرطبى المَعافرى (ت ٣٧١ هـ) ومحمد بن خراسان النحوى الصقلى (ت ٣٨٦ هـ) وعبد السلام بن السمح الهوارى (ت ٣٨٧ هـ) وغيرهم ...

(ب) موضــوعاته :

كتاب « التفاحة » مقسم إلى (٢٧) باباً هى :

١ ـ باب أقسام العربية .

٢ ـ باب الإعراب .

٣ ـ باب رفع الاثنين والجمع .

٤ ـ باب أقسام الفعل .

٥ ـ باب الفاعل والمفعول به .

٦ ـ باب الابتداء .

٧ ـ باب حروف الخفض .

٨ ـ باب الحروف التى تنصب الأسماء وترفع الأخبار .

٩ ـ باب الحروف التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار .

١٠ ـ باب الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة .

١١ ـ باب الجواب بالفاء .

١٢ ـ باب الحروف التى تجزم الأفعال المستقبلة .

١٣ ـ باب حروف الرفع .

١٤ ـ باب المفعول الذى لم يسم فاعله .

١٥ ـ باب المعرفة والنكرة .

١٦ ـ باب ما يتبع الاسم فى إعرابه :

« باب النعت ، وباب العطف ، وباب التوكيد ، وباب البدل» .

١٧ ـ باب الحال .

١٨ ـ باب الظروف .

١٩ ـ باب الإغراء والتحذير .

٢٠ ـ باب التفسير (التمييز) .

٢١ ـ باب التعجب .

٢٢ ـ باب النداء .

٢٣ ـ باب العدد .

٢٤ ـ باب حروف الاستثناء .

٢٥ ـ باب علامات التأنيث .

٢٦ ـ باب ألفات الوصل فى أوائل الأسماء .

٢٧ ـ باب الأسماء التى لا تنصرف .

(جـ) منهجــه :

أولا ـ البساطة الاسلوبية :

منهج الكتاب قائم على أساس أسلوبى بسيط جداً ، بعيد عن التعقيد والتعليل فهو يعتمد على أسهل أساليب العرض النحوى مراعياً فى ذلك الاهتمام بوضوح العبارة المؤدية إلى الغرض ، بعيداً عن الاستشهادات المختلفة بالشعر وغيره وقد ابتعد أيضاً عن اختلاف الروايات للشاهد الواحد حيث بسط ذلك فى كتبه الأخرى (١) . وكل الأمثلة فى كتاب التفاحة هى

---

(١) ينظر كتابه : شرح القصائد التسع ١٣٨ ، ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٧ ، ٥٦٣٠ ٦٣٠

أمثلة صناعية ، فى باب الإعراب يقول : « اعلم أن الإعراب على أربعة أوجه : على الرفع والنصب والجر والجزم . فالرفع والنصب مشترك فيهما الأسماء والأفعال والخفض للأسماء خاصة دون الأفعال والجزم للأفعال خاصة دون الأسماء فإعراب الأسماء : رفع ونصب وخفض ولا جزم فيها . وإعراب الأفعال : رفع ونصب وجزم ولا خفض فيها .. ورفع الاسم الواحد بالضمة ونصبه بالفتحة وخفضه بالكسرة . تقول فى الرفع زيد وعمرو وبكر وتقول فى النصب زيداً وعمراً وبكراً ، علامة الرفع فى هذه الأسماء ضم آخرها ، وعلامة النصب فتح آخرها وعلامة الخفض كسر آخرها »[(١)] .

أما الأسماء الخمسة فهى معتلة ملازمة للإضافة ، ورفعها بالواو ونصبها بالألف وخفضها بالياء وهى : أبوك وأخوك وحموك وفوك وذو مال .. والنصب : أباك وأخاك وحماك وفاك وذا مال ، والخفض : أبيك وأخيك وحميك وفيك وذى مال[(٢)] .

ثانيا — الاهتمام بالظاهرة الإعرابية :

والنحاس يهتم فى هذا الكتاب بظاهرة الإعراب اهتماماً كبيراً ، تاركاً كل متعلقات الجملة الأخرى ، ولا يهتم بغير الإعراب إلا نادراً .. وأعنى بالظواهر الإعرابية : الرفع والنصب والخفض والجزم وما ينوب عنها ، ليس فى التفصيلات فحسب بل فى العناوين العامة والخطوط العريضة للكتاب .. فنجد عنده باباً بعنوان « باب رفع الاثنين والجمع » وآخر بعنوان حروف الخفض وباباً بعنوان : « الحروف التى تنصب الأسماء وترفع الأخبار » ، وآخر بعنوان « الحروف التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار » . ونجد فى

(١ ، ٢) كتاب التفاحة / ١٠٤ .

الكتاب باباً يلى هذه الأبواب مباشرة هو : « باب الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة » ، وبعد ذلك بباب يطالعنا « باب الحروف التى تجزم الأفعال المستقبلة » ، وبعده مباشرة : « باب حروف الرفع » .

وهذا يبدو اهتمام النحاس بهذه الظواهر بحيث تأخذ من الكتاب كل هذه العناوين .

ثالثا ـ القضايا النحوية البارزة فى الكتاب :

١ ـ مفهوم جديد لحروف الخفض :

من البديهى أن حروف الخفض هى حروف الجر المعروفة فى كتب النحو التقليدى لكن الجديد فى تقسيم النحاس أنه أضاف إلى حروف الجر مجموعة من المصادر مثل سُبحان ومَعاذ [١] ، كذلك أضاف قسما من الأسماء مثل ويل وويح وويس [٢] ، وأضاف إلى هـــذه القائمة مجموعة من الأسماء التى تأتى مضافة فى غالب الأحيان ، ولعله أضاف « ذو » لعلة الإضافة . .

ولكنه يلفت نظرنا حين يضيف إلى أدوات القسم لعمرى وأيم ويضيف كم الخبرية .

وجعل من حروف الخفض مجموعة من الظروف هى أعلى وأسفل وخلف وقدام ووراء وأمام وفوق وتحت ووسط وبين وحذاء وتلقاء وإزاء وقرب وعند وقبل وبعد وحول .

كما جعل من حروف الخفض : حاشا وخلا وسوى وهى أدوات استثناء

---

(١) كتاب التفاحة /١٧

(٢) كتاب سيبويه ١/ باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه ألف ولام ٤

كما هو معروف . والأولى فيها خلاف شديد بين النحاة[١] ، لكن النحاس التزم برأى سيبويه الذى قال : (أما حاشا فليس باسم ولكنه حرف يجر ما بعده ، وفيه معنى الاستثناء)[٢] .

ولكنه خالف أكثر البصريين وسيبويه إذ عد « خلا » من حروف الجر .

وقد خرج على الكلام المألوف ـ فى النحو ـ حين جعل الأسماء المضافة إلى الظاهر والمضمر ، من حرف الخفض[٣] .

٢ ـ تثنية الفعل وجمعه :

من المتعارف عليه بين جمهور النحاة أن الفعل لا يثنى ولا يجمع ، وإنما يُسند إلى ألف « الاثنين » أو واو الجماعة أو غيرهما .

أما النحاس فقد جاء بمصطلح جديد حيث جعل الفعل يثنى ويجمع (تقول فى التثنية ضرب الزيدان العمرين ـ وفى الجماعة ضرب الزيدون العمرين . وإنما قلت ضرب ولم تقل ضربوا ـ وهم جماعة ـ لأن الفعل إذا تقدم وحد ، وإذا تأخر ثنى وجمع للضمير الذى يكون فيه ، نحو قولك : زيد قام . والزيدان والزيدون قاما وقاموا . ثَنَّيْتَ قام وجمعته لأنه فعل متأخر)[٤] .

٣ ـ مصطلحات الكتاب بين الكوفيين والبصريين :

من القضايا النحوية التى يثيرها موضوع كتاب التفاحة مشكلة المصطلحات.

---

(١) المقتضب ٤/٢٩١ وهمع الهوامع ١/٢٣٢ ـ ٣٣ .
(٢) كتاب سيبويه ١/٣٧٧ .
(٣) كتاب التفاحة /١٧ .
(٤) كتاب التفاحة /١٧ .

فقد استعمل مصطلحات المدرستين : الكوفية والبصرية . ولكن أكثر اعتماده على البصريين مع كونه قد استعمل قسما من المصطلحات الكوفية ومن هذه المصطلحات « واو الصرف » .

(أ) واو الصرف : وهو مصطلح وضعه « الفراء » وقد حدده فى « معانى القرآن » تحديداً دقيقاً بقوله :[1] (الصرف أن يجتمع الفعلان بالواو أو ثم أو الفاء وفى أولهما جحد أو استفهام ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعاً أن يكر فى العطف فذلك الصرف) .

هذا فى الأفعال وفى موضع آخر تحدث عنها فى الأسماء والأفعال معاً[2] ، وواو الصرف عند البصريين هى واو المعية ، وقد تابع النحاس الكوفيين فسماها واو الصرف[3] .

(ب) الجحد : وهو مصطلح يراد به النفى ، وهو مصطلح كوفى وقد استعمله الفراء فى النص السابق . وفى نصوص أخرى[4] . وقد استعمله النحاس ، ليس فى كتاب التفاحة[5] فحسب ، بل فى كتبه الأخرى أيضاً .

(ج) المفعول الذى لم يُسَمّ فاعلُه : ويراد به نائب الفاعل والكوفيون يستعملون المصطلح الأول[6] والبصريون يستعملون الثانى .

(د) النعت : وهو مصطلح كوفى يقابله عند البصريين الصفة وقد تابع فيه الكوفيين[7] .

---

(١) معانى القرآن ٢/٢٣٥

(٢) معانى القرآن ١/٣٤

(٣) كتاب التفاحة (أما قول الدكتور شوقى ضيف بان النحاس سماها « واو الظرف » ، فهو نقل للكلمة « واو الصرف » ، وهى محرفة ، دون أن يفطن اليها ، حيث أعاد النحاس القول فسماها واو الصرف . ينظر كتاب التفاحة /١٩، والمدارس النحوية /٣٣٣)

(٤) معانى القرآن ١ : ٥٢

(٥) كتاب التفاحة /١٩

(٦) كتاب التفاحة /٢١ ومعانى القرآن ١/٣٠١

(٧) كتاب التفاحة /٢٢ ومعانى القرآن ١/١١٢ ، ٢/١٤٥.

آراء كوفيــة :

وافق الكوفيين فى مجموعة من الآراء منها :

(أ) أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء[١] ، مخالفاً فى ذلك سيبويه ومن تابعهما حيث يريان أنه معرب بحركات مقدرة فى الألف والياء ، ورأى النحاس يوافق رأى الكوفيين وقطرب والزجاج والزجاجى الذين يرون أن المثنى معرب بالحروف المذكورة وهى الألف والياء[٢] .

(ب) وكذلك رأيه فى إعراب جمع المذكر السالم[٣] .

(جـ) ويرى أن الفعل الأمر معرب مجزوم موافقاً للكوفيون مخالفاً بذلك البصريين جميعاً[٤] .

(د) ويرى أن « لا سيما » من أدوات الاستثناء موافقاً بذلك رأى الكوفيين والأخفش الأوسط وأبا حاتم من البصريين ووافقهم فى ذلك أبو على الفارسى وابن هشام الخضراوى[٥] .

٥ ـ مخالفة سـيبويه :

خالف النحاس « سيبويه » فى مجموعة من المسائل فى حين اتخذه إماماً فى « شرح القصائد التسع » ، مما يدل دلالة واضحة على أن كتاب التفاحة من كتبه المتأخرة ، بعد أن نضج نضجاً كاملا ، وتكاملت عنده أدوات الاجتهاد وأهلته للوقوف مثل هـذا الموقف الذى لا يقفه إلا الشوامخ ، وأهم الأمور التى خالف فيها سيبويه هى :

---

(١) التفاحة / ١٥
(٢) همع الهوامع ١/٤٧ ، ٤٨
(٣) التفاحة / ١٥ وهمع الهوامع ١/٤٧ ـ ٤٨
(٤) التفاحة /١٦ وهمع الهوامع ١/ ٩٥
(٥) همع الهوامع ١/ ٢٣٤

(أ) أن المثنى وجمع المذكر السالم يعربان بالحروف لا بحركات مقدرة في الألف والواو والياء [١] .

(ب) أن المضاف إليه مجرور بالإضافة [٢] ويرى سيبويه أنه مجرور بالمضاف [٣] .

(جـ) ويرى أن « خلا » حرف استثناء ويكون الاسم المستثنى بعدها « مجروراً » [٤] ، مخالفاً بذلك سيبويه وجمهور البصريين الذين أنكروا حرفية « خلا » وقالوا إنها فعل بمعنى المفارقة والمجاوزة تضمن معنى الاستثناء [٥] .

ولكن هل يعنى هذا أنه كوفى فى كتابة « التفاحة » ؟

الحق أنه ليس كوفياً ولا بصرياً ... فقد أخذ من آراء الكوفيين بنصيب ، واستعمل مجموعة من مصطلحاتهم ، لكنه مع ذلك تابع البصريين فى كثير من الآراء واستعمل مصطلحاتهم فى مواضع كثيرة من الكتاب ولو وازنا بين ما كتبه فى باب « ما ينصرف وما لا ينصرف » وأمهات كتب البصريين لوجدنا أنه استفرغ فى هذا الباب وحده مضمون ثلاثة كتب هى : كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد وكتاب « ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج » [٦] يضاف إلى ذلك آراؤه الشخصية .

---

(١) همع الهوامع ٤٧/١ ، ٤٨

(٢) التفاحة /١٨

(٣) الكتاب ٩٤/١

(٤) التفاحة /٢٥

(٥) الكتاب ٣٧٧/١

(٦) ينظر كتاب التفاحة /٢٧ ــ ٢٨ ويوازن بكتاب سيبويه ٧/٨ ، ٣/٢ والمقتضب ٣١٩/٣ ، وما بعدها وما ينصرف /٤٩.

٤ ـ كتاب « القطع والائتناف » :

(أ) وصــفه :

يتصل هذا الكتاب « بالوقف والابتداء » فى القرآن العظيم ، وقد تناول فيه أنواع القطع والائتناف وقسمه أربعة أقسام : وقف التمام ، الوقف الكافى ، الوقف الصالح ، الوقف الممتنع أما الابتداء فيحسن ، بعد وقف التمام ، كما يؤخذ من تفاصيل الكتاب ، وإن لم ينص عليه النحاس .

وقد ابتدأ الكتاب بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبى الكريم ، ثم بين الخطوط العامة لمنهجه ـ كما عودنا ـ ثم بين أهم المصادر التى اعتمد عليها فى تأليف الكتاب [١] ، وبعد ذلك ذكر باباً فى « فضائل القرآن وفضائل أهله » [٢] ، ثم ذكر بابا فى كيفية « قراءة النبى ﷺ » [٣] . ثم ذكر باباً يتضمن الحديث عمن « تكلم » من الصحابة والتابعين فى « القطع والائتناف » [٤] ثم يأتى « باب ما يحتاج إليه من حقق النظر فى التمام » [٥] ثم باب « ذكر الأسانيد لما فى هذا الكتاب » [٦] ، ثم باب ذكر السور « وأول ذلك فاتحة الكتاب » [٧] .

وقد ذكره ابن خير الإشبيلى [٨] وابن خلكان [٩] وحاجى خليفة [١٠]

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب
(٢) القطع والائتناف لوحة ٣ : أ
(٣) نفسه لوحة ٣ : أ ـ ٥ : أ
(٤) القطع والائتناف لوحة ٦ : أ ـ ٧ : ب
(٥) القطع والائتناف لوحة ٧ : ب
(٦) نفسه لوحة ٩ : أ
(٧) القطع والائتناف لوحة ٩ : ب
(٨) فهرسة ابن خير / ٤٧
(٩) وفيات الاعيان ١/٨٣
(١٠) كشف الظنون ٢/١٤٧٠

والبغدادى (١) وغيرهم، وقد بينا تفاصيل ذلك وبيان الاختلاف فى العنوان فيما سبق .

وتوجد من الكتاب عدة نسخ خطية أقدمها نسخة كوبريلى بالآستانة (المرقمة ٢٢) ، وهى مكتوبة بخط النسخ ، فى جزءين وينتهى الجزء الأول بسورة بنى إسرائيل (الإسراء) وفى الورقة (١٣١) .

أما الجزء الثانى فينتهى بالورقة ٢٥٥ ، وهو بخط إسماعيل بن عنبر ابن أحمد وقد فرغ منه سنة ٥٥٣ هـ وتوجد من هذه النسخة مصورة - على « الفوتوستات » - بدار الكتب (برقم ١٩٦٧٠ ب) فى جزءين أيضاً .

ومن نسخة دار الكتب مصورة بمعهد المخطوطات تحت الرقمين ٥٧ ، ٥٨ قراءات .

وعلى هذه النسخة اعتمدت .

ومنه نسخة أخرى فى السعودية مكتوبة بخط النسخ سنة ٨٢٤ هـ ، وصورها معهد المخطوطات وهى محفوظة (برقم ٢٢١ قائمة السعودية الأخيرة) .

(ب) منهج « القطع والائتناف » :

لقد بين النحاس فى أول كتابه الخطوط العامة لمنهجه فقال : « وهذا كتاب نذكر فيه التمام فى القرآن العظيم ، وما كان الوقف عليه كافياً أو صالحاً وما يحسن الابتداء به وما يتجنب من ذلك ... وتؤلفه سوره ونذكر بعده مذاهب الصحابة والتابعين فى التمام وما انتهى إلينا من كلام الصحابة ومن بعدهم من القراء والعلماء والنحويين فى التمام واختلافهم فى ذلك ، وما هو أولى » . (٢)

---

(١) هدية العارفين ٦١/١

(٢) القطع والائتناف لوحة ٢ : أ

فمنهجه فى خطوطه العامة قائم على أساس :

(١) ذكر أنواع الوقف (أو القطع) من تام أو كاف أو صالح .

(٢) ذكر ما يحسن الابتداء به وما يتجنب من ذلك .

(٣) مراعاة الترتيب القرآنى للسور ، إذ يبدأ بسورة الفاتحة(١) وينتهى بسورة الناس .

(٤) ذكر ماجاء عن الصحابة والتابعين فى وقف التمام .

(٥) ذكر ما قاله مؤلفو كتب « الوقف والابتداء » فى أنواع الوقف كل فى موضعه .

(٦) ذكر أقوال النحاة فى بعض مواضع الوقف (أو القطع) .

(٧) ذكر القراءات عند الحاجة .

هذه هى الخطوط العامة لمنهجه ، ونفصلها فيما يأتى :

١ ـ ذكر أنواع الوقف (أو القطع) فى السورة :

الأساس الذى بنى عليه النحاس منهجه هو السورة ، ثم ينطلق منها إلى الآيات ولذلك يشير أحياناً إلى عدد الأئمة فى السورة الواحدة بالنسبة لكل واحد من المؤلفين فى موضوع وقف التمام ، ثم يبين رأيه بعد ذلك . ففى أم القرآن (الفاتحة) خمسة أئمة(٢) وفى مطلع الحديث عن سورة قال : « أكثر من عمل كتاباً فى التمام يقلل التمام فى هذه السورة . فلم يذكر « نافع » منها إلا خمسة أئمة . ولم يذكر «أحمد بن جعفر» فيها إلا موضعاً واحداً فأما «أبو حاتم» فحكى أن بعض المفسرين ذكر أنه ليس فيها تمام»

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٩ : ب

(٢) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب

وغلطه فى ذلك ، وذكر أن الغلط إنما وقع فى ذلك لقصر آيها . قال أبو جعفر وسنذكر من ذلك ما فيه كفاية إن شاء الله . ألمر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . . . تمام . . .) الخ .

وبعدها يوضح أنواع الوقف حسب المنهج المرسوم ، ومن الأمثلة الموجزة على هذا ما جاء عن الأئمة فى « سورة الكافرون » (قال الأخفش : والتمام آخر السورة لأنه أمره أن يقول هذا كله . وخالفه أبو حاتم وذهب إلى أن الوقف « قل » : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد » لأن المعنى عنده مختلف ، وليس بتكرير) . قال أبو جعفر : (الذى قاله حسن ، أى : مثل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون فيما أستقبل . ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون » فهذا الوقف . « ولا أنا عابد ما عبدتم » فى هذا الوقت . « ولا أنتم عابدون ما أعبد » فى هذا الوقت . ولم يسلم أحد ممن خوطب بهذا) .

٢ — ذكر ما يحسن الابتداء به ، وما يمتنع من الوقف :

أما ما يحسن الابتداء به ، فهو ما يأتى بعد الوقف التام . ثم الكافى ، والصالح . وإن كان أحسنهما ما جاء بعد التمام . لأن الابتداء بعد النوعين الآخرين قد يكون قبيحاً[٢] أما ما يمتنع من الوقف فهو يتصل بقوانين النحو وأصوله وقد أحصيتها وضربت لها الأمثلة فى آخر الفصل .

٣ — مراعاة التبويب القرآنى للسور :

وهذا المنهج التزمه فى جميع كتبه عن القرآن سواء أكان فى إعراب القرآن أم فى معانيه .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٨ : ب

٤ ـ ذكر ما جاء عن الصحابة والتابعين فى وقف التمام :

يرى النحاس أن الصحابة والتابعين قد تكلموا فى وقف التمام ، ونقل عن ابن عمر حديثاً فسره بأنه حديث عن وقف التمام ، وروى عن النبى ﷺ ما يبين قراءته لسورة الفاتحة حيث كان يقف على رؤوس الآيات أو نهايتها .... واستنتج من ذلك قاعدة فى الوقف على رؤوس الآيات ، فقال : « وأكثر أواخر الآى فى القرآن تام أو كاف وأكثر ذلك فى السور القصار الآى »(١) .

ولكن وقف التمام ـ وغيره من الأنواع ـ ليس متعلقاً بأواخر الآى ، بل يتصل بغيرها أيضاً وهذا ما جعله يلتجىء إلى أقوال من جاء بعد الصحابة من أجيال . فنقل من أقوالهم ومؤلفاتهم .

٥ ـ ذكر ما قاله مؤلفو الوقف والابتداء :

وهذه الفقرة وما يأتى بعدها أهم ما فى خطوط المنهج لأنها تبين المصادر التى استقى منها النحاس مادته . وتبين أمانة النحاس فى ذكر أقوال العلماء وعزوها إلى أصحابها ، وتبين دقته وقدرته على الاستيعاب والاستقصاء والتنظيم بحيث لا يشذ عنه رأى ولا يغيب عنه تعليل . ولما كان مدار الكتاب كله حول موضوع « الوقف والابتداء » فإنه ذكر كل ما يتعلق بذلك من مصادره ، بل وما يتعلق بطرف منه ، ابتداء بنافع (ت ١٦٩ هـ) وانتهاء بأساتذته لاسيما أحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) ، وعلى بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) وابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ) ومن عاصرهم من العلماء كابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) والطبرى (ت ٣١٠ هـ) والعباس

(١) القطع والائتناف لوحة ٥ : ب

ابن الفضل (ت ٣١٠ هـ) . والأهم من هذا كله هو : ما موقفه من آراء هؤلاء وهؤلاء ؟؟

إن النحاس يمتاز بالأصالة واستقلال الرأى فى أكثر ما كتب ، ولذلك فإنه مستقل فى المنهج وفى التفاصيل غالباً ، إذ يخضع كل ما ينقل للمناقشة والمحاجة ، ويصدر عن رأى يدل على نضجه وتبحره فى مادة الموضوع الذى يعالجه .

أما منهجه فى هذا الكتاب فهو جديد كل الجدة ، وقد أفردت له مبحثاً مستقلا فى آخر هذا الفصل . وبينت أثره فى اللاحقين .

أما التفاصيل فإنى مورد لها الأمثلة . ففى الحديث عن الأئمة فى « سورة الحجر الآيات ٤٠ وما بعدها » يذكر ما يأتى : (« وإن من شىء إلا عندنا خزائنه » (الآية ٢١) : قطع صالح . والتمام رأس الآية وكذا الآيات التى بعدها ، إلى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » (الآية ٣٠) . وكذا الآيات التى بعدها إلى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » (الآية ٢٤٧) ، فإنه تمام على ما روينا عن نافع . وتابعه على ذلك العباس ابن الفضل . وخولفا فى ذلك لأن ما بعده « إخواناً على سرر متقابلين » . و « إخوانا » منصوب على الحال مما قبله)[(١)] .

وفى الحديث عن قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » (البقرة آية ٢٨٥) . أورد أقوال العلماء فى وقف التمام فى هذه الآية فذكر (أن التمام عن « نافع » : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ») وقال يعقوب : ومن

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : ب

الوقف التام : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » . قال «والمؤمنون» رفع بالابتداء .... وقال الأخفش سعيد : « والمؤمنون » هو التمام[1] . ثم فاضل بين هذه الأقوال الثلاثة فرأى أن القول الأخير هو الأولى (لأن واو العطف توجب أن يكون الثانى داخلا فيما دخل فيه الأول إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضاً فإن بعده : « كل آمن بالله » ولم يقل « كلهم » فيكون توكيداً) . ومعنى هذا أن القطع على « والمؤمنون » تام . وما بعده مبتدأ وخبر .

٦ – ذكر أقوال النحاة :

أما موقفه من أقوال النحاة واختلافاتهم فأمره يختلف عما فى بقية كتبه لأن الغاية من إيراد أقوالهم هنا بعيدة عن غايته من إيراد اختلافاتهم هناك ولا سيما فى كتابيه إعراب القرآن وشرح القصائد التسع. فإيرادها فى هذين الكتابين غاية فى ذاتها لأنها بسط نظرية الاحتمالات النحوية « والاختلافات النحوية أساس كبير من أسسها . أما إيراد آراء النحاة فى كتاب « القطع والائتناف » فهى وسيلة إلى إيضاح الوقف التام وغيره ، ثم ليس لها كلها المساواة التامة . بل رأى واحد منها هو الراجح. ثم لا نجد لها فى أكثر السور مكاناً ، وتمثل فى مجموعة منها مكاناً ثانوياً ، لأنها وسيلة وليست غاية فى ذاتها . ففى الحديث عن الوقف فى الآية الكريمة : «قال إنه يقول : إنها بقرة لافارض ولا بكرعوان بين ذلك» (سورة البقرة آية : ٦٨) قال : قال نافع : « لا فارض ولا بكر » تام . وقال الفراء : « لا فارض ولا بكر » ، ثم استأنف . وكذا عن عيسى ابن عمر ويعقوب . وخالفهم كلهم الأخفش فقال : التام : « عوان

(١) نفسه لوحة ٤٤ : ب

بين ذلك ، . قال : أراد لا كبيرة ولا صغيرة ، ولكنها عوان بين ذلك . وأنشد :

جلوسٌ لدى الأبوابِ طلاَّبُ نائلٍ عوانٍ مِن الحاجات أو حاجةٍ بِكراً

ولم يترك هذه الآراء بدون أن يناقشها ويفاضل بينها ، بل عقب عليها بقوله : (قال أبو جعفر : مع مخالفة الأخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد . ومن النحويين من يقول : أخطأ ، وجاء بما لا يجوز ألبتة ، وذلك أنه جعل « عواناً » من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر ، فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أي : بين الفارض والبكر ، فقد تقدم المضمر على المظهر)[1].

ويلاحظ أن الخلافات المعروفة بين النحاة قليلة الدوران فى الكتاب ، وقليلة جداً إذا ما قورن بينها وبين الخلافات النحوية فى كتابى إعراب القرآن وشرح القصائد التسع .

فالخلافات النحوية تخفت حدتها عندما تأتى فى سياق مسائل « القطع والائتناف » ، ومن تلك الخلافات العطف على الضمير المخفوض ، ففى قوله تعالى : « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » (الآية ٢٠ من سورة الحجر) ، يرى الإمام يعقوب الحضرمى (ت ٢٠٥ هـ) أن الوقف الكافى عند « معايش » .

لكن النحاس[2] يقول : (هذا غلط لأن « مَن » لا تخلو من إحدى جهتين : إما أن تكون فى موضع نصب معطوفة على معايش أى : وجعلنا

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب ـ ١٢٤ : أ

لكم من لستم برازقين من العبيد ، وإلا فلا يكفى الوقف على ما قبلها ، أو تكون فى موضع خفض عطفاً على الكاف والميم ، وإن كان هذا بعيداً وقد أجازه جماعة من النحويين . كما قرأ حمزة : «تساءلون به والأرحام»[1] (سورة النساء آية : ١) . وكما قال الشاعر :

هلا سألت بذى الجماجم عنهم وأبى نعيم ذى اللواء المخرق

وقال آخر :

تُعَلَّقُ فى مثلِ السوارى سيوفُنا وما بينها والكَعْبِ غوطٌ نفانف

وقال آخر :

فاليومَ قربتَ تهجونا وتشتمنا فاذهبْ فما بكَ والأيامِ من عَجَب

قال أبو جعفر : والقول كما قال الأخفش وأبو حاتم : أن التمام «ومن لستم له برازقين» .

أرأيت كيف توارت الخلافات النحوية خلف نقاب من أقوال علماء وقف التمام ؟

٧ ـ ذكر القراءات عند الحاجة :

أما القراءات القرآنية فلا يذكرها إلا فى موضع الإشكال والخلاف الذى يحتم ذكرها أما فى غير هذه الحال ، فإنه قليل الاحتفاء بها ، وإذا نظرنا فى كتابه « إعراب القرآن » وجدناه يذكر كل القراءات فى جميع القرآن حتى غير المشهورة منها . ويكثر من ذكرها فى كتابه «شرح القصائد التسع » بحيث يستخدمها فى توجيه النصوص الشعرية بشكل جديد يلفت النظر وقد خصصت له مبحثاً فى آخر هذا الفصل بعنوان : «المزج بين منهج القراء ومنهج النحاة » .

---

(١) أى بجر الارحام عطفا على الضمير فى « به »

أما فى كتاب « القطع والائتناف » فالقراءات تأتى إن كانت كاشفة لوقف التمام وإلا فلا ، ولذلك فإن النحاس عندما فصل القراءات الواردة فى « سورة الجنّ » بين السبب قائلا : (وإنما ذكرنا من القراءات فى هذه السورة ، لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات) ، ثم بين هذه القراءات[1] .

(ج) أهمية الكتاب وأثره :

إن أهمية « القطع والائتناف » للنحاس ، كبيرة جداً ، لأسباب عدة هى :

أولا : أنه أول كتاب كامل فى « القطع والائتناف » يتناول أنواع « الوقف » (أو القطع) بالتحليل والتعليل . وقد سبقه إلى الموضوع مؤلفون كثيرون[2] ، ابتداء[3] بنافع (ت ١٦٩ هـ) ، وانتهاء بأستاذه أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) ، لكنهم جميعاً إما لم يستوعبوا المصادر الأساسية ، وإما أنهم لم يعللوا إلا تعليلات جزئية وفى مواضع قليلة . وكان أسلوب العرض والسرد هو الطابع المميز لتلك المؤلفات ، ولعل آخرها قبل النحاس هو كتاب : « إيضاح الوقف والابتداء » وهو مطبوع متداول .

ثانيا : أنه أول كتاب يتناول آراء مختلفة الاتجاهات النحوية نحو « القطع والائتناف » فى كتاب الله ، وكل الكتب السابقة تعكس وجهة

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب ـ ٢٤٤ : أ

(٢) الفهرست ٣٦/ والقطع والائتناف لوحة ٢ : ب .

(٣) مؤلف أول كتاب فى وقف التمام ـ ينظر « القطع والائتناف » لوحة ٢ : ب .

نظر أصحابها مثل كتاب « وقف التمام » لنافع (ت ١٦٩ هـ) ، وكتاب وقف التمام ليعقوب الحضرمى (ت ٢٠٥ هـ) ، وكتاب وقف التمام لأحمد ابن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) وغيره ... أو تعكس وجهة نظر مدرسة معينة ككتاب ابن الأنبارى الذى يتناول آراء قراء الكوفة لاسيما حمزة (ت ١٥٤ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) ومحمد بن سعدان (ت ٢٣١ هـ) ، ولم يتناول آراء أحد من البصريين سوى أبى حاتم السجستانى .

أما النحاس فقد نقل آراء جل من كتب قبله عن «الوقف والابتداء» فأودعها كتابه .

ثالثا : أنه استوعب كل ماألف فى موضوع الوقف والابتداء من كتب مشهورة ، وغير مشهورة ذكرها فى أول الكتاب ، كما استفاد من أى كتاب آخر تناول جزئية من جزئيات موضوع « الوقف والابتداء » ، وهذه الصفة لم تتوفر فى أى كتاب سبقه .

رابعا : كما أنه أول كتاب جمع هذه المميزات ، فهو آخر كتاب أيضاً ، لأن جميع الذين جاؤوا بعده سواء كانوا من المشهورين أمثال الدانى (ت ٤٤٤ هـ) والسيوطى (ت ٩١١ هـ) ، أم من غير المشهورين أمثال ابن الإمام (ت ٧٤٥ هـ) وابن يحيى زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ) إنما تتبعوا خطاه وساروا وفق نهجه سواء نقلوا منه مباشرة أم بالواسطة .

خامسا : أنه جاء «بنظرية مبكرة فى النظم النحوى» سبق بها عبدالقاهر الجرجانى . وسأوضح هذه النظرية فى نهاية هذا الفصل حيث أعقد لها مبحثاً خاصاً .

وهذه الصفات والميزات تجعل هذا الكتاب ذا أهمية كبيرة وذا تأثير بعيد ...

٥ ـ كتاب الكافى فى النحو :

هكذا سماه ابن الفرضى[١] وابن خلكان[٢]، وسماه القفطى : الكافى فى أصول النحو[٣]، وسماه الصفدى والمقريزى : «الكافى فى علم العربية»[٤] وسماه السيوطى : الكافى فى العربية[٥]، وسماه الحميدى[٦]، وابن مكى الصقلى[٧]، وابن هشام[٨] «الكافى» وتسمياتهم لاتختلف عن التسميات السابقة إذ هى اختصار لها .

وأرجح تسمية « ابن الفرضى » لأنه قرأ هذا الكتاب على عبد السلام ابن السمح الهوارى (ت ٣٨٧ هـ) والهوارى سمع الكتاب من أستاذه النحاس[٩] .. و « ماراء كمن سمعا » .

(أ) وصف الكتاب :

بالرغم من أن الكتاب مفقود فقد بقيت منه ثلاثة نصوص :

النص الأول نقله ابن مكى الصقلى . فقال[١٠] : قال النحاس فى كتابه « الكافى » : السلطان أنثى وقد يذكر ويقع للواحد والجميع . قال أبو العباس ـ يعنى المبرد ـ هو جمع سليط قال ابن النحاس : يعنى أنه مثل قولك : رَغيف ورُغفان .

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ٢٨٨/١
(٢) وفيات الاعيان ٨٣/١
(٣) انباه الرواة ١٠٣/١
(٤) الوافى بالوفيات ٣٦٢/٧ والمقفى ، ورقة ١٥٤ : ب .
(٥) بغية الوعاة ٣٦٢/١
(٦) جذوة المقتبس ٩٤/١
(٧) تثقيف اللسان ١٨١/
(٨) اقامة الدليل على صحة التمثيل (مخطوط) .
(٩) تاريخ علماء الاندلس ١٨١/
(١٠) تثقيف اللسان ١٨١/

أما النص الثانى فقد نقله ابن هشام ، وهو قوله :(اختلف فى أسطوانة ماوزنها على ثلاثة أقوال : أحدها أنه «أفعوانة» بدليل قولهم : «أساطين». ويضعفه أن « سطن » مهمل . الثانى : أنها : فعلوانة . ويضعفه أن « أسط » مهمل . والثالث : أنها : أفعلانة . ويضعفه أنه يلزم من أساطين حذف الأصل وبقاء الزائد . وهذه الأبواب الثلاثة حكاها صاحب الكافى[1] .

أما النص الثالث فقد نقله ابن الحاجب فى « أماليه » ونقله منه صاحب «الخزانة »[2] فقال فى شرح الشاهد[3] :

ولو وَلَدَتْ قُفَيْرَةُ جِرْوَ كلب　　　لَسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

فقال : (إن الكوفيين وبعض المتأخرين أجاز نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح ..... قال ابن جنى : هذا من أقبح الضرورات ومثله لا يعتد به أصلا ، بل لا يثبت إلا محتقراً شاذاً و «قفيرة» بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغر اسم «أم الفرزدق» ذم الشاعر « قفيرة » بأنها لو ولدت جرواً لسب جميع الكلاب بسبب ذلك الجرو ، لسوء خلقه . وقال « القالى » فى «شرح اللباب» : وقيل الكلاب ليست مفعولا لسب ، بل مفعول ولدت ، وجرو نصب على النداء أو على الذم . وقيل : الكلاب نصب على الذم . وجمع لأن قفيرة وجرواً وكلباً ثلاثة) . انتهى : وهذا التخريج نقله « ابن الحاجب » فى « أماليه » عن

---

(١) اقامة الدليل على صحة التمثيل (مخطوط المتحف العراقى المرقم ٣٨٣٩) .

(٢) خزانة الادب ١ : ١٦٣ .

(٣) البيت لجرير من قصيدته المشهورة :

أقلى اللوم عاذل والعتابا　　　وقولي ان أصبت لقد أصابا

أبى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن أبى اسحاق الزجاج .
وقال : (معنى قوله لسب لحصل السب بسبب ذلك الجرو . وهذا مستقيم) .

ومن هذه النصوص الثلاثة يظهر أن الكتاب اشتمل على موضوعات اللغة بجانب النحو ، وبذلك يشبه الموضوعات التى اشتملت عليها كتب النحو الأخرى ككتاب سيبويه والمقتضب .

ولكنه فيما يظهر من أوصاف العلماء — مختصر إذ وصفه بهذا الوصف كل من « ابن السيد البطليوسى »(١) والمقريزى(٢) .

(ب) أهمية الكتاب :

يظهر أن كتاب « الكافى فى النحو » نال شهرة واسعة امتدت فى المكان والزمان ، فقد انتقل فى حياة مؤلفه إلى الأندلس على يد الرباحى(٣) : محمد بن يحيى (ت ٣٥٨هـ) . ويبدو أن نقل الكتاب إلى الأندلس أحدث حركة لغوية ونحوية واسعة قد تكون معاصرة لمؤلفه أو قريبة العهد بآخر حياته . فقد رد عليه أبو القاسم الحسين بن الوليد بن نصر المشهور بابن العريف (المتوفى ٣٩٠هـ) وغير بعيد أن يكون ألف فى حياة النحاس ، فإن تلميذ النحاس المعروف بالإدفوى قد توفى سنة ٣٨٨ هـ .

والرد على النحاس لم يمنع أهل الأندلس من الاعتماد على كتابه فإنه يؤخذ من كلام المؤرخين أن شهرته امتدت قروناً . قال « الحميدى » وهو يترجم لابن العريف : (وقد رأيت كتاباً يشتمل على مسائل النحو ، اعترض فيها على أبى جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوى ذكرها فى

---

(١) المسائل والاجوبة ورقة ٣٠ : أ
(٢) المقفى ، ورقة ١٥٤ : ب
(٣) الضبى : بغية الملتمس / ١٣٤ .

كتابه المعروف بالكافى)[١] . وهذا يدل على أن كتاب « الكافى فى النحو » كان مشهوراً فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى لأن الحميدى توفى سنة ٤٨٨ هـ وقد امتدت شهرته إلى القرن السادس فاهتم به وشرحه من أهل الأندلس أبو الحسن على بن أحمد بن الباذش (ت ٥٢٨ هـ) وهو من الشخصيات الكبيرة المشهورة بل إمام من أئمة عصره . قال ابن الجزرى فى وصفه : (أستاذ محقق كامل، كان من المحققين بضروب القراءات والآداب عارفاً بالحديث ورجاله ، ذا ورع وديانة وإتقان وشهرة . تصدر للإقراء والنحو بغرناطة فأكثروا عنه)[٢] .

وله فى النحو اليد الطولى ، فقد شرح كتاب سيبويه وأصول النحو لابن السراج والجمل للزجاجى والكافى للنحاس[٣] .

وهذا يجعل شرحه لكتاب الكافى ذا أهمية كبيرة ، ويكتب له الذيوع والانتشار ويضعه فى مستوى تلك الكتب المهمة . فإذا علمنا أن أى إنسان لا يقدم على شرح كتاب إلا وهو يحمل أمارة الإعجاب به فإنها شهادة تزكى كتاب النحاس .

وإذا كان ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) ، وهو النحوى الضليع قد اعتمد على هذا الكتاب ونقل منه ليرد على خصومه[٤] ، فهذا يعنى أن كتاب الكافى قد بقى متداولا وعمدة للنحاة الكبار حتى القرن الثامن الهجرى على الأقل فكيف بالمبتدئين المتعلمين ؟

---

(١) جذوة المقتبس /١٩٤.

(٢) طبقات القراء ٥١٩/١.

(٣) بغية الوعاة ٥٤٢/١.

(٤) فى رسالته : اقامة الدليل على صحة التمثيل .

٦ - كتاب اللامات

(أ) وصـفه :

هذا الكتاب أشبه بالمختصر . سماه ابن الجزرى : « كتاب اللامات » . وهو المصدر الوحيد الذى ذكره وفى ترجمة غير ترجمة النحاس لأنه لم يترجم له ، وقد ذكره فى ترجمة : عمر بن محمد بن عراك[١] (المتوفى ٣٨٨هـ) ، ويقول الأخير (أنا كنت السبب فى تأليف أبى جعفر النحاس كتاب اللامات)[٢] .

وقد يكون سأله تأليف كتاب فى لامات القرآن . كما يبدو من قراءة الكتاب، كما أننا نجد فى أواخر الحديث عن قسم من اللامات عبارة أشبه باللازمة تقول : « قس جميع ما يأتيك على هذا » . أو « قس عليه ما ورد واستعن بالله » . فهى تحكى أسلوب الكتب المؤلفة جواباً عن أسئلة أو وفاء بطلب وهى معروفة فى تراثنا .

وقد سماه المحقق[٢] رسالة اللامات وسميته كتاب اللامات التزاماً بما ورد فى كتاب طبقات القراء لابن الجزرى ، رغم صغر الكتاب ، لأنه لا عبرة بالحجم عند التسمية ، فقد سمى مؤلف الأصمعى فى الفروق اللغوية « كتاب الفرق »[٣] ، مع أنه كتاب صغير جداً وسمي مؤلف المبرد فى القوافى « كتاباً »[٤] رغم صغر حجمه . وأعتقد أنه لا توجد حدود فاصلة

---

(١) تنظر طبقات القراء ٥٩٧/١ حيث ترجمة عمر بن محمد بن عراك م .

(٢) حققه الاستاذ طه محسن ونشره فى مجلة « المورد » العراقية فى المجلد الاول سنة ١٩٧١ . صفحات : ١٤٣ - ١٥٠ .

(٣) ينظر « كتاب الفرق » للاصمعى ط . فيينا سنة ١٨٧٦م بتحقيق هاينريش مللر .

(٤) ينظر كتاب القوافى وما اشتقت منه للمبرد (ط . مصر ١٩٧٢) ، بتحقيق أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب .

في التسمية في اصطلاح القدماء — وإلا لما سموا مؤلف أبي حيان التوحيدي الكبير « رسالة الصداقة والصديق » وهي بحجم كتاب النحاس والأصمعي والمبرد مرتين وهي مجتمعة ولما سموا مؤلف « أبي عبيد القاسم » « كتاب الأجناس » ، وهو صغير .

ومع كل ما سبق فأنا أرجح أنه كتاب مختصر من كتاب النحاس ، وليس كتاب النحاس نفسه وذلك بثلاث قرائن :

١ — أن اسم المؤلف المثبت في أول المخطوطة هو اسماعيل بن عبد الله النحاس ، وليس أحمد بن محمد النحاس . والاسم الاخير هو لأبي جعفر النحاس .

٢ — توجد في ثنايا الكتاب قال أبو جعفر وهي كنية أحمد بن محمد النحاس صاحبنا مما يدل على أن أصل الكتاب له وأن مختصر الكتاب يورد عبارة : قال « أبو جعفر » .

٣ — أن ابن هشام (المتوفى ٧٦١هـ)، صاحب «المغني» نقل من كتاب النحاس في موضعين من كتاب اللامات .

(أ) ففي اللام المؤكدة للنفي (أو لام الجحد) ، أورد شيئاً مما قاله النحاس وأشار إلى بعضه بعبارة «قال النحاس ...» ، ولم يشر إلى الباقي منه ولو وازنا بين ما قاله النحاس في كتاب اللامات وما قاله ابن هشام لوجدنا القسم الأول من كلام الثاني منقولا من النحاس بشواهده القرآنية نفسها . مع فرق واحد هو أن النحاس قدم الشواهد وابن هشام أخرها . ثم قال : قال النحاس : « والصواب تسميتها لام النفي لأن الجحد في اللغة إنكار

ما تعرفه، لا مطلق الإنكار» وهذه العبارة الأخيرة غير موجودة فى كتاب اللامات الذى بين أيدينا الآن . ونقل ابن هشام منه نصاً آخر عن اللام الموافقة « على » فى الاستعلاء الحقيقى . وأورد عبارة قال النحاس . . . . غير أن ما قاله ابن هشام عن هذه اللام وما نقله من كتاب النحاس ليس موجوداً فى كتاب اللامات المنشور .

وهذه الأدلة تثبت أن أصل كتاب اللام غير موجود الآن والمنشور هو المختصر . والله أعلم .

ويحتوى « كتاب اللامات » على سبعة عشر نوعاً من اللامات واستعمالها فى القرآن الكريم وبيان معانيها . وهى حسب ترتيب الكتاب: « لام القسم ، ولام الجحد ، ولام الخبر ، ولام الخفض ، ولام التأكيد ، ولام الأمر ، ولام الابتداء ، ولام الاستفهام ، ولام لقد ، ولام الفاء ، ولام كى ، ولام أن الخفيفة، ولام النفى ، ولام الشفاعة ، ولام لئن ، ولام الجزاء ، ولام الوعيد » .

وقد اقتصر على اللامات فى القرآن ، لأن سائله كان من القراء . وهو من القراء أيضاً . وإذا كان « ابن الجزرى » (ت ٨٣٣ هـ) قد أغفله فى « طبقات القراء » فلم يترجم له فإن « الدانى » (ت ٤٤٤ هـ) ذكره فى كتابه « المفردات السبع » مشيراً إلى أنه من قراء المدرسة الورشية . وقد قرأ عليه أستاذ الدانى أو « شيخه » : خلف بن إبراهيم بن محمد بن جعفر[1] بن خاقان (ت ٤٠٢ هـ) وقرأ النحاس على مجموعة من القراء الكبار منهم :

---

(١) الدانى : المفردات السبع /٩

بكر بن سهل[1] الدمياطى (٢٨٩هـ)، وأبو بكر[2] بن يوسف (ت٣٠٧هـ) والداجونى الكبير[3] (ت ٣٢٤ هـ).

وأسلوب القراء واضح فى «كتاب اللامات» حيث يقتصر النحاس على جزء صغير من الآية موضع الشاهد. وقد يكون هذا الجزء كلمة واحدة. ويمكن موازنة أسلوبه بما ورد فى كتب القراءات ...... فى كلامه عن «لام الأمر» أورد قوله تعالى: «وليتلطف» (الكهف: ١٩) و «وليضربن بخمرهن» (النور:٣١) و«فليملل» (البقرة:٢٨٢) و« ليتق الله» (البقرة ٢٨٢)، و«لتأت» (النساء ١٠٢).

وعند موازنته بأسلوب ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) فى كتاب السبعة، وهو يتحدث عن موقف «نافع» —أحد القراء السبعة— من «الإدغام» حيث يقول[4]: إنه لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهاره خروجاً من كلام العرب فأجمعت عليه الرواة أنه أدغمه: الذال إذا سكنت ولقيتها التاء من كلمة واحدة نحو: «اتخذتم» (البقرة: ٥١) وأخذتم (آل عمران: ٨١) و« لتخذت عليه أجراً» (الكهف: ٧٧) وبأسلوب الدانى (ت ٤٤٤هـ) وهو يتحدث عن اختيار «ورش» فى الهمزة المفردة ويقول: (كان ورش يخفف الهمزة

---

(١) بكر بن سهل الدمياطى مقرئ مشهور وامام المدرسة الورشية فى عصره . (ميزان الاعتدال ١/٣٤٥ وطبقات القراء ١/١٧٨) .

(٢) أبو بكر بن يوسف عبد الله بن مالك بن عبد الله بن يوسف التجيبى المصرى . مقرئ متصدر محدث : امام ثقة (توفى ٣٠٧ هـ) (طبقات القراء ١/٤٤٥) .

(٣) أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر . حدث عن ابن مجاهد وحدث ابن مجاهد عنه . وله كتاب فى القراءات (توفى ٣٢٤ هـ) — طبقات القراء ٢/٧٧

(٤) كتاب السبعة /١٣٣

الساكنة والمتحركة إذا كانت فاء من الفعل، فمثال الهمزة الساكنة: « المؤمنون، ويؤفكون ويؤتى، والذى اؤتمن وياصالح ائتنا ... ومن المتحركة نحو قوله تعالى: «تؤزهم أزاً» ويؤوده حفظهما، وتأخروا و « فأذن مؤذن »[1]) عند الموازنة نجد الأسلوب واحداً عند أصحاب الصنعة الواحدة. والاقتصار على جزء صغير من الآيات من أن القراء هم من حفظة كتاب الله .. بل هم أول من يحفظه .. ولذلك فهذا الأسلوب مفهوم فيما بينهم.

غير أن النحاس ليس أول من ألف فى اللامات من القراء « بل سبقه إلى ذلك مقرىء من المدرسة الورشية أيضاً هو[2] «داود بن أبى طيبة»[3]. (المتوفى ٢٢٣هـ). كما سبقه إلى التأليف فى الموضوع نفسه أربعة من اللغويين والنحاة هم: أبو زيد[4] الأنصارى (ت٢١٥ هـ) والأخفش[5] سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ أو ٢٢٢ هـ)، وأستاذاه ابن كيسان[6] (ت ٣٢٠هـ) وأبو بكر[7] محمد بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٨هـ).

(ب) منهج الكتاب:

أولا : الامثلة :

١ — أمثلة جلها من القرآن الكريم ولم يستشهد إلا ببيتين من الشعر واحد فى لام الفاء (وهى لام حتى) والآخر فى « لام أن الخفيفة ».

(١) المفردات السبع /١١
(٢) الفهرست /٣٥
(٣) ترجمته فى طبقات القراء ٢٧٩/١.
(٤) بغية الوعاة ٥٨٣/١
(٥) الفهرست /٣٥ ومعجم الادباء ٢٤٤/٤
(٦) الفهرست /٣٥ ومعجم الادباء /٢٨١/٦ وبغية الوعاة ١٩/١.
(٧) الفهرست ٧٥ وانباه الرواة ٢٠٨/٣ وبغية الوعاة ٢١٤/١.

٢ — يقدم الأمثلة القرآنية التى تتضمن اللام التى يتحدث عنها ثم يوضح معانى اللام وخصائصها ففى « لام الجحد » أورد الآيات القرآنية الآتية : « ما كان الله ليذر المؤمنين . . . وما كان الله ليطلعكم على الغيب » (آل عمران ١٧٩) ، و « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم » (النساء : ١٦٨) وقوله : « ما كان الله ليعذبهم » (الأنفال : ٣٣) و « ما كان المؤمنون لينفروا » « وما كان الله ليضل قوماً » (التوبة ١٥٩) ثم بين خصائصها فقال : « اعلم أنها مكسورة فى ذاتها ناصبة للفعل الذى هى فيه ، ولا تكون إلا مع كان ويكون وكنا ولم يكن وما يكون أو قبلها حرف الجحد[1] .

ثانيا : صفات اللام ومواقعها :

ولا يكتفى بإيراد اللام التى يتحدث عنها وإيراد الآيات التى تتضمنها ، بل يبين صفاتها أهى مفتوحة ، أو مكسورة .. كما يبين ما تحدثه فى الأسماء والأفعال . فلام القسم منصوبة فى ذاتها وتأتى فى آخر كلامك بنون شديدة ، وإنما سميت بها لأن اليمين يصلح فيها وتحسن به ، أما لام الجحد فإنها مكسورة فى ذاتها ناصبة للفعل الذى هى فيه أما لام الخفض فتكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المكنى[2] مثل قوله تعالى : « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » (طه ١١٨) و « للمتقين » .

٢ — ومما يدخل فى نطاق صفات الأسماء بيان ما لها من أسماء إن تعددت . فلام الابتداء اسم آخر هو لام التفصيل ولام الفاء هى لام حتى أيضاً .

---

(١) الجحد يعنى النفى .

(٢) المكنى يعنى الضمير .

٣ ـ وإذا شابهت اللام أداة أخرى فى العمل بين ذلك . فلام الفاً (تشبه « لام كى ») ولام النفى (مثل لام الجحد) ، ولام الشفاعة (تشبه لام الأمر إذا أمرت من هو دونك) .

ثالثا ـ توضيح المعنى :

ولا يكتفى أحياناً بذكر الشاهد بل يوضح معناه ، ويبين التقديرات اللازمة لذلك الإيضاح . ففى حديثه عن (لام أن الخفيفة) أورد الشواهد الآتية :«وأمرنا لنسلم»(الأنعام:٧١) و «يريد الله ليبين لكم» (النساء:٢٦) ثم أضاف (أى أن نسلم وأن نبين لكم) ثم استشهد ببيت كثير عزة :

أُريدُ لأنسى ذكرها فكأنما   تَمثّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ مكانِ(١)

وقال بعده : (المعنى : أريد أن أنسى ذكرها) .

رابعا ـ بيان الاساليب :

وفى بعض الأحيان يبين الأسلوب الذى يحقق المعنى المقصود من اللام التى يتحدث عنها ، مراعياً أسلوب العرب فى الخطاب . . . . فلام الشفاعة تشبه لام الأمر إذا جاءت فى سياق يراد به من هو دونك . وفى تلك الحال يراد بها الأمر . مثل : قم يا غلام ويا رجل . وإذا أمرت من هو فوقك فلا تقول أمرته لكن تقول : أشفعت إليه وطلبت إليه لأنك تحته . وإذا طلبت إلى السلطان تقول : أعطنى . وكذلك تقول : ربى ارزقنى . و « ربنا أنزل علينا مائدة » (المائدة : ١١٤) و « ربنا اغفر لنا » (آل عمران : ١٤٧) فهذا كله شفاعة . وتقول : يا عبد سل ربك ليعطف علينا . ويا رجل قل لأميرك لينظر فى أمرى .

---

(١) فى ديوانه « بكل سبيل » وكذلك فى جميع المصادر التى أوردت البيت .

ثم يبين ما يكره من الأساليب فيقول : والعرب تكره أن تقول أمرت سيدى ومولاى . ولكن تقول: طلبته وسألته وأشفعت إليه . قال تعالى : « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك » (الزخرف : ٧٧) .

وهذا المنهج يشبه منهجه فى « صناعة الكتاب » حيث أورد أساليب الكتاب فى المخاطبات وأعقبها بما يكره من أساليب المخاطبات .[(١)]

٧ — المقنع فى اختلاف البصريين والكوفيين

لا نعرف عن هذا الكتاب النحوى سوى اسمه وقد ذكره ابن خير[(٢)] والقفطى[(٣)] ، والسيوطى[(٤)] ، وغيرهم ولكن لم ينقل أحد منه شيئاً ليعطينا صورة عنه . ويوجد كثير من مسائل الخلاف فى كتبه : إعراب القرآن ومعانى القرآن وشرح القصائد التسع ، ولربما كانت من مسائل هذا الكتاب، وإن تكن كلها فلا شك أن قسما منها جاء فى «المقنع» مادام المؤلف واحداً وما دامت تلك المسائل ثابتة لأصحابها فى أى كتاب نحوى نطالبه ، وإن كان فى إيراد بعضها خلاف فإن ذلك لا يختص برأى شخص دون آخر ، بل أمور مشتركة ترجع إلى أن صاحب الرأى قد يرجع عن رأيه أحياناً ، وقد تكون ناتجة عن عدم الدقة فى نسبة الآراء إلى أصحابها أو إلى الخطأ أحياناً . ومن ذا الذى يسلم من الخطأ ؟؟

وبهذا الكتاب النحاسى ، نكون قد انتهينا من الحديث عن آخر كتاب نحوى له .

---

(١) نصوص باقية من صناعة الكتاب /٢٠٠ (النصان رقم ٤٦ و ٤٧) .
(٢) فهرسة ابن خيبر /٣٠٩
(٣) انباه الرواة ١٠٣/١.
(٤) بغية الوعاة ٣٦٢/١

ثالثا : الدراسات المشتركة بين اللغة والنحو

١ — تفسير عشرة دواوين .

٢ — شرح المفضليات .

٣ — شرح القصائد التسع المشهورات .

٤ — معانى القرآن .

أما الكتابان الأول والثانى فمفقودان ، ولا نعرف عنهما إلا أنهما من كتب النحاس [1] ولهذا فإن حديثنا سيكون عن الثالث والرابع .

شرح القصائد التسع

(أ) وصفه :

يعد هذا الكتاب من نفائس كتب الدراسات اللغوية والنحوية ، ومن أجود الشروح لهذه المطولات . ويختص بمزايا كثيرة ذكر واحدة منها المؤلف فى أول الكتاب ، ونذكرها جميعاً عند الحديث عن أهميته . أما الميزة التى ذكرها النحاس فى صدر كتابه فهى بسط المسائل النحوية فى نطاق أبيات هذه القصائد ، واختصار مافيها من الغريب . والسبب فى ذلك أن : (الذى جرى عليه أمر أكثر أهل اللغة الإكثار فى تفسير غريب الشعر وإغفال لطيف ما فيه من النحو) . [2]

وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ أحمد خطاب ، وطبعه ببغداد سنة ١٩٧٣ فى ٧٦٧ صفحة عدا الفهارس وقصيدة عمرو بن كلثوم التى ألحقت بالشروح من نسخة أخرى غير النسخ المعتمدة فى التحقيق ، مع أنها موجودة

---

(١) انباه الرواة ١/١٠١ وفيات الاعيان ١/٨٢ وبغية الوعاة ١/٣٦٢

(٢) شرح القصائد التسع /٩٧

ضمن القصائد التسع . وحجة المحقق أنه أفرد هذا الشرح ملحقاً حتى لا تفوت القارىء فائدته [١] . مع إيمانه بأنه ليس للنحاس .

وقد رتب النحاس القصائد التسع حسب الترتيب الآتى :

قصيدة امرىء القيس ، ثم قصيدة طرفة ، ثم قصيدة زهير ، ثم قصيدة لبيد ، ثم قصيدة عنترة ، ثم قصيدة الحارث بن حِلّزة ، ثم قصيدة عمرو بن كلثوم ، ثم قصيدة الأعشى ، وأخيراً قصيدة النابغة .

(ب) منهجه :

يهتم النحاس بوحدة البيت خلافاً لأستاذه على بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) ، الذى أعار وحدة القصيدة شيئاً من اهتمامه . والنحاس فى ذلك جار على المنهج النقدى الذى ساد فى عصره وقبل عصره وركز على وحدة البيت . ومن خلال الاهتمام بهذا البيت وشرحه تظهر جميع خصائص المنهج النحاسى . . . ولهـــذا فإن حديثنا عن منهج النحاس فى هذا الكتاب هو إعطاء صورة عامة للشرح ، ثم نتناول الجانب اللغوى والجانب النحوى .

والصورة العامة المألوفة للشرح أن يبدأ بغريب الألفاظ فيوضح معناها ، ويبين ما فيها من فروق لغوية ولغات ، وما جاء لمعنيين أو لمعان عدة ، أو ما توارد من ألفاظ لمعنى واحد . وما جاء بلغتين ، أو بلغات عدة . وإذا كان فى المعنى العام غموض وضحه . ويهتم باختلاف رواية البيت إن كان فى روايته اختلاف بين علماء اللغة ورواة الشعر ، كما يهتم بالقضايا النحوية اهتماماً كبيراً ، فيركز على مشكلة الإعراب ، ويناقش المشكلات

(١) شرح القصائد التسع /٩٠

النحوية والخلافات بين النحاة المشهورين . وهكذا نجد الجانبين اللغوى والنحوى معاً فى شرح الأبيات . ولذلك فقد قسمنا المنهج قسمين :

١ — الجانب اللغوى .

٢ — الجانب النحوى .

١ - الجانب اللغوى :

والحديث عن الجانب اللغوى يتناول القضايا الآتية :

(أ) الفروق اللغوية :

اهتم اللغويون قبل النحاس بالفروق اللغوية منذ بداية القرن الثالث الهجرى وأول من نسب إليه كتاب بهذا المعنى هو قطرب (ت ٢٠٦ هـ) وتبعه الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) ، ثم تتابعت كتب الفروق تترى .

ولم يكن النحاس بدعاً من اللغويين (١) . فقد استفاد من جهود الأقدمين واطلع على قسم من مؤلفاتهم وأضاف أشياء جدّت عنده وهو يتناول أبيات القصائد التسع بالشرح .

غير أن الجديد فى موضوع الفروق اللغوية أنه لم يقتصر على المفهوم الضيق لهذه الكلمة فتجاوزت عنده ما يتعلق بالأسماء التى تطلق على عضو من أعضاء الحيوانات والإنسان باختلاف اللفظ ، إلى ما يتعلق بالفروق الدقيقة بين كل كلمتين تطلقان على معنى واحد . أو ما يختلط فيه المعنيان حتى يصبحا كأنهما معنى واحد كالطلل والأثر اللذان يطلقان على ما بقى من آثار الديار بعد رحيل الظاعنين . واشتمل هذا المفهوم على الفرق بين

---

(١) البدع : الاول ومنه قوله تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » (سورة الاحقاف آية ٩) ، وينظر اللسان (بدع) ٩/٣٥١ .

معانى اللفظ الواحد فى باب ما يسمى بالأضداد..... كما تناول الفروق بين الأفعال حين يتغير المبنى تغيراً ما ...

ففى شرح قول امرىء القيس (بيت : ٢٠١) :

كأنَّ مكاكىَّ الجِواء غديةً صُبِحْنَ سُلافاً مِن رَحيقٍ مُفَلْفَل

قال : (أصبحن : من الصبوح ، وهو شرب أول النهار ، والقبيل : شرب نصف النهار ، والغبوق : شرب العشى ، والجاشرية : شرب السحر ، والفحمة : شرب الليل)[١] .

وقد لاحظ أيضاً الفرق الدقيق بين الطلل والأثر فقال : (وواحد الأطلال : طلل ، ولا يقال له طلل حتى يكون له شخص ، فأما الأثر فإنما يقال له رسم) .[٢]

أما ما يقوله : « أصحاب الغريب المحض »[٣] من أن كلمة « جَلَل » للصغير والعظيم فلم يُرض النحاس لأن أهل النظر قالوا : إن كلمة جلل للعظيم على بابه ، وجلل للصغير من الجل ، وهو الشىء الذى لا يعبأ به ، ويجوز أن يكون « جلل » لما تجاوز فى العظم والصغر كما قال الله جل وعز : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »[٤] ، أى فما فوقها فى الصغر .[٥]

والفروق ليس فى الأسماء فحسب بل فى الأفعال ومصادرها كذلك فإنه يقال : قذَت عينى تقذى قذياً إذا ألقت القذى ، وقذيتها تقذية إذا أخرجت

(١) شرح القصائد التسع / ٢٠١ .
(٢) شرح القصائد التسع / ٢٠٨ .
(٣) هذه عبارة النحاس (شرح القصائد ٢٧٦) .
(٤) سورة البقرة آية ٢٦ .
(٥) شرح القصائد التسع / ٢٧٦ ، وينظر « اللسان » (جلل) ١٣ / ١٢٢ .

منها القذى ، وقذيت تقذى قذى : إذا صار فيها القذى وأقذيتها إقذاء : إذا ألقيت فيها القذى » .(١)

أما المعنى المعروف للفروق : وهو ما يتصل بإطلاق ألفاظ مختلفة على عضو من أعضاء بدن الإنسان والحيوان فقد تناوله فى كتابه : « شرح القصائد » أيضاً . ومن الأمثلة عليه شرحه لبيت طرفة (بيت ٣٠) :

وَخَدٌّ كقِرطاسِ الشآمى ومِشْفَرٌ كسِبْتِ اليمانى قَدُّه لم يُجَرَّدِ

حيث يقول : (المشفر : الشفة ... ويقال : هى الشفة من الإنسان ومن ذوات الأخفاف — وهى الإبل — المشفر . ومن ذوات الأظلاف — وهى البقر والغنم والشاء — المقمة والمرمة . ومن ذوات الحافر — وهى الدواب — الجحفلة . ومن السباع الخطم والخرطوم ، ومن الخنازير الفنطيسة ، ومن الطائر غير الصائد المنقار . ومن الصائد المنسر) .(٢)

وهذا النص منقول من « كتاب الفرق للأصمعى » .(٣)

ولكن النحاس خلط بين معانى الشفة والأنف ، فالفنطيسة من الخنزير تقابل الأنف عند الإنسان ، أما بقية المعانى فتتصل بمعانى الشفة .

(ب) بيان المعانى المجازية :

ومن القضايا الطريفة التى لاحظها النحاس قضية المجاز اللغوى غير أنه لا يستعمل كلمة المجاز بل يستعمل كلمة أخرى هى : « التمثيل » وهو يطلقها ويريد بها : « ما استعمل فى غير ما وضعه العرب له مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى » . وهو مفهوم المجاز عند اللغويين والبلاغيين .

(١) شرح القصائد / ٢٤٤ ، وينظر « اللسان » (قذى) ٢٠/٣٢
(٢) شرح القصائد/ ٢٤١ — ٢
(٣) كتاب الفرق / ٦ ، ٧

ويطلقها ويريد بها « مجاز الاستعارة » ، ولكنه لا يبين القرينة على أية حال ... ويكتفى بقوله : هذا تمثيل .. أو هو تمثيل .[1]

ففى شرح قول امرىء القيس : « فسلى ثيابى من ثيابك تنسل » يبين أن الثياب هنا تعنى القلب أى : سلى قلبك من قلبى[2] ، ويقيسه على قوله تعالى : « وثيابك فطهر »[3] ثم تناول هذا التفسير فى شرحه بيت عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه .... البيت[4]

وكثيراً ماأطلق لفظة « التمثيل » قاصداً بها « الاستعارة » ففى شرح بيت عنترة (رقم ٤٤) :

فإذا شَرِبْتُ فإننى مُسْتَهْلِكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يُكْلَمِ

قال : (ومعنى عرضى وافر : أنا أصونه ولا أشح بمالى ، « ولم يكلم : لم يجرح وهو تمثيل »[5] وتناولها فى شرح معنى « القناة »[6] في قول « عمرو بن كلثوم » (بيت رقم ٤٨) :

فإنَّ قناتنَا يا عمرو أعْيَتْ على الأعداء قبلكَ أنْ تلينا

كما تناولها فى مواضع أخرى . . . . دون أن يطلق عليها اسم الاستعارة .[7]

---

(١) شرح القصائد التسع ٥٠١ ، ٥٦٧ ، ٦٥٣.
(٢) شرح القصائد /١٢٧.
(٣) سورة المدثر : آية : ٤.
(٤) شرح القصائد التسع /٥٠٩.
(٥) شرح القصائد التسع /٥٠١.
(٦) شرح القصائد التسع /٦٥٣
(٧) شرح القصائد التسع /٥٦٧

(ج) اشتقاق الكلمات :

يبدو النحاس فى مجموعة من كتبه الباقية وهو مولع بالاشتقاق ولعاً كبيراً ، فهو لا ينى عن متابعة أصول الكلمات حتى يخرجه ذلك إلى التعسف أحياناً فيلتمس للأسماء الأعجمية أصولا اشتقاقية ، وأهم الكتب التى تناول فيها الاشتقاق : إعراب القرآن ، ومعانى القرآن ، وشرح القصائد التسع ، ولا غرابة فى ذلك فهو مؤلف كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى .

ومنهجه فى تناول الكلمات المشتقة فى كتابه « شرح القصائد » متصل بالأبيات التى يتناولها ، غير أنه يستطرد أحياناً استطراداً جميلا ، فيجمع مادة لغوية ثرة فى موضوع واحد كما سنرى .

ففى شرح بيت زهير (رقم ٢٥) :

يُنَجِّمُها قومٌ لقوم غرامةً ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ

قال : (ملء الشيء : مقدار مايملؤه . والمَلْأُ : المصدر . يقال : ملأته ملأ . ومُلِىء فلان مُلاءً : إذا زكم . وفلان ملىء بين الملاءَ والمَلَأُ : الأشراف . وأنت أملأ من فلان ، والملاءة التى تلبس : ممدودة . والملاوة : القطعة من الدهر . وأكثر أهل اللغة يقولون : الملاوة . وقد حكى الضم . وقولهم : « أَبْلِ جديداً وتَمَلَّ حبيباً » من هذا ، أى : عش قطعة من الدهر) .(١)

وفى مكان آخر تناول مشتقات مادة (قنع) ، من اسم ، واسم فاعل وصفة مشبهة ، فقال : (القناع مشتق من العلو يقال : فرع مقنع إذا كان عالياً مرتفعا ويقال قنع الرجل بالكسر : إذا رضى قناعة . وهو قنع

(١) شرح القصائد التسع / ٣٢٥ ، وفى « اللسان » : ملا / ١٥٢ : (الملاءة بالضم ، مثل المتعة ، والملاءة ، والملاء : الزكام) .

وقانع وقنِع أجود ، ومعناه أنه رفع نفسه عن السُّخْط [١]) .

وفى موضع آخر تناول معنى القضاء فقال : (القضاء : الموت . ومنه قضى فلان : إذا مات . وأصل القضاء : الفراغ من الشىء . ومنه قضاء القاضى . ومنه قضاء الله وقدره ، ومنه تقضى النهار) . [٢]

ومن مباحثه الاشتقاقية اللطيفة تناول « أصل الحرام » حيث بين أن (أصل الحرام : الممنوع) . قال الله جل وعز « والحُرُماتُ قصاصٌ » [٣] . فالحرمات كل ممنوع منك مما بينك وبين غيرك . وقولهم لفلان من حرمة أى أنا أمتنع من مكروهه .. .. والبيت الحرام سمى بهذا لأنه القتال كان ممنوعاً فيه) . [٤]

ولعل من أكثر الأمثلة إيضاحاً لمنهجه فى استيعاب الأصول الاشتقاقية ما وضحه فى « شرح القصائد التسع » من اشتقاق أسماء الخمرة . فقد أحصى لها ثلاثين اسما ، ثم أخذ يبين اشتقاق هذه الأسماء واحداً واحداً [٥] . قال أبو جعفر : (وسميت « خمراً » لسترها العقل ومخالطتها إياه ، وكل ما ستر العقل من الشراب فهو كالخمر ، ومنه سمى الخمار . والعرب تقول : خامرنى داء ، أى خالطنى ، وسميت « قهوة » لأن شاربها إذا شربها لم يشته الطعام . «والسُّلافة» : أى السائلة من سلف إذا مضى . وسميت «عُقاراً» لأنها تعاقر الدَنّ ، أى : تقيم فيه ، وسميت « راحاً » لأن شاربها يراح

(١) شرح القصائد التسع /٤٩٣
(٢) شرح القصائد التسع ٥٨٩
(٣) سورة البقرة آية : ١٩٤
(٤) شرح القصائد التسع /٥٢١
(٥) شرح القصائد /٤٩٧

إلى الندى ، يقال : راح وارتاح بمعنى واحد ....).. .. وهكذا يتناول النحاس هذه الأسماء مبيناً اشتقاقها .

غير أننا نأخذ عليه مبالغته فى التماس أصول هذه الأسماء حتى ما كان من أصل غير عربى كالخندريس التى نص « الجواليقى » على أنها « رومية »[١] .

(د) المشترك اللفظى :

وفى هذا تتوارد المعانى المختلفة للفظ الواحد . . . وقد تناوله اللغويون قبله وأفردوه بالتأليف ، فمنهم من سماه « المثلثات » مثل قطرب (ت٢٠٦ﻫ) وابن السيد البطليوسى فى كتابه « المثلثات » ، ومنهم من أسماه « ماتشابه لفظه واختلف معناه » مثل المبرد (ت ٢٨٥ ﻫ) ، وهذا يتناول المثلثات وغير المثلثات .

فمن المثلثات التى تناولها النحاس هو أن الصدى : ذَكَرُ البوم ، وهو حشوة الرأس أيضاً ، والصدى الصوت الذى تسمعه من ناحية الجبل[٢] . وتناول غيره فى مكان آخر .

أما ما تناوله من غير المثلثات فمنه السلم والسلم بفتح السين وكسرها بمعنى الصلح ، وقال : هى تذكر وتؤنث[٣] ومن شواهد تذكيرها بيت زهير (رقم ٢٠) :

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً   بمال ومعروف من الأمر نسلم

---

(١) المعرب /١٧٢ .
(٢) شرح القصائد التسع /٢٦٩ .
(٣) شرح القصائد /٣٢١ — ٣٢٢ .

ومن شواهد تأنيثها قول الله جل وعز: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »[(1)].

وجاءت مكسورة السين مؤنثة فى قول الشاعر، الذى أنشده الفراء:

فلا تضيقن إنّ السِلْمَ آمِنَةٌ ملساء ليس لها وَعْثٌ ولا ضيق

ومما تناوله من غير المثلثات توارد المعانى المختلفة على لفظة كريم[(2)]. فقد تأتى بمعنى الشريف الفاضل. قال الله عز وجل: « ولقد كرّمنا بنى آدمَ »[(3)]. ويقال للصفوح كريم قال الله عزوجل: «فإنّ ربى كريم»[(4)]. ويقال للكثير كريم لفضله، قال الله عز وجل: « لَهُمْ مَغْفِرة ورِزقٌ كريم »[(5)] ويقال للحسن كريم لفضله، ومنه قوله عز وجل: « ومقام كريم »[(6)].

وهكذا تناول النحاس هذه المباحث اللغوية ـ وغيرها ـ[(7)] بمناسبة شرح القصائد فأغنى تلك المباحث وأثراها..

وقد لاحظ النحاس أيضاً تشابه الألفاظ فى ميدان الأضداد، وأبدى رأياً طريفاً فى هذا الموضوع يكاد ينفى وجود الأضداد، ولاحظ أن رأى القائلين بأن جلل للعظيم والصغير هو رأى أصحاب الغريب المحض... أما أهل النظر فقد قالوا: جلل للعظيم على بابه وجلل للصغير من الجل وهو الشىء الذى لا يعبأ به، ويجوز أن يكون جلل لما تجاوز فى العظم والصغر.

---

(١) سورة الانفال آية /٦١
(٢) شرح القصائد /٢٧١.
(٤) الاسراء آية : ٧٠
(٤) سورة النمل آية : ٤٠
(٥) سورة الانفال آية : ٧٤
(٦) سورة الدخان آية /٢٦.
(٧) شرح القصائد /٣٠٥

قال الله عز وجل : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » أى ما فوقها فى الصغر (١) .

وهو رأى ـ وإن لم يكن قاطع الدلالة ـ فإنه طريف على أية حال .

وقد لاحظ أيضاً أن اختلاف المعنى ـ فيما تشابه لفظه ـ يخضع للسياق فالجد بضم الجيم فى قول زهير :

« ونؤيا كجُدِّ الحوض لم يتثلم » معناها : البئر العتيقة والجُد فى غير هذا بمعنى الجُدة والجدّة : الطريقة السوداء فى ظهر الحمار (٢) .

وكما لاحظ تشابه اللفظ واختلاف المعنى فإنه لاحظ أثر الحركات فى تغيير المعنى (٣) .

فالجَدّ : البخت : والجد : القطيع يقال جده يجده إذا قطعه ، والجد أبو الأب والجِد : الأخذ فى العمل بعزم وقوة ، يقال جد وأجد ومنه قول العرب : فلان جد مجد ، والجُد الطريق فى الماء ...

وفى شرح بيت عنترة (رقم ٥٦) :

ومشكّ سابغة هتكت فروجها . . . . (٤)

بين أن معنى « الفرجة » — بضم الفاء — الشق فى الصف وغيره . و « الفرجة » بفتح الفاء ـ كشف البلاء ، وبالشاهد المشهور كان استشهاده وهو قول أمية بن أبى الصلت (٥) :

---

(١) شرح القصائد التسع ٢٧٦

(٢،٣) شرح القصائد التسع ٥١٣

(٤) شرح القصائد التسع ٥١٣

(٥) من أبيات الكتاب ١/٢٧٠ ، ٣٦٢ والمقتضب ١/٤٢ واستشهد به على وقوع « ما » نكرة وتنظر الخزانة ٢/٥٤١

رُبَّمَا تَكْرهُ النفوسُ مِنَ الأمـ ـرِ له فَرجة كحلّ العِقال

(هـ) تطور الدلالة :

ومن القضايا اللغوية الطريفة التي لاحظها « تطور الدلالة » بكثرة الاستعمال فقد وضح أن الدلالة تتطور من الخاص إلى العام بكثرة الاستعمال فالربيع عند العرب : المنزل في الربيع . هذا أصل الاستعمال . « ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل : ربيع وإن لم يكن في الربيع ، وكذلك « دار » من التدوير ، ثم كثر استعمالهم ذلك حتى قيل دار وإن لم تكن مدورة »[١].

وكذلك التلاد فهو في الأصل ما ولد عندهم . والتاء بدل من الواو ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل لملك الرجل كله تلاد[٢]

وكما لاحظ تطور الدلالة من الخاص إلى العام لاحظ أيضاً العكس أي تطورها من العام إلى الخاص . فالصَّوان في الأصل مطلق الحجارة ، إلا أن الصوان إنما يستعمل لحجارة النار خاصة ، وكانت العرب تذبح بها[٣] .

(و) استعمال أصل البناء :

ولاحظ أيضاً أن بعض الألفاظ تموت ، بزوال أحد بناءين وبقاء واحد منهما أو بانزواء أحد البناءين لقلة استعماله في حين يبقى الآخر كثير الاستعمال .

---

(١) شرح القصائد التسع /٤٥٥

(٢) شرح القصائد التسع »٣٢٣

(٣) شرح القصائد التسع /٤٥٩

ففى شرح قول عنترة (بيت ١١) :

ولقد نزلتِ فلا تَظُنِّى غيره   مِنِّى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ

تناول أصل الكلمة «المُحَبّ» فقال : (المحب جاز على أحب وأحببت على الأصل والكثير فى كلام العرب محبوب . قال الكسائى : محبوب من حببت وكأنه لغة قد ماتت ، كما قيل دمت ودمت أدوم ومت أموت ، وكأن الأصل أن يقال : أمات وأدام فى المستقبل إلا أنها لغة قد تركت)[1] .

أما فى قول « عنترة » : وعِمِى صَباحاً دارَ عبلة واسلمى . . فقد بين — نقلا عن الأصمعى — أن عِمْ وأنْعِم بمعنى واحد ، أى : كن ذا نعمة إلا أن عم أكثر فى كلام العرب[2] .

غير أن « الفراء » يرى أن عم من أنعم وهو يذهب إلى أن النون حذفت كما حذفت فاء الفعل من قولك : كل وخذ . . . . .[3] . . . وهو رأى طريف .

لكن النحاس لا يرتضى هذا ، بل يرى أنه رأى مدحوض بما جاء فى الحديث أن أبا ذر لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أنعم صباحاً ، قال له النبى : إن الله قد أبدلنى ما هو خيرٌ منها . . . . يعنى السلام .[4]

والذى أراه أن ماذهب إليه الفراء صحيح ، وأما الحديث فلا يدحض

---

(١) شرح القصائد /٤٦٦

(٢،٣) شرح القصائد التسع /٤٥٦

(٤) شرح القصائد التسع /٤٥٦

حجة الفراء ، لأنه لم يقل إن لغة « أنعم » غير مستعملة ، بل فسر الصلة بينها وبين أختها « عم » ...

وقد أخذ برأى النحاس كل من ابن السيد البطليوسى وأبى حيان فى الرد على ابن مالك الذى زعم فى « التسهيل » أن « عم » فعل أمر غير متصرف (١)

(ز) بيان ما فيه لغات عدة :

ومن ملاحظاته اللغوية أنه بين ما جاء بلغات عدة سواء أكانت متساوية فى الفصاحة أو متفاوتة . وكل لغة جاء بها القرآن ، فهى أفصح من غيرها . . . فسرى وأسرى : إذا سار فى الليل ، وهما متساويتان فى الفصاحة ، لأن القرآن جاء بها (٢) . قال الله تعالى : « والليل إذا يسر » (٣) ، وقال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » (٤) .

أما « جَرَم وأجرم » فهما لغتان بمعنى الجُرْم وهو الذنب ، و « أجرم » أفصح وبها جاء القرآن (٥) . قال الله جل وعز : « إنا من المجرمين منتقمون » (٦) .

وفى « لدى » لغات ، فمن العرب من يقول : لدى ومنهم من يقول :

---

(١) الخزانة ١/٢٦
(٢) شرح القصائد التسع /٢٤٦
(٣) سورة الفجر آية /٤
(٤) سورة الاسراء آية : ١
(٥) شرح القصائد التسع /٣٣٣
(٦) سورة السجدة آية : ٢٢

لَدُنْ ، ومنهم من يقول : لَدْنُ ، ومنهم من يقول : لَدُ ، ومنهم من يقول : لَدٌ ياهذا.[1]

وهكذا يفعل فى كثير من مواضع كتابه ، لكنه من الملاحظ أنه لا ينسب هذه اللغات إلا نادراً[2] ، وعلى عكس ما فعل فى كتابه « إعراب القرآن » حيث نسب كل لغة إلى قبيلتها ونادراً ما ترك اللغات بدون نسبة .

٢ ـ الجانب النحوى :

أما الجانب النحوى من الشرح فيبرز فى الأمور الآتية :

(أ) اهتمامه بالعوامل النحوية :

ويتجلى جانب من جوانب اهتمامه النحوى فى انشغاله بالعوامل النحوية وأثرها فى النصب والرفع الجر . ويجره ذلك إلى إيراد أقوال النحاة إن وجدت والملاحظ أن النحاس لا يستعمل العوامل النحوية أو يوردها إيراداً عقلياً مجرداً من الدليل النقلى ، أو الروائى بل يسندها بالرواية وماجاء عن العرب من كلام فصيح يصح الاستشهاد به . ولكنه قد يبالغ فى القياس أحياناً فيخالف المشهور والفصيح من اللغة .. أو يُحكِّم القياس النحوى فى الرواية ... وهذا يخالف النهج اللغوى القويم فالقوانين اللغوية هى تابعة للنصوص . ونتيجة لها وليس العكس .

وهذا مثل من الأمثلة التى يجرى فيها العامل منسجماً مع القياس ، فبعد قول امرىء القيس :

(١) شرح القصائد التسع /١٧٦ .
(٢) شرح القصائد التسع /١٤٨

وُقوفاً بها صحبى علىَّ مَطيَّهُمُ ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

جاء قوله : (وقوفاً نصب على الحال . قال أبو جعفر[(١)] : وكذا سمعت أبا إسحاق يقول ، وغاب عنى تحصيل العامل فيه . والذى يوجب عندى أن يكون العامل فيه «قفا» كما تقول: «وقفت بدارك قائماً سكانها». وفيه اعتراض ، يقال : كيف قال « وقوفاً بها صحبى » والصحب جماعة ، وقوله وقوفاً متقدم لا ضمير فيه فلم لم يقل واقفاً بها صحبى ، كما تقول : مررت بدارك قائماً سكانها ؟ فالجواب فى هذا أن الاختيار عند سيبويه فيما كان جمعاً مُـكَسَّراً أن تقول : مررت برجل حسان قومه ، فإن كان مما يجمع جمع التسليم كان الاختيار ترك التثنية والجمع ، فتقول : مررت برجل صالح قومه كما قال زهير :

بكرتُ عليه غدوةً فوجدتُه ... قعوداً لديه بالصريم عواذله

وقد يجوز أن يكون « وقوفاً » منصوب على المصدر من « قفا » والتقدير : « قفا وقوفاً مثلَ وقوف صحبى » كما تقول : « زيد شُرْبَ الإبل » يريد يشرب شرب الإبل . . . .[(٢)]

ومما صح فيه ورود العامل فانسجم مع القياس : النصب فى « سحّا » و « كلّ » فى قول عنترة (بيت ٢٠) :

سَحّاً وتَسكاباً فكُلَّ عشيةٍ ... يجرى عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ

لأن سحا : منصوب على المصدر . وقوله (بيت ١٩) :

جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

---

(١) أى النحـــاس .

(٢) شرح القصـــائد التسع ١٠٢/١٠٣

يدل على ذلك فصار مثل قول العرب هو يدعه تركا ، لأن يدعه بمعنى يتركه . وقوله : « تسكاباً » بمنزلة : « سحاً » فى إعرابه[1] . وقوله «فكل عشية » منصوب على الظرف والعامل فيه يجرى) .

غير أنه يحكم القياس النحوى أحياناً فيرفض ما سمع من العرب ويتجاوز هذا الرفض الحد المعقول فيخطىء العرب ... ومن ذلك إنكاره الجوار فى بيت امرىء القيس (رقم ٧٨) :

كأنّ ثبيراً فى عرانينِ وَبْلِهِ　　كبيرُ أناس فى بجاد مزملِ

بقوله : (وكان يجب أن يقول : « مزمل » - بالرفع - لأنه نعت للكبير . إلا أنه خفضه على الجوار . وحكى الخليل وسيبويه : «هذا جحرُ ضبٍ خربٍ » ، وإنما خرب نعت للجحر . قال سيبويه ، وإنما غلطوا لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد . وأنهما مفردان . وحكى الخليل أنهم يقولون فى التثنية : « هذان جحرا ضب خربان » فيرجع الإعراب إلى ما يجب لأن الأول مثنى والثانى مفرد ....)[2] .

فهو قد حكم القياس النحوى الذى يرى عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى حالات خاصة ، مع وروده فى كلام العرب فى الشعر وفى القراءات القرآنية السبعية المشهورة . كما سبق أن بينت أما حجته فى أنهم إذا استعملوا المثنى من هذا المثال أرجعوا الاسم إلى أصله ، فهى مردودة لأن العرب قد يعاملون الاسم فى حالة المثنى بصورة تختلف عن حالة المفرد . وقد روى النحاس نفسه أن بنى الحارث بن كعب يبنون المثنى على

---

(١) شرح القصائد التسع ٤٧٦/
(٢) شرح القصائد التسع ١٩٧/ وكتاب سيبويه ٢١٧/١

الألف دائماً[1] وعلى ذلك جاء قوله تعالى : « إن هذان لساحران »، (سورة طه : آية ٦٣) . وجاء قول « هوبر الحارثي »[2] :

تزود منا بين أذناه ضربة ... دعته إلى هابي التراب عقيم

فكيف لا يجوز الجوار في كلام العرب ؟ وهل نحن أعرف من العربي بلغته ؟ وإذا كنا نخطىء العربي فمن أين نأخذ اللغة العربية ؟ ؟

(ب) اهتمامه بالعلل النحوية :

تجرى أية لغة وفق قوانين خاصة بها قد لا تتفق مع الموازين العقلية ، وقد تتفق ... أما النحاة فقد شاءوا أن يعطوا لكل قضية تعليلا تصح معه فإذا انعدمت العلة انعدمت النتيجة التي تترتب عليها ، أليست العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً ؟ ؟

١ ـ انضمام ((قبل)) و ((بعد)) :

وقد ضمت « قبل » لأنها غاية . وفي تسميتهم إياها غاية قولان : (أحدهما أنك إذا قلت : « جئت قبل زيد» ، ثم قلت : « جئت قبلُ » فقد صارت قبل غاية لأنه ليس بعدها شيء ، والقول الآخر ، وهو قول أكثر النحويين أنها إنما سميت غاية لأنك إذا قلت : « جئت قبلُ » ، فقد دلت على الغاية في التقديم . فإذا قلت : « جئت بعد » فهي الغاية في التأخير ، وإنما وجب لها الضم لأنهما جعلتا بمنزلة غير المتمكن . . . أي بأنهما معرفة من غير جهة التعريف ، وكان يجب أن تكونا مضافتين فلما حذفت منهما الإضافة صار فيهما معنى ما يؤديه الحرف وهو التعريف .

(١) اعراب القرآن لوحة ١٣٢ : أ

(٢) البيان في غريب اعراب القرآن ٢/١٤٤ ، وينظر اللسان (صمم) ١٥/٢٣٩ ففيه شاهد آخر على هذه اللغة .

فوجب ألا يعربا ، إلا أنهما قد كانتا متمكنتين فى قولك : «جئت من قبل زيد » و « جئت من بعد عمرو » فأعطيتا حركة لتدل على أنهما قد كانتا متمكنتين ، واختير لهما الضم لأن الظروف لا يكون فيها الضم فى حال سلامتها)[١] .

فإذا كانت هذه علة الضم فى الظروف فلماذا بنيت بعض الأسماء على الضم « نحن » وتاء « فعلت» ؟ ولماذا بنيت بعض الظروف على الضم مثل مثل « حيث » حتى فى حالة كونها مسبوقة بحرف الجر ؟

٢ ــ علة صرف ((قطام)) :

وعند تعليله صرف (قطام) فى بيت الحارث بن حلزة :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام وله فارسيـــة خضراء

يقول : (أجرى « قطام » فى الإعراب لما اضطر رده إلى أصل الأسماء ولغة أهل الحجاز إذا كانت اسماً لمؤنث أن تكون مكسورة بغير تنوين وكان حقها أن تكون ساكنة[٢] . والعلة فيها عند أبى العباس[٣] إنما زادت على مالا ينصرف علة فبنيت ، لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء) .

وهذا التعليل غير صحيح ، لأن الزجاج نفسه الذى روى هذا الرأى لأبى العباس المبرد ، فى كتابه « ما ينصرف وما لا ينصرف » ، نقضه فقال بعده مباشرة : « وهذا مذهب يفسده عندى أنى أرى ما لا ينصرف من الأسماء إذا زادت على اثنين لم يبلغ به أكثر من ترك الصرف[٤] .

---

(١) شرح القصائد التسع /٥٦٤

(٢) شرح القصائد التسع /٦٠٥

(٣) أبو العباس هو المبرد .

(٤) ما ينصرف وما لا ينصرف /٧٦ورأى المبرد فى المقتضب ٣٧٤/٣

ورأى الزجاج عندى غير صحيح ، أيضاً لأن المسألة ليست متعلقة بالعلل وإنما هى لغة من لغات العرب ، وإذا كان أهل الحجاز يبنون هذا النوع من الأسماء على الكسر فإن « بنى تميم » يعربونه ويتركون فيه الصرف كما روى سيبويه[1] والزجاج نفسه . .[2] ثم إن تعليل منع الصرف - فى البيت - بالضرورة الشعرية ، كما يرى النحاس غير صحيح ، وكيف غابت لغة بنى تميم عن النحاس ، وهو الخبير باللغات ، وهو راوى كتاب « ما ينصرف وما لا ينصرف » عن أستاذه الزجاج ؟[3] .

(جـ) اهتمامه بالمشكلات النحوية :

ويتجلى اهتمام النحاس بالنحو ، من خلال اهتمامه بالمشكلات النحوية وما دار حولها من خلافات بين النحاة ... ووقوفه من هذه المشكلات موقف المناقش والمحاجج بحيث يورد المسائل ويورد آراء العلماء فيها ويناقش تلك الآراء باهتمام كبير يفوق اهتمامه بأية مشكلة لغوية ، ولا غرابة فأبو جعفر النحاس عرف بالنحوى وسارت تلك الصفة مع اسمه فى كل كتاب ذكره .

والمسائل التى جاء بها فى كتابه (شرح القصائد التسع) تتعلق تعلقاً مباشراً بأبيات شرحها من تلك القصائد . . ولهذا جاءت محصورة فى هذا النطاق وقليلة إذا ما قيست بكثرة المسائل التى اختلف فيها النحاة . . . ومن أهم القضايا التى ناقشها بالإضافة إلى ما سبق أربع هى :

١ - هل تجوز اضافة الشىء الى نفسه :

أجاز الكوفيون إضافة الشىء إلى نفسه واحتجوا بقول الله جل وعز :

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٤١ .

(٢) ما ينصرف وما لا ينصرف /٧٦ .

(٣) ما ينصرف وما لا ينصرف /١١ .

« وذلك دين القيمة » (البينة آية : ٥) ، وهذا محال عند البصريين ، لأنك إنما تضيفه لتخصصه (بالمضاف إليه غيره) ، أو يكون هو بعضه . فأما قول الله جل وعز « وذلك دين القيمة » فتقديره عند البصريين وذلك دين الجماعة القيمة . [1]

هكذا عرض النحاس هذه المشكلة النحوية فى حديثه عن بيت عنترة رقم (٥٦) :

ومِشَكِّ سابغةٍ هتكتُ فُروجَها   بالسيف عن حامى الحقيقةِ مُعْلِمِ

وقد ألجأه إلى عرض هذه المسألة لأن إحدى معانى « المشكة » : الدرع التى قد شك بعضها إلى بعض... فإذا كان المشك هو الدرع فكيف أضافه إلى السابغة والسابغة الدرع التامة ؟ فالجواب عن هذا أن الكوفيين يجيزون إضافة الشىء إلى نفسه ...[2] وقد استند فى هذا إلى رأى من سماهم الكوفيين ... وهذا فى الأصل رأى الفراء[3] ، ثم تابعه فيه من تابعه .

٢ ــ هل يأتى الفعل الماضى حالا :

وقد أجاز الكوفيون والأخفش سعيد أن يأتى الفعل الماضى[4] حالا ، استنادا إلى السماع والقياس ، أما السماع فهو قوله تعالى : « أو جاؤوكم حَصِرتْ صدورهُم » (سورة النساء آية : ٩٠) ، والتقدير حصرةً صدورهم . والدليل على صحة هذا التقدير قراءة الحسن البصرى ويعقوب الحضرمى : «أو جاؤوكم حصرةً صدورُهم» . وأما القياس فلأن كل ما جاز أن يكون

(١) شرح القصائد التسع /٥١١

(٢) ينظر الانصاف ٢/٤٣٦

(٣) معانى القرآن ١/٣٣١

(٤) الانصاف ١/٢٥٢ (مسألة ٣٢)

صفة للنكرة نحو : « مررت برجلٍ قاعدٍ وغلامٍ قائم ، جاز أن يكون حالا ل
المعرفة نحو : مررت بالرجل قاعداً وبالغلام قائماً ، والفعل الماضى يجوز أن
يكون صفة للنكرة نحو : « مررت برجل قعد وغلام قام » فينبغى أن يقع
حالا للمعرفة نحو « مررت بالرجل قعد وبالغلام قام » وما أشبهه . . .
هكذا عرض الأنبارى هذه المسألة ...

أما البصريون فلا يجيزون ذلك ... ويؤولون أدلة الكوفيين تأويلات
بعيدة عن روح النصوص .

أما النحاس فيعرض هذه المسألة من خلال حديثه عن بيت النابغة
(رقم ٦) :

أَضحتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لُبَدِ

فيقول : وأضحى أهلها قد احتملوا ، وكذلك قال الفراء فى قول الله
جل وعز : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم » ، قال المعنى قد حصرت
صدورهم، قال المازنى : هو على الدعاء ، وقال من يحتج لأن المعنى قد حصرت
لأنه قد قرىء (حَصِرةً صدورُهم) . قال فهذا يدل على أن المعنى قد
حصرت ... وقيل هو خبر بعد خبر وهذا أجود الأقوال[1] وقد نسب
الرأى الأخير إلى أستاذه « الزجاج » فى كتاب آخر[2] .

ومعنى هذا أن النحاس قد التزم برأى البصريين فى هذه المسألة[3] .

---

(١) شرح القصائد التسع / ٧٣٩ ـ ٧٤٠
(٢) معانى القرآن ورقم ٧٧ : ب
(٣) الانصاف ١/٢٥٤.

٣ ـ هل يجوز حذف « لا » ؟ :

وقد عرض هذه المسألة فى موضعين أحدهما يكمل الآخر بالنسبة لها .
والموضع الأول هو عند شرحه لبيت لبيد (رقم ٥٤) :

أقضى اللبانةَ لا أفرّط ريبة أو أنْ يلومَ بحاجة لوّامُها

بنصب ريبة ورفعها . فمن رفع جعله خبر الابتداء ، والمعنى : تفريطى ريبة ، أى عاقبة تفريطى ريبة ، ومن نصب فالمعنى مخافة أن أفرط ثم حذف « مخافة » قال الله جل وعز : « إنّ الله يُمْسِكُ السموات والأرضَ أن تزولا » (سورة فاطر آية : ٤١) . هذا قول البصريين ، والكوفيين يقولون : « لا » مضمرة والمعنى لئلا تزولا ولئلا أفرط ريبة . يريد أنى أتقدم فى قضاء حاجتى لئلا أشك فأقول إذا ما فاتنى ليتنى تقدمت ، أو أن يلومنى لائم على تقصيرى[1] .

والموضع الآخر عند ماعرض لشرح بيت عمرو بن كلثوم (رقم ٧٨) :

نَزَلتمْ منزلَ الأضيافِ مِنّا فَعَجّلْنا القِرى أنْ تشتمونا

قال النحاس : (أى جئتم لحربنا فضرب الضيافة والقرى مثلا ، أى جعلنا ما يقوم مقام القرى ، الحربَ ، كما قال الله جل وعز : « فبشرهم بعذاب أليم » (الانشقاق آية : ٢٤) ومعنى أن تشتمونا على مذهب الكوفيين لئلا تشتمونا ، ثم حذفت « لا » ولا يجوز عند البصريين حذف « لا » لأن المعنى ينقلب ، والتقدير على مذهبهم فعجلنا الحرب مخافة أن تشتمونا ثم حذفت « مخافة » وأقيم « أن تشتمونا » مقامها)[2] .

---

(١) شرح القصائد التسع /٤١٦
(٢) شرح القصائد التسع /٦٧٤

وهذه مسألة لم يذكرها « الأنبارى » فى الانصاف . . . وهذا شىء يدعو إلى التساؤل .. أيعنى أن النحاس قد ذكر أشياء فى كتابه « المقنع فى اختلاف البصريين والكوفيين » لم يذكرها غيره ، فأودع كتابه « شرح القصائد » بعض تلك المسائل ؟ هذا جائز ..

٤ ـ أيجوز نزع الخافض فى مثل : ((مررت الديار)) ؟

ومن المسائل التى عرضها فى كتابه « شرح القصائد التسع » ، مسألة جواز نزع الخافض فى مثل : « مررتُ زيداً » يعنى مررت بزيد قياساً على قول الفرزدق (١) :

مِنّا الذى اختير الرجالَ سماحةً ... وبِرًّا إذا هبَّ الرياحُ الزَّعازِعُ

واحتج من أجاز ذلك بقول جرير :

تَمُرُّون الديار ولم تعوجوا ... كلامكُمُ علَىَّ إذاً حرامُ

وهو رأى بعض الكوفيين كما يقول النحاس . أما سيبويه والمبرد فلا يجيزان ذلك فالأول يرى أن نزع الخافض لايجوز إلا فيما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر ، كما يقال : اختير الرجال زيد وعليه جاء قول الفرزدق . أما المبرد فيرى أن رواية بيت جرير الكوفية ليست صحيحة ، وإنشاده عنده :

مررتم بالديار ولم تعوجوا ... . حرام

كل هذا يعرضه النحاس فى شرح بيت زهير (٤٧) :

وَمنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاج فإنهُ
مطيعُ العوالى رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ٩٨/١

لكنه يقف موقفاً حيادياً فلا يؤيد رأياً وإنما يعرض المسألة عرضاً مجرداً (١).

(د) اثارة الاسئلة حول القضايا النحوية :

ويظهر اهتمامه بالنحو بإثارة الأسئلة أيضاً ، وتلك الأسئلة إنما تثار حول ما يحتمل أن يستفهم عنه إذا ترك بدون حل . . . وفيها يظهر وكأنه محيط بحجة خصمه.

وغالباً ما تأتى إثارة الأسئلة بصيغة « ومما يسأل عنه فى هذا البيت أن يقال . . . » أو نحوها ، مما يفهم منه السؤال ، وأحياناً ينقل مجلساً سئل فيه عالم من علماء اللغة أو أستاذ من أساتذته وفى الحالة الأخيرة يكون بسماعه . ويكون الجواب إما منه أو من كلام أستاذ له أو يعتمد فيه على أحد النحاة السابقين .

ولابد من الإشارة إلى أن الأسئلة قد تثار فى القضايا اللغوية ، كما تثار فى القضايا النحوية وقد يمتزج النحو باللغة لصعوبة الفصل أحياناً بين هذين الفنين أو استحالته فى أحيان أخرى ، وإن كان اهتمام النحاس بهذه الأسئلة فى موضوع النحو أكثر من اهتمامه به فى موضوع اللغة .

١ ـ ففى شرح بيت امرىء القيس رقم ٤٠ :

إلى مِثْلِها يرنو الحليمُ صَبابةً
إذا ما اسبَكَرَّتْ بينَ دِرعٍ ومِجْوَلِ

يقول : « ومما يسأل عنه فى هذا البيت أن يقال : كيف يجوز أن

(١) شرح القصائد التسع /٣٤٦ ، (وقد ناقشت هذه الآراء فى المبحث القادم) .

تكون بين الدرع والمجول[١] وإنما هي تحتهما ؟

ويأتي بعده بالجواب مباشرة[٢] ، « فالجواب عن هذا أن يقال إن المجول هو الوشاح فهو يصيب بعض بدنها والدرع أيضاً ، فهو يصيب بعض بدنها فكأنها بينهما وفيه قول آخر ، وهو أن يكون المجول كما ذكرنا ، أول قميص الصبية وكأنه وصفها أنها ليست بكبيرة ولا هرمة ولا بصغيرة ، فيكون التقدير إذا ما اسبكرت قميصها بين درع ومجول ثم حذف المبتدأ . ويجوز أن يكون أقامها مقام قميصها كما قال : « فسلي ثيابي من ثيابك تنسل » وقال الله عزوجل : «هُنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لَهُنَّ » (البقرة : ١٨٧) .

٢ ـ وفي شرح بيت عنترة رقم ٥٧ :

رَبِذٍ يَداهُ بالقداح إذا شتا هَتّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلوَّمِ

قال : « ومما يسأل عنه في هذا البيت أن يقال : لم قال : ربذ يداه ولم يقل ربذة واليد مؤنثة ؟ » ففي هذا أجوبة ، منها : أنه أضمر في ربذ ثم جعل قوله : يداه بدلا من المضمر كما تقول ضربت زيداً يده ، وقيل إنما غلط لأنه قد تقدم ذكر الرجل فذكر ربذاً عليه[٣] ومذهب الفراء في هذا أنه يجوز أن يذكر المؤنث في الشعر إذا لم تكن فيه علامة التأنيث[٤] ، وأنشد[٥] :

---

(١) الدرع : قميص المرأة . والمجول : قميصها الصغير . واسبكرت : اعتدلت قائمة

(٢) شرح القصائد التسع /١٥٣

(٣) شرح القصائد التسع /٥١٤ (والربذ : السريع . والغايات : العلامات والتجار : الخمارون) .

(٤) معاني القرآن ١/١٢٧

(٥) معاني القرآن ١/١٢٧ والبيت لطفيل . ينظر الكتاب ١/٣٤٠ وديوان طفيل ٢٩

إذ هى أحوى من الربعىّ خاذلةٌ والعينُ بالإثمدِ الحارىّ مكحولُ

ولم يكتف النحاس بهذه الأجوبة ، بل نقل رأياً آخر للأصمعى يخالف فيه الفراء ، لأنه روى البيت بصورة أخرى تخالف رواية الفراء وتوافق مذهبه ، حيث لا يرى جواز تذكير المؤنث فى الشعر . وروايته للبيت هى :

إذ هى أحوى من الربعى حاجبه .. .. مكحول

وسئل الأصمعى عن هذا البيت فقال : فيه تقديم وتأخير ، والمعنى « حاجبه مكحول » ثم قال والعين بعد ما مضى التذكير للحاجب .

وكيف جاز للأصمعى أن يغير هذا البيت ليوافق مذهبه ؟

الحق أنه ليس وحده فى هذا . فكثير من النحاة واللغويين أعطوا لأنفسهم مثل هذا الحق وليس لهم ذلك [1] ويتجاوز بعضهم هذا فيخطىء الراوى ليثبت حجته [2] وما أيسر هذا على الناس العاديين لا على العلماء .

٣ ـ وأحيانا لا يكفى باثارة سؤال واحد فى البيت، بل يثير أكثر من سؤال:

فقد أثار سؤالين فى شرح بيت امرىء القيس (رقم ١١) :

ويومَ عَقَرْتُ للعذارى مطيتى فيا عجباً من رحلها المتحمل

الأول : لم لا تنون « عذارى » فى موضع الخفض والرفع كما يفعل فى عذار ؟؟

والآخر : كيف ينادى العجب وهو لا يجيب ولا يفهم [3] ؟

(١ ، ٢) شرح القصائد التسع /١٨٣ ـ ١٨٤ ويقارن بالكتاب ٨٣/١، وينظر المقتضب ٧٧/١

(٣) شرح القصائد التسع ١١٢ ، ١١٣.

أما الجواب عن السؤال الأول فهو أن التنوين فى «عذار» وما أشبهها عوض من الياء فإذا جئت بالألف عوضاً من الياء لم يَجُزْ أن تعوض من الياء شيئاً آخر ، وهو رأى سيبويه[١] . أما المبرد فيرى أن التنوين فى « عذار » وما أشبهها عوض من حركة الياء المحذوفة[٢] ، وذلك أن الياء كان يجب أن تكون فى هذا الباب ساكنة غير محذوفة[٣] ، غير أن النحاس يلتزم برأى سيبويه ، وحجته فى ذلك أنه إذا كان التنوين عوضاً من الحركة والألف فلا يجوز أن تحرك ، إذ كيف يجوز أن يدخل التنوين عوضاً من الحركة فيما لا يحرك ؟

أما الجواب عن السؤال الآخر فهو أن العرب إذا أرادت أن تعظم الخبر جعلته نداء[٤] .

معـــانى القـــرآن

(أ) مفهوم كتب المعـانى :

التأليف فى معانى القرآن سبق أى لون من ألوان التأليف فى الدراسات القرآنية ، وقد بدأه ابن عباس بكتابه « اللغات فى القرآن »[٥] وبمسائله التى سألها إياه « نافع بن الأزرق »[٦]

وترجع أصول هذه الحركة إلى ما فسره الرسول الكريم من معانى القرآن ، للصحابة . وبقى قسم كبير منه لم يفسره لأسباب منها أن العرب

(١) الكتاب ٢/٥٧
(٢،٣) شرح القصائد التسع /١١٠٢ والمقتضب ١/١٤٣
(٤) شرح القصائد التسـع /١١٣
(٥) ينظر : اللغـات فى القرآن /١٥
(٦) ايضـاح الوقف والابتداء ١/٧٦ وما بعدها .

تعرفه لأنه يوافق مفاهيم اللغة العربية يومئذ لكن قسما منه استعمله القرآن استعمالا جديداً ، مثل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » فقد فسر الرسول عليه السلام كلمة « الظلم » بالشرك[1] .

وبقى قسم منه لم يفسره الرسول ، وإنما تركه المسلمين يعملون فيه أفكارهم مجتهدين فى استنباط المعانى والأحكام التى تتجدد بتجدد الزمان والمكان والخلق ، وبهذا تتفاوت أقدار الناس ويعرف العالم من غيره .

وعند بدء امتزاج المسلمين غير العرب بالعرب ، وهم يتلون كتاب الله ويتدارسونه احتاجوا إلى معرفة معانيه البسيطة التى يعرفها إخوانهم العرب ، وكذلك احتاج العرب بعضهم إلى بعض لاختلاف اللهجات بينهم فما يكون معروفاً عند قريش بمعنى قد يحمل معنى مغايراً فى لهجة قيس أو تميم أو هذيل . وهذا ما يشير إليه من طرف خفى كتاب « لغات القرآن » .

فكتب معانى القرآن تشمل قطاعاً كبيراً من اللغة وتدخل تحت مفهوم المعانى الأنواع الآتية :ـ

كتب غريب القرآن ، وكتب متشابه القرآن
وكتب إعراب القرآن ، وكتب مشكل القرآن
وكتب لغات القرآن ، وكتب معانى القرآن
وكتب مجاز القرآن ، وكتب التفسير . . . . .

وليس من سبيل المصادفة أن يسمى مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) كتابه « مشكل إعراب القرآن » ويسمى أبو البركات الأنبارى (ت ٥٧٧هـ)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ٦٥/٣ وما بعدها .

كتابه « البيان فى غريب إعراب القرآن » فيشتمل الأول على « المشكل » والآخر على « الغريب » .

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن معانى القرآن للفراء مثلا : (وهو من الكتب المبكرة نسبياً[1]) يتناول غريب القرآن[2] ولغاته[3] وأساليبه[4]، وماقرأته العرب بالرفع والنصب[5]، ومايختلف العلماء فى إعرابه وقراءته[6]، ويروى فى ذلك قراءة الصحابة والتابعين ومن اشتهر بقراءة من غيرهم وما اختصوا به من حروف[7] .

وكل هذه الموضوعات عالجها كتاب إعراب القرآن للنحاس بالإضافة إلى مسائل أخرى سنعرض لها ، وعالجها تفسير الطبرى الموسوم « بجامع البيان فى تأويل القرآن » ، مع مسائل أخرى لها علاقة كبيرة بالفروق الشخصية والاتجاه التخصصى والبعد الزمنى ، بين هؤلاء الأعلام ، وعالج قسما كبيراً منها ، معانى القرآن للزجاج .

فالفراء (ت ٢٠٧ هـ) يهتم اهتماماً بارزاً بقضايا اللغة والنحو العامة ، ويدرس الأساليب والمناهج اللغوية عند العرب بشكل يلفت النظر .

والزجاج (ت ٢٠٧ هـ) ، المعاصر للإمام أبى جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ) يهتم بالقضايا النحوية ، ووجوه الإعراب ، بشكل بارز ، لأن هذا معدن

(١) املاه سنة ٢٠٢ وانتهى منه سنة ٢٠٤ هـ (معانى الفراء ١/١) .
(٢) معانى الفراء ٢٣/١ ، ١٥٠ ، ١٥٥
(٣) معانى الفراء ١٨/١ ، ٤١ ، ٥٦ ، ٧٩
(٤) معانى الفراء ١٢٤/١ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٦
(٥) معانى الفراء ٥/١ ، ١٠٤ ، ١٠٥
(٦) معانى الفراء ٨/١ ، ١٧ ، ٢٨ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ١٥٦
(٧) معانى الفراء ١١/١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٦٨

الرجل وتلك ميزته وفيها بز أقرانه ، أما اللغة فإنه قصير الباع فيها وبالرغم من تأليفه كتاب الفرق ، وخلق الفرس ، وفعلت وأفعلت ، وخلق الإنسان وما ينصرف وما لا ينصرف[١] وقد وصفه ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) بأنه ضعيف باللغة ، وطعن فى منهجه الاشتقاقى[٢] حمزة الأصفهانى (ت ٣٦٠ هـ) وكتابه خلق الإنسان بالموازنة بكتاب معانى القرآن خير دليل على ضعف الزجاج فى اللغة وبروزه فى النحو .

وكل كتاب من الأنواع المذكورة يبرز ناحية أو نواحى ويهمل أخرى ، إما لعدم اهتمامه بها وإما لعدم قدرة مؤلفه على معالجتها أو لأنه أفرد له كتاباً آخر . فمجاز القرآن لأبى عبيدة يهتم بالغريب والأساليب ، والتشبيه ويهمل ماعداها ، وإعراب القرآن للنحاس يتناول جل الموضوعات ويهمل الناسخ والمنسوخ والوقف والابتداء إلا نادراً لأنه خصص لها كتابين ومعانى الفراء يهمل الآيات المتشابهات وما أهمله النحاس أيضاً .. ومشكل القرآن لابن قتيبة يعالج الآيات المتشابهة والمشكلة مع اهتمام الغريب أيضاً ، ويهمل ما عدا ذلك . . . . إلا كتاب « جامع البيان فى تأويل القرآن » للطبرى فإنه معلمة الإسلام والبحر الخضم الذى لا ساحل له . حتى قال فيه « أحمد بن[٣] كامل » (ت ٣٥٠ هـ) : « وهو ممن ألف فى الغريب والقراءات » : (وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً وقرأه كل من كان فى وقته من العلماء وكل فضله وقدمه) .[٤]

---

(١) معجم الادباء ١٥١/١ ، وانباه الرواة ١٥٩/١ .

(٢) معجم الادباء ١٤٧/١ ، ١٥٠

(٣) تنظر ترجمته فى طبقات القراء ٩٨/١ وبغية الوعاة ٣٥٤/١ وطبقات المفسرين ٦٤/١

(٤) معجم الادباء ١٨ : ٦٢

وربما يعترض علينا معترض فيقول إنّ كتب غريب القرآن ولغات القرآن ، الأولى لم تتناول هـذه الموضوعات التى تناولتها كتب معانى القرآن وإعرابه . . . وهذا اعتراض وارد . . . والجواب عنه أن أوائل الأشياء تفتقر دائماً إلى الكمال ، ولا تسجل إلا أقل الأشياء فى موضوعها ثم تتكامل وتنضج يوماً بعد يوم ..

والموازنة بين تفاسير كل من ابن عباس (ت٦٨هـ) ومجاهد (ت١٠٤هـ) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) ، والحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) وتفسير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، وقد احتفظ بها الأخير جميعاً فاستوعبها ، تُظهر صدق ملاحظتنا .

ومن هذا العرض يتبين لنا أن كتب « معانى القرآن » تمثل كل هذا الحشد الهائل من الدراسات اللغوية والنحوية ابتداء بابن عباس وانتهاء بالنحاس .

(ب) وصف معانى القرآن للنحاس :

من المؤسف عدم وصول هذا الكتاب كاملا . فلم تبق منه إلا نسخة ناقصة احتفظت بها دار الكتب (برقم ٣٨٥ تفسير) وتبدأ بفاتحة الكتاب وتنتهى بآخر سورة مريم . وعدد أوراقها (٢٣٣ ورقة) مكتوبة بخط نسخ يرجح أنه من القرن الخامس الهجرى [١] .

وأول من ذكره من القدامى [٢] أبو بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) ، وهو قريب العهد بالنحاس ، ويعاصر تلاميذه . ثم ابن الفرضى (٤٠٣ هـ)

---

(١) فؤاد السيد : فهارس دار الكتب ٣ : ٧٤ « ومنه نسخة فى مجلدين مصورة فى ٢٣٣ لوحة » ، (المصـدر نفسه ٣/ ٧٤) .
(٢) طبقـات الزبيدى / ٢٣٩

فى ترجمة محمد بن مفرج (ت ٣٧١ هـ) ، تلميذ النحاس[1] وبعد ذلك ذكره «ابن خير» (ت ٥٧٥ هـ) وسماه «العالم والمتعلم فى معانى القرآن»[2] وعبارة «العالم والمتعلم» وردت فى مقدمة المعانى ، ثم ذكره[3] « ياقوت » (ت ٦٢٦ هـ) ووصفه لنا القفطى[4] (ت ٦٤٦ هـ) بقوله : «وله كتاب الإعراب وكتاب المعانى ، وهما كتابان جليلان أغنيا عما ألف قبلهما فى معناهما » .

وهذه الملاحظة تصدق على كتاب «إعراب القرآن» «دون المعانى». ولعل أكثر الأمور توكيداً لما نراه أن كتاب « الإعراب » نال إعجاب العلماء الذين اطلعوا عليه على كثرتهم ، فتأثر به أفذاذهم ومشاهير مؤلفيهم على مر العصور ابتداء بمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) ومروراً بأبى البركات الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) ، ثم القرطبى (٦٧١ هـ) وانتهاء بالسيوطى (ت ٩١١ هـ) فى حين لم ينل « المعانى » شيئاً من هذا ، كما أن الموازنة بين الكتابين مادة ومنهجاً ، خير دليل على مانقول ...

وقد سمى ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) كتاب المعانى: «تفسير القرآن»[5] وليس هذا غريباً بعد ما بينا . كما أنه ليس غريبا أن يسمى صاحب كشف الظنون كتاب الإعراب : تفسير القرآن[6] ، وذلك لوجود تلك الوشائج

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ٢/ ٨١
(٢) فهرسة ابن خير / ٦٥
(٣) معجم الادباء ٤/ ٢٢٨
(٤) انباه الرواة ١/ ١٠١
(٥) وفيات الاعيان ١/ ٨٢
(٦) كشف الظنون / ٤٦٠

التى ذكرتها فى شمول كتب المعانى لكل هذه الأنواع فليس ذلك وهماً من صاحب كشف الظنون كما وصفه به محقق معاصر[١] ومما يؤكد عدم وهم الرجل أن نسخة فاتح المرقمة ٨٨ من الإعراب سميت بتفسير ابن النحاس[٢].

وقد سمى كتاب « المعانى » « بروكلمان »[٣] ... « بالجنى الدانى فى حروف المعانى » وهذا خطأ واضح إذ « الجنى الدانى » لابن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ) وتبعه فى هذا الخطأ نفر من المعاصرين[٤].

(جـ) منهجــه :

تناول النحاس منهجه فى أول الكتاب فقال :(قصدت فى هذا الكتاب تفسير المعانى ، والغريب ، وأحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، عن المتقدمين من الأئمة ، وأذكر من قول الجلة من العلماء باللغة وأهل النظر ماحضرنى وأبين تصريف الكلمة واشتقاقها إن علمت ذلك . وآتى من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه . وما احتاج إليه المعنى من الإعراب . وما احتج به العلماء فى مسائل سأل عنها الملحدون ، وأبين مافيه حذف لاختصار أو إطالة لإفهام ، وما كان فيه تقديم وتأخير ، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم وينتفع به ، كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده)[٥].

---

(١) اعراب القرآن : ورقة الغلاف

(٢) شرح القصائد التسع /٢٣

(٣) تاريخ الادب العربى (الترجمة العربية) ٢١٢/٢

(٤) كوركيس عواد : مقدمة كتاب التفاحة /١٢ والدكتور عبد الله البرى فى كتابه « القرآن وعلومه فى مصر » /٣٩٩ (وتحرف الى الجنس الدانى ..) والدكتور عبد الله درويش : أبو جعفر النحاس /١٧٥ (مقال منشور بمجلة كلية الشريعة ببغداد) .

(٥) معانى القرآن ورقة ١ : أ

ويمكن توضيح الخطوط لمنهجه بما يأتى :

١ - تبيين الغريب :

يهتم النحاس فى كتابه «المعانى» بالغريب اهتماماً كبيراً ، ولا يترك كلمة صعبة إلا ويوضح معناها ، وقد ترتب على ذلك نتائج عديدة :

الأولى : أنه قد يطيل فى شرح مجموعة من الكلمات الغريبة إطالة واضحة .

الثانية : ينقل عمن اشتهروا بهذا المنهج مثل ابن عباس وتلامذته ، وينقل عن اللغويين حين يكون لهم فى المسألة قول .

الثالثة : أنه يستوعب بعض كتب تفسير غريب القرآن استيعاباً يكاد يكون تاماً ، كتفسير « مجاهد برواية ابن أبى نجيح المكى » « ومجاز القرآن » لأبى عبيدة[١] .

ومن الأمثلة على ذلك مابينه حين شرح معنى (المقيت) فى الآية الكريمة : « وكان الله على كل شيء مقيتا » (النساء آية ٨٥)، فقال : (فى معناه قولان : روى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس : مقيتاً : حفيظاً . وحكى الكسائى أنه قال : أقات يقيت : إذا قدر ، قال الشاعر :

وذى ضغنٍ كففتُ النفس عنه ‌ ‌ ‌ ‌ وكنتُ على مساءته مُقيتـــا

والقول أن المقيت : الحفيظ ، قال أبو إسحاق : وهذا القول — عندى — أصح من ذلك لأنه مأخوذ من القوت، والقوت: مقدار ما يحفظ الإنسان،

---

(١) ينظر الفصل الرابع : مصادر النحاس فى « معانى القرآن » .

وفى الحديث « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقيت »، أى : من يحفظ)[١]

٢ — الاهتمام بالاشتقاق :

اهتم النحاس بالاشتقاق والتصريف اهتماماً يفوق ماعداه، فقلما يترك آية، دون أن يتناول فيها شيئاً له علاقة ما بالاشتقاق . ولاغرابة فى ذلك فهو صاحب كتاب « اشتقاق أسماء الله عز وجل ». وهو أيضاً اهتمام أستاذه الزجاج، حتى خرج عن الحد المألوف فجاء بكثير مما سماه اللغويون « بشنيع الاشتقاق » ووصف بأنه « ضعيف باللغة »[٢] وقد يكون هذا الوصف صادراً عن خصومه، لكنه غير بعيد عن الصواب ونحن لانصف النحاس بالضعف اللغوى وهو العالم اللغوى الفذ لكننا لا نبعد عن الصواب إذا وصفنا تفاصيله الاشتقاقية بالتعسف . . . فنحن نقبل منه ونعجب به حين يتحدث عن الاسم فيقول : (فى اشتقاق اسم قولان : أحدهما أنه من السمو وهو العلو والارتفاع . وقيل اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به . وقيل هو من وسم فقيل اسم لأنه لصاحبه بمنزلة السمة . أى يعرف به . والقول الثانى خطأ لأن الساقط منه لامه . فصح أنه من سما يسمو)[٣] . ونقبل منه غير هذا وهو كثير فى كتابه — لكننا نقف منه موقف الرفض حين يحاول أن يتعسف ليجد للكلمات المعرَّبة أصولا من الاشتقاق والتصريف العربيين، فكلمة : « إنجيل » عنده[٤] (مشتقة من نجلت الشىء إذا

(١) معانى القرآن، ورقة ٧٦ : ب

(٢) معجم الادباء ١ : ١٥٠

(٣) معانى القرآن ، ورقة ١ : ب وفيه (يسمول) وقد حذفنا الألف

(٤) نفسه ورقة ٣٥ : أ

أخرجته ، فإنجيل خرج به « دارس » من الحق . ومنه قيل لواحد الرجل نجله كما قال الشاعر :

إلى مَعْشَرٍ لم يُورث اللؤمَ جَدُّهم   أصاغرَهُم وكُلُّ فحلٍ له نَجْلُ

قال ابن كيسان : إنجيل إفعيل من النجل ، ويقال نجله أبوه أى جاء به ، ويقال نجلت الكلأ بالمنجل . وعين نجلاء : واسعة . وكذا طعنة نجلاء . كل هذه فى كلمة إنجيل ، أما « التوراة » فهى من[1] ورت ووريت ، فقيل توراة أى : ضياء ونور ، ثم يبين تصريفها بين الكوفيين والبصريين فقال : (قال البصريون : « توراة » أصلها « فوعلة » مثل حوقلة ، ومصدر حوقلت : فوعلت . والأصل عندهم . وورية فقلبت الواو الأولى تاء ، كما قلبت فى « تواج » وهو فوعل . من ولجت . وقلبت الياء الأخيرة ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها . وقال الكوفيون توراة تصلح أن تكون تفعية ، وتفعية قلبت إلى تفعلة ، ولا يجوز عند البصريين فى توقية توقاة ، ولا يكاد يوجد فى الكلام إلا شاذاً) .

فهل رأينا إمعانا فى التعسف الاشتقاقى أكثر من هذا ؟ ثم ما للتوراة والأوزان العربية . . . وما لها والقياس والشذوذ ؟

أو ليس لنا الحق بعد هذا أن نسمى هذا النوع « شنيع الاشتقاق » كما سماه من تتبع أستاذه الزجاج ؟

٣ ـ الاهتمام بالقراءات :

اهتمام النحاس بالقراءات آت من كونه قارئا ، أتقن القراءات القرآنية دراية واهتم بقراءة « ورش » رواية[2] وهو الصورة الكاملة للمزج

---

(١) معانى القرآن ، ورقة ٣٥ : أ

(٢) الدانى : المفردات السبع /٩

بين منهج القراء اللغوى النحوى ومنهج اللغويين النحويين المحترفين فى القرن الرابع الهجرى بمصر وبغيرها .

فهو لدرايته بالقراءات لايكتفى بإيراد الأقوال فحسب ، بل يناقشها ويعقب عليها . ففى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » من فاتحة الكتاب ، أورد أنها تقرأ مالك يوم الدين ومَلِك يوم الدين ثم بين أن أبا حاتم اختار : « مالك » ، قائلا : (هو أجمع من « ملك » لأنه تقول : مالك الناس ومالك الطير ومالك الريح ومالك كل شىء من الأشياء ....ولا يقال : الله ملك الطير ، ولا ملك الريح ونحو ذلك . إنما يحسن ملك الناس وحدهم) .

لكنه لم يرفض هذا القول فعقب عليه بقوله : (وخالفه فى ذلك جلة أهل اللغة منهم أبو عبيد وأبو العباس محمد بن يزيد ، واحتجوا بقوله تعالى : « لمن الملك اليوم » والملك مصدر الملك . ومصدر المالك : ملك بالكسر ، وهذا احتجاج حسن . وأيضا فإن حجة أبى حاتم لاتلزم لأنه إنما لم يستعمل ملك الطير والرياح لأنه ليس فيه معنى المدح)(١) .

ويوفق كذلك توفيقاً كبيراً حين يستخدم القراءات فى توضيح المعنى والأساليب ففى بيان قوله تعالى « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ... » (آل عمران ، آية : ٧٣) ، مزج بين الأقوال التى توضح الأساليب والقراءات ، فأورد قول محمد بن يزيد « المبرد » الذى يرى أن المعنى :

---

(٢) معانى القرآن ، ورقة ٣ : أ ـ ب

(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم ..) . ثم أورد قول من يرى أن المعنى : (ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدكم مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم واللام زائدة) والمعنى : ولا تصدقوا أن يؤتى أحد من علم رسالة النبى مثل ما أوتيتم .

هذه المعانى كلها تنسجم مع القراءة المشهورة ، وإن لم يشر إلى أسماء من قرأ بها . وقد قرأ بها حمزة والكسائى ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو بن العلاء[1] .

ثم أورد قراءات أخرى كقراءات ابن عباس ومجاهد : أن يؤتى[2] أى بتخفيف الهمزة الثانية وكأن الأصل أأن ـ على الاستفهام ـ فالمعنى على هذا أَلأَنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم .

وقراءة الأعشى « إنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » . أى إن النافية بمعنى «إن» معنى «ما» كما قال الله تعالى «إنِ الكافرونَ إلاّ فى غُرور» . (سورة الملك : آية ٢٠) .

ثم رد على من لحن هذه القراءة واستشهد على صحتها بالشعر[3] .

والقراءات بعد كل هذا وذاك كثيرة الدوران فى كتبه الأصول ، سواء كانت فى محيط القرآن أم خارجه لا سيما كتبه : إعراب القرآن ومعانيه والقطع والائتناف وشرح القصائد التسع .

---

(١) كتاب السبعة /٢٠٧.
(٢) معانى القرآن ورقة ٤٥ : أ ـ ب
(٣) معانى القرآن ورقة ٤٥ : ب

٤ ـ ذكر الاعراب اذا احتاجت اليه المعـانى :

ومن الأمثلة على ذلك حديثه عن الآيتين ١٨ـ١٩ من سورة آل عمران: « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . إن الدين عند الله الإسلام ... » قال :(قرأ الكسائى بفتح « أن » فى قوله تعالى : « أنه لا إله إلا هو » وفى قوله « أن الدين عند الله الإسلام » . قال الكسائى : نصبهما جميعاً بمعنى شهد الله لأنه لا إله إلا هو ، أن الدين عند الله الإسلام » قال ابن كيسان : إن الثانية بدل من الأولى لأن الإسلام تفسير المعنى الذى هو التوحيد . وقرأ ابن عباس : بكسر الأولى وبفتح الثانية . والتقدير على هذه القراءة : شهد الله أن الدين الإسلام ، ثم ابتدأ فقال إنه لا إله إلا الله)[(١)] .

٥ ـ الاهتمـام بالمعـانى :

ويمكن توضيح هذه النقطة بمثالين :ـ

(ا) الأول يتصل بالآيات المشكلة فى المعنى البعيدة المرامى ، ويقف النحاس عندها فيغوص فى أعماق المعانى ويجتهد كل الاجتهاد مستعيناً بأقوال العلماء قبله حتى يصل فيها إلى رأى . من ذلك حديثه[(٢)] عن الآية ٧ من سورة آل عمران « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٣٨ : ب ـ ٣٩ : أ ، وينظر كتاب السبعة /٢٠٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٣٨/١

(٢) معانى القرآن ، ورقة ٣٥ : ب

وفى الآية اختلاف كثير على حد تعبير النحاس[1] .. ويمكن حصر الخلاف فى نقطة واحدة هى : أيعلم « الراسخون فى العلم » تأويله أم لا ؟ ومعنى ذلك أن الواو فى الحالة الأولى تُدخِلُ الثانى «الراسخين» فيما دخل فيه الأول . أما فى الحالة الأخرى فيكون الوقف التام عند قوله : « إلا الله » والواو وما بعدها كلام مستأنف ، وهذا قول الكسائى والفراء وأبى عبيد وأبى حاتم ، ويحتج بما روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ « وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا » أما القول الآخر فهو قول مجاهد ، إذ المعنى عنده (الرسخون فى العلم يعلمون تأويله يقولون آمنا به) . وهذا قول كثير من العلماء ذكرهم فى « القطع والائتناف » .

ويرى النحاس ما رآه الفريق الآخر وفى هذا يقول : (والقول الأول وإن كان حسناً ، فهذا أبين منه ، لأن واو العطف الأولى تدخل الثانى فيما دخل فيه الأول حتى يقع دليل بخلافه . وقد مدح الله جل وعز الراسخين بثباتهم فى العلم فدل على أنهم يعلمون تأويله) .

(ب) والمثال الثانى الذى يتصل ببيان منهج النحاس فى توضيح المعانى حديثه عن سورة الفاتحة ومعانى أسمائها ، حيث قال : (اعلم أن لها أربعة أسماء : هى فاتحة الكتاب ، وأم القرآن وهى السبع المثانى والاسم الرابع أنه أنه يقال لها : السبع من المثانى .. وقيل لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها المصحف ، وتفتتح بها القراءة فى كل ركعة..... وقيل لها أمّ القرآن لأنّ أمّ

---

(١) معانى القرآن ، ورقة ٣٥ : ب .

الشيء : ابتداؤه وأصله ، فسميت بذلك لابتدائهم بها في أول القرآن ، فكأنها أصل له . قال العجاج :

* ما فيهم مِن الكتابِ أُمُّ *

وقيل لها السبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى فى كل ركعة ، من ثنيته إذا رددته . وقيل : إن من قال السبع من المثانى ذهب إلى أن «من» زائدة للتوكيد . وأجود من هذا القول أن يكون المعنى أنها السبع من القرآن الذى هو مثان)[1] .

٦ ـ ما سأل عنه الملحدون :

ويصدر هذه المسائل بقوله : ويسأل عن كذا أو مما يسأل عنه ...

ومنهجه فى ذلك أن يأتى بالسؤال . . . ثم يقدم ما قاله العلماء قبله ويصلح أن يؤتى به فى المقام ثم يناقش الأقوال ويخرج منها برأى .

فمن ذلك قوله : ويسأل عن التكرير فى قوله عز وجل «الرحمن الرحيم» (سورة الفاتحة) .

روى عن ابن عباس أنه قال : الرحمن الرحيم : اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر . فالرحمن : الرقيق . والرحيم : العاطف على خلقه بالرفق .

وقال محمد بن كعب القرظى : الرحمن بخلقه الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته وحجته .

أما أبو عبيدة فقال : « هما من الرحمة كقولهم ندمان ونديم » .

وأما قطرب فيقول: يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد ويحبذ النحاس رأى قطرب قائلا : « وهذا قول حسن وفى التوكيد أعظم الفائدة

---

(١) معانى القرآن ، ورقة ١ : أ ـ ب

وهو كثير فى كلام العرب يستغنى عن الاستشهاد » ، ويزيده إيضاحاً بما ينقل عن المبرد حيث قال : « إنه تفضل بعد تفضل وإنعام بعد إنعام وتقوية لمطامع الراغبين ووعد لا يخيب آمله » .

٧ ـ بيـان أحكام القرآن :

يبدو النحاس من خلال كتابيه « معانى القرآن » و « الناسخ والمنسوخ » فقيهاً بصيراً بالأحكام . وله كتاب فقهى متخصص عنوانه « اختصار تهذيب الآثار »[١] .

ويشرح فى كتاب المعانى مجموعة من آيات الأحكام ، فيؤكد هذا الاتجاه . ففى بيان أحكام الآية الكريمة ٣٣ من سورة المائدة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسْعَوْنَ فى الأرض فساداً أنْ يُقَتّلوا أو يُصَلَّبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » أورد ما يأتى : (قال الحسن : السلطان مخير أى هذه الأشياء شاء فعل . وكذا روى ابن أبى نُجَيح[٢] عن عطاء . وهو قول مجاهد وإبراهيم والضحاك . وهو حسن فى اللغة لأن « أو » تقع للتخيير كثيراً وقال أبو مجلز[٣] : الآية على الترتيب ، فمن حارب قُتِل ، ومن أَخَذَ المالَ صُلِب ، ومن قَتَلَ قُتِل ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف ، ومن لم يقتل ولم يأخذ المال نفى . وروى هذا القول « حجاج

(١) فهرسة ابن خير / ٢٠١ (وهو فى أربعة أسفار) .

(٢) عبد الله بن أبى نجيح مفسر ، وسيأتى .

(٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى الاعور . روى عن ابن عباس وأنس بن مالك . وكان أحد أعلام زمانه (ت ١١٠ هـ) (الذهبى : تاريخ الاسلام ٤/٢٢٤) .

ابن أرطأة عن عطية عن ابن عباس مثله . غير أنه قال في أوله :(من حارب وقتل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف ثم صلب) . وليس في قول أبي مجلز قبل الصلب ذكر لشيء . واحتج هذا القول بحديث رواه عثمان وعائشة وابن مسعود عن النبي أنه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : زناً بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس » ، قالوا : فقد امتنع قتله إلا أن يقتل فوجب أن تكون الآية على المراتب ، وقال الزهري في قوله : « أو ينفوا من الأرض » ، كلما علم أنه في موضع فوتل حتى يخرج منه . وقال أهل الكوفة[1] النفي ههنا : الحبس ، وروى هذا عن ابن عباس بإسناد ضعيف . وقال سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز : ينفى من بلدته إلى بلدة أخرى غيرها)[2] .

٨ ـ بيان الناسخ والمنسوخ :

خصص « النحاس » لهذا الموضوع كتابه : « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، وترتب على ذلك أنه أوجز في هذه القضايا ، في كتابه : « المعاني » .

وفي الحديث عن الآية ٢٤٠ من سورة البقرة : (« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول » ، قال : « عن ابن عباس قال : نسخ ذلك بآية الميراث وبما فرض من الربع والثمن ونسخ أَجَلَ الحَوْل بأن جعل أَجَلها أربعةَ أشهر وعَشْراً . »[1] وذلك أن الناس

(١) يريد بأهل الكوفة : الامام أبا حنيفة وتلاميذه (الناسخ والمنسوخ ص ١٢٩) .

(٢) معاني القرآن ورقة ٩٥ : ب

(٣) معاني القرآن ورقة ٢٤ : ب

أقاموا برهة من الإسلام إذا توفى الرجل وخلف امرأة حاملا أوصى لها زوجها بنفقة سنة وبالسكنى مالم تخرج وتتزوج ثم نسخ ذلك بأربعة أشهر وعشر وبالميراث) (١)

وحيث نوازن بين ما كتبه النحاس فى « معانى القرآن » وما كتبه فى « الناسخ والمنسوخ » عن حكم الآية ٢٤٠ من البقرة نجد صدق الملاحظة . ففى الأول خصص لها (٣) أسطر وفى الآخر (١٢٤) سطراً أى بنسبة ١ : ٤٠ تقريباً

وعندما تحدث عن حكم الآية ٦ من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » خصص لها فى « المعانى » ما يقرب من عشرة سطور . وخصص لها فى « الناسخ والمنسوخ » تسعين سطراً ، أى بنسبة ١ : ٩ تقريباً .

٩ ـ الاستشهاد بالشعر :

يكثر النحاس من الاستشهاد بالشعر ، ولا يترك مناسبة تمر دون أن يدلى فيها بدلوه ، مما يدل على امتلاكه ذخيرة شعرية كبيرة بل على إحاطة واسعة بهذا الميدان الثر ، ويتضح ذلك فى ناحيتين : الأولى : تآليفه العديدة فى هذا الموضوع حيث ألف أخبار الشعراء وشرح المفضليات وأملى عشرة دواوين بشرحها وشرح القصائد التسع وشرح أبيات سيبويه فاستعان بشواهد أخرى غيرها وكتب فى معانى الشعر والأخرى أنه يمتلك ناصية العلم بالشعر فيعرف كيف يوجهه حيث يريد ، ويستعمله فى المكان المناسب. وإذا ما طبقنا هذا على « معانى القرآن » وجدناه يستخدم الشعر .

---

(١) الناسخ والمنسوخ /٧٢

إما لتفسير المعانى الغامضة (أو الغريبة) ، كما استشهد بقول الشاعر : (١)

* أهذا دينه أبداً ودينى *

وبقول امرىء القيس : (٢)

* كدينك من أم الحويرث قبلها *

على أن معنى الدين : العادة (٣) بالإضافة إلى المعانى الأخرى . (٤)

وإما لإيضاح أصل كلمة ، فعند إثبات رأى سيبويه فى أصل « الله » (٤) (لاه) استشهد بقول الشاعر : (٥)

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ، ولا أنت ديانى فتخزونى

وإما للرد على رأى نحوى أو تأييده ، فحين أورد قراءة الأعمش : « أن يؤاتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم » (آل عمران : ٧٣) أورد زعم بعض النحويين أنها لحن ، لأن قوله « يحاجوكم » بغير نون ، وكان يجب على هذا أن يكون « أيحاجوننكم » ولا عامل لها ... عقب على

---

(١) هو المثقب العبدى ٠ وصدره : « تقول وقد أدرت لها وضينى » ٠٠ ينظر مجموع شعره /٤٠ ومجاز القرآن ٢٤٧/١ ، وشرح القصائد السبع /٢٨ والمفضليات رقم ٧٦

(٢) هو من قصيدته المشهورة وينظر فى هذه الرواية شرح القصائد السبع /٢٨ وشرح القصائد التسع /٧٧ والرواية المعروفة « كدأبك » ٠

(٣) معانى القرآن ورقة ١ : ب

(٤) وله رأى آخر هو أن كلمة (الله) : اله ثم جىء بالالف واللام عوضا من الهمزة ـ والرأى الثانى هو الاصح اذا ما رجعنا الى اللغات السامية فهو فى الارامية (الاه) وفى العبرية (الوه) وفى السريانية (ألوها) وفى العربية الجنوبية (الاه) ـ ينظر كتاب الزينة ٢٠/٢ (هامش) ٠

(٥) هو ذو الاصبع العدوانى كما فى المفضليات رقم ٣١

هذا الرأى بقوله : هذا القول ليس بشىء ، لأن « أو » تضمر بعدها «أن» إذا كانت فى معنى « حتى » واستشهد بقول الشاعر :

فقلت له لا تَبْكِ عينكَ إنما
تُحاول مُلْكاً أو نموتَ فَنُعْذَرا(١)

غير أننا نلاحظ أنه قلما ينسب شعراً .. .. ولعل ذلك لشهرة الأبيات المستشهد بها ، فإن جلها يمكن معرفته لدارس اللغة المُحْدَث ، فكيف بالسابقين الأولين ؟

(د) أهميــة معــانى القرآن :

بعد أن أوضحنا شمول مصطلح معانى القرآن لكتب أخرى مثل مجاز القرآن وغريبه وإعرابه ومشكله ، وبينا أن النحاس قد سبق بعلماء أفذاذ فى هذا الميدان أمثال : الفراء وقطرب والزجاج والطبرى وغيرهم ، نضع السؤال الآتى : « ما أهمية كتاب معانى القرآن للنحاس ، فى وسط هذا الخضم من المؤلفات » ؟

إنّ أهمية كتاب النحاس تتركز — حسبما أرى — فى منهجه المتميز دائماً ، فهو باحث منهجى لا يترك كتاباً دون أن يوضح للقارىء خطته ، كما أنه يرتب مادة البحث ترتيباً قد يوازى فيه جملة من الباحثين المعاصرين،

---

(١) معانى القرآن ورقة ٤٥ ب (والشاعر هو امرؤ القيس) من أبياته المشهورة :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقا بقيصرا

كما أنه يذكر مصادر البحث أو جلها فهو مصدر من مصادر آراء الكسائى والفراء وقطرب والمبرد وابن كيسان وعديد من العلماء الذين ضاعت كتب جماعة منهم أو ضاع منها ما يتصل بهذا الموضوع على أقل تقدير ... (١)

(١) ما يتصل بابن كيسان مثلا : ينظر معانى القرآن ورقة ٣٥ أ ، ٣٧ ب ، ٣٨ : أ ، ٣٩ : أ ٠٠٠٠ الخ ٠
وما يتصل بالزجاج تنظر ورقة ٣٧ : ب ، ٣٨ : أ ، ٣٨ : ب ، ٣٩ : أ ٠ الخ

المبحث الرابع

((ثلاث قضايا جديدة))

في هذا المبحث سأعرض ثلاث قضايا جدد فيها النحاس ، ووصل بها الى مرحلة يصبح معها أن تنسب اليه ، وأن يكون هو صاحبها ، وان كان قد سبق في جزئيات منها ، فتلك لا تؤثر في الصورة المتكاملة لتلك القضايا كما أن الاشياء لا تخرج من العدم بل لابد لها من جذور ، وارهاصات وسوابق ..

وهذه القضايا الثلاث هي :

أولا : نظرية مبكرة في النظم ..

ثانيا : المزج بين منهج القراء ومنهج النحاة .

ثالثا : نظرية الاحتمالات النحوية ..

أولا : نظرية مبكرة فى النظم

لقد بسط النحاس هذه النظرية فى كتابه « القطع والائتناف » الذى لفت نظرى أن منهجه فى هذا الكتاب ، وموقفه من المسائل النحوية وطريقة تعامله معها ، يختلف عما فى كتبه الأخرى الباقية وفى ناحية جديدة كل الجدة وطريفة كل الطرافة وتستحق الوقوف عندها ، وهى أنه أعطى النص القرآنى ومعانيه صورة واحدة هى أفضل من سواها ، كما أعطى الجملة القرآنية علاقة واحدة هى أفضل العلاقات وهى ألزم من غيرها ، وهذه العلاقة هى الرابطة النحوية بين أجزاء الجملة القرآنية مرتبطة بالمعنى العام ارتباطاً وثيقاً . . . بحيث يلتزم القارىء بهذه العلاقة فيقف وقفاً تامًّا فى حالة واحدة ، وذلك فى الموضع الذى يَتِم فيه المعنى وتتصل أجزاء الجملة ، فإذا تعدى هذا الموضع فقد ارتكب الخطأ ، وجاوز منطق الصواب .

فى حين لهج فى كتبه الأخرى ـ لاسيما « شرح القصائد التسع » و « إعراب القرآن » — بالاحتمالات النحوية التى تكوّن عنده ما أسميناه « بنظرية الاحتمالات النحوية » .

أما الآراء والوجوه الإعرابية فى كتاب « القطع والائتناف » فهى تخضع للمفاضلة وليست موضع احتمالات تتساوى فيها الوجوه الإعرابية بالصحة . . . بل هناك حالة واحدة يصح معها المعنى التام ويقف عندها القارىء أو المتكلم وقفاً تاماً ، وهى الحالة التى تتصل فيها أجزاء الجملة اتصالاً كليا بالمعنى وتنقطع عما بعدها انقطاعاً كلياً ، وقد ناقش النحاس هذه الحالات وأعطى حكمه ورأيه فى وقفها التام ، ورفض كل ما قيل من آراء تخالف ذلك ، أما الجواز فلا يكون فى حالة تتساوى مع حالة الوقف التام ، بل هى حالة أخرى تأتى بعدها هى حالة الوقف الكافى أو الصالح وقد لا تكون هذه ولا تلك بل حالة أخرى يمتنع معها الوقف امتناعاً كلياً ..

٤ - الغاية من النظرية :

وإذا كان لكل نظرية أو قضية غاية يتوخاها العالم فإن غاية هذا الفن وهذا العلم : علم الوقف والابتداء ، هي « التفريق بين المعاني » والعصمة من الخطأ ، والبعد عن الخلط بين المعاني المختلفة . فالقارىء (إذا وقف على قوله تعالى : « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة » (المائدة آية ٢٦) ، كان المعنى أنها حرمت عليهم هذه المدة . وإذا وقف على « فإنها محرمة عليهم » كان المعنى أنها محرمة عليهم أبداً وأنهم يتيهون أربعين سنة)[١] وقارىء الآية الكريمة « يُدْخِلُ مَن يشاءُ في رحمتِهِ ، والظالمين أعدَّ لَهُمُ عذاباً أليماً » . (سورة الإنسان آية ٣١) ، لا ينبغي أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « في رحمته » لأن « الظالمين » منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل ، أي : وعذب الظالمين . أو وأوعد الظالمين عذاباً أليما ،[٢] وعند نهاية الآية الكريمة : « وإنْ مِن شيء إلا عندنا خزائنُه وما نُنَزِّلُه إلاَّ بقدر معلوم » (سورة الحجر آية ٢١)، وقف تام، وكذا الآيات التي بعدها إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » . ويروى عن « نافع » أن الوقف عند الآية ٤٧ من السورة نفسها : « ونَزَعنا مافي صُدورِهِمْ من غِلّ إخواناً على سُرُر متقابلين » يكون عند « من غل » ويكون تاماً ، ووافقه على ذلك العباس بن الفضل ، (وخولفا في ذلك لأن « إخوانا » منصوب على الحال مما قبله[٣] أي : « ونزعنا

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٨ أ ، وسياق الآية « فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض » .

(٢) القطع والائتناف لوحة ٦ : أ

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : أ

مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين» والتمام «وما هم بمخرجين» أما قوله تعالى « الغفور الرحيم » فليس بتمام لأن بعده « وإن » معطوفة على ماقبلها . ولذلك يصرح فى أول كتابه - بعد بسط مجموعة من المقدمات - بقوله « فقد صار فى معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعانى » .

٢ - الوسائل :

ولكن ماهى الوسائل التى تجعل القارىء أو المتكلم يصل إلى التفريق بين المعانى ليعصم نفسه من الوقوع فى الخطأ ، أولا ، وليصل إلى المفاضلة بين تلك المعانى أخيراً .

من أجل هذا كله حدد الوسائل التى يستعين بها قارىء القرآن والمتكلم بغير القرآن حتى يحققا الغايتين معاً ويصلا إلى ذينك الهدفين .

ففى حديثه عن الأدوات التى يتسلح بها من يتصدى لموضوع وقف التمام يؤكد أن أول مايجب أن يراعيه طالب هذا الفن هو أنْ يعرف قوانين النحو لأنه إذا لم يعرف ذلك وقع فى الخطأ والوهم ولم يستطع أن يفرق بين المعانى وخلط بين العذاب والرحمة .

فقارىء الآية الكريمة : « يُدخلُ منْ يشاءُ فى رحمته والظالمينَ أعدَّ لهُمْ عذاباً أليما » (سورة الإنسان آية : ٣١) ، لاينبغى أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « فى رحمته » لأن « الظالمين » منقطع مما قبله منصوب بإضمار فعل أى : ويعذب الظالمين أو وأوعد الظالمين عذاباً أليما (١) . أو عند نهاية الآية الكريمة « وإنْ منْ شىء إلا عندنا خزائنُه وما نُنزِّله إلاَّ بِقَدَرٍ معْلُوم » (سورة الحجر ، الآية ٢١) . وقف تام ، وكذا

(١) القطع والائتناف لوحة ٨ : ب

الآيات التى بعدها . إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » ، ويروى عن « نافع » أنّ الوقف التام عند قوله « من غل » من الآية الكريمة : « ونزعنا ما فى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ إخواناً على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ » (الآية ٤٧ من سورة الحجر) . وتابعه على ذلك العباس بن الفضل ، وخولفا فى ذلك لأن « إخواناً » منصوب على الحال مما قبله ، والتمام « وماهم بمخرجين » . أما قوله تعالى : « الغفور الرحيم » (الآية : ٤٩) ، فليس بتمام لأن بعده (وإن) معطوفة على ماقبلها أى : قوله تعالى : « وإنّ عَذابِى هو العذابُ الأليمُ » (الآية ٥٠) . وأما قوله تعالى : « ونَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إبراهيم » فإنه معطوف على « نبىء عبادى » (الآية ٤٩) . ثم القطع على رؤوس الآيات حسن إلى « قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مُجرمين » ، فإنه ليس بتمام لأن بعده استثناء ، وكذا « إنّا لَمُنَجُّوهُمْ أجمعينَ » (الآية : ٥٩) .

فمعرفة النحو حاجة ملحة لمن أراد معرفة « القطع والائتناف »[1] ليصل طالب هذا الفن إلى مجانبة الخطأ ويفرق بين المعانى ولا يخلط بينها .

ومن أدوات طالب هذا الفن معرفه القراءات وتوجيهها وتعليلها .

غير أنه من الملاحظ أن الغاية من إيراد القراءات هى إيضاح « القطع والائتناف » ، فإذا لم تكن حاجة إلى ذلك فإنه لا يوردها .

وهذا سبب من أسباب قلة إيراد القراءات فى كتاب « القطع والائتناف » .

وأما السبب الآخر فإن اهتمام النحاس بالقراءات فى كتبه الأخرى ،

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : ب

لاسيما كتاب إعراب القرآن وشرح القصائد التسع ، يرجع إلى اهتمامه بنظرية الاحتمالات النحوية ..

أما فى هذا الكتاب فلا احتمالات ، وإنما مفاضلة بين المعانى ووصول إلى معنى واحد لاغير ، يصح معه « وقف التمام » ، ولهذا فإن إيراد القراءات وسيلة محددة بهذا الهدف وخاضعه له ، وهذا واضح من تصريح النحاس نفسه حين بين سبب إيراد القراءات فى سورة الجنّ فقال: (وإنما ذكرنا كلّ ما بلغنا من القراءات فى هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات)[1]

ومن هذه الأدوات « اللغة » ، ومادام القرآن نزل بلغة العرب ، فلابد لمن أراد أن يفهمه مجرَّد فَهم ، أن يعرف هذه اللغة معرفة جيّدة ويعرف أساليبها ، فكيف بمن أرد أن يعرف أسرار هذه المعانى ومراميها البعيدة والمفاضلة بينها ؟ ولهذا فإن النحاس أكد هذه الناحية وجعلها فى أول كتابه فقال ـ وهو يتحدث عن « القطع والائتناف » : « وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنهم لابد لهم من قراءة القرآن ليقرأوه على اللغة التى أنزله الله جل وعز بها وفضلها[2] ومدحها فقال جل ثناؤه : « بِلِسَانٍ عربى مُبين » (سورة الشعراء آية : ١٩٥) .

ولكن مامفهوم البيان عند النحاس . . . ؟

البيان ـ عند النحاس ـ معناه : « تفصيل الحروف والوقف على ماقد تمّ والابتداء بما يحسن الإبتداء به ، وتبيين ما يُتَجنّبُ من ذلك » .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب

(٢) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

ولكن ماهى الوسيلة التى نبين بها وقف التام ، ومالم يتم ؟ وماهو المعيار الذى نرجع إليه فى مثل هذه الحالات ؟

أما الوسيلة التى نبين بها ماتمّ ومالم يتمّ فهى اللغة وقوانين النحو بمعناها الواسع الشامل الذى يقصد به معرفة الأساليب الصحيحة والمناهج القويمة التى يجب أن يراعيها قارىء القرآن والناطق بلغته ، وقد بين ذلك فى أول كتاب « القطع والائتناف » . وضرب له الأمثلة . وقد روى عن النبى ﷺ أنه[1] جاءه رجلان فتشهد أحدهما فقال : « من يطع الله جل وعز ورسوله فقد رشد ومن يعصهما » فقال رسول الله ﷺ « بئس الخطيب أنت » . كان ينبغى أنْ تصل كلامك « ومن يعصهما فقد غوى » أو تقف على : رسوله فقد رشد .

ثم عقب على ذلك بقوله : فإذا كان هذا مكروهاً فى الخطب وفى كلام الناس الذى يكلّمُ به بعضُ الناس بعضاً ، كان فى كتاب الله عز وجل أشدّ كراهة

وذكر عن رسول الله الحديث المعروف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف . اقرؤوا ولا حرج ولكن لاتختموا ذكر رحمة بذكر عذاب ولاتختموا عذاباً برحمة » .

واستنتج من ذلك قائلا : « أنه ينبغى أن يقطع على الآية التى فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار أو العقاب »[2] .

هذا إذا كانت الآية تتعلق بذكر الجنة والنار أو الثواب والعقاب .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٦ : أ

(٢) القطع والائتناف لوحة ٦ : أ

لكن الآيات ليست كلها على هذه الصورة. . . . . فما هى المعايير والأسس التى تستند إليها ، والتى يمكن الرجوع إليها والاحتكام عندها دائماً ، أى :

(١) ماهى المعايير التى تضبط مواطن وقف التمام ؟

(٢) وماهى المعايير التى تحكم بها مايمتنع من الوقوف ؟

وإذا أردنا أن نجيب عن هذه الأسئلة قلنا : إنها قوانين علم النحو.. وهذا مانلاحظه فى كتاب « القطع والائتناف » بحيث تكون تلك القوانين المرجع النهائى لبيان تلك الحالات وما يتفرع منها . وتصبح هذه القوانين أداة المفاضلة بين المعانى وأساس تمييز الخطأ إنْ كان هناك خطأ فى رأى ، وأساس الصواب إن كان الرأى صواباً .

ولكن بأى مفهوم استعمل النحو فى هذا الكتاب ؟

إن المفهوم النحوى الذى ساد فى هذا الكتاب هو « قانون السياق الجلى » المرتبط بالمعنى العام ، بحيث يكون أداة معيارية اللغة وأساس المفاضلة بين أسلوب يصح الوقف عنده ، أو يجب الوقوف عنده وأسلوب لايصح الوقوف عنده .. لأن الوقوف عنده يعارض قانوناً من تلك القوانين المتصلة بمعيارية اللغة . وهذه القوانين هى التى استندت إليها ماسميناه « نظرية النظم النحوى » عند النحاس .

٣ ـ المعيارية النحوية :

ولقد قدم النحاس المعايير النحوية فى أول كتابه القطع والائتناف حتى وصل إلى سورة الأنعام فقال : (قد ذكرنا ماتقدم من السور على تَقَصٍّ وشرح فكان فى ذلك دليل على كثير مما يرد من القطع التام والحسن

والكافى والصالح . فقس على ذلك ، فإنى لو أتيت بذلك إلى آخر الكتاب، على تقص ، طال . فرأيت ألاّ أذكر الواضح المفهوم المعنى وأذكر المشكل وما لا يفهم إلا بفكر ونظر ، ولا يعرف إلا بعلم بالتأويل ورواية التفسير)[1] .

فالتعليل والاستقصاء وبيان المعيارية ذكر على تقص فى أول الكتاب، وفى قسمه الأول أما السور القصيرة فقد قل فيها التعاليل ، والمعيارية النحوية لأن المؤلف قدم ما يشابه تلك الحالات وبينها ووضع معياريتها .

وفيما يأتى أمثلة تتضمن المعيارية النحوية . ..

(١) من سورة البقرة الآيتان : ٤٢، ٤٣ ،« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » .

قال يعقوب : (ومن التمام الكافى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » . قال أبو جعفر : « وهذا غلط بَيِّنٌ ، ليس بتمام ولا بكاف لأن: « لا تكتموا » لا يخلو من إحدى جهتين : إما أن يكون معطوفا ولا يتم الوقف على ما قبله ، وإما أن يكون جوابا فيكون القطع على ما قبله أبعد . والجواب كما قال الشاعر :

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتىَ مثلَه   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

فلو وقف على « لا تنه عن خلق » لفسد المعنى ، وكذا قول العرب : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » ، لو وقف على « لا تأكل السمك »،

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٧٩ : ب

تفسد المعنى . . . على أن « يعقوب » لما ذكر « ولاتلبسوا الحق بالباطل » تام كاف ، قال : ثم يجعل الكتمان جواباً ، فجاء بأبعد الوجهين . فالوقف الكافى « وأنتم تعلمون » وليس بتام ، لأن ما بعده معطوف عليه .

وكذا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والتمام : « واركعوا مع الراكعين »[1] .

(ب) قوله تعالى : « قال إنه يقول : إنها بقرة لافارضٌ ولا بِكرٌ عوانٌ بَيْنَ ذلك فافعلوا ماتؤمرون » (سورة البقرة آية : ٦٨) .

قال نافع : « لافارض ولا بكر » ، تام . وكذا قال الفراء . قال أبو جعفر :

(وفى الحديث أن سعيد بن جبير كان يقف « ولا بكر » وكذا عن مجاهد وعيسى بن عمر ويعقوب وخالفهم الأخفش فقال : التمام عوان بين ذلك . قال : أراد لاصغيرة ولا كبيرة ، ولكنها عوان بين ذلك ، وأنشد :

جلوسٌ لدى الأبوابِ طُلابُ نائلٍ عوانٍ من الحاجاتأو حاجةٍ بكرا

قال أبو جعفر : مع مخالفة الأخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد . ومن النحويين من يقول أخطأ : وجاء بمالا يجوز البتة ، وذلك أنه جعل « عواناً » من نعت « بقرة » وذلك بمنزله المضمر ،فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أى : بين الفارض والبكر ، فقدم المُضْمَر على المظهرَ)[2] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب
(٢) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب

(ج) قوله تعالى: « إنَّ اللهَ لا يَسْتَحِي أنْ يضربَ مَثَلاً ما بعوضةً فما فوقها فأما الذين آمنوا فَيعلمون أنَّهُ الحَقُّ من رَبِّهِمْ ، وأما الذين كفروا فيقولون: ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، يُضِلُّ بِهِ كثيراً ويَهدى به كثيراً وما يُضِلُّ بِهِ إلا الفاسقينَ » (سورة البقرة آية: ٢٦).

قال أحمد بن موسى: « مثلا » تمام. وقال أحمد بن جعفر: لو وقف واقف على (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما)، جاز وكان حسناً. وقال الأخفش: إن شئت وقفت على « مثلا ما بعوضة ». قال أبو حاتم: والتمام: فما فوقها « قال أبو جعفر: » (هذا أصح الأقوال ، وأما أن تقف على « مثلا » فخطأ لأن « ما » إن كانت زائدة للتوكيد فلا ابتداء بها. وإن كانت بمعنى الذى ورفعت « بعوضة » فهى بدل من « مثل » وكذا إن كانت نكرة. وَمَثَل ومِثْل واحد المعنى - والله أعلم - إن الله لا يخشى إن يبين شبهاً وَمثل ومثل مثلُ شَبَه وشِبْه كما قال:

كانتْ مواعيدُ عُرقوبٍ لها مَثَلاً — وما مواعيدُه إلاَّ الأباطيلُ

والقطع على « ما » حسن ، ولكن الائتناف بما بعده قبيح لأنه منصوب مردود على ماقبله وبمعنى ما بين البعوضة والوقف على « ما بعوضة » ليس بتمام لأنه متعلق بما بعده).

قال أبو حاتم: « فأما الذين آمنوا » ليس بقطع كاف لأنه لم يأت الخبر. « فيعلمون أنه الحق من ربهم ». قطع حسن لأن «أما» لا تحتاج إلى تكرير ، وإنما يأتى بعدها ماهو معطوف عليها. « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ». قال أبو حاتم هذا الوقف[1] ، وأما الفراء فليس هذا عنده تاماً ، والتمام عنده: « ويهدى به كثيراً ».

(١) أى الوقف التام. بدليل ما بعده.

قال أبو جعفر : (الأولى فى هذه الآية ماقاله أبو حاتم والدليل على ذلك قوله جل وعز : « وليقولَ الذين فى قلوبهم مَرَضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » (سورة المدثر آية ٣١) . ثم قال الله جل وعز « كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء » (سورة المدثر آية ٣١) ، فهذا بَيَّن ذلك) (١) .

فقد قاس آية البقرة على آية المدثر لأن السياقين متشابهان كل التشابه . وما دام القطع التام فى آية المدثر عند قوله : « مثلا » من قوله « وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » . وعلة القطع أنه نهاية حكاية قولهم . وبعده : « كذلك يضل الله » .... الآية ، وهو منقطع عما قبله انقطاعاً تاماً ، لأنه ليس من حكايتهم بل هو كلام مُسْتَأْنَفٌ . فهذا يبين أن الوقف عند قوله تعالى : « مثلا » ، تام .

حالات تطبيق نظرية النظم النحوى :

أما فى هذه الحالات فتظهر قوانين علم النحو بأجلى مظاهرها ، كما تظهر المعيارية الدقيقة لتطبيقات « نظرية النظم النحوى » عند النحاس .

وأهم الحالات التى دارت فى كتاب « القطع والائتناف » وَمَثَّلَتْ هذه النظرية هى :

١ ــ حالة المبتدأ والخبر :

(١) سورة البقرة الآية ٦ : « إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتَهُمْ أم لم تُنْذِرْهُمْ لا يؤمنون » .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٩ : أ

قال النحاس : (إن الذين كفروا إلى قوله جل وعز : « لا يؤمنون » « فيه تقديرات ثلاثة : إنْ جملتَ » لا يؤمنون « خبر أنّ فالقطع عليه ، وأن جملت سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم الخبر كان الوقف عليه كافيا غير تام . والتقدير الثالث أن يكون القطع ، « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، ثم نبتدىء : «لا يؤمنون» ويكون الخبر فى موضع رفع بالإبتداء ، « ولا يؤمنون » الخبر . والأولى أن يكون القطع « لا يؤمنون » ويكون كافيا)

(ب) سورة الفاتحة آية / ٢ : « الحمد لله رب العالمين » قال النحاس : (لا يقف على الحمد لأنه مبتدأ لم يأت خبره)[١] .

٢ ــ حالة النعت والمنعوت :

سورة الحجر الآيتان : ٩٥ ، ٩٦ : « إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الذين يَجعلونَ مع الله إلهاً آخرَ فسوف يعلمونَ » .

قال النحاس : (زعم العباس بن الفضل أن الوقف الكافى : « إنا كفيناك المستهزئين » قال أبو جعفر : وهذا غلط لأن « الذين » نعت للمستهزئين)[٢]

٣ ــ حالة الموصول والصلة :

سورة البقرة آية :٢٧ :« الذينَ يَنقُضُونَ عهدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِهِ» .

قال النحاس : (هذا ليس بقطع كاف لأن ما بعده معطوف على الصلة فهو داخل فى الصلة . وما بعده هو قوله تعالى : « ويقطعون ما أمر الله به

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٤ : أ

أن يوصل . .)[١].

٤ ـ الحال ومتعلقاته :

(ا) سورة إبراهيم الآيتان : ٤٩ ـ ٥٠ : « وترى المُجْرِمين يومئذ مُقَرَّنينَ فى الأصفادِ سَرابيلُهم من قطران وتغشى وجوههم النار » .

قال النحاس : (« مقرنين فى الأصفاد » ، ليس بتمام لأن « سرابيلهم من قطران » فى موضع الحال . و « تغشى » معطوف عليه والتمام « إن الله سريع الحساب »)[٢] .

(ب) سورة الحجر الآية : ٤٧ : « ونزعنا مافى صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ مُتقابلينَ » قال النحاس : (« من غل » تمام عند « نافع » ، وتابعه على ذلك العباس بن الفضل ، وخولفا فى ذلك لأن « إخواناً » منصوب على الحال مما قبله)[٣] .

٥ ـ المستثنى والمستثنى منه :

(أ) سورة المؤمنون :

قال النحاس : (يجوز الوقف على كل آية إلاّ على « والذين هم لفروجهم حافظون » . (الآية : ٥) ، لأن بعده استثناء هو قوله تعالى : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين » (الآية ٦)[٤] .

(ب) سورة النساء آية : ٦٦ :

« ولو أنا كتبنا عليهم أنِ اقتُلوا أنفسَكُمْ أو اخرجوا من دِيارِكُم ما فعلوه إلاّ قليلٌ مِنهُمْ . . . » .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٩ : أ
(٢) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : أ
(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : أ
(٤) القطع والائتناف لوحة ١٥٢ : أ

وهنا أورد النحاس رأى الإمام يعقوب الحضرمى فى الوقف الكافى فى هذه الآية ، فهو يرى أن الوقف الكافى هو قوله جل وعز :«مافعلوه».

وعقب عليه النحاس بقوله : (هــذا تخليط لا يجوز الوقف على « ما فعلوه » كما لا يجوز الوقف على قوله جل وعز : « فلبث فيهم ألف سنة[1] » . والسبب فى هذا الامتناع أن بعد قوله تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة» استثناء هو قوله تعالى : «إلا خمسين عاماً» (سورة العنكبوت الآية : ١٤) . وكذا لا يجوز الوقف على « مافعلوه » لأن بعده استثناء هو قوله جل وعز «إلا قليل منهم » .. وهذا لعمرى ـ قياس بديع) ...

٦ ـ المعطوف والمعطوف عليه :

سورة البقرة آية : ٤٢ : « ولا تَلبِسُوا الحَقَّ بالباطل وَتكتُموا الحق وأنتم تعلمون » . قال النحاس : (« وأنتم تعلمون » وقف كاف ، وليس بتمام لأن ما بعده معطوف عليه . وكذا : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والقطع التمام : « واركعوا مع الراكعين[2] ») .

(ب) سورة والذاريات الآيات (١ ـ ٦) :

« والذارياتِ ذَرْواً . فالحاملاتِ وِقراً . فالجارياتِ يُسْراً . فالمُقسماتِ أمراً . إنما تُوعدونَ لصَادقٌ . وإنَّ الدينَ لوَاقعٌ » .

قال النحاس : (« والذاريات » : خفض بواو القسم وما بعده معطوف عليه ، فجواب القسم : « إنما توعدون لصادق » . ثم عطف على الجواب . « وإن الدين لواقع » ، فهاهنا التمام[3]) .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٦٢ : أ
(٢) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : أ
(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٨٨ : أ

حالات الاتصال السياقى :

ووضح النحاس أيضاً مجموعة من حالات الاتصال السياقى والجلى التى يقف عندها القارىء عند كمال اتصالها ، ويتجنب الوقف على ماقبلها سواء أكان كمال الاتصال بالتوكيد أو البدل أو بالعطف ، أو بسياق آخر يتم به المعنى كلياً . .

فعندما أورد قوله تعالى : « آمَنَ الرسولُ بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفَرِّقُ بين أحد من رُسُلِهِ » (الآية : ٢٨٥ من البقرة)

أورد بعدها قول يعقوب : (ومن الوقف التمام : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ». قال : « والمؤمنون » : رفع بالابتداء لا بفعلهم) . ثم قول الأخفش سعيد : (وأما « آمن الرسول » فالتمام فيه «والمؤمنون»). ثم عقب على الرأيين بقوله : (هذا القول ـ الأخير ـ أولى من الأول لأن واو العطف توجب أن يكون الثانى داخلا فيما دخل فيه الأول ، إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضاً فإن بعده : « كل آمن بالله » وم يقل كلهم فيكون توكيداً [(١)]

فالوقف التام عنده « والمؤمنون » و « كل آمن بالله » منقطع عما قبله. وهو مبتدأ وخبر .

وفى الحديث عن الأئمة فى سورة الفاتحة ، جمع كثيراً من هـذه الحالات . فقال : (القطع على اسم الله جائز إلا أنّ الائتناف بما بعده لا ينبغى لأنه نعت ، وكذا الوقف على « الرحمن » ، والتمام : « بسم الله

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٤٤ : ب

الرحمن الرحيم » . ولا يقف على الحمد ، لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على اسم الله جائز إلا أنه لا ينبغى أن يفعل ذلك لأنّ قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » ، نعت . وهذا التمام ولا يقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد . ولا على « نعبد » لأنّ ما بعده معطوف عليه . والتمام « نستعين » . ولا يقف على « اهدنا » لأنّ « الصراط » منصوب به ولا على « الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن بعده بدلا . ولا على « الذين » لأن ما بعده من صلته ، ولا على « عليهم » لأن « غير » بدل من « الذين أنعمت » ... والتمام « ولا الضالين »[(١)])

وكل هذه الحالات — وأمثالها — توضح كل الإيضاح أن اهتمام النحاس فى كتاب « القطع والائتناف » منصب على السياق الجملى المرتبط بالنظام النحوى ارتباطاً كلياً ، بعيداً عن القضايا الشكلية والاحتمالات الكثيرة التى نجدها فى « نظرية الاحتمالات النحوية » عنده : حيث تتساوى هذه الاحتمالات فى الصحة . أما فى هذا الكتاب فهناك حالة واحدة يصح معها « وقف التمام » . وليس هناك غيرها — ولا ما يعادلها . ولهذا ظهرت عنده قضايا جديدة مرتبطة بهذا المنهج الجديد ، فهو يرفض القراءة التى لا تتفق مع قراءة الجمهور حيث تناسب الأخيرة وقف التمام ، حتى لو كانت تلك القراءة المرفوضة لأحد الأئمة المشهورين كالكسائى[(٢)] . وهو يرفض الوجه الضعيف فى العربية أو الذى لا يتفق عليه أكثر العلماء مصرحاً بأنّ كتاب الله « إنما يُحْمَلُ على الأشْهَر »[(٣)] لا على الأضعف من لغة العرب

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب — ١٢ : أ
(٢) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب
(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٢٨ : أ

وهذه اللهجة لم نألفها حتى فى كتابه « إعراب القرآن » وكذلك « شرح القصائد التسع » ففيها تكثر الاحتمالات ، وتتعدد الأوجه ويكثر الاهتمام بالاختلافات النحوية الجزئية .

فهو فى كتابه « القطع والائتناف » قد أعطى صورة واضحة لنظرية مبكرة عن النظم ، أساسها « علم النحو » وغايتها المفاضلة بين الأساليب والمعانى النحوية لتصل فى النهاية إلى حالة واحدة هى أفضل الحالات التى يصح معها النظم الكلى الذى تأتلف أجزاؤه وترتبط معانيه ارتباطاً تاماً فترفض معه الاحتمالات لأنها لا تحقق هذا الارتباط الكلى . الذى سماه « القطع التام » .... وكل الحالات الأخرى لا تحقق مثل هذا « القطع » وإنما تحقق لوناً آخر أو حالة أخرى هى حالة القطع الكافى أو الصالح أو الحسن . وهذا معناه أنه كلما اختلف بناء الجملة اختلفت حالة الوقف ، ومنها حالة « امتناع الوقف » . كل ذلك وفق القوانين النحوية التى تتضمنها لغة القرآن .

هل أثرت نظرية النحاس فى نظرية عبد القاهر الجرجانى ؟

والسؤال الذى يرد هنا : هل أثرت « نظرية النظم النحوى » عند النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) فى « نظرية النظم » عند عبد القاهر الجرجانى (المتوفى ٤٧١ هـ) وهو مسبوق بالنحاس من حيث الزمن ؟

إن الموازنة بين النظريتين من حيث الوسائل والغايات والتفاصيل هى التى تقرر الجواب ....

١ ـ من حيث الوسائل :

فقد جعل عبد القاهر قوانين النحو وأصوله هى أساس المفاضلة بين

المعاني وأساس الخطأ والصواب ، ومحصول ذلك « أنْ تَعْمَد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أو تُتْبِع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفـــة للأول أو تأكيداً له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزاً »[1] .

وهذه الوسيلة ... هي وسيلة النحاس للوصول إلى أساس المفاضلة بين المعاني .. بل من أولى الوسائل ، والحالات التي بسطناها والنصوص التي نقلناها من النحاس كافية للتدليل على هذا .

٢ ـ من حيث الغـاية :

أما من حيث الغاية فإن عبد القاهر الجرجاني جعل الغاية من نظريته ، المفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو[2] .

وتلك غاية النحاس من نظرية النظم النحوي ـ غير أن الأول استعملها في الدلالة على إعجاز القرآن واستعملها الثاني في ضبط قراءة القرآن حتى يُقرأ قراءة متفقة مع أفضل أساليب اللغة التي أُنزل بها .

٣ ـ من حيث التفاصيل :

أما نقاط الالتقاء من حيث التفاصيل فهي :

أولا : أن عبد القاهر جعل أساس نظريته أن تراعى قوانين النحو حيث تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ... أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلا منه .

---

(١) دلائل الاعجاز /٤٤

(٢) دلائل الاعجاز /٣٥

وهذه القوانين النحوية والحالات الأسلوبية هى أساس المعيارية عند النحاس ... وعليها مدار كتابه : « القطع والإئتناف » ...

ثانياً : من الحالات التى جعلها عبد القاهر أساساً للمعيارية النحوية هى أن تأتى باسم بعد تمام كلامك فتجعله صفة أو حالا أو بدلا ... والاهتمام بالأئمة وحالة الوقف التام وصلة الاسم - فى حالات كونه صفة أو حالا أو بدلا - بهذا الوقف التام هى من أهم القضايا التى اهتم بها النحاس فى كتابه.

ثالثاً : وليس هـــذا فحسب ، بل إن عبد القاهر استعمل عبارة « الاستئناف » فى كتابه « دلائل الإعجاز » أكثر من مرة ، فى موضوع واحد هو : « الفصل والوصل » وهى عبارة النحاس وجل السابقين له استعملوا عبارة « الوقف والابتداء » فى هذا الموضوع إلا هو فقد استعمل « القطع والائتناف » . فلو لم يتأثر عبد القاهر بالنحاس لاستعمل عبارة البلاغيين « الفصل والوصل » وهى العبارة التى عقد من أجلها الباب .

رابعاً : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر وقف عند بعض الآيات فى باب « الفصل والوصل » ، وهى من موضوعات « القطع والائتناف » وكان يستطيع أن يقف على مئات الآيات أمثالها ، وهى قوله تعالى « إنَّ الذينَ كفروا سَوَاءٌ عليهِمْ أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهُمْ لا يؤمنون » (سورة البقرة آية : ٦) . بل كان وقوفه عند الجزء الذى وقف عنده النحاس تماماً . فقد وقف عند قوله تعالى : « لا يؤمنون » مبيناً أنه توكيد لقوله تعالى « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » وأن معناه يتصل بالأول كما ترتبط الصفة بالموصوف والتأكيد بالمؤكد[(١)] ..

---

(١) دلائل الاعجاز /١٧٤ ، ١٧٥ .

وبناء على فهمنا لنظرية النظم عند الجرجانى نرى أنه يريد أن يقول : « إن تمام الكلام هو « لا يؤمنون » . . . وإنه يتصل بما قبله « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » تمام الاتصال ولذلك فصل بينه وبين ما بعده تمام الانفصال فلا يعطف عليه » . وتلك حالة من حالات ترك العطف التى بسط فيها عبد القاهر القول فى دلائل الإعجاز[1] .

ومعنى هذا أن عبد القاهر جعل تمام الكلام « لا يؤمنون » وهذا ما عبر عنه النحاس بكل وضوح حيث قال : (والأولى أن يكون القطع « لا يؤمنون » ويكون كافياً)[2] .

فالوسيلة واحدة والغاية واحدة والملامح والقسمات التفصيلية متشابهة فى موضوع واحد . أليست هذه الدلائل كافية على تأثير نظرية النظم عند النحاس فى نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى ؟ ؟

* * *

(١) دلائل الاعجاز /١٨٧.

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٤ : أ

ثانيا : المزج بين منهج القراء ومنهج النحاة

النحاس أول صورة واضحة وكاملة تطالعنا للاستشهاد بنحو القراءات ولغتها ، لا سيما فى كتابيه : « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع ». بحيث نراه يستشهد بالقراءات فى كتاب مثل «شرح القصائد التسع» بشكل يلفت النظر ويدعو إلى إدامة التأمل ، وهو النحوى المقرىء الوحيد الذى مزج بين منهج القراء ومنهج النحاة التقليديين ، بعيداً عن نَصّية القراء وتعسف النحاة ، فأزال بذلك الفروق الحدية بين المنهجين . فالنحاة يُحَكِّمون القياس فى الرواية سواء كانت قرآنية أم نصاً شعرياً ، ومنهم الفراء (ت٢٠٧هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) . أما الفراء فقد رد كثيراً من القراءات المتواترة وغير المتواترة . ومن الأمثلة التى ردها قراءة حمزة « إلاّ أنْ يخافا » (سورة البقرة آية : ٢٢٩) ، بضم الياء بحجة أنها لا تعجبه ... [1] وقد أطال فى تعليل ذلك .[2] و «حمزة» من أئمة القراء وكذلك رد قراءة «ابن عامر» : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » برفع «قتل» ونصب «أولاد» وجر « الشركاء » لأنّ فيها فصلا بين المضاف والمضاف إليه ، بالمصدر ، وهو يخالف القياس النحوى . وسماها « شاذة »[3] لذلك ، وما هى بشاذة ، بل قراءة متواترة ، فإذا رد القراءات المتواترة فرد غيرها أيسر .[4]

أما المبرد فموقفه من القراءات موقف لا يحمد عليه وهو أكثر النحاة تطرفاً فى موقفه هذا .

(١،٢) الفراء : معانى القرآن ١/١٤٥ ـ ١٤٦ وينظر معانى القرآن ٧/٤١٤

(٣) معانى القرآن ١/٣٥٨

(٤) نفسه ٣ ـ ٨

أما منهج القراء فيعتمد على الرواية . والقراءة عندهم « سُنَّة مُتَّبَعَة ». وهي بذلك « توقيفيّة » متناسين في ذلك احتمال الخطأ فيها . . . وغير معترفين بالاجتهاد الشخصي فيها ، بالرغم من وجوده . والدليل على وجوده أن القراء السبعة جميعاً قرؤوا « إن هذان لساحران » (سورة طه : ٦٣) بثبوت ألف « هذان » إلا أبا عمرو بن العلاء فإنه قرأها بالياء [١] مخالفاً بذلك الإجماع .

وقرأ الكسائي (ت ١٨٩هـ) : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم . أنّ الدِّينَ عند الله الإسلامُ » (الآيتان ١٨ ـ ١٩ من سورة آل عمران) ، بفتح همزة « أن » وقال : (أنصبهما جميعاً بمعنى شهد الله لأنه لا إله إلا هو أنّ الدين عند الله الإسلام) [٢]

ولو كان الأمر يتعلق بالرواية لاحتج بها ، ولما نازعه في ذلك أحد... لكنه علل وجه قراءته لأنه اجتهاد يحتاج إلى ما يسنده من حجة . . . وتلك حجته ..

ولكن النحاس أخذ بمبدأ التوسط بين طرفي الأمر فأخذ بنحو القراءات متجاوزاً كثيراً ممن سبقه ، وعلل للقراءات تعليلا كافياً ومستفيضاً في كتابه : « إعراب القرآن » وبنى على القراءات كثيراً من الأحكام والقضايا النحوية واللغوية . وصرح في كتاب « القطع والائتناف » بأن أسلوب الآيات ونحوها ونظمها لا يمكن أن يفهم في بعض السور إلا بتفصيل القراءات . [٣]

---

(١) كتاب السبعة / ٤١٩

(٢) النحاس : معاني القرآن ورقة ٣٩ : أ

(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٣٤ : ب

ولكن الذى يلفت النظر حقاً أنه يستعمل القراءات فى كتابه «شرح القصائد التسع» بكثرة ووفق منهج جديد لم يسبقه إليه أحد. فكل النحاة والمفسرون وأصحاب كتب المعانى استشهدوا بالشعر لتوجيه القراءات وتفسير معانى الآيات وفعل النحاس مثلهم فى كتابه «معانى القرآن»(١) وغيره، أما فى كتاب: «شرح القصائد التسع» فقد استعمل القراءات لتوجيه الشعر، وأجاز فى الشعر قراءتين قياساً(٢) على القراءات.. وهذا مالم يفعله أحد من قبل. ولذلك فهو رائد فى هذا. كما أن شواهده القرآنية (أى شواهده من القراءات متواترة وغير متواترة) بلغت (٣٠٦ شواهد) فى حين بلغت شواهده الشعرية (٢٦٥).

وهو أول نحوى أو لغوى تتجاوز شواهده القرآنية الشواهد الشعرية فى كتاب نحوى ولغوى كشرح القصائد التسع.

ولو وازنا بينه وبين أستاذه أبى بكر بن الأنبارى فى «شرح القصائد السبع الطوال»، لوجدنا أن شواهده القرآنية (٢٥٠) وشواهده الشعرية (١٠٩٣).

أى أن نسبة الشواهد القرآنية إلى الشواهد الشعرية عند كل منهما يبينها الجدول الآتى:

	الشاهد القرآنى		الشاهد الشعرى	
عند النحاس	٣	:	٥ر٢	تقريباً
عند ابن الأنبارى	١	:	٤	تقريباً

---

(١) معانى القرآن لوحة ٣ : ب ولوحة ٣٤ : ب.

(٢) شرح القصائد التسع /٥٢١، ٥٤٦.

وهذا يدل بوضوح على بعد الشقة بين المنهجين فى الاستشهاد بالقرآن والقراءات .

فما هو السبب ؟

لقد قرأ النحاس على نخبة طيبة من القراء أمثال أبى بكر[١] بن يوسف التجيبى (ت ٣٠٧ هـ) ، وأبى بكر محمد[٢] بن أحمد عمر الداجونى الكبير (ت ٣٢٤هـ) ، وابن شَنَبُوذ ؛ محمد بن أحمد (ت ٣٢٨هـ) ، وغيرهم .

والأول: مقرىء متصدر ثقة إمام . وكان شيخ الديار المصرية فى زمانه وانتهت إليه الإمامة فى قراءة « ورش ».

أما الداجونى فهو « إمام كامل رحّال مشهور ثقة » .. أخذ القراءات عن كثيرين عَدّدهم ابن الجزرى[٢] وله كتاب فى القراءات ضمنه قراءة أحد عشر قارئاً .[٣]

أما ابن شنبوذ فهو شيخ الإقراء بالعراق . وأثنى عليه كل القراء والعلماء إلا ابن مجاهد معاصره (ت ٣٢٤هـ) . وحجته حجة الأقران ... وكان ذنب ابن شنبوذ أنه يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام ، إذا صحت روايته . وذلك كل ما عليه ....[٤] .

فالنحاس أخذ القراءات المتواترة عن طريق أستاذه الداجونى ، والشاذة عن طريق أستاذه ابن شنبوذ ، وقراءة ورش المصرى عن طريق أستاذ أبى بكر التُّجِيْبِى .

---

(١) طبقات القراء ١/٤٤٥
(٢) نفســه ٢/٧٧
(٣) لطائف الاشارات ١/٨٦
(٤) طبقات القراء ٢/٥٢

فلا غرابة بعد ذلك إذا بدا ـ من خلال كتبه لا سيما إعراب القرآن ومعانيه وشرح القصائد التسع والقطع والائتناف ـ وقد سبر غور القراءات وعرف موضع الشاهد فيها ، واستخدمها ببراعة تامة دلت على سعة علمه وفضله . ويظهر ـ والله أعلم ـ أنه كان متقناً لقراءة ورش (ت ١٩٧ هـ) ، ولهذا أخذها عنه ابن خاقان [١] : خلف بن إبراهيم بن محمد (ت ٤٠٢ هـ) المقرىء الإمام أستاذ الدانى [٢]. وعنه رواها الدانى . [٣]

فالنحاس إمام من أئمة القراءات . وهذه النقطة توضح جانباً من موقفه العام من القراءات .

وإذا كان قد أنكر بعض القراءات [٤] فليس معنى ذلك أنه يُقْرَنُ بالمبرد ، ولا يعنى أنه منكر للقراءات دائماً ، كما توحى عبارة محقق كتاب « شرح القصائد التسع » [٥] ، معتمداً على خمس قراءات دفعها النحاس فى كتابه « إعراب القرآن » ولكنه نقلها من « تفسير القرطبى » فوقع فى تحريف أربع منها فى الضبط وفى نسبة بعضها وفى مكان النقل . . فكان حكمه مبنياً على أساس مُحَرَّف أولا . كما أنه يُرَدّ عليه باعتماد النحاس على القراءات : مئات القراءات وفى إعراب القرآن نفسه ثانياً وأخيراً ، وليس آخراً ، فإنّ رده لبعض القراءات لا يعنى أنه يوضع بجانب المبرد الذى كان يرفض القراءة إذا خالفت المقاييس النحوية ، لأن « ابن مجاهد »

---

(١) الدانى : المفردات السبع /١١

(٢) طبقات القراء ١ : ٢٧١

(٣) طبقات القراء ١ : ٢٧١ (وقال عنه الدانى : كان ضابطا لقراءة ورش متقنا لها مجودا مشهورا بالفضل والنسك واسع الرواية صادق اللهجة كتبنا عنه الكثير ..

(٤) اعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١

(٥) شرح القصائد التسع /٣٤ (من الدراسة) .

شيخ القراء فى عصره قد أنكر بعض القراءات السبعية المتواترة فى كتابه[1] « السبعة » فى حين أنكر النحاس بعض القراءات التى لا تصح فى المعنى ، أو إذا كانت لَحْناً .[2]

فموقف النحاس من القراءات موقف طبيعى ، ومعتدل لا يختلف عن موقف أى قارىء من القراء ، أما إذا قورن بموقف النحاة فإنه يختلف عنهم ويفوقهم فى قبول القراءات ، لا سيما فى كتابه : « شرح القصائد » . أما فى كتابه «القطع والائتناف» فإنه رد بشدة على «أكثر النحويين »[3] الذين ردوا قراءة « حمزة » بفتح كل همزة فى سورة الجِنّ من أنا وأنه إلا ما كان بعد قول . وكان رده قائماً على حجة علماء القراءات وليس على حجة النحاة لأن قول الأخيرين « طَعنٌ على ما روته جماعة وأئمة يُقتدى بهم » على حد تعبيره .[4] بالرغم من استعماله سلاح النحو ، فى كل كتبه ، وهل يمكن أن يتخلى عن هذا السلاح ، كل من يريد أن يبين معانى القرآن وأساليبه فى الخطاب والتوجيه ؟؟

وإذا بدأ عنده ميل إلى تحكيم القياس النحوى ـ أحياناً ـ فأكثر ما يأتى ذلك فى غير ميدان القراءات[5] ، وقلما يأتى فى ميدانها[6] ، وعندما نضع بجانب هذا القليل استشهاده بالقراءات حتى الشاذة منها[7] ، فإن ميله نحو تحكيم منهج القراء فى مقاييس النحو يبدو واضحاً أى أنه يأخذ بالسماع والرواية ، لأن القراءة سنة متواترة أى قائمة على رواية ثابتة

(١) كتاب السبعة / ١٦٩ ، ٢٠٧
(٢) اعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١
(٣) القطع والائتناف لوحة : ٢٤٣
(٤) المرجع نفسه لوحة : ٢٤٣ : ب
(٥) شرح القصائد التسع ١٥٧ ، ٢٦٨
(٦) اعراب القرآن ، لوحة : ٦
(٧) شرح القصائد التسع / ٢٢٦ ، ٢٩٢

وسماع صحيح ، أما الشاذة فهى تعتمد على الرواية غير المتواترة ، أحياناً وبالرغم من اعتمادها على الرواية فإنها ليست من قراءة السبعة أو العشرة، وهى فى كل الأحوال ليست قياساً نحوياً .

أثر كونه قارئا فى منهجه :

وكون النحاس قارئاً ، أثر فى آرائه وأحكامه فظهرت له بعض الآراء التى تعد طريفة كل الطرافة وجديدة كل الجدة وتستحق الوقوف عندها .

ومن تلك الآراء وأكثرها طرافة : إجازته قراءة أبيات الشعر بصورتين مختلفتين وذلك حين تكون تلك الصورتان فى حيز القراءات القرآنية ،أى وجود مايشابههما فى علم القراءات .

ومن الأمثلة على ذلك إجازته قراءة بيت عنترة (٦٣) :

فبعثت جاريتى فقلتُ لها اذهبى فَتَحَسّسِي أخبارَها لِى واعلمى

بصورتين : بفتح ياء « لى » أو بسكونها : (إنْ شئت أسكنت الياء فى قوله : لى وإن شئت فتحتها وهما لغتان معروفتان قرأ بهما القراء)[1]

كما أجاز أنْ يُقرأ بيت امرىء القيس (رقم ٢٠) :

أأن رأتْ رجُلا أعشى أضَرَّ بِهِ ريبُ المنونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ

بتحقيق همزتى « أأن » ، وبتخفيف الثانية[2] . ومسألة تحقيق الهمزتين من كلمة أو تخفيف الثانية ، من مسائل الأصول فى علم القراءات .[3]

---

(١) شرح القصائد التسع /٥٢١

(٢) شرح القصائد /٥٤٦

(٣) ينظر كتاب السبعة /١٣٤ ، ١٤٥ وسراج القارئ المبتدئ /٦٢، غيث النفع فى القراءات السبع /١٠٠ واتحاف فضلاء البشر /٤٤

وليس هذا فحسب ، بل ظهر أثر كونه قارئاً فى اعتماده الكبير على الشواهد القرآنية والقياس عليها فى جل أعراض الاستشهاد .

وأهم الاغراض التى جاء بالقراءات والآيات من أجلها هى :

١ ـ الدلالة على جواز أسلوب :

ففى شرحه لبيت النابغة (رقم ٤) بهذه الرواية :

رُدَّتْ عليهِ أقاصيه ولَبَّدَهُ ضرب الوليدة بالمِسْحاة فى الثأد

أراد أن يبرهن على أن الشاعر أضمر مالم يجز ذكره ، فقد أراد ردت عليه الأَمَة إلا أن هذا جائز كثير إذا عرف معناه . قال الله عز وجل : « حتى توارت بالحجاب » (ســـورة ص آية : ٣٢) ، يعنى الشمس . والله أعلم) . (١)

٢ ـ أو للبرهنة على أفضلية أسلوب على أسلوب :

وفى شرح بيت الحارث بن حِلِّزَةَ اليشكرى :

ثم خيل من بعد ذاك مع الغَـ ـلاَّقِ لا رأفةٌ ولا إبقـاءُ

قال : « لا رأفة ولا إبقاء : أى ليس لأصحاب الغلاق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم ، ثم حذف لعلم السامع ، وقيل فى قوله عز وجل : « فمستقر ومستودع »(الأنعام : ٩٨) : « مستقر فى الأصلاب ومستودع فى الأرحام »(٢) ثم جعل لا فى قوله : لا رأفة بمعنى : ليس .

---

(١) شرح القصائد التسع /٧٣٧ (لبده : سكنه وطمأنه ، الثأد : الموضع الندى التراب) .

(٢) هو رأى أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١/٢٠١

وأنشد سيبويه :[1]

مَنْ صَدَّ عن نيرانِها   فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ

وهو في بيت الحارث أحسن لتكريره لقوله « ولا إبقاء » ، فصار مثل قراءة من قرأ : « فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج ». (البقرة : ١٩٧)[2].

٣ ـ للدلالة على صحة بناء كلمة وعدم صحة غيره :

ففي شرح بيت عنترة رقم ٧٩ :

ولقد شفَى نفسي وأبرأ سُقْمَها   قِيلُ الفوارس : ويكَ عنترَ أقْدِمِ

أورد ما يأتي : (قال بعض النحويين ، معنى ويك ، ويحك ، وقال بعضهم معناه : ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك أنه (القصص آية : ٨٢) كما يقال : ويلك أنه ، ويحك أن ، على أنه قد احتج لصاحب هذا القول بأن المعنى اعلم أنه لا يفلح الكافرون وهذا خطأ من جهات : إحداها : حذف اللام من ويلك وحذف اعلم ، لأن مثل هذا لا يحذف ، لأنه لا يعرف معناه ، وأيضاً فإن المعنى لا يصح ، لأنه لا يدرى من خاطبوا بهذا ، والأحسن في هذا ما روى سيبويه عن الخليل وهو أن « وى » منفصلة وهي كلمة يقولها المتندم إذا تنبه على ما كان منه ، فهى على هذا مفصولة كأنهم قالوا على المتندم (وى كأنه لا يفلح الكافرون) .[3]

---

(١) الكتاب ٣٥٤/١ وهو لسعد بن مالك القيسي . واستشهد به على اعمال « لا » عمل ليس . وقال انها لغة قليلة . وينظر المقتضب ٣٦٠/٤

(٢) شرح القصائد ٥٩٠ والغلاق : من بنى حنضلة من بنى تميم كانه على هجائن النعمان ، غزا بنى تغلب فقتل فيهم وسبى (نفسة ٥٩٠) .

(٣) شرح القصائد التسع /٥٣٣

٤ ـ لاثبات صحة قراءتين لبيت :

فى شرح بيت امرىء القيس رقم ٢٠ :

أأن رأتْ رجلاً أعشى أضر به ريبُ المنون ودهر مُفْنِدٌ خَبِلُ

قال : لك أن تحقق الهمزتين فتقول : « أأن » ولك أن تخفف الثانية فتقول : أآن وعلى هذا قرىء : أآنذرتهم . وأأنذرتهم (البقرة) .(١)

٥ ـ لاثبات صحة أسلوب :

فى شرح بيت الحارث بن حلزة اليشكرى رقم ٧ :

وبعينيك أوقدتْ هندُ النا رَ أصيلا تُلوى بها العلياءُ

قال : (المعنى وبرأى عينيك ، ثم حذف ، وهو مثل «واسأل القرية» (يوسف آية : ٧٢) والمعنى أوقدت النار وأنت تراها لقربها منك).(٢)

٦ ـ لاثبات صحة قاعدة نحوية :

فى شرح بيت الأعشى رقم ٤٨ :

لأعرفنّكَ أنْ جدّتْ عداوتُنا والتُمِسَ النصرُ منكم عَوْضَ يحتمل

جاء ما يأتى (قال ابن السكيت : عَوْضَ : دهر وأبد ، وهذا القول فيه تساهل لأنه لو كان على هذا لكان نكرة ، ووجب أن ينصب وينون ، ولكن حقيقته أنه بمعنى دهرك وأبدك وهو معرفة ولذلك بُنِيَ وهو بمنزلة قبل وبعدُ إذا نُكّرتا لم تبنيا ، كما قُرِىء « لِلهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ » . (الروم آية : ٤) .(٣)

---

(١) شرح القصائد التسع /٧٠٠

(٢) شرح القصائد التسع /٥٤٦

(٣) « القصائد التسع /٧١٨

٧ ـ لتقوية وجه اعرابي يراه :

وبعد بيت عنترة من معلقة :

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبةً ... سُوداً كخافيةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ

قال : (اثنتان : مرفوع بالابتداء وإن شئت بالاستقرار . وأربعون عطف عليه : وقوله : سوداً : نعت لحلوبة لأنها في موضع الجماعة والمعنى من الحلائب : وقيل : قوله جل وعز : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً » (الأعراف آية ١٦٠)، أقوال أحدها يقوى هذا، وهو أنّ المُفَسِّر محذوف والمعنى : اثنتى عشرة أمة)[١] .

٨ ـ للبرهنة على جواز لغة :

وذلك في شرح قول عمرو بن هند :

وأيامٍ لنا ولهم طِــوالٍ ... عصينا المَلْكَ فيها أنْ نَدينا

حيث جاء « عصينا المَلْكَ يعني المَلِكَ ، ويقال إنها لغة ربيعة[٢] ـ كما قرىء : « بورْقكم » (الكهف : ١٩) ، أى بسكون الراء[٣]

٩ ـ للبرهنة على أمر نظري :

ففي شرح بيت عنترة رقم ١١ :

جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

جاء قول النحاس : (وقوله فتركن محمول على المعنى لأن المعنى جادت عليه السحائب . ولو كان في الكلام لجاز ... وفي كتاب الله عز وجل :

---

(١) شرح القصائد التسع /٤٧٠

(٢) شرح القصائد التسع /٦٢٩

(٣) وهي قراءة أبي رجاء عمران بن تيم (المحتسب ٢/٢٤) . وحركها محقق شرح القصائد التسع بكسر الراء خطأ .

« ومن يقنت منكن لله ورسوله » (الأحزاب آية ٣١)، على لفظ « من »
وتعمل على المعنى ، ثم قال عز وجل : « نؤتها »[1]

١٠ ـ للبرهنة على تصريف كلمة واشتقاق أخرى :

فقد فسر قوله تعالى : « فجعلناهم سَلَفاً » (الزخرف آية ٥٦) بقوله : أى متقدمين ليتعظوا بهم ، ومن قرأ سُلُفاً فهو جمع سليف . أى : جماعة متقدمة : ومن قرأ « سُلَفا » فهو جمع سُلْفَة ، أى فرقة متقدمة[2] .

١١ ـ لبيان المشترك اللفظى :

ففى شرح بيت طرفة رقم ٦٤ :

أرى الموت يَعْتامُ الكرام ويصطفى   عَقِيلَةَ مالِ الفاحش المُتَشَدِّدِ

قال : « الكريم : الشريف الفاضل . قال الله عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم » (الإسراء آية ٧٠) ، أى : شرفناهم وفضلناهم . وقال للصفوح كريم . قال الله عز وجل : « فإنّ ربّى كريم » (النمل : آية ٤٠)، ويقال للكثير كريم لفضله . قال الله عز وجل : « لهم مغفرة ورزق كريم » (الأنفال)[3] .

١٢ ـ لتأكيد جواز لغتين :

قال : (سرى وأسرى : إذا سار بالليل . وجاء القرآن بهاتين اللغتين قال جل ذكره « سُبحانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا » (الإسراء آية ١) وقال : « والليل إذا يَسْرِ » ، (الفجر آية ٤)[4] .

وكل هذه الأمثلة وما سبقها تثبت أن النحاس أول من مزج بين منهج القراء ومنهج النحاة وبذلك حاز قصب السبق بهذا المنهج .

---

(١) شرح القصائد التسع /٤٧٥

(٢) شرح القصائد التسع ٧٣٤ (قال ابن مجاهد « قرأ حمزة والكسائى سلفا بضم السين واللام وقرأ الباقون سلفا بفتحها » كتاب السبعة/ ٥٨٧) .

(٣) شرح القصائد التسع ٢٧١

(٤) شرح القصائد التسع /٢٤٦

أما قول الدكتور عبد الفتاح شلبي : (إن ظهور مذهب القراء فى كتب النحاة يبدو واضحاً منذ القرن السابع الهجرى)[١] ، فهو بعيد عن الصواب ، لأن الباحث المذكور أهمل كتاب النحاس ، ولو اطلع على كتابه « إعراب القرآن » أو « شرح القصائد التسع » وهو ذو طابع نحوى أيضاً لما بدر منه هذا القول . وإذا كان يريد تخصيص ذلك المنهج بموضوع « الإمالة » فإن النحاس قد أدخل منهج القراء فى كتابه « إعراب القرآن »[٢] وهو يناقش كثيراً من مواضع الإمالة ... « والإمالة » موضوع تخصص به القراء ... وهى فرع من فروع « علم القراءات » ... فإذا كان النحاس قد مزج بين منهج القراء فى الأصل ، فكيف لا يمزج الإمالة كذلك ؟؟

وفى ختام هذا البحث أحب أن أنبه إلى أن مدرسة القراء المصرية ظلت متميزة بمنهجها مستمرة فى حمل هذا المنهج والتأليف وفق ما رسمه حتى نهاية القرن الرابع وبعده ..

ثالثا : نظرية الاحتمالات النحوية

ماذا يراد بنظرية الاحتمالات النحوية ؟ المراد بهذا أن النحاس يرى أن إعراب الكلمة الواحدة يحتمل فى كثير من الأحيان أوجها إعرابية كثيرة . تبدأ باحتمالين ثم ثلاثة ثم أربعة وقد تصل إلى عشرين أو أربعين احتمالا ووجهاً ... وكل هذه الأوجه متساوية فى الصحة والقبول . وليس معنى ذلك عدم وجود الخطأ ، فالخطأ مردود سواء فى مجال هذه النظرية أم فى غيرها ....

---

(١) الامالة فى القراءات واللهجات العربية / ٢٨٠

(٢) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، ولوحة ١٢٩ : ب

وقد بسط هذه النظرية وأعطى بياناً بتلك الوجوه الإعرابية المختلفة في ثلاث مؤلفات :

الأول : « إعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ».
والثاني : إعراب القرآن .

والثالث : شرح القصائد التسع .

ففي رسالته : إعراب قول سيبويه : « هذا باب علم ما الكلم من العربية » أوصل الاحتمالات في هذه العبارة إلى بضعة وأربعين وجهاً ... ولم يبد في وجه من تلك الوجوه شكاً أو يقلل من قيمته بل كلها متساوية في الصحة . وقد شرحنا ذلك . .

أما في كتاب « إعراب القرآن » فقد ضرب لذلك الأمثلة الكثيرة..

ففي إعراب « الذين » من قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » (البقرة آية ٣) أوجه عدة : يكون نعتاً للمتقين ، ويكون نصباً بمعنى أعني. ورفعاً من جهتين : بالابتداء ، والخبر ، لأولئك على هدى من ربهم . وعلى إضمارهم يؤمنون[١] .

وفي « هدى » من قوله تعالى : « لا ريب فيه هدى للمتقين »(آية : ٢ من سورة البقرة) ثمانية أوجه :

١ ـ تكون في موضع رفع خبراً عن ذلك[٢] .

٢ ـ وعلى إضمار مبتدأ .

٣ ـ وعلى أن يكون خبرا بعد خبر .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

(٢) أي في قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

٤ ـ وعلى أن يكون رفعاً بالابتداء .

فهذه أربعة أوجه في الرفع .

٥ ـ ويكون على وجه خامس هو أن يكون ردّاً على موضع « لا ريب فيه » .

٦ ـ ويكون نصباً على الحال من ذلك .

٧ ـ ويكون حالا من الكتاب .

٨ ـ ويكون حالا من الهاء(١) .

أما فى قوله تعالى « مالك يوم الدين » من سورة الفاتحة ، ففيه أربع لغات يقال : مالك ، ومَلِك ، ومَلْكِ ، ومليك ، كما قال لبيد :

فاقْنَعْ بما قسَمَ المليكُ فإنَّما　　قسم المعايشَ بيننا علّامُها

وفيه من العربية خمسة وعشرون وجهاً . يقال :

مَلِك يوم الدين على النعت . .

والرفع على إضمار مبتدأ . . .

والنصب على المدح . . .

والنصب على النداء . . .

وعلى الحال . . .

وعلى النعت على قراءة من قرأ « رَبَّ العالمين » فهذه ستة أوجه . .

وفى مالك مثلها .

وفى ملك مثلها .

وفى مليك مثلها .

---

(١) أى فى الآية الكريمة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » .

فهذه أربعة وعشرون وجهاً .

والخامس والعشرون روى عن أبي حيوة : شريح بن زيد (ت : ٢٠٣هـ)، أنه قرأ « مَلَكَ يَوْمَ الدين » [١].

فهذه خمسة وعشرون وجهاً !!!!

صحيح أن النحويين قبله أجازوا بعض الوجوه الإعرابية . . . فسيبويه كان يجيز الرفع والنصب أحياناً [٢] . . ويجيز النصب والخفض في أحيان أخرى [٣] لكنه يلتزم منهج الترجيح فيقول : الوجه الرفع ، أو الوجه النصب [٤] والنحو عنده معياري ليس فيه من الوصفية إلا القليل النادر .

والزجاج أستاذ النحاس أعرب « الحمد لله » برفع الحمد بالابتداء . وأجاز في الكلام « الحمدَ لله » بنصب الحمد وأنت تريد أحمد الله الحمد ، « إلا أن الرفع أحسن وأبلغ »

أما ماروى عن بعض العرب « الحمدِ لله » بكسر الدال، فإنه « لايجيزه إلا جاهل » على حد تعبير الزجاج . ولكن النحاس أجازه وأجاز الحمدُ لُله بضم الدال واللام . ودافع عن هاتين القراءتين . لأن أستاذه على ابن سليمان الأخفش قد أنكرها [٥] أما قراءة « ربَّ العالمينَ » فإنه (لايجوز في القرآن إلا ربِّ العالمين الرحمنِ الرحيمِ ، وأن الرفع والنصب جائزان في الكلام ، ولا يتخير لكتاب الله إلا اللفظ الأفضل الأجزل) . هذا نص الزجاج [٦] .

(١) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب
(٢) كتاب سيبويه ٣٦١/١
(٣) كتاب سيبويه ٣٣/١
(٤) كتاب سيبويه ١٨٣/١ ، ٣٦٣
(٥) اعراب القرآن لوحة : ٢ : ب
(٦) الزجاج : معاني القرآن لوحة : ٢ : ب

أما المبرد فمذهبه فى الجواز قريب من مذهب سيبويه إلا أنه أكثر تشدداً منه فى مجال الرواية لأنه يرفض منها ما يخالف مذهبه وقياسه النحوى[(١)] .

غير أنى وجدت « الفراء » يجيز أوجهاً من الإعراب حتى فى آيات القرآن ، وإذا جوز فى القرآن جوز فى غيره من الكلام . ففى قوله تعالى: « الحمد لله» فى سورة الفاتحة ـ أجاز رفع الحمد ، ويجوز النصب ، لأن الحمد ليس باسم إنما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول « أحمد الله » . فإذا صلح مكان المصدر فَعَل أو يفْعَلُ جاز فيه النصب »[(٢)] .

أما قوله تعالى ، « هدى للمتقين » (البقرة آية : ٢) ففيه رفع من جهتين ونصب من جهتين ، ثم أخذ يفسر تلك الأوجه ويعللها[(٣)] .

وقد تأثر بهذا النحاس تأثراً واضحاً فى إعراب القرآن عند إعراب هذه الآية[(٤)] .

ولكن الملاحظ أن المعيارية النحوية ذات الوجه الواحد تغلب على منهج الفراء ولذلك يرجح دائماً فيرتضى وجهاً واحداً من العربية ، فإذا وجد ما يخالف ذلك رفضه محكما القياس النحوى ، وإذا كانت قراءة عدها شاذة[(٥)] أو قبيحة أو أنها لا تعجبه[(٦)] .

والمسألة عند النحاة تختلف تماماً . . . فالعربية ـ عنده ـ حمّالة أوجه واحتمالات جائزة . وينعكس هذا فى اهتمامه باختلاف الروايات للبيت

(١) المقتضب ٣٠٣/٤ ـ ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٧١

(٢) الفراء : معانى القرآن ٣/١

(٣) معانى القرآن ١١/١ .

(٤) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ

(٥ ، ٦) معانى القرآن ١٤٥/١ ـ ١٤٦ ، ٣٥٨ ، ٤١٤

الواحد ... وتعليل كل رواية فهو يقبل كل تلك الروايات ... ويفسر كل وجه[1] .. ولا يرفض إلا حالات نادرة هي من قبيل الخطأ أو التحريف المتعمد الذى يلجأ إليه النحاة إما تأييداً لمذهب نحوى أو موافقة لهوى الراوى ... فهو فى شرح بيت زهير (رقم ١٤) :

فلما وَرَدْنَ الماء زُرْقاً جِمامُه   وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المُتَخَيِّمِ

يقول : (يجوز أن يروى : «فلما وردن الماء زرق جمامة» . ويجوز فى غير هذا البيت فلما وردن الماء أزرق جمامه ، وإن شئت نصبت أزرق) .

ولهذه الأوجه عللها «فمن روى زرقاً جمامه ، نصب زرقاً على أنا نعت للماء ، وصلح أن يكون حالا له لأنه قد عادت عليه الهاء فى قوله : جمامه . وترفع جمامه بقوله : زرقاً ، ويكون المعنى ويزرق جمامه ، ومن روى :زرق جمامه رفع زرقاً على أنه خبر الابتداء ، وينوى به التأخير ، وجمامه مرفوع بالابتداء ، والمعنى : فلما وردن الماء جمامه زرق » .[2]

أما فى شرح بيت عنترة (رقم ٢٩) :

حَلَّتْ بأرضِ الزائرين فأصبحتْ   عَسِراً عَلَيَّ طِلابُها ابنةَ مَخرمِ

فقال : (روى أبو عبيدة هذا البيت : « شطت مزار العاشقين » . وقوله : « عسراً » منصوب على أنه خبر أصبح ، وطلابها مرفوع به . واسم أصبح مضمر فيه . ويجوز أن يكون طلابها بدلا من المضمر الذى فى أصبح . ويكون قوله : عسراً : خبر أصبح أيضاً ، ويكون المعنى : « وأصبح طلابها عسراً على » . ويجوز أن ترفع « عسراً » على أنه خبر

---

(١) شرح القصائد التسع ٥٥٨ ، ٥٦٢ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧

(٢) شرح القصائد التسع /٣٢٤.

الابتداء وتضمر في « أصبح » فيكون المعنى : « فأصبحت ظلامها عسر علي ، ونصب ابنة مخرم على أنه نداء مضاف) .(١)

فقد رأينا كيف جاز أن يُنْصَبَ — عنده — الاسم ويرفع في وقت واحد ، سواء أكانت رواية البيت واحدة أم لا .

وليس هـذا فحسب ، بل أصبحت هذه الوجوه هي النظرة النحوية المسيطرة الشاملة في منهجه ، وأثرت فيه تأثيراً بارزاً ، فالنصب وحده قد تكون له وجوه متعددة وتفسيرات مختلفة ، فقد يكون للحال ، أو للظرفية ، أو لفعل محذوف ، وكل ذلك في كلمة واحدة . . . (فوقوفاً) في قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صَحبي علىَّ مَطيَّهم   يقولون : لاتهلك أسىً وتجمل

منصوب على الحال ، وقد يكون منصوباً على المصدر من « قفا » ، والتقدير : « قفا وقوفاً مثلَ وقوف صحبي » ، وفيه قول ثالث : وهو أن يكون التقدير : وقف وقتَ وقوف صحبي ، ثم حذف ويكون بمنزلة قولك : « رأيته قدومَ الحاج » ، المعنى : وقت قدوم الحاج (٢)

ومثل هذا وذاك عشرات الأمثلة في هذا الكتاب وفي غيره ، حتى تصل الوجوه في بعض الأحيان إلى خمسة وعشرين وجهاً ،(٣) وقد تصل إلى بضعة وأربعين (٤)

وتصبح هـذه النظرة بعمومها وشمولها وتأثيرها في كل جزئية من

---

(١) شرح القصائد التسع ٤٦٢ — ٤٦٣

(٢) شرح القصائد التسع /١٠٢ — ١٠٤

(٣) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب

(٤) رسالة اعراب قول سيبويه : « هذا باب علم ما الكلم من العربية » ٤

جزئيات منهجه : « نظرية » ، غير أنها تتركز فى ميدان النحو دون ميدان اللغة .

أفلا يحق لنا أن نسميها « نظرية الاحتمالات النحوية » عند النحاس لأنه صاحبها ؟

وكل من اصطنع الوجوه الإعرابية الكثيرة سواء فى شرح القصائد الطوال أم فى إعراب القرآن ، بعد النحاس ، فقد تأثر بمنهجه ، وأشهر من نشير إليه التبريزى فى « شرح القصائد العشر » ، والسيرافى فى « شرح كتاب سيبويه » ، وأبى البركات الأنبارى فى : « البيان فى غريب إعراب القرآن » .

أسس نظرية الاحتمالات النحوية :

وإذا كان لكل نظرية أسس تقوم عليها وحجج تبررها ، فإن هذه النظرية تقوم على الأسس الآتية :

١ ـ اختلاف رواية البيت الشعرى .

٢ ـ العلل النحوية .

٣ ـ القياس .

فمن مبررات هذه النظرية اختلاف رواية البيت الواحد . والنحاس لا يرفض رواية لوجود رواية أخرى بجانبها إلا إذا كان فى إحدى الروايتين (أو الروايات) تحريف أو خطأ وأقصى ما عنده أن يرجح واحدة على أخرى لعلة أو لعلل يراها ، وفرق كبير بين الترجيح والرفض ، فالترجيح قبول حتى للمرجوح ، والرفض : إنكار قاطع ...

فبيت الأعشى (رقم ٥٣) :

إنّا نُقاتِلُهُمْ حتى نُقَتِّلَهُمْ عند اللقاء، وإنْ جاروا وإن جَهِلُوا

يروى بفتح همزة «أنا» وبكسرها . « والكسر أجود على الابتداء والقطع مما قبله » .(١)

غير أن النحاس يرتضي — في غير تلك الحالات — جميع الوجوه الإعرابية التي ترافق اختلاف الروايات وتنتج عنه .

فقول النابغة الذبياني :

مَهْلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أُثَمِّرُ مِن مال ومن وَلَد

يروى بثلاث صور : الأولى : فداءٌ لك برفع فداء والثانية بنصبها والثالثة فَداءِ على وزن « فَعالِ » .(٢)

أما قوله : « فداء » فمعدول عن مفد وابتدأ بنكرة وجعل خبرها معرفة .

أما « فداء » فمنصوب لأن المعنى : الأقوام كلهم يفدونك فداء .

أما الصورة الثالثة فهي أن « قوله » « فداء» بمعنى ليفدك ، وبناه كما يبنى الأمر ، فهو مثل « دَراكِ وتراكِ بمعنى أدرك وأترك » .(٣)

وقد أطال في بيان علل بعض تلك الوجوه وقاسها على فصيح الشعر(٤) .

وبيت لبيد (٥٤) :

أقضي اللُّبانة لا أُفَرِّطُ ريبة أو أنْ يلومَ بحاجة لوّامها

---

(١) شرح القصائد التسع /٧٢١

(٢) شرح القصائد /٧٦١ — ٦٢

(٣،٤) شرح القصائد التسع /٧٦٢

يروى بنصب « ريبة » وبرفعها ، فمن رفع جعله خبر الابتداء والمعنى: تفريطى ريبة ، ومن نصب فالمعنى : مخافة أن أفرط ، ثم حذف مخافة [١] ، قياساً على قوله تعالى : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » (سورة فاطر آية : ٤١) .

فاختلاف الرواية غالباً ما يكون لعلة ولا يمكن أن يكون اختلافها إلا وراءه علة نحوية أوغيرها ، حسب مواطن الاختلاف ونوعها .

ونتيجة للتتبع وجدت أن أسباب اختلاف الرواية يرجع إلى :

١ – اختلاف المذهب النحو :

أثر الخلاف بين النحاة فى تباين روايات الأبيات الشواهد فما يرويه بعضهم قد يخالفه الآخر أو الآخرون .

ولعل من أفضل الأمثلة فى هذا المقام بيت « جرير » :

أتمضون الديار ولا تحيا كلامكم على إذاً حرام

فقد رواه الكوفيون :

تمرون الديار ولم تعوجوا . حرام

ليثبتوا جواز حذف حرف الجر بعد الفعل « مر » وتعديه ، ونصب الاسم بعده بنزع الخافض قياساً على : « واختار موسى قومه سبعين رجلا » (سورة الأعراف آية : ١٥٥) .

وبيت الفرزدق :

منا الذى اختير الرجال سماحة وجوداً ، إذا هب الرياح الزعازع

---

(١) شرح القصائد التسع /٤١٦

أى : اختير من الرجال [١] .

ويبدو أن رواية الكوفيين لبيت جرير ، محرفة ، والدليل على هذا : القياس والسماع .

أما دليل القياس فإنهم جعلوا الفعل « مَرَّ » بمنزلة مايتعدى إلى مفعولين ، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جر وإلى الآخر بتعد وهذا قياس غير دقيق ، لأن الفعل « مر » ليس من هذا الباب .

أما دليل السماع « الرواية » ، فقد رجعت إلى ديوان الشاعر فوجدته يروى البيت هكذا [٢] :

أتمضون الديار ولاتُحُيّا . . . . حرام

وقد تتبعت استعمال الفعل « مَرّ » في القرآن الكريم فوجدته لا يتعدى إلا بحرف جر . فإما أن يتعدى بـ « على » وإما أن يتعدى بالباء . وهذه هى الآيات المؤيدة :

ـــ قال تعالى : « أو كالذى مَرَّ على قَرية وهى خاوية على عُروشها » (البقرة آية ٢٥٩) .

ـــ وقال : « وكُلّما مَرّ عليه ملأ من قومه سَخِرُوا مِنْهُ » (هود آية ٣٨) .

ـــ وقال : « وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِراما » (الفرقان آية ٧٢) .

ـــ وقال : « وإذا مَرّوا بهم يتغامزون » (المطففين آية ٣٠) .

ـــ وقال : « وإنكُمْ لتَمُرُّونَ عليهم مُصْبِحين» (الصافات آية ٣٧) .

---

(١) المبرد : الكامل ٣٢/١ ـ ٣٤ وشرح القصائد التسع /٣٤٦

(٢) ديوان جرير /٤١٦ (ط بيروت)

— وقال: « وكأيِّنْ من آية فى السموات والأرض يمرُّون عليها »
(يوسف آية ١٠٥)

بهذه الأدلة نثبت أن رواية الكوفيين قد حرفت البيت ليلائم مذهبهم النحوى .

وليس الأمر مقصوراً على الكوفيين . فأبو أحمد العسكرى يذكر أن « سيبويه » روى قول « عُقيبة الأسدى » :

مُعاوىَ إنّنا بَشَرٌ فأسْجِحْ فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

حين احتج به فى « باب ماتجريه على الوضع لاعلى الاسم الذى قبله »[١] .

وقد غلط سيبويه « على الشاعر لأن القصيدة مخفوضة كلها »[٢] .

ومما أورده النحاة موافقاً لمذهبهم ، وخالفهم الرواة ، قولُ الشاعر

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومختبط مما تطيح الطوائح

وقد رواه الأصمعى وغيره

لِيَبْكِ يزيدَ ضارعٌ لخصومة . . . . البيت[٣]

ومما يلفت النظر أن « سيبويه » يستشهد ببعض الأبيات بروايتين مختلفتين فى بابين من أبواب النحو وينسبه إلى شاعرين مختلفين ...

ففى باب (اسم الفاعل الذى جرى مجرى الفعل المضارع فى المفعول

---

(١) كتاب سيبويه ١/٣٣ (قال الاعلم : استشهد به على جواز حمل المعطوف على موضع الباء وما عملت فيه) .

(٢،٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف /٢٠٧

فى المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت فى « يفعل » كان منوناً نكرة » ثم أنشد قول الشاعر :

مَشائيمُ ليسوا مُصلحين عَشيرةً ولا ناعباً إلا ببَيْنٍ غرابُها

بنصب « ناعب »[1] ونسبه للأخوص الرياحى ، بالخاء المنقوطة .

وفى باب « معنى الواو فيه كمعناها فى الباب الأول » ، رواه بجر « ناعب » ، وقال : حملوه على « ليسوا بمصلحين ولست بمدرك »[2] ونسبه للأحوص ، بالمهملة .

ورواه فى باب آخر بالرواية نفسها ونسبة للفرزدق[3] والصحيح أنه للأخوص اليربوعى بالخاء معجمة[4] .

أليس هذا دليلا على تدخل النحاة تدخلا مباشراً لتحريف الشواهد لتلائم مذهبهم النحوى ؟

٢ — اختلاف مصادر الرواية :

وقد خصص « أبو أحمد العسكرى » فى كتابه : « شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف » ، باباً ، لما يروى من شعر امرىء القيس بوجهين فمنه قوله :

تجاوزت أحراساً وأحوال معشر علىَّ حِراصاً لو يُشِرُّونَ مقتلى

رواية الأصمعى : « يشرون » بالشين ، معناه : يظهرون وروى غيره : « لو يسرون مقتلى » من غيظهم علىّ ، وهذا مثل قول القائل : « هو

---

(١) كتاب سيبويه ١/٨٢ — ٨٣
(٢) كتاب سيبويه ١/١٥٤
(٣) كتاب سيبويه ١/٤١٨
(٤) الخزانة ٢/١٤٠

حريص على لو بقتلى . ومعنى يسرون : أى هم حراص على إسرار قتلى ، وذلك غير كائن ، لنباهتى وذكرى »(١) .

٣ ـ **التدخل من جانب الرواة :**

أجمع رواة البصرة والكوفة على رواية (درم) ، مفتوح الدال مكسور الراء فى بيت الأعشى :

ولم يُودَ مَنْ كنتَ تسعى له كما قيل فى الحرب : أودى دَرِم

إلا « ابن الرومى » الشاعر فإنه رواه بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزو هذه الرواية إلى « محمد بن حبيب » . وإنما احتاج إلى أن يجعله هكذا فى شعر له ، فقد كان ابتدأ قصيدته :

أفيضا دما إنّ الرزايا لها قِيَمْ فليس كثيراً أنّ تجودَ لها بِدَم

فبناها على ماقبل الروى ، ثم قال :

* فطاحت حُبارى مِثلَ صاحبها دِرَم *

وأنشدها على هذا ، فأنكر عليه « ثعلب » . وأصر « ابن الرومى » على روايته(٢) .

٤ ـ **التصحيف والتحريف :**

التصحيف هو التغيير الذى يحدث فى الحروف المتشابهة فى الرسم والمختلفة فى النقط ، مثل الباء والتاء والثاء أو النون والياء فى حال كونهما فى أول الكلمة . أو الراء والزاى ، أو الحاء والخاء ...

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ٢٢١

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف / ٢٨٩ (ودرم هو : درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان . وانما قالوا : أودى درم ، لانه قتل ولم يود ولم يثار به ، فقال قائل : أودى درم ، فضرب مثلا) .

أما التحريف فهو التغيير الذى يحدث فى الحروف الأخرى ....

وهما من البلايا التى ابتلى بها الخط العربى ...

ومن أمثلة التصحيف ماقرىء على أبى العباس ثعلب من شعر الأعشى:

فلو كنتَ فى « حبّ » ثمانين قامةً وَرُقِّيْتَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ

فقال ثعلب للقارىء : خرب بيتك ، هل رأيت حباً ثمانين قامة ؟ إنما هو فى « جب »[1] ومن أمثلة التحريف مارواه الأصمعى من شعر أوس بن حجر :

أَجَوْنُ تدارِكْ ناقتى بقرى لها وأكبرُ ظنىٌ أنّ جوناً سيفعل

فقال « ابن الإعرابى » : « إنما هو بقُرابها » . أى : مادمت أطمع فيها ، وفى المثل : « الفرار بقراب أكيس »[2] .

٥ ـ سعة اللغة :

ومن أسباب اختلاف الرواية : سعة اللغة ، ففى بعض الأحيان تسمح اللغة بوجوه من التعبير فى النص الواحد ، وبيت « كثير عزة » :

فكنتُ كذى رِجلين : رجل صحيحة

ورجل رمى فيهـــا الزمانُ فَشَلَّتِ

يروى « برفع رجل » وبجرها . واختلف النحاة فى توجيه ذلك ، فاستشهد به « سيبويه » على أنه يجوز فى « رجل » الجر على البدل ، أو الرفع بتقدير ه خبرا لمبتدأ محذوف[3] ، أما عند « المبرد » فالخفض على النعت.

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف /٤٠

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف /١٠٦

(٣) كتاب سيبويه ٢١٥/١

والرفع على التبعيض، وتقديره: إحداهما رجل صحيحة والأخرى رمى فيها الزمان فشلت[١].

٦ - اختلاف اللهجات:

تختلف اللهجات أحياناً في الصرف وعدمه، فبعض العرب يصرف كلمات لا تصرفها قبائل أخرى ومن ذلك: عرفات، وأذرعات، وعانات.

ومن الأمثلة التي تعكس هذا الاختلاف رواية بيت امرئ القيس:

تنورتها من (أذرعات) وأهلها   بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فإنه يروى بكسر التاء بلا تنوين. ويروى من (أذرعاتَ) كسائر ما لا ينصرف.. ويروى بكسر التاء مع التنوين[٢].

وعلل النحاة هذا الاختلاف ووجهوه. ومن هؤلاء الأخفش سعيد بن مسعدة، فقد أوضح «علة صرف عرفات» في الآية الكريمة: «فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام»[٣]، فقال: (وإنما صرفت لأن الكسرة والضمة في التاء بمنزلة ياء وواو «مسلمين ومسلمون» لأنه تذكير «مسلمات» وصار التنوين في نحو: «عرفات ومسلمات» بمنزلة النون إذا سمي به على حالة حكاية. ومن العرب من لا يصرف إذا سمي به، ويشبه التاء بهاء التأنيث، نحو: «حمزة» وذلك قبيح ضعيف. قال الشاعر: وأورد «البيت».. ومنهم من لا ينون «أذرعات» ولا

---

(١) المقتضب ٤/٤٩٠
(٢) الاخفش: معاني القرآن ورقة ٧٣ ب والخزانة ١/٢٦ - ٢٧.
(٣) سورة البقرة آية: ١٩٨

« عانات » ، وهو مكان)[١] .

وعلل هذه القضية كل من « ابن جنى والرضى والبغدادى »[٢] ولكنهم لم يزيدوا شيئاً ذا بال على ماقاله الأخفش سعيد .

٧ – الابدال اللغوى :

ويحدث الإبدال عادة بين الحروف التى تتحد فى المخرج وفى الصفة .

ومن ذلك الإبدال بين الزاى والسين وهما من الأصوات الأسلية ، أو مايسميه القدماء أصوات الصفير ، ونمثل له ببيت الراعى النميرى :

وغَمْلَى نَصِىٍّ بالعِتان كأنها ثَعالبُ مَوتَى جِلدُها قد تَزَلَّعا

ويروى : « قد تسلعا » . والمعنى واحد . وتسلع جلده وتزلع : تشقق . والغَمْلُ أن ينحت عنب الكرم فيخفف ورقه . وغَمِل النبت غَمْلاً ، إذا ركب بعضه بعضاً حتى يسود ، والغميل من النصىّ : ماركب بعضه بعضاً فعفن ، والجمع غَمْلَى[٣] .

وقد عرف النحاس الأنواع الأربعة الأولى ورفض الرواية التى يتدخل فيها النحوى أو اللغوى فيحولها إلى صورة تلائم مذهبه[٤] ورفض الرواية التى دخلها التصحيف أو التحريف[٥] .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٧٣ : ب

(٢) الخـزانة ١/٢٦

(٣) كتاب الابدال ٢/١١١ والجمهرة ٣/١٤٩ واللسان (زلع) ١٠/٥ و (غمل) ١٤/١٩

(٤) شرح القصائد التسع /١٩٨

(٥) نفسـه /٥٦٠

وهنا يبرز سؤال هو : ما الفرق بين النحاس وغيره مادام اختلاف الروايات موجوداً عند غيره ؟

والجواب عن هذا . . . أنه ليس العبرة بوجود الروايات بل العبرة بمنهج التعامل معها أو قبولها أو رفضها فإن النحاة واللغويين الذين سبقوه إلى شرح القصائد الطوال أو الذين عالجوا مشكلة اختلاف الرواية فى البيت الواحد وقفوا مواقف تختلف عن موقفه .

فالأصمعى (ت ٢١٦ هـ) كان ينكر مايخالف روايته أولا يتفق مع مذهبه[١] حتى لو كانت رواية أستاذه أبى عمرو بن العلاء[٢] ، وهذا أمر معروف عن الأصمعى ناتج عن أنه لايقبل إلا أضيق الروايات ولايتسع مذهبه لكثير من اللغات « فكان مولعاً بالجيد ويضيق فيما سواه »[٣] .

ومعاصره أبو عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) قد عرف عنه رفض مجموعة من روايات أقرانه كالأصمعى وأبى عبيدة (ت ٢١٠ هـ) زاعماً أنها تصحيف أو تحريف . وليست كما زعم[٤] .

أما « المبرد » (ت ٢٨٥ هـ) ، فالمعروف عنه أنه كان يُخَطِّئ الرواية إذا خالفت قياساً نحويا »[٥] . وهو قريب فى هذا من منهج « المازنى »[٦] .

---

(١) شرح القصائد /٥١٥

(٢) شرح القصائد /٧٢٩

(٣) السجستانى : فعل وأفعل /١٩٠ واللسان « زوج » ٣/١١٦

(٤) شرح القصائد /٥٦٠ و ٧٢٣

(٥) شرح القصائد التسع /١٨٣ ـ ١٨٤ والفارقى : الابيات المشكلة /٥٥

أما أبو الحسن بن كيسان (٣٢٠ هـ) ، فإنه يروى كل بيت فى أول القصيدة فيه (خرم) بزيادة واو حتى يزيل هذا النقص العروضى[١] ، الذى أجازه اللغويون .

ولا أدرى كيف أباح « ابن كيسان » لنفسه هذا الحق ، مع أن الوزن يبقى مقبولا بدون هذه الزيادة ؟

كما أنه لا يجوز أن تخضع اللغة لأذواق اللغويين والنحاة ولا لأذواق غيرهم .

ولو أبحنا لهم ذلك لضاعت موازين اللغة فى خضم الهوى ، والذوق اللذين لا يحدهما شىء .

ومن هذه الموازنة يظهر لنا أن للنحاس منهجه المتميز عن غيره فى ميدان التعامل مع اختلاف رواية البيت ، وهو منهج مبنى على أسس واعية وقائم على إدراك واسع لرواية الشعر ومصادره وما يصح منه وما لا يصح .

فهو بحق منهج يتفرد به . . ويجعله فى عداد اللغويين والنحاة الذين أقاموا مناهجهم على أسس قوية ومعرفة واسعة بلغة العرب ، وتتبع شامل لها . وإذا كان قد فاته شىء ، فالكمال لله وحده . .

---

(١) شرح القصائد التسع /٦٩٨ .

المبحث الخامس
الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بعد كراع وابن ولاد والنحاس

لقد دلت الدراسة على أن مصر قد رزقت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى بثلاثة أعلام فى ميدان اللغة والنحو ، هم : كراع النمل (ت ٣١٠ هـ) وابن ولاد (٣٣٢ هـ) والنحاس (٣٣٨ هـ) ، ثم لم يأت بعدهم من يقرن بهم حتى نهاية القرن . بدليل أن شهرة الثلاثة قد ملأت الدنيا ونالت دراساتهم عناية اللغويين والنحاة وأثرت فى الحركات اللغوية والنحوية فى أماكن عديدة ـ فى مصر وخارجها ـ واعتمد عليها كثير من العلماء اعتماداً يتفاوت بين الأخذ الجزئى والأخذ الكلى الذى يصل إلى حد السرقة العلمية .

أما الذين جاءوا بعد هؤلاء المشار إليهم فلم تنل دراساتهم شيئاً من هذا ، وإنما ذكرت فى المصادر ، وما بقى منها لا يرقى إلى مستوى دراسات أولئك لا من حيث الكمية ولا من حيث النوعية .

ويُعدّ خط هؤلاء امتداداً للخط السابق الذى أرسى قواعده أولئك الثلاثة لا سيما ابن ولاد والنحاس .

فقد تفرع ذلك الخط إلى فرعين الأول فرع النحاس الذى برز من تلاميذه اثنان : الأدفوى محمد بن على بن أحمد (ت ٣٨٨ هـ) الذى وُصف بأنه (أستاذ نحوى مقرىء مفسِّر)[١] ، وخلف بن إبراهيم بن محمد بن جعفر بن خاقان (ت ٤٠٢ هـ) ، وهو من القراء[٢] ، أيضاً ولم يخلف لنا أحد منهما كتاباً فى اللغة ، والنحو بمعناهما التقليدى المعروف

أما فرع ابن ولاد فقد امتد لغوياً ونحوياً وظل يمتد ويمتد حتى أوفى القرن الرابع الهجرى على نهايته . . . وإن استمر بعد ذلك أيضا .

(١) طبقات القراء ٢/١٩٨

(٢) الدانى : المفردات السبع /٩ وطبقات القراء ١/٢٧١

ويمكن رسم شجرة لهذا التفرع ولهذا الامتداد كما يأتى : ـ

الزجاج (وغيره)

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمى

ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ)

النحاس (ت ٣٣٨ هـ)

محمد بن إسحاق ابن أسباط

الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ) — ابن خاقان (ت ٤٠٢ هـ)

أبو الحسين المهلبى (ت ٣٨٥ هـ)

أبو العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مهذب — يوسف بن يعقوب النجيرمى (ت ٤٢٣ هـ)

أما الذين أسهموا فى الدراسات اللغوية والنحوية ، بعد ابن ولاد والنحاس وثالثهم ، فهم :

٤ ـ محمد بن اسحاق بن أسباط الكندى :

وهو مصرى ينتمى إلى قبيلة « كندة » التى سكنت مصر بعد الفتح وقد اشتهر منهم « الكندى » المؤرخ صاحب كتاب الولاة والقضاة[١] ، وهذا معاصره « محمد النحوى » .

ويظهر أن محمد بن إسحاق الكندى قد عرف بالتأليف فى النحو أكثر من غيره من فنون العلم الأخرى ولذلك لقب بالنحوى وإذا كان « ياقوت » قد قال فى ترجمته : « كان شيخ أهل الأدب وله تقدم فى المنطق وعلوم الأوائل »[٢] فإن هذا لا يخرجه عن ميدان النحو ، فإن قدماء المثقفين كانوا يأخذون من كل فن بطرف ثم يبرزون فى ناحية واحدة من نواحى المعرفة . وقد يبرزون فى كل النواحى .

أما إنتاج الكندى فى النحو فهو كتابان : العيون والنكت والمغنى فى النحو . ونسب له « ياقوت » : الموقظ والتلقين[٣] . والظاهر أن الأخيرين ليسا فى النحو فإن هذه الأسماء ليست معروفة فى ميدانه . . .

أما كتاباه النحويان فلا نعرف عنهما سوى الإشارات فى كتب التراجم . ولم ينقل أحد منهما ولم يشر إليهما كتاب من كتب النحو المعروفة لدينا . . . وهذا يدل على أنهما لم ينالا عناية الدارسين ولا اهتمام العلماء . . . . وذلك لقلة أهميتهما ويمكن أن نستدل على ذلك بما لاحظه « ياقوت » على كتابه « العيون والنكت » حيث قال : (وله كتاب فى النحو سماه : « العيون والنكت ذهب فيه إلى أخذ الاسم والفعل والحرف

---

(١) الكندى الولاة والقضاة /٢٨ ، البرى : القبائل العربية فى مصر ج ١٤١ ـ ١٤٢

(٢) معجم الادباء ١٨/١٤

(٣) معجم الادباء ١٨/١٤ والبغية ١/٥٣

وتلا ذلك بذكر شيء من أبواب الياء والواو ولم يصنع شيئاً[١] وقال: رأيت له « كتاب المغنى فى النحو » . ولم يزد على ذلك حرفاً أليس هذا دليلا على قلة أهمية الكتابين ؟

٢ - أبو الحسن على بن أحمد المهلبى :

أما أبو الحسين المهلبى (ت ٣٨٥ هـ) فهو من تلاميذ « ابن ولاد[٢] » وكان لغوياً نحوياً وقد وُصف بأنه « كان إماماً فى النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار[٣] » ووصفه « القفطى » بقوله : « كان أديباً نحوياً لغوياً فاضلا كاملا[٤] » .

غير أن نعوت الكمال هذه ، ليست من الكمال وإنما هى تعميمات قد لا تصدق فى أحيان كثيرة . . . ولا تؤخذ على إطلاقها ، وإن ما وصل إلينا من تعليقات المهلبى على « المقصور والممدود » « لابن ولاد » لا يرقى به إلى هذه الأوصاف. وهى كذلك نسبية يختلف الناس فيها ، ولماذا لم تطلق صفات الكمال على كواكب القرن الثلاثة : كراع وابن ولاد والنحاس ؟

وقد نسب الأستاذ « رشر » كتاباً فى « المقصور والممدود » للمهلبى ، وأشار إلى أنه موجود فى مكتبة داماد زاده بتركيا (برقم ١٧٦٥) ، وذلك فى مقال له بمجلة القديس يوسف[٥] . وقـــد طلبته من المكتبة المذكورة بواسطة الملحق الثقافى العراقى بالقاهرة فلم أحصل عليه حتى الآن .

---

(١) معجم الادباء ١٨/١٤ والبغية ١/٥٣ (نقلا من معجم الادباء) .
(٢) التنبيهات /٣٢٥
(٣) معجم الادباء ١٢/٢٢٤
(٤) انباه الرواة ٢/٢٢٢
(٥) O . Rescher , MFO 5 , (1912) p . 532 .

غير أن هامش القصور والممدود المطبوع فى « ليدن » بتحقيق الدكتور « برونله » ، قد احتفظ بمجموعة لا بأس بها من تعليقات المهلبى .

ولذلك كانت تعليقاته على كتاب « القصور والممدود » لأستاذه « ابن ولاد » هى الوسيلة الوحيدة لإعطاء فكرة عن جهوده اللغوية وقيمة هذه الجهود وأثرها إن كان لها أثر .

وقد أشار إلى هذه التعليقات «البصرى» فى تنبيهاته على كتاب ابن ولاد فقال : (وكان هذا الكتاب - أعنى كتاب القصور والممدود - قد قرئ على أبى الطيب المتنبى بمصر سنة ٣٤٧ هـ ، فرد على ابن ولاد أغلاطاً وبينها واستشهد عند بعضها لجميع رد أبى الطيب وشواهده بعض المصريين وادعاه لنفسه ، بعد خروج أبى الطيب عن مصر ، وأضاف إليها أشياء من عنده غلط فيها هو ، وأشياء أصاب فيها وهذا المدعى يعرف بأبى الحسين المهلبى ، وكان سمع هذا الكتاب من ابن ولاد ومنه سمعته) . (١)

ومعنى ذلك أن هذه التعليقات قد كتبت بعد سنة ٣٥٠ هجرية ، وهى السنة التى خرج فيها المتنبى عن مصر . (٢)

ولكن ادعاء البصرى بأن المهلبى سطا على تعليقات المتنبى غير صحيح لأن أى مصدر آخر لم يذكر هذا ... وسبب هذا الادعاء واضح وهو أن المهلبى ناظر المتنبى وغابه (٣) ، والبصرى تلميذ متنبى ولذلك انتصر له من المهلبى بهذه الفرية .

---

(١) معجم الادباء ٢٢٥/١٢
(٢) وفيات الاعيان ١٠٥/١
(٣) التنبيهات /٣٢٥

طابع تعليقات المهلبى وقيمتها :

والذى يهمنا هو طابع هـذه التعليقات ، وهل أضافت جـديداً إلى اللغة ؟

أما من حيث طابعها فهى لا تعدو أن تـكون استدراكات بسيطة لا تضيف شيئاً كبيراً وهى دون تنبيهات البصرى من حيث العمق والجدة... فتنبيهات البصرى تصدر عن أصالة فى الرأى وبعد عن التقليد وقلة الاعتماد على آراء غيره من اللغويين ، أما تعليقات المهلبى فهى غالباً ما تستند إلى آراء غيره ، فقد نقل كثيراً منها عن الخليل (١) ، وأبى عمرو الشيبانى (٢) ، وأبى عبيدة (٣) ، وابن حبيب (٤) ، وأبى إسحق النجيرمى (٥) ، وغيرهم .

وتكاد تقتصر على استدراك بعض الكلمات والاختلاف مع «ابن ولاد» فى مدّ بعض الكلمات وقَصْرِها أو فى رواية بيت وهى أحياناً لا تتعدى توسعاً فى شرح بعض الكلمات . (٦)

فإذا قال ابن ولاد فى باب التاء : (من الممدود والمفتوح الأول : التَلاء .. والترباء .. وتيماء .. والتلماء) ، قال أبو الحسين المهلبى :(والتيهاء: الأرض لا يهتدى بها) . (٧)

وإذا قال ابن ولاد فى باب الدال : (دَقَرى محرك : اسم ماءة قرب المدينة) ، عَقّب عليه المهلبى قائلا : (دُقّرى محرك على وزن فُعّلَى مقصورة

(١) نفسه /٣١
(٢) هامش المقصور والممدود لابن ولاد /٦١
(٣) نفسه /٢٥
(٤) نفسه /٤٧
(٥) نفسه /٥٧
(٦) هامش المقصور والممدود /٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٩٩ ، ١٠٣
(٧) المقصور والممدود /٢٣ مع الهامش .

اسم روضة بعينهـا قال ابن حبيب كل روضة دُقْرَى . قال النمر ابن تولب :

وكأنها دقرى تخيّـلَ نبتها أُنُفٌ يَغُمُّ الضال نبتُ بحارها

ثم أخذ يشرح معنى البيت ...) [١]

وإذ قال ابن ولاد : (ومن المقصور المضموم أوله : التُّقَى، مقصور يكتب بالياء) ، عقّب عليه المُهَلَّبيّ بقوله : (التاء فى التقى مبدلة من واو لأنها من وقيت ، وهو مثل تخمة وتكأة من الوخامة ومن قولك توكأت عليه ، والتاء الأولى من تترى مبدلة من واو) . [٢]

ولا نجد من تعليقات المهلبى — أحياناً — سوى مزيد من الشرح أو الاستطراد ، فحين يقول ابن ولاد : (فأما حِراء بكسر أوله فهو ممدود : اسم جبل بمكة) ، يعقب عليه المهلبى قائلا : (حراء يصرف ولا يصرف فإذا اصرف أريد به اسم المكان فإذا لم يصرف أريد به اسم البقعة) [٣] .

ويهتم أحياناً بقضايا جزئية جداً ، لا تعد إلا من قبيـل الرغبة فى الاختلاف ، فعندما يقول ابن ولاد : (القرفصاء ممدود إذا ضمت أولها فإذا كسرته فهو مقصور يكتب بالياء) يعقب عليه المهلبى بقوله : « حكى الجَرْمِيُّ [٤] فى كتاب الأبنية أن القرفصاء بالضم يُمَدّ ويُقصر) [٥] .

---

(١) المقصور والممدود /٤٧ مع الهامش .

(٢) المقصور والممدود /٢٣

(٣) نفســه /٣٣

(٤) الجرمى : أبو عمر صالح بن اسحاق البصرى ، درس على الاخفش ويونس والاصمعى وأبى عبيدة ، وله كتاب الابنية وكتاب العروض وغريب سيبويه وغير ذلك (توفى ٢٢٥ هـ) (البغية ٢/٨) .

(٥) المقصور والممدود /٩٩

وهكذا نجد هذه التعليقات قليلة الأهمية كما أنها لم تضف شيئاً ذا بال إلى اللغة وليس فيها كشف جديد .

٣ ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن مهذب :

هو تلميذ المهلبي ، ويكنى أبا العلاء ، ويعرف بالنحوي اللغوي غير أنه لم يؤلف إلا في اللغة ، قال السيوطي : « وصنف كتاباً كبيراً في اللغة » ، ولم يزد على ذلك [١] .

والظاهر أنه درس النحو على أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن النحوي بمصر [٢]

فكل ما نعرفه عنه أنه تلميذ أبي الحسن المهلبي وأبي محمد الحسن بن علي النحوي ، ومؤلف كتاب كبير في اللغة . . . ولكن ما طبيعة ذلك الكتاب ؟ ذلك مالم تفصح عنه المصادر .

٤ ـ أبو العباس أحمد بن محمد المهلبي :

وهذا مهلبي ثان له إسهام في ميدان علوم العربية ، فالأول كان ذا اهتمام خاص باللغة ، وهذا ذو اهتمام خاص بالنحو ، وكانا متعاصرين ، وأول من ذكر أبا العباس المهلبي هو ابن النديم [٣] ، وهذه المعاصرة وهذا الاتفاق في النسبة جعلتنا « ياقوت » يتردد في قبول وجود أبي العباس بجانب المهلبي الأول ، فقال في ترجمة أبي العباس : (وكان بمصر نحوي يعرف بالمهلبي اسمه علي بن أحمد ، وكان في هذا العصر ، فإن كان هذا فقد وهم « ابن » النديم في اسمه ، وإلا فهو غيره). [٤]

---

(١) البغيـة ٢/١٠١

(٢) الفهرست /٨٤

(٣، ٤) معجم الادباء ٤/١٩٠ (وكلمة « ابن » زيادة مني) .

ولكنهما يختلفان اسماً وكنية كما أنهما يختلفان فى الاختصاص العلمى . فعلىّ بن أحمد لغوى ، وأحمد بن محمد نحوى وله كتابان هما : شرح علل النحو ، والمختصر فى النحو ، وهذه فروق واضحة ، أما الاتفاق فى النسبة والمعاصرة فلا تكفيان دليلا على الاشتراك حتى فى الشخصية .

٥ ـ البرمكى وكتابه : « المنتهى فى اللغة » :

هو أبو المعالى محمد بن تميم البرمكى المتوفى بعد سنة ٣٩٧ هـ ، وله كتاب « المنتهى فى اللغة » صنّفه سنة ٣٩٧ هـ ، وهو معاصر للجوهرى : صاحب كتاب الصحاح المشهور (١) .

وقد أثار « ياقوت » حول « المنتهى فى اللغة » مشكلة ماخصها : أن البرمكى نقل كتاب الصحاح إلا أنه زاد فيه أشياء قليلة ...

غير أن الكتابين يختلفان فى المنهج .. كما سنرى .

وذهب بعض الباحثين المعاصرين مذهباً آخر فى تقدير قيمة كتاب « المنتهى » ، حين رأى أن البرمكى مبتكر طريقة جديدة فى ترتيب المعجم ، بل صاحب مدرسة ، اتخذت ترتيب المعجم على الحروف الهجائية مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء ، مع مراعاة الحرف الثانى والثالث والرابع . (٢)

ورائد هذه المدرسة ـ كما يقول الباحث : « إمام اللغة العربية أبو عمرو الشيبانى ، ولكنه لم يراع فى الترتيب إلا الحرف الأول ، أما ما بعده فلم يراعه ، فهو يذكر فى باب الهمزة كل حرف مبدوء بها دون أن يراعى

(١) الاستاذ : أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح /٨٩ ـ ٩٠
(٢) البغية ١/٤٤٦ ـ ٤٧

ما بعدها من حروف » ... وطريقة البرمكى أنه أخذ من الصحاح من كل باب وفصل الحرف الذى يريده ، ففى باب الهمزة أخذ منه فصل الهمزة ، ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء ، ورتبها على أوائل الحروف مراعياً الحرف الثانى والثالث ، ثم انتقل إلى باب الباء وصنع فيه ما صنع فى الهمزة حتى انتهى إلى آخر حرف من حروف الهجاء »(١).

وفى موضع آخر من كتابه «مقدمة الصحاح» يجعل البرمكى من الرواد لأنه ابتكر المنهج المعجمى الحديث ، ولذلك يُعَدّ فى نظره أول من ابتدع هذا النظام .(٢)

أصحيح أن البرمكى رتب معجمه على الترتيب الحديث وأنه أول من ابتكر هذا النظام مراعياً الحرف الثانى والثالث ؟

إن هذه الدعوى على عكس دعوى « ياقوت » الذى سلب من الرجل كل فضيلة ...

إن الذى بقى من معجم البرمكى : « المنتهى فى اللغة » سبع ورقات(٣) وهذا الباقى يعطى صورة واضحة لمنهجه .

ففى حروف الهمزة ذكر مادة خشأ ، ثم خفأ ، ثم دفأ ، ثم نوأ ...(٤)

وفى حروف الباء ذكر مادة قطرب ، وعرب ، ضرب ، عزب ، وزب ، قعسب ، دعسب ، رشب ، دعشب ، قشعب .(٥)

---

(١) مقدمة الصحاح /١٠٥
(٢) نفسه /٨٩ ، ٩٠
(٣) مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية (رقم ٢٧٦ لغة) .
(٤) المنتهى فى اللغة ورقة ٢٥
(٥) نفسه ورقة ٢٥

وفي حرف التاء ذكر مادة ذأت ، شبت ، عبت ، هبت ، شتت ، صحت ، وجت ، دشت ، دعت ، صفت ، مكت ، حلت .

وفي حرف الجيم ذكر مادة : بشحج ، رحج ، بردج ، حردج ، سدج ، سذج ، كذج ، خبرج ، عرج[1] .

فهو في هذا قد التزم الحرف الأخير فعقد عليه الباب ، وراعى الحرف الثاني فجعله فصلا .

فجاء ترتيب الحروف في باب الهمزة على النسق الآتي :

ش أ ـ ف أ ـ ق أ ـ و أ

وجاء ترتيب حرف الباء هكذا : رب ـ زب ـ س ب ـ ش ب

وجاء ترتيب حرف التاء هكذا : أت ـ بت ـ تت ـ حت ـ ش ت

وجاء ترتيب حرف الجيم هكذا : ح ج ـ خ ج ـ د ج ـ ذ ج ـ ر ج

حيث يمثل الحرف الأخير الباب ويمثل الحرف الذى قبله الفصل .

وبعد أن ينتهى من فصل يأتى إلى الحرف الذى يليه فيجعله فصلا مع بقاء الحرف الأخير الذى يمثل الباب ثابتاً .

وإذا انتهى إلى آخر حروف الهجاء ، أخذ الحرف التالى للحرف الذى انتهى منه فجعله باباً جديداً ، ورتب معه جميع حروف الهجاء فجعلها فصولا متوالية ..

فالنظام الذى اتبعه « البرمكى » يجرى وفق « نظام القافية » حيث يراعى الحرف الأخير فيجعله باباً .

فالأولى أن يكون البرمكى متأثراً بمنهج « البندنيجى[2] » فى معجمه الموسوم « بكتاب التقفية » .

---

(١) نفســه ورقة ٢٥

(٢) هو اليمان بن أبى اليمان المتوفى ٢٨٤ هـ ، والتقفية أشهر كتبه

إذن فالبرمكى لم يتبع الترتيب المعجمى الحديث ، وعلى هذا لم يكن أول من راعى هذا النظام .

كراع والبرمكى :

غير أن الذى راعى النظام الهجائى ورتب عليه مواد المعجم ، بعد أبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) هو « كراع النمل » فى مجموعة من كتبه . ولا سيما فى كتابه الباقى « المنجّد فى اللغة » ، وفى الباب السادس منه ، ففى حرف الميم مثلا جاء ترتيب المواد متفقاً مع النظام الهجائى الآتى :

م ا ، م أ ، م ب ، م ث ، م ج ، م ح ، م خ ، م د ، م ر ، م ز ، م س ، م ص م ع ، م غ ، م ق ، م ك ، م ن ، م و ، م هـ .

إذن فكراع سبق غيره فى هذا الميدان وطور طريقة الشيبانى الذى راعى الترتيب الهجائى مع الحرف الأول فقط دون بقية الحروف ، أما البرمكى ، فقد اتبع نظام القافية ، فجاء ترتيبه على عكس ترتيب كراع النمل .

الجوهرى والبرمكى :

أما الجوهرى فقد اتبع نظام القافية أيضاً ، ولكن تنظيمه يختلف عن تنظيم البرمكى فى ناحية مهمة ، لأن الجوهرى قد جعل الأوائل فصولا والأواخر أبواباً ، فهما يتفقان فى أن كلا منهما قد جعل الحرف الأخير باباً ، ويختلفان فى أن البرمكى لم يراع الحرف الأول من الكلمة بل راعى الحرف الثانى الذى يلى الأخير وجعله فصلا ، فى حين لم يراع الجوهرى الثانى ، بل عقد الفصل على الحرف الأول . . .

ولهذا فإن الذى ذهب إليه « ياقوت » حين ادعى أن « المنتهى فى اللغة » منقول عن الصحاح ، مذهب غير صحيح .

وإن ما ذهب إليه الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار من أن البرمكى صاحب مدرسة النظام المعجمى الحديث غير صحيح أيضاً .

الفصل الرابع

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

بين

الأخذ والعطاء

المحتوى

يتناول هذا الفصل منابع الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ، ومصادرها أو بمعنى آخر أنه يدرس تأثرها وتأثيرها وهو فى قسمين :ـ

القسم الأول :

يدرس منابع المدرسة المصرية وروافدها وما أطلق عليه :

« الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ... آخذةً » .

وفيه أتحدث عن الصلة المباشرة بين الدارسين المصريين والعلماء البارزين فى عصرهم من البصريين والكوفيين . وأتحدث أيضاً عن الدراسات اللغوية والنحوية التى كانت من مصادر الدراسات المصرية المماثلة .

والقسم الثانى :

يتناول أثر الدراسات اللغوية والنحوية بمصر فى الدراسات اللغوية والنحوية وغيرها خارج مصر . كما أتحدث عن اتصال طلاب العلم بأساطين اللغة والنحو فى مصر ... منذ النشأة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

وهذا القسم سأطلق عليه عنوان :

« الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر .... معطيةً » .

القسم الأول

الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر .. آخذة

ويقع القول فى هذا القسم فى مبحثين :

المبحث الأول : الأخذ المباشر عن الشيوخ :

المبحث الثانى : المصادر اللغوية والنحوية للدراسات المصرية :

المبحث الأول

الاخذ المباشر عن الشيوخ

أولا : فى القرنين الثانى والثالث :

ابتدأت الصلة بين طلاب العلم فى مصر وعلماء اللغة والنحو فى البصرة والكوفة برحلة « ولاد التميمى المصادرى » من مصر والتقائه بالخليل ابن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠ هـ) بالبصرة . والظاهر أنه نقل عنه علماً كثيراً ثم رجع إلى مصر فكتب فى اللغة والنحو ، كما يظهر من النص الذى ذكره « الزبيدى » وغيره فى ترجمة « ولاد » حيث قال : (إنه لم يكن بمصر كبير شىء من كتب اللغة والنحو قبله)[(١)] .

ولا غرابة بعد ذلك أن يروى كتاب العين منسوباً للخليل عن طريق العائلة الولادية فى مصر ، وينقل عنها إلى الأندلس عن طريق تلاميذ أحمد ابن ولاد ، حفيد ولاد[(٢)] . وقد أشار هذا الحفيد إلى الخليل مقروناً بكتابه العين فى مقدمة كتابه « المقصور والممدود » إشارة تدل على تعمقه فى دراسة منهجه[(٣)] .

---

(١) طبقات الزبيدى / ٢٣٣

(٢) طبقات الزبيدى / ٣١٩ وجذوة المقتبس / ٣٤٩ وانباه الرواة ٣/ ٢٥

(٣) المقصور والممدود / ٢

وفى نهاية القرن الثانى الهجرى رحل عبد الملك بن هشام إلى مصر وبقى فيها إلى أن توفى سنة ٢١٨ هـ[1] وهو من تلاميذ علماء البصرة .

وأول ما ظهر لنا على المسرح العلمى بمصر سنة ١٩٨ هـ ، وهو يجالس الشافعى الذى جاء إلى مصر سنة ١٩٨ أيضاً[2] . وكانا يتناشدان الأشعار ويتناقشان فى اللغة[3] .

وقد عُدَّ « ابن هشام » فى المصريين[4] لأنه أقام بمصر طوال حياته التدريسية من سنة ١٩٨ حتى سنة ٢١٨ (أى مدة عشرين عاماً). وهى مدة طويلة جداً إذا ما قيست بالمدة التى قضاها « يموت بن المزرع » الذى عد فى الطبقة الثانية من نحاة مصر[5] . إذ لم تدم إقامته فى مصر إلا سنوات معدودة[6] . وكذلك إذا قسناها بالمدة التى قضاها الأخفش الصغير من سنة ٢٨٧ ـ ٣٠٠ هـ (أى مدة سبع عشر سنة)[7] .

وإذا ما نظرنا إلى الموضوع من ناحية الدراسات اللغوية المكتوبة فى مصر ، فإن ابن هشام أول من خلف لنا ـ فى مصر ـ دراستين نقل فيهما منهج البصريين فى اللغة لأن كل أساتذته بصريون[8] .

وهاتان الدراستان هما : (شرح ما وقع فى أشعار السيرة من الغريب وتهذيب السيرة النبوية) .

---

(١) انباه الرواة ٢/٢١٢ ووفيات الاعيان ٢/٣٤٩ والبغية ٢/١١٥
(٢،٣) معجم الادباء ١٧/٢٨٢ ، ٢٩٩
(٤) انباه الرواة ٢/٢١٢ ووفيات الاعيان ٢/٣٤٩
(٥) طبقات الزبيدى /٢٣٥
(٦) طبقات القراء ٢/٣٩٢
(٧) طبقات الزبيدى /١٢٥
(٨) السيرة النبوية ١/٢٥٢ والناسخ والمنسوخ /٦٢

واتصل هذا المنهج البصرى الذى نقله ابن هشام بتلميذه « محمد بن حسان المصرى » (ت ٢٧٢ هـ) الذى وصفه من ترجموا له بأنه (كان من النحاة المجودين)[١] .

وأخذ عن الأخير الإمام الطحاوى (ت ٣٢١ هـ) ، وعن الطحاوى أخذ النحاس[٢]

واستمر ذلك المنهج البصرى متصل الحلقات ، إذ أخذ محمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) عن أبيه ولاد ، وعن مسعود بن حسان[٣] وكلاهما يحمل الخطوط العامة لذلك المنهج .

وفى هذه الفترة رحل أبو على الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) ، ختن ثعلب إلى مصر ، فأخذ عنه « محمد بن ولاد » .

وفى مصر ألف كتابه « المُهَذَّب فى النحو » وقد ذكر فى صدره اختلاف الكوفيين والبصريين وعزا كل مسألة إلى أصحابها ..[٤] . معنى ذلك أنه يحمل فى ثنايا تفكيره بذور المذهبين الكوفى والبصرى .

وهذا أمر طبيعى ، لأنه أخذ عن ثعلب ولقى المازنى[٥] (ت ٢٤٨ هـ) فقرأ عليه كتاب سيبويه ، وكذلك قرأه على المبرد[٦]

ورحل محمد بن ولاد (ت ١٩٨ هـ) إلى بغداد ولقى المبرد وقرأ عليه

---

(١) البغيـة ٢/٢٧٧
(٢) طبقات الزبيدى /٢٣٦ وفهرسه ابن خير /٣٠٦
(٣) طبقات الزبيدى /٢٣٧ ، والبغية ١/٢٥٩
(٤) طبقات الزبيدى /٢٣٧ والبغية ١/٢٥٩
(٥) انباه الرواة ١/٣٣
(٦) انباه الرواة ١/٣٣ والبغية ١/٣٠١

كتاب سيبويه(٢) وحمله عنه رواية ، ولكنه قرأ على ثعلب أيضاً(٢) .

ومعنى ذلك أن الدراسات اللغوية والنحوية قد تأثرت بالمنهجين الكوفى والبصرى على يد الدينورى ومحمد بن ولاد . . . .

ولكن محمد بن ولاد والدينورى ليسا وحدهما اللذين درسا على ثعلب والمبرد بل درس عليهما أيضاً : على بن سليمان الأخفش الصغير ، الذى امتد تأثيره فى الدراسات اللغوية والنحوية بمصر طويلا ، إذ لم يقتصر على المدة التى قضاها بمصر من سنة ٢٨٧ ـ ٣٠٠ هـ بل امتد إلى ما بعدها حيث نجد كثيراً من النقول عنه فى كتب النحاس(٣) .

ومن الذين نقلوا الاتجاه البصرى إلى مصر « يموت بن المزرع » (ت ٣٠٣ أو ٣٠٤هـ) فقد أخذ عن المازنى وأبى حاتم السجستانى وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعى(٤) .

وكان « يموت » أخبارياً شاعراً لغوياً مفسراً مقرئاً(٥) ويعد فى الطبقة الثانية من نحاة مصر(٦)

وتلميذه النحاس أبرز المصريين الذين أعطونا سمات واضحة لتأثيره حيث نقل عنه كثيراً من التفسير اللغوى لآيات القرآن الكريم بسند « يموت » إلى « ابن عباس » (عبد الله بن عباس المتوفى ٦٨ هـ) .

(٢،١) طبقات الزبيدى /٢٣٦ وفهرسة ابن خير /٣٠٦ وانباه الرواة ٢٢٤/٣ والبغية ٢٥٩/١ (وظلت نسخته حتى زمن عبد القادر البغدادى ت ١٠٩٣ هـ ـ الخزانة ٢٢٠/٣) .

(٣) نقل عنه فى شرح القصائد التسع /٣٠٥ و ٦٤٠ واعراب القرآن لوحة ١٢ ، ١٣ والناسخ والمنسوخ /١٧٠

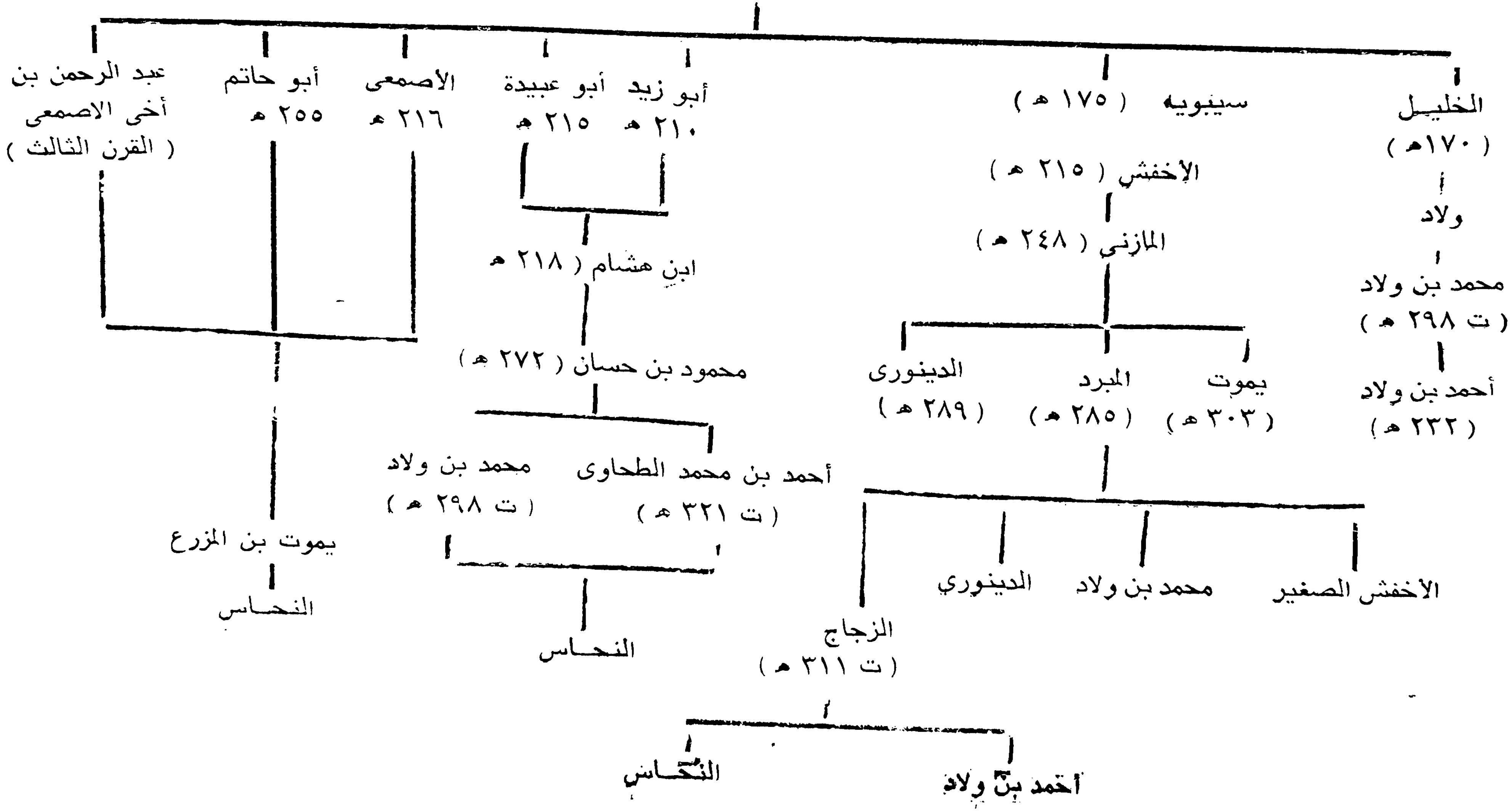
(٤،٥،٦) طبقات الزبيدى /٢٣٥ ومعجم الادباء ٥٧/٢٠

ومعنى ذلك أن منهج « يموت » هذا امتداد لمنهج ابن عباس اللغوى فى التفسير .

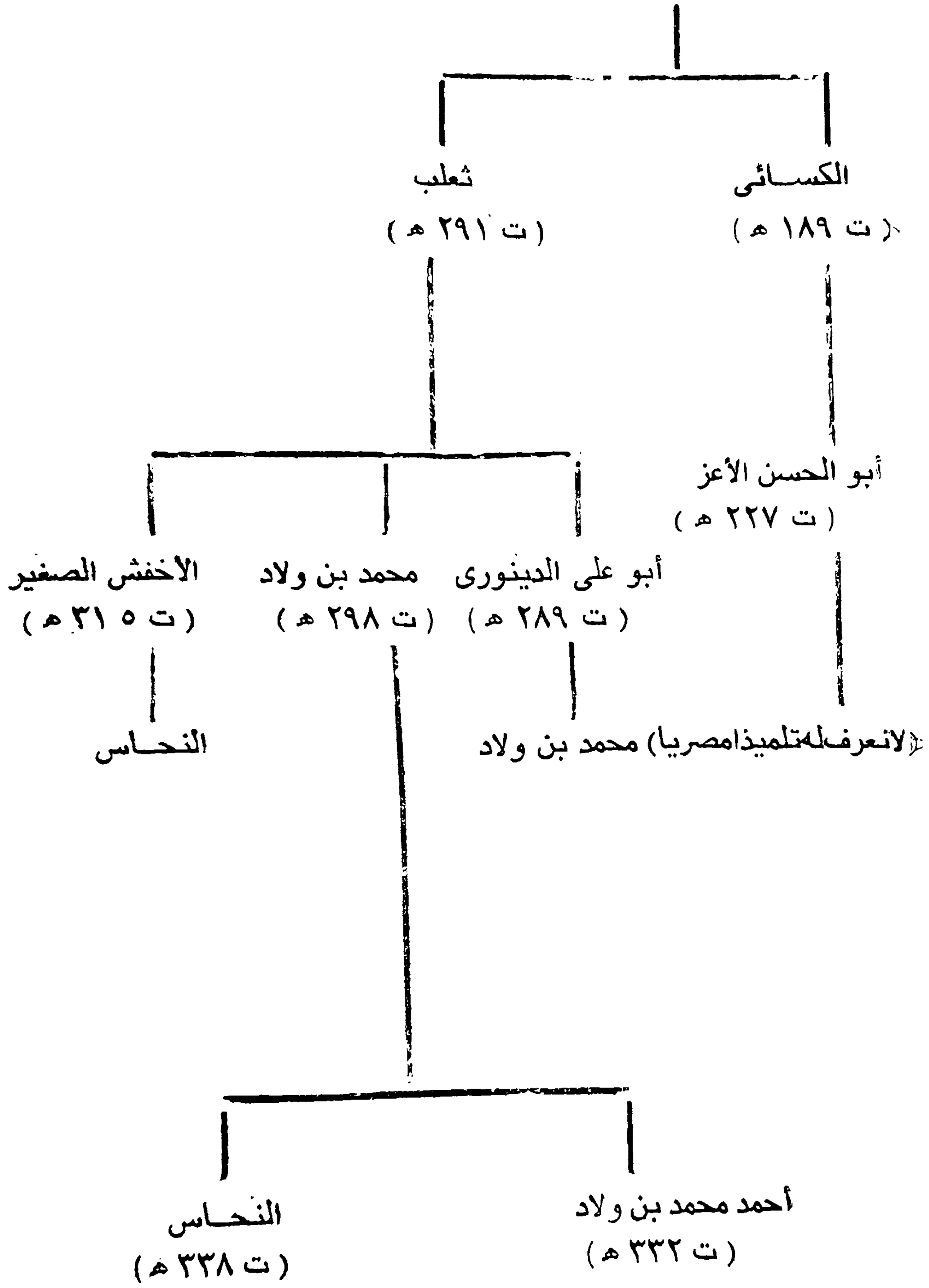
فخلاصة البحث قد دلت على أن الرافدين: البصرى والكوفى قد امتد تأثيرهما فى الدراسات اللغوية والنحوية على أيدى العلماء المصريين والمعدودين فيهم الذين أخذوا على رؤوس المدرستين ونهلوا من منابعهما... وسيزداد هذا التأثير وضوحاً فى البحث عن مصادر الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر، وسيزداد كذلك جلاءاً فى الحديث عن الاتصال المباشر للدارسين المصريين بعلماء المدرستين فى القرن الرابع الهجرى ...

غير أنه يبدو أن تأثير مدرسة البصرة أكثر، وأوضح من تأثير المدرسة الكوفية فى القرن الثالث الهجرى ويمكن رسم شجرة توضح التأثيرات البصرية والكوفية كما يأتى :

شجرة الاتصال المباشر بمدرسة البصرة



شجرة الاتصال المباشر بمدرسة الكوفة



ثانيا – فى القرن الرابع الهجرى :

أما فى القرن الرابع الهجرى فقد استمرت الاتصالات بين طلاب العلم من المصريين وعلماء المدارس اللغوية والنحوية لا سيما فى العراق حيث مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة .

وأول من يمثل هذا الاتصال بعلماء الكوفة والبصرة من المصريين : « كراع النمل » (المتوفى حوالى ٣١٠ هـ) ، فقد درس على علماء البصرة والكوفة[١] . لكننا لا نعرف تفاصيل أسماء أساتذته . وإن كان أثر المدرستين واضحا فى منهجه كما بينا فى الفصل السابق عند الحديث عن كتبه .

والثانى هو أحمد بن محمد بن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) ، وقد أخذ مباشرة[٢] عن الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وهو من أعمدة المدرسة البصرية . كما أخذ عن « أحمد بن محمد بن رستم[٣] الطبرى » (ت بعد ٣٠٤ هـ) وهو معدود فى البصريين[٤] أيضاً .

غير أن منابع كتاب « المقصور والممدود » لابن ولاد هى بصرية وكوفية معاً . كما سيتضح فى المبحث الثانى من هذا القسم .

والثالث هو أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، وهو أكثر من قرينيه اتساعاً فى الرواية واتساعا فى العطاء فهو كالنحل يأكل من كل الثمرات ثم يُخرج لنا طعاماً فيه كل خير ، ويختلف عن جميع العناصر التى كونته وهذا أشبه بحال النحاس ، فقد أخذ عن اللغويين والنحاة والقراء والفقهاء

---

(١) الفهرست /٨٣ ومعجم الادباء ١٣/١٣ وانباه الرواة ٢/٢٤٠
(٢) معجم الادباء ٤/٢٠١ وانباه الرواة ١/٩٩ والبغية ١/٥٣١
(٣) المقصور والممدود /١٣٣
(٤) الفهرست /٦٠

والمُحَدِّثين ، وأخذ عن البصريين والكوفيين معاً ، وعمن درس على علماء المدرستين فاستوعب كل هذه العلوم ، وهضمها ثم أضاف إليها وأخضعها لشخصيته العلمية البارزة فى معظم مؤلفاته . . . فكانت مناراً للناس . . .

وقد قسمنا أساتذته حسب التصنيف المدرسى ثلاثة أقسام :

أولا ـ أساتذته البصريون :

أما أساتذته من البصريين فهم : يموت بن المزرع (ت ٣٠٣ هـ) وهو يمثل الجانب اللغوى : من رواية للأشعار وتفسير لآيات القرآن الكريم تفسيراً لغوياً مقصوراً على الغريب[١] ثم الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، الذى أثر فى دراسات النحاس تأثيراً كبيراً ولا يكاد يخلو كتاب من كتبه الأساسية الثلاثة : (إعراب القرآن ـ والقطع والائتناف ـ وشرح القصائد التسع) من ذكره ، ولا يدانيه تأثيراً سوى ابن كيسان وقد لهج بذكرها ومدحهما مدحاً ثم عن قَدْرِها الكبير عنده فقال : (إنهما أجل من رأى من النحويين)[٢]

ثانيا ـ الكوفيون :

أما أساتذته من الكوفيين فلم تنص المصادر على أحد منهم سوى أبى بكر محمد[٣] بن القاسم الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) وهو آخر أساتذته وفاة ، وكان آية فى الذكاء والحفظ . والنحاس وإن لم يصرح باسمه فإن

---

(١) النحاس : الناسخ والمنسوخ فى القرآن / ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦ .

(٢) اعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم فى العربية .

(٣) انباة الرواة ١٠١/١ ووفيات الاعيان ٨٣/١

تأثيره يظهر فى « شرح القصائد التسع » عند الموازنة بينه و بين كتاب شرح القصائد السبع الطوال .

ثالثا ـ أساتذته ممن مزج الاتجاهين :

أما أساتذته ممن مزج الاتجاهين البصرى والكوفى فهم أكثر أساتذته ، والذين ذكرتهم المصادر هم :

(١) محمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) ، وقد ذكره فى شرح القصائد التسع وإعراب القرآن[١] وغيرهما .

(٢) ابن جميل : إبراهيم بن موسى بن جميل (المتوفى ٣٠٠ هـ) ، وهو أندلسى الأصل رحل إلى المشرق فسمع ببغداد من ابن قتيبة وروى عنه كتبه وسكن بمصر إلى أن توفى بها[٢] .

ومادام ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦ هـ) ، ممن مزج الاتجاهين البصرى والكوفى[٣] ، فإن كتبه تمثل هذا الطابع ، وقد روى «ابن جميل» كتب ابن قتيبة بمصر فأخذ عنه النحاس مباشرة[٤]

(٣) الأخفش الصغير : على بن سليمان (المتوفى ٣١٥ هـ) ، وهو ممن أخذ عن المبرد وثعلب[٥] ، وقد أخذ عنه النحاس مباشرة وكثيراً ماسأله فى كتبه بصيغتى : سمعته وسألته[٦] .

---

(١) شرح القصائد التسع /٣٠٤ واعراب القرآن لوحة ٨ : أ وغيرها .

(٢) طبقات الزبيدى /٣٠٥ وتاريخ علماء الاندلس ٢/١٣ ـ ١٤

(٣) الفهرست /٧٧ وانباه الرواة ٢/١٤٧

(٤) القطع والائتناف لوحة ٩ : أ

(٥) نزهة الالباء /٢٤٨

(٦) اعراب القرآن لوحة ١٤ : ب ، ٣٠٥ : أ

(٤) ابن كيسان : أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (المتوفى ٣٣٠هـ) وقد لقى ثعلبا والمبرد[١] ، فأخذ عنهما ، وقد اختار من آراء المدرستين ، ومزج بين الاتجاهين بطريقة تدل على ذكاء وفطنة وشخصية علمية واضحة المنهج . وإن آراءه التى نقلها لنا النحاس لتدل على ذلك خير دلالة ، وخير من وصفه القفطى حين قال : (مزج النحويين فأخذ من كل منهما ما غلب على ظنه صحته واطرد له قياسه)[٢] .

وأكثر ما ذكره النحاس فى كتابيه : إعراب القرآن ، وشرح القصائد التسع ، وهو أقل له ذكراً فى معانى القرآن .

(٥) أحمد بن عبد الله بن مسلم (المتوفى ٢٢٣ هـ) وهو المعروف لنا من أبناء ابن قتيبة ، وراوى جميع كتب أبيه ، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن .[٣]

وقد ورد مصر سنة ٣٢١ هـ ، وحدث بكتب أبيه من حفظه فسمعه النحاس وغيره[٤] .

(٦) نفطويه : إبراهيم بن محمد بن عرفة . وكان عالمًا بالعربية والحديث أخذ عن المبرد وثعلب . وقد ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفى سنة ٣٢٣ هـ[٥] .

---

(١) نزهة الالباء /٢٣٥ وانباه الرواة ٥٧/٣ والبغية ١٨/١

(٢) انباه الرواة ٥٨/٣

(٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ٢٩٢/٣ وحسن المحاضرة ٣٦٨/١

(٤) ترتيب المدارك ٢٩٣/٣

(٥) الفهرست /٨١ وتاريخ بغداد ١٥٩/٦ وانباه الرواة /١٧٨.

وقد أخذ عنه النحاس وذكره فى « إعراب القرآن » ، كما اقتبس منه اسم كتابه « المُقنِـع فى النحو » إذ لـكل واحد منهما كتاب يحمل هذا العنوان[١] .

ومعنى ماسبق فى ذكر أساتذة « كراع وابن ولاد والنحاس » أن الاتجاهات النحوية واللغوية قد صبّت كلها فى محيط مصر العلمى ، وأن هؤلاء الثلاثة قد أخذوا من علماء المدرستين وأضافوا جديداً . وأكثرهم إضافة هو النحاس ، فقد استعمل المصطلح البصرى مرة والكوفى مرة أخرى وكان له رأيه المتميز فى أكثر الأحيان . وكان له ـ فوق كل شىء ـ منهجه الذى جدد فيه .

ما بعد هؤلاء الثـلاثة

وقد استمرت الاتجاهات اللغوية والنحوية التى ترسخت على أيدى هؤلاء الثلاثة ، فأخذ عن « ابن ولاد » : أبو الحسين المهلبى[٢] ، وأخذ عن المهلبى ، أبو العلاء المهذب[٣] ويوسف بن يعقوب النجيرمى[٤] .

ومعنى هذا الامتداد أن الاتجاهات اللغوية والنحوية فى مصر ظلت مستمرة إلى القرن الخامس فى حلقات متصلة الأجزاء .

أما النحاس فقد أخذ عنه من المصريين ثلاثة :

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣١٥ أ وانباه الرواة ١٨٠/١ والمقريزى : المقفى لوحة ١٥٤ : ب والبغية ٣٦٢/١ ، ٤٢٩ وطبقات المفسرين ٦٨/١

(٢) التنبيهات /٣٢٥ ومعجم الادباء ٤٢٤/١٢

(٣) البغيــة ١٠١/٢

(٤) تحرف فى البغية ٣٦٤/٢ (الى يعقوب بن يوسف) وجاء فى ٩٨/٢ صحيحا ، والتصحيح من معجم الادباء ٢٢٥/١٢ وانباه الرواة ٤٥/١

١ ـ **التمار** : أبو إسحاق إبراهيم بن على بن محمد بن غالب التمار وكان حياً سنة ٣٨٢ هـ وكان منزله بالفسطاط[١]، وعنه نقل كتاب القطع والائتناف ـ لأستاذه النحاس ـ إلى الأندلس[٢]. وكتـــاب الناسخ والمنسوخ فى القرآن[٣].

٢ ـ **الادفوى** : أبو بكر محمد بن على بن محمد الذى لازم النحاس وروى عنه جل كتبه[٤] وعن الأدفوى نقل بعضها إلى الأندلس وكان الأدفوى نحوياً ومقرئاً ، توفى سنة ٣٨٨ هـ .

٣ ـ **ابن خاقان** : خلف بن إبراهيم بن خاقان . وهو معدود فى القراء وعنه أخذ أبو عمرو الدانى « عثمان بن سعيد المتوفى ٤٤٤ هـ » قراءة ورش رواية عن النحاس[٥].

أما تلاميذه الآخرون الذين أخذوا عنه اللغة والنحو والموضوعات الأخرى ، فمعظمهم من الأندلسيين . وسيأتى الحديث عنهم .

أما « كراع النمل » فلم تذكر له المصادر تلاميذ أخذوا عنه مباشرة . وإن كانت كتبه ذات تأثير فى الدراسات اللغوية فى الأندلس[٦] .

الخلاصــة :

إن الاتصال المباشر بين اللغويين والنحاة المصريين والنحاة اللغويين فى الكوفة والبصرة كان امتزاج أفكار ثلاثة أفذاذ مصريين من القرن

---

(١) فهرسة ابن خير /٤٨

(٢، ٣) فهرسة ابن خير ٤٨ ، ٤٩

(٤) انباه الرواة ١٨٦/٣ والبغية ٨٩/١

(٥) الناسخ والمنسوخ فى القرآن /٤ وفهرسة ابن خير /٤٩ ، ٦٦

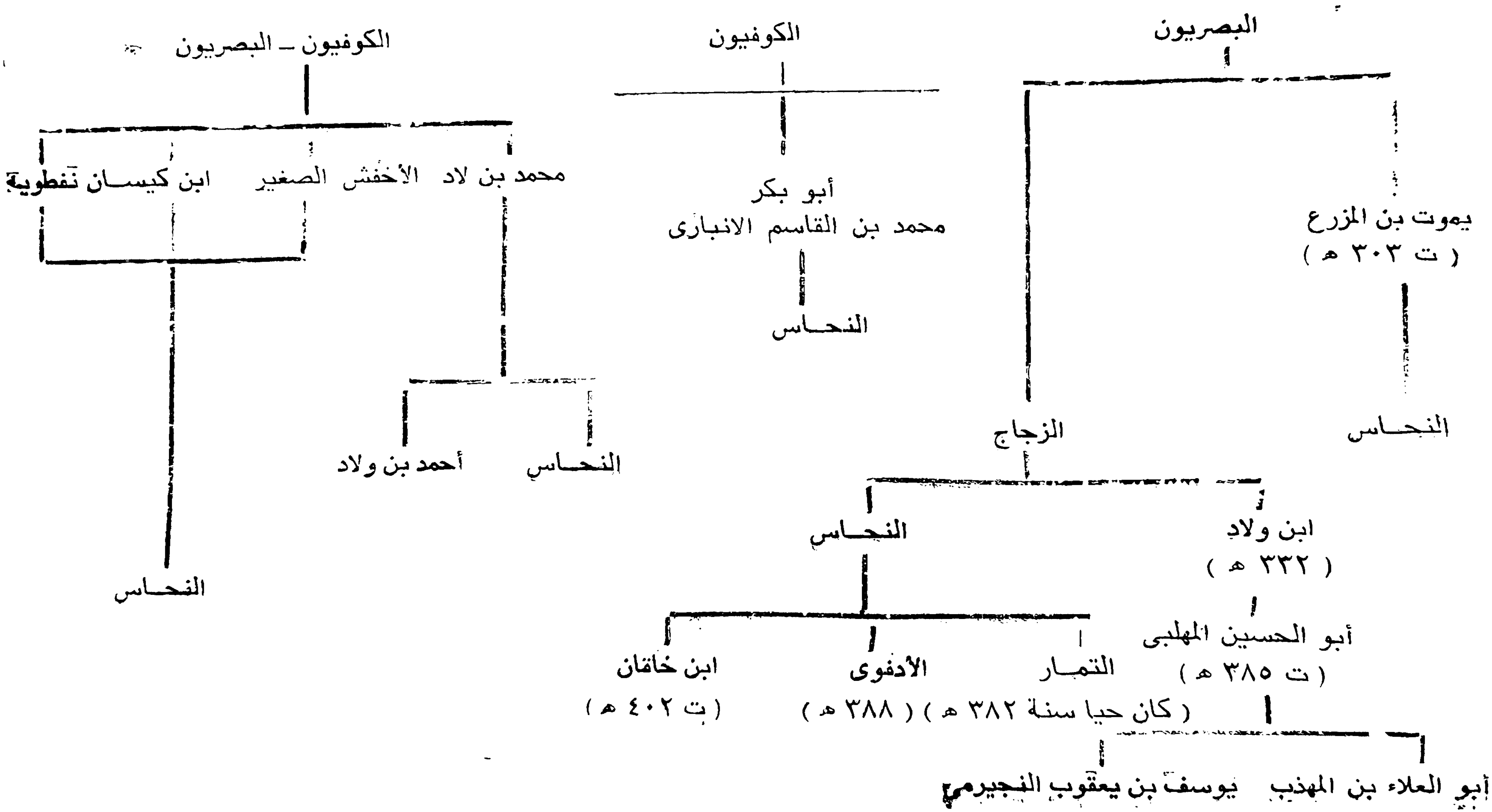
(٦) ابن سيده : المحكم ١٥/١ (حيث صرح بأن كتب كراع من مصادره) واعتمدها أبو عبيد البكرى . كما سيأتى .

الرابع الهجرى بأعمدة المدرستين فى عصرهم . وبعد عصرهم . . . بحيث كان هذا الاتصال بين الفريقين المتكاملين ، بشيراً بميلاد المدرسة المصرية على يد النحاس الذى لم يدع أستاذاً من أساتذة المدرستين ذا بال إلا أخذ عنه.

وفى هذا المبحث تحدثت عن الاتصال المباشر بين اللغويين والنحاة المصريين وعلماء البصرة والكوفة فى القرن الرابع الهجرى . . . وسأوضحه بشجرة تبين شخصيات الاتصال . . . وتبين امتداد تلك الاتجاهات حتى نهاية القرن الرابع ومابعده بقليل .

أما الاتصال غير المباشر بالكوفيين والبصريين : أعنى به تأثر الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بالدراسات اللغوية والنحوية التى تمثل المدرستين .. فمكانه فى المبحث الآتى ، بعد الشجرة :

شجرة الاتصال المباشر برجال المدرستين



المبحث الثانى

المصادر اللغوية والنحوية للدراسات المصرية

أولا : مصادر «كراع النمل» :

إن «كراع النمل» لايشير إلى أسماء مصادره ولايشير إلى أسماء اللغويين الذين اشتهروا برواية اللغة أو تدوينها أمثال الخليل وسيبويه وأبى زيد الأنصارى وأبى عمرو الشيبانى والفراء وابن الأعرابى وأبى عبيد وابن السكيت، وغيرهم . على عكس مافعل «ابن ولاد» فى «المقصور والممدود» وعلى عكس مافعل النحاس فى أكثر كتبه .

ويمكن الاهتداء إلى أهم مصادره اعتماداً على الموازنة بين المادة اللغوية فى كتابيه «المنجد والمجرد» وكتب اللغة الموجودة .

وأهم الكتب التى أمكننا الاهتداء إليها على أنها من مصادره هى :

(١) مصادره فى المنجد

الغريب المصنف

أثر كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٤ هـ) كبير فى كتابى «كراع» : المنجد والمجرد ولايقاربه أثراً إلاّ (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) .

أما أثر الغريب المصنف فى كتاب المنجد فهو ذو جانب عام، فإن كراعاً أخذ مجموعة من أسماء كتب[1] الغريب المصنف وسمى بها أبواباً من كتابه «المنجد» .

---

(١) قسم أبو عبيد «الغريب المصنف الى كتب وقسم كل كتاب الى أبواب . أما وصف هذه الكتب من حيث تقسيماتها فقد اعتمدت فيه على كتاب أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب : «فصل فى فقه العربية» (القاهرة ١٩٧٣) .

ومن الأبواب التى تأثر بها فى الغريب المصنف : الباب الثالث من « المنجد » وهو فى ذكر الطير ويقابل الكتاب التاسع من كتاب أبى عبيد.

وكذلك الباب الرابع من كتاب المنجد وهو « كتاب السلاح وما قاربه » ، ويقابل الكتاب الثامن من كتاب أبى عبيد .

وكذلك الباب السادس من « المنجد » وهو باب الأرض وماعليها ، وهو يقابل الكتاب السادس من كتاب أبى عبيد ، أيضاً .

(٢) مصادره فى « المجرد »

(أ) الغريب المصنف

أما أثر الغريب المصنف فى كتاب « المجرد » فهو ذو جانبين :

الجانب العام .

وجانب التفاصيل .

أما من حيث الجانب العام فإننا نجد للكتاب العشرين من الغريب المصنف ، وهو « كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد » آثاراً كثيرة فى كتاب المجرد ، مثل « باب الشيء الكامل »(١) و « باب أسماء الدواهى »(٢) ، وباب أسماء الأثر(٣) وباب عيال الرجل(٤) ، وباب أسماء الدهر والزمان(٥) ، وغيرها .

أما من حيث جانب التفاصيل فإن موادَّ أبواب كاملة من الغريب المنصف نقلها « كراع » فى كتابه المجرد ، دون أن يشير إلى ذلك ، ودون

(١) المجرد فى اللغة ورقة ٦٣ : أ

(٢) المجرد فى اللغة ورقة ٥٢ : ب

(٣) المجرد فى اللغة ورقة ٥٤ : ب

(٤) المجرد فى اللغة ورقة ٥٦ : أ

(٥) المجرد فى اللغة ورقة ٦١ : أ

أن يضيف شيئاً سوى بعض التفاصيل في الشروح أو زيادة بعض الكلمات. كما أنه يجعل — أحياناً — باباً واحداً من أبواب الغريب المصنف بابين في المجرد كما فعل في باب ضعف العقل والرأى[1] إذ جعله بابين هما : باب ضعف البدن والنفس والرأى — وباب الحمق وضعف العقل[2] . وهو يفعل العكس أحياناً فينقل بابين من الغريب المصنف ويجعلهما باباً واحداً ، فقد أدمج « باب أصوات كلام الناس » و « باب الألسنة والكلام »[3] في باب واحد من المجرد هو : « باب الكلام »[4] .

وإن الأبواب التى نقلها « كراع » من الغريب المصنف بتفاصيلها وجزئياتها يبينها الجدول الآتى (مع ملاحظة أنه يحذف الشواهد وأسماء اللغويين كما يظهر من التمثيل) :

---

(١) الغريب المصنف ص ٣١

(٢) المجرد فى اللغة ورقة ١٨ : ب و ١٩ أ — ب

(٣) الغريب المصنف ص ٢٢

(٤) المجرد في اللغة ورقة ١٩ : أ — ب

المجرد فى اللغة	الغريب المصنف
باب القوة وشدة البدن(١) .	باب الشدة فى القوة والخلق(١) .
(باب ضعف البدن والنفس والرأى و(٢) باب الحمق وضعف العقل) .	باب ضعف العقل والرأى الأحمق(٢)
باب الحسن وجميل الأخلاق(٣)	باب الأخلاق المحمودة فى الناس(٣)
باب ضعف البدن(٤)	باب الضعيف البدن(٤) .
باب الكلام(٥)	(باب أصوات كلام الناس(٥) ، وباب الألسنة والكلام)
باب البكاء(٦)	باب البكاء(٦) .

ويمكن التمثيل لهذا الجانب التفصيلى من تأثير الغريب المصنف فى كتاب « المنجد » بباب البكاء ، لأنه من الأبواب الصغيرة نسبياً ، كما أنه لايختلف من حيث دلالته عن الأبواب الأخرى الكبيرة نسبياً .

قال أبو عبيد : فى باب البكاء : الأموى وأبو عمرو : أجهش إجهاشاً : إذ تهيأ للبكاء ، وأنشدا :

بكى جَزَعاً مِنْ أَنْ يموتَ وأجهشت إليه الجرشّى وارمعلَّ حنينها

أبو زيد والأصمعى مثله قالا : وأشحن إشحاناً : بمعناه . وزاد أبو زيد وجهشت للحزن ، الأصمعى وأبو زيد : بكيت الرجل وبكيته كلاهما

(١) المجرد فى اللغة ورقة ١٨ : أ والغريب المصنف /٢٦
(٢) المجرد ورقة ١٨ : ب و ١٩ : أ ـ ب والغريب المصنف /٣١
(٣) المجرد فى اللغة ورقة ١٩ : أ ـ ب والغريب المصنف /٢٤
(٤) المجرد فى اللغة ورقة ١٨ ب والغريب المصنف /٣١
(٥) المجرد فى اللغة ورقة ١٨ ب أ ـ ب والغريب المصنف /٢١ ـ ٢٢
(٦) المجرد فى اللغة ورقة ٢٩ : أ والغريب المصنف /٣٧٤ ـ ٣٧٥

إذا بكيت عليه وأبكيته: صنعت به ما يبكيه، وقال الأصمعي: أهنف الصبي إهنافاً: مثل الإجهاش والمهانفة أيضاً: الملاعبة. الكسائي: فحم الصبي يفحم فحوماً وفحاماً إذا بكى حتى ينقطع صوته. وفحم لغة)(١).

وقال «كراع» في المجرد في باب البكاء: (يقال جهش وأجهش جهشاً وإجهاشاً وأشحن إشحاناً: بكى. وأهنف الصبي إهنافاً إذا بكى.. ويقال: فحم الصبي يفحم فحوماً وفحاماً: إذا بكى حتى ينقطع صوته. وفُحم بضم الفاء مثله، ورجل هرقع سريع البكاء، وقد أهرقع إهرقاعاً: إذا تباكى)(٢).

وبعد الموازنة بين نص أبي عبيد ونص كراع نجد الثاني أخذ كل مادته من أبي عبيد ولم يزد سوى عبارة واحدة هي رجل هرقع سريع البكاء .... إلخ. كما أنه حذف الشاهد وأسماء اللغويين وهكذا فعل في بقية الأبواب التي يتضمنها الجدول السابق.

وأخذ هذه الأبواب يعني أن «الغريب المصنف» أكثر مصادر كراع تغلغلا وعمقاً في كتابيه.

(ب) اصلاح المنطق

وأثر كتاب «إصلاح المنطق» لابن السكيت في «كتاب المجرد» يقارب أثر «الغريب المصنف».

فقد أخذ «كراع» من «إصلاح المنطق» مجموعة من الأبواب بكل جزئياتها وذلك في «أمثلة الأسماء» مع فارق بسيط غير جوهري هو أنه

---

(١) الغريب المصنف/٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٢) المجرد في اللغة ورقة ٢٩ : ب

حذف الشواهد سواء أكانت من الآيات الكريمة أم من الشعر كما حذف أسماء اللغويين، كما فعل مع «الغريب المصنف» تماماً.

والأبواب التى نقلها كراع من «إصلاح المنطق» نقلا تاماً هى :

١ ـ باب ما جاء على فِعَل وفُعَل [١].

٢ ـ وباب ما جاء على فَعَل وفِعل [٢].

٣ ـ وباب ما جاء على فَعُل وفَعَل [٣].

٤ ـ وباب ما جاء على فَعْلَل وفُعْلَل [٤].

٥ ـ وباب ما جاء على فَعِل وفَعَل [٥].

٦ ـ وباب ما جاء على فَعْل وفعْل [٦].

٧ ـ وباب ما جاء على فَعْل وفُعَل [٧].

وقد لاحظت أن كراعاً لم يكتف بأخذ مادة هذه الأبواب بكل جزئياتها بل أخذ الأبواب الخمسة الأولى حسب تسلسلها فى «إصلاح المنطق» وقد جاءت فى الصفحات الآتية : (٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

ولم يزد «كراع» على ما جاء فى إصلاح المنطق إلا أشياء قليلة جداً ليست ذات بال كزيادة تفسير أو بسط شرح [٨]

---

(١) المجرد ورقة ٩٠ : أ واصلاح المنطق /٩٩

(٢) المجرد ورقة ٩٠ : ب واصلاح المنطق /١٠٠

(٣) المجرد ورقة ٩٠ : ب واصلاح المنطق /١٠١

(٤) المجرد ورقة ٩٠ : ب واصلاح المنطق /١٠٢

(٥) المجرد ورقة ٩١ : أ واصلاح المنطق /١٠٣

(٦) المجرد ورقة ٩١ : أ واصلاح المنطق /٨٤

(٧) المجرد ورقة ٩١ : ب واصلاح المنطق /٨٩

(٨) المجرد ورقة ٩٠ : أ ويقارن باصلاح المنطق /٩٩

وإذا صح أن نستعير من النقاد تعبيراً نقدياً قلنا : إن صاحب «المجرد» سلخ تلك الأبواب من إصلاح المنطق دون أن يشير إليه .

ونكتفى بباب واحد للتمثيل على هذه السرقة الأدبية فقد جاء فى « المجرد » فى باب فَعِل وفَعُل : رجل عضِد وعضُد : نصير . وكذلك عضد الإنسان . ورجل عجِز وعجُز : عاجز . ونجِد ونجُد . ومكان عطِش وعطُش قليل الماء . وأرض عطشة وعطشة . ورجل يقظ ويقُظ ، ويقال : رجل عجِل وعجُل)(١) .

وهذه الأمثلة كلها جاءت فى « إصلاح المنطق » لابن السكيت(٢) .

ثانيــا : (مصــادر ابن ولاد)

١ ـ مصادره فى كتاب « الانتصــار » :

لم يصرح « ابن ولاد » بأسماء مصادره فى كتابه « الانتصار » على عكس ما فعل فى كتاب « المقصور والممدود » .

فهو فى « الانتصار » يذكر المسألة من «مسائل الغلط» ثم يرد عليها .

ولكنه كان يستند إلى أقوال « سيبويه » ويرجع إلى كتابه لأنه صاحب القضية ، وابن ولاد يمثل محامى الدفاع فيها .

ولابد أنه استفاد من كتب النحو التى سبقته ، كما استفاد من التراث اللغوى ودواوين الشعراء الذين استشهد بهم كل من سيبويه والمبرد لتعلق بعض مسائل الغلط بصحة الرواية وعدم صحتها .

يضاف إلى ذلك ما أداه إليه اجتهاده وما جادت به قريحته لأنه أبدى

(٢،١) المجرد فى اللغة ورقة ٩٠ : ب واصلاح المنطق /٩٩

ذكاء ودل على نضج عقلي استطاع بهما أن يناقش مسائل المبرد ويرد عليها سواء أدى ذلك إلى نتائج تتفق مع واقع اللغة أم لا ، فإنه في كلتا الحالتين صاحب منطق بارع ، وإن كان قد احتج بأمور خارجة عن المسألة في بعض الأحيان كما لاحظ « ابن مضاء[1] القرطبي » (المتوفى ٤٩٠ هـ) .

فمصادر « ابن ولاد » هي كتب اللغة والنحو العامة ، ولا سيما كتاب سيبويه .

٢ ـ مصادره في « المقصور والممدود » :

مصادر « ابن ولاد » التي ألفت جزءاً من نسيج كتابه هذا نوعان:

(أ) مصادر ذكرها .

(ب) مصادر لم يذكرها .

(أ) مصادر ذكرها :

من الملفت للنظر أن « ابن ولاد » لم يذكر من مصادر « المقصور والممدود » إلا ما ألفه علماء ينتمون إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين .

أما الذين ينتمون إلى القرن الرابع فلم يذكر منهم سوى أحمد بن رستم الطبري (ت ٣٠٤ هـ) وذكره لم يتجاوز مرة واحدة ، وهو من أساتذته[2] وحتى هذا فيمكن عده من علماء القرن الثالث إذا ما تجاوزنا عن السنوات الأربع .

وأما ذكر « ابن خالويه »[3] (ت ٣٧٠ هـ) ، « والأزهري »[4]

---

(١) الرد على النحاة /١٣٥

(٢) المقصور والممدود /١٣٣

(٣) المقصور والممدود /٤

(٤) المقصور والممدود /١٢٠

(ت ٣٧٠ هـ) ، فإنه يعد إقحاماً من النساخ ، وقد بينا ذلك عند الحديث عن « المقصور والممدود » .

أما علماء القرن الثانى والثالث الذين ذكرهم « ابن ولاد» فى « المقصور والممدود » فهم : أبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس ، وسيبويه ، والكسائى ، وأبو عمرو الشيبانى : إسحاق بن مرار (ت ٢٠٥ هـ) ، والفراء ، وأبو عبيدة ، والأصمعى ، وابن الأعرابى : محمد بن زياد (ت ٢٣٠ هـ) ، وابن السكيت ، والمبرد .

ويلاحظ أنه لا توجد لأكثر هؤلاء كتب فى المقصور والممدود ولكن الذين لهم كتب فيها هم : الفراء [1] ، والأصمعى [2] ، وابن السكيت [3] ، والمبرد [4] .

كما يلاحظ أنه أهمل ذكر أسماء مجموعة من علماء القرنين الثالث والرابع الذين سبقوه إلى التأليف فى المقصور والممدود أمثال : أبى عبيد [5] القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ومعاصره : إبراهيم بن يحيى [6] بن المبارك اليزيدى (ت ٢٢٥ هـ) ، وأبى حاتم [7] السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) وأحمد ابن [8] عبيد بن ناصح (ت ٢٧٣ هـ) والمفضل [9] بن سلمة (ت ٣٠٠ هـ)

---

(١) الفهرست /٦٧ ومعجم الادباء ٢٠/١٤ والبغية ٣٣٣/٢
(٢) الفهرست /٥٥ وانباه الرواة ٢٠٢/٢ والبغية ١١٣/٢
(٣) الفهرست /٧٢ والمزهر ٤٤٠/١
(٤) الفهرست /٥٩ وانباه الرواة ٢٥١/٣ ومعجم الادباء ١٢١/١٩
(٥) الفهرست /٧١ ومعجم الادباء ٢٦٠/١٦ والبغية ٢٥٣/٢
(٦) الفهرست /٥١ ومعجم الادباء ٩٨/٢ وطبقات القراء ٥٩/١
(٧) الفهرست /٥٨ وانباه الرواة ٦٢/٢
(٨) الفهرست /٧٣ وانباه الرواة ٨٦/١
(٩) الفهرست /٧٤ والبغية ٢٩٧/٢

وأبى محمد[١] ، القاسم بن محمد الأنبارى (ت ٣٠٤ هـ) وابن شقير[٢] ، أحمد بن الحسين (ت ٣١٧ هـ) وابن كيسان[٣] (ت ٣٢٠ هـ) والجعد بن عثمان[٤] أحد أصحابه (ت بعد ٣٢٠ هـ) وغيرهم ، وإهماله لهذه الكتب جعله لا يقتصر على مجموعة من الكتب المؤلفة فى المقصور والممدود التى ذكر أسماء أصحابها ، بل يتعداها إلى غيرها . فقد اعتمد على كتاب الأبنية للفراء .[٥]

كما اعتمد على أقوال أبى عمرو بن العلاء ويونس وأبى عمرو الشيبانى وابن الأعرابى وأبى عبيدة فى حروف من المقصور والممدود[٦] .

وتختلف اقتباساته من العلماء الذين ذكرهم ، قلة وكثرة فمنهم من أكثر النقل منه نسبياً كأبى عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) وسيبويه (١٧٥ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) وأبى عبيدة (٢١٠ هـ) والأصمعى (٢١٦ هـ) .

ومنهم من كان اقتباسه منه قليلا كعيسى بن عمر (١٤٩ هـ) ويونس (١٨٣ هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ) .

وإذا ما قسمناهم ورتبناهم حسب مرات الأخذ بادئين بالأكثر فالكثير فالقليل فالأقل ، فإن الجدول يصبح هكذا :

---

(١) الفهرست / ٧٥ ومعجم الادباء ٣١٧/١٦

(٢) البغيــة ٣٠٢/١

(٣) الفهرست / ٨١ وانباه الرواة ٥٨/٣

(٤) تاريخ بغداد ٤٧/٣ وانباه الرواة ٥٨/٣

(٥) المقصور والممــدود / ٩٩

(٦) المقصور والممدود /٣٣ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١١٤ ، ١٢١

اسم اللغوى	مرات الاخذ منه
الفــــراء	٢٣
الاصــمعى	١٤
أبو عمرو بن العــلاء	١٢
ســيبويه	٧
أبو عبيــدة	٥
ابن السكيت	٣
الكســائى	٣
أبو عمرو الشــيبانى	٣
ابن الاعــرابى	٣
الخليــل	٣
المــبرد	٢
عيسى بن عمــر	١
يونس بن حبيب	١
أحمد بن رسم الطبرى	١

ويلاحظ أن « ابن ولاد » استشهد بالبصريين والكوفيين معاً . . . أى أن مصادره فى المقصور والممدود كوفية وبصرية .

(ب) مصــادر لم يذكرها :

وبالإضافة إلى المصادر التى ذكرها ، فقد وجدت أنه نقل من بعض المصادر اللغوية دون أن يشير إليها ، وهى :

١ ـ ثلاثة كتب فى خلق الانســان :

توجد فى كتاب « المقصور والممدود » لابن ولاد إحدى عشرة مادة لغوية موجودة فى ثلاثة كتب سبقته هى :

(أ) خلق الإنسان للأصمعى (ت ٢١٦ هـ) .

(ب) خلق الإنسان لثابت بن أبى ثابت (القرن الثالث) .

(جـ) خلق الإنسان للزجاج (ت ٣١١ هـ) .

وهذه الكتب الثلاثة، وإن، لم تكن متخصصة في «المقصور والممدود» فإنها قد احتوت على مواد كثيرة منه، وأصحابها يشيرون تارات إلى نوع الكلمة سواء أكانت مقصورة أو ممدودة.

والقائمة الآتية تشير إلى الكلمات الموجودة في كتاب «ابن ولاد» وتلك الكتب مع إثبات الصفحات:

الكلمة	خلق الإنسان الأصمعي	خلق الإنسان لثابت	خلق الإنسان الزجاج	ابن ولاد
١ ـ البزا	٢١٢	٢٤٠ (البزى)	٣٨	١٥
٢ ـ الحشا	ـ	ـ	٤٢	٢٧
٣ ـ الحشى	٢١٣	٢٦١	ـ	٢٧
٤ ـ الخذا	١٧١	٩٣	١٧	٣٤
٥ ـ صلا	٢١٠	٣٠٣	٣٧	٦٤
٦ ـ الطلى	٢٠	٢٠٤	٣١	٦٨
٧ ـ الفجا	٢٢٦	٣١٦	٤٨ (الفحا)	٧٤
٨ ـ قنا	١٨٩	١٤٩	٢٣	٨٧
٩ ـ اللخا	١٢٢	٢٧١	٤٣	٩٨
١٠ ـ اللمى	١٩٤	١٥٦	٢٨	٩٦
١١ ـ المطا	٤٧	٢٣٥	٣٧	٢٠٣

* معاني الكلمات حسب تسلسلها في الأصل:

البزا (أو البزى) في الظهر، أن يستأخر العجز ويستقدم الصدر ـ والحشا: الناحية ـ والحشى: واحد الأحشاء، وهي ما بين الضلوع التي في آخر الجنب إلى الورك ـ الخذا: استرخاء الأذن من أصلها وانكسارها على وجهها ـ الصلا (مقصور): وهي الفرجة التي بين الجاعرة والذنب عن يمين وشمال ـ والطلى: الأعناق ـ الفجا: الفخذ الفجواء المتباعدة من الأخرى ـ القنا في الأنف: ارتفاع وسطه عن طرفيه ودقة أرنبته ـ اللخا: استرخاء في البطن ـ اللمى في الشفة واللثات: وهو سواد ليس بالشديد ـ المطا: الظهر.

ومن المرجح أن « ابن ولاد » اعتمد على هـذه المصادر الثلاثة فهو يصرح فى أول كتابه بأنه حصر ما كان متفرقاً منثوراً لاحَدّ له يحصره[1].
وإذا كانت هذه الكتب من المصادر التى تعيّن المقصور والممدود وتنصّ عليه فيحتمل أنه اعتمد عليها فى تأليف كتابه .

لكننا نلاحظ وجود مادتين فى كتاب ثابت هما : الوجعاء والصمارى[2] وعدم وجودهما فى كتب الأصمعى والزجاج وابن ولاد ... فهل معنى ذلك أنه استفاد من كتابى الأصمعى والزجاج ولم يستفد من كتاب « ثابت » ؟ هذا احتمال لكنه يحتمل المناقشة ، لأن عدم نقل هاتين المادتين فى كتاب « ابن ولاد » قد يكون سببه تأثمه من ذكر هـــذه المواد لدلالتها على « الفرج » ... لكن هذا بعيد لأنه ذكر الفرج صراحة[3] وذكر الحياء وهو من أسمائه .[4]

ويبقى احتمال آخر هو ذكر بعض المواد التى تتشابه فى تفاصيلها عنده وعند « ثابت » وهى مواد : « البزى »[5] و « الذَّشَأ »[6] و « الجَنَأ » و « الدَّنَأ »[7] و « الحُوَلاء »[8] .

فهل يمكن أن تكون هذه أمارات على تأثره بكتاب « ثابت » ؟

---

(١) المقصور والمـدود /٦
(٢) ثابت : خلق الانسان ٣٠٠/٣١٠
(٣) المقصور والممدود /٤٩
(٤) المقصور والممدود /٢٧
(٥) ابن ولاد /١٥ وثابت /١٥ (وقد كتبت كلمة البزا « البزى » بالالف والياء ينظر المرجعان السابقان) .
(٦) ابن ولاد /١١٠ وثابت /١٩
(٧) ابن ولاد /٢٣ ، ٣٩ وثابت /٢٤٣
(٨) ابن ولاد /٣٣ وثابت /١٣

ربما يكون قد أخذ من كتاب « ثابت » لوجود مثل هذه القرائن .

غير أنه يوجد تشابه فى التفاصيل بين كتاب « ابن ولاد » وكتاب الأصمعى فى مادة « النزى »(١) ، بالإضافة إلى وجود المواد الأخرى فى كتابيهما ، وهذه قرينة تؤيد تأثر كتاب المقصور والممدود لابن ولاد بكتاب خلق الإنسان للأصمعى .

وقد يكون متأثراً بكتاب أستاذه « الزجاج » ولا غرابة فى ذلك فقد كان « ابن ولاد » حفياً عنده مفضلا على أقرانه . هذه واحدة . والأخرى أن كتاب خلق الإنسان للزجاج يشابه تماماً كتاب الأصمعى . فاحتمال تأثره بهما كبير وأقربهما إلى الواقع تأثره بكتاب أستاذه لكنه من غير المستبعد أن يكون تأثر بكلا الكتابين لوجود التشابه بين مادة كتابه ومادة كتابيهما .

٢ ـ كتاب التقفية للبندنيجى :

ومن مصادر كتاب المقصور والممدود « لابن ولاد » كتاب التقفية للبندنيجى (اليمان بن أبى اليمان المتوفى ٢٨٤ هـ) ، وهو معجم من معاجم الألفاظ مرتب على نظام القوافى .(٢)

والمواد التى أخذها « ابن ولاد » من كتاب التقفية تتجاوز المواد التى أخذها من « الفراء » .

وعند موازنة الصفحات الثمانية الأولى من كتاب التقفية بكتاب

---

(١) ابن ولاد /١٥ والاصمعى /٢١٢

(٢) رسالة دكتوراه مقدمة الى آداب عين شمس سنة ١٩٧٣ من عمل السيد : خليل ابراهيم العطية تحت اشراف أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب

« ابن ولاد » وجدت أن الأخير أخذ من الأول ٢٢ مادة من مواد الممدود ، أى بمعدل (٣) مواد تقريباً من كل صفحة . وهذا العدد يصبح كبيراً إذا ما قسناه بصفحات كتاب التقفية التى احتوت على مواد الممدود وهى الصفحات (٣) إلى (٤٣) . فإذا أضفنا إلى هذه القائمة مواد المقصور التى احتوى عليها كتاب التقفية وهى فى الصفحات (٥٣) إلى (٨٧) وقسناها بالمعدل السابق أصبح العدد كبيراً نسبياً .

قائمة بمواد الممدود التي أخذها ابن ولاد

من الصفحات الثمانية الأولى (التقفية) البندنيجي

المادة	ابن ولاد	البندنيجي	ملاحظات
الأباء	٨	٣	المادة مع الشاهد الشعرى
الفتاء	٨٣	٤	المادة مع الشاهد القرآنى
الهباء	١١٩	٣	المادة مع الشاهد والتفاصيل
السباء	٥٧	٤	
الرجاء	٤٥	٦	
القاصعاء	٩١	٦	
الراهطاء	٤٩	٦	
الدأماء	٤٢	٦	
العداء	٧٣	٦	
السحاء	٥٧	٧	
الأخاء	١٢	٧	
الرخاء	٤٩	٧	
الرخاء	٤٩	٧	
العداء	٧١	٧	
الحذاء	٣٢	٨	
الثراء	٢٠	٨	
الهداء	١١٩	٨	مع الشاهد الشعرى
الغداء	٨٢	٨	
السراء	٥٦	٩	
الضراء (مشية اختيال)	٦٧	٩	مع الشاهد الشعرى
الضراء (ماواراك من شجر)	٦٧	٩	
العراء	٧٢	٩	مع الشاهد القرآنى

ومن هذه القائمة نرى أن ربع هذه المواد قد أخذ مع الشاهد سواء أكان قرآنياً أم شعرياً . وهذا من آثار كتاب « التقفية » فى كتاب « المقصور والممدود » ولا غرابة فى ذلك فقد نقل كتابَ البندنيجى ورواه أحمد بن قتيبة (ت ٣١٢ هـ) واسمه يتردد فى صفحات الكتاب بين آونة وأخرى(١) . ومادام أحمد بن قتيبة أستاذ ابن ولاد(٢) فهناك احتمال كبير أن يكون أخذه عنه . وتلك المواد الكثيرة المأخوذة من كتاب التقفية تقوى هذا الاحتمال .

ثالثا : مصادر النحاس

هذا المبحث يتناول مصادر النحاس فى كتبه ورسائله الباقية ، سواء أكانت هذه المصادر لغوية أم نحوية أم مشتركة بين اللغة والنحو .

والكتب والرسائل التى سيتناولها المبحث هى :

١ ـ إعراب القرآن .

٢ ـ إعراب قول سيبويه : « هذا باب علم ما الكلم من العربية » .

٣ ـ التفاحة فى النحو .

٤ ـ شرح القصائد التسع .

٥ ـ شرح أبيات سيبويه .

٦ ـ القطع والائتناف .

٧ ـ كتاب اللامات .

---

(١) كتاب التقفية /١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ .. الخ

(٢) القاضى عياض : ترتيب المدارك ٢٩٣/٣

٨ ـ معانى القرآن .

وقبل أن نتناول مصادر هذه المؤلفات بالتفصيل نبادر فنقول : إن النحاس لم يُشِرْ إلى أسماء الكتب والمصادر التى اعتمد عليها ، إلا نادراً وفى كتب قليلة . ففى كتابه « القطع والائتناف » ذكر أسماء مجموعة من مصادره وذلك فى أوله[1] كما أهمل ذكر مجموعة كبيرة من أسماء الكتب مثل كتب النحو واللغة المتخصصة وغير المتخصصة مثل كتب القراءات . أما فى كتابه « شرح القصائد التسع » فإنه لم يشر إلى أسماء المصادر التى اعتمد عليها ـ على كثرتها ـ سوى مرتين : مرة ذكر فيها كتاب سيبويه[2]. ومرة ذكر فيها أمالى الزجاج[3] .

أما فى كتابه « إعراب القرآن » فذكر كتاب « معانى القرآن[4] » وكتاب سيبويه[5] .

ولهذا فإن المنهج الذى أتبعتُه فى بيان مصادره هو منهج الموازنة بين النصوص التى ذكر أسماء أصحابها والكتب التى ألفها أصحاب تلك النصوص إن كانت باقية سواء أكان لصاحب النص مؤلف واحد أم أكثر . وسأحاول أن أكشف عن مجموعة من المصادر التى لم يذكر أسماء أصحابها والنصوص التى لم يعزها إلى أحد ، كما فعلت عند بيان مصادر « كراع النمل » ومصادر « ابن ولاد » .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢ : أ ، ٩ ، أ

(٢) شرح القصائد التسع /١١٩

(٣) شرح القصائد التسع /١١٣

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٦٧ : أ

(٥) ينظر اعراب القرآن لوحة ١٣ ، والكتاب ١/٤٠٧

١ — مصادره في «إعراب القرآن»

إن مصادر النحاس البارزة في كتابه «إعراب القرآن» هي :

أولا — كتب «معاني القرآن» :

هذه الكتب من مصادر النحاس البارزة التي أشار إليها ، وتعد كتب إعراب القرآن مرحلة متطورة عن كتب المعاني ، لأن كتب المعاني سبقت كتب الإعراب من الناحية الزمنية ، كما أن الأولى اشتملت على الإعراب أيضاً . ومن أقدم الأمثلة الباقية كتاب (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧ هـ) وهو خير مثال على ما نقول وإن أول كتاب ألف في المعاني هو كتاب «واصل ابن[1] عطاء» (ت ١٣١ هـ) ، وتلاه كتابا يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) : «المعاني الصغير والمعاني الكبير[2]» . ثم تلاهما الكسائي (ت ١٨٩ هـ) بكتابه «معاني القرآن[3]» ولكن أول كتاب ألف في «إعراب القرآن» هو كتاب[4] قطرب (ت ٢٠٦ هـ) . فكتب المعاني متضمنة مادة إعراب القرآن وسابقة لها من حيث الزمان فالثانية مرحلة تالية للأولى متطورة عنها مع شيء من التركيز على الإعراب وتقليل المعاني ، وهذا ما يعلل لنا اهتمام النحاس بكتب معاني القرآن ، وهي الكتب التي سماها بأسمائها في جملة مصادره .

ويمكن أن نستشف من عبارة له أنه قد استوعب هذه الكتب واستقراها . ففي إعراب قوله تعالى «لإيلاف قريش» بيّن آراء النحاة

---

(١) معجم الادباء ٢٤٧/١٩ وطبقات المفسرين ٣٥٦/٢

(٢) معجم الادباء ٦٧/٢٠ وطبقات المفسرين ٣٨٦/٢

(٣) الفهرست /٣٤ والبغية ١٦٤/٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢/١

(٤) الفهرست /٥٣ ومعجم الادباء ٥٣/١٩ والبغية ٢٤٣/١

ثم استحسن قول « الخليل » فقال بعده : « وهذا من حسن النحو ودقيقه وإن كان أصحاب كتب المعانى قد أغفلوه »(١) .

وإن الذين سبقوا النحاس وألفوا فى معانى القرآن كثيرون ، ولكن الأسماء التى تتردد فى « إعراب القرآن » هى أسماء : الكسائى (١٨٩ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) والأخفش (٢١٥ هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) وابن كيسان (٣٢٠ هـ) .

ونحن نعلم أن كتب الفراء والأخفش والزجاج (فى المعانى) باقية ، طبع الأول منها وبقى الآخران مخطوطَيْن .

وقد اطلعنا على كتاب (الزجاج) لوجود نسخ مصورة منه بمعهد المخطوطات(٢) وعلى مصورة كتاب الأخفش سعيد ومخطوطته الوحيدة موجودة فى مدينة « مَشْهَد » بإيران(٣)

(أ) معانى القرآن للكسائى :

هذا الكتاب مفقود . لكنه ذكر له فى جل مصادر ترجمته(٤) وقد نقل منه النحاس فى مواطن عدة من كتاب « إعراب القرآن » .

١ — لكن الذى يلفت النظر أنه أكثر من الاعتماد على (اللغات) التى أوردها . وتعليل بروز هذه الناحية عند الكسائى يرجع إلى « أنه خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم فصار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر

---

(١) اعراب القرآن لوحة : ٣٢٢ : ب

(٢) يوجد تحت الارقام : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ تفسير

(٣) مشهد ٣/٦٩ رقم ٢٢٠ (بروكلمان : تاريخ الادب العربى ٢/١٥٢ وقد أعارنى مصورته الزميل د. كامل حسن البصير فجزاه الله خيرا .

(٤) الفهرست /٣٤ ومعجم الادباء ١٣/٢٠٢ وطبقات القراء ١/٥٣٩ والبغية ٢/١٦٤ وطبقات المفسرين ١/٤٠٢

وقد علم اللغة »[١] . وهذا ما يفسر اعتماد النحاس عليه في هذه الناحية أكثر من اعتماده على غيره من المؤلفين في معاني القرآن .

ففي إعراب قوله تعالى « فكلوا منها حيثُ شِئْتُم رَغَداً » (البقرة آية ٥٨) نقل النحاس عن كتاب الكسائي اللغات فقال عن (حيث) : « قال الكسائي الضم لغة قيس وكنانة والفتح لغة بني تميم . . وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب »[٢] .

وعند الحديث عن لغات « أنا » نقل من كتاب الفراء أن بعض بني قيس وربيعة يقولون : « أنا فعلت » بإثبات الألف في الإدراج ونقل عن الكسائي أن بعض بني قضاعة يقولون : « آن فعلت » مثل عان ، أما في الوقف فإن بعض العرب يقول : أنه[٣] .

وليس هذا فحسب ، بل اعتمد عليه في مواطن أخرى[٤] .

٢ — ولما كان الكسائي قارئاً من القراء الضابطين وواحداً من الذين أجمع علماء فن القراءات أنه متقن بارع حتى قال ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) عنه : (كان إمام الناس في القراءة في عصره ، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظهم بقراءته عليهم)[٥] . . . لما كان على هذه الصورة من الإتقان فإن ذلك لم يغب عن أبي جعفر النحاس المقرىء المطلع على المشهور

---

(١) طبقات القراء ١/٥٣٨

(٢) اعراب القرآن لوحة ٩ أ

(٣) اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٨ ، ١٦٧ : أ ، ١٣١ أ : أ

(٥) كتاب السبعة /٧٨

والشاذ من القراءات فقد اعتمد على الكسائى فى هذه الناحية ونقل عنه.

ففى بيان القراءات فى الآية الكريمة : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك »[١] أوضح النحاس أن الكسائى أجاز حذف الهمزة وأن يُقرأ : (وما أنزل ليك) وشبهه بقوله تعالى «لكنا هو الله ربى» .[٢] فقد قاس حذف الهمزة من (إليك) بحذفها من (أنا) فى « لكنا » إذ الأصل فيها « لكن أنا » .

وعند توضيح أوجه القراءات فى قوله تعالى « إنّا لله » (البقرة آية ١٥٦) وبيان المقبول منها والردود ذكر النحاس أن الكسائى قال : (إن شئت كسرت الألف لاستعمالها وكثرتها) وعقب عليه قائلا : (أما قول الكسائى فيجوز على أنه يريد أن الألف ممالة إلى الكسرة ... أما على أن تكسر فمحال لأن الألف لا تحرك البتة)[٣]

وما رآه النحاس . . . وما قاله من أن الألف لا تحرك البتة ، هو من الأمور الواضحة جداً ولا يمكن أن تغيب عن بال أى لغوى بله الكسائى . أما أنه يريد بالكسرة إمالة الألف إلى الكسرة فهو أمر معروف لدى القراء لأن الإمالة والكسر لفظان مترادفان عند القراء[٤] . فهل يخفى على الكسائى وهو من هو ؟ ؟

٣ ـ ونقل من كتاب الكسائى مجموعة من التوجيهات النحوية . وارتضى قسما منها ورد بعضها . .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤

(٢) اعراب القرآن لوحة ٤ أ

(٣) اعراب القرآن لوحة ١٨ : ب

(٤) كتاب السبعة /١٤٣

فمن توجيهاته النحوية التى ارتضاها ماجاء فى إعراب كلمة « ذكرى » فى الآية الثانية من سورة الأعراف : « كتاب أنزلناه إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، لتنذر به وذكرى للمؤمنين » ، حيث قال النحاس : (ذكرى : لم تنصرف لأن فى آخرها ألف تأنيث وتكون فى موضع رفع وخفض : الرفع عند البصريين على إضمار مبتدأ وقال الكسائى : هى عطف على الهاء أو على كتاب . والنصب عند البصريين على المصدر وقال الكسائى : هى عطف على الهاء فى « أنزلناه » ، والخفض بمعنى الإنذار . ثم ارتضى هذا التوجيه(١) .

ولا يكتفى بالرضى عن رأيه « أحياناً » بل يجعله أصح الآراء كما فى الحديث عن الآية ١٤٦ من سورة الأنعام : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر . ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ..) . قال النحاس - وهو يوجه إعراب « ما » فى الجزء الأخير من الآية : (ما : فى موضع نصب على « ما حملت » وفى هذا أقوال أصحها قول الكسائى والفراء وأحمد بن يحى والنظر بوجبه ، أن يعطف الشىء على ما يليه إلا ألا يصح معناه أو يدل دليل على غيره)(٢)

ويلاحظ أن النحاس قلما يَرُدّ آراء الكسائى على عكس ما فعل من آراء « الفراء » ، وهو يقرن بينهما فى أحيان كثيرة(٣) .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب

(٢) اعراب القرآن لوحة ٧٢ : أ

(٣) اعراب القرآن لوحة ١٤ : أ ، ١٨ : أ ، ٦٨ : أ ، ١٣١ : ب

(ب) معانى القرآن للفراء :

معانى القرآن للفراء من أقدم كتب المعانى الباقية . وهو مطبوع وقد صدر الجزء الثالث والأخير منه سنة ١٩٧٢ .

اعتمد النحاس على هذا الكتاب فى مواضع كثيرة من كتابه سواء فى أخذ اللغات أم فى التوجيه النحوى . أم فى معالجة قضايا القراءات .

أما من ناحية إيراد اللغات فإنه يتصل بكتابين من كتب الفراء : كتاب المعانى وكتاب اللغات ، ولذلك سنمثل لما أخذه من الأول .

ومن أمثلة ما أورد عنه النحاس موجهاً لإشكال طال فيه النقاش حول الآية الكريمة : « إنّ هذانِ لَساحِرانِ » (سورة طه آية : ٦٣) فقال : قال الفراء - وجماعة من اللغويين - هى لغة بلحارث بن كعب حيث يقولون : رأيت الزيدان ومررت بالزيدان ، وأنشد الفراء :

فاطرق إطراقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَساغا لناباه الشجاعُ لصَمَّما

وارتضى النحاس : هذا التوجيه ، بعد عرض جملة آراء ، وروى الشاهد فيه ، وهو من معانى الفراء (١) .

أما من ناحية التوجيهات الإعرابية فقد اعتمد عليه فى مواطن منها ما جاء فى إعراب كلمة (هدى) فى الآية الكريمة « هدى للمتقين » (٢)

قال النحاس : (وفى هدى ثمانية أوجه : يكون فى موضع رفع خبراً عن ذلك وعلى إضمار مبتدأ وعلى أن تكون خبراً بعد خبر ، وعلى أن تكون رفعاً بالابتداء ، قال أبو إسحاق : ويكون المعنى : فيه هدى ولا ريب

---

(١) معانى الفراء ٢/١٨٤ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب

(٢) سورة البقرة آية : ٢

التمام ، فهذه أربعة أوجه فى الرفع . ويكون على وجه خامس وهو أن يكون رداً على موضع « لا ريب فيه » أى : حق هدى . ويكون نصباً على الحال من ذلك ، ويكون حالا من الـكتاب ويكون حالا من الهاء)(١).

وقال الفراء : (هدى : رفع من وجهين ونصب من وجهين : إذا أردت بالـكتاب أن يكون نعتاً لذلك ، كان الهدى فى موضع رفع لأنه خبر لذلك ، كأنك قلت : ذلك هدى لا شك فيه ، وإن جعلت « لاريب فيه » خبره رفعت أيضاً « هدى » تجعله تابعاً لموضع « لاريب فيه » فأما النصب فى أحد الوجهين فأنْ تجعل الـكتاب خبراً لذلك فتنصب (هدى) على القطع(٢) لأن هدى نـكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فتنصبها على القطع من الهاء التى « فيه » كأنك قلت لا شك فيه هادياً)(٣) .

وتأثر النحاس بالفراء فى هذه الناحية واضح جداً لأنه أخذ منه جل توجيهاته النحوية فى هذا النص .

ويأخذ منه بعض التوجيهات النحوية أحياناً دون أن (يسميه) بل يقول : « قال بعض النحويين »(٤) .

ولـكن مع كل ذلك لم أجد النحاس رَدّ على أحد من النحاة كما ورد على الفراء . . . . . وكأنه أورد جملة من آرائه لا ليعتمد عليها بل ليرد عليها رداً عنيفاً .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب

(٢) القطع عند الكوفيين هو الحال عند البصريين

(٣) معانى الفراء ١/١٠ – ١١

(٤) ينظر اعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب عند الحديث عن الآية الكريمة : (فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب فانه غفور رحيم) ويقابل بمعانى الفراء ١/٣٣٦

وقد وصف آراء الفراء « بالغلط القبيح » مرات .[1] ووصفها « بالغلط البين » مرة أخرى[2] .

ومن الملاحظ أن النحاس كثيراً ما يجمع بين رأى الكسائى ورأى الفراء ، لكنه يتناول رأى الفراء ويرد عليه بشدة ، ويرد على ما لا يرتضيه من آراء الكسائى برفق [3] أو يمسها مساً خفيفاً أو يتركها[4] .

(جـ) معانى القرآن للاخفش :

أشار النحاس إلى آراء الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) كثيراً... وارتضى جملة من آرائه فى معانى القرآن وساوى بينها وبين آراء سيبويه والكسائى . وأحياناً يساوى بين رأيه ورأى المبرد .

وليس معنى ذلك أنه ارتضى كل آراء الأخفش ، بل رد ما رآه لا ينسجم مع رأيه .

ويبدو لنا الأخفش ـ من خلال نقول النحاس ـ نحوياً من الطراز الأول . . . . . وآراؤه تحمل طابع الاستقلال والنضج وله آراء طريفة جداً ... أوردها النحاس .

ومن ذلك رأيه أن « مِنْ » فى قوله تعالى : « يخرج لنا مما تنبت الأرض » (البقرة آية : ٦١) ، زائدة [5] وهو خلاف رأى سيبويه حيث

---

(١) اعراب القرآن لوحة ١٨ : أ ، ١٣٢ : ب ، ٣٠٦ : ب

(٢) اعراب القرآن لوحة ١٦٧ : أ

(٣،٤) اعراب القرآن لوحة ١٨ : ب ، ٦٤ : أ ، ١٦٧ : أ

(٥) الاخفش : معانى القرآن ورقة ٤٦ : أ واعراب القرآن لوحة ١١ : ب ـ ١٢ : أ

يرى أنها لا تزاد إلا أن يكون ما قبلها غير موجب[1] وهو رأى المبرد أيضاً[2] وجمهور البصريين .

ونعنى بغير الموجب : النفى والنهى والاستفهام .

والذى أراه أن الحق مع « الأخفش » لأن (من) تزاد فى غير الموجب أيضاً ، ويؤيد هذا من الآيات :

- قوله تعالى : « يُحَلَّوْنَ فيها مِن أساورَ من ذهب » (الكهف آية ٣١).

- وقوله تعالى : « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » (الأنعام آية ٣٤) .

- وقوله تعالى : « يكفر عنكم من سيئاتكم » (البقرة آية ١٧١)

- وقوله تعالى « يَغْفِر لكم مِن ذنوبكم » (الأحقاف آية ٣١)

ومن الشعر قول عمر بن أبى ربيعة :

وينمى لها حُبُّها عندنا فما قال مِن كاشح لم يَضِرْ

وقد تابعه على ذلك بعض الكوفيين[3] وهو الرأى .

أما موقف النحاس من الأخفش فقد ارتضى رأيه فى أن الهاء فى « مثابة » من الآية الكريمة : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس »[4] ، للمبالغة لكثرة من يثوب إليه ، كما تقول نَسَّابة لمن يكثر ذلك[5] وارتضى ما يراه الأخفش من أن المقصود بالخطاب فى الآية الكريمة : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض »[6] هو (مكنا لهم فى

---

(١) كتاب سيبويه ١/٣٦٢

(٢) المقتضب ٤/٤٢٠ والجنى الدانى /٣١٧

(٣) الجنى الدانى فى حروف المعانى /٣١٨

(٤) سورة البقرة : آية ١٢٥

(٥) معانى الاخفش ورقة ٦٦ : أ واعراب القرآن لوحة ١٦ : أ

(٦) سورة الأنعام : آية ٦

الأرض) ، وجرى السياق على الأسلوب الأول للآية وهو من باب تحويل المخاطبة » والعرب تحول خطاب الشاهد إلى الغائب والغائب إلى الشاهد ، وأنشد الأخفش(١) :

بأبى وأمى صار جِدَّةُ خالدٍ   وبياضُ وجهِكَ فى التُّراب الأعفر

وهو توجيه سليم ، والأخفش مع الفراء من القلائل الذين نظروا إلى الأساليب وتجاوزوا البناء الشكلى للجملة العربية .

وقد ساوى النحاس بينه وبين سيبويه والكسائى فى توجيه الواو (من الآية ١٠ : سورة البقرة) : « أو كلما عاهدوا عهداً » .

قال الأخفش : الواو زائدة(٢) ، ومذهب سيبويه أنها واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام ، ومذهب الكسائى أنها (أو) حركت الواو منها (٣) . وجعل النحاس قول الأخفش أبين الأقوال فى إعراب « ما » فى الآية الكريمة : « بئس ما شَرَوا بِهِ أنفُسَهم » .(٤)

فقد قال الكسائى : « ما » واشتروا اسم واحد فى موضع وقال الفراء يجوز أن تكون ما مع بئس بمنزلة كلما .. وقال الأخفش : هو مثل قولك : « بئس رجلا زيد » والتقدير بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم ومثله « إن تبدوا الصدقات فَنِعِمّا هى »(٥) ، ومثله « إن الله نعما يعظكم به »(٦) وعقب

---

(١) معانى الاخفش ورقة ١٠٩ : ب (ولم أجد فيه الشاهد فى هذا الموضع من السورة) واعراب القرآن لوحة ٦٥ أ

(٢) معانى الاخفش ورقة ٦٣ : ب

(٣) اعراب القرآن لوحة ١٥ : أ

(٤) سورة البقرة : آية ١٠٢

(٥) سورة البقرة : آية ٢٧١

(٦) سورة النساء : آية ٥٨

أبو جعفر النحاس على هذه الآراء بقوله : « أبين هذه الأقوال قول الأخفش »[١] .

والنحاس لم يرتض كل أقوال الأخفش بل رد عليه أحياناً . ففي بيان أوجه القراءات في الآية الكريمة : «وقولوا للناس حُسْنا»[٢] .قال النحاس: « قرأ الكوفيون حَسَنا[٣] ، أي : قولا حسنا . وقال الأخفش : حُسْن وحَسَن مثل بُخْل وبَخَل » . وقول الأخفش يعني أن القراءتين بمعنى واحد ، لكن هذا الرأي مردود — عند النحاس — بقول المبرد : « يقبح في العربية أن تقول مررت بحسن على أن تقيم الصفة مقام الموصوف لأنه لا يعرف ما أردت »[٤] .

ورأي المبرد مرجوح للأسباب الآتية : الأول أن سياق الآية يفهم منه الحذف ، ولا سيما بعد فعل فعل الأمر : وقولوا للناس حسنا . وسياق الآية لا يشبه المثال الذي أورده : مررت بحسن . فالآية على تقدير محذوف أي : قولوا قولا حسنا ، وليس « مررت بحسن » مثلها . والسبب الثاني أن القراءة سبعية متواترة ، قرأ بها حمزة والكسائي[٥] فهي ثابتة عن

---

(١) اعراب القرآن لوحة ١٤ أ ــ ب ومعاني الاخفش ورقة ٦٣ : أ
(٢) سورة البقرة آية : ٨٣
(٣) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب (وقول النحاس : قرأ الكوفيون«حسنا»، تعبير غير دقيق لان هذه القراءة ليست قراءة جميع الكوفيين ، وهم : عاصم وحمزة والكسائي ، بل هي قراءة حمزة والكسائي ، دون عاصم أما عاصم فقرأها بضم الحاء وسكون السين ، ينظر كتاب السبعة /١٦٢) ٠
(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب
(٥) كتاب السبعة /١٦٢ والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢٥٠/١، والمحرر الوجيز ٣٣٧/١

رسول الله فلا ترد برأى حتى لو كان موافقاً للقياس النحوى . . فكيف به وهو غير موافق له ؟ .

والسبب الثالث: أن هذا التقدير ارتضاه جمهور من علماء اللغة والنحو غير الأخفش ، منهم: الزجاج ومكى بن أبى طالب وابن عطية وأبو حيان[1]

(د) معانى القرآن للمبرد :

وهو من كتب المبرد المفقودة. ولكنه مذكور فى مجموعة من المصادر[2] .

وقد نقل منه النحاس فى مواضع عديدة وارتضى جملة من آرائه وكان رده عليه قليلا إذا ماقيس برده على الفراء .

واعتماده عليه إما فى توضيح مشكل آية أو ترجيح قراءة أو الرد على مالا يراه صحيحاً من آراء بعض النحاة .

أما من جهة توضيح مشكل آية فمن أمثلته ماجاء فى حديثه عن الآية الكريمة « والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم وَيَذَرون أزواجاً يتربصْنَ بأنفسهِنّ أربعة أشهرٍ وعشرا »[3] .

ـــ والإشكال هو : أين خبر الذين ؟

فى ذلك أقوال : فالأخفش يقول بالتقدير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربص بعدهم أو بعد موتهم ، ثم حذف هذا كما يحذف شيء كثير.

---

(١) المحرر الوجيز ٣٣٧/١ والبحر المحيط ٢٨٥/١ والكشف ٢٥٠/١

(٢) الفهرست /٣٤ ، ٨٨ ، وتاريخ ٣٨٧/٣ وانباه الرواة ٢٥١/٣ والبغية ٢٧٠/١ ، وطبقات المفسرين ٢٦٩/٢

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٤

والكسائى يقول : التقدير : يتربص أزواجهم ، كما قال تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا .. لا تقم فيه أبداً »[١] ، أى : لا تقم فى مسجدهم .

ثم يقول النحاس : ومن أحسن ماقيل فيها قول أبى العباس محمد بن يزيد : قال : التقدير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً أزواجهم يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ، ثم حذف كما قال الشاعر :

وما الدهرُ إلا تارتانِ فمنهما أموتُ وأخرى أبتغى العيشَ كادح[٢]

أما من جهة اعتماده عليه فى ترجيح قراءة فمن أمثلته ماجاء فى الحديث عن الآية الكريمة : « لا ينال عهدى الظالمين »[٣] . وهى قراءة السبعة لاخلاف بينهم فى نصب « الظالمين » .

وقد أورد النحاس أن عبدالله[٤] وأبارجاء[٥] والأعمش[٦] ، قرءوا : « لا ينال عهدى الظالمون » .

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٧ .

(٢) اعراب القرآن لوحة ٢٦ : أ (والتقدير : فمنهما تارة أموت وأخرى) وقد استشهد به سيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه ـ كتاب سيبويه ٣٧٦/١ « كدح » والاعلم على سيبويه ٣٧٦/١) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٢٤ .

(٤) عبد الله هو ابن مسعود الصحابى الجليل المتوفى بالكوفة ٣٢ هـ (طبقات القراء ٤٥٨/١) .

(٥) أبو رجاء هو عمران بن تيم أبو رجاء العطاردى البصرى التابعى الكبير لقى أبا بكر الصديق وحدث عن عمر رضى الله عنهما توفى ١٠٥ هـ (طبقات القراء ٦٠٤/١)

(٦) الاعمش هو سليمان بن مهران الامام الجليل ت ١٤٨ هـ (طبقات القراء ٣١٥/١) .

قال الفراء : ما نالك فقد نلته . كما تقول : قلت خيراً ونالنى خير . أى أن القراءتين بمعنى واحد .

وعقب النحاس على قول الفراء بما يفيد رفضه إياه مستنداً إلى ما حكاه عن المبرد أنه قال : « المعنى يوجب نصب الظالمين »(١) .

أما من جهة الاستناد إلى رأيه فى الرد على رأى الآخرين فمن أمثلته ما جاء فى الحديث عن الآية الكريمة : « وَقِنا عذابَ النارِ »(٢) .

فالأصل فى « قِنا » : « أَوْقِنَا » ، حذفت الواو كما حذفت من « بقِى » لأنها بين ياء وكسرة ، هذا قول البصريين . وقال الكوفيون : حذفت فرقاً بين اللازم والمتعدى .

وعقب النحاس على قول الكوفيين بقوله : « قال محمد بن يزيد : هذا خطأ لأن العرب تقول : ورم يرم فيحذفون الواو »(٣) .

وليس معنى الاستشهاد بأقوال المبرد أن النحاس يرتضى كل آرائه ، بل قد يرد عليه ومن أمثلة ذلك ماجاء فى الحديث عن الآية الكريمة : « فإنَّهمْ لا يُكَذِّبونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ »(٤) .

قال النحاس : (حُكى عن محمد بن يزيد أنه قال : يُكْذِبونك ويُكَذِّبونك بمعنى واحد . وقد قيل : يُكْذبونك بمعنى لايجدونك كاذباً ، ثم عقب عليه بقوله : قال غيره : معنى لا يُكَذِّبونك لا يكذبونك بحجة

(١) اعراب القرآن لوحة ١٦ : أ
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠١
(٣) اعراب القرآن لوحة ٢٢ : ب
(٤) سورة الانعام آية : ٣٣

بلا برهان ويدلك على ذلك «ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون»[1]) .

وهذا تعقيب يفهم منه رد رأى المبرد وترجيح رأى غيره .

(هـ) معانى القرآن للزجاج :

يبدو أن معانى القرآن للزجاج من الكتب المهمة فى موضوعه لأن النحاس أكثر من النقل عنه[2] . والنحاس لا يفعل ذلك اعتباطاً كما أنه من أهم كتب الزجاج ولذلك سماه القفطى : « صاحب كتاب معانى القرآن »[3] . ومما يؤكد ماذهبنا إليه أن للزجاج كتباً كثيرة غير هذا نخص المعانى بالذكر للأهمية .

وقد ارتضى النحاس مجموعة من آرائه ، فقد ارتضى رأيه فى علة تحريك نون « نحن » بالضم حيث قال : (نحن للجماعة ، ومن علامة الجماعة الواو ، والضمة من جنس الواو ، فلما اضطروا إلى حركة « نحن » لالتقاء الساكنين حركوها بما يكون للجماعة ولهذا ضموا واو الجميع فى « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى »[4] .

وارتضى قوله فى بيان معنى الآية الكريمة : « يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم »[5] قال أبو إسحاق : (يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة وجميع ما يكون . وماخلفهم : ماوقع من أعمالهم)[6] .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٦٦ : أ

(٢) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب ، ٤ : أ ، ٨ : ب ، ١٣ : ب ، ١٢٩ : ب ، ١٣٧ : أ ــ ب ١٣٣ : أ

(٣) انباه الرواة ١/١٥٩

(٤) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ ، ٥ : ب

(٥) سورة طه آية : ١١٠

(٦) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : ب

ووافقه على رأيه فى جواز قراءة «قبضة» فى الآية الكريمة : «فقبضتُ قُبْضَةً من أثر الرسول »(١) بضم القاف مثل غرفة(٢) . ومع أنه لم يقرأ بها أحد من القراء السبعة ولا العشرة ولا الأربعة عشر(٣) .

وعندما حكى « الفراء » : (أولاى) لغة فى (أولاء) ، عند الحديث عن الآية الكريمة : « هُمْ أولاءِ على أَثَرِى » (٤) ، رفض أبو إسحاق الزجاج هذا وزعم أنه « لا وجه له » (٥) ، فارتضى النحاس رأى الزجاج وأيده بالحجة قائلا : (وهو كما قال لأن هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداى ، ولا يخلو من إحدى جهتين: إما أن يكون اسماً مبهماً فإضافته محال، وإما أن يكون بمعنى الذى فلا يضاف أيضاً لأن ما بعده من تمامه) .

ولكنه مع كل هـــذه الاقتباسات رد مجموعة من آراء أستاذه الزجاج وأقواله .

فحين يرى الزجاج أن « الفرقان » فى الآية الكريمة : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان »(٦) ، هو « الكتاب » أعيد ذكره ، ينكر النحاس هذا الرأى ويقول : (هذا بعيد إنما يجىء فى الشعر ، كما قال : «وألفى قولها كذباً ومينا» ويرى أن أحسن ما قيل فى الآية قول مجاهد: إن الفرقان معناه فرق بين الحق والباطل الذى علمه إياه)(٧) .

---

(١) سورة طه آية : ٩٦
(٢) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : أ
(٣) ينظر كتاب السبعة / ٤٢٤ والكشف ٢/ ١٠٥ والمبهج فى القراءات ٣٢٨
(٤) سورة طه آية : ٨٤
(٥) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : أ
(٦) سورة البقرة آية : ٥٣
(٧) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ

وعندما يقول الزجاج إن «أدنى» فى قوله تعالى : « أَتَستبدِلونَ الذى هو أدنى بالذى هو خير » (١) ، من الدنو الذى هو أقرب من قولهم : « ثوب مقارب » أى : «قليل الثمن »(٢) ، يرده النحاس قائلا : (وأجود منه أن المعنى - والله أعلم - أتستبدلون الذى هو أقرب إليكم فى الدنيا بالذى هو خير لكم يوم القيامة لأنهم إذا طلبوا غير ما أمروا بقبوله فقد استبدلوا الذى هو أقرب إليهم فى الدنيا مما هو خير لهم من الثواب)(٣) .

وقد رد عليه فى مواطن أخرى كرده عليه رأيه فى جواز إمالة (طه)(٤) وهذه الردود وتلك إن دلت على شىء فإنما تدل على استقلال الرأى وتكامل الشخصية بعيداً عن التقليد . . . وهى صفات العالم المجتهد المفكر الناضج .

(و) معانى القرآن لابن كيسان :

هو من كتب ابن كيسان المفقودة ، ولكنه ذكر له فى مجموعة كبيرة من مصادره(٥) .

وما دامت جل كتبه مفقودة ، فإن النقول الكثيرة التى أوردها النحاس عنه (٦) ، تعد ذات أهمية خاصة لأنها حفظت مجموعة من آراء ابن كيسان اللغوية والنحوية

---

(١) سورة البقرة آية : ٦١

(٢،٣) اعراب القرآن لوحة ١٢ : أ

(٤) اعراب القرآن لوحة ١١٩ : ب

(٥) الفهرست /٨١ ومعجم الادباء ١٣٩/١٧ وانباه الرواة ٥٧/٣ والبغية ١٨/١ ، وطبقات المفسرين ٥٤/٢

(٦) اعراب القرآن لوحة ٣ : أ ، ٣ : ب ، ٤ : أ ، ٤ : ب ، ٥ : أ ، ٥ : ب ، ٧ : ب ، ٩٠ : أ ، ٦٧ : ب ٠٠ الخ ٠

ففى إعراب «ألم» من أول البقرة ، نقل عنه أنه قال : (ألم فى موضع نصب بمعنى اقرأ « ألم » أو عليك « ألم » ويجوز أن يكون موضعه رفعاً بمعنى هذا « ألم » أو ذاك)[1] ، ويمكن أن يقاس على هذا جميع ما ورد فى القرآن فى فواتح السور من هذه الحروف ، مثل : «ن» و «ق» و«ص» و « حم » و « كهيعص » وغيرها .

ونقل عنه أنه يرى جواز إعراب « سواء » فى الآية الكريمة : «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »[2] ، (خبر يقوم مقام الفاعل ويجوز أن يكون خبر إن : « لا يؤمنون » ، أى : إن الذين كفروا لا يؤمنون)[3] .

وارتضى رأيه فى أن تجمع « تجارة » على « تجائر » مثـل ضلالة وضلائل[4] .

وارتضى رأيه فى أن ميثاقاً فى الآية الكريمة : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه »[5] ، (اسم يؤدى عن المصدر) ، كما قال الشاعر :

أكفراً بعد رد الموت عنى ... وبعد عَطائِكَ المائةَ الرِتاعا[6]

وموقف النحاس من آراء أستاذه يتلخص فى أنه يعرض آراءه مع آراء اللغويين والنحاة كالكسائى والفراء وثعلب والمبرد والزجاج ، وقلما استدرك عليه أو عقب على آرائه[7] .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب
(٢) سورة البقرة آية : ٦
(٣) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب
(٤) اعراب القرآن لوحة ٥ : ب
(٥) سورة البقرة آية : ٢٧
(٦) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ
(٧) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ

ثانيـا ـ كتب اعراب القـرآن :

كتب إعراب القرآن التى سُبق بها النحاس كثيرة ، ونكتفى بذكر أسماء من أشار إلى أصحابها فى كتابه ، وهى :

(أ) إعراب القرآن (١) لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) .

(ب) إعراب القرآن (٢) لأبى عبيدة (ت ٢١٠ هـ) .

(جـ) إعراب القرآن (٣) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

(د) إعراب القرآن (٤) لثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

وكل هذه الكتب مفقودة ، ولولا نقول النحاس منها لظلت معرفتنا بها لا تتعدى أسماءها .

أما من حيث كثرة النقول وقلتها فيمكننا أن نرتب أسماء هؤلاء حسب التسلسل الآتى : —

ثعلب ـ ثم أبو عبيدة ـ ثم ابن قتيبة ـ ثم قطرب .

أما من حيث قبول الآراء وردها ، فإن النحاس أخذ من آراء هؤلاء وأقوالهم ما رآه صحيحاً ورد ما عدا ذلك .

---

(١) الفهرست /٥٣ ومعجم الادباء ٥٣/١٩ والبغية ٢٤٣/١ وطبقات المفسرين ٢٥٥/٢

(٢) الفهرست /٥٤

(٣) الفهرست /٧٨ وانباه الرواة ١٤٦/٢ وترتيب المدارك ٢٩٢/٣ وطبقات المفسرين ٢٤٥/١

(٤) انباه الرواة ١٥١/١ وفيات الاعيان ٨٧/١ والبغية ٣٦٥/٢ وطبقات المفسرين ٣٨٦/٢

النحـاس وثعلب :

أما من حيث موقفه من « ثعلب » فإنه ارتضى رأيه فى أن (مثلا) منصوب على القطع (الحال) [١] فى الآية الكريمة : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » [٢] .

وارتضى النحاس رأيه فى أن « ما » الثانية الواردة فى الآية الكريمة : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم » [٣] . تعرب فى محل نصب عطفاً على ما الأولى المنصوبة على الاستثناء [٤] .

وارتضى رأيه فى أن « فرادى » تأتى بصيغة المعدول من العدد أى : « فراد » مثل ثُلاثَ ورُباعُ [٥] .

ولكن النحاس رفض رأى ثعلب القائل : إن الفاعل المتقدم مرفوع بفعله ينوى به التأخير [٦] ، وذلك عند إعراب الآية الكريمة : « إذا السماء انفطرت » . وهو رأى الكوفيين ولم ينفرد به ثعلب . ويخالفهم البصريون ومعهم النحاس فيرون أنه مرفوع بفعل مقدر يفسره المذكور لأن « إذا » مختصة بالدخول على الأفعال [٧] .

غير أن النحاس ارتضى رأى الكوفيين وتبناه فى كتاب التفاحة [٨] .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب
(٢) سورة البقرة آية : ٢٦
(٣) سورة الانعام آية : ١٤٦
(٤) اعراب القرآن لوحة ٧٢ : أ
(٥) اعراب القرآن لوحة ٦٩ : أ
(٦) اعراب القرآن لوحة : ٣٠٦
(٧) كتاب سيبويه ٤٦١/١ ، والمقتضب ٧٧/١ والخزانة ٤٥٠/١ — ٤٥١
(٨) كتاب التفـاحة /١٧

النحـاس وأبو عبيـــدة :

أبو عبيدة معمر بن المثنى قرين الأصمعى ، ولم تـكن هذه المنزلة لتخفى على مثل النحاس ولذلك استفاد من كتبه فى أماكن كثيرة .

فمن الآراء التى ارتضاها له ما حكاه أن بعض العرب يجزم بـ « لا » كما يجزم بـ « لم »[1] .

وارتضى رأيه فى جواز قراءة (أتحاجونى) بنون واحدة خفيفة حيث قال محتجاً لها : « إنما كره التثقيل من كرهه للجمع بين ساكنين ، وهما الواو والنون فحذفوا النون . [2] . أى : من : أتحاجوننى وحذف النون هى قراءة عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) ، ونافع (ت ١٦٩ هـ) وهما من القراء السبعة[3] .

وقد جعل أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) هذه القرائن «لحناً» وهو اتجاه غير سليم وذلك من ناحيتين : فمن الناحية الأولى تعد هذه القراءة متواترة ، أى : أنها ثابتة عن رسول الله ﷺ ، أما من الناحية الثانية فهى واردة فى اللغة ، فقد أنشد سيبويه والأخفش وغيرهما ، لعمرو بن معدى كرب[4] :

تراه كالثغام يعلّ مِسكاً يسوء الفاليات إذا فلينى

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧ : أ

(٢) اعرا بالقرآن لوحة ١٣١ : ب

(٣) كتاب السبعة /٢٦١ والكشف ٤٣٦/١ (وهذا الحرف فى الآية : ٨٠ من سورة الأنعام .

(٤) الكتاب ١٥٤/٢ ومعانى الاخفش ورقة ٩٧ : ب ، والقزاز القيروانى ما يجوز للشاعر ١٢٤ ـ ١٢٥ واللسان (فلا) ٢٢/٢٠

أراد « فليفنى » ، بنونين لحذف الثانية استخفافاً لاجتماع المثلين متحركين ولا يجوز حذف الأولى - كما يقول الأخفش - لأنها الاسم المضمر(١) .

ومثلها ما قال أبو حية النميرى :

أبِالموت الذى لابُدّ أنى ملاق لا أباك تخوفينى

أراد « تخوفيننى »(٢) فحذف ، وعلى هذا قراءة(٣) من قرأ : « فبم تبشرون » (سورة الحجر آية : ٥٤) .

وهى قراءة « سبعية » أيضاً ، قرأ بها أهل المدينة لا سيما « نافع »(٤) .

ولكن النحاس رفض رأى أبى عبيدة القائل : إن « إذ » زائدة ، فى الآية الكريمة : « وإذ قال ربك للملائكة »(٥) ، وحجة النحاس أن « إذ » ظرف زمان ، والظروف ليست مما يزاد(٦) ، وما ذهب إليه النحاس ذهب إليه جمهور يعتد به من اللغويين والنحاة(٧) .

ورفض رأيه فى جواز الجر على الجوار(٨) ، وقد أشرنا إلى هذا الرأى من قبل وناقشناه .

---

(١) الكشف ٤٣٦/١ واللسان (فلا) ٢٢/٢٠

(٢،٣) معانى الأخفش ورقة ٩٧ : ب ، ٩٨ : أ واللسان (فلا) ٢٢/٢٠

(٤) كتاب السبعة /٣٦٧ والكشف ٣٠/٢ والمنهج فى القراءات /٣٠٥

(٥) سورة البقرة آية : ٣٠

(٦) اعراب القرآن لوحة ٨ : أ

(٧) المحرر الوجيز ٢١٦/١ وتفسير القرطبى ٢٣٤/١ والبحر المحيط ١٣٧/١

(٨) اعراب القرآن لوحة ٢٤ : أ

النحاس وابن قتيبة :

يطلق النحاس نسبة « القتبى » على ابن قتيبة ولا يسميه ولا يكنيه في إعرابه .

فمرة أورد توجيهه للآية الكريمة : «ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم»[١] . حيث قال : هى على تقدير : ثم أنتم ياهؤلاء[٢] وقد خطأه النحاس في هذا استناداً إلى أنه لا يجوز عند سيبويه « هذا أقبل »[٣] .

وفى المرة الأخرى ارتضى رأيه القائل : (إنما قيل للخير وسط لأن الغلو والتقصير مذمومان)[٤] .

النحـاس وقطـرب :

استشهاد النحاس بقطرب قليل نسبياً ، فقد استشهد برأيه على إبدال السين صاداً حيث نقل عنه أنه قال : « إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاء أو قاف أو خاء أو عين فلك أن تقلبها صاداً »[٥] .

لكنه رفض توجيهه للآية الكريمة : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان »[٦] ، إذ يقول : (يكون « وإذ آتينا موسى الكتاب » أى : التوراة ، ومحمداً الفرقان)[٧] ، وعقب عليه النحاس[٨] ، قائلا : (هذا خطأ فى الإعراب ، والمعنى : أما الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله ،

---

(١) سورة البقرة آية : ٨٥
(٣،٢) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب
(٤) اعراب القرآن لوحة ١٧ : ب
(٥) اعراب القرآن لوحة ٣ : أ
(٦) سورة البقرة آية : ٥٣
(٨،٧) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ

وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه ، وأما المعنى فقد قال فيه جل وعز : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان »(١) . وهذه المواقف من آراء أصحاب كتب « إعراب القرآن » تجعلنا نقرر النتيجة الآتية ـ ونحن مطمئنون ـ وهي أن النحاس أخذ من هذه الكتب ورد وقبل ورفض شأنه في ذلك شأن أكابر العلماء وعظماء المفكرين الذين لا يقبلون الآراء على علاتها . . . بل يرتضون ما يرونه موافقاً لمنهجهم وأدلتهم ويرفضون ما عداه .

ثالثا ـ كتب اللغات :

أكثر النحاس من إيراد اللغات في كتابه « إعراب القرآن » وقد سبق بمجموعة من كتب اللغات (٢) ، ونحن نكتفي بإيراد من أشار إليهم من مؤلفيها .

فقد أشار في كتابه ـ عند الحديث عن اللغات ـ إلى اسماء كل من : يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) والكسائي (ت١٨٩ هـ) والفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) .

ولكل واحد من هؤلاء كتاب في اللغات إلا الكسائي ، فالراجح أن اللغات التي أوردها النحاس عنه ، منقولة من كتابه « معاني القرآن » كما أن بعض ما يرويه عن « الفراء » من لغات موجودة في كتابه المعاني(٣) .

---

(١) سورة الانبياء آية : ٤٨

(٢) ينظر الفهرست /٣٥ وانباه الرواة ٣٥/٢ والبغية ٣٦٥/٢ وطبقات المفسرين ١٨٠/١ ، ٣٢٧/٢ ، ٣٦٧

(٣) معاني الفراء ١٨٤/٢ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب

النحــاس ويونس :

أما يونس بن حبيب فقد حكى عنه النحاس أنه سمع « رؤبة » يقرأ: « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة »[١] ، برفع بعوضة موجهاً ذلك على لغة تميم ، حيث جعل «ما» بمعنى «الذى» ورفع «بعوضة» على إضمار مبتدأ[٢]

وفى الحديث عن الآية الكريمة : « ليحاجوكم به عند ربكم »[٣] ، روى عن يونس أنه قال : (وناس من العرب يفتحون لام كى)[٤] ، وارتضى رأيه .

النحــاس والكســائى :

وقد حكى عن الكسائى لغة بنى أسد « لرأف » على « فعل » لغة فى « رؤوف »[٥]

النحــاس والفــراء :

أما بالنسبة للفراء فقد حكى عنه أنه قال : (يقال زوجة لغة فى زوج) . وأنشــد :

إن الذى يمشى يحرش زوجتى كماش إلى أسد الشرى يستبيلها

وهو للفرزدق ، وروايته كما يقول النحاس : « وإن الذى يسعى

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦
(٢) اعراب القرآن لوحة ٧ : ب
(٣) سورة البقرة آية : ٧٧
(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣ : أ
(٥) اعراب القرآن لوحة ١٨ : أ

ليفسد زوجتى » (١) ، ولعل النحاس رجح الرواية الأخيرة لأن البيت من الطويل ، فيكون على رواية الفراء « مخروماً » .

وما ذكره الفراء لغة لتميم (٢) ، ولا يوجد فى كتابه « المعانى » فالراجح أنه من كتابه « اللغات » .

النحاس وأبو زيد الانصارى :

أما أبو زيد الأنصارى فهو من أكثر مصادر النحاس ثقة .

فقد وصفه بصفات لم تجتمع فى وصف أساتذته كالزجاج وابن كيسان. ـ وذلك عندما أورد التوجيهات الكثيرة لحل الإشكال الوارد فى إعراب الآية ٦٣ من سورة طه : « إن هذان لساحران » . حيث جاء قوله : (وقول من قال إنها لغة بالحارث من أحسن ما حملت عليه الآية ، إذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يرضى علمه وصدقه وأمانته منهم : أبو زيد وأبو الخطاب الأخفش)(٣) .

وفى بيان أوجه القراءات فى الآية الكريمة : « فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤) ، أورد أن عاصما الجحدرى وعيسى بن عمر وابن أبى إسحاق قرؤوا : « فمن تبع هُدَىَّ » وارتضى هذه القراءة اعتماداً على قول أبى زيد « هذه لغة هذيل » يقولون : هُدَىَّ وعَصَىّ ، وأنشد :

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٧ أ

(٢) اللسان « زوج » ٣/١١٧

(٣) اعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب

(٤) سورة البقرة آية : ٣٨

سَبَقوا هَوَىَّ وأعنقوا لهواهم فتُخرموا ولكل جنب مصرع(١)

فليس بغريب ـ بعد ذلك ـ أن يستشهد بما حكاه أبو زيد من لغات العرب دون أن يعقب عليه(٢) .

رابعا ـ كتب القراءات :

تحدث النحاس عن القراءات فى كتابه « إعراب القرآن » كثيراً بحيث لم يترك منها إلا مالا غناء فيه لبحثه .

ولكن السؤال الذى يبرز هنا هو : أى كتاب اتخذه النحاس أساساً فى بيان القراءات ؟

الظاهر أنه اعتمد على (كتاب القراءات) لأبى عبيد القاسم (٣) بن سلام بدليل أنه نقل منه مجموعة من القراءات بتفصيلاتها(٤) ، وهذا وحده لا يكفى فإنه أورد مجموعة كبيرة من اختيارات « أبى حاتم السجستانى » ولكنه رفضها إلا قليلا منها(٥) ، لأنه أبدى شكه فيما يرويه أبو حاتم من قراءات لأن الأخير كثير الحكاية عن « عصمة بن عروة البصرى » وهو « ضعيف » (٦) عند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ،

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب (وذكر النحاس هذا الشاهد لابى ذؤيب الهذلى توجيها لقراءة عاصم وابن أبى اسحاق (ومحيى) ، فى الآية ١٦٢ من سورة الانعام دون أن يشير الى اسم أبى زيد ، وحكم القراءتين واحد والشاهد واحد (ينظر اعراب القرآن لوحة ٧٣ : ب)

(٢) اعراب القرآن لوحة ٦٥ : ب

(٣) ذكر له فى معجم الادباء ١٦/٢٦٠ وانباه الرواة ٣/٢٢ وطبقات الشافعية ١/٢٧٠ والبغية ٢/٢٥٣ وطبقات المفسرين ٢/٣٤

(٤) اعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب ، ١٧١ : أ

(٥) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، ٢٣ : ب ، ٣١ : ب ، ٦٩ : ب

(٦) اعراب القرآن لوحة ١٦٦ : ب

و « مجهول »[١] عند غيره ، فكيف يعتمد النحاس ـ وهو العالم المقرىء المحدث ـ على كتاب القراءات لمؤلف يروى فيه كثيراً عن «ضعيف مجهول» مع أن المعتمد فى القراءات هو شرط التواتر عند جميع القراء ؟

ولابد من قرينة أخرى غير كثرة تردد الاسم .

أما بالنسبة لأبى عبيد فتوجد قرينتان ترجحان اعتماد النحاس على كتابه فى القراءات :

الأولى : أن النحاس لم يبد شكا فيما يرويه أبو عبيد من قراءات ـ وإن خالفه فى بعض توجيهاته اللغوية والنحوية . فكيف يبدى شكا فى رواية أبى عبيد المجمع على إمامته [٢] . وثقته فى الحديث والقراءة وعلوم القرآن؟

كما أن كتاب أبى عبيد فى القراءات كان مصدراً لفحول علماء القراءات فى عصر النحاس فقد اتخذه الإمام محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، أساسياً لكتابه « الجامع فى القراءات »[٣] ، وجعله ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) من مصادر كتابه « السبعة »[٤] ، وهما معاصران لأبى جعفر النحاس (ت ٣٨٨ هـ) ، فلا يمكن أن تخفى عليه شهرة كتاب يمثل هذه الأهمية

---

(١) طبقات القراء ٥١٢/١ (حيث ترجمة عصمة بن عروة ولم يذكر سنة وفاته)

(٢) تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ وانباه الرواة ٢٢/٣ وميزان الاعتدال ٣٧١/٣ وطبقات الشافعية ٢٧٠/١ وطبقات القراء ١٨/٢ وطبقات المفسرين ٣٣/٢

(٣) معجم الادباء ٦٧/١٨

(٤) كتاب السبعة ٣٩٦/

والقرينة الأخرى : أن كتاب أبى عبيد تضمن قراءة (٢٥) قارئاً منهم القراء السبعة [١] . ومما دلم كتاب الطبرى قد تضمن قراءة (٢٢) قارئاً من الصحابة والتابعين ومن بعدهم [٢]، وهو مبنى أساس كتاب أبى عبيد، فإن الأخير كان متضمناً لما تضمنه كتاب « الجامع » ، وعند تتبع القراء الذين أوردهم النحاس لا نجده يخرج عن هذه الحدود لا من حيث العدد ولا من حيث الفترات الزمنيــة للطبقات من صحابة وتابعين ومن جاء بعدهم .

فإذا جمعنا هاتين القرينتين وأخذنا بهما فإنه يترجح لدينا أن كتاب أبى عبيد فى القراءات كان أساساً لإيراد القراءات عند النحاس .

كما أن النحاس اعتمد على مصادر مساعدة ، أوردت مجموعة من القراءات مثل : « معانى القرآن » للفراء ، الذى ذكره النحاس ونقل منه مراراً قسما فى القراءات [٣] ، وكذلك نقل من « معانى القرآن » للكسائى [٤] ومعانى القرآن « للأخفش » [٥] .

خامسا ـ كتب النحـــو :

أكثر النحاس من إيراد أقوال النحاة وآرائهم عند إعراب آى الذكر الحكيم ، وأشهر الذين أورد آراءهم : الخليل وسيبويه والأخافشة الثلاثة والكسائى والفراء وثعلب والمبرد والزجاج وابن كيسان .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١/٣٤

(٢) الابانة عن معانى القراءات /١٩ والنشر ١/٣٧

(٣) معانى القرآن ١/٣٣٦ واعراب القرآن لوحة ٦٦ : ب وكذلك معانى الفراء ٢/١٨٤ واعراب القرآن لوحة ١٣١ : ب ، ومعانى الفراء ٣/٣٤٤ ، واعراب القرآن لوحة ٣٠٦ : ب

(٤) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ ، ٦٤ : أ

(٥) اعراب القرآن لوحة ٦ : أ ، ١٣ : ب

وما دمنا قد أوردنا – عند الحديث عن كتب معانى القرآن وأعاريبه – مجموعة من آراء جماعة منهم ، فإننا سنقتصر على إيراد أمثلة من آراء الخليل وسيبويه والمبرد ، لأننا لم نتحدث عن آراء الخليل وسيبويه ، كما أننا لم نشر إلى آراء المبرد التى أوردها النحاس من « المقتضب » أو من غير « معانى القرآن » .

الخليل والنحاس :

أشار النحاس إلى مجموعة من آراء الخليل اللغوية والنحوية ، وهى وإن كانت كلها فى كتاب سيبويه ، إلا أن النحاس أخذ قسما منها من غير الكتاب ، ومن ذلك قلب الواو تاء ، ففى إعراب الآية الكريمة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »(١) ، تحدث عن أصل « التقية » فقال : (التقية أصلها الوقية ، من وقيت أبدلت من الواو تاء لأنها أقرب الزوائد وقد فعلوا ذلك من غير أن يكون ثم تاء ، كما حدثنا « على بن سليمان » عن « محمد بن يزيد » عن « المازنى » قال : سألت الأصمعى عن قول الشاعر (العجاج) :

* فإن يكن أمسى البلى تيقورى *

وقلت له قال الخليل : هو فيعول من الوقار فأبدلت من الواو تاء ، فقال هذا قول « الأشياخ »(٢) .

وقول الخليل هذا فى كتاب سيبويه(٣) وأكثر الأقوال التى نسبها النحاس إلى الخليل أخذها من « الكتاب » مباشرة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢

(٢) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ

(٣) كتاب سيبويه ٢/٣٥٦

ومن الأمثلة عليها حديثه عن معنى « لإيلاف قريش » حيث أورد قول الفراء (اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت)(١) ، على حذف(٢) ، ثم قال النحاس : (وواضح من هذا قول الخليل : لأنْ يؤلف الله عز وجل قريشاً فليعبدوا رب هذا البيت) . أي : فليعبدوه . ثم استحسن قول الخليل وجعله من دقائق النحو التى أغفلها أمثال الفراء .

ورأى الخليل فى كتاب سيبويه(٣) .

كما نص على أنه نقل رأياً آخر للخليل من كتاب سيبويه(٤) . وهذا نادر ، لأن النحاس قلما يذكر أسماء الكتب التى ينقل منها .

النحاس وسيبويه :

نقل النحاس مجموعة كبيرة من أقوال سيبويه وآرائه تفسيراً لقسم من القضايا اللغوية والنحوية أو مستنداً إليها فى الرد على خصومه أحياناً :

ففى إعراب الآية الكريمة : «ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم(٥) » قال : « أيديهم » فى موضع رفع ، حذفت الضمة من الياء مع الكسرة ، وأجاز سيبويه ضمها وكسرها فى الشعر وأنشد لابن قيس الرقيات :

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣٢٢ : ب

(٢) النص فى معانى الفراء ٢٩٣/٣ جاء هكذا : (أنه تبارك وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال اعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى على قريش فى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، ثم قال : « فلا يتشاغلن بذلك عن اتباعك وعن الايمان بالله ، فليعبدوا رب هذا البيت)

(٣) كتاب سيبويه ٤٦٤/١

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣ أ ، والكتاب ٤٠٧/١

(٥) سورة البقرة آية : ٩٥

لا بارك الله فى الغوانى هل يُصْبِحْنَ إلاّ لَهُنّ مُطَّلَبُ

وقد أورد سيبويه هذا البيت شاهداً على تحريك الياء من « الغوانى » وإجرائها على الأصل ، ضرورة(١) .

وعند إعراب الآية الكريمة : « يَجعلون أصابعَهُم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت »(٢) ، قال النحاس : « حذر » منصوب لأنه مفعول من أجله . قال سيبويه : لأنه موقوع له ، وحقيقته أنه مصدر . وأنشد لحاتم الطائى :

وأَغْفِرُ عوراءَ الكريم ادِّخارَهُ وأُعْرِضُ عن شتم اللئيم تَكَرُّمَا(٣)

وقد استشهد به سيبويه على نصب المصدر (ادخاره) لأنه مفعول لأجله والأصل لادخاره لحذف حرف الجر ووصل الفعل(٤) .

ولكنه عند الموازنة بين آرائه وآراء غيره يرجح كفة سيبويه غالباً . فقد حكى أبو حاتم أنَ أبا عمرو وعيسى وطلحة قرءوا : « إنه هو التواب الرحيم »(٥) ، بإدغام الهاء فى مثلها ، ولم يجوز أبو حاتم هذا الإدغام لأن بين الهاءين واواً فى اللفظ لا فى الخط .

ورد النحاس رأى أبو حاتم بحجة أنّ سيبويه أجاز أنْ تحذف مثل هذه الواو . وأنشد للشماخ :

---

(١) الاعلم على سيبويه ٢/٥٩

(٢) سورة البقرة آية : ١٩

(٣) كتاب سيبويه ١/١٨٤ ، ٤٦٤ (ذم اللئيم) .

(٤) الاعلم على سيبويه ١/١٨٤

(٥) سورة البقرة آية : ٣٧ (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)

له زجل كأنه صوت حاد إذا طاب الوسيقة أوزمير(١)

فعلى هذا يجوز الإدغام عنده ، ولأن الشاعر أراد « كأنهو » فحذف الواو للضرورة(٢)

واعتقد أن حجة النحاس مردودة بأقواله نفسها ، ما دام الحذف فى هذا البيت قد جاء للضرورة الشعرية ، ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الضرورات ، بل على أفصح اللغات كما كرر النحاس نفسه مراراً(٣)

النحاس والمبرد :

أما آراء المبرد النحوية واللغوية فبعضها أشرنا إليه فى الحديث عن كتب المعانى .

أما مالم نشر إليه فهو ما أخذه من كتاب « المقتضب » ومثال ذلك رأى المبرد الذى يقول فيه : إن المستثنى مفعول على الحقيقة بفعل تقديره : استثنيت(٤) ، أو ما أخذه عن أستاذه على بن سليمان الأخفش حيث يقول الأخير : سمعت محمد بن يزيد يقول : (إذا اعتل الشىء من ثلاث جهات وجب أن يبنى ، وإذا اعتل من جهتين وجب ألا يصرف لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء ، فساس ودراك اعتل من ثلاث جهات : منها أنه معدول ، ومنها أنه مؤنث ، وأنه معرفة ، فلما وجب البناء فيها وكانت الألف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين كما يقال اضرب الرجل(٥))

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٩ : ب وكتاب سيبويه ١/١١

(٢) الاعلم على سيبويه ١/١١

(٣) اعراب القرآن لوحة ١١ : أ ، ١٣٢ : ب ، ٣٠٦ : ب

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٣ : ب والمقتضب ٤/٣٩٠

(٥) اعراب القرآن لوحة ١٣٣ : ب

آراء الكوفيين والبصريين :

ولم يهمل النحاس مسائل الخلاف بين أصحاب المدرستين، بل أولاها شيئاً من الاهتمام ولكنه أقل من اهتمامه بها فى « شرح القصائد التسع ».

فعندما أعرب الآية الكريمة « وقنا عذاب النار » ، أورد رأى البصريين القائل إن أصل الفعل « أوقنا » وحذفت الواو كما حذفت من « يقى » لأنها بين ياء وكسرة ثم أورد رأى الكوفيين القائل : إن الواو حذفت فرقاً بين اللازم والمتعدى[1] ، ورجح رأى البصريين بحجة أن العرب تقول ورم يرم فيحذفون الواو ، وهى حجة مقتبسة من قول المبرد[2] .

وعندما تحدث عن آراء النحاة حول قراءة « الأرحام » بالجر فى الآية الأولى من سورة النساء : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »[3] أورد أن البصريين قالوا : إن القراءة بالجر لحن لاتحل[4] ، وأن الكوفيين قالوا : هى قبيحة ولم يزيدوا على هذا[5] .

ولكن النحاس لم يكن دقيقاً فيما حكاه عن الكوفيين لأنهم لم يقولوا إن قراءة « الأرحام » بالجر قبيحة بل أجاوزها[6] .

وفى إعراب « سورة عبس » تحدث عن علة نصب الفعل « فتنفعه » فى الآية الكريمة « لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » أورد أن الكوفيين يقولون : هو جواب لعل . وأن البصريين لا يعرفون جواب لعل بالنصب

(١ ، ٢) اعراب القرآن لوحة ٢٢ : ب

(٣) قرأ « حمزة » بجر « الارحام » عطفا على الضمير المجرور فى « به » وقرأ الباقون بالنصب • عطفا على لفظ الجلالة _ ينظر كتاب السبعة ٢٢٦ والتذكرة فى القراءات /١٨٣ (مخطوط) ، والكشف ٣٧٥/١ واتحاف فضلاء البشر /١٨٥

(٤ ، ٥) اعراب القرآن لوحة ٤٤ أ

(٦) الانصاف فى مسائل الخلاف ٤٦٣/٢ (مسألة ٦٥) والاتحاف /١٨٥

وقد ترك النحاس رأى الفريقين وارتضى أن ينصب الفعل بذكر بـ « أو » . وينصب « تنفعه » بالعطف عليه[1] لكنه خولف فى ذلك حيث رأى « مكى بن أبى طالب » مارآه الكوفيون واحتج له بأنه منصوب على الجواب بالفاء لـ « لعل » ، والنصب على إضمار أن ، « حيث رد الثانى على مصدر الأول حين امتنع العطف على اللفظ ، فلم يكن بد من إضمار أن ليكون مع الفعل مصدراً ، فتعطف مصدراً على مصدر الأول ، لأن صدر الكلام غير واجب ، كأن تقديره : وما يدريك لعله يكون منه تذكر فانتفاع بالتذكر »[2] .

٢ ـ مصادره فى رسالة « اعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية »:

فى أول هذه الرسالة بين النحاس المصادر التى استقى منها واستفاد فى شرح قول سيبويه المذكور ، وهذه المصادر هى :

(١) شرح أستاذه « الزجاج » ، وقد سمعه منه .

(٢) شرح أستاذه « ابن كيسان » ، وقد سمعه منه أيضاً .

(٣) شرح أملاه أستاذه محمد بن ولاد التميمى .

وقد تضمن شرح « ابن كيسان » نقلا لقول المبرد فى شرح جزء من هذه الرسالة حيث قال ابن كيسان : (قال أبو العباس محمد بن يزيد : الذى أختار هذا باب علم ما الكلم ، تنون « علما » وتجعل « ما » استفهاماً ، والكلم خبر « ما » ويوقع العلم على الجملة كأنه قال : أن تعلم أى شىء الكلم)[3]

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣٠٥ : أ

(٢) الكشف ٢/٣٦٢

(٣) الرسالة ورقة ٢٨ : أ

وصرح النحاس أنه أملى شرح هذه الرسالة مرتين : اقتصر فى الأولى على ماسمعه من أستاذيه الزجاج وابن كيسان ، وفى الأخرى أراد أن يملى ماقاله غيرهما فى ذلك فأضاف أشياء جديدة منها ماسمعه من أستاذه « محمد ابن ولاد التميمى » حيث قال الأخير : (إن شئت قلت : هذا باب ما الكلم وإن شئت قلت : هذا باب علم ما الكلم ، فتجعل العلم بدلا من الباب ، و « ما » بدلا من العلم ، فهذان وجهان[١]

غير أن النحاس لم يكتف بهذه الأوجه القليلة التى سمعها من أساتذته ، بل طورها حتى أوصلها إلى بضعة وأربعين وجهاً ...[٢] .

٣ – مصادره فى « كتاب التفاحة » :

لم يذكر النحاس اسم أى نحوى فى كتابه « التفاحة » ، ويرجع ذلك إلى أنه كتاب موجز روعيت فيه البساطة فى الأفكار والأساليب مع البعد عن الخلافات التى تؤدى إلى التشعب وبلبلة المتعلمين ، وهذه الأشياء مرغوب عنها فى مثل هذه الحال .

ويفهم من الآراء والمصطلحات التى أوردها أنه اعتمد على مجموعة من كتب الكوفيين والبصريين لاسيما كتاب معانى القرآن للفراء وكتاب سيبويه وكتاب المقتضب للمبرد وكتاب « ما ينصرف وما لا ينصرف » للزجاج .

ويبدو أن النحاس كان قد جمع بين كتب عدة فى الباب الواحد ، كما صنع فى باب « الأسماء التى لا تنصرف » ، وذلك لأن كتاب التفاحة معمول لتلاميذ المبتدئين فلم يراع فيه ما يراعى فى المطولات والكتب

---

(١) الرسالة ورقة ٢٧ : ب

(٢) الرسالة ورقة ٣١ : أ

الكبيرة من وحدة فى الرأى ومجادلة المخالفين، كما فعل فى « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » و « القطع والائتناف » .

(أ) معانى القرآن للفراء :

أما صلة كتاب التفاحة بمعانى القرآن للفراء فتبدو أكثر ما تبدو فى ناحية المصطلحات . والمصطلحات التى أخذها النحاس منه هى :

١ – واو الصرف : وقد عرفه الفراء[١] فى معانى القرآن تعريفاً دقيقاً معززاً بالأمثلة وقد استعمله النحاس فى « باب الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة »[٢] .

٢ – الجحد : وهو مصطلح كوفى يقابله عند البصريين « النفى » . وقد استعمله الفراء فى كتابه المعانى مرات[٣] ، وأخذه النحاس واستعمله فى باب الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة[٤] ، وفى باب الجواب بالفاء .

٣ – المفعول الذى لم يسم فاعله . وهو مصطلح كوفى يقابله عند البصريين «الفعل المبنى للمجهول» وقد تابع النحاس الفراء فاستعمل مصطلح المفعول الذى لم يسم فاعله[٥] .

٤ – النعت : ويقابله عند البصريين «الصفة » . وقد تابع النحاس الفراء فنقل من كتابه المعانى مصطلح النعت[٦] .

---

(١) مضى هذا التعريف فى الفصل الثالث فى الحديث عن كتاب التفاحة .
(٢) معانى القرآن ١/٣٤ ، ٢/٢٣٥ وكتاب التفاحة /١٦
(٣) معانى القرآن ١/٣٤ ، ٥٢ ، ١٦٠ ، ٢٨٢ .
(٤) كتاب التفاحة /١٩
(٥ ، ٦) معانى القرآن ١/٣٠١ والتفاحة /٢١ (واستعمله المبرد فى المقتضب ٣/٣١٤)
(٦) معانى القرآن ١/١١٢ ، ٢/١٤٥ ، والتفاحة /٢٢ .

(ب) آراء كوفية أخرى :

وتابع النحاس الكوفيين فى مجموعة من الآراء النحوية مثل رأيهم فى أن المثنى يرفع بالألف ويجر بالياء[١] . وكذلك تابعهم فى رأيهم فى إعراب جمع المذكر السالم[٢] . وتابعهم فى رأيهم أن الفعل الأمر معرب مجزوم[٣]

(جـ) أثر كتاب سيبويه :

يبدو أثر كتاب سيبويه ضئيلا فى كتاب التفاحة بالنسبة لأثره فى كتاب شرح القصائد التسع أو معانى القرآن ، أو القطع والائتناف . فالنحاس فى كتابه التفاحة يخالف آراء سيبويه كثيراً[٤] ويوافقه قليلا وهذا عكس مافعله فى كتبه الأخرى المذكورة .

وأهم الأبواب التى يبدو فيها أثر كتاب سيبويه فى كتاب التفاحة هو « باب الأسماء التى لاتنصرف » .

وقد قسم النحاس الأسماء التى لاتنصرف قسمين : قسم لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وقسم لاينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة[٥] .

أما القسم الأول فتندرج تحته عشرة أنواع سنقتصر على ما أخذه النحاس من كتاب سيبويه ، وهى :

ـــ ما كان من الأسماء على مثال « أَفْعَل » إذا كان نعتاً كقولك : « أبيض وأسود وأحسن »[٦] .

---

(١) كتاب التفاحة ١٥ وهمع الهوامع ١/٤٧ ، ٤٨

(٢) كتاب التفاحة /١٥ وهمع الهوامع ١/٤٨

(٣) كتاب التفاحة /١٦ وهمع الهوامع ١/١٥

(٤) ينظر « الفصل الثالث » : الحديث عن كتاب التفاحة .

(٥) كتاب التفاحة /٢٧

(٦) كتاب التفاحة /٢٧ وكتاب سيبويه ٢/٣

- ما كان على « فعلان » الذى أنثاه « فعلى » مثل : « سكران وسكرى » ، وما أشبه ذلك[١] .

- ما كان على « فَعْلاء » مثل بيضاء وسوداء[٢] وما أشبه ذلك

- ما كان على « فُعْلى » مثل « حبلى » و « بشرى »[٣] .

- ما كان بعد ألف الجمع أكثر من حرف واحد مثل « مساجد ودرام ودنانير ودواب » وما أشبه ذلك[٤] .

أما أثر سيبويه فى القسم الآخر « ما لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة » فيظهر فى الأنواع الآتية :

- كل اسم على « فُعَل » مما لا تحسن فيه الألف واللام ، مثل : « عمر وزفر وقثم » . وما أشبه ذلك[٥]

- كل اسمين جعلا اسماً واحداً مثل : « معدى كرب وحضرموت وبعلبك وما أشبه ذلك[٦] .

- كل اسم على فُعْلان أو فِعْلان أو فَعْلان إذا كانت النون فيه زائدة مثل : « عثمان وعِمران وسَلمان » . وما أشبه ذلك[٧] .

(د) أثر ((المقتضب)) :

ويتمم كتاب « المقتضب » أثر « كتاب سيبويه » . وأثر المقتضب

(١) كتاب التفاحة / ٢٧ وكتاب سيبويه ٢ / ٣
(٢) كتاب التفاحة / ٢٧ وكتاب سيبويه ٢ / ١٠.
(٣) كتاب التفاحة / ٢٨ وكتاب سيبويه ٢ / ٩
(٤) كتاب التفاحة / ٢٨ وكتاب سيبويه ٢ / ٨
(٥) كتاب التفاحة / ٢٨ وكتاب سيبويه ٢ / ١٥
(٦) كتاب التفاحة / ٢٩ وكتاب سيبويه ٢ / ١٤.
(٧) كتاب التفاخة / ٢٨ وكتاب سيبويه ٢ / ١٢.

فى القسم الأول : « الأسماء التى لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة » يظهر فيما يأتى :

- ما كان من الأسماء على « فعلى » مثل مرضى وسكرى[1] .

- ما كان معدولا من العدد مثل « مثنى وثلاث ورباع »[2]

(هـ) أثر « كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف » :

ويكمل أثر الكتابين السابقين كتاب « ما ينصرف وما لا ينصرف » للزجاج وأثره يقتصر على ما يتصل بالقسم الثانى . ويظهر فيما يأتى :

- كل اسم أعجمى على أكثر من ثلاثة أحرف مثل : « ابراهيم وإسماعيل وجبرائيل وميكائيل وبهرام ورامس » . وما أشبه ذلك[3] .

- كل اسم فى آخره هاء التأنيث على أكثر من ثلاثة أحرف لا علامة فيه للتأنيث مثل « زينب وسعاد ومريم » وما أشبه ذلك[4]

٤ - مصادره فى « شرح القصائد التسع » :

لعل الناظر فى كتاب النحاس « شرح القصائد التسع » والمتفحص له بدقة يذهل لكثرة مصادره ويعجب كذلك حين يسأل : كيف استوعب النحاس كل هذه المصادر واستخدمها بدقة ومهارة ، بحيث لم يترك من الكتب المتعلقة بموضوعه تعلقاً مباشراً إلا مالا غناء فيه ؟

وليس هذا فحسب ، بل إنه استخدم مصادر مساعدة .

---

(١) كتاب التفاحة / ٢٩ وكتاب سيبويه ٢ / ١١

(٢) كتاب التفاحة / ٢٨ وكتاب المقتضب ٣ / ٣١٩

(٣) كتاب التفاحة وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف / ٤٥

(٤) كتاب التفاحة وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف / ٤٥

وبناء على ما تقدم فإن مصادره نوعان :

أولا : مصادر متخصصة .

ثانياً : مصادر مساعدة .

أولا : المصادر المتخصصة :

وهى كتب القصائد الطوال الجاهليات « المعلقات » وشروحها التى ألفها من سبقه من اللغويين والنحاة . وهى :

١ ــ القصائد الست[١] . للأصمعى (ت٢١٦ هـ) .

٢ ــ شرح المعلقات[٢] . لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) .

٣ ــ السبع الطوال الجاهليات . لابن كيسان ، (ت ٣٢٠ هـ) .

٤ ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات[٣] . لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) .

أما شرح القصائد السبع الذى نسبه السيوطى[٤] لأبى محمد القاسم بن محمد الأنبارى (المتوفى ٣٠٤ هـ) ، فلا أراه إلا وهماً منه ، لأنه لم يرد له ذكر عند غير السيوطى .

أما « تفسير السبع الطوال » الذى نسبه محقق كتاب النحاس[٥] إلى

---

(١) الفهرست /٥٥

(٢) هدية العارفين ٥٣٦/٢

(٣) مطبوع بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون بدار المعارف بمصر طبعتين . كانت الثانية سنة ١٩٦٩ م وعليها كان اعتمادى .

(٤) البغيــة ٢٦١/٢

(٥) أى شرح القصائد التسع /٥١ ، (تحقيق السيد أحمد خطاب) .

« الأزهرى » فهو وهم مبنى على نقل من مصدر ثانوى دون مراجعة[١] ، لأن كتاب الأزهرى فى تفسير القرآن وقد تناول فيه سبع سور طويلة بالشرح ، ومنه نقل فى « تهذيب اللغة »[٢] .

طبيعة هذه الشروح :

يبدو للوهلة الأولى أن هذه الشروح كوفية وبصرية . ولكن الصفة الغالبة عليها هى الصفة الكوفية ، فكل من ابن السكيت وأبى بكر بن الأنبارى كوفى وابن كيسان بصرى كوفى إذا أخذنا برأى أبى بكر الزبيدى[٣] ولا يبقى فى القائمة بصرى سوى الأصمعى ولا غرو فالنحاس يوثق الكوفيين فى كتابه[٤] ، كما أنه أخذ قائمة أسماء الخمرة وما اشتقت منه عن الكوفيين والبصريين معاً[٥] .

موقفه من هذه المصادر :

أما موقفه من كتاب الأصمعى فيتلخص فى :

(ا) أنه يسوى بين رواية الأصمعى « البصرى » ورواية أبى عمرو الشيبانى « الكوفى »[٦] .

---

(١) اذ نقل من مقدمة تهذيب اللغة ١/١٤ ما ذهب اليه الاستاذ عبد السلام هارون من أن كتاب الازهرى : تفسير السبع الطوال هو من شروح القصائد الطوال الجاهليات .

(٢) تهذيب اللغة (طال) ١٩/١٤ ، وقد نبه الى ذلك قبلى الزميل د. رشيد العبيدى فى رسالته للدكتوراه « الازهرى وكتابه تهذيب اللغة » ٩٦ « والسبع الطوال هى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والاعراف ، والانفال ، مع التوبة » (الاندرابى : الايضاح فى القراءات ورقة ٣٨ : ب) .

(٣) طبقات الزبيدى / ١٧٠

(٤) شرح القصائد التسع / ٤٩٠

(٥) شرح القصائد التسع / ٤٩٧

(٦) شرح القصائد التسع / ١٨٥ ، ٣٢٠ ، ٤٨٦

(ب) وكذلك يسوى بين رأى الأصمعى ورأى ابن الأعرابى : محمد ابن زياد (ت ٢٣٠ هـ)، وهو كوفى أيضاً[١].

(ج) كما يسوى بين رواية الأصمعى ورواية ابن كيسان[٢].

(د) لكنه - فى أحيان قليلة - يرجح رأى الأصمعى على رأى غيره من اللغويين الذين لم يصرح باسمهم[٣].

أما موقفه من ابن السكيت فيتلخص فى أنه يعتمد على كتابه : شرح المعلقات فى الميادين الآتية :

(ا) رواية الأبيات[٤]

(ب) شرح بيت شرحاً لغوياً[٥].

(ج) تفسير بعض الكلمات[٦]

(د) إيراد رأى نحوى له، وذلك قليل، فقد نقل عنه، تضمين حرف الجر فى قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع »[٧] المعنى : عن عذاب واقع[٨].

(هـ) ولكن الذى يلفت النظر أنه يعتمد عليه كثيراً فى تفسير الأماكن الواردة فى الشعر[٩].

---

(١) شرح القصائد التسع /٥١٤
(٢) شرح القصائد التسع /١٩٨
(٣) شرح القصائد التسع /٤٩٦
(٤) شرح القصائد التسع /٢٨٠ ، ٥٤٣
(٥) شرح القصائد التسع /٥٨٢ ، ٧٣٧
(٦) شرح القصائد التسع /٣٧٨ ، ٤٣٣
(٧) سورة المعارج آية : ١
(٨) شرح القصائد التسع /٥٠٤
(٩) شرح القصائد التسع /٣٨٦ ، ٦٦٠ ، ٦٧١ ، ٧١٣

وفى كل ذلك يستند إلى آراء ابن السكيت اللغوية(١) . وقد يضعه بجانب أستاذه ابن كيسان(٢) . ويرد عليه أحياناً(٣) ، ولا غرابة فى ذلك فإنه يرد على المبرد البصرى أحياناً . وذلك يتفق مع عقلية النحاس العالم الذى لا يحب التقليد .

أما أستاذه أبو بكر بن الأنبارى فلم يشر إليه ، ولم يذكر اسمه أبداً مع أنه سبقه بكتابه القيم : « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » .

والذى ظهر لى أن النحاس يستوعب مصادر موضوعه . ونادراً ما يهمل كتاباً مهماً يتصل به ... فلماذا أغفل ذكر أستاذه وهو صاحب هذا الكتاب القيم المتصل بموضوعه اتصالا مباشراً ؟

الحقيقة أن النحاس اقتبس من كتاب أستاذه المذكور .... ، وذلك فى النقاط الآتية :

١ ـ قد ينقل منه توجيهاً لغوياً مهماً ، كما فى شرح قول عنترة :

سحاً وتَسكابا فكلُّ عشية   يجرى عليها الماء لم يتصَرَّمِ

ولكنه يترك التفاصيل الأخرى(١) .

٢ ـ وقد يأخذ منه شرحاً لمعانى بعض المفردات وتوجيها لاختلاف الروايات ، كما فى شرح بيتى عنترة (١٤ ـ ١٥) :

ما راعنى إلا حمولة أهلها   وسْطَ الديار تسِفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

---

(١) شرح القصائد التسع /٢٣٩ ، ٤٦٧

(٢) شرح القصائد التسع /٣٧٨

(٣) شرح القصائد التسع /٧١٨

(٤) شرح القصائد التسع /٤٧٦ وشرح القصائد السبع /٣١٣

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم[1] .

٣ ـ أما التفاصيل فنادراً ما يأخذها كلها من شرح ابن الأنبارى ففى شرح بيت عنترة رقم (٨) :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

انتفع بشرح أستاذه ـ بعد أن لخصه ـ وأخذ منه حتى الشواهد[2]

٤ ـ وقد يستفيد منه ومن شرح ابن كيسان كما فى شرح قول عنترة (رقم ١٣) :

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت ركابكم بليل مظلم

ويضيف تفاصيل أخرى من مصادر أخرى[3] .

أما القضايا النحوية فقلما يعتمد فيها على ابن الأنبارى ، وذلك لسببين: الأول أن ابن الأنبارى قلما يهتم بالقضايا النحوية[4] . والسبب الآخر : أن مصطلحات ابن الانبارى كوفية خالصة ومصطلحات النحاس بصرية كوفية ، ويميل فى كتابه شرح القصائد التسع ، إلى المصطلح البصرى .

ثانيا : المصادر المساعدة :

وهذه المصادر حسب التقسيم الموضوعى ثلاثة أقسام :

١ ـ مصادر نحوية . ٢ ـ مصادر لغوية .

٣ ـ مصادر مشتركة بين اللغة والنحو .

---

(١) شرح القصائد التسع /٤٦٩ ـ ٤٧٠ وشرح القصائد السبع /٣٠٤ ـ ٣٠٥

(٢) شرح القصائد التسع /٤٦٠ وشرح القصائد السبع /٢٩٨

(٣) شرح القصائد التسع /٤٦٧ وشرح القصائد السبع /٣٠٣

(٤) شرح القصائد السبع /٣١١ ـ ٣١٢ بيت رقم ١٥ ، /٣١٢ ، ٣١٣ ـ

٦ - المصادر النحوية :

(أ) كتاب سيبويه :

وفى مقدمة تلك المصادر كتاب سيبويه . فقد اعتمد عليه فى هذا الكتاب اعتماداً كبيراً ولهذا ذكره سبعين مرة . وإن كان يضع قسما من آرائه بجانب ما يخالفها إيحاء بالرد عليه دون أن يصرح بذلك[١] . فقد ناقش مسألة «ترخيم النكرة» مثل (صاحب) وأيد رأى المبرد : «حيث يرى أن النكرة لا ترخم . أما كلمة صاحب فإن أصلها عنده : « يا أيها الصاحب ، ثم رخمت بعد ذلك ، بينما أجاز سيبويه أن يرخم من النكرات ما كان فى آخره الهاء نحو قول العجاج[٢] :

* جارى لا تستنكرى عذيرى *

يريد : يا أيتها الجارة ، فكأنه رخم على هذا معرفة .

ولكنه فى أغلب الأحيان يؤيد سيبويه . وإذا تعارض رأيه مع رأى المبرد أيد رأى الأول[٣] وإن تعارض رأى سيبويه مع رأى أبى عبيدة[٤] أيد سيبويه .

(ب) كتاب المقتضب للمبرد :

ومن مصادره النحوية كتاب المقتضب فقد اعتمد عليه فى مواضع

= بيت ١٦ ، و ٣١٣ - ٣١٤ بيت ١٧ ، و ٣١٧ - ٣١٨ بيت ٢٢ ، و ٣١٩ - ٣٢٠ بيت ٢٤ .

(١) شرح القصائد التسع /٥٢٤

(٢) شرح القصائد التسع /١٨٨ والكتاب ١/٣٢٥

(٣) شرح القصائد التسع /١١٢ والكتاب ٢/٥٧

(٤) شرح القصائد التسع /١٤٩ ومجاز القرآن ٢/٦٩ رقم ٢٧٩ - ١/٣١٢

كثيرة ذكر اسم المبرد فى قسم منها[١] ، وأغفل ذكره فى القسم الآخر[٢] .

فقد نقل منه رأى المبرد فى أن زيادة الواو غير جائزة عند البصريين[٣] .

ونقل منه رأيه فى أن رواية بيت طرفة :

ألا أيهذا اللائمى أحضرَ الوغى وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى؟

بنصب (أحضر) على إضمار (أن) ، رواية خطأ لأنه أضمر مالا ينصرف وأعمله وأضمر بعض الاسم[٤] .

ونقل منه رأى المبرد فى بناء (قطام) على الكسر إذ إنها زادت على مالا ينصرف علة فبنيت ، لأنه ليس بعد ترك الصرف إلا البناء[٥] .

ونقل منه رأيه فى عدم جواز ترخيم النكرة[٦] .

(ج) المذكر والمؤنث للمبرد :

وعلى هذا الكتاب اعتمد أيضاً ، ولكن فى مواضع قليلة جداً[٧] . وهذا يتناسب مع قلة اهتمام النحاس بمثل هذه القضايا فى كتاب : « شرح القصائد التسع » ، إذا ما قيس بما ذكره من مواد «فعل وأفعل» أو ما جاء على القياس وما خالفه .

---

(١) شرح القصائد /١٨٨ (وستأتى هذه المواضع مفصلة قريبا)

(٢) شرح القصائد /١٤٨ والمقتضب ٣/٢٥

(٣) شرح القصائد /١٣٦ والمقتضب ٢/٨٠

(٤) شرح القصائد /٣٦٤ والمقتضب ٢/٨٥

(٥) شرح القصائد /٦٠٥ والمقتضب ٣/٣٧٣

(٦) شرح القصائد /١٨٨ والمقتضب ٤/٢٦٠

(٧) ينظر شرح القصائد /٢٠٩ والمذكر والمؤنث /٩١ وكذلك شرح القصائد ٣٢٢ والمذكر والمؤنث /٩٦

(د) ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج :

ومن مصادره النحوية كتاب أستاذه الزجاج : « ما ينصرف وما لا ينصرف » بالإضافة إلى كتبه الأخرى . وقلما يخلو كتاب من كتب النحاس من اقتباس عن أستاذه .

ولكننا نلاحظ أن النحاس لم يقلد آراء أستاذه في موضوع « ما ينصرف وما لا ينصرف » ، بل ربما تابع رأى « المبرد » وربما تابع رأى « سيبويه » ، وربما اجتهد هو فأبدى رأياً مخالفاً لرأى أستاذه[1] . ومعنى هذا أن اعتماده في هذا الموضوع ليس على كتاب الزجاج فحسب ، بل على مصدرين آخرين هما كتاب سيبويه[2] والمقتضب[3] . وأستطيع أن أقول مطمئناً — بعد موازنتي بين نقول النحاس وكتاب الزجاج المذكور — : إن اعتماد النحاس على كتاب أستاذه قليل جداً وفي حدود لا تخرجه عن كونه مجتهداً في رأيه .

(هـ) آراء الكسائي النحوية :

ومن الآراء التي لم نستطع أن نعزوها إلى أصولها هي آراء الكسائي ، وذلك لفقدان تلك الأصول .

وأحد آراء الكسائي التي ذكرها النحاس موجود في « شرح القصائد السبع » لأبي بكر بن الأنباري بهذا السياق : قال الكسائي : (إذا كان خبر كان مؤنثاً واسمها مذكراً وأوليتها الخبر فمن العرب من يؤنث كان

---

(١) شرح القصائد /١٩٣ .

(٢، ٣) شرح القصائد /٢٠٨ ، ٥٦٣ ، وكتاب سيبويه ٢/٢ ، ٢٤ ـ ٢٥ والمقتضب ٣/٣١١ ، ٣١٩ ـ ٣٢٨ .

ويتوهم أن الاسم مؤنث إذا كان الخبر مؤنثاً) . فكان يجيز كانت عادة حسنة عطاء الله تعالى ، وكانت رحمة المطر البارحة واحتج بقول الشاعر :

أزيدَ بن مصبوح فلو غيْرُكم صَبا غفرنا وكانت من سجيتنا الغَفْرُ

فزعم الكسائى أنه أنث « كانت » لأنه أراد : كانت سجية من سجايانا الغفر [1]

ولكن النحاس وضع هذا الرأى بطريقة تخالف طريقة ابن الأنبارى.

ففى شرح بيت لبيد (رقم ٣٣) :

فمضى وقَدَّمها وكانت عادةً منه إذا هى عردت إقدامُها

قال : (وفيه من النحو أنه قال : « وكانت » فأنث والإقدامُ مذَكَّر فزعم الكوفيون : أنه لما أولى خبرها [2] وفرق بينها وبين اسمها توهم التأنيث فأنث ، وحكى الكسائى عن العرب (كانت عادة حسنة من الله المطر)[3].

فقد اختصر شواهد الكسائى ـ كما رواها ابن الأنبارى ـ وداخل بينها واستنتج منها قاعدة فيها زيادة على ما قرره ابن الأنبارى.

ورأى الكسائى الثانى الذى نقله النحاس هو فى « جواز مجىء (أن) فى موضع خفض » كما فى قول لبيد (بيت رقم ٨٩) :

وهم العشيرة أنْ يُبَطِّئ حاسد أو أنْ يلومَ مع الهوى لوامها

وذلك على إضمار حرف الخفض (من)[4]

---

(١) ابن الانبارى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات / ٥٥١

(٢) أولى خبرها : قدمه على اسمها .

(٣) شرح القصائد التسع / ٣٩٣

(٤) شرح القصائد التسع / ٤٥٠

ورأى الكسائى الثالث هو جواز اجتماع (إلا وحاشا) فى الاستثناء، تقول : جاءنى القوم إلا حاشا زيد . وعلة هذا أن حاشا ضعفت إذ كانت تقع فى غير الاستثناء .

وقد ارتضى النحاس هذا الرأى وقاس عليه مجىء (هل) واقترانها بـ (أم) وهما حرف استفهام . لأن هل ضعفت فى حروف الاستفهام فأدخلت عليها أم[1] .

آراء الفراء النحوية :

آراء الفراء النحوية المعزوة إلى مصدر معين هى التى ترجع إلى كتابيه : « المذكر والمؤنث » و « المعانى » . وقد جعلنا الأخير مع الكتب المشتركة بين اللغة والنحو .

أما آراء الفراء النحوية الأخرى فلم أستطع عزوها إلى كتاب لأن أصولها قد ضاعت .

آراء الفراء من ((المذكر والمؤنث)) :

(ا) إن كلمة (مُطْفِل) ، وما يشبهها من الصفات المختصة بالمؤنث لاتحتاج إلى تاء التأنيث فصارت مثل قولهم : « امرأة حائض »[2] .

(ب) إن (المتن) يذكر ويؤنث .

وقد وافقه النحاس على هذين القولين ، فلم يبد اعتراضاً[3] وهى عند أبى البركات مؤنثة لا غير[4] .

---

(١) شرح القصائد التسع /٤٥٥

(٢) شرح القصائد التسع /١٤٣ والمذكر والمؤنث /٦٥

(٣) شرح القصائد التسع /٣١١ والمذكر والمؤنث /٧٩ (وينظر المفضل ابن سلمة : مختصر المذكر والمؤنث /٥٣) .

(٤) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث /٧١

(ج) وأورد النحاس رأى الفراء فى أن (الذَّنوب) تذكر وتؤنث، وعقب عليه بأنها مؤنثة لا غير[١]

وإذا ما أخذنا برأى أبى البركات الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى أن الذنوب تذكر وتؤنث[٢]. بدا قول الفراء هو الرأى.

(ز) آراء نحوية غير معزوة لكتاب:

أما آراء الفراء النحوية الأخرى التى لم نستطع عزوها إلى كتاب فهى:

(١) أن حروف النداء عنده: (يا وأيا وهيا وأى والألف وآ ووا)[٣] وهى عند «سيبويه» و«المبرد» الخمسة الأولى فقط[٤].

(ب) ونقل عنه النحاس أن الأصل فى «عم» فى قولهم: عم صباحاً نعم ينعم، ثم حذفوا النون، ولا يقاس عليه كما لا يقاس على «خذ وكل»[٥].

(ج) رأيه فى أن المحذوف فى ثبة ثبات، وبنت بنات، وأخت أخوات، الواو فى حالة والياء فى حالة أخرى وذلك بناء على حركة أوله ـ فما كان منها أوله مضموماً فالمحذوف منه واو، وما كان منها أوله مكسوراً فالمحذوف منه ياء[٦]

(د) رأيه فى أن (إذن وإذا وإذ أصلهن واحد فحذفت من إذا

---

(١) شرح القصائد التسع /٢٣٢

(٢) البلغة /٨١

(٣) شرح القصائد التسع /١٢٤

(٤) كتاب سيبويه ٣٢٥/١ (باب الحروف التى ينبه بها المدعو) والمقتضب ٢٣٣/٤

(٥) شرح القصائد التسع /٣٠٧ وهو مكرر فى /٥١٥

(٦) شرح القصائد التسع /٦٤٧

الألف ونونت إذن للفرق)[١]

٢ ـ المصادر اللغوية :

(أ) كتاب العين :

لقد نقل النحاس اسم « الخليل » فى كتابه « شرح القصائد » (١٤) مرة ، نقل فيه جملة من آرائه فى اللغة وفى النحو .

أما آراء الخليل النحوية التى نقلها فهى من كتاب سيبويه[٢]

وجملة النصوص التى نسبها النحاس للخليل وهى فى كتاب العين ، أربعة : واحد منها مكرر فيتبقى ثلاثة : الأول فى معنى الخلائق[٣] . والثانى فى معنى طلخام وقال إنه موضع . والثالث رأيه فى العَلَم والمَعْلَم والعلامة واحد[٤]

وفى هذا دليل على أن النحاس كان يعتقد أن الخليل هو مؤلف كتاب العين وإن كان هذا لا ينهض دليلا قاطعاً على نسبة كتاب العين إلى الخليل .

(ب) مجاز القرآن لأبى عبيدة :

لقد تردد اسم أبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) فى « شرح القصائد التسع » أكثر من ثمانين مرة ، نقل فيها النحاس آراءه فى اللغة والنحو ومجموعة من مروياته للأشعار ولاسيما فى الحالات التى يختلف فيها مع اللغويين الآخرين أمثال الأصمعى وأبى عمرو الشيبانى : إسحاق

---

(١) شرح القصائد التسع /٧٦٦

(٢) ينظر على سبيل المثال شرح القصائد /٥٣٤ ويقارن بالكتاب ١/ ٢٩٠

(٣) شرح القصائد /٣٥٤ والمعين ق ٣١٩/١ وهو مكرر فى شرح القصائد /٤٤٦

(٤) شرح القصائد /٣٧٧ والعين ق ٦٨/١

ابن مرار (ت ٢٠٦ هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام[(١)] (ت ٢٢٤ هـ). ويعتمد عليه حين يروى شاهداً شعرياً لشرح معنى غريب[(٢)]. واستفاد منه كذلك في أخبار عرب الجاهلية. وأصالة أبي عبيدة في تسجيل تلك الأخبار، معروفة.

لكن النحاس لم يكن يوافقه دائماً، بل قد يخالفه إذا عارض رأيه رأيَ سيبويه وذلك في زيادة (عن)، فأبو عبيدة يرى أنها زائدة في قوله تعالى: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره»[(٣)]. أما في رأي سيبويه فإنها لاتزاد[(٤)]. ولكنه ارتضى رأيه في أن الفعل (يئس) جاء بمعنى (علم)، في قوله تعالى: «أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً»[(٥)] وأنشد:

أقول لأهل الشعب إذ ياسرونني   ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم[(٦)]

وارتضى رأيه في أن الأسلوب في قوله تعالى: «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم»[(٧)]، هو مما رُجِع فيه من مخاطبة الشاهد إلى الغائب[(٨)].

---

(١) شرح القصائد/ ١٢٥، ١٤١، ١٨٥

(٢) شرح القصائد/ ١٠٦

(٣) سورة النور آية: ٦٣

(٤) شرح القصائد/ ١٥٠ ومجاز القرآن ٢/ ٦٩ والكتاب ١/ ١٧

(٥) سورة الرعد آية: ٣١

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٣٢ وشرح القصائد التسع/ ٤١٠

(٧) سورة يونس آية: ٢٢

(٨) مجاز القرآن ١/ ١١ وشرح القصائد/ ٤٦٣

وهكذا تشكل آراء أبى عبيدة وأقواله فى « مجاز القرآن » وغيره مادة أساسية فى كتاب شرح القصائد التسع .

(ج) كتاب الفرق للاصمعى :

وهو من كتب الأصمعى : عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ) التى اعتمد عليها النحاس بالإضافة إلى كتابه « القصائد الست » وقد نقل من كتاب الفرق وإن لم يشر إليه . ففى شرح معنى كلمة « المِشْفَر » فى قول « طرفة »(١) :

وخَدٌ كقرطاس الشآمى ومشفر   كسِبْتِ اليمانى قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ

قال النحاس : (هى الشفة من الإنسان ، ومن ذوات الأخفاف ـ وهى الإبل ـ المشفر ، ومن ذوات الأظلاف ـ وهى البقر والغنم والشاء ـ المِقَمَّة والمِرَمَّة ـ ومن ذوات الحافر ـ وهى الدواب ـ الجحفلة ، ومن السباع الخطم والخرطوم ومن الخنزير الفنطيسة ، ومن الطائر غير الصائد المنقار ، ومن الصائد المنسر)(٢)

والنص ـ كله ـ موجود فى كتاب الفرق للأصمعى(٣)

(د) شرح ديوان النابغة لابن السكيت :

وهذا الشرح من مصادره ، أو بالأحرى مصادر الآراء التى نقلها عن ابن السكيت فى شرح قصيدة النابغة :

---

(١) شرح القصائد التسع /٢٤٠
(٢) شرح القصائد التسع /٢٤١ ـ ٢٤٢
(٣) كتاب الفرق /٦

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

ومن الموازنة بين كتاب النحاس وكتاب ابن السكيت نجد الأول قد اعتمد على الثانى فى مواضع عديدة[١] .

لكن الذى يلفت النظر أنه اقتصر على أقوال الأصمعى البصرى بالرغم من أن النحاس قد وثق الكوفيين وأكثر من النقل عنهم ، يضاف إلى ذلك أن الاتجاه السائد فى هذا الشرح هو الاتجاه الكوفى . . . . . ولعل ذلك يرجع إلى أن النحاس لم يكن يحتاج إلى هذا الشرح إلا إلى ما نقله فاكتفى به .

ء ٤) « فعل وأفعل » لأبى حاتم السجستانى :

تشكل مادة التعدى واللزوم جزءاً أساسياً من كتاب شرح القصائد التسع . ويبدو أن النحاس قد أولع بمثل هذه المادة اللغوية ، إذ يهتبل كل مناسبة ليدلى بدلوه فى هذا الموضوع[٢] .

وبعد موازنة بين نقله النحاس من هذه المواد وكتاب « فعل وأفعل »[٣] وجدت أنه نقل منه المواد الآتية : «ثوى وأثوى»[٤] و «حب وأحب»[٥]

---

(١) شرح القصائد /٧٤٨ وشرح ديوان النابغة /١٢ ، وشرح القصائد /٧٥٢ وشرح ديوان النابغة /١٣ ، وشرح القصائد /٧٥٣ ، وشرح ديوان النابغة /١٤ ، شرح القصائد ٧٥٥ ، وشرح ديوان النابغة /١٥ ، شرح القصائد /٧٥٧ ، وشرح ديوان النابغة /١٧

(٢) شرح القصائد التسع /٢٤٤ ، ٣٣٤ ، ٥٠٦ ، ٥٣٦ .. الخ .

(٣) التعدى واللزوم فى العربية مع تحقيق كتاب « فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى ، رسالة ماجستير من عمل السيد خليل ابراهيم العطية تحت اشراف أستاذى الدكتور رمضان عبد التواب

(٤) شرح القصائد التسع /٥٥١ والتعدى واللزوم /٢٥٩

(٥) شرح القصائد التسع /٤٦٦ والتعدى واللزوم /١٩٨

نحو « حمى وأحمى »[١] و « سرى وأسرى »[٢]، و « كَنّ وأكَنّ »[٣]، وأخيراً مادة « نمى وأنمى »[٤].

ولكنه فى كل هذا لا يلتزم برأى معين ... فقد يأخذ برأى الأصمعى وقد يأخذ برأى غيره . وقد يجتهد رأيه ولا يألو[٥]

(و) المنقوص والممدود للفراء :

من الإشارات العشرين التى أشار فيها النحاس إلى الفراء يمكن إرجاع خمس منها إلى كتابه « المنقوص والممدود ».

ففى الإشارة الأولى نقل منه أن « صبا يصبو صباء ممدود »[٦] ونقل عن غيره : « صِبى يَصْبَى صِبىً مقصوراً »[٧].

وفى الإشارة الثانية نقل منه أن الونى[٨] – بفتح النون يمد ويقصر واكتفى برأيه[٩].

وفى الإشارة الثالثة نقل منه أن (الولى) – بفتح اللام –[١٠] مقصور[١١] فى حين روى عن أهل اللغة أنهم يقولون الولى بسكون اللام[١٢].

---

(١) شرح القصائد التسع /٢٧٧ – ٢٧٨ والتعدى واللزوم /١٩٠
(٢) شرح القصائد التسع /٢٤٦ والتعدى واللزوم /٢٠٠
(٣) شرح القصائد التسع /٣٣٦ والتعدى واللزوم /١٩٠
(٤) شرح القصائد التسع /٥٦٦ والتعدى واللزوم /٢٧٤
(٥) شرح القصائد التسع /٣٣٦ ، ٤٦٦
(٦، ٧) شرح القصائد التسع /١٥٧ والمنقوص والممدود /٢١
(٨) الونى بفتح النون : الفتور .
(٩) شرح القصائد التسع /١٧٤ والمنقوص والممدود /٢٨
(١٠) الولى بفتح اللام : المطر الثانى .
(١١ ، ١٢) شرح القصائد التسع /٢٢٤ ، ٢٢٥ ، والمنقوص والممدود /٢١

وفى الإشارة الرابعة نقل منه أن تثنية « نقا »[١] : نقوان ونقيان وأضاف النحاس أن الثانى لا يعرفه البصريون ، بل ينكرونه[٢] .

وفى الإشارة الخامسة نقل منه أن فداء فى قولهم فداء لك أبى يمد إذا كسر أوله ،[٣] كما يقصر إذا ما فتح أوله فيقال : فدى لك أبى[٤] .

٣ ـ المصادر المشتركة بين اللغة والنحو :

(أ) كتاب معانى القرآن للفراء :

وهذا الكتاب اعتمد عليه النحاس فى كتابه « شرح القصائد التسع » ثلاث مرات :

ففى المرة الأولى نقل مذهب الفراء فى أنه يجوز أنْ يذكر المؤنث فى الشعر إذا لم تكن فيه علامة تأنيث وأنشد :

إذ هى أحوى من الربعىّ خاذلةٌ والعينُ بالإثمدِ الحارىِّ مكحول

وأنشد الفراء أيضاً ـ عن يونس البصرى ـ للأعشى :

أرى رجلاً مِنهم أسيفاً كأنما يضّم إلى كشحيه كَفّاً مُخَضبّا[٥]

وفى المرة الثانية نقل رأيه فى أن معنى قوله تعالى : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم »[٦] هو : قد حصرت صدورهم لأنه قد قرىء :« حصرةً صدورهم » . فهذا يدل على أن المعنى قد حصرت[٧] .

---

(١) النقا : الكثيب من الرمل .

(٢) شرح القصائد التسع /٤٠٢ والمنقوص والمدود /١٦

(٣) شرح القصائد التسع /٧٦٢

(٤) شرح القصائد التسع /٧٦٢ (وحركه محقق الكتاب بكسر الفاء دون أن يلتفت الى هذا الفرق بين المقصور والمدود) .

(٥) شرح القصائد التسع /٥١٥ ـ ٥١٦ ومعانى القرآن ١٢٧/١ ورواية البيت فيه : الى رجل منهم أسيف .

(٦) سورة النساء آية : ٩٠

(٧) شرح القصائد التسع / ٧٤٠ ومعانى القرآن للفراء .

وفى المرة الثالثة نقل رأيه فى أن « تا » تأتى بمعنى « هذه » كما فى قول النابغة الذبيانى :

ها إنّ «تا» عذرة إلاّ تكُنْ نفعت   فإنّ صاحبها قد تاه فى البَلَدِ (١)

(ب) كتاب الكامل للمبرد :

ونقل النحاس من كتاب الكامل للمبرد رأيين : الأول فى شرح مطلع قصيدة طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   .   البيت

حيث قال النحاس : (ببرقة ثهمد جاء للتأنيث على معنى تأنيث البقعة. ويقال : برقة وبرقاء وأبرق بمعنى واحد . قال أبو العباس محمد بن يزيد : من قال أبرق ذهب إلى المكان ، ومن قال برقاء ذهب إلى البقعة وكذلك برقة) .(٢)

والرأى الآخر نقله فى شرح بيت طرفة (رقم ٣٣) :

وصادقتا سمعِ التوجُّسِ للسُّرَى   لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أو لصوتٍ مُنَدَّدِ (٣)

ففى شرح كلمة « السرى » قال النحاس : (وقيل للنهر سرى من هذا لأن الماء يسرى فيه) . وأضاف : (قال أبو العباس محمد بن يزيد : «وخص النهر بهذا الاسم من قولهم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة . أى لا تنام وإن نام عنها صاحبها)(٤) .

---

(١) شرح القصائد التسع /٧٦٦ ومعانى القرآن ٧٦/٢

(٢) شرح القصائد التسع /٢٠٨ والكامل ٥١/١ وهذا الرأى موجود فى كتاب المذكر والمؤنث للمبرد أيضا .

(٣) المعنى : وأذنان صادقتا سمع التوجس . والهجس الصوت الخفى . والمندد : الذى يرفع صوته . (شرح القصائد التسع /٢٤٤) .

(٤) شرح القصائد التسع /٢٤٦ والكامل ١٠٤/١

(ج) أمالى الزجاج :

ومن هذا الكتاب نقل رأى أستاذه الزجاج فى أن الألف فى قوله تعالى : « يا ويلتا أألد وأنا عجوز » ، بدل من الياء ، وكذلك فى قولهم : « يا غلاما أقبل » ثم ارتضى هذا الرأى وتبناه[1] .

٥ ـ مصادره فى « شرح أبيات سيبويه » :

أثنى اللغويين والنحاة ـ بعد النحاس ـ على كتابه : « شرح أبيات سيبويه » ، واعتمدوا عليه فى الكتب المماثلة حتى قال عنه القفطى : « وكل من جاء بعده استمد منه »[2] وأهم الذى تأثروا به :

أبو سعيد السيرافى :[3] الحسن بن عبد الله (المتوفى ٣٦٨ هـ)

الرضى صاحب « شرح[4] الكافية » (المتوفى ٦٨٤ هـ) .

ابن هشام « صاحب[5] المغنى » (المتوفى ٧٦١ هـ) .

عبد القادر البغدادى[6] صاحب « الخزانة » (المتوفى ١٠٩٣ هـ) .

ولذلك كان من المستحسن معرفة مصادره لأنها تبين مدى أصالته ومدى اعتماده على غيره من الذين سبقوه فى هـذا الميدان لا سيما المبرد (ت ٢٨٥ هـ) فى « شرح شواهد الكتاب »[7] والزجاج (ت ٣١١ هـ)

---

(١) شرح القصائد التسع /١١٣

(٢) انباه الرواة ١ : ١٠١

(٣) خزانة الأدب ٢ : ٥٥٤

(٤) خزانة الادب ١/٣٠٠

(٥) خزانة الادب ١/١٥٢

(٦) خزانة الأدب ١/٧٦ ، ١١٨ ، ١٩٣ ، ٢/١٠٤ ، ١١٢ ، ٣/١٣٦ الخ

(٧) الفهرست /٨٨ وانباه الرواة ٣/٢٥٢

فى كتابه : « شرح أبيات سيبويه » [1] وعلى بن سليمان الأخفش الصغير فى كتابه « شرح كتاب سيبويه » [2] .

ولكن كتاب « شرح أبيات سيبويه » للنحاس لم يصل إلينا بصورته التى صنعها مؤلفه ، بل بشكل مختصر بدليل النصوص الكثيرة المنقولة فى « خزانة الأدب » . فهذه النصوص تبين بوضوح أن نص النسخة المخطوطة الباقية من هذا الكتاب تقصُر كثيراً عما يقابلها من نصوص منقولة فى خزانة الأدب .

كما أن النصوص المنقولة فى الكتاب الأخير تحتوى على أسماء اللغويين الذين نقل النحاس عنهم مباشرة لأنهم أساتذته كأبى الحسن : على بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) وابن كيسان (٣٢٠ هـ) ، أو الذين نقل من كتبهم كالمبرد (٢٨٥ هـ) . [3] فى حين يخلو « شرح أبيات سيبويه » للنحاس فى صورته الباقية [4] من أسماء هؤلاء .... وهو خلو كذلك من ذكر اسم أى لغوى أو نحوى آخر . . .

وإن بعض نصوص شرح الأبيات بصورتها الحالية فى كتاب النحاس تقصر أحياناً عن النصوص التفسيرية المقترنة بها فى كتاب سيبويه نفسه [5] ، فكيف تكون شرحاً لها ؟ ؟

---

(١) انباه الرواة ١/١٦٦ وطبقات المفسرين ٢/١٠

(٢) معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٨

(٣) خزانة الأدب ١/١١٨ ، ٢٩٤ ، ٢/١٩٣ ، ٤٣١ ، ٣/٢٢١ ، ٣١٢ ، ٦٤٤ ، ٤/٥٢

(٤) هى نسخة فريدة مخطوطة فى مكتبة أحمد الثالث بطوبقبو رقم ٨٤٠/٨ آ ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ نحو

(٥) شرح أبيات سيبويه ورقة ٦٨ وكتاب سيبويه ١/٢٨٨ وشرح أبيات سيبويه ورقة ٥٣ ، وكتاب سيبويه ١/١٨٤

والنتيجة التى نصل إليها مما سبق هى: أن كتاب شرح أبيات سيبويه بصورته الحالية هو صورة مختصرة وليس أصلا . . . ولذلك لا يصلح أداة لبيان مصادر النحاس ولهذا فإن اعتمادنا سيكون على النصوص الباقية من الأصل فى خزانة الأدب للبغدادى . فهى تتضمن معالم الطريق التى توصلنا إلى معرفة مصادر النحاس . وهذه المصادر ـ من خلال تلك النصوص الباقية ـ هى :

(أ) كتاب سيبويه :

من المألوف أن يرجع النحاس إلى كتاب سيبويه ويشير إلى أقوال صاحبه وهو يشرح شواهده .

ومنهج النحاس قائم على أساس شرح الشاهد وبيان ما فيه من إشكال ـ إن وجد ـ وإيراد آراء النحاة وأقوالهم حول الشاهد ، ومن خلال ذلك كله يورد رأيه .

والنحاس لا يكتفى بإيراد ما يوافق رأى سيبويه ، بل يورد ما يخالف رأيه لاسيما رأى (المبرد) .

ويورد رأى من يدافع عن سيبويه لاسيما رأى (الزجاج) (الذى جرى على عادته فى الاحتجاج لسيبويه) ، على حد تعبير النحاس(١) .

١ ـ ففى شرح بيت الفرزدق(٢) :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم　　　إذهم قريش وإذ ما مثلَهم بشرُ

قال النحاس : (قال سيبويه : إنه نصب « ما مثلهم » على أنه خبر ، وإن كان مقدماً ، فكأنه كان يجيز ما قائماً زيد)(٣) . ثم قال النحاس :

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٣٢

(٢ ، ٣) كتاب سيبويه ١ : ٢٩ ، والخزانة ٢ : ١٣٠

(سألت أبا اسحاق عما قاله المبرد فقال : إنه لعمرى من بنى تميم ولكنه مسلم قد قرأ القرآن وقرأ فيه : « ماهذا بشرا »[١] وقرأ : « ما هُنَّ أمهاتهم »[٢] فرجع إلى لغة من ينصب فلا معنى للتشنيع بأنه من بنى تميم) .

والنحاس يشير بهذا النص الأخير إلى رأى المبرد الذى أثبته فى كتابيه : « مسائل الغلط »[٣] و « المقتضب » ، ففى الأول قال : (وليس هنا موضع ضرورة ، والفرزدق لغته الرفع فى التأخير . ومن نصب الخبر مؤخراً رفعه مقدماً ، ولكنه نصبه على قوله : « فيهما قائماً زيد » وهو قول أبى عثمان المازنى والخبر مضمر) . ويكمله ويزيده إيضاحاً قوله فى « المقتضب » :(فأما تقديم الخبر فقولك : «مامنطلق زيد ، ومامسىء من أعتب » فإنما قدمت على حد قولك : « مازيد منطلق ، ولو أردت التقديم على حد قولك : «مازيد منطلقاً » لم يجز ، كما لايجوز أنَّ منطلق زيداً وهذا مغن فى جميع العربية : « كل ما كان متصرفا عمل فى المُقَدَّم والمؤخر . وإن لم يكن متصرفاً لم يفارق موضعه لأنه مُدْخَل على غيره . فأما قول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ مامثلهم بشر

فالرفع الوجه[٤] وقد نصبه بعض النحويين، وذهب إلى أنه خبر مقدم ، وهذا خطأ فاحش ، وغلط بيّن ، ولكن نصبه يجوز على أن تجعله نعتاً مقدماً وتضمر الخبر فتنصبه على الحال)[٥] .

---

(١) سورة يوسف آية : ٣١

(٢) سورة المجادلة آية : ٢

(٣) الانتصار لسيبويه من المبرد /١٨.

(٤) أى رفع « مثلهم » .

(٥) المقتضب ٤/ ١٩٠.

٣ ـ أما قول يزيد بن الحكم[1] :

وكم موطن لولاى طحتَ كما هوى ... بأجرامه من قلة النيق منهوى

فإنه عند سيبويه شاهد على مجىء ضمير الخفض بعد لولا أى : مجىء لولا حرف جر . وفى ذلك يقول فى «باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحولا عن حالة إذا أظهر بعده الاسم » : (وذلك لولاك ولولاى إذا أضمرت الاسم فيه جر وإذا أظهرت رفع ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت : « لولا أنت » كما قال سبحانه : « لولا أنتم لكنا مؤمنين »[2] ، ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمر مرفوع . قال الشاعر : « وكم موطن لولاى ... البيت »)[3]

ويلاحظ من يرجع إلى كتاب سيبويه[4] ، أن هذا رأى الخليل ويونس ، وتابعهما عليه سيبويه .

وقد وقف النحاس عند رأى من خالف سيبويه فقال : (مذهب سيبويه عند المبرد خطأ لأن المضمر يعقب المظهر فلا يجوز أن تقول : المظهر مرفوع والمضمر مجرور . . وأبو العباس المبرد لا يجيز لولاك ولولاه وإنما يقول : « لولا أنت » قال أبو العباس : وحدثت أن أبا عمرو[5] اجتهد فى طلب مثل لولاك ولولاى بيتاً يصدقه أو كلاماً مأثوراً عن العرب فلم يجده . قال أبو العباس : وهو مدفوع ويزيد بن الحكم ليس بالفصيح .

---

(١) كتاب سيبويه ١/٣٣٨ (وفيه يزيد بن أم الحكم) والخزانة ٢/٤٣٠ (وفيه يزيد بن الحكم) ، وهو الصحيح

(٢) سورة سبأ آية ٣١

(٣ ، ٤) كتاب سيبويه ١/٣٨٨

(٥) أى : أبو عمرو بن العلاء .

قال : (إذا نظرت إلى القصيدة رأيت الخطأ فاحشاً[١]) . وقال الفراء : (لولاى ولولاك المضمر فى موضع رفع كما تقول لولا أنك ولولا أنت . قال وإنما دعاهم أن يقولوا هذا لأنهم يجدون المكنى يستوى لفظه فى الخفض والنصب والرفع فيقال : مر بنا ، وضربنا وقمنا ، فلما كان كذلك استجاز أن يكون الكاف فى موضع أنت رفعاً . إذا كان إعراب المكنى بالدلالات) .

ورأى الفراء سليم من الناحية النحوية وينسجم تماماً مع منطق اللغة ، وقد اختاره ابن كيسان . وهو رأى الأخفش سعيد معاصر الفراء ، واحتجا بعبارة متقاربة الألفاظ[٢] ولا ندرى أيهما أخذ من الآخر لأنهما متعاصران .

أما دعوى « المبرد » بأنه لا يوجد بيت صحيح يصدق مثل « لولاى ولولاك » فمردودة بقول عمرو بن العاص[٣] :

أتطمع فينا من أراق دماءنا ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن

وبقول عمر بن أبى ربيعة :

أدمت بكفيها من الهودج لولاك هذا العام لم أحجج

وبقول الأخطل :

أتشتم قوماً أثلوك بنهشل ولولاهم كنتم كعكل مواليا

وبعد أن أورد النحاس رأى هؤلاء ، وقف عند رأى من انتصب

---

(١) الخزانة ٢ : ٤٣٢ ويوجد رأى المبرد مختصرا فى الكامل ٣/ ٣٤٥

(٢) الخزانة ٢ : ٤٣٢

(٣) شرح ابن عقيل /٩٧ والاشمونى ١/ ٤٥٥ والعينى ١/ ٤٥٥

للدفاع عن سيبويه فى ميدان شواهد الكتاب .... وهو « الزجاج » فقال : (أما أبو إسحاق الزجاج فجرى على عادته فى الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه فقال : إن خبر المبتدأ الذى بعد « لولا » يظهر فأشبهت لولا حروف الجر لوقوع اسم بعدها ، وكان المضمر لا يتبين فيه إعراب فجعل موضع المجرور)[1] .

وارتضى النحاس هذا الرأى واستحسنه وبالغ فى الإطراء له حيث قال : « وهذا الاحتجاج لطيف ولم نر أحداً يحسن مثل هذا[2] » .

ولكن احتجاج الزجاج أقرب إلى علم المنطق منه إلى طبيعة اللغة ورأيه ليس بوجه . وأقرب الآراء إلى طبيعة اللغة هو رأى الأخفش أو الفراء . وعبارتهما التى احتجا بها ، لها من اللغة ما يؤيدها ومن المنطق ما يسير معها جنباً إلى جنب .

(ب) شرح أبيات سيبويه للمبرد :

وهو كتاب مفقود ولكن ذكر له فى الفهرست / ٨٨ ومعجم الأدباء ١٩ / ١٢٢ وانباه الرواة ٣ / ٢٥٢ والبغية ١ / ٢٧٠ وطبقات المفسرين ٢ / ٢٦٩ .

وقد نقل منه النحاس عند شرح بيت المرار الأسدى :

أنا ابنُ التارك البكرىِّ بشرٍ ... عليه الطير ترقبه وقوعا

فقال : (وقد قال المبرد فى الكتاب الذى سماه الشرح أن قوله «أنا ابن التارك البكرى بشر » عطف بيان يجرى مجرى النعت سواء بسواء[3]) .

(١ ، ٢) الخزانة ٢/٤٣٢

(٣) الخزانة ٢ : ١٩٣.

وهذا الرأى يوافق مارآه سيبويه إذ أنشد البيت شاهداً على إضافة « التارك » إلى « البكرى » تشبيهاً بالحسن الوجه لأنه مثله فى إضافته... وأجرى « بشراً » على لفظ البكرى عطف بيان أو بدلا منه إن لم يكن فيه الألف واللام[1] .

ونقل النحاس من كتاب « شرح أبيات سيبويه » للمبرد ، رأيه فى حذف اسم إن فى بيت الأعشى :

إنَّ مَنْ لامَ فى بنى بنت حسا ن أَلُمْهُ وأَعْصِهِ فى الخُطوبِ

يرى الخليل وسيبويه أن الشاعر جازى بأن حيث أضمر الهاء — وهو ضمير الشأن محذوف — ولو لم يرد الهاء لكان محالا — وقد تابعهما الزجاج والمبرد[2] .

وقد نقل النحاس رأى المبرد من كتاب « الشرح » فقال : (قال أبو العباس فى الشرح : وأجاز الزيادى[3] : إنّ من يأتنا نأته على غير ضمير فى إنّ وهذا لا يجوز لامتناع الجزاء من أن يعمل فيه ما قبله[4]) .

والصحيح ما ذهب إليه الخليل ومن تابعه . وإن ما ذهب إليه الزيادى لا تعضده اللغة ولا نصوصها الفصيحة الثابتة ، بل تدحضه . ومن ذلك قوله تعالى : « إنه من يأت رَبَّهُ مُجْرِماً فإنّ له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات

---

(١) كتاب سيبويه والاعلم عليه ١/٩٣

(٢) الخزانة ٢/٤٦٤

(٣) الزيادى هو ابراهيم بن سفيان بن سليمان ، أبو اسحاق الزيادى . له كتاب نكت سيبويه . قرأ على سيبويه ولم يتم الكتاب . توفى سنة ٢٤٩ هـ (انباه الرواة ١/١٦٦ والبغية ١/٤١٤) .

(٤) الخزانة ٢ : ٤٦٤

العلى »(١). وقوله تعالى : « إنه من يتق ويصـــبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين »(٢).

(ج) كتاب المقتضب :

أكثر النصوص التى نقلها النحاس من المبرد فى شرح أبيات سيبويه منقولة من كتاب المقتضب .

قال كعب الغنوى :

وما أنا للشىء الذى ليس نافعى ويغضب منه صاحبى بقؤول

وقد أنشده سيبويه شاهداً على نصب « يغضب » حملا على معنى ولأن يغضب ، وجوز الرفع حملا على صلة الذى(١) .

ولـكن المبرد يرجح الرفع ويجوز النصب على بُعد . قال النحاس : (قال محمد بن يزيد : الرفع الوجه لأن يغضب فى صلة الذى لأن معناه الذى يغضب منه صاحبى . قال : وكان سيبويه يقدم النصب ويثنى بالرفع ، وليس القول عندى كما قال لأن المعنى الذى يصح عليه الـكلام إنما يكون بأن يقع يغضب فى الصلة كما ذكرت لك . ومن أجاز النصب فإنما يجعل يغضب معطوفاً على الشىء ، وذلك جائز ولـكنه بعيد . وإنما جاز لأن الشىء منعوت : فكأن تقديره : « وما أنا للشىء الذى هـذه حاله ولأن يغضب صاحبى » . وهو كلام محمول على معناه ، لأنه ليس يقول الغضب إنما يقول ما يوجب الغضب . ومثل هذا يجوز ، تقول : « إنما جاء بك طعام زيد »

---

(١) سورة طه آيتان : ٧٤ ـ ٧٥

(٢) سورة يوسف آية : ٩٠

(٣) الخزانة ٢ ١٩٣

والمعنى إنما جئت من أجله)[١] . وهذا النص كله فى « المقتضب »[٢] .

والنص الآخر الذى أخذه النحاس من « المقتضب » وضمنه كتاب « شرح أبيات سيبويه » ، نقله فى شرح قول عدى بن زيد :

فى ليلة لا ترى بها أحداً   يحكى علينا إلا كواكبها

وقد أنشده سيبويه بنصب « كواكبها » ورفعها واختار النصب .

أما توجيه « المبرد » لهذه المسألة فقد أورده النحاس بقوله :« قال محمد ابن يزيد : أبدل الكواكب من المضمر فى «يحكى » ، ولو أبدله من أحد لكان أجود ، لأن أحداً منفى فى اللفظ والمعنى والذى فى الفعل بعده منفى فى المعنى ، قال ومثل ذلك : ما علمت أحداً دخل الدار إلا زيد أو إلا زيداً والنصب على البدل من أحد أو على أصل الاستثناء ، والرفع على البدل من المضمر)[٣] .

وهذا النص فى المقتضب[٤] .

وقد نقل النحاس من نصوص « المقتضب » فى مواضع أخرى بلفظ قال محمد بن يزيد أو قال أبو العباس ...[٥] كما أشار إلى آرائه فى أماكن عدة[٦] . واكتفينا بالمثالين السابقين فما أردنا إلا التمثيل .

---

(١) الخزانة ٣/٦١٩
(٢) المقتضب ٢/١٩
(٣) الخزانة ٢/١٩
(٤) المقتضب ٤/٤٠٣
(٥) المقتضب ٢/١٣٢ والخزانة ٣/٦٢٩
(٦) الخزانة /٤٣٥ ، ٣/٦٤٤

(د) شرح أبيات سيبويه للزجاج :

نقل النحاس عن أستاذه « الزجاج » مجموعة من الأقوال فى شرح شواهد كثيرة ولكنه بين بوضوح أن آراءه ليست إلا ظلالا لآراء سيبويه، لأنه نصب نفسه للدفاع عنها .

والظاهر أن النحاس نقل مجموعة من أقوال الزجاج لأن فيها توضيحاً لعبارة غامضة عند سيبويه أو لأنها تحمل تعليلا أو تورد حجة جديدة، دون أن تحمل هذه الأقوال وجهة نظر جديدة .

فنى شرح بيت « كعب الغنوى » : (وما أنا للشىء الذى ليس نافعى) يذكر النحاس رأى المبرد ـ وهو يمثل وجهة نظر مستقلة ـ ثم يذكر ما قاله الزجاج بياناً لحجة سيبويه فى توجيه النصب فى « يغضب » مع جواز الرفع . فيقول النحاس : (قال أبو إسحاق النصب بمعنى وغضب . أى : دون غضب صاحبى والرفع على أن يكون داخلا فى صلة الذى كأنه قال : والذى يغضب منه صاحبى)[1] .

وفى شرح قول « يزيد بن الحكم » :

« وكم موطن لولاى طحت كما هوى .... البيت »

أورد النحاس مذهب سيبويه ، ومذاهب المبرد والفراء وابن كيسان ثم قال : (وأما أبو إسحاق فجرى على عادته فى الاحتجاج عن سيبويه والتصحيح عنه فقال : إن خبر المبتدأ الذى بعد لولا يظهر فأشبهت لولا حروف الجر لوقوع اسم بعدها وكان المضمر لا يبنى فيه إعراب فجعل موضع المجرور)[2] .

---

(١) الخزانة ٣/٦١٩

(٢) الخزانة ٢/٤٣٢

وهكذا تشكل أقوال الزجاج فى كتابه شرح أبيات سيبويه ظلالا لآراء سيبويه وليس فيها من جديد البتة .

(هـ) شرح كتاب سيبويه للاخفش الصغير :

قرأ النحاس كتاب سيبويه على الأخفش الصغير [١] ، كما قرأه على الزجاج[٢]

وكثيراً ما يذكر النحاس أستاذه الأخفش بعبارات دالة على الأخذ المباشر مثل : سألت الأخفش الصغير[٣] ، أو سمعت أبا الحسن يقول[٤] .. أو قال لى على بن سليمان[٥]

وآراء أستاذه الأخفش الصغير تمثل ـ فى أكثر الأحيان ـ وجهة نظر لها قيمتها فى خضم الآراء اللغوية والنحوية التى تأتى فى سياق حديثه عن شاهد من شواهد كتاب سيبويه ، وإن بعض أقوال الأخفش تحل له إشكال ما يلاقيه من غموض فى نص من نصوص الكتاب .

ففى شرح قول الشاعر :

لقد رأيت عجباً مذ أمسا عجائزاً مثل الأفاعى خمساً

ذكر النحاس أن سيبويه أنشد هذا البيت على أن « أمسى » غير منصرف مجرور بالفتحة ، والألف للإطلاق . ثم عقب عليه بقوله : (وهذا من كلام سيبويه مشكل يحتاج إلى الشرح . وشرحه على بن سليمان فقال :

---

(١) الخزانة ٤/٣١١

(٢) الخزانة ٤/٣٨٦

(٣) الخزانة ١ : ١٩٣ ـ ١٩٤

(٤) الخزانة ١/٧٦

(٥) الخزانة ٢/٢٥٥ ، ٢٥٦

(أهل الحجاز - على ما حكاه النحويون - يكسرون أمس فى الرفع والنصب والخفض . وبنو تميم يرفعونه فى موضع الرفع بلا تنوين يجعلونه بمنزلة ما لا ينصرف وذلك أنه ليس على سبيل الظرف أن يرفع ، لأن الأخبار ليست عنه ، فلما أخبروا عنه زادوه فضلة فأخرجوه من البناء إلى مالا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر أجراه فى الخفض مجراه فى الرفع . وقدر «مذ» هذه الخافضة وفتحه لأنه لا ينصرف)[1] .

وفى شرح بيت « ذى الرمة »[2] :

حَراجيجُ ما تنفكّ إلا مُناخةً على الخسف أو نَرْمِى بها بَلَداً قَفْرا

قال النحاس : (سألت الأخفش الصغير فقال : لك أن تجعل « نرمى » معطوفاً ولك أن تقطعه ولك أن تقدر « أو » بمعنى « إلى » وتسكن الياء فى موضع نصب)[3] .

وفى شرح قول الشاعر[4] :

مَنْ يفعلِ الحسنات اللهُ يشكرها والشَرُّ بالشر عند الله سِيّان

الذى أنشده سيبويه[5] على حذف الفاء من جواب الشروط ضرورة ، أى : «فالله يشكرها » - وهذا فى الأصل رأى الخليل[6] - أورد النحاس

---

(١) الخزانة ٣/٢٢١.

(٢) كتاب سيبويه ٤٢٨/١ (المعنى : الحراجيج : الضمر والخسف : الجوع ، وهى أن تبيت الناقة على غير علف) .

(٣) الخزانة ٥٢/٤

(٤) نسبه سيبويه (الكتاب ٤٣٥/١) الى حسان بن ثابت ، ونسبه المبرد فى (المقتضب ٧٢/٢) الى ابنه عبد الرحمن بن حسان .

(٥) كتاب سيبويه ٤٣٥/١

(٦) سورة الشورى آية : ٣٠

رأى أستاذه الأخفش الصغير إذ يرى أنه يجوز حذف الفاء حتى فى الكلام ، خارج ميدان الشعر ، أى : فى غير ضرورة ، فقال : (قال أبو الحسن : هو عندى جائز فى الكلام إذا علم. ومنه قول الله عز وجل : «وما أصابكم من مصيبة فما كسبت أيديكم »[1] . وقرىء : « بما كسبت أيديكم » . فاستدل بهذا على أن الفاء محذوفة . ومنه قوله تعالى[2] : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين»[2])

والخلاصة أن أهم الكتب التى اعتمد عليها النحاس فى كتابه « شرح أبيات سيبويه » هى كتاب سيبويه وكتابا المبرد : شرح أبيات سيبويه والمقتضب . وشرح أبيات سيبويه للزجاج ، وشرح كتاب سيبويه للأخفش الصغير .

٦ ـ مصادره فى كتاب القطع والائتناف :

لم يتركنا « أبو جعفر النحاس » فى حيرة نتلمس طريقاً للبحث عن مصادره فى كتاب « القطع والائتناف » ، بل صرح بأكثر منابع الكتاب فى أوله أو فى مدخله وإذا كان قد أحجم عن ذكر بعضها ـ فى أوله ـ فإنه ذكرها فى أماكنها منه ما عدا « إيضاح الوقف والابتداء » لأبى بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) . فإنه أهمل ذكره تماماً. وإن كان قد اعتمد عليه ، وسنوضح هذه النقطة بعد قليل .

ومنابع المدخل ، إما أن تكون مروية بالسند ، وإما أن تكون مأخوذة من الكتب بدون الاعتماد على الرواية .

والقسم الأول ذكره فى باب تحت عنوان « ذكر الأسانيد لما فى هذا

(١) سورة البقرة آية ١٨٠.
(٢) الخزانة ٣/٦٤٤

الكتاب » ، كأن يقول : (كل ما قلنا فيه قال « نافع » فإنا كتبناه عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال المقرىء ، يرويه عن إسماعيل بن عبدالله المقرىء وأشعب بن سهل عن أحمد بن محمد عن سقلاب عن نافع . . وما كان عن « سعيد بن مسعدة » فهو عن أبى بكر بن شقير[١]) .

والقسم الثانى ذكره فى الحديث عن مصادر الكتاب فى أوله[٢] .

ويمتزج الحديث عن هذين القسمين فى فقرة واحدة يقول فيها : (ولست أعلم أحداً من القراء الأئمة الذين أخذت عنهم القراءة) له كتاب مفرد فى التمام إلا نافعاً ويعقوب ، فإنى وجدت لكل واحد منهما كتاباً فى التمام . فأما النحويون فلهم كتب سنذكرها منها ما يحتاج إليه فى هذا الكتاب . فمن النحويين : سعيد بن مسعدة[٣] ، وسهل بن محمد[٤] ، وأحمد ابن جعفر[٥] . ومحمد بن وليد[٦] شىء كان قد عمله فى « التمام » وفى كتب الكسائى والفراء وأبى عبيدة ، وغيرهم ما يحتاج إليه فى هذا الكتاب وسيمر بك إن شاء الله[٧]) .

وعبارته الأخيرة :(وفى كتب الكسائى والفراء وأبى عبيدة وغيرهم)، توحى بأنه قد يريد كتباً أخرى فى غير موضوع الوقف والابتداء بقرينة

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٩ : أ
(٢) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب
(٣) هو الاخفش الاوسط
(٤) أبو حاتم السجستانى
(٥) أبو على الدينورى ختن « ثعلب »
(٦) محمد بن ولاد والد أحمد بن ولاد صاحب المقصور والممدود
(٧) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

هى أن الكسائى ليس له كتاب فى « الوقف والابتداء » وبما أراد بها كتب « الوقف » وغيرها لأن للفراء كتاباً فى الموضوع .

ومصادره التى ذكرها فى المقدمة إنما أخذها عن ثلاثة أصناف من العلماء .

الأول : صنف القراء المتخصصين الذين كانت لهم اليد الطولى فى ميدان القراءات . أمثال أبى جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال المقرىء المصرى (المتوفى ٣١٠ هـ) ، وهو ينتمى إلى مدرسة ورش المصرى[١] وأبى العباس أحمد بن محمد البرائى[٢] (المتوفى ٣٠٢ هـ) .

الثانى : صنف الفقهاء والمحدثين كابن جميل (المتوفى ٣٠٠ هـ) الذى روى كتاب « معانى القرآن » للفراء عن طريق محمد بن الجهم السمرى تلميذ الفراء .

الثالث : صنف اللغويين والنحاة كأبى بكر بن شقير[٣] (ت ٣١٧) .

ويلاحظ أن أكثر الذين ذكرهم فى أسانيد الكتاب هم أساتذة له أو شيوخ لم تذكرهم المصادر التى ترجمت له أو لأساتذته .

وهذا يعنى أن كتاب « القطع والائتناف » يكشف عن شىء جديد فى حياة النحاس العلمية .

---

(١) طبقات القراء ١/٧٤

(٢) طبقات القراء ١/١١٣

(٣) أبو بكر أحمد بن شقير اللغوى والنحوى المعروف (ترجمته فى تاريخ بغداد ٤/٨٩ ، ومعجم الادباء ٣/١١ وانباه الرواة ١/ ٣٤ والبغية ١/٣٠٢)

من لم يذكر فى المقدمة :

وأما الذين لم يذكرهم فى المقدمة فأهمهم :

١ ـ نُصير بن يوسف بن أبى نصر (ت ٢٤٠ هـ) .

٢ ـ ومحمد بن عيسى بن إبراهيم الأصفهانى (ت ٢٥٣ هـ) .

٣ ـ وابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .

٤ ـ والعباس بن الفضل بن شاذان (ت ٣١٠ هـ) .

٥ ـ والطبرى : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

والثلاثة : نصير ومحمد والعباس ، لم يشتهروا كما اشتهر ابن قتيبة والطبرى ، ولكنهم كانوا ذوى شأن فى عصرهم وبعده .

فنصير كان ذا اهتمام باللغة وله فيها مؤلفات وصفها الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) بأنها حسان ، ولذلك كانت من مصادر التهذيب[1] ، ولكن الأزهرى لم يسمها ، بل سماها ابن النديم إذ ذكر له « كتاب الإبل » و« كتاب خلق الإنسان »[2] . وأخذ « نصير » اللغة عن أبى زيد والأصمعى .

وكان نحوياً معروفاً ذكرته كتب طبقات النحاة[3] ، وقد أخذ النحو عن الكسائى كما أخذ عنه القراءة[4] .

أما فى القراءة فهو « أستاذ كامل ثقة »[5] . كما (كان ضابطاً عالماً بمعنى القراءات ونحوها ولغتها)[6] .

---

(١) تهذيب اللغة ١/٢٢

(٢) الفهرست ٣٥ ومعجم الادباء ١٩/٢٢٥ نقلا عن الفهرست

(٣) ينظر البغية ٢/٣٤٠

(٤) طبقات القراء ٢/٣٤٠ والبغية ٢/٣١٦ (وفيه نصير بن أبى نصير)

(٥ ، ٦) سبط الخياط : المبهج فى القراءات /٣٨ ، ٤٠ وطبقات القراء ٢/٣٤٠

ونقل النحاس عنه ذو جانبين : جانب اللغة وجانب النحو فهو ينقل عنه ما يتعلق بآرائه اللغوية المتصلة بالوقف والابتداء كما ينقل عنه تعليلات وحججا نحوية تتصل بالموضوع نفسه(١) ، ويبدو من هذه النقول أن لنصير كتاباً في «الوقف والابتداء» ومما يقوى هذا أن النحاس يقرن اسم «نصير» مع أسماء أعلام المؤلفين في الوقف والابتداء(٢) .

أما محمد بن عيسى الأصفهاني فهو « إمام في القراءات كبير مشهور » وله اختيار ان في القراءة ، وهو تلميذ « نصير » المذكور ويونس بن عبدالأعلى صاحب ورش المصرى(٣) .

أما العباس بن الفضل بن شاذان فهو « أستاذ متقن مشهور ومؤلف كتاب المقاطع والمبادى»(٤) الذى تناول فيه الوقف والابتداء . فالراجح أن النحاس نقل منه .

فإذا كان هؤلاء الأعلام على هذه الحال من المنزلة والشهرة وبعد الصيت ومعارفهم لها صلة وثيقة بكتاب النحاس : « القطع والائتناف» .

فلماذا لم يذكرهم النحاس في مصادره في « المقدمة » ؟ ؟

يبدو أنه لم يذكرهم في « المقدمة » لأن كتبهم ليست بمستوى الكتب التى ذكرها كما أن شهرة أصحابها ـ مهما بلغت ـ ليست بشهرة « نافع بن أبى نعيم » ولا بشهرة الفراء أو يعقوب الحضرمى أو غيرهم ، بدليل قلة

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٩ : ب ـ ١٣٠ : أ ، ١٣٩ : أ ، ٢٥٠ : أ ، ٢٥٢ : أ

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٧٠ : ب

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٧٠ : ب

(٤) طبقات القراء ٢/٢٢٣ ، ٤٠٧

(٥) طبقات القراء ٢/٣٥٢

تردد اسم أى واحد من أولئك بالنسبة لنافع مثلا .... وستتضح هذه النقطة بعد صفحات قليلة . .

من لم يذكره البتــة :

أما من لم يذكره البتة مع اعتماده على كتابه فهو أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى (المتوفى ٣٢٨ هـ) ، صاحب كتاب : « إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل ».

وقد أهمل النحاس ذكره فى جميــع كتبه التى وصلت إلينا وذكر باقى أساتذته .

وهذه القضية لم أجد لها حلا مقبولا إلا أن النحاس أراد أن يُعَفِّىَ على آثار أخذه من كتابه فمسح على اسمه . . . . وإلا فلماذا فعل ذلك مع اعتماده على كتابيه شرح القصائد السبع وايضاح الوقف والابتداء ... !

ومن أوضح الأدلة على اعتماد النحاس على كتاب « إيضاح الوقف والابتداء » أنه استفاد منه حججاً وأدلة رد بها على اللغويين والنحويين .

ومن ذلك الحجة التى جاءت فى حديثه عن الوقف التام فى الآية الكريمة: « قال إنه يقول: إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك»[1] .

فقد اتفق كل من (نافع ، وعيسى بن عمر ، ويعقوب الحضرمى ، والفراء وجماعة من القراء والمفسرين) على أن التمام عنــد قوله : « ولا بكر » .

وخالفهم الأخفش فقال : التمام: «عوان بين ذلك» فعقب عليه النحاس

---

(١) سورة البقرة آية : ٦٨

بقوله : (قد جاء الأخفش بوجه بعيد . ومن النحويين من يقول : أخطأ وجاء بما لا يجوز البتة ، وذلك أنه جعل «عواناً» من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر فإذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أى : بين الفارض والبكر ، فقد قدم المضمر على المظهر)[١] .

والحجة التى احتج بها النحاس (وهى عدم جواز تقديم الضمير على الاسم الظاهر ، إذ يجب أن يعود الضمير على متقدم لفظاً ورتبة كما يقول النحاة) ، هى حجة ابن الأنبارى[٢] .

والحجة الأخرى التى أخذها من كتابه دون أن يشير إليه هى ما رد به على أبى حاتم السجستانى .

يرى أبو حاتم أن « الوقف » فى الآية الكريمة : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون »[٣] «تام» عند قوله تعالى : « فأحياكم » وحجته فى ذلك أن (هذا مما عاينوه ورأوه وهم لم يكونوا مؤمنين بحياة الآخرة والرجوع إلى الله عز وجل) ثم قال الله تعالى لهم : « ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » ، (فإنما وقع التوبيخ على ما هم مقرون به ، ومعاينون له) هذا نص كلام أبى حاتم كما يقول النحاس[٤] .

وقد عقب النحاس على هذا الكلام بقوله (وإذا تدبرت قوله ثم رأيته ما قاله غير ملزم « لأن الله جل وعز وبخهم بكفرهم فى الآية ، وهم غير مقرين بالكفر »)[٥] .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب
(٢) ايضاح الوقف والابتداء / ٥٢٠
(٣) سورة البقرة آية : ٢٨
(٤ ، ٥) القطع والائتناف لوحة ١٩ : ب

وهذه الحجة لابن الأنبارى[1] ولم يشر إليه النحاس ..

* * *

ومصادر النحاس — كما رأينا فيما مضى — إما مصادر متخصصة فى « الوقف والابتداء » ، وإما مصادر أخرى مساعدة . ويمكن تلخيصها فيما يأتى :

أولا — المصادر المتخصصة :

١ — كتب وقف التمام :

(أ) كتاب وقف التمام لنافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩ هـ) .

(ب) كتاب وقف التمام ليعقوب الحضرمى (ت ٢٠٥ هـ) .

(ج) كتاب وقف التمام للأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) .

(د) كتاب وقف التمام لأحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) .

٢ — كتاب الوقف والابتداء :

(أ) كتاب الوقف والابتداء للفراء (ت ٢٠٧ هـ) .

(ب) كتاب الوقف والابتداء لخلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ).

(ج) كتاب المقاطع والمبادىء[2] لأبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ).

(د) كتاب المقاطع والمبادىء للعباس بن الفضل بن شاذان (ت ٣١٠ هـ) .

---

(١) ايضاح الوقف والابتداء / ٥١٠

(٢) لم يسمه النحاس والاسم مأخوذ من كتاب « الايضاح فى القراءات » ورقة ١٣٥ : ب »

وأكثر أصحاب كتب (وقف التمام) تردداً فى الكتاب هو « نافع » فقد أحصيت له مايزيد على (١٦٠) مرة ذكره فيها النحاس وأقلهم وروداً « يعقوب » ، ويمكن ترتيبهم على الوجه الآتى :

نافع ... ثم الأخفش ... ثم الدينورى ... ثم يعقوب .

أما أكثر أصحاب كتب الوقف والابتداء تردداً فى كتاب « القطع والائتناف » فهو أبو حاتم ، ثم الفراء ، ثم العباس بن الفضل ، ثم خلف ابن هشام البزار .

ثانيا ـ المصادر المساعدة :

١ ـ كتب القراءات :

من الشخصيات التى ذكرها النحاس : محمد بن عيسى الأصفهانى (ت ٢٤٠ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، والطبرى (ت ٣١٠ هـ) . وليس لأحد منهم كتاب فى الوقف والابتداء .... ولا فى « التمام ، بل لهم كتب فى القراءات »[1]

وأرجح أنه اعتمد على هذه الكتب لأنها قد تذكر هذه الأمور المتعلقة « بالوقف والابتداء »[2] ... ولو كان ذكرها لها قليلا ، وهو مايتناسب مع ذكر كل واحد منهم فى كتاب « القطع والائتناف » لأن نسبة تردد اسم كل واحد منهم إلى اسم « نافع » هى ١ : ١٠ تقريباً .

---

(١) ينظر طبقات القراء ٢/٢٢٤ (بالنسبة للاصفهانى . سمى كتابه « الجامع فى القراءات » . وينظر : ترتيب المدارك ٣/٢٩٣ ـ وانباه الرواة ١٤٦/٢ أما بالنسبة لابن قتيبة ، فاسم كتابه « القراءات » . أما الطبرى فاسم كتابه « الجامع فى القراءات » . أنظر طبقات القراء ٢/١٠٧)

وليس معنى ذلك أنه قصر فائدته من كتب القراءات تقريباً على هذه الناحية بل استفاد منها فى موضوع القراءات أيضاً .

ولكننا نلاحظ فى استعمال النحاس القراءات أمرين . الأول : أن استعماله القراءات قليل فلم يذكرها إلا إذا تعلقت بإيضاح الوقف والابتداء وقد وضح هذا الموقف بصريح العبارة[1] .

الثانى : أن القراءات هى « المسوغ الوحيد » الذى يجيز فيه النحاس أكثر من وجه فى الوقف .

ففى بيان « الوقوف » فى الآية الكريمة : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون »[2] قال: (قال يعقوب : من الوقف « أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم » قال أبو جعفر[3] : إذا كانت القراءة بكسر «إن» . وهذه قراءة أبى جعفر[4] وشيبة ونافع وأبى عمرو . والقول كما قال يعقوب . وهو مذهب الفراء لأنه يذهب إلى أن « إنّ » مكسورة على الاستئناف ، وقرأ الحسن وابن أبى إسحاق وعاصم والأعمش وحمزة والكسائى « أنّ الناس » بفتح همزة أن . فالتمام على هذه القراءة « لا يوقنون »)[5] ، ولها نظائر فى كتاب « القطع

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب « سورة الجن » . قال أبو جعفر النحاس : (وانما ذكرنا كل ما بلغنا من القراءات فى هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج الى معرفة القراءات فيها) .

(٢) سورة النمل آية : ٨٢

(٣، ٤) أبو جعفر الأول هو النحاس والثانى هو : يزيد بن القعقاع المدنى المقرئ، أحد القراء العشرة (طبقات القراء ٢ / ٣٨٢)

(٥) القطع والائتناف لوحة ١٦٧ : أ ـ ب

والائتناف »[١] .

أما كتب النحو وآراء النحاة وآراء اللغويين التي كانت من الأسس التي سوغت له « نظرية الاحتمالات النحوية » ، في كتبه الثلاثة (إعراب القرآن وشرح القصائد التسع ومعاني القرآن) ، فقد اتخذ من تلك الآراء موقفاً جديداً في كتاب « القطع والائتناف » .

٢ ـ كتب النحو آراء والنحاة :

ذكر النحاس — في ثنايا سطور كتابه — مجموعة من النحاة مثل الخليل[٢] . . وسيبويه[٣] والمبرد[٤] والأخفش : الأوسط[٥] والأصغر[٦] كما ذكر الرؤاسي[٧] والكسائي[٨] وغيرهم[٩] .

ولكن الملاحظ أن النحاس لم يتناول قضايا النحو تناولا تفصيليا ، بل اقتصر على الأصول العامة ، ولم يمس الجزئيات إلا مساً خفيفاً .

ومن أمثلة تناوله « قضايا النحو » في « القطع والائتناف » حديثه عن « الأئمة »[١٠] في « سورةوالنازعات » لاسيما الآيات : « والنازعات

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٦٦ أ

(٢) القطع والائتناف لوحة ٢٤٤ : أ

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٥ : ب

(٤) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب

(٥) القطع والائتناف لوحة ١٨ : أ ، ولوحة ٤٤ : ب

(٦) القطع والائتناف لوحة ١٧٠ : ب

(٧) القطع والائتناف لوحة ٢١٨ أ ، ٢٥١ ب ، ٢٥٢ أ

(٨) القطع والائتناف لوحة ٢١٨ أ ، ٢٥١ : ب ، ٢٥٢ : أ

(٩) القطع والائتناف لوحة ٢١٧ : أ

(١٠) جمع « تمام » أي : وقف تمام

غرق ، والناشطات نشطا ... فالمدبرات أمراً .... إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى »[١] . إذ يقول : (من قال : جواب القسم « إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » قال : ههنا التمام ، ومن قال : الجواب محذوف لأنه قد علم المعنى قال : « الوقف فالمدبرات أمراً » والتقدير عنده « لتبعثن ولتحاسبن وهذا مذهب الفراء » . ومن قال « فإذا هم بالساهرة والنازعات »[٢] ، فالتمام عنده « بالساهرة » ، وهذا قول ذكره أبو حاتم . وهو على بعده خطأ من جهتين : إحداهما أنه يبتدىء بالفاء ، وهذا لا يجوز عند أحد من النحويين والأخرى أن أول السورة واو القسم وسبيل القسم فى النحو إذا ابتدىء به ألا يلغى ، وأن يكون له جواب ، وهذا أصل من أصول النحو)[٣] .

وهذا المنهج يخالف تماماً ماسار عليه فى كتبه الأخرى .

فقضية « العطف على الضمير المخفوض الاسم الصريح » ، قد فصل فيها النحاس القول فى « إعراب القرآن » بحيث استغرقت مايقرب من (٣٤) سطراً[٤] . ذكر فيها رأى البصريين والكوفيين ، وخص بالذكر سيبويه والمازنى[٥] . ولكنه أشار إلى هذه القضية فى « القطع والائتناف » إشارة خفية ولم يشر إلى اسم أحد من النحويين . بل قال ، وقد أجزت —

(١) الايات ١ ، ٢ ، ٥ .. (٢٦)

(٢) أى على التقديم والتأخير — ينظر تفصيل هذا الرأى فى « ايضاح الوقف والابتداء » ٩٦٥

(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٤٨ : ب

(٤) أعنى من سطور كتابنا وليس من سطور المخطوطة

(٥) اعراب القرآن لوحة ٤٤ : أ

أى العطف على الضمير ـ جماعة من النحويين ،(١)

فلماذا أهمل ذكر التفاصيل النحوية فى كتاب « القطع والائتناف » دون بقية كتبه ؟

تعليل ذلك أنه استخدم قوانين النحو وأصوله لتفسير ظاهرة « الوقف والابتداء » تفسيرا نحويا . وكتابه ليس فى قواعد النحو ومسائله التفصيلية ، ولكنه كتاب يعالج تلك الظاهرة تعليلا نحويا .

والفرق واضح بين استخدام القواعد والحديث عنها .

ففى الحالة الأولى تكون القواعد وسيلة للتفسير وفى الحالة الأخرى تكون القواعد غاية مقصودة لذاتها .

كما أن النحاس فسر مسائل الوقف والابتداء تفسيراً لا يحتمل وجوهاً من الإعراب (إلا فى حالة واحدة هى مجىء قراءتين متواترتين لا يمكن دفع واحدة منهما) ، وتفسيره لنوع من أنواع « الوقوف » مبنى أساساً على أصل نحوى أو حجة لغوية ، تفسر سياقاً « أو جملة » تقوم فيه كل كلمة ـ يوقف عليها ـ « بدور واحد » أى لها وجه واحد من الإعراب .

ومعنى هذا أن « نظرية الاحتمالات النحوية » ، قد انحسر مدها فى كتاب « القطع والائتناف » لأنه قائم على أساس جديد ، ويفسر ظاهرة جديدة تفسيراً يختلف تماماً عن المنهج الذى اتبعه فى كتبه الأخرى .

٧ ـ مصادره فى كتاب اللامات :

سبق النحاس بمجموعة من كتب اللامات . هى :

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : أ

١ ـ كتاب اللامات[1] لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) .

٢ ـ كتاب اللامات[2] للأخفش سعيد بن مسعدة (٢١٥ هـ) .

٣ ـ كتاب اللامات[3] لداود بن أبي طيبة (ت ٢٢٣ هـ) .

٤ ـ كتاب اللامات[4] لابن كيسان (ت ٣٢٠ هـ) .

٥ ـ كتاب اللامات[5] لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) .

لكن النحاس فيما يظهر اختار قسما من هذه المصادر، كما فعل في كتبه الأخرى ، وترك قسما منها .

وفي كتابه العظيم « إعراب القرآن » لم يشر في حديثه عن اللامات إلا إلى اسمي الأخفش وابن كيسان دون بقية أسماء المجموعة . كما أشار فيه وفي كتاب اللامات إلى أسماء أخرى ليست في المجموعة ، هي أسماء « خلف » و « قطرب » و « يونس بن حبيب » .

ففي « إعراب » (لنسلم) قال عن اللام هي لام كي وأنه سمع أستاذه ابن كيسان يقول : اللامات كلها ثلاثة : لام خفض ولام توكيد ولام جر[6]

وفي موضع آخر نقل قول يونس أن ناساً من العرب يفتحون لام كي، وأضاف أن « خلفاً » قال : هي لغة بني العنبر[7] وأورد رأي الأخفش

---

(١) البغية ١/٥٨٣ وطبقات المفسرين ١/١٨٠.

(٢) الفهرست /٣٥ ومعجم الادباء ٢٢٨/١١

(٣) الفهرست /٣٥

(٤) الفهرست /٣٥ والبغية ١٩/١ وطبقات المفسرين ٥٤/٢

(٥) الفهرست /٧٥ وانباه الرواة ٢٠٨/٣ والبغية ٢١٤/١ وطبقات المفسرين ٢٢٩/٢

(٦) اعراب القرآن لوحة ٦٧ : ب

(٧) اعراب القرآن لوحة ١٣ أ

معللا ذلك بأنه الأصل كما أشار فى كتاب اللامات أن لام كى من وضع قطرب[1].

وإذا افترضنا أن مصادره واحدة فى موضوع اللامات ، فإن مصادره فى كتاب اللامات هى ، على وجه الترجيح :

كتاب اللامات للأخفش وكتاب اللامات لابن كيسان وآراء يونس ابن حبيب وخلف الأحمر وقطرب .

٨ ـ مصادره فى « معانى القرآن » :

مصادر النحاس فى « معانى القرآن » نوعان :

أولا : المصادر المتخصصة .

ثانياً : المصادر المساعدة .

أولا ـ المصادر المتخصصة :

أما المصادر المتخصصة فهى التى تتصل بموضوعه اتصالا مباشراً وتشتمل على الكتب المسماة « معانى القرآن » وماهو فى حكمها ، وإن لم يطلق عليها هذا الاسم ، مثل مجاز القرآن لأبى عبيدة (ت ٢١٠ ﻫ) وتفسير الطبرى (ت ٣١٠ ﻫ) ، والتفسير المأثور عن الصحابة والتابعين .

كتب معانى القرآن :

النحاس مسبوق بمجموعة من هذه الكتب ، والظاهر أنه انتقى منها مجموعة ، هى :

---

(١) كتاب اللامات ـ مجلة المورد ، المجلد الأول /١٤٨

(أ) معـانى القرآن للكسـائى :

وهو مفقود ، وإن ذكرته مجموعة من مصـادر ترجمة الـكسائى[(١)] وقد احتفظ النحاس بنصوص منه . وأكثر المعانى المستفادة من كتاب الـكسائى هى معان لغوية ، وقليل منها معان نحوية ، لأن النحاس رجع فى القضايا النحوية إلى مصادر أكثرها بصرية وقليلا ما استشهد بنحاة الـكوفة .

ففى شرح الآية الـكريمة : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها »[(٢)] أورد عن الـكسائى أنه قال :(خوت خوى وخواء وخواية والعروش : السقوف . ومعنى خاوية على عروشها :ساقطة على سقوفها)[(٣)] .

وفى حجة ضم الصاد فى قراءة من قرأ (فصرهن إليـك)[(٤)] نقل النحاس قول الـكسائى : (من ضمها جعلهـا من صرت الشىء ، إذا أملته)[(٥)]

وفى بيان معنى الآية الـكريمة : « وكان الله على كل شىء مقيتا »[(٦)] حكى عن الـكسائى أنه قال : (أقات يقيت إذا قدر ، قال الشاعر :

---

(١) الفهرست ٣٤/ ومعجم الادباء ٢٠٢/١٣ والبغية ١٦٤/٢ وطبقات المفسرين ٤٠٢/١ (وقد وصفه الازهرى بأنه « كتاب حسن » ولكنه دون كتاب الفراء فى المعانى ــ تهذيب اللغة ١٦/١)

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٩

(٣) النحاس معانى القرآن ، ورقة ٢٨ : أ ، وعندما أطلق اسم « معانى القرآن » فانما أريد به معانى النحاس

(٤) سورة البقرة آية : ٢٦٠

(٥) معانى القرآن ورقة ٢٩ : أ

(٦) سورة النساء آية : ٨٥

وذى ضغن كففت النفس عنه   وكنت على مساءته مقيتا)[١] .

وربما جمع بينه وبين الفراء . ففى بيان معنى الكاف فى الآية الكريمة : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، نقل رأيهما فقال : (قال الكسائى والفراء : « الكاف فى قوله : أو كالذى عطف على معنى الكلام ، أى : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه[٢] أو كالذى مر على قرية . . . . . .)[٣] .

ويلاحظ أن النحاس يرتضى جل آراء الكسائى اللغوية والنحوية على عكس ما فعل مع آراء الفراء .

(ب) معانى القرآن للفراء :

النحاس قليل النقل من معانى الفراء ـ هنا ـ وقليلا ما يشير إلى اسمه على عكس ما فعل فى « إعراب القرآن » حيث أكثر من الإشارة إليه سواء أكان ذلك فى مواضع الموافقة أم المخالفة .

يضاف إلى ما سبق أن النحاس جعل الفراء هدفاً فرد عليه فى أكثر المواضع التى أشار فيها إليه

فقد رد عليه قوله : (عَدْلُ الشيء مثله من غير جنسه ، وعِدْله مثله من جنسه) .

إذ عقب عليه النحاس قائلا : (وأنكر البصريون هذا التفريق ، وقالوا : العَدْل والعِدْلُ : المثل سواء أكان من الجنس أم من غير

---

(١) معانى القرآن ورقة ٧٦ : ب
(٢) وهى الآية (٢٥٨) من البقرة
(٣) معانى القرآن ورقة ٢٨ : أ

الجنس)[١] .

وفى بيان معنى « مثليهم » فى الآية الكريمة : « يرونهم مثليهم رأى العين » ، أورد النحاس قول الفراء : (يحتمل أن يكون مثليهم ثلاثة أمثالهم) .

فرد عليه النحاس بقول أستاذه الزجاج : (هذا باب ، الغلط فيه بجميع المقاييس لأنا إنما نعقل مثل الشىء مساوياً له ونعقل مثليه ما يساويه مرتين)[٢]

(جـ) معانى القرآن لأبى عبيدة :

أقوال أبى عبيدة التى نقلها النحاس ترجع إلى : مجاز القرآن ومعانى القرآن لأبى عبيدة .

وعند موازنتى بين نقول النحاس ومجاز أبى عبيدة وجدت أن أكثر ما نقله النحاس يرجع إلى « المجاز » وقليل منه يرجع إلى « المعانى » . وقليلا ما يجمع النحاس بين ما قاله أبو عبيدة فى الكتابين .

ففى شرح الآية الكريمة « فقالوا : أرنا الله جهرة »[٣] ، نقل النحاس قول أبى عبيدة : (هو من صفة القول ، والمعنى : قالوا جهرة أرنا الله) ، ورده لأن المعنى أرنا الله رؤية متكشفة . وهو قول « قتادة »[٤]

---

(١) معانى القرآن ورقة ١٠٤ أ وينظر تفصيل لهذه المسألة فى كتاب « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » / ٥١٠ ، ٥١١

(٢) معانى القرآن ورقة ٣٨ : أ

(٣) سورة النساء آية : ١٥٣

(٤) معانى القرآن ورقة ٨٦ : ب

وفى شرح قوله تعالى : « وكفلها زكريا »[١] نقل ماقاله أبو عبيدة :
(كفلها : ضمنها أو ضمن القيام بها)[٢] .

أما فى شرح معنى الآية الكريمة : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها »[٣] ، نقل قول أبى عبيدة (يقال عروشها : بيوتها والعروش : الخيام ، وهى بيوت الأعراب)[٤] .

والنص الموجود فى « المجاز » : (على عروشها : على بيوتها وأبنيتها)[٥] .

ومعنى هـذا أن النحاس مزج بين ما قاله أبو عبيدة فى كتابيه المجاز والمعانى .

أما ماذكره الدكتور « فؤاد سزكين ... فى مقدمته لمجاز القرآن حيث قال : (ذكر ابن النديم لأبى عبيدة كتباً تتصل بالقرآن : مجاز القرآن وغريب القرآن ومعانى القرآن ، ثم إعراب القرآن ، وكذلك صنع من جاء بعد ابن النديم ، وهذا الصنيع يفهم منه أن هناك كتباً متعددة لأبى عبيدة ... والذى نظنه أنه ليس لأبى عبيدة غير كتاب المجاز) .

فنحن لا نوافقه إلا على كون غريب القرآن هو المجاز أما بقية كلامه فنرفضه على أساس النصوص التى أوردناها .

(د) معـانى القـرآن للاخفش :

ينقل النحاس من أقوال الأخفش سعيد ، قليلا ، ولـكنه ينتقى أقواله غالباً .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٧
(٢) معانى القرآن ورقة ٤٠ : ب
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٧
(٤) معانى القرآن ورقة ٢٨ : ب
(٥) مجاز القرآن ١/٨٠

فنى بيان معنى (كيف) فى الآية ١٠١ من سورة آل عمران : «وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » ، نقل قوله : (كيف: على أى حال) ، ثم ارتضاه ولم يعقب عليه (١) .

وحين وضح معنى (لا يجرمنكم) ، نقل أن الأخفش قال : معناها : لا يحقن لكم .(٢) ونقل معه رأى الفراء الذى يقول : معناها : لا يحملنكم، وقول أبى عبيدة : (لا يكسبنكم) .

ثم عقب على هذه الآراء جميعاً بقوله : (وكل هذه المعانى متقاربة) .

(هـ) معـانى القرآن لابن قتيبة :

موقف النحاس من « ابن قتيبة » ـ هنا ـ مثل موقفه من الفراء فهو لا يذكرهما إلا ليرد عليهما . ونادراً ما ارتضى لأحدهما قولا .

أورد النحاس فى معنى الآية الكريمة : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »(٣)، قولين: أحدهما قول مجاهد والضحاك وقتادة : إن المسلمين كانوا يسألون عن أمر اليتامى ، أى : فكما تخافون فى أمر اليتامى تخافوا فى أمر النساء إذا اجتمعن أن تعجزوا عن العدل بينهن ، وبين أن جماعة من أهل اللغة منهم : الفراء وابن قتيبة قالوا بهذا . والقول الآخر رواه الزهرى عن عائشة قالت : هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها

---

(١) معانى القرآن ورقة ٤٨ : ب (ولم أجد قول الاخفش فى معانيه فى موضع الآية)

(٢) معانى القرآن ورقة ٨٩ : أ ، ومعانى الاخفش ورقة ١٠٢ : ب (وقد تحرفت فى معانى النحاس الى : يحقنكم)

(٣) سورة النسـاء آية : ٣

من غير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوا اليتامى[١] .

ثم رجح النحاس قول من خالف ابن قتيبة قائلا : والقول الثانى أعلى إسناداً وأجود عند أهل النظر[٢] .

وعند بيان معنى قوله تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك »[٣] نقل قول ابن قتيبة : (و « لكن » لا تكون إلا بعد نفى . قال : وهى محمولة على المعنى لأنهم لما كذبوا فقد نفوا . فقال الله عز وجل : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك ») .

وعقب عليه النحاس بقوله: (وهذا غلط لأن « لكن » ـ عند النحويين ـ إذا كانت بعدها جملة وقعت بين النفى والإيجاب . وبعدها ههنا جملة . وإنما يقول النحويون : لا تكون ـ لكن ـ[٤] بعد نفى إذا كان بعدها مفرد)[٥] .

(و) معانى القرآن للمبرد :

الأقوال التى عزاها النحاس للمبرد قسمان : **الأول** نقول من معانى الزجاج . والثانى من كتاب معانى القرآن للمبرد .

فمن النوع الأول ما جاء فى بيان معنى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلا »[٦] . حيث نقل أن أبا إسحاق الزجاج قال : قال محمد بن يزيد : كان ههنا زائدة والمعنى إنه فاحشة ، وأنشد:

---

(١) نقلت هذه الاقوال بتصرف بسيط

(٢) معانى القرآن ورقة ٦٠ : أ

(٣) سورة النساء آية : ١٦٦

(٤) « لكن » زيادة للتوضيح

(٥) معانى القرآن ورقة ٨٨ : أ

(٦) سورة النساء آية : ٢٢

فكيف إذا رأيتَ ديارَ قوم   وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ

وإن أبا إسحاق عقب على هذا بقوله : (وهذا عندى خطأ لأن « كان » لو كانت زائدة وجب أن يكون إنه كان فاحشةً ومقت)[1] .

ومن النوع الثانى ما جاء فى بيان معنى قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، حيث قال النحاس : (قال محمد بن يزيد : التقدير وإن خفتم ألا تقسطوا فى نكاح اليتامى ، ثم حذف هذا ، ودل عليه « فانكحوا »[2] .

(ز) معانى القرآن للزجاج :

لم أجد النحاس أكثر من النقل عن أحد من أصحاب كتب المعانى كما أكثر عن الزجاج .

ولكن الملاحظ أنه ينقل تلك الأقوال بتصرف ، وقد يكون نقله غير دقيق أحياناً .

ففى بيان معنى الآية الكريمة : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ »[3] نقل النحاس أن الزجاج قال : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة ، ثم قال : إلا خطأ ، لكن إن قتله خطأ)[4] .

وجاء نص قول الزجاج فى « معانيه » بالصورة الآتية : المعنى : ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة ، وإلا خطأ استثناء ليس من الأول ، المعنى :

---

(١) معانى القرآن ورقة ٦٦ : أ ، ومعانى الزجاج ورقة ١٣ : أ (مخطوط دار الكتب ١١١ تفسير م)

(٢) معانى القرآن ورقه ٦٠ : أ

(٣) سورة النســاء آية : ٩٢

(٤) معانى القرآن ورقة ٧٨ أ ، ومعانى الزجاج ورقة ٣٦ : أ ، ومعنى استثناء ليس من الأول : استثناء منقطع .

إلا أن يخطىء المؤمن وكفارة خطئه ما ذكر بعده[١]) . أى ما ذكر فى الآية نفسها « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » .... الآية .

وشتان بين نقل النحاس ونص الزجاج ...

والنص الآخر الذى نقله النحـــاس هو ما جاء فى بيان معنى الآية « أو جاؤوكم حصرت صدورهم[٢] » .

فقد جاء فى معانى القرآن ما يأتى : (قال أبو إسحاق الزجاج : يجوز أن يكون خبراً بعد خبر[٣]) .

وجاء النص فى معانى الزجاج بالصيغة الآتية : (قال بعضهم : حصرت صدورهم : خبر بعد خبر[٤]) .

وواضح أن النحاس نسب الرأى للزجاج وهو ليس له بل « لبعضهم » إذ لم يسمه جاج .

(ح) معـانى القرآن لابن كيسـان :

ابن كيسان يقرن – عند النحاس – بالزجاج . وهذه المنزلة تفسر لنا كثرة إشارة النحاس إليهما فى كتبه الثلاثة : (إعراب القرآن ومعانيه وشرح القصائد) .

أما بالنسبة لمعانى القرآن ، فقد ارتضى النحاس مجموعة من آراء

(١) معانى القرآن ورقة ٧٨ أ ، ومعانى الزجاج ورقة ٣٦ : أ ، ومعنى استثناء ليس من الأول : استثناء منقطع

(٢) سورة النســاء آية ٩٠

(٣ ، ٤) معانى القرآن ورقة ٧٧ : ب ، ومعانى الزجاج ورقة ٣٥ : ب

أستاذه (ابن كيسان فعند بيان متعلق الكاف فى الآية الكريمة : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات الله »[١] ، أورد النحاس رأى أستاذه حيث قال : (ويحتمل على بعد أن تكون متعلقة « بكذبوا » . أو يكون فى « كذبوا » ضمير الكافرين لا ضمير آل فرعون)[٢] .

ويستند إلى رأيه ليحسم الخلاف حول قضية من قضايا اللغة ففى الحديث عن معانى الآية الكريمة : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم »[٣] . جاء فى معانى القرآن : (قرأ عمر بن الخطاب : القيام ، وقرأ علقمة القيم : قال ابن كيسان : القيّوم فيعول وليس بفعّول لأنه ليس فى الكلام « فعول » من ذوات الواو ، ولو كان ذلك لقيل قووم والقيام « فيعال » أصله : القيوام . وأصل القيوم : القيووم . وأصل القيم فى قول البصريين القيوم . وقال الكوفيون : الأصل : القويم . قال ابن كيسان : ولو كان كذا فى الأصل لم يجز فيه التغيير كما لا يجوز فى طويل وسويق)[٤] .

ولهذا المثال وذاك نظائر فى المعانى[٥] .

هذه هى أهم الكتب الموسومة بـ « معانى القرآن » المستعملة عند النحاس .

أما بقية تلك الكتب فقد تركها ، فلم يشر إلى أسماء أصحابها إلا فى حالات نادرة ويرجح أنها ليست من كتبهم فى المعانى .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١
(٢) معانى القرآن ورقة ٣٧ : ب
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥
(٤) معانى القرآن ورقة ٢٦ : ب (ومعنى القيوم : الذى لا يزول)
(٥) معانى القرآن ورقة ٣٧ : ب ، ورقة ٣٨ : أ ، ٩٥ : أ

ومن الأمثلة على ذلك إشارته إلى (اختيار أبي عبيدة في القراءة)، وهذا الاختيار كتاب مستقل غير كتاب المعاني[1].

(ط) مجاز القرآن :

يستشهد النحاس بنصوص أبي عبيدة استشهاداً يوازي استشهاده بأقوال أستاذه « ابن كيسان ».

وموقف النحاس من أبي عبيدة يتلخص في :

(ا) أنه يعتمد على كتاب « مجاز القرآن » عند بيان المعاني اللغوية المفردة غير مرتبطة بالسياق الجملي والأسلوبي أي : أنه اقتصر على المعاني المعجمية ، مع أن صاحب « المجاز » قد اهتم في أول الكتاب ببيان الأساليب النحوية المرتبطة بالجملة ارتباطاً كلياً وبيان صلة هذه الأساليب بأعراف اللغة. أي أن اهتمام أبي عبيدة في كتاب المجاز ذو جانبين : جانب الدلالة المعجمية : أو جانب المعاني المفردة غير المرتبطة بالأساليب اللغوية . أما الجانب الآخر فهو جانب الدلالة الأسلوبية ، أو جانب الدلالة مرتبطة ببيئتها الاجتماعية وفلسفتها اللغوية ومن أمثلة هذا الجانب اهتمامه بما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت إلى مخاطبة الغائب كقوله تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم[2] . أي : وجرين بكم[3] . واهتمامه بما جاءت مخاطبته عن غائب ثم خوطب به الشاهد مثل قوله تعالى « ثم ذهب إلى أهله يتمطى. أولى لك فأولى »[4] . أي : أولى له فأولى[5] .

---

(١) طبقات القراء ٩٣/١
(٢) سورة يونس آية ٢٢.
(٣) مجاز القرآن ١١/١
(٤) سورة القيامة الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٥) مجاز القرآن ١١/١

وقد ترك النحاس كثيراً من هذه الأساليب فلم يقتبسها فى « المعانى » لأنه يهتم بالدلالة المعجمية والقضايا الجزئية . وقد يمعن فى الإيغال فيجد لكل جزئية من جزئيات القضية الواحدة اشتقاقاً لغوياً ، كما مضى فى الحديث عن الآية الكريمة : « لا إله إلا هو الحى القيوم » .

فالنحاس اقتصر فى المعانى على اقتباس ما يتعلق بالدلالة المعجمية ومن أمثلة اقتباسه من مجاز أبى عبيدة ما جاء فى شرح الآية الكريمة « والرسول يدعوكم فى أخراكم » (١) . إذ أورد النحاس ما يأتى « قال أبو عبيدة : فى أخراكم : فى آخركم » (٢) وما قاله الأخير موجود فى مجازه (٣) .

ومنها ما جاء فى بيان معنى « وكفلها زكريا » (٤) . فقد قال : (قال أبو عبيدة : معنى كفلها : ضمنها . أو ضمن القيام بها) (٥) .

ولكن نص « المجاز » : (أى : ضمنها ، وفيها لغتان) . . . (٦)

(ب) أما بالنسبة لشواهد أبى عبيدة فإنه :

إما أن يحذفها كما فعل حين ترك بيت الحطيئة الذى استشهد به أبو عبيدة فى شرح معنى كلمة « السر » ، وهو (٧) :

ويحرم سِرُّ جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

وإما أن يأخذ منه شطراً هو موضع الاستشهاد ، كما فعل حين شرح

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٣

(٢ ، ٣) معانى القرآن ورقة ٥٤ : ب ، ومجاز القرآن ١/١٠٥

(٤) سورة آل عمران آية ٣٧

(٥، ٦) معانى القرآن ورقة ٤٠ ب ومجاز القرآن ١/٩١

(٧) معانى القرآن ورقة ٢٣ : أ

معنى « الأكمه » بقوله[١] : قال أبو عبيدة : الأكمه الذى يولد أعمى . وأنشد :

* هرجت فارتد ارتداد الأكمه *

والبيت بتمامه فى مجاز أبى عبيدة .

وإما أن يذكر الشاهد تاماً غير منقوص كما فى شرح معنى « يجرمنكم » . إذ أورد شاهده[٢] :

ولقد طعنتُ أبا عيينة طعنة جَرَمَتْ فزارةُ بعدَها أنْ يغضبوا

والبيت فى « المجاز »[٣] .

(ى) تفسير الطبرى :

نال تفسير محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) تقدير العلماء منذ أن ظهر فى القرن الثالث[٤] فأثنى عليه اللغويون والنحاة والمحدثون والفقهاء[٥] .

ولعل أوضح ما أثر فى تلك الحركة التى أحدثها « تفسير الطبرى » ما قاله فيه « أحمد بن كامل » (ت ٣٥٠ هـ) : (اشتهر الكتاب وارتفع ذكره

---

(١) معانى القرآن ورقة ٤٢ : ب

(٢ ، ٣) معانى القرآن ورقة ٨٩ : أ ، ومجاز القرآن ١٤٧/١ (وقد وقع فى البيت فى كتاب المجاز تحريفان : الأول تحريف كلمة « جرمت » الى « جمعت » مع أن « جرمت » موضع الشاهد والتحريف الآخر . أن كلمة « بعدها » تحرفت الى « بعد ما » والتصحيح من معانى القرآن ورقة ٨٩ : أ والكتاب ٤٦٩/١ واللسان « جرم » ٣٥٩/١٤) .

(٤) انتهى من املائه سنة ٢٧٠ هـ (ينظر معجم الادباء ٦٢/١٨) .

(٥) تاريخ بغداد ١٦٤/٢ ، ومعجم الأدباء ٦٢/١٨ ، وطبقات القراء ١٠٨/٢ وطبقات المفسرين ١٠٩/٢

وحمل مشرقاً ومغرباً وقرأه كل من كان فى وقته من العلماء ، وكلٌّ فضله وقدّمه)(١) .

فإذا علمنا أنه انتهى من تأليفه وإملائه (سنة ٢٧٠ هـ) وقد سُبِق بمؤلفات كثيرة فى المعانى ـ ومنها كتب التفسير ـ لعلماء كبار ، قدّرنا قيمة كتاب الطبرى .

وإذا كان النحاس معروفاً باستيعاب مصادر بحثه فلا يترك منها إلا مالا غناء فيه فلا غرو أن يعتمد على « تفسير الطبرى » ويكرر اسم صاحبه.

والمنهج الذى اتبعه النحاس فى ذكر الطبرى يتلخص فيما يأتى :

(ا) أن يذكر اسم الطبرى فى « سياق » يفهم منه أنه أخذ من تفسيره كل تفاصيل السياق . ومن الأمثلة عليه ماجاء فى بيان معنى الآية ١٥٩ من سورة النساء : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » . إذ قال النحاس : (فى معنى الآية ثلاثة أقوال ـ أحدها : قال أبو هريرة : قبل موته أى : موت عيسى بن مريم وكذا قال قتادة . والثانى قول ابن عباس : قبل موت الذى من أهل الكتاب وهذا قول الحسن وعكرمة . وقال غير هؤلاء : إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موته . قال محمد بن جرير : أولى هذه الأقوال بالصواب والصحة قول من قال : تأويل ذلك إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وأن ذلك فى خاص أهل الكتاب ، ومعنى به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التى كانت بعد عيسى)(٢) .

---

(١) معجم الادباء ٦٢/١٨

(٢) معانى القرآن ورقة ٨٧ : أ ـ ب

وهذا يدل على أن الأقوال الثلاثة عنـــد الطبرى بقرينة وجودها في تفسيره[١].

(ب) أو يذكر اسم الطبرى بصيغة يفهم منها أنه لم يأخذ منه سوى جزئية من جزئيات السياق . ولكن الرجوع إلى تفسير الطبرى يثبت أن التفاصيل كلها مأخوذة منه .

ففي بيان معنى : « من قبل أن نطمس وجوهاً » في الآية ٤٧ من سورة النساء : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » ، أورد النحاس مجموعة من أقوال منها : قول « قتادة » : (من قبل أن تجعل الوجوه أقفاء) ثم عقب عليه قائلا : (ومعنى من قبل أن نطمس وجوهاً عند أهل اللغة : نذهب الأنف والشفاه والأعين والحواجب فنردها على أدبارها) .

ثم تساءل قائلا : (فإن قيل : كيف يفعل بهم هذا ؟ وأجاب بقوله في هذا جوابان : أحدهما : أنه خوطب به رؤساؤهم ممن أسر . روى هذا عن « ابن عباس » . والقول الأخير : أنهم حُذّروا أن يفعل هذا بهم يوم القيامة)[٢] .

وبعد هذين الجوابين أورد تعقيب الطبرى : (وقال محمد بن جرير : (ولم يكن هذا لأنه قد آمن منهم جماعة) .

ومن التعقيب يفهم أن النحاس لم يأخذ من كتاب الطبرى سوى الجواب الثاني، ولكن الرجوع إلى تفسير الطبرى يثبت أنه أخذ منه الجوابين معاً[٣] .

(١) تفسير الطبرى ٦/١٣ ـ ١٤

(٢) معانى القرآن ورقة ٧٢ : أ

(٣) تفسير الطبرى ٥/٧٣ ومعانى القرآن ورقة ٧٢ : أ

(ج) وقد يأخذ منه تفاصيل وجزئيات كثيرة لبيان معنى الآية دون أن يشير إليه أية إشارة .

فعندما وضح معنى الآية الكريمة : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، قال : فى معنى الآية قولان : أحدهما أن « ابن عباس قال فيما روى عنه : » قصر الرجل على أربع من أجل اليتامى. وروى عن جماعة من التابعين شرح هذا القول وروى عن مجاهد والضحاك وقتادة وهذا معنى قولهم : إن المسلمين كانوا يسألون عن أمر اليتامى ، أى : فكما تخافون فى أمر اليتامى تخافوا فى أمر النساء إذا اجتمعن أن تعجزوا عن العدل بينهن . والقول الآخر : رواه الزهرى عن عروة قال : سئلت عائشة ...... الخ[1] .

وكل هذه التفاصيل فى تفسير الطبرى[2] .

(ك) التفسير المأثور :

يلاحظ أن النحاس قد أورد مجموعة من أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم لاسيما أقوال ابن عباس (٦٨ هـ) ومجاهد (ت ١٠٣ هـ) ، وعكرمة (ت ١٠٥ هـ) والضحاك بن مزاحم[3] (ت ١٠٥ هـ) ، كما أورد جزءاً من أقوال عبد الله[4] بن مسعود (ت ٣٢ هـ) وزيد بن[5] ثابت (ت ٤٥ هـ) . وغيرهم[6] .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٦٠ : أ

(٢) تفسير الطبرى ٤/١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) معانى القرآن ورقة ١٩ : ب ، ٢٤ : ب ، ٣٢ : أ ، ٩٢ : ب

(٤) معانى القرآن ورقة ٩٢ : ب

(٥) معانى القرآن ورقة ٧٧ : أ

(٦) معانى القرآن ورقة ٧٣ : ب ، ٨٧ : ب

فعندما بين معنى (اللامس) فى الآية ٦ من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم مرضى .... أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا » ثم أورد قول ابن عباس: «أن اللمس والمس والغشيان : الجماع ، ولكنه جل وعز كنى . ثم أورد قول «ابن مسعود»: القُبلة من اللمس ، وكل مادون الجماع مس[1] .

وقد ينقل أحياناً إجماع نفر من الصحابة والتابعين على معنى آية . فقد أجمع كل من «عبدالله بن مسعود» و«سعيد بن جبير» و«مجاهد» على أن معنى الآية « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى »[2] هو : (يخرج النطفة وهى ميتة من الرجل وهو حى ويخرج الرجل وهو حى من النطفة وهى ميتة[3] .

ويلاحظ أن جل تلك الأقوال لاتتعدى تفسير المفردات إلا نادراً ، فقد تناول « سبب نزول الآية » ، وهو من القرائن التوضيحية فى إبراز المعنى فحين فسر الآية الكريمة « فمالكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا »[4] أورد ماقاله «زيد بن ثابت »: (تخلف قوم عن النبى ﷺ « يوم أحد » ، فصار أصحاب رسول الله فرقتين فقال بعضهم : اقتلهم ، وقال بعضهم : اعف عنهم . فأنزل الله عز وجل : « فمالكم فى المنافقين فئتين ، ... الآية)[5] .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٩٢ : ب
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٧
(٣) معانى القرآن ورقة ٤٠ : أ
(٤) سورة النساء آية : ٨٨
(٥) معانى القرآن ورقة ٧٧ : أ

(ل) تفسير مجاهد :

ومن أشهر كتب التفسير المأثورة التي استفاد منها النحاس في «معاني القرآن» : تفسير مجاهد بن جبر (ت ١٠٢ هـ) برواية عبد الله بن أبي[١] نجيح (ت ١٣١ هـ) .

ومن الموازنة بين النصوص التي عزاها النحاس لمجاهد وكتاب تفسير مجاهد الذي تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة منه[٢] ظهر لي أن النحاس رجع إلى تفسير « مجاهد بالقرائن الآتية » :

أولا : أن النحاس كثيراً ما يقول روى « ابن أبي نجيح عن مجاهد » ثم ينقل ماقاله « مجاهد »[٣] .

ثانيـا : الأسماء التي يقرن بينها تفسير مجاهد يقرن بينها النحاس ، وكذا في حالة عدم الإقران[٤] .

ثالثـا : أن النصوص التي ينقلها النحاس ويعزوها إلى « مجاهد » موجودة في تفسير الأخير بالنص . والأمثلة الآتية تؤيد مانقول (وهي مأخوذة من تفسير سورة آل عمران) :

(أ) القيـوم :

تفسير مجاهد : القيوم : القائم على كل شيء[٥] وفي معاني القرآن : وقال مجاهد : القيوم : القائم على كل شيء .

---

(١) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي الثقفي مفسر ومحدث توفي سنة ١٣١ هـ (ميزان الاعتدال ٢/٥١٥ وطبقات المفسرين ١/٢٥٢) .

(٢) تفسير مجاهد دار الكتب (برقم ١٠٧٥ تفسير) في ١٨٩ صفحة مكتوب سنة ٥٤٤ هـ .

(٣) معاني القرآن ورقة ٣٦ : ب ، ٣٧ : ب

(٤) معاني القرآن ورقة ٤١ أ ، وتفسير مجاهد /١٧

(٥) معاني القرآن ورقة ٣٤ : ب ، وتفسير مجاهد /١٥

(ب) مصدقا لمـا بين يديه :

تفسير مجاهد : مصدقاً لما بين يديه : يعنى لما قبله من كتاب أو رسول وفى معانى القرآن : لما بين يديه : لما قبله من كتاب أو رسول(١) .

(ج) قد كان لكم آية فى فئتين التقتـا :

تفسير مجاهد : فى محمد ﷺ وأصحابه ومشركى قريش يوم بدر .

وفى معانى القرآن : روى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : محمد وأصحابه ومشركو بدر(٢) .

(د) وسـيدا وحصورا :

تفسير مجاهد : روى ابن أبى نجيح عن مجاهد : الحصور : الذى لايقرب النساء وروى ورقاء عن عطاء عن سعيد بن جبير : الحصور الذى لا يأتى النساء .

وفى معانى القرآن : قال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد : الحصور الذى لايأتى النساء(٣) .

ولهذه الأمثلة نظائر كثيرة . . وفيما أوردنا كفاية .

وهكذا يشكل التفسير المأثور جزءاً لايتجزأ من نسيج كتاب « معانى القرآن » للنحاس .

ثانيا ــ المصادر المسـاعدة :

استعان النحاس بمجموعة من الآراء اللغوية والنحوية إضافة إلى مصادره الأساسية وأهم المصادر المساعدة التى استعان بها :

(١) معانى القرآن ورقة ٣٥ : أ وتفسير مجاهد / ١٥ .
(٢) معانى القرآن ورقة ٣٧ : ب وتفسير مجاهد / ١٦ .
(٣) معانى القرآن ورقة ٤١ : أ وتفسير مجاهد / ١٧ .

٢ – آراء اللغويين والنحاة :

أكثر اللغويين والنحاة الذين استشهد النحاس بآرائهم وأقوالهم فى « معانى القرآن » هم : الكسائى والفراء والخليل وسيبويه وأبو عبيدة والمبرد والزجاج وابن كيسان .

وكل هؤلاء ، قد مثلت لآرائهم إلا الخليل وسيبويه ؛ ولذلك سأقتصر على التمثيل لهما .

أما آراء الخليل اللغوية والنحوية فهى – على قلتها – تعد أساساً متيناً يعتمد عليه فكر النحاس . فلم يعارض له رأياً . ولم يخالفه إلا فى كتاب « التفاحة » .

فقد أورد رأيه عندما تحدث عن معانى الآية الكريمة : « حُرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم . . . . . إلخ »[1] . فقال : (هذه المحرمات تُسمى المبهَمات لأنها لا تحل بوجه ، ولا سبب إلا قوله وأمهات نسائكم فإن أكثر الفقهاء يجعله مثل الأول : وقال بعضهم : إذا تزوجها ولم يدخل بها لم تحرم عليه أمها . وهذا القول بعيد لأن الشرط لم يقع عليه لأن قوله : « من نسائكم» «اللاتى دخلتم بهن » متعلق بقوله : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم » . ولا يجوز أن يكون قوله : « واللاتى » من نعتهما جميعاً لأن الخبرين مختلفان . ولكنه يجوز على معنى « أعطنى » ، وأنشد الخليل وسيبويه :

إنّ بها أكتلَ أو رزاما خُوَيْرِبَيْنِ ينقفانِ الهَاما

(١) سورة النساء آية ٢٣

(خويربين بمعنى أعنى)(١)

ومعنى رأى الخليل مع الشاهد فى كتاب سيبويه(٢)

أما استشهاده بأقوال سيبويه فكثير ، ولكن الملاحظ أن معظم ما يورده له هو من المعانى اللغوية ، فعلى معنى « الوَنَى بأنه المَطَل » ، استشهد بما أنشده سيبويه على هذا المعنى(٣) :

قد كنتُ داينتُ بها حسّانا مخافةَ الإفلاس والليّانا

وغالباً ما يقول : أنشد سيبويه (٤)

ومن الآراء النحوية التى أوردها له قوله : (إن « ألا » تأتى بمعنى « لكن ») ، وأنشد البيتين اللذين أوردهما سيبويه :

من كان أسرع فى تفرق فالج فلبونهُ جَرِبتْ معاً وأغدّتِ

إلا كناشرة الذى ضيعتمُ كالغصن فى غُلَوائه المُتَنبتِ

كأنه قال : ولكن كناشرة ...(٥)

ولهذا نظائر وأشباه فى معانى القرآن للنحاس(٦) .

٢ ـ كتب القـراءات :

واستعان النحاس بمجموعة من كتب القراءات التى سبق بها ، كما تدل على ذلك استشهاداته .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٦٦ : أ ـ ب

(٢) كتاب سيبويه ١/٢٨٧ (قال : وسألت الخليل عن قوله « البيت » فزعم أن خويربين انتصب على الشتم ولو كان على أن لقال « خويربان »).

(٣) معانى القرآن ورقة ٨٤ : ب

(٤) معانى القرآن ، ورقة ٤٠ ب ، ٨٥ : أ

(٥) معانى القرآن ورقة ٧٨ : أ ، وكتاب سيبويه ١/٣٦٨

(٦) معانى القرآن ورقة ٥١ : ب ، ٥٢ : أ ، ٩٦ : أ

فقد استشهد بقراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « والذين يتوفون » (الآية ٢٣٤ من البقرة) ، بفتح الياء ، ومعناها يتوفون أعمارهم ، أي : يستوفون[1] . وبقراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . « الله لا إله إلا هو الحيُّ القَيَّام » ، وهي بمعنى القيوم الذي لا يزول[2] . وبقراءة ابن عباس رضي الله عنه : « قالوا : يا أبانا إن ابنك سُرِّق » (الآية ٨١ من سورة يوسف) ، ونسبها للكسائي أيضاً[3] . وبقراءة عاصم الجحدريّ أنْ يصّلحا ، بتشديد الصاد ، والمعنى : يصطلحا ثم أدغم[4] .

وبقراءة « الأعمش » : « فجزاؤه مثل ما قتل من النعم » ، بالهاء[5] وبقراءة طلحة بن مُصَرِّف : « أو عِدْلُ ذلك صياماً » بكسر العين[6] .

ولكن الذي يلفت النظر في موضوع استشهاد النحاس بالقراءات ، ثلاث مسائل مهمة :

الأولى : أنه قلما يذكر اسماً من أسماء القراء السبعة : (نافع وأبو عمرو ابن العلاء وحمزة وعاصم والكسائي وابن عامر وابن كثير) .

الثانية : أنه يكثر من إيراد قراءات عدت فيما بعد شاذة ، لأنها خارجة عن قراءات السبعة أو العشرة.[7] ويقرن بين قراءة أحد السبعة وأحد

---

(١) معاني القرآن ورقة ٥٢ : أ

(٢) معاني القرآن ورقة ٢٦ : ب وينظر كتاب المصاحف /٥٢

(٣) معاني القرآن ورقة ١٨٤ : ب

(٤) معاني القرآن ورقة ٨٣ : ب والحرف في الآية ١٢٨ من سورة النساء .

(٥) معاني القرآن ورقة ١٠٤ أ ، والحروف في الآية ٩٥ من سورة المائدة .

(٦) معاني القرآن ورقة ١٠٤ أ والحرف في الآية ٩٥ من سورة المائدة .

(٧) ابن الجزري : منجد المقرئين /١٥ وما بعدها .

أصحاب القراءات الشاذة[١] .

الثالثة : أنه ينسب إلى الكسائى : بعض القراءات التى لا توجد فيما بقى من كتب القراءات المتعددة ، فقد نسب إليه قراءة : « سرق » ، بضم السين وتشديد الراء والكسر .

وقد فتشت عن هذه القراءة فى الكتب الآتية : « قراءة الكسائى » لأبى عمر حفص الدروى (ت ٢٤٦ هـ) ، « وكتاب السبعة » ، لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، « وكتاب التذكرة فى القراءات » ، لطاهر بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) ، و « جامع البيان » للدانى (ت ٤٤٤ هـ) ، و « الكشف » لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، « والمبهج فى القراءات » ، لسبط الخيّاط البغدادى (ت ٥٤١ هـ) ، فلم أجد لها أثراً .

فلماذا وقف النحاس هذه المواقف ؟ ؟

١ ـ أما بالنسبة للمسألة الأولى فإن الاقتصار على القراء السبعة مسألة مقترنة باسم أبى بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) أول من سبع السبعة[٢] « ولكن يوجد من الأئمة القراء غير سبعة ابن مجاهد ـ من هم أكثر منهم شهرة وأثبت قدماً ، فمنهم بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ، وبمكة حُميد بن قيس الأعرج وابن مُحَيْصِن ، وبالكوفة يحى ابن وثّاب والأعمش ، وبالشام عطية بن قيس الكلابى ويحى بن الحارث الذمارى ، وبالبصرة عبد الله بن أبى إسحاق وعاصم الجَحدرى ويعقوب الحضرمى »[٣] .

---

(١) معانى القرآن ورقة ٤٠ : ب (حيث جمع بين قراءة عاصم وقراءة كل من أبى رجاء وابراهيم النخعى) .

(٢) الابانة عن معانى القراءات /٤٨

(٣) منجد المقرئين /٢٣.

٢ ـ أما بالنسبة للمسألة الثانية : « مسألة الشذوذ » ففيها تفصيل ، ويبدو لى من خلال تتبع هـــذا المفهوم أن معنى الشذوذ قد مر بالأطوار الآتية :

الطور الأول :

بعد كتابة المصحف الإمام فى خلافة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه (٢٣ ــ ٣٥ هـ) إذ أصبحت كل قراءة تخالف مارسم فى هذا المصحف شاذة ، وسقط العمل بالقراءات التى تخالفه ، «فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف » ، على حد تعبير « مكى بن أبى طالب »(١) ، ولهذا رفض القراء اختيار محمد بن محيصن (ت ١٢٣ هـ) فى القراءة « ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة »(٢) .

ولكن ... ليس كل قراءة وافقت خط المصحف الإمام تكون مقبولة بدون قيد أو بدون شرط .

فكل قراءة تخالف ما أجمع عليه القراء تعد شاذة ولو وافقت خط المصحف الإمام .

وهذا واضح فى قول الإمام نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩ هـ) ، وهو يبين منهجه فى أخذ القراءات وقبولها عن أساتذته : « قرأت على هؤلاء فنظرت ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته وما شذ فيه واحد تركته »(٣) .

وهذا الشرط يفسر لنا سبب رفض القراء لاختيار عيسى بن عمر البصرى (ت ١٤٩ هـ) فقد كانت له قراءة اختارها على مذهب العربية ،

---

(١) الابانة عن معانى القراءات /١٠.
(٢) طبقات القراء ٢/١٦٧
(٣) معرفة القراء الكبار /٩١

ووصف منهجه فى هذه القراءة بأن حب النصب كان الغالب عليه إذا وجد إلى ذلك سبيلا ، فقرأ « والسارقَ والسارقةَ»(١) .. و« الزانيةَ والزانىَ »(٢) و « وهُنَّ أطهرَ لكم »(٣) .

ولم يكتب لهذا الاختيار النجاح ، مع أنه يوافق خط المصحف ، لأنه خالف إجماع القراء ، وراعى القياس النحوى(٤) فلم ينفعه القياس ، وقد بين الإمام « الدانى » هذا الموضوع أوضح بيان وحدده بدقة متناهية حيث قال : (وأئمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة فلزم قبولها والمصير إليها)(٥) .

الطور الثانى :

ويبدأ بعد تأليف « ابن مجاهد » كتاب السبعة سنة ٣٠٠ هـ ، أو قريباً منها(٦) .

ويظهر أن ابن مجاهد كان يريد من القراء أن يقتصروا على القراءات السبع وأن يطرحوا ما عداها لأنه شاذ من وجهة نظره ، بدليل واقعة النزاع بينه وبين « ابن شنبوذ » (ت ٣٢٨ هـ) الذى اتهم « ابن مجاهد » بأنه لم تغبر قدماه فى علم القراءات ، أما « ابن مجاهد » فقد أجبر خصمه على

---

(١) سورة المائدة آية : ٣٨
(٢) سورة النور آية : ٢
(٣) سورة هود آية : ٧٨
(٤) طبقات القراء ٦١٣/١
(٥) منجد المقرئين /٦٥
(٦) الابانة عن معانى القراءات /٨

الاعتراف بأن القراءات التى قرأ بها شاذة وأشهد عليه جماعة من القضاة بحضرة الوزير أبى على بن مقلة سنة ٣٢٣ هـ(١).

ومع كل هذا فإن أثر كتاب السبعة لابن مجاهد لم يظهر إلا فى كتابات جيل ما بعده، وأول تأليف يحمل فكرة السبعة وما يترتب عليها هو كتاب « البيان فى القراءات السبع »(٢) لأبى طاهر عبد الواحد بن أبى هاشم (ت ٣٤٩ هـ)، أشهر تلاميذ ابن مجاهد(٣).

ولم ينتشر هـذا المفهوم انتشاراً كلياً، ولم يسيطر سيطرة مطلقة إذ سرعان ما ظهرت حركة يمكن أن نسميها « حركة رد الفعل ». وهى تميز الطور الثالث لهذا المفهوم ...

الطـور الثالث :

ظهور حركة رد الفعل: ويبدو هذا بشكل عملى واضح فى القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، فقد أنكر جماعة من القراء مفهوم ابن مجاهد فى السبعة لأن العدد اقترن فى أذهان كثير من الناس بالأحرف السبعة، فظن هؤلاء أن القراءات السبع هى المقصودة بالحديث المشهور (أنزل القرآن على سبعة أحرف).

وهذه الحركة اقترنت بتأليف القراء فى « الثمان » والعشر والإحدى عشرة و ....، ليزيلوا هذا الوهم.

---

(١) طبقات القراء ٢/٥٤ ـ ٥٥

(٢) فهرسة ابن خير /٣٢

(٣) ترجمته فى انباه الرواة ٢/٢١٥ وطبقات القراء ١/٤٧٥

ومن الكتب التي تمثل هذه الحركة كتاب «غاية الاختصار في قراءة العشرة أئمة الأمصار»، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١ هـ). وقال في أوله: (أما بعد فهذه تذكرة في إختلاف القراء العشرة الذين اقتدى الناس بقراءاتهم)[1].

ومن الأقوال التي تحمل طابع «رد الفعل» ضد مفهوم «ابن مجاهد» ما قاله الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد ٤٣٠ هـ): (ولقد فعل مسبِّع السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله. وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي، وأكد وهم السابق اللاحق. وليته إذ اقتصر، نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة)[2]

ومن الكتب التي تحمل مفهوم ابن مجاهد للشذوذ كتاب «المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جني وقد صرح في أوله بأن القراءات الشاذة ما كان (خارجاً عن قراءة القراء السبعة)[3].

وفي هذا المقام يبدو لي أمران غريبان:

الأول: أن القراءات الثلاث المتممة للعشر — وهي قراءة: أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠ هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (٢٠٥هـ). وخلف بن هشام[4] البزار (ت ٢٢٩ هـ) — لا يخرج شيء منها عن القراءات السبع. فلماذا تعد شاذة؟!

---

(١) منجد المقرئين/ ٤٦.
(٢) منجد المقرئين/ ٧١ والنشر ١/ ٣٦.
(٣) المحتسب ١/ ٣٦.
(٤) شرح السمنودي على متن الدرة ٥١ — ٦٠.

والآخر : أن كتاب « المُحتَسَب » قد أودع مجموعة من قراءات النبي عليه السلام[١] . فكيف تعد قراءاته شاذة . . . . ؟

وظل التياران : تيار ابن مجاهد والتيار المضاد في صراع حتى استقر الأمر على القراءات العشر . . . . وعد ما سواها شاذاً . . . . لأنه لم يعد يحمل صفات التواتر[٢] ـ بعد بُعد الشقة الزمنية ـ عن العشر ... ويختم هذا النزاع ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) . في مجموعة من كتبه لا سيما « منجد المقرئين » و « النشر » وأرجوزته اللامية : « الدرة المضيئة في القراءات المتممة للعشر » .

ومادام قد اتضح أن قضية الشذوذ بالمفهوم الذي أراده ابن مجاهد لم تكن ثابتة في عصر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، فإن ذكره قراءة كل من الحسن البصري والأعمش والجحدري ، لا ضير فيها بل تدل على نضج النحاس وعدم خضوعه لمفهوم مُسَبِّع السبعة .

٣ — أما ذكره بعض قراءات الكسائي التي لا توجد في مجموعة من كتب القراءات المعتمدة الباقية فلعل تلك القراءات القليلة كان مما قرأ به هذا الإمام ثم تركه . وله نظير ، فقد كان يقرأ الآية ٢١٤ من سورة البقرة : « حتى يقولُ الرسول » برفع الفعل (يقول) دهراً ، ثم رجع إلى النصب[٣] .

٣ ـ كتب الحديث :

استشهد النحاس بالحديث في « معاني القرآن » بصورة تختلف عن

---

(١) المحتسب ١/٧٦ ، ١٥١ ، ١٩٨ ، ٢/١٠٦

(٢) منجد المقرئين /٢٣ ـ ٢٤

(٣) كتاب السبعة /١٨١

استشهاده به فى كتابيه : إعراب القرآن والقطع والائتناف . إذ إنه أكثر منه فى « المعانى » وقل استشهاده به فى الكتابين الآخرين .

وتعليل ذلك عندى يرجع إلى أن كتاب المعانى يعتمد على التفسير المأثور كثيراً . وصلة التفسير المأثور بالحديث صلة وثيقة وهل معنى التفسير المأثور إلا ماروى عن النبى عليه الصلاة والسلام وصحابته ومن تبعهم بإحسان ؟

والأحاديث فى كتاب المعانى ثلاثة أنواع :

١ ـ أحاديث متصلة السند .

٢ ـ أحاديث مروية من « صُحُف » .

٣ ـ أحاديث مروية من الكتب بسند منقطع .

١ ـ أما الأحاديث المسندة فأكثرها مارواه عن أستاذه فى الحديث أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣ هـ) ، وصاحب أحد الكتب الستة فى الحديث[١] .

ومن الأمثلة على ما رواه عنه ما قاله فى أول سورة آل عمران : حدثنا أحمد بن شعيب قال أخبرنى عمران بن بكار قال إبراهيم بن العلاء . قال شعيب بن إسحاق قال هرون عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه صلى صلاة العشاء فاستفتح آل عمران فقرأ : « ألم . الله لا اله إلا هو الحى القيام »[٢] .

---

(١) ترجمته فى وفيات الاعيان ٥٩/١ وتذكرة الحفاظ ٦٩٨/٢ وتهذيب التهذيب ٣٦/١ وطبقات القراء ٦١/١

(٢) معانى القرآن ورقة ٣٥ أ

كما روى قليلا عن أستاذه أحمد بن محمد بن سلامة[١] الطحاوى (المتوفى ٣٢١ هـ) وروى عن غيرهما أيضاً[٢]

٢ ـ أما أهم صحائف الحديث التى اهتدينا إليها هى « صحيفة عبيد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (المتوفى ١٤٧ هـ). وقد وثقه العلماء جميعاً . وقال أبو حاتم : سألت أحمد بن حنبل عن مالك وأيوب وعبيد الله أيهم أثبت فى نافع فقال عبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية[٣] .

وكانت صحيفة عبيد الله فى الحديث تستخدم فى عصر الذهبى[٤] (ت ٧٤٨ هـ) .

وقد استخدم النحاس صحيفته بصيغة : روى عبيد الله بن عمر عن نافع[٥] عن ابن عمر »

فنى بيان معانى الآيتين (١٤٢ ـ ١٤٣ من سورة النساء) : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » . وهى فى صفات المنافقين، استشهد النحاس بحديث عبيد الله فقال : (روى عبيد الله بن عمر عن

---

(١) معانى القرآن ورقة ١٩ : ب وترجمة الطحاوى فى وفيات الاعيان ٥٣/١ وطبقات القراء ١١٦/١ وحسن المحاضرة ٣٠٥/١ وطبقات المفسرين ٧٣/١

(٢) معانى القرآن ورقة ٥٥ : ب ، ٥٩ : أ

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ : ١٦٠ ـ ١٦١

(٤) تذكرة الحفاظ ١٦١/١ وابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٨/٧

(٥) هو نافع مولى ابن عمر تابعى توفى ١١٧ هـ (تذكرة الحفاظ ٩٩/١ ـ ١٠٠) .

نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين . . . .)[١] .

٣ ـ أما الأحاديث المروية من الكتب بسند منقطع فتأتى بصيغة : « فى الحديث كذا وكذا . . . . » . أو « روى عن فلان أن النبى ﷺ قال . . . . » أوجاء فى الحديث[٢]

فجل هذه الأحاديث منقطعة السند . ولو كانت مسندة لجاءت بلفظ حدثنا أو أخبرنا ، أو أنبأنا ، وما شاكل هذه الألفاظ .

وتمثل الأحاديث المنقطعة فى معانى القرآن معظم الأحاديث التى استشهد بها النحاس فى كتابه .

وهى بهذه الصورة من الانقطاع لابد أن تكون مأخوذة من الكتب لأنها لو كانت مروية عن الشيوخ أو عن الصحف لرويت بإحدى الطريقين الأوليين .

* * *

(١) معانى القرآن ورقة ٨٥ : ب
(٢) معانى القرآن ورقة ٣٩ : أ ، ٨٠ : أ ، ٨٦ : أ

القسم الثـانى

الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر .. معطيـة

المبحث الأول : الاتصال المباشر بمصر

الاتصال المباشر بمصر والرحلة إليها قديمتان منذ أن شرفها الله بالإسلام سنة ٢٠ هـ ، فأصبحت مركزاً للإشعاع الفكرى ، وأقدم الصلات مع مصر كانت رحلة المحدثين لأخذ حديث رسول الله عن الصحابة الذين نزلوا مصر بعد الفتح . وكان عددهم يتجاوز الثلاثمائة[1]، ثم لأخذ الفقه، ثم لأخذ القراءات التى ابتدأت بتأسيس مدرسة ورش (المتوفى ١٩٧ هـ) .

أما العلوم اللغوية والنحوية ـ بمعناها التقليدى ـ فقد تأخرت شيئاً قليلا عن تلك العلوم لتأخر تعريب مصر .

فقد ظهر أول ماظهر عبد الملك بن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ) ، وهو لغوى ونحوى من رعيل الرواد المعدودين فى المصريين وعنه أخذ « تهذيب السيرة » ونقل إلى الأندلس[2] .

وأقدم النحاة المصريين الذين مثلوا العطاء هو « أبو الحسن الأعز » (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) ـ وقد لقيه قوم من أهل الأندلس وحملوا عنه[3] .

ومن النحاة المعدودين فى المصريين الذى نعرف أسماء تلاميذهم : أبو على الدينورى (٢٨٩ هـ) ـ فقد رحل إليه من الأندلس : « محمد

---

(١) حسن المحاضرة ١/١٦٦ وما بعدها ، وقد ألف فيهم السيوطى رسالة أسماها « در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » وهى فى كتابه السابق .

(٢) فهرسة ابن خير /٢٣٣

(٣) طبقات الزبيدى /٢٣٣

ابن موسى »[1] (المتوفى ٣٠٧ أو ٣٠٩ هـ) ، وحمل عنه كتاب سيبويه وانتسخه من نسخته .

وبهذا التلميذ الأندلسى فى مصر تنتهى الرحلة فى القرن الثالث الهجرى وهى رحلات قليلة جداً بالنسبة لرحلة علماء الحديث والفقه الذين بسطت أخبارهم تراجم المحدثين والعلماء .

وترجع هذه القلة إلى أن شخصية مصر اللغوية لم تكن قد تكاملت بعد . أما فى القرن الرابع قرن النضج العلمى ، فقد تكاملت شخصية مصر اللغوية تكاملا واضحاً على يد أعمدة القرن الثلاثة ، كراع النمل ، وابن ولاد ، والنحاس .

غير أننا لا نعرف تلاميذ « كراع » لأننا لم نستطع أن نعثر على أسماء من قرأ عليه ، فالظاهر أنه لم يجلس لإفادة التلاميذ بل انقطع للتأليف وعرف به ، فلم يقرأ عليه أحد .

أما « ابن ولاد » فأقدم تلاميذه الذين نعرف أخبارهم : فضل الله ابن سعيد بن عبد الله بن القاسم المعروف بالكرنى (المتوفى ٣٣٥ هـ) ، وقد سمع ابن ولاد والنحاس أيضاً[2]

وأشهر تلاميذه القاضى منذر بن سعيد البلّوطى (المتوفى ٣٥٥ هـ) . وكان نحوياً فاضلا وخطيباً مصقعاً . وشخصيته ذات نفوذ كبير جداً

---

(١) هو محمد بن موسى بن هشام بن يزيد المعروف بالافشنيق (كما فى طبقات الزبيدى ٣٠٥) أو الاقشتين (كما فى تاريخ الاندلس ٣١/٢) أو الاقشين (كما فى البغية ٢٥٢/١) والصواب هو الاقشتين ـ لأنه أقرب الى أغسطين ، كأنه تعريب له .

(٢) بغية الملتمس / ٤٢٩

فى الأندلس وهو من تلاميذ النحاس أيضاً ... وقد سمع من ابن ولاد كتاب العين للخليل بن أحمد كما نص على ذلك الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) والحميدى (ت ٣٨٨ هـ) ومن تابعهما كالقفطى والسيوطى[١] .

ويروى الضبى وابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) أن البلوطى أخذ كتاب العين من النحاس[٢] .

وأرجح رواية الزبيدى ومن تابعه وذلك :

١ ـ لأن الزبيدى نقل نقلا مباشراً عن البلوطى[٣] . وهو بذلك أدق نقلا من غيره .

٢ ـ أن « ابن ولاد » من عائلة (ولاد) التى عرفت بنقلها لتراث الخليل إلى مصر[٤] .

٣ ـ أن البلوطى لم يكن على وفاق تام مع النحاس طيلة مدة دراسته فى مصر ، بسبب رد البلوطى على النحاس تصحيفه لبيت من الشعر فى مجلس الإملاء . والقصة مبسوطة فى ترجمة النحاس من طبقات الزبيدى وترجمة البلوطى من جذوة المقتبس وغيرها[٥] .

أما الذين أخذوا عن النحاس من الأندلسيين وغيرهم فهم :

---

(١) طبقات الزبيدى /٣١٩ وجذوة المقتبس /٣٤٩ وانباه الرواة ٣٢٥/٣ والبغية ٣٠١/٢

(٢) بغية الملتمس /٤٥٠ وتاريخ علماء الاندلس ١٤٢/٢

(٣) طبقات الزبيدى /٢٤٠

(٤) طبقات الزبيدى /٢٣٣

(٥) طبقات الزبيدى /٢٤٠ وجذوة المقتبس /٣٤٩ ومعجم الادباء ←

فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن قاسم المعروف بالكزنى (ت ٣٣٥هـ) رحل إلى المشرق فسمع من النحاس[١] .

ويليه من الناحية التاريخية القاضى منذر بن سعيد البلوطى (ت ٣٥٥هـ) وقد حضر مجلس النحاس[٢] . ثم تركه إلى ابن ولاد كما بينا .

ومن أظهر تلاميذ النحاس وأكثرهم صلة باللغة والنحو أبو عبيد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحى (ت ٣٥٨ هـ) رحل إلى مصر فلقى النحاس وحمل عنه كتاب سيبويه رواية . وحدث بكتبه « الكافى فى النحو » و « المقنع » و « صناعة الكتاب » و « الاشتقاق »[٣] .

ومن الذين أخذوا عن النحاس محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم المعروف بابن السليم (ت ٣٦٧ هـ) ، قاضى الجماعة بقرطبة ، وكان لقاؤه بالنحاس (سنة ٣٣٢ هـ)[٤] .

ومنهم معاصره محمد بن مفرج بن عبد الله المعافرى من أهل قرطبة (ت ٣٧١ هـ) ، لقى أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه إعراب القرآن ومعانى القرآن والناسخ والمنسوخ ، وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس[٥] .

ومنهم خطّاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد (٢٩٤ – ٣٧٢ هـ) وهو صاحب ابن السليم فى رحلته (سنة ٣٣٢ هـ) ، وقد لقى معه النحاس وسمعا

---

(١) بغية الملتمس / ٤٢٩

(٢) بغية الملتمس / ٤٥٠ وتاريخ علماء الاندلس ٢/ ١٤٢.

(٣) طبقات الزبيدى / ٣٣٦ – ٣٣٧ وتاريخ علماء الاندلس ٢/ ٦٩ وفهرسة ابن خير / ٣٨٦ ، وانباه الرواة ٣/ ٢٢٩ والبغية ١/ ٢٦٢.

(٤) تاريخ علماء الاندلس ٢/ ٧٧ ونفح الطيب ٢/ ٤١٩.

(٥) تاريخ علماء الاندلس ٢/ ٨١

منه – وقد وصف المؤرخون خطاباً بأنه « كان حافظاً للرأى بصيراً بالنحو والغريب ، نبيلا »(١) .

ومنهم محمد بن خراسان الصقلى (٣١٠ – ٣٨٦ هـ) وهو من موالى بنى الأغلب سمع من النحاس مصنفاته . وهو من القراء المعدودين ، توفى بصقلية سنة ست وثمانين وثلاثمائة(٢) .

فلعله نقل كتب النحاس إلى « صقلية » .

ومنهم عبد السلام بن السمح الهوارى (٣٨٧ هـ) كان ساكناً بمدينة الزهراء بالأندلس . وقد رحل إلى المشرق وسمع بمصر من أبى جعفر النحاس كتابيه : شرح أبيات سيبويه والكافى فى النحو . وقرأ على الهوارى فى مدينة الزهراء : ابن الفرضى « ت ٤٠٣ هـ » كتابى النحاس المذكورين وغير ذلك(٣) .

هؤلاء هم تلاميذ النحاس الذين عرفنا تاريخ وفياتهم :

أما من لم نعرف تاريخ حياتهم فهم :

سليمان بن محمد الزهراوى ، وكان لغوياً ماهراً وله شرح أدب الكاتب ورحل إلى المشرق فلقى أبا جعفر النحاس وأبا القاسم الزجاجى (ت ٣٣٧ هـ) وأبا سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ)(٤) . فهو إذن من علماء أواخر القرن الرابع الهجرى .

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ١٣٣/٣

(٢) طبقات القراء ١٣٦/٢ والبغية ٩٩/١

(٣) تاريخ علماء الاندلس ٢٨٧/١ – ٢٨٨

(٤) البغيــة ٦٠٢/١

وعلى بن عمران بن موسى بن الحسين النحوى . من أصحاب أبى جعفر اللاصقين به ، حدث بكتابه : طبقات الشعراء[1]

وهؤلاء تلاميذ النحاس من غير المصريين ، الذين أخذوا عنه اللغة والنحو وحدثوا بكتبه .

أما تلاميذه الآخرون فلم أذكرهم هنا، لأنى ذكرتهم فى موضع آخر.

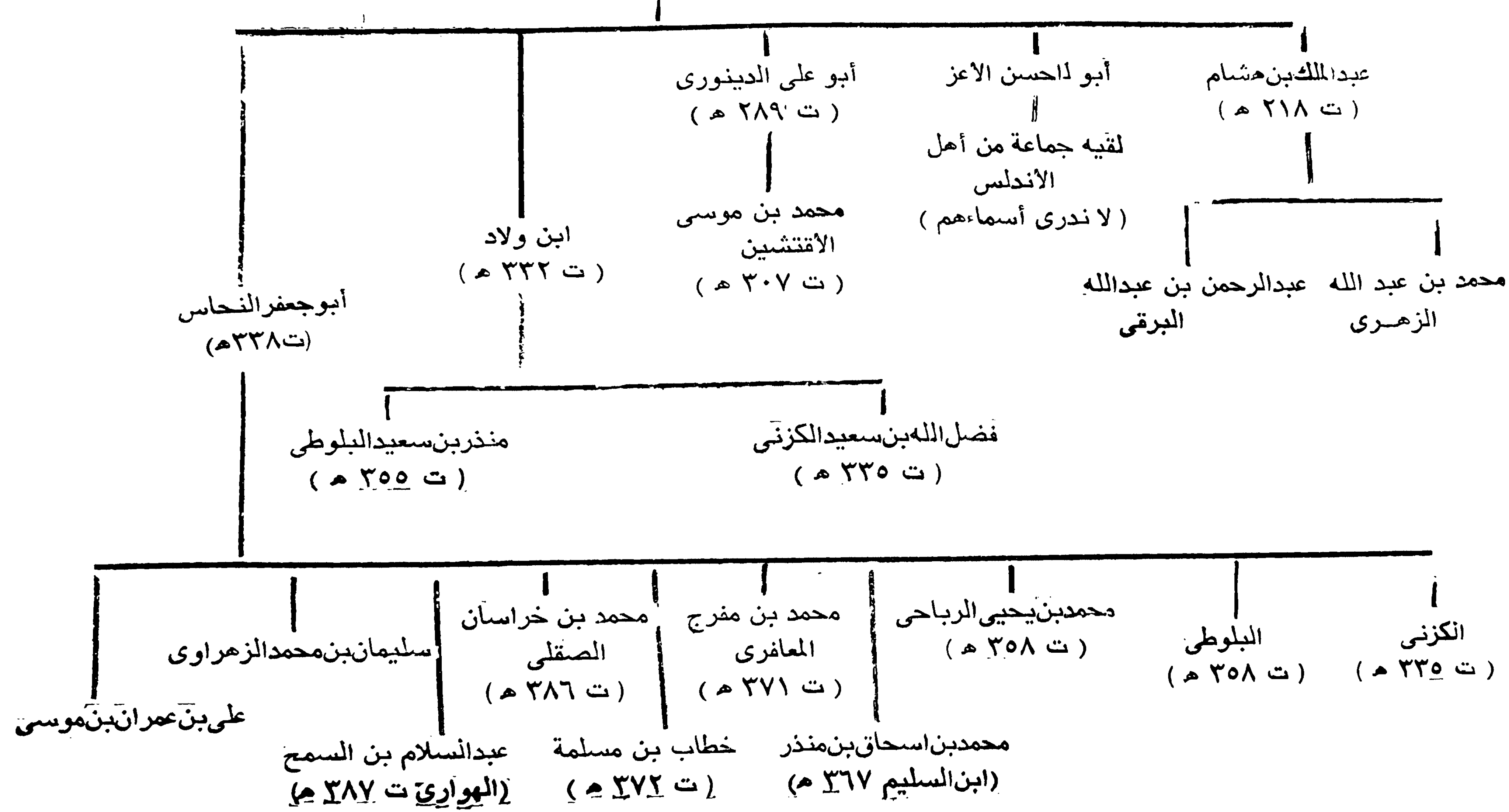
أما ما بعد النحاس من نحاة ولغويين حتى نهاية القرن الرابع الهجرى فلم أجد لهم تلاميذ من خارج مصر .

والشجرة الآتية توضح صلة الدارسين المباشرة بالمدرسة المصرية منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى :

---

(١) فهرسة ابن خير /٤٩ ، ٣٧٩

شجرة الاتصال المباشر بعلماء مصر



المبحث الثاني

أثر الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

في الدراسات المماثلة

أولا : أثر ابن هشام (ت ٢١٨ هـ) .

ثانيا : أثر الدينوريّ (ت ٢٨٩ هـ) .

ثالثا : أثر علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) .

رابعا : أثر كراع النمل (ت حوالي سنة ٣١٠ هـ) .

خامسا : أثر ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) .

سادسا : أثر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) .

اولا : أثر ابن هشام صاحب السيرة :

الصلة بين تهذيب السيرة وشرح غريب السيرة :

لقد هذب « ابن هشام » (المتوفى ٢١٨ هـ) السيرة النبوة لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت ١٥١ هـ) .

ويظهر أن «تهذيبه» كان خيراً من الأصل ، كما صرح بذلك « أبو ذر الخشنى » (١) ، فقد نقل عنه تلميذه « أبو الحسن الشارى » (٢) أنه قال : (المختصرات التى فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدى ، ومختصر الزاهر للزجاجى ، ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة)(٣) .

وصدور هذا الرأى الصريح عن أبى ذر الخشنى يعطى التعليل الدقيق لإقباله على كتاب ابن هشام .

وقد وجدت أنه نقل منه نقلا صريحاً فى كتابه : «شرح غريب السيرة» أو « شرح السيرة النبوية ، (٤) فى ثمانية عشر موضعاً »(٥) ، على الأقل .

فقد ينقل دون أن يشير إليه كما فى شرح بيت «ابن القيم العبسى » فى « يوم خيبر » :

---

(١) أبو ذر الخشنى : هو مصعب بن محمد بن مسعود الجيانى النحوى اللغوى ، حامل لواء العربية بالاندلس توفى سنة ٦٠٤ هـ (شذرات الذهب ١٤/٥) .

(٢) أبو الحسن الشارى : هو على بن محمد بن على الغافقى الشارى بالمعجمة وتشديد الراء نسبة الى بلدة شرق الأندلس . امام مقرىء محدث أخذ العربية عن أبى ذر وتوفى سنة ٦٤٩ هـ (طبقات القراء ٥٧٥/١ ـ ٥٧٦) .

(٣) المزهر ٨٧/١

(٤) اسم الكتاب فى المخطوط : « شرح غريب السيرة » وفى المطبوع « شرح السيرة » . والاحالة الى الكتاب المطبوع ، وبكلمة « الخشنى » .

(٥) الخشنى : صفحات ٢٨ ، ٣١ ـ ٣٢ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٦٤ ، ٤١٣ .

فَرَّتْ يهودُ يوم ذلك فى الوغى تحت العجاجِ ، غمائمَ الأبصارِ

فقد قال ابن هشام فى تفسيره هذا البيت : (فرت : يريد كشفت جفون العيون غمائم الأبصار)(١) .

فأخذ أبو ذر هذا الشرح بشيء من التحوير فقال : (فرت هنا بمعنى كشفت . والوغى : الحرب ، والعجاج : الغبار ، الغمائم بالغين المعجمة : جفون العين)(٢) .

وفي كل المواضع التى أخذها أبو ذر الخشنى من ابن هشام يبدو أثر منهج « الأخير فى منهج الأول » ، لأن أباذر لم يخرج عن المنهج الذى اتبعه ابن هشام ، إلا فى تفاصيل جزئية أما المنهج العام فهو هو .

فابن هشام يأخذ جزءاً من بيت أو كلمة غريبة يشرحها أو اسماً من أسماء الأعلام الواردة فى السيرة ليضبطها ، وقد يشير إلى مسألة لغوية ،وإذا كان لديه شاهد شعرى ذكره مؤيداً به قوله .

وهذا ما فعله أبو ذر الخشنى ، بل إنه استعان بشواهد ابن هشام ، مع اتباعه للخط العام الذى سار فيه الأخير ...

فأثر منهج ابن هشام فى منهج أبى ذر يتناول الخط العام كما يتناول التفاصيل . والأمثلة الآتية توضح ما أجملناه :

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٣/٣٥٦

(٢) الخشنى /١٤٧

تفسير الكلمات فى جزء لبيت :

قال عبد الله بن الزبعرى فى قصيدته اللامية يوم بدر[١] :

* كسلاح النيب يأكلن العصل *

وقال أبوذر : قال هشام : (النيب : النوق ، والعصل : نبات تأكلا الإبل فيخرج منها أحمر : والرسل : الإبل المرسلة التى بعضها إثر بعض[٢]) .

وكلمة الرسل واردة فى بيت « ابن الزبعرى » :

إذ تولون على أدباركم هربا فى الشعب أشباه الرسل

أما استشهاده بالشعر فى بيان معنى الغريب ، فيبدو فى شرحه جملة ... : « فتنطس القوم الخبر » .

فقد نقل قول ابن هشام وشاهده حيث قال : قال ابن هشام : التنطس : المبالغة . قال رؤبة :

وقد أكون مرة نطيسا طبا بأدواء الصبى نقريسا

والنقريس : نحو من النطيس[٣]

توضيح مسألة لغـوية :

من ذلك ما قاله عن اسم « الحارث بن أبى وجزة - أحد أسرى بدر -[٤] » : كذا قاله ابن إسحاق بالجيم ساكنة والزاى . وقال ابن هشام

---

(١) يا غراب البين أسمعت فقل انما تنطق شيئا قد فعل

(٢) الخشنى / ٢٤٥

(٣) الخشنى / ١٢٠ وينظر الخشنى / ١٦٠ كذلك .

(٤) الخشنى / ١٧٥

فيه : ابن أبي وحرة بالحاء المهملة مفتوحة الراء ، وكذا قيده الدارقطني[١] كما قال ابن هشام)[٢] .

ضبطه لاسماء الاعلام :

من ذلك ضبطه لاسم : « سوار بن غزية » أحد الأنصار . حيث قال : (قال ابن هشام : سوار مثقلة . وكل ما في الأنصار غير هذا فهو خفيف . قال الشيخ أبو ذر : وبالتخفيف قيده الدارقطني)[٣] .

وقد لوحظ أن أكثر النقول عن ابن هشام لا تتناول تعقيباً إلا في القليل النادر .

* * *

ثانيا : أثر الدينوري في تثقيف اللســـان

يشكل كتاب الهجاء للدينوري ختن ثعلب جزءاً أساسياً من نسيج كتاب « تثقيف اللسان » لابن مكي الصقلي (٥٠١ هـ) فقد نقل منه في باب الهجاء أربعة عشر نَصّا يمكن أن تعطي فكرة عامة عن كتاب الدينوري ، وكتاب ابن مكي هو مصدرنا الوحيد عنه .

والنصوص التي نقلها ابن مكي يمكن تقسيمها خمسة أقسام :

١ ـ ما يتعلق بمشكلة الهمزة .

٢ ـ ما يتصل بالمقطوع والموصول .

---

(١) الدارقطني : هو الامام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد منسوب الى « دار القطن » محلة في بغداد ، أحد الحفاظ المتقنين يضرب به المثل في الحفظ ، مع معرفة بعلل الحديث والاضطلاع بعلوم شتى منها القراءات توفي سنة ٣٨٥ هـ (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤ والانساب ٢١٧ : ب) .

(٢) الخشني /١٧٥

(٣) الخشني /١٥٧

٣ ـ ما يكتب بالألف والياء .

٤ ـ ما يتعلق بحذف الألف و إثباتها.

٥ ـ إثبات اللام والألف .

١ ـ ما يتعلق بمشكلة الهمزة :

الهمزة مشكلة فى اللغة العربية من ناحية النطق ومن ناحية الرسم والكتابة .

أما من ناحية النطق فإن مجموعة من القبائل لا تهمز ومجموعة أخرى من القبائل تهمز مالا تهمزه المجموعة الأولى فأهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لايهمزون وتميم وقبائل البادية يهمزون[١] .

وهذا يتعلق بالنطق .

أما مايتعلق بالخط فإن أكثر الأمثلة إيضاحاً لهذه المشكلة . هو الخط القرآنى الذى ظل خالياً من الهمز حتى عصر الخليل ، إذ هو أول من وضعها[٢] .

وكتب الهجاء تعالج كتابة الهمزة مع مراعاة حركتها وسكونها . فهى تعالج كيفية كتابة الهمزة التى قبلها حرف علة قصيراً وطويلا سواء كانت متحركة أم ساكنة .

وقد نقل « ابن مكى الصقلى » خمسة نصوص من كتاب الهجاء تتعلق بكتابة الهمزة .

---

(١) تهذيب اللغة ١٥/٦٩٠ واللسان ١/١٤

(٢) الدكتور رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية /٣٥٨ ـ ٣٥٩ ففيه تفصيل كاف .

الأول : فى كتابة الهمزة إذا كانت متحركة وهى عين الكلمة .

وما قبلها متحرك .

وهى تكتب من جنس حركتها مثل سأل وزأر .

ورؤف ، ولؤم ، وسئم ورئم[١] .

الثانى : يعالج كتابة الهمزة المتحركة وهى لام الكلمة مثل وضوء وقرأ[٢] .

والثالث : يعالج كتابة الهمزة وهى ساكنة مثل فأس وبئر ولؤم[٣] .

والرابع : يعالج كتابة الهمزة وهى متصلة بالضمير مثل هذا جزاؤك ورأيت جزاءك وعجبت من جزئك[٤] .

والخامس : يعالج إلحاق الهمزة أيضا أو عدم إلحاقها[٥] .

٢ ـ ما يتصل بالمقطوع والموصول :

وهى الأدوات التى تكتب متصلة وهى فى الأصل مكونة من كلمتين وما يترك فيه الوصل منها فتبقى منفصلة ، مثل : من من ، عن من ، وكى لا ، وكى ما[٦] .

٣ ـ ما يكتب بالألف والياء :

أى ما يتعلق بمنهج كتابة الكلمات المعتلة الآخر سواء أكانت أسماء أم أفعالا وذلك بالاعتماد على أصل الألف فما كان أصله ألفا يكتب بالألف

---

(١) تثقيف اللسان ٣٠٧ ورئم : الف .

(٢) تثقيف اللسان /٣٠٧

(٣) تثقيف اللسان /٣٠٦

(٤) نفســه /٣٠٦

(٥) تثقيف اللسان /٣٠٦

(٦) تثقيف اللسان /٣١٤

مثل صفا ، دعا ، وما كان أصله ياء يكتب بالياء مثل قضى ومضى والأسماء بمنزلة الأفعال .

وأما ما بنى للمجهول من الأفعال فيكتب بالياء لأن ماضيه قد عاد إلى الياء[١] .

٤ ـ ما يتعلق بحذف الألف واثباتها :

وذلك فى مثل : السلام عليكم وثمانية وثلاثة ودهقان وشيطان ... ومثل هذا وأخواتها ...[٢]

٥ ـ ما يتعلق باثبات اللام والالف :

أما إثبات اللام ففى مثل اللحم واللحن واللبن وأمثالها والذين ...

أما إثبات الألف فلم ينقل ابن مكى فيها عن كتاب الهجاء للدينورى إلا ما يتعلق بكلمة ابنه[٣] .

وفى كل هذه الحالات ارتضى ابن مكى أقوال الدينورى كما يرتضى المسلمات ... واستند إليها فى مناقشة الكتّاب ومن أدلى بدلوه فى موضوع الهجاء .

وهذا يعطينا الحق فى أن نقول إن كتاب الهجاء كان ذا أثر كبير فى كتاب « تثقيف اللسان » لابن مكى الصقلى ...

* * *

(١) تثقيف اللسان /٣٠٤

(٢) تثقيف اللسان /٣١١

(٣) تثقيف اللسان /٣٠٢

ثالثا ـ أثر « على بن سليمان الأخفش »

يبدو أثر الأخفش الصغير أكثر ما يبدو فى مؤلفات تلاميذه .

ومن أشهر تلاميذ الأخفش الذين ظهر أثره واضحاً فى مؤلفاتهم :

(أ) تأثر أبى على القالى (ت ٣٥٦ هـ) :

قرأ « أبو على القالى » على الأخفش الصغير كثيراً [١] ، ونقل عنه مجموعة من الكتب إلى الأندلس :

١ ـ المفضليات :

قال أبو على القالى ـ وهو يعدد الكتب التى حملها معه إلى الأندلس ومنها : (المفضليات تامة أملاها علينا الأخفش) [٢] .

٢ — جزءان من أخبار وإنشادات عن الأخفش [٣] .

٣ — وجزء فيه من شعر عمرو بن شأس [٤] .

ويظهر أثر الأخفش فى كتاب « أمالى القالى » واضحاً حيث نقل فيه الأخير عن أستاذه من شعر « عمرو بن شأس الأسدى » ، فقال : أنشدنا أبو الحسن الأخفش قال : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحي وأورد بيتين لعمرو بن شأس ..... [٥]

وأرجح أن المقطوعات الثلاث الأخرى التى نقلها القالى من شعر « عمرو بن شأس » [٦] هى من الجزء المنقول عن أستاذه .

(١) فهرسة ابن خير /٣٩١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨
(٢) فهرسة ابن خير /٣٩٥
(٣) فهرسة ابن خير /٣٩٨
(٤) فهرسة ابن خير /٣٩٦
(٥) أمالى القالى ٢/١٨٨
(٦) أمالى القالى ١/٢٦٩ ، ٢/١٢٤ ، ٢/٢٤٥

(ب) تأثر أبى الفرج الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) :

ومن تلاميذ الأخفش الذين تأثروا به العلم المعروف أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى .

وليس من باب الصدف أن ينقل عنه قصيدة تكاد تكون كاملة من شعر « عمرو بن شأس الأسدى » ، وذلك من قصيدته الميمية :

ديار ابنة السعدى هيه تكلمى ... بدافقة الحومان فالسفح من رسم

والأبيات التى نقلها عن أستاذه سبعة عشر[1] بيتاً من مجموع أبيات القصيدة البالغة تسعة عشر بيتاً برواية « منتهى الطلب »[2] .

٢ — كما استفاد من أستاذه فى إيراد أخبار « السليك بن السلكة » وأشعاره فقال : أخبرنى بخبره الأخفش عن السكرى عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى[3] ثم نقل عنه شعراً له مقروناً بالخبر فقال : وقال (أى : على بن سليمان الأخفش) : « قرىء لى خبره وشعره على محمد بن الحسن الأحول عن الأثرم عن أبى عبيدة » . ثم ساق شيئاً من أخباره وشعره[4] .

٣ — وفى ترجمة « البحترى »[5] ، نقل عنه أخباراً مباشرة مأخوذة عن أقرب المصادر . إذ أورد عن « أبى الغوث : ابن البحترى » أخباراً عن أبيه وأشعاراً كثيرة ، منها قصيدته المرثية فى أبى سعيد محمد بن يوسف :

أأفاق صب من هوى فأفيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا

---

(١) الأغانى ١٠/٦٤

(٢) محمد بن المبارك : منتهى الطلب من أشعار العرب (مخطوط جامعة ييل) ، المجلد الخامس ، ورقة ٨٢ : أ – ب

(٣، ٤) الأغانى ١٨/١٣٣

(٥) الأغانى ١٨/١٦٧

وليس هـــذا فحسب ، بل روى له أشعاراً وأخباراً أكثرها عن أبى الغوث بن البحترى(٦) ، وبعضها مسند إلى الأخفش منقطعة السند عمن بعده(٧)

وهذه مسألة جديرة بالملاحظة . فنحن نعلم أن « محمد بن يحيى الصولى » كان معاصراً لأبى الفرج ، وقد روى عنه الأخير كثيراً مما يتصل بالبحترى(٣) ، وبغيره من الشعراء(٤) ، فلماذا تفرد بأخبار وأشعار رواها عن أستاذه الأخفش دون الصولى ؟

الظاهر أن هذه الأشعار والأخبار مما اختص به الأخفش ، ولهذا رواها عنه .

٤ — وفى ترجمة « أبى عيينـة » استفاد من أستاذه فى ثلاث نواح مهمة هى :

الناحية الأولى :

نسبه . فقال : « نسب أبى عيينة فيما أخبرنا على بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد » .... ثم ساق نسبه واسمه وكنيته(٥) .

الناحية الثانية :

مجموعة من مقطوعاته ومقطوعات أخيه « عبد الله » لاسيما قصيدته فى « فاطمة بنت عمر بن حفص » حين تزوجها «عيسى بن سليمان بن على» وكان بخيلا :

---

(١) الأغانى ١٨/١٧٠.

(٢) الأغانى ١٨/١٧٢

(٣) الأغانى ١٨/١٦٨

(٤) الاغانى ١٧ ، ٣٨ ، ٤٠

(٥) الاغانى ١٨/٨

أفاطم قد زُوِّجْتِ عيسى فابشرى لديه بذل عاجل غير آجل

الأبيات ......(١)

الناحية الثالثة :

تقويم شعر « ابن عيينة »(٢) ، وبيان مميزاته الفنية .

٥ — وروى أبو الفرج عن أستاذه كثيراً مما يتصل بشعراء آخرين ، فذكر مجموعة منهم على سبيل الأمثلة لا على سبيل الحصر وهم :

(أ) دعبل بن على الخزاعى . وقد ذكر له مجموعة من الشعر مروية عن الأخفش الصغير لاسيما قصيدته البائية التى هجا بها المعتصم .

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة خياراً إذا عدوا ، وثامنهم كلب

الأبيات ......(٣)

(ب) محمد بن مناذر(٤) .

(ج) إسماعيل بن عمار الكوفى(٥) .

(د) أبو دلامة زند بن الجون(٦) .

---

(١) الاغانى ١٨/١١ .

(٢) الاغانى ١٨/٦ حيث ترجمته وينظر كذلك الشعر والشعراء ٢ : ٨٧٥ .

(٣) الاغانى ١٨/٤٠ — ٤١ حيث ترجمته وينظر كذلك الشعر والشعراء ٢ : ٨٤٩ .

(٤) الاغانى ١٧ : ١٧ حيث ترجمته وكذلك الشعر والشعراء ٢/٨٦٩

(٥) الاغانى ١٠/١٣٥ ، ١٠/١٣٧ حيث ترجمته .

(٦) الاغانى ١٠ : ١٢١ حيث ترجمته وكذلك الشعر والشعراء ٢/٧٧٦

وكل واحد من هؤلاء الشعراء عاش فى صدر الدولة العباسية وعاصر الفترة الذهبية فيها .

والخلاصة أن « الأخفش الصغير » كان مصدراً أساسياً من مصادر الكتاب الخالد : الأغانى ، فى أخذ أخبار الشعراء ، قدامى ومحدثين ، ونقل أشعارهم وتقويمها من الناحية الفنية ، وهذه النواحى الثلاث ذات أهمية فى دراسة نصوص اللغة وفهمها .

(جـ) تأثر الآمدى : الحسن بن بشر (ت ٣٧١ هـ) :

أما الآمدى فقد أخذ عن أستاذه أشعار مجموعة من الشعراء ، مع بعض التعقيبات ، وذلك فى كتابه « المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء » .

١ ـ ففى ترجمة عمرو بن حلزة نقل أبياتاً ، ثم أعقبها بقول أستاذه الأخفش « إنها مصنوعة »[١] .

٢ ـ وفى ترجمة « كثير بن عمرو الهلالى » ، قال الآمدى : أنشد له أبو الحسن على بن سليمان الأخفش :

تصدت لنا «ليلى» ضراراً تعمدا   لنزداد شوقاً بعد طول ضمان
فهاجت فؤاداً كان يرجى اندماله   على عنت قد كان منذ زمان

الأبيات .....[٢]

٣ ـ وقد نقل عن أستاذه شعراً ساقه فى ترجمة عمرو بن أذينة ابن الحارث[٣] .

---

(١) المؤتلف والمختلف / ٩٠
(٢) المؤتلف والمختلف / ١٦٩
(٣) المتلف والمختلف / ٥٤

٤ — كما أنشد شعراً فى ترجمة الشاعر : « توبة بن المضرس[١] » المعروف « بالخنوت[٢] » منقولا عن الأخفش .

ومعنى ذلك أن الآمدى استفاد من أستاذه فى إيراد مجموعة من المقطوعات الشعرية مع شىء من النقد والإيضاح حول المنحول منها . . .

(د) تأثر أبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) :

أما أبو على الفارسى : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، فهو أكثر تلاميذ الأخفش نقلا عنه . ونقله عن أستاذه ذو جانبين :

١ ـ جانب الرواية .

٢ ـ جانب الآراء النحوية .

أما من حيث جانب الرواية فإن أبا على الفارسى يروى عن أستاذه قصيدة « يزيد بن الحكم الثقفى » لأخيه «عبد ربه بن الحكم» التى أولها :

تكاشرنى كُرها كأنك ناصحٌ   وعينك تُبدِى أنَّ صدركَ لِى دوى

وذلك فى كتابه « المسائل البصريات » ، وهى قصيدة فى تسعة وعشرين بيتاً[٣] .

وليست هذه القصيدة كل ما ينشده الفارسى عن أستاذه الأخفش . فإن ما ينشده فى المسائل البصريات ، غالباً ما يرويه عن أستاذه .

---

(١) المؤتلف والمختلف / ٦٩

(٢) الخنوت   الذى يمنعه الغيظ والبكاء عن الكلام (المؤتلف والمختلف / ٦٩) .

(٣) المسائل البصريات لوحة : ٥٧

وفى المسائل العسكريات اعتمد على ما أنشده أستاذه فى « باب ما كان شاذاً من كلامهم »[١] .

ومعنى ذلك أن ما أنشده الأخفش كان أساساً لغوياً لتلك المسائل التى استفد فيها الفارسى إلى مارواه أستاذه .

أما من حيث جانب الآراء النحوية فإن أبا على الفارسى نقل عن أستاذه فى الكتب الآتية :

١ ـ الإيضاح العضدى[٢] .

٢ ـ المسائل العسكريات[٣] .

٣ ـ المسائل الحلبيات[٤] .

وكل دارس للغة والنحو يعرف قيمة أبى على الفارسى وأثره الكبير فى تطوير الحركتين اللغوية والنحوية .

وإذا كان الفارسى قد صرح بالنقل عن أستاذه فى كل هذه الكتب فإن أثر الأخفش كبير جداً فى آثار الفارسى وآرائه ، وفيمن جاء بعده ونقل من كتبه وتأثر بآرائه كابن جنى ، وابن سيده وغيرهما .

وهذا الجانب الأخير يمثل الأثر غير المباشر لعلى بن سليمان الأخفش وآثاره وآرائه ، فى اللغه والنحو ، وإنه لكبير ...

---

(٢) المسائل العسكريات لوحة : ١٣٤
(٣) الايضاح العضدى ٣٩ ، ٦١ ، ٩٩
(٤) المسائل العسكريات لوحة : ١٣٤
(٥) المسائل الحلبيات /١٦

رابعـا : أثر « كراع النمـل »

١ ـ كراع والبصرى :

إن أقـــدم من تأثر بكراع من اللغويين : على بن حمزة البصرى (المتوفى ٣٧٥ هـ) ، وقد ورد الأخير مصر فى الفترة التى ورد فيها المتنبى مصر ، وكان المتنبى أستاذه[١] . ومن يدرى فلعل البصرى اطلع على كتب « كراع » فيها لأنها « كانت معروفة ومرغوباً فيها بمصر » . فى القرن الرابع كما يقول « ابن النديم »[٢] .

فقد نقل عنه فى التنبيهات مستنداً إلى رأيه فى الرد على « ابن ولاد ». قال البصرى : (قال كراع : لقيت منه الأزابى واحدها أزبى وهو الأمر العجب العظيم ، والأزابى أيضاً ضروب مختلفة من السير)[٣] .

ونقل عنه فى موضع آخر مستنداً إلى رأيه أيضاً فى الرد عن ابن ولاد قائلا : (قال أبو الحسن على بن الحسن الهنـائى : الآسى : الطبيب وجمعه أساة وإساء مثل راع ورُعاة ورِعاء)[٤] .

فإذا كان على بن حمزة البصرى من اللغويين المعدودين الأفذاذ لاستدراكه على أمثال أبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ) وثعلب (٢٩١ هـ) وابن ولاد (٣٣٢ هـ) وغيرهم وهم من هم .

---

(١) البصرى : لاتنبيهات / ٣٢٥

(٢) الفهرست / ٨٣

(٣) التنبيهات / ٣٢٦

(٤) التنبيهات / ٣٢٩

إذا كان البصرى كذلك وينقل عن « كراع » علمنا شيئاً عن أهمية كتب كراع فى اللغة عند العلماء من بعده .

٣ ـ كراع وابن سيده :

وأكثر من وجدناهم تأثراً « بكراع » : ابن سيده : على بن أحمد (المتوفى ٤٥٨ هـ) .

ففى مقدمة كتابه (المحكم) وضح بصريح العبارة أن كتب كراع جميعاً كانت مصدراً من مصادره حيث قال : (أما ماضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنف أبى عبيد[١] ، والإصلاح[٢] والألفاظ[٢] ، والجمهرة وتفاسير القرآن . . . . وكتب الأصمعى والفراء وأبى زيد وكتب كراع إلى غير ذلك)[٣] .

وهذا النص يعنى أن « ابن سيده » قد ساوى فى الأهمية بين كتب كراع وكتب الفراء والأصمعى وأبى زيد . . .

وليس بعد هذا تقدير لأهمية كتب كراع فى اللغة .

أما فى كتابه « المخصص » فقد ذكر أن كتب كراع كانت مصدراً من مصادره[٤] .

وقد انتقل أثر كراع من كتاب « المحكم » إلى « لسان العرب »

---

(١) أى : الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام .

(٢) أى : اصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيب الألفاظ له أيضا .

(٣) ابن سيده : المحكم والمحيط الاعظم فى اللغة ١/١٥ (مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٩٥٨) .

(٤) ابن سيده : المخصص ١/١٢

لأن المحكم من مصادر اللسان[١]. وفى اللسان نصوص كثيرة مصدرها «كراع»، وهى لم تنتقل من كتبه إلى اللسان مباشرة، لأن كتب «كراع» ليست من مصادر اللسان الخمسة[٢]

٣ - كراع وأبو عبيد البكرى :

وممن تأثروا بكتب كراع واستشهدوا بما ورد فى كتبه «أبو عبيد البكرى عبدالله بن عبد العزيز الأندلسى (ت ٤٨٧ هـ)، فى كتابه المعروف «فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال»، وكان ذلك فى أربعة أبواب :

١ - باب الرجل الذليل المستضعف .

٢ - وباب الرجل يكون ضاراً لا نفع عنده .

٣ - وباب المثل فى معرفة الأخبار وصحتها .

٤ - باب اليأس من الحاجة والرجوع منها بالخيبة .

فى الباب الأول نقل نصاً من كتاب «كراع» : (المنضد)، وذلك بعد البيت :

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

الذى أورده أبو عبيد القاسم بن سلام - فقال البكرى بعده مباشرة (قيل إن هذا البيت لعباس بن مرداس السلمى . وقال كراع فى كتابه

---

(١) اللسان ١/٢

(٢) أما مصادر صاحب اللسان فهى : (تهذيب اللغة للازهرى ، والمحكم لابن سيده والصحاح للجوهرى ، وحواشى ابن برى عليه والنهاية فى غريب الحديث لأبى السعادات ابن الاثير وسماها الاصول الخمسة . (اللسان ١/٢ - ٣).

« المنضد » إن البيت لأبى ذر الغفارى قاله فى الجاهلية فى صنم كان لهم وقد رأى ثعلباً يبول عليه)[١] .

وفى الباب الثانى : فسر المثل الذى أورده القاسم بن سلام : «المعزى تبهى ولاتبهى » ، بقوله : (فعل باه يبهى بكسر الهاء ، يبهى بهاء فهو باه إذا انخرق) ، ثم قال : (قال أبو على وكراع : والعرب تقول فى ضد هذا المثل ، وهو النافع الذى لاضرعنده : « هو السمن لايخم » وهذا مثلهم فى النافع الذى لايضر وهو خالص من كل شر)[٢] .

وفى الباب الثالث : جاء المثل المشهور : « هو ابن بجدتها »[٣] .

وشرحه البكرى بقوله : « يقال فلان ابن بجدة هذا الأمر إذا كان عالماً به ... ثم أورد نصا نقله عن كراع بصيغة : (قال كراع : يقال فلان من أهل البجد أى من أهل البادية ، قال : ومن هذا قالوا : فلان ابن بجدتها)[٤] .

وفى الباب الرابع نقل نصاً من كتابه المنضد فقال : (قال كراع فى المنضد : ليس فى الكلام صفة على مثال إفعال ـ بكسر الهمزة ـ إلا رجل إسكاف وماء إسكاب وسمن إذواب)[٥] .

---

(١) فصل المقال /١٥٨

(٢) فصل المقال /١٦٤

(٣) يضرب مثلا لكل عارف ماهر

(٤) فصل المقال /٢٤٠

(٥) فصل المقال /٢٨٢

خامسا : أثر « ابن ولاد »

أو

أثر « المقصود والممدود » في كتب اللغة

أثر كتاب « المقصود والممدود » لابن ولاد في مجموعة من اللغويين وقد استطعنا أن نحصي أربعة منهم ، وترتيبهم على النسق التاريخي هو :

١ ـ أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) في كتابه « التكملة » .

٢ ـ أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) في كتابه « فصل المقال » .

٣ ـ ابن مكي الصقلي (ت ٥٠١ هـ) في كتابه « تثقيف اللسان » .

٤ ـ البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) في كتابه « خزانة الأدب » .

(أ) أثر المقصور والممدود في كتاب التكملة :

يبدو أثر كتاب « المقصور والممدود » في كتاب التكملة من ناحيتين :

(١) ناحية المنهج العام .

(ب) ناحية التفاصيل .

(أ) ناحية المنهج العام :

أما من ناحية المنهج العام فإننا نجد « ابن ولاد » قد قسم المقصور والممدود قسمين : السماعي والقياسي وكذلك فعل أبو علي الفارسي في التكملة[١] .

وقسم ابن ولاد « السماعي » من المقصور ثلاثة أقسام : المقصور المفتوح الأول ، والمقصور المضموم الأول ، والمقصور المكسور الأول...

---

(١) المقصور والممدود ٢/ ، ١٣٥ ، وكتاب التكملة /٨٨ ، ٩٠ (رسالة ماجستير بآداب القاهرة رقم ١٠٢٢ رسائل) .

وكذلك فعل أبو على فى التكملة[(١)].

وقسم ابن ولاد السماعى من الممدود ثلاثة أقسام كالسابقة. وكذلك فعل أبو على الفارسى[(٢)].

(ب) ناحية التفاصيل :

ولم يقتصر أثر « المقصور والممدود » فى كتاب « التكملة » على المنهج العام بل تعداه إلى التفاصيل الجزئية فى القسمين : السماعى والقياسى.

أثر القسم السماعى : باب المقصور :

فى باب المقصور المفتوح الأول قال أبو على الفارسى: (الحشا : واحد أحشاء الجوف. والحشا : الربو. ورَجَلٌ حَشْيان، وفلان فى حشا فلان وفى ذراه : أى : فى كنفه)[(٣)].

وهذه المادة بتفاصيلها فى المقصور والممدود[(٤)].

وفى باب المقصور المضموم الأول قال أبو على : (السُّرى : السير فى الليل والتُّقى من التقوى منقلبة عن الياء. والهدى : مصدر هَدَيته فى الدين هُدَىً، يذكر ويؤنث. والضحى[(٥)]. والسُّدى : الهمل. قال تعالى « أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً » (سورة القيامة : آية ٣٦).

وهذه المواد مأخوذة من مجموعه أبواب فى كتاب المقصور والممدود هى : باب التاء وباب السين وباب الضاد[(٦)].

---

(١) المقصور والممدود /١٣ ، ٢٢ ـ ٢٣ وكتاب التكملة /٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨
(٢) المقصور والممدود /٣٠ ـ ٣١ وكتاب التكملة /٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١.
(٣ ، ٤) المقصور والممدود /٣٢ ـ ٣٣ وكتاب التكملة /٦٢
(٥ ، ٦) المقصور والممدود /٢٣ ، ٦٣ ، ٧٥ ، وكتاب التكملة /٩٨

وفى باب المقصور المكسور الأول قال أبو على : (قرى الضيف ، والقرا : ماجمع فى الحوض من الماء قبل أن ترده الإبل ، والقلى : البغض. والحجا : العقل . واللوى : منقطع الرمل ، والإنا : البلوغ ، من قولك : بلغ إناه)[1] .

وهذه المواد بتفاصيلها مأخوذة من أبواب عدة فى كتاب المقصور والممدود[2] .

أثر القسم السماعى : باب الممدود :

وفى الممدود المفتوح الأول قال أبو على الفارسى : (الثَّواء : وسط الشىء والرهاء : المتسع من الأرض . والضَّحاء : وهو للإبل مثل الغداء للإنسان والغباء من غَبِى يَغْبَى غباء ، والذَّماء : بقية النفس ، قال أبو عبيدة : القوم على بواء ، أى على سواء . وقال الأصمعى : البواء التكافؤ . وكلا التفسيرين يؤول إلى معنى واحد . وجارية بينة الجراء[3] . والتلاء : الحوالة . والبلاء : من الخبرة ... الخ)[4] .

وهذه المواد مأخوذة من المقصور والممدود ومن الأبواب الآتية :

باب الباء والتاء والجيم والذال والسين والغين[5] .

(١ ، ٢) المقصور والممدود /٧ ، ٩٨ ، ١١٣ وكتاب التكملة /٩٦

(٣) ضبطه ابن ولاد بكسر الجيم — المقصور والممدود /٢٧

(٤) التكملة ٩٨ — ٩٩

(٥) المقصور والممدود / باب الباء : ٢٠ ، وباب التاء : ٢٣ وباب الذال : ٥٠ وباب السين : ٦٣ وباب الغين : ٩٢ (الا أنه عند ابن ولاد مقصور يكتب بالألف لان مصدره غباوة) .

وفى الممدود المضموم الأول : قال أبو على الفارسى : (الغثاء : ماجاء به السيل ، والرُّخاء : الرِّخْوُ . وذُكاء : اسم من أسماء الشمس غير مصروفة للتعريف والتأنيث ، والهراء الكلام غير المصيب قال (ذوالرمة) :

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحريرِ ومنطقٌ رَخِيمُ الحَواشى لاهُراءٌ ولا نَزْرُ

والرُّواء : حسن المنظر يكون من الرى ومن رأيت . وفُعَال : يكثر فى الصوت نحو الرُّغاء والثُّغَاء)[١] .

وهذه المواد — إلا الرواء — مأخوذة من أبواب عدة من كتاب المقصور والممدود مع الشاهد الذى فى مادة الهراء)[٢] .

وفى الممدود المكسور الأول قال أبو على : رجل هِداء وهدان : النِكْسُ ، الذى لاخير فيه . والجِئاء : جمع جئاءة : وعاء القدر ، والكباء : العود الذى يتبخر به ، والبغاء : الزنا . وفى التنزيل : «لاتكرهوا فتياتكم على البغاء » (سورة النور : آية ٣٣)[٣] .

وهذه المواد — إلا الكباء — مأخوذة من ثلاثة أبواب فى كتاب المقصور والممدود لابن ولاد هى : باب الباء وباب الجيم وباب الهاء[٤] .

هذه الأمثلة السابقة هى نماذج لما أخذه أبو على الفارسى من كتاب المقصور والممدود لابن ولاد وضمنه كتابه « التكملة » وفى القسم المسموع فقط .

---

(١) التكملة /١٠١

(٢) ينظر المقصور والممدود / باب الذال : ٥٢ وباب الراء : ٥٧ ، وباب الغين ٩٣ ، وباب الهاء ١٣٢ (غير أن معنى الهراء فى بيت ذى الرمة الكلام الكثير لا القبيح بدليل ولا نزر . أى لا قليل ولا كثير . وخير الأمور أوسطها)

(٣) التكملة / ١٠٠

(٤) المقصور والممدود /٢٢ ، ٣٢ ، ١٣٣

أثر القسم القياسى :

ولم يقتصر أخذ الفارسى على القسم السماعى ، بل تعداه إلى القياسى .

فقد أخذ الفارسى مجموعة من النصوص التى أوردها ابن ولاد فى كتابه « المقصور والممدود » دون أن يصرح باسم ابن ولاد ودون أن يغير فى النص إلا قليلا .

فقد أخذ منه فى تحديد المقاييس التى يعرف بها كل من « المقصور ... والممدود » .

تحديد علامات المقصور :

ففى تحديد العلامات والمقاييس التى يعرف بها المقصور قال أبو علىّ : (فما يعلم قصره من جهة القياس قولهم الصدى للعطش وذلك أنك تقول : صدى يصدى . والمصدر : الصَّدَى مقصور لأنه بزنة العطش . وكذلك الطَوى فى الجوع لأن طوى يطوى ، مثل غَرِثَ يَغْرَثُ فكما أن الغَرَث على فَعَل فكذلك الطَوى ، واسم الفاعل منه طَيّان وغَرثان فصديان كعشان وطيّان كغرثان)[1] .

ونص أبوعلى الفارسى مأخوذ فى المقصور والممدود فى الموضوع نفسه حيث يقول ابن ولاد ، وهو يحدد العلامات التى يعرف بها المقصور ويقاس : (كل مصدر لفَعِلَ يَفْعَلُ والاسم منه فَعْلان وذلك قولهم صَدِيَ يَصْدى صدى وطوى يطوى طوى والاسم من هذا يأتى على فَعْلان كقولهم صديان وطيان ونظيره من الصحيح قولك: عطش يعطش عطشا فهو عطشان وغرث

---

(١) التكملة /٩٨

يغرث غرثاً فهو غرثان وظمىء يظمأ فهو ظمآن فقولهم الصدى بوزن العطش)[١] .

تحديد معنى الممدود :

أما ما أخذه من « ابن ولاد » فى باب تحديد العلامات التى يُعْرف بها الممدود فمثل قول أبى على : (ومما يعلم أنه ممدود أن يكون المصدر يرُاد به الصوت ، ويكون مضموم الأول وذلك نحو الدُّعاء والعواء لأن نظير ذلك من الصحيح والصُّراخ والنُّبَاح وكذلك البُكاء ، قال الخليل[٢] : « والذين قالوا البكا فقصروه جعلوه كالحَزَن وكذلك ما كان علاجاً كالنزاء لأنه بمنزلة القُماص)[٣] بضم القاف .

وهذا النص مأخوذ من المقصور والممدود لابن ولاد بتعديل بسيط قال ابن ولاد : (ومما يُعْلَم أنه ممدود من المصادر ما كان منها صوتاً مضمومَ الأول نحو : العُواء والدعاء والزقاء ونظيره من غير المعتل الصراخ والنباح والبغام . فأما البكاء فيُمَدُّ ويُقْصَرُ فمن مده ذهب إلى الصوت . ومن قصره جعله كالحزن هذا قول الخليل . وحكى الفراء : النُّداء والنِّداء قال ونظيره من الصحيح ، والصُّياح والصِّياح – بالضم والكسر فيهما جميعاً – وقالوا الغِناء فجاء مكسوراً وكذلك إن كان المصدر علاجاً لزعزعة البدن وارتفاعه جاء على هذا الوزن نحو : النُزاء ، ونظيره من الصحيح : القُماص)[٤] .

---

(١) المقصور والممدود /١٣٩ ـ ١٤٠

(٢) سيبويه ٢/١٦٣ (قال الخليل « الذين قصروه جعلوه كالحزن • ويكون العلاج كذلك نحو النزاء ونظيره من غير المعتل القماص) • وينظر اللسان (قمص) ٨/٣٥١

(٣) التكملة /٩٠

(٤) المقصور والممدود ١٤٧/١٤٨

ومن الأمثلة على تأثر أبى على الفارسى بابن ولاد ، ماجاء فى تحديد علامات الممدود من كتاب التكملة . قال أبو على : (ومما يعلم أن واحده ممدود أن ترى الجمع على « أفعلة » نحو : أقبية وأفنية وأكسية . فالواحد من الأكسية : كساء ، وكساء كحمار ، وأكسية كأحمرة)(١) .

والنص السابق مأخوذ من ابن ولاد بتحوير بسيط يقول ابن ولاد : (ومما يعلم أنه ممدود ما كان من هذا الباب واحداً له جمع على أَفْعِلَة نحو : قِباء وأقبية ورِشاء وأرشية فهذا بمنزلة فِراش وأفرشة وحمار وأحمرة)(١) .

هذا من أهم المظاهر التى تدل على أن كتاب المقصور والممدود لابن ولاد كان ذا أثر كبير فى كتاب التكملة لأبى على الفارسى .

ومن الغريب أن الأخير لم يذكر الأول ولو مرة واحدة .

٣ ــ أثر المقصور والممدود فى « فصل المقال » :

ومن الذين تأثروا بكتاب ابن ولاد ، « أبو عبيد البكرى » فى كتابه « فصل المقال » .

فقد نقل من كتابه فى « باب عادة السوء يدعها صاحبها ثم يرجع إليها » قائلا : (روى ابن ولاد فى كتابه المقصور والممدود : يقال : رجع فلان على قرواه ، مقصور أى : رجع إلى خُلُق كان قد تركه . قال ابن ولاد : وحكى سلمة عن الفراء : لا ترجع هذه الأمة على قَرْوائها ، بالمد : أى : على أول أمرها)(٢) .

---

(١) التكملة /٩٠ والمقصور والممدود /١٤٨

(٢) فصل المقال /٣١٤ وفى المقصور والممدود /١٠١ (حكى سلمة عن الفراء فى حديث رواه : لا ترجع هذه الأمة ...)

٣ – أثر المقصور والممدود فى « تثقيف اللسان » :

ومن الذين تأثروا به ونقلوا منه ابن مكى الصقلى : حفص بن عمر بن خلف (ت ٥٠١ هـ) فى بابين :

باب غلط أهل الحديث ، لأنهم يقولون : « فيذهب الذاهب إلى قبا » بغير مد والصواب إلى « قباء » بالمد ، لم يذكر فيه ابن ولاد سوى المد[١].

وفى باب الهجاء فى علة كتاب اسم (يحيى) بالياء قال : (قال ابن ولاد : وإنما كتبوه بالياء ليفرقوا بين الاسم والفعل)[٢].

٤ – أثر المقصور والممدود فى « خزانة الادب » :

ولعل الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى (المتوفى ١٠٩٣ هـ) آخر من نقل عنه من القدامى وذلك فى كتابه « خزانة الأدب ولب لسان العرب على شواهد شرح الكافية » ، حيث ذكر « المقصور والممدود » فى قائمة مصادره من كتب اللغة[٣]. ولاشك فى أن هذه الإشارة تعنى أن البغدادى أباح لنفسه النقل من كتاب ابن ولاد ، دون أن يشير إليه أحياناً . . . . ولكنه مع ذلك أشار إليه خمس مرات :

الأولى : فى شرح الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة :

* أطْرِقْ كَرا أطرق كرا *

---

(١) تثقيف اللسان / ٢٥١ والمقصور والممدود / ١٠٥.

(٢) تثقيف اللسان / ٣٠٥

(٣) خزانة الادب ١ / ١١

فقال : (وما قاله الشارح من أن الكرا ذكر الكروان ، ذكره صاحب القاموس أيضاً . ونسبه ابن عقيل فى شرح التسهيل إلى المبرد ، والظاهر من كلام ابن الأنبارى وابن ولاد الترادف ، فإنهما قالا : الكرا: الكروان لا أنه مرخم منه) .[1]

والثانية : فى شرح الشاهد الحادى والعشرين بعد الأربعمائة :

* كاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فاصْطِيْدا *

حيث قال : روى هذا البيت ابن ولاد فى المقصور والممدود[2] :

فظلت فى الأمر الذى قد كيدا . . . فاصطيدا

والثالثة : فى شرح الشاهد التاسع عشر بعد الخمسمائة :

فلولا نَبْلُ عَوضٍ فى حُظُبّاىَ وأوصالى

فقال : (وحظباى بالإضافة إلى ياء المتكلم وزنه فُعَلّى ... قال ابن ولاد فى المقصور والممدود : هو الصلب يعنى الظهر)[3] .

والرابعة : فى شرح الشاهد السابع والسبعين بعد الخمسمائة :

لأصبحَ الحَىُّ أوباداً ولم يجدوا عند التَفَرُّقِ فى الهَيْجَا جِمالَيْنْ

فقال : (قال ابن ولاد فى المقصور والممدود : الهيجا تمد ، وتقصر)[4].

والخامسة : فى شرح الشاهد السابع والسبعين بعد السبعمائة :

وأنت التى حببتِ شَغْبا إلى بَدَاً إلىّ وأوطانى بلادٌ سِواهما

(١) الخزانة ١/٣٩٤

(٢) المقصور والممدود /٥٩ والخزانة ٢/٤٩٨

(٣) المقصور والممدود /٣٥ والخزانة ٣/٢٠٢

(٤) المقصور والممدود /١٣١ والخزانة ٣/٣٨٧ (والاوباد : جمع وبَد بفتحتين ، ومعناه : شدة العيش وسوء الحال . وهو مصدر يوصفُ به)

فقال : (ولم يزد ابن ولاد والقالى فى المقصور والممدود لها على قولها: بدا : اسم موضع ، مقصور يكتب بالألف ، يقال : بين شغب وبدا ، وأنشد البيت الشاهد[1] .

لكن (بدا) ورد فى شعر « زيادة بن زيد » ممدوداً . .[2]

سادسا : أثر أبى جعفر النحـاس

١ ـ بين النحاس وأبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ)

لأبى سعيد السيرافى : الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ هـ) كتب كثيرة فى النحو ، منها : شرح كتاب سيبويه ، والإقناع فى النحو ، والمدخل إلى كتاب سيبويه والوقف والابتداء ....[3]

ولكن الذى اشتهر منها ونال إعجاب العلماء هو الأول حتى حسده عليه معاصروه لا سيما أبو على الفارسى .[4]

فإذا علمنا أن الدراسات النحوية قد وصلت على يد السيرافى إلى غايتها من حيث (تأصيل القواعد ومدّ الفروع المتشابكة) .[5]، عرفنا شيئاً عن قيمة هذا الشرح وفكرة عامة عن أثره فى الدراسات النحوية .

والذى يتصل ببحثنا من هذا هو شرح السيرافى لقول سيبويه فى أول الكتاب: «هذا باب علم ما الكلم من العربية» فقد أوصل احتمالات وجوه الإعراب فى هذا القول إلى خمسة عشر احتمالا .[6]

---

(١) الخزانة ٤/١٣٧ وينظر المقصور والممدود /١٦
(٢) الخزانة ٤/١٣٧
(٣) الفهرست /٦٢ ومعجم الادباء ٨/١٤٦ وانباه الرواة ١/٣١٥
(٤) معجم الادباء ٨/١٤٧ والبغية ١/٥٠٨
(٥) الدكتور شوقى ضيف : المدارس النحوية /١٥٠
(٦) السيرافى : شرح كتاب سيبويه /٦ (مصورة جامعة القاهرة)

وقد أوصلها النحاس (ت ٣٣٨ هـ) قبله إلى بضعة وأربعين احتمالا ... والنحاس صاحب نظرية الاحتمالات النحوية .

فهل أثر شرح النحاس فى شرح السيرافى ؟ ؟

هذا ما سنحاول أن نكشف عنه فى السطور القادمة ....

أولا – من حيث المنهج العـام :

يعتمد منهج النحاس على الوجوه والاحتمالات النحوية ..

بحيث لا يترك وجهاً يحتمله النص إلا ذكره ، فنى رسالته المشار إليها يقول وهو يعدد وجوه الإعراب المحتملة عند تنوين كلمة « باب » (ولك أن تقول هذا بابا علم ما الكلم ، أعنى باباً ، وترفع على أنه خبر هذا وتصرف « ما » على ما تقدم ، وإن شئت نصبت عِلْماً على هذه الرواية تجعله بدلا من باب ، وما خبر الابتداء بمعنى الذى ، ولك أن تجعلها زائدة وتجعل الكلم خبراً ، ويجوز أن تقول : هذا باب علم ، بمعنى إذا كان باب علم ، وتكون ما زائدة والكلم خبر هذا فهذه ثمانية أوجه ....) .[1]

وقد تأثر السيرافى بهذا المنهج فعالج الموضوع كما عالجه النحاس فقال : (فإذا نون – يريد باباً – جاز فى العِلْم الرفع والنصب ، فإذا نصبتَ فعلى التمييز .... أما إذا قلت : هذا بابٌ احتمل أن يكون باباً من العلم وغيره . فإذا رفعته ففيه ثلاثة أوجه مرضية : أحدها : أن يكون هذا مبتدأ وباب خبره ، وعلم خبر مبتدأ محذوف ، كأنك قلت : هذا باب علم ، هذا علم . أو قلت : هو باب هو علم . والثانى : أن يكون باب خبر هذا ، ويكون علم بدلا منه ، والثالث : أن يكون باب وعلم جميعاً خبرين)[2] .

---

(١) رسالة النحاس ورقة ٢٧ : ب
(٢) شرح السيرافى /٤

وفى موضع آخر يقول النحاس : (إن شئت تركت تنوين العلم فقلت هذا بابٌ علم ما الكلم، على أن ما زائدة ، وإن شئت على أنها بمعنى الذى، وإن شئت على أنها استفهام إلا أنك ترفع الكلم .

ولك أن تقول : هذا بابا علم ما الكلم ، على أن بابا منصوب على الحال ، و « علم ما الكلم » خبر ، وما زائدة .... وإن شئت رفعت فى هذا الجملة ، وكانت ما بمعنى الذى ، وإن شئت كانت بمعنى الاستفهام ، وأضفت العلم إلى الاستفهام وخبره)(١) .

وأثر هذا المنهج واضح فى منهج السيرافى عند معالجته الموضوع نفسه، فهو يقول وبألفاظ متقاربة : (ويجوز إضافة « علم » وترك التنوين منها وما محتملة لوجوهها الثلاثة ، فإذا كانت استفهاماً كان لفظها رفعاً ، وإذا كانت بمعنى الذى كانت مخفوضة بالإضافة وصلتها على ما وصفناه . وإذا كانت ـ أى : ما ـ صلة كان الكلم خفضاً ولفظه : « هذا باب علم ما الكلم من العربية »(٢) .

ثانيا ـ من حيث التفاصيل :

أما تأثير منهج النحاس فى منهج السيرافى من حيث التفاصيل فيتضح فى :

(أ) تشابه التقسيمات :

إن التقسيمات عند النحاس ثلاثية عادة فالكلام على « ما » من ثلاثة أوجه : (فلك أن تجعل « ما » زائدة ، ولك أن تجعلها بمعنى الذى ، ولك

---

(١) رسالة النحاس ورقة ٢٩ : أ ـ ب

(٢) شرح السيرافى /٤

أن تجعلها استفهاماً[١] . وللك أن تجعل العلم إذا نونته مخفوضاً بمعنى أن تعلم على مالم يُسَمَّ فاعِلُهُ مع تصريف ما على الأوجه الثلاثة فتصير على الستة المتقدمه تسعة) .

وهذه التقسيمات واضحة فى منهج السيرافى . فإن الكلام على ما ـ عنده ـ من ثلاثة أوجه : (أحدها أن تكون استفهاماً والوجه الثانى من وجوه « ما » أن تكون بمعنى الذى ويكون صلتها هو العلم ، والوجه الثالث أن تكون ما صلة)[٢] .

(ب) تشابه الوجوه والاحتمالات :

إنّ جميع الوجوه والاحتمالات الإعرابية التى ذكرها السيرافى هى خمسة عشر وجهاً وذلك بالترتيب الآتى :

١ ـ هذا بابُ عِلمٍ ما الكلمُ من العربية .
٢ ـ هذا بابُ عِلمٍ ما الكلمَ من العربية .
٣ ـ هذا بابُ عِلمٍ ما الكلمُ من العربية
٤ ـ هذا بابُ عِلمٍ ما الكلمِ من العربية .
٥ ـ هذا بابُ علمُ ما الكلمِ من العربية .
٦ ـ هذا بابٌ علمُ ما الكلَم من العربية .
٧ ـ هذا بابٌ علماً ما الكلم من العربية .
٨ هذا بابٌ علما ما الكلمَ من العربية .

---

(١) رسالة النحاس ورقة ٢٨ : أ
(٢) شرح السيرافى / ٢ ـ ٣

٩ ـ هذا بابٌ علمٌ ما الكلمُ من العربية .

١٠ ـ هذا بابٌ علمُ ما الكلمِ من العربية .

١١ ـ هذا بابٌ علمَ ما الكلمُ من العربية .

١٢ ـ هذا باباً علمٌ ما الكلمُ من العربية .

١٣ ـ هذا باباً علمُ ما الكلمَ من العربية .

١٤ ـ هذا باباً علمُ ما الكلمُ من العربية .

١٥ ـ هذا باباً علمُ ما الكلمِ من العربية .

فذلك خمسة عشروجهاً ، كلها قد سبقه إلى ذكرها النحاس وذلك دليل تأثر منهج السيرافى بمنهج النحاس .

فالموازنة بين رسالة النحاس وشرح السيرافى لقول سيبويه فى أول الكتاب : « هذا باب علم ما الكلم من العربية » تُثبت إثباتاً قاطعاً أن السيرافى ، سلخ شرح النحاس سلخاً كاملا دون أن يشير إليه .

وإذا أردنا التخصيص قلنا : إن تأثير منهج النحاس فى منهج السيرافى يبدو فى ثلاثة أمور :

١ ـ المنهج العام .

٢ ـ تشابه التقسيمات .

٣ ـ تشابه الوجوه والاحتمالات

٢ ـ بين النحاس ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ)

أو

أثر كتاب ((القطع والائتناف)) فى رسالة ((الوقف على كلا وبلى))

« الوقف على كلا وبلى فى القرآن الكريم » ، رسالة صغيرة لمكى بن أبى طالب القيسى (ت ٤٣٧ هـ) . وتقع فى (٢٨) صفحة من القطع المتوسط(١) .

ويبدو أثر كتاب « القطع والائتناف » للنحاس فى هذه الرسالة واضحاً وذلك من ناحيتين : ـ

(ا) ناحية المنهج العام .

(ب) ناحية التفاصيل .

(ا) أما من ناحية المنهج العام فإن أثر كتاب النحاس يبدو فى :

١ ـ التخطيط العام :

أما من حيث التخطيط العام فإن النحاس قسم الوقف على (كلا) ، من حيث الجواز وعدمه ، خمسة أقسام ، فقال : « فأما الوقف ـ أى على كلا ـ ففيه خمسة أقوال : فمن النحويين من يقول : لا يوقف على كلا فى شىء فى جميع القرآن لأنها جواب ، والفائدة تقع فيما بعدها ، وهذا قول أبى العباس أحمد بن يحيى . ومنهم من يقول : يوقف على كلا فى جميع القرآن . ومنهم من قال : يوقف على ما قبل كلا ، إذا كانت رأس آية .

---

(١) الرسالة منشورة فى مجلة كلية الشريعة ببغداد ، العدد الثالث ، سنة ١٩٦٧ ، بتحقيق الدكتور حسين نصار ، صفحات ٦٧ ـ ١٣٣ ، والنص من ١٠١ ـ ١٢٩ ـ وبقية الصفحات للدراسة والتعليقات والهوامش .

وهذا قول « نُصَير » ومنهم من يقول : يوقف على ما قبلها بكل حال .

والقول الخامس : أن « كلا » تنقسم إلى قسمين : أحدهما أن تكون ردعاً وزجراً ، وهذا قول الخليل . وأبو حاتم يقول : إنها بمعنى « ألا » فإذا كانت كذا كانت مبتدأ كقول الله جل وعز : « كلا والقمر » وكذا : « كلا سوف تعلمون » . وتكون ردعاً وزجراً ورداً لكلامٍ تَقَدَّمَ ، فيكون الوقف عليها حسناً . كقول الله جل وعز : « أَمِ اتَّخَذَ عندالرحمن عهدا كلا » قال أبو حاتم أى : لم يطلع الغيب[(١)] ، ولم يتخذ عِنْدَ الرحمن عهدا)[(٢)] .

ثم رجح النحاس هذا القول فقال : (وهذا من أحسن الأقوال وهو قول الخليل ، ثم اتبعه على ذلك الأخفش، فقال : كلا : ردع وزجر ، ثم اتبعه على ذلك أبو حاتم . وهذا قول الفراء ....)[(٣)] .

أما « مكى » فقد ذكر فى الباب الأول من الرسالة هذه الأقسام فقال: (اختلف النحويون فى الوقف على : « كلا » والابتداء بها : فذهبت طائفة إلى أنها افتتاح كلام فلا يوقف عليها ولا يبتدأ بها . وهو مذهب أبى العباس ثعلب وغيره . قالوا : لأنها جواب ، والفائدة فيما بعدها .

وذهب قوم إلى أنها يوقف عليها ، إذا كانت رأس آية خاصةً وهو مذهب « نُصَير المُقْرِىء » . وذهبت طائفة إلى أنها يوقف عليها فى كل موضع . فإذا كان قبلها ما يرد وينكر كان معناها : ليس كذلك ، نحو : « أم اتخذوا عند الرحمن عهدا . كلا » وإذا كان قبلها مالا يرد

---

(١) يشير الى صدر الآية ٧٨ من سورة مريم : « أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهـدا » .

(٢ ، ٣) القطع والائتناف لوحة ٣٩ : أ

ولا ينكر كان معناها : « حقاً » نحو « تظن أن يفعل بها فاقرة . كلا » أى حقاً ما ذكره . وذهبت طائفة إلى تفصيلها - فيوقف عليها إذا كان ما قبلها يرد وينكر ويبتدأ بها إذا كان ما قبلها لا يرد ولا ينكر ، وتُوْصَل بما قبلها وما كان بعدها إذا لم يكن قبلها كلام تام . نحو « ثم كلا سوف تعلمون »[١] .

ثم رجح هذا الرأى الأخير فقال : (وهذا المذهب أَلْيَقُ بمذاهب القراء وحذاق أهل النظر ، وهو الاختيار وبه آخذ)[٢]

فمكى لم يفعل سوى أن جاء بأقوال النحاس الخمسة وحافظ على قسم من أسماء الأعلام فيها . . . ثم رجح ما رجحه النحاس .

٢ - احصاء الأقوال وتفصيلها :

أما أثر النحاس من هذه الناحية فيبدو فى الإحصائيات التى تناولها النحاس لعدد الأئمة .

فإن « مكياً » يحصى عدد الأئمة فى كل سورة ثم يعددها ، ويذكر أقوال جماعة من العلماء الذين ألفوا فى موضوع « الوقف والابتداء »[٣] .

وهذا منهج النحاس قبله فى مواضع من كتابه « القطع والائتناف » ففى الحديث عن الأئمة فى سورة الفاتحة : أم القرآن ، قال : (فى أم القرآن خمسة أئمة . . .) ثم أخذ يعددها . . . . . .[٤] .

وفى حديثه عن « الأئمة » فى سورة الحِجْر قال : (أكثر من عمل

(١ ، ٢) رسالة الوقف على كلا وبلى /١٠١ - ١٠٢

(٣) رسالة الوقف على كلا وبلى /١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب

كتاباً فى التمام يقلل التمام فى هذه السورة ، فلم يذكر « نافع » منها إلا خمسة مواضع . ولم يذكر أحمد بن جعفر فيها إلا موضعاً واحداً . فأما أبو حاتم فحكى أن بعض المفسرين ذكر أنه ليس فيها تمام . . . .[1] .

٣ - استعمال المصطلحات :

أما من حيث المصطلحات فإن جميع مصطلحات الوقف والابتداء الواردة عند « مكى » من وقف التمام[2] ، والوقف الحسن[3] والجائز[4] ، وغير الحسن[5] ، هى مصطلحات النحاس .

أما الوقف الجيد الذى ذكره « مكى » قليلا فقد ذكره النحاس استطراداً[6] .

(ب) ناحية التفاصيل :

أما أثر كتاب النحاس فى رسالة « مكى » من حيث التفاصيل فيتجلى فى المظهرين الآتيين :

١ - الآراء المنسوبة إلى المؤلفين فى الوقف والابتداء .

٢ - التعليلات .

أما من حيث الآراء المذكورة فى رسالة « مكى » المنسوبة إلى العلماء المؤلفين فى الوقف والابتداء ، فإن جميع الأسماء التى ذكرها « مكى » هى

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : أ

(٢) رسالة الوقف على كلا وبلى /١٢٥ ، ١٣٦

(٣) المرجع نفسه ١٢٥ ، ١٢٧

(٤) المرجع نفسه ١٢٢ ، ١٢٦

(٥) المرجع نفسه /١٢٦

(٦) القطع والائتناف لوحة ٢٥١ : ب

من مصادر النحاس الكثيرة فقد ذكر مكى من الأعلام المؤلفين فى الوقف والابتداء الأسماء الآتية :

نافعاً (ت ١٦٩ هـ) والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) ، ونصير بن يوسف الرازى البغدادى (ت ٢٤٠ هـ) ومحمد بن عيسى (ت ٢٥٣ هـ) وأبا حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) وأحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) وأحمد بن موسى (القرن الثالث) ، والإمام الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وهم جميعاً من الأسماء التى جاءت فى « القطع والائتناف » للنحاس .

وهناك قرينة واضحة جداً فى رسالة « مكى » تؤكد أنه اعتمد على كتاب النحاس فى نقل هذه الأسماء وهذه القرينة هى : أن المواضع التى أشار فيها النحاس إلى « نافع » صاحب كتاب وقف التمام[(١)] . موجودة كلها فى رسالة « مكى » فى المواضع نفسها أعنى مواضع السور . والمواضع التى تركها النحاس فلم يشر فيها إلى « نافع » تابعه فيها « مكى » فلم يذكرها والسور التى لم يشر فيها النحاس إلى « نافع » هى : الدخان والرحمن ، والإنسان ، وهى المواضع التى لم يشر فيها مكى إلى « نافع » .

أما من حيث التعليلات فإن تعليلات « مكى » هى تعليلات النحاس ، مع زيادات أضافها مكى ، لاسيما فى المواضع التى ترك النحاس فيها التعليل أو أوجزه .

ونضرب لما قلناه مثالين يوضحان ما أوجزناه فى النقطتين السابقتين .

المثال الأول قول مكى « وهو يتحدث عن الوقف على « كلا » :

(ومن ذلك موضعان فى « الفجر » الأول قوله تعالى : « فيقول ربى أهانن .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب

كلا » الوقف على كلا حسن تجعلها رداً لما قال الإنسان ، إذ قد ادعى أن تضييق الله عليه فى رزقه إهانة له من الله . فالمعنى ليس الأمر على ماقال الإنسان . لم يُهِنْهُ بتضييق الرزق ، ولا أكرمه بسعة الرزق ، ولكن يجب أنْ يَحْمَدَ الله على الغنى والفقر . ومذهب الأخفش وأحمد بن موسى أن يبدأ بكلا على معنى حقاً أو على معنى : إلا بل لايكرمون . والثانى قوله تعالى : «وتحبون المالَ حبّاً جمّاً. كلا إذا دُكَّتِ الأرضُ دكاً» . الوقف على كلا لايحسن لأنك كنت تنفى ما أخبر الله به من كثرة حب المال ، وذلك لايجوز نفيه . وأجاز « نصير » الوقف على « كلا » والمعنى لايغنى عنكم جمع المال وتوفيره)[١] .

وهذا النص مستوحى من نص النحاس الآتى مع تغيير بسيط : قال النحاس فى الموضع السابق من السورة السابقة : (التمام[٢] عند الأخفش وأحمد بن موسى « فيقول ربى أهانن » . فأما أبو حاتم فأجاز الوقف على أهانن وعلى كلا . وأما « نصير » فالوقف عنده على « أهانن كلا » وهو مذهب الفراء واختلفا فى المعنى فقول نصير إن معنى كلا[٣] : لم أهنه . وقول الفراء إن معنى « كلا » لم يكن ينبغى له إن يقول هذا ، ولكن يحمد الله عز وجل على الأمرين جميعاً : على الغنى والفقر :قال أبو جعفر[٤] : والقولان حسنان إلا أن قول « نصير » أشبه بقول أهل التأويل لأن

---

(١) الوقف على كلا وبلى /١١١

(٢) أى : وقف التمــام

(٣) فى الأصل « ان كلا لم أهنه » وما أثبتناه هو الصحيح اذ لا يقوم المعنى والسياق بدونه وما بعده يؤيد ما أثبتناه ٠

(٤) أبو جعفر أى : النحاس

ول « الحسن »[١] إن معنى كلا : ليس يهان أحد لفقر ولا يكرم لغنى .
و ال « قتادة »[٢] لا يهان أحد لفقر ولا يكرم لغنى . وإنما يكرم بطاعة الله ويهان بمعصيته . « تحبون المال حباً جماً » هذا الوقف عند أبى حاتم والوقف عند نصير حباً جماً . كلا . والمعنى عنده : لا يغنى عنكم جمع المال)[٣] .

والمثال الثانى هو قول « مكى » - وهو يتحدث - عن الوقف على كلا فى الآية الكريمة : « ألم يعلم بأن الله يرى . كلا » من سورة العلق
قال مكى : (الوقف على « كلا » لا يحسن لأنك كنت تنفى رؤية الله عمال عباده وذلك كفر . وقد أجاز الطبرى والقتبى الوقف عليها ، جعلاها نفيا للعلم عن الكافر كأنه قال : ألم يعلم بأن الله يرى . كلا . أى : لم يعلم أبو جهل بذلك)[٤]

ونَصُّ « مكى » السابق مُستوحى من نص النحاس حيث قال فى الموضع السابق من السورة السابقة : (ألم يعلم بأن الله يرى ، تمام عند أبى حاتم . والتمام عند القتيبى[٥] ومحمد بن جرير : « ألم يعلم بأن الله يرى . كلا »

---

(١) الحسن : أى : الحسن البصرى التابعى المشهور (ت ١١٠ هـ)
(٢) قتادة : هو قتادة بن دعامة السدوسى التابعى (ت ١١٧ هـ) (وفيات الاعيان ٣/٢٤٨) .
(٣) القطع والائتناف لوحة ٢٥٢ : أ
(٤) الوقف على كلا وبلى /١١٢
(٥) القتيبى : هكذا ورد فى المخطوطة وكذلك فى البغية ٢/٩٣ وطبقات المفسرين ١/٢٤٥ والصحيح فى نسبته (قتبى) لانه نسبة الى « فعيل » وقد ضبطه « السمعانى » بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء . كما جاء النص - الذى ورد فيه التحريف فى البغية صحيحا فى طبقات القراء (ينظر الانساب ٤٤٣ : ب ، وطبقات القراء ٢/١٨٥)

والمعنى : ألم يعلم بأن الله يرى ؟ لا نهياً لأبى جهل ....)[١] .

والخلاصة أن « مكياً » تأثر بكتاب « القطع والائتناف » للنحاس في رسالته « الوقف على كلا وبلى » ولم يشر إلى النحاس إلا مرة واحدة ارتضى فيها رأيه[٢] ، أما فى غير هذا الموضع فلم يشر إليه ! !

والذى أطمئن إليه أن رسالة « مكى » ملخصة من كتاب « القطع والائتناف » تلخيصاً ، وليس فيها سوى إضافات جزئية ليست ذات بال.

٣ — بين النحاس وابن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ)

أبو على الحسن بن رشيق القيروانى (٣٩٠ - ٤٦٣ هـ) ، صاحب كتاب العمدة وقراضة الذهب[٣] ، من الذين تأثروا بكتب النحاس فى الكتاب الأول .

ولكن الملاحظ أنه لم يشر إلى أى كتاب من كتب النحاس ، وإنه ذكر اسمه فى أكثر النصوص التى نقلها من كتبه .

وقد يهمل ذكر اسمه كما فى النص الآتى : قال ابن رشيق : (روى أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرىء القيس :

* كأن ثبيرا فى عَرانين وَبْلِهِ *

فما بعد ذلك بالواو فيقول :

* وكأن ذرى رأس المجيمر غدوة *

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٥٣ : أ

(٢) الوقف على كلا وبلى /١٠٨

(٣) تنظر تفاصيل ترجمته فى انباه الرواة ١/٢٩٨ وفيات الاعيان ١/٣٦٦ كتاباه مطبوعان الأول بمصر والثانى بتونس وغيرها

* وكأن السباع فيه غرقى عشية *

معطوفاً هكذا ليكون الكلام نسقاً على بعض)[١]

وهذا النص عند النحاس فى شرح القصائد التسع ، بتعديل بسيط[٢] .

أما النصوص التى نقلها مع ذكر اسم النحاس فهى :

(أ) اشتقاق اسم الجائزة :

نقل ابن رشيق قول النحاس فى هذا فقال : (قال أبو جعفر النحاس: أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب على وجهه ، وكان الرجل إذ ورد ماء قال : لقَيِّمِهِ : أجزنى ، أى : أعطنى ماء حتى أذهب لوجهى وأجوز عنك ، فكثر حتى جعلت الجائزة ، عطية . قال الراجز :

يا قَيِّمَ الماءِ فدتكَ نفسى أحسِنْ جوازى وأَقِلَّ حبسى[١]

وقد وجدت النص فى « الفاخر فى الأمثال » للمفضل بن سلمة .[٢] (ت حوالى ٣٠٠ هـ) . ومعنى هذا أن النحاس نقله منه ·

(ب) اشتقاق الركيك :

وفى «باب الوحشى المتكلف والركيك المستضعف» ، وضح ابن رشيق معنى « الركيك » ثم أورد شاهداً أنشده النحاس ... فقال[٣]: ماضعفت بنيته ، وقَلَّتْ فائدته ، واشتقاقه من الرِكَّة ، وهو المطر الضعيف . وقيل: عن الرَّكّ وهو الماء القليل على وجه الأرض ، وأنشد النحاس :

---

(١) العمدة ١ /١٢١

(٢) شرح القصائد التسع /١٩٨

(٣) العمدة ٢ /٢٩٧

(٤) الفاخر فى الامثال /٢٤٤

(٥) العمدة ٢ /٢٥١

تَهادَى كعَوم الركِّ يُقَطِّعُه الحَيا بأبطحِ سَهْلٍ حينَ تَمشِى تَأوُّدا

ويبدو أن النص كله مأخوذ من النحاس كما يظهر من السياق ...

(جـ) معنى السانح والبارح :

وفى شرح المثل : « فلانٌ كبارح الأرْوَى »[1] نقل قول أبى عمرو ابن العلاء وغيره فى معنى السانح والبارح ثم نقل قول النحاس :(السانح عند أهل الحجاز ما أتى من اليمين ، وهم يتشاءمون بالسانح ، ويتيمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز)[2] .

(د) شاهد الاقعاد فى العروض :

ومن أنواع الزحاف فى الأوساط « الإقعاد » ، وهو : أن تذهب - مثلا - نون « متفاعلن » أو «مستفعلن» فى عروض الضرب الثانى من «الكامل» وتسكن اللام فيصير عروضه كضربه : فعلاتن أو مفعولن[3] .

قال ابن رشيق : (وجاء منه فى الطويل قول النابغة الذبيانى :

جزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاءَ الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَلْ

أنشده النحاس)[4] ومعنى هذا أن الإقعاد يأتى فى الطويل أيضاً .

---

(١) الأروى : جمع كثرة للاروية ويجمع أراوى وهى الايائل وقيل غنم الجبل وفى المثل لا تجمع بين الأروى والنعام - أى لا تجمع بين المتناقضين لأن الاول يسكن شعف الجبال والنعام يسكن الفيافى (اللسان : روى ١٩/٧٠).

(٢) العمدة ٢/٢٤٩ (فى الأصل : السنيح ، عند أهل الحجاز ...)

(٣ ، ٤) العمدة ١/٢٢.

(هـ) حكم البسملة قبل الشعر :

والنص الذى يأتى أكبر النصوص التى نقلها ابن رشيق من كتب النحاس ، حيث قال الأخير : (اختلاف العلماء فى كتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر : فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازه النخعى وكذا يروى عن ابن عباس. قال أبو جعفر : ورأيت على بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغى أن يكتب أمام الشعر : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، لأنه يجىء بعده قال فلان وما أشبه ذلك)(١).

(و) الاشارة الى انتحال الشعر :

يرى ابن رشيق أن المراثى لا تقترن بالغزل فى مطالعها . . . وقد ناقش مجموعة من القصائد المبدوءة بالغزل فأنكر بعضاً ، وخطأ الشاعر فى بعض(٢).

ومن القصائد التى أنكر مطلعها الغزالى قول أعشى باهلة :

هاج الفؤاد على عرفانه الذكر ... وذكر خود على الأيام ما يذر

فقد كنت أذكرها والدار جامعة ... والدهر فيه هلاك الناس والشجر

وقال بعد ذلك : (هكذا أنشده النحاس ، ثم عطف النحاس فقال : هذان البيتان لا يعرفان فى أول القصيدة . ومما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب فى الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلا قصيدة دريد)(٣).

---

(١) العمدة ٢/٢٩١

(٢) العمدة ٢/١٤٤

(٣) العمدة ٢/١٤٤

والرأى خلاف ما ذهب إليه كل من النحاس وابن رشيق . لأن القصائد المبدوءة بالرثاء تتعدى فى قصيدة دريد .. وقد ورد فى مرثية للنابغة الذبيانى وأخرى لعدى بن زيد العبادى ...

٤ ـ بين النحاس وأبى عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ)

أو

أثر كتب النحاس فى « فصل المقال »

مصادر البكرى اللغوية التى اعتمد عليها فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، منها بعض كتب النحاس[1]، وكتاب « المنضد » لكراع النمل[2] و« المقصور والممدود » لابن ولاد[3] . ولكن اعتماده على كتب النحاس كان أكثر من اعتماده على كتابى كراع وابن ولاد .

وهذا دليل على أهمية النحاس وشهرته وأثره لغوياً .

وكان اعتماد البكرى على النحاس فى خمسة أبواب هى :

١ ـ باب القصد فى المدح وما يؤمر به من ذلك .

٢ ـ وباب الرجل تكون له نباهةُ الذِكْر ولا منظر عنده

٣ ـ وباب الرجل قدحنكته السن مع الحزامة والعقل .

٤ ـ وباب استعانة الرجل بإخوانه .

٥ ـ وباب كثرة المال والخير يَتَقدمُ به الغائب.

وقد أشار « البكرى » إلى كتابين من كتب النحاس هما : كتاب

---

(١) فصل المقال /٢٩ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨

(٢) فصل المقال /١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢٤٠

(٣) فصل المقال /٣١٤

الاشتقاق (وهو كتاب مفقود الآن) ونقل منه نصاً [1] ، وكتاب شرح أبيات سيبويه ونقل منه أيضاً [2] .

أما النصوص الثلاثة الباقية فلم يشر إلى أسماء مصادرها بل اكتفى بنسبتها إلى النحاس ، وهى مع السياق الذى جاءت فيه :

١ ـ قال أبو عبيد البكرى : (وكان المؤرج العِجْلى يقول : من أمثالهم فى إفراط المادح أن يقولوا : « شاكه أبا فلان ») .

وبعد أن شرح هذا المثل قال : (أبو جعفر فى كتاب الاشتقاق : المؤامّ : المقارب ، أُخذ من الأَمَم وهو القرب ، ومعنى شاكه : وافق ، يقال : شاكهنى الشىء شكاها ومشاكهة ، أى : وافقنى ، وتشاكه الشيآن إذا تشابها) [3] .

٢ ـ قال القاسم بن سلام : (من أمثالهم : « أنْ تَسْمَعَ بالمُعَيْدِى خير من أن تراه .. .. وإن هذا المثل ضربوه للصقعب بن عمرو النهدى [4] . قاله فيه النعمان بن المنذر) .

قال البكرى : (والصقعب هذا هو الذى يضرب به المثال فيقال : أقتل من صيحة الصقعب) .

قال : (وزعم ابن النحاس ـ فيما رواه عن رجاله ـ أنه صاح فى بطن أمه صيحة سمعت ، وأنه صاح بقوم فهلكوا عن آخرهم) [5] ...

والغريب أنه لم يعقب على قول أبى جعفر النحاس هذا ...

---

(١) فصل المقال /٢٩

(٢) فصل المقال /٢٢٠

(٣) فصل المقال /٢٧ ، ٢٨

(٤) والصقعب : الطويل ، وهو لقبه ، واسمه : جشم بن عمرو

(٥) فصل المقال /١٢١

٣ ـ قال القاسم بن سلام : قال حارثة بن سُراقة الـكِنْدَىّ حين منعوا الصدقة أيام الرِدّة :

يمنعها شيخ بخديه الشيب لا يحذرُ الريبَ إذا خِيفَ الريب

قال البكرى : (قوله : أيام الردة ، هكذا رويت بالـكسر) وقال : أبو جعفر النحاس : سمعت الأخفش[(١)] يقول : أختارُ الفتح فى ذلك لأن العرب لم يكن ارتدادها إلا مرة ، فالفتح أجود).[(٢)] يريد أنه اسم مَرّة ، فيأتى على « فَعْلة » بفتح أوله .

٤ ـ قال البكرى فى « باب استعانة الرجل بإخوانه » أنشد أبو عبيد لمسكين الدارمى :

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا لَهُ كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاح

وقال بعده مصححاً نسبته : (نَسَبَهُ أبو جعفر بن النحاس فى كتابه الذى عمله فى أبيات كتاب سيبويه إلى ابن هرمة) .[(٣)]

٥ ـ قال القاسم بن سلام : (ومن أسماء المال عندهم : النَّشْبُ ، يقال : فلان ذو نشب) .

وقال البـكرى : (اختلف فى النشب ، فقيل : إنه يقع على الصامت والناطق ، هـكذا قال ابن دريد .. .. وقال ابن النحاس النشب : المال الأصلى كالدار وما أشبهها ولذلك فرق الشاعر بينهما فى قوله :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

---

(١) يريد بالاخفش هنا : الاخفش الاوسط استاذ النحاس

(٢) فصل المقال /١٣٦

(٣) فصل المقال /٢٢٠

كأنه من نشب المال : إذا احتبس ، ويروى ذا نسب بالسين المهملة).(١)

والنص الذى قاله النحاس ونقله البكرى موجود فى كتاب « شرح القصائد التسع »(٢)

وهكذا يبدو البكرى قد اعتمد على أقوال النحاس ومروياته فى الأمور اللغوية الآتية : تصحيح رواية بيت ، وتصحيح نسبة آخر ، وترجيح رأى لغوى على رأى آخر .. وفى شرح المثل . . .

٥ ـ بين النحاس وأبى المظفر السمعانى (ت ٤٨٩ هـ)

أبو المظفر السمعانى هو منصور بن عبد الجبار (٤٢٠ ـ ٤٨٩ هـ) جد السمعانى (٣) صاحب الأنساب (ت ٥٦٢ هـ) .

ولأبى المظفر تفسير كبير للقرآن منه نسخة بدار الكتب برقم ٣١٦ تفسير .

وقد ظهر لى بعد قراءة فى هذا التفسير بأنه متأثر بكتب النحاس : إعراب القرآن ، ومعانيه ، والقطع والائتناف .

اولا ـ تأثره باعراب القرن :

١ ـ حذف الالف من ((بسم الله)) :

علل أبو المظفر حذف الألف من « بسم الله » فقال : (أصله باسم الله ، كقوله : اقرأ باسم ربك ، وإنما حذفت الألف فى الكتابة ولا تظهر فى

---

(١) فصل المقال /٢٢٨ وينظر الخزانة ١/١٦٦ (حيث روى البيت بالسين المهملة أيضا)

(٢) شرح القصائد التسع /١٣٦

(٣) ترجمة أبى المظفر السمعانى فى الانساب ٣٠٧ : ب ، وطبقات المفسرين ٢/٣٣٩

اللفظ — وقيل إنها حذفت لكثرة الاستعمال تخفيفاً لأنه كثر استعمالها فاستخفوا حذفها ، بخلاف قوله « اقرأ باسم ربك » ونظائره ، لأنه لم يكثر استعمالها ....) (١)

وهذه التعليل وتفاصيله فى « إعراب القرآن » للنحاس ... (٢)

٢ - اعراب البـاء من البسملة :

وحين أعرب البسملة قال : (الباء حرف لخفض ما بعدها ، والكلام مثل : من وعن وفى وعلى وأمثالها ، والمعنى متعلق بالباء لدلالة الكلام عليه ، وتقديره أبدأ بسم الله ... وبدأت باسم الله) . (٣)

وهذا الإعراب من كتاب إعراب القرآن للنحاس . (٤)

٣ - القراءات وتوجيهها :

فى بيان قراءات الآية الكريمة : « إن هذان لساحران » ، (الآية ٦٣ من سورة طه) ، قال أبو المظفر السمعانى : اعلم أن هذه الآية مشكلة فى العربية ، وفيها ثلاث قراءات : قال أبو عمرو بن العلاء : « إنّ هذين لساحران » وقرأ حفص « إنْ هذان لساحران » وقرأ الأكثرون : « إنّ هذان لساحران » ، أما قراءة أبى عمرو فهى مستقيمة على ظاهر العربية أما قراءة حفص فهى مستقيمة أيضاً على العربية لأن « إن » المخففة يكون مابعدها مرفوعاً ، ومعناها : ماهذان إلا ساحران . أما قراءة الأكثرين

(١) تفسير أبى المظفر السمعانى ، المجلد الأول ورقة ٢ : ب
(٢) اعراب القرآن ورقة ٢ : أ
(٣) تفسير أبو المظفر السمعانى م ١ ورقة ٢ :ب
(٤) اعراب القرآن ورقة ٢ : أ

فهى أصح ، أما قوله تعالى: «إن هذان» فله وجه فى العربية ، والوجه الثانى أن هذه لغة « كنانة وخثعم » ، قال الكسائى: هى لغة « بلحارث بن كعب» من كنانة ، وأنشد الكسائى شعراً :

تزود منى بين أذناه ضربة   دعته إلى هذا التراب عقيم [١]

وأنشد غيره :

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا فى المجد غايتاها

قال الكسائى : على هذه اللغة يقولون : أتانى الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، ولا يتركون ألف التثنية فى شىء منها ، والوجه الثالث هو أصح الوجوه وهو أن معنى « إن هذان » أى : نعم هذان ، قال الشاعر :

بكر العواذل فى الصبو   ح ، يلمنني وألومهنه

ويقلن شيب قد علا   ك ، وقد كبرت ، فقلت : إنه

أى : نعم . وفى قراءة أبىّ بن كعب : « إنْ ذان إلاّ ساحران » وهى شاذة . [٢]

وهذه القراءات وما صاحبها من تعليلات وتوجيهات ـ وزيادة ـ هى فى « إعراب القرآن » للنحاس [٣] .

---

(١) فى الاصل « هذا التراب » وفى مصادر البيت مثل : مشكل اعراب القرآن لمكى ومقاييس اللغة والصحاح واللسان : « منا ٠٠ هابى التراب » والهابى : تراب القبر ٠

(ينظر مشكل اعراب القرآن / ٣٤١ ومقاييس اللغة (عقم) ٤/٧٦ والصحاح (هبا) ٦/٢٥٣٢ واللسان (هبا) ٢٠/٢٤٦ .

(٢) تفسير أبى المظفر السمعانى ، المجلد الثانى ، ورقة ١٤٩ : ب ـ ١٥٠ : أ

(٣) اعراب القرآن ورقة ١٣١ : ب ـ ١٣٢ : أ

وتوجد تفاصيل أخرى اقتبسها أبو المظفر السمعانى من هذا الكتاب تركناها اختصاراً[١] .

ثانيا – تأثره بمعانى القرآن :

١ – بيان المعانى :

فى بيان معانى « الرحمن الرحيم » قال أبو المظفر السمعانى : (قال ابن عباس : هما اسمان رقيقان . وحكى عنه أنه قال : الرحمن : الرفيق بالعباد ، والرحيم : العاطف عليهم ثم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : الرحمن غير الرحيم ، ولكل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه . وقال بعضهم : هما واحد . فأما من قال الرحمن غير الرحيم فقال للرحمن معنى العموم وللرحيم معنى الخصوص ، فعلى هذا ، الرحمن بمعنى الرازق فى الدنيا ، والرازق على العموم للكافر والمؤمن ، والرحيم العَفُوّ فى الآخرة على الخصوص للمؤمنين ، دون الكافرين ، ولذلك قيل فى الدعاء : يارحمن الدنيا ويارحيم الآخرة . أما من قال : إن معناهما واحد فقد قال « قطرب » : هما اسمان ذكر أحدهما تأكيداً للآخر ، مثل لهفان ولهيف ، وندمان ونديم ، قال « المبرد » : هذا إنعام بعد إنعام وتَفَضُّل بعد تفضل وتطميع لقلوب الراغبين ووعد لايخيب آمله)[٢] .

وهذه التفاصيل والآراء والأعلام موجودة فى معانى القرآن[٣] .

---

(١) تفسير أبى المظفر السمعانى ، المجلد الأول ، ورقة ٥ : أ ، واعراب القرآن ورقة ٣ : ب

(٢) تفسير أبى المظفر م ١ ورقة ٢ : ب – ٣ : أ

(٣) معانى القرآن ورقة ٢ : ب

٢ - اشتقاق معنى (الرب) :

أما فى بيان اشتقاق معنى « الرب » فقد قال أبو المظفر السمعانى :
(أما الرب فيكون بمعنى الترتيب والإصلاح ، ويكون بمعنى المالك ، يقال : رَبَّ الصنيعة يربّها ، أى : أتمها وأصلحها . ويقال : رب الدار لمالك الداره فالرب هنا يحتمل كلا المعنيين[1] لأن الله تعالى مربى العالمين ومالك العالمين . وأما العالمون فقال[2] ابن عباس : هم الجن والإنس . وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة : هم جميع المخلوقين . وقيل : الأول أولى لأن الخطاب مع المكلفين الذين هم المقصودون بالخليقة وهم الجن والإنس . وقيل : الجن عالم والإنس عالم)[3] .

ويظهر أن هذه الآراء والأقوال - حتى الترجيح للرأى الأول - مأخوذة من معانى القرآن للنحاس ، حيث قال : (قال أهل اللغة : الرب المالك : وأصل هذا أنه يقال : ربه يربه فهو رابٌّ وربٌّ إذا قام بصلاحه ويقال على التكثير رباه وربيه وربته روى عن ابن عباس : قال : رب العالمين : رب الجن والإنس : وروى الربيع عن أنس عن أبى العالية قال : الجن عالم والإنس عالم ، وسوى ذلك الأرض أربع زوايا . . . . وقال أبو عبيدة : رب العالمين : المخلوقين . . . . والقول الأول أجل هذه الأقوال وأعرفها فى اللغة لأن هذا الجمع هو جمع ما يعقل خاصة)[4] .

---

(١) فى الاصل : كلى
(٢) فى الأصل : قال ... والصحيح ما أثبتناه
(٣) تفسير أبى المظفر السمعانى م ١ ورقة ٣ : ب
(٤) معانى القرآن ورقة ٣ : أ

٣ ـ بيـان القراءات :

وفى بيان القراءات فى آية الفاتحة « مالك يوم الدين» قال أبو المظفر السمعانى : (يقرأ بغير ألف : ملك . قال أبو حاتم السجستانى : مالك بالألف أولى ، لأنه أوسع وأجمع ، يقال : مالك الدار ومالك الطير ومالك العبد ، ولا يستعمل منها اسم الملك ، وقال أبو عبيد والمبرد : وملك أولى لأنه أتم ، فإن الملك يجمع معنى مالك ، والمالك لا يجمع معنى الملك فإن كل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكا ، لأنه أوفق الألفاظ القرآن ، مثل قوله تعالى « فتعالى الله المَلِكُ الحَقُّ »(١) ، وقوله « لِمَنِ المُلْكُ اليومَ »)(٢) .

وهذا النص مقتبس من نص النحاس الذى يقول فيه ـ وهو يتحدث عن القراءات فى مالك يوم الدين ـ : (ويقرأ ملك يوم الدين . واختيار أبو حاتم : « مالك » ، وقال : هو أجمع من ملك لأنك تقول : مالك الناس ومالك الطير ومالك الريح ، ومالك كل شىء ، ونحو ذلك . وإنما يحسن ملك الناس وحدهم . وخالفه فى ذلك جلة أهل اللغة ، منهم : أبو عبيد وأبو العباس محمد بن يزيد ، واحتجوا بقوله تعالى : « لمن الملك اليوم »(٣) . والملك مصدر الملك ومصدر المالك ملك بالكسر . وهذا احتجاج حسن . وأيضاً فإن حجة أبى حاتم لاتلزم لأنه إنما لم يستعمل ملك الطير والرياح لأنه ليس فيه مدح)(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون آية : ١١٦

(٢) تفسير أبى المظفر السمعانى م ١ ورقة ٣ : ب

(٣) معانى القرآن ورقة ٣ : أ ـ ب

ثالثا ـ تأثره بكتاب « القطع والائتناف » :

واستفاد أبو المظفر من كتاب « القطع والائتناف » ، ولكن بصورة أقل من فائدته من كتابي النحاس السابقين .

ومن الآيات المشكلة قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا »[1] . وقد أطال النحاس في شرحها في كتابه « القطع والائتناف »[2] . وأوجز في المعاني[3] .

وأهم ما جاء فيها رأيان : الأول : قول من يرى أن الواو في قوله : « والراسخون » ابتدائية ، وأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ويقول: كل من عند ربنا . والآخر :قول من يرى أن الواو عاطفة وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويله . وهذا رأى النحاس أيضاً[4]

أما السمعاني فإنه أخذ معظم التفاصيل من « القطع والائتناف » واستعان بالمعاني . ورجح الرأى الأول . فقال : (اعلم أن أبيّ بن كعب وعائشة وابن عباس في رواية طاووس يقولون : إن الوقف على قوله « إلا الله » ، وهو قول الحسن وأكثر التابعين وبه قال الكسائي والفراء والأخفش وأبو عبيد وأبو حاتم . وقالوا : إن الواو في قوله : « والراسخون » واو الابتداء . والدليل على صحته قراءة ابن عباس : « وما يعلم تأويله إلا الله ، ويقول الراسخون في العلم آمنا به » . وروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: وما يعلم تأويله إلا الله وأن

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧

(٢) القطع والائتناف لوحة ٤٧ أ

(٣) معاني القرآن ورقة ٣٥ : ب

(٤) معاني القرآن ورقة ٣٥ : ب

الراسخين فى العلم يعلمون التأويل . قال ابن عباس : « أنا ممن يعلم تأويله » والصحيح رواية طاووس عن ابن عباس . وعليه إجماع القراء ، قالت النحاة : وإنما يستقيم أن يقول : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم قائلين : آمنا به كل من عند ربنا » ، ولو علموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى فدل على أن الوقف على قوله : « إلا الله » ، والواو واو الابتداء فى قوله تعالى : « والراسخون فى العلم يقولون . آمنا به كل من عند ربنا » قال : ومن رسوخهم فى العلم يقولون ذلك)(١) .

وكل الأمثلة السابقة تدل على أن أبا المظفر السمعانى استفاد من كتب النحاس الثلاثة : إعراب القرآن ، ومعانيه ، والقطع والائتناف مع إضافات جزئية واختيار بعض الآراء المخالفة لرأى النحاس ولكنها واردة عنده .

* * *

٦ ـ بين النحـاس والخطيب والتبريزى (ت ٥٠٢ هـ)

أو

أثر شرح القصائد التسع فى ((شرح القصائد العشر))

تبين الموازنة الآتية أثر « شرح القصائد التسع » للنحاس فى « شرح القصائد العشر » للخطيب التبريزى (المتوفى ٥٠٢ هـ)، وتتناول ناحيتين:

١ ـ موازنة فى المنهج العام .

٢ ـ موازنة فى التفاصيل .

١ ـ موازنة فى المنهج العـام :

أما أثر النحاس فى منهج التبريزى العام فيظهر فى الملامح الآتية :

---

(١) تفسير أبى المظفر السمعانى م ١ ورقة ٧٤ : ب

(ا) متابعته للنحاس فى ترتيب القصائد التسع إلا قصيدتى الحارث ابن حلزة اليشكرى وعمرو بن كلثوم ، فقد قدم النحاس الأولى ، وقدم التبريزى الثانية .

(ب) متابعته النحاس فى ترتيب الأبيات متابعة تامة .

(ج) متابعته للنحاس فى عدد الأبيات : فى خمس قصائد واختلافه معه فى أربع قصائد اختلافا قليلا .

ويمكن إجراء الموازنة بينهما على الصورة التالية :

ترتيب النحاس	عدد الأبيات	ترتيب التبريزى	عدد الأبيات
١ ـ قصيدة امرىء القيس	٨٢	نفسها	٨٢
٢ ـ قصيدة طرفة	١٠٤	»	١٠٥
٣ ـ قصيدة زهير	٥٩	»	٥٩
٤ ـ قصيدة لبيد	٨٩	»	٨٩
٥ ـ قصيدة عنترة	٨٣	»	٨٠
٦ ـ قصيدة الحارث بن حلزة	٨٥	قصيدة عمرو بن كلثوم	٩٦
٧ ـ قصيدة عمرو بن كلثوم	٩٣	قصيدة الحارث	٨٥
٨ ـ قصيدة الأعشى	٦٤	نفسها	٦٣
٩ ـ قصيدة النابغة	٥٠	»	٥٠

٢ ـ موازنة فى التفاصيل :

ونعنى بالتفصيل الموازنة بين الشرحين فى البيت الواحد وجزئياته .

والملاحظ أن التبريزى قد اعتمد على شرح النحاس اعتماداً كبيراً مع

وهذه الاستعانة ، نوعان : نوع تام ، وآخر غير تام ، ففى المتابعة التامة اعتمد جل اعتماده على شرح النحاس فى تفاصيل الشرح : شواهده ومصطلحاته وتوجيهاته الإعرابية . وفى المتابعة الجزئية استعان به وبشرح ابن الأنبارى للقصائد السبع الطوال . والموازنة التفصيلية تظهر ذلك بوضوح .

(أ) المتابعة التامة :

١ – متابعته فى الشرح اللغوى والشواهد :

ففى شرح قول الأعشى :

فكلنا مغرم ، يهذى بصاحبه ناءٍ ودانٍ ومخبول ومختبل

قال النحاس : (قال الأصمعى : المغرم : المولع . وقال أبو عبيدة : الغرام : الهلاك . ومنه قوله جل وعز : « إنّ عذابَها كان غراما » (الفرقان : ٦٥) ويروى : « فكلنا هلك » والنائى : البعيد ، ومنه النؤى لأنه حاجز يباعد السيل وروى الأصمعى : « ومحبول ومحتبل » . وقال : من رواه بالخاء معجمة فقد أخطأ ، وإنما هو من الحبالة وهو الشَّرَك التى يصطاد بها » أى كلنا موثق عندصاحبه وروى أبو عبيدة : ومحبول ومحتبل وقال معناه مصيد وصائد)[١] .

أما التبريزى فقال : « المغرم : المولع . والغرام : الهلاك . ومنه : « إن عذابها كان غراما » . ويروى : « فكلنا هائم » . والنائى : البعيد ومنه النؤى ، لأنه حاجز يمد السيل ، وروى الأصمعى « ومحبول ومحتبل » بالحاء . وقال : من رواه بالخاء معجمة فقد أخطأ ، وإنما هو من الحبالة ، وهو

---

(١) قصيدة الاعشى ببيت رقم ١٨ – انظر النحاس /٦٩٦ والتبريزى ٤٢٩

الشرك الذى يصطاد به ، أى كلنا موثق عند صاحبه ، وقال أبو عبيدة : محبول ومحتبِل بكسر الباء ، أى مصيد وصائد) .(١)

والمتابعة ظاهرة تماماً فى تسلسل الأفكار ... وفى أسماء اللغويين وفى التفاصيل الجزئية كلها .

٢ ـ متابعة فى الشرح كله :

وأحياناً يتابعه فى الشرح كله فى الصغيرة والكبيرة ، بحيث تستطيع أن تنقل شرح أى واحد مشيراً إلى الآخر ، دون أن تكون مخطئاً

ففى شرح قول امرىء القيس :

فإنْ تَكُ قد ساءتك مِنّى خليقة فسلى ثيابى مِن ثيابك تنسُل

قال النحاس : (ساءتك : آذتك . والخليقة والخلق واحد . وتنسل : تسقط يقال : نسل ريش الطائر ينسل إذا سقط . وقوله : «تك» فى موضع جزم بالشرط والأصل فى موضع الرفع ، يكون يا هذا ، فتحذف ضمة النون للجزم ، وتبقى النون ساكنة ، والواو ساكنة ، فتحذف الواو لسكونها وسكون النون فتصير : تكن ، ثم حذفت النون من تكن ، ولا يجوز أن تحذف من نظائرها ، لو قلت : لم يص زيد نفسه ، لم يجز حتى تأتى بالنون ، والفرق بين تكون ونظائرها ، أن تكون « فعل يكثر استعماله » ، وهم يحذفون مما كثر استعمالهم له ، ومعنى كثرة الاستعمال فى هذا أن « كان ويكون » يعبر بهما عن كل الأفعال ، تقول : كان زيد يقوم ، وكان زيد يجلس ، وما أشبه ذلك ـ فلما كثر استعمالهم لكان ويكون ، حذفت النون من يكن ، وشبهت بحروف المد واللين وحذفت كما يحذفن ، والدليل على أنها مشبهة بحروف المد واللين أنها لاتحذف فى موضع تكون فيه متحركة

(١) قصيدة الأعشى بيت رقم ١٨ ـ انظر النحاس /٦٩٦ والتبريزى ٤٢٩

ولا يجوز أن تقول لم يك الرجل منطلقاً ، لأنها ههنا فى موضع حركة ، لأنك تقول : لم يكن الرجل منطلقاً ، فتحركها لالتقاء الساكنين ، فأما شبهها بحروف المد واللين ، فإنما تحذف من الجزم كما يحذفن ، فتقول : الزيدان لم يقوما ، فتكون علامة الجزم حذف النون ، كما تكون علامة الجزم حذف الياء فى قولك : لم ترم يا هذا (وكذلك حذف الواو والألف المقصورة[(١)] ولم تغز ، ولم تخش . وقوله « فسلى ثيابى من ثيابك تنسل » يعنى قلبه من قلبها ، كأنه تمثيل . قال الله جل وعز : « وثيابك فَطَهِّرْ » (المدثر : ٤) . وقيل معناه ـ والله أعلم ـ قلبك فطهر ، ومثله قول الشاعر ، (وهو عنترة بن شداد) :

فشككت بالرمح الأصم ثيابَه   ليس الكريم على القنا بمحرَّم[(٢)]

أما التبريزى فنقل عبارات النحاس بنصها ولم يحذف إلا الشاهدين : القرآنى والشعرى .

ويبدو أن التبريزى « غالباً » ما يحذف شواهد النحاس ، لكنه قد يبقى ـ أحياناً ـ على الشاهد القرآنى أكثر مما يبقى على الشاهد الشعرى ، ففى الأقسام الأولى من «شرح القصائد العشر» يكون حذف الشواهد أقل من الحذف فى الأقسام الأخيرة منه .

وقد اخترت نماذج المقارنة أو الموازنة من قصيدتين الأولى من القسم الأول وهى قصيدة امرىء القيس . . . . . والأخرى من القسم الأخير وهى قصيدة الأعشى إذ هى الثامنة فى ترتيبها . . .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق

(٢) قصيدة امرىء القيس بيت ٢٠ ـ انظر النحاس /١٢٥ والتبريزى ٣٥

ويظهر الحذف فى الأخرى كثيراً لأن التبريزى صرح بأنه اعتمد فى شرحها على شرح النحاس [١] فاختصر كثيراً من شرح النحاس ومزجه بشرح ابن الأنبارى ليظهر قلة اعتماده على الأول . أما القصائد السبع فلا يصرح عنها بما صرح عن تينك القصيدتين قصيدة النابغة وقصيدة الأعشى ولهذا أغار على شرح القصائد السبع الأول فى شرح النحاس إغارة تكاد تكون تامة ، وسلخ معظم جهود النحاس فيها ولكن الملفت للنظر أنه لم يشر إلى النحاس إلا فى ستة مواضع فى كتابه كله [٢]

ففى شرح قول امرىء القيس :

فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ،ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم مُحْوِلِ

قال النحاس : « ورواية سيبويه : ومثلك بكر قد طرقت وثيباً ، التمائم : التعاويذ واحدها تميمة . وخفض قوله : فمثلك على معنى رب مثلك، والعرب تبدل من رب الواو وتبدل من الواو الفاء لاشتراكهما فى العطف ولو روى : فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعاً لكان جيداً على أن تنصب « مثلا » بطرقت وتعطف مرضعاً عليه إلا أنا لا نعلم أحداً روى هذه الرواية . ورواية سيبويه : عن ذى تمائم : عن صبى ذى تمائم ، ثم أقام النعت مقام المنعوت . ومعنى محول قد أتى عليه حول . والعرب تقول لكل صغير : محول ومحيل ، وإن لم يأت عليه حول . كما قال [٣] :

من القاصرات الطرف لودب محول من الذرّ فوق الإتبِ منه لأثّرا

---

(١) شرح القصائد العشر /٣

(٢) شرح القصائد العشر /٣٣ ، ٧٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٧٧

(٣) البيت لامرىء القيس ، ديوانه /٦٨

وكان يجب أن يكون محيل مثل مقيم ، إلا أنه أخرجه على الأصل كما يقال : استحوذ ولوقال استحاذ لـكان جيداً ، ويروى : «عن ذى تمائم مغيل » . ومعنى البيت أنه ينفق نفسه عليها يقول : « إن الحامل والمرضع لاتـكادان ترغبان فى الرجال وهما ترغبان فى لجمالى » انتهى باختصار .

أما التبريزى فقال(١) : « ومثلك بكراً قد طرقت وثيباً » يريد رب ومرضعاً ، مثلك ، والعرب تبدل من رب الواو وتبدل من الواو إلا الفاء لاشتراكهما فى العطف . ولو روى : فمثلك حبلى قد طرقت لـكان جيداً على أن تنصب « مثلا » بطرقت ، وتعطف مرضعاً عليه إلاأنه لم يرد . وألهيتها : شغلتها ، يقال : لهيت عن الشيء ألهى إذا تركته وشغلت عنه . والمصدر لهيا ولهيا وحكى الرياشى : ألهيانا . ولهوت بهألهو لهواً لاغير . وقوله : « عن ذى تمائم » أى : عن صبى ذى تمائم ، أقام الصفة مقام الموصوف . والتمائم : التعاويذ واحدتها تميمة ، وتجمع تميمة على تميم . ومعنى محول : قد أتى عليه حول وكان يجب أن يـكون محيل مثل مقيم إلا أنه أخرجه على الأصل ، كما جاء استحوذ . ومعنى البيت أنه ينفق نفسه عليها فيقول : إن الحامل والمرضع لاتـكادان ترغبان فى الرجال وهما ترغبان فى لجمالى) .

٣ ـ المتابعة فى التوجيه الاعرابى :

وأحيانا يتابعه فى التوجيه الإعرابى للبيت . أما بقية الشرح فيوجزه إيجازاً كبيراً . ففى شرح بيت الأعشى :

---

(١) قصيدة امرىء القيس ١٦ : ب ، وانظر النحاس /١٢٠ والتبريزى ص ٣١ ـ ٣٢

وعلقتنى أخيرى ما تلائمنى   فاجتمع الحب حب كله تبل

قال النحاس[١] : « وعلقتنى معناه : أحبتنى : أى أحبتنى هذه ولم أحبها ، والتى أحبها لا أصل إليها . ومعنى تلائمنى : توافقنى ، ولا يقال تلاومنى إلا فى اللوم . ويروى تقائمنى والمعنى واحد . والرواية « حب » بالرفع على أن يكون بدلا من الحب ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى كله حب تبل أو بمعنى حب كله تبل . ويجوز نصبه على الحال كما تقول : جاءنى زيد رجلا صالحاً ، ويروى فاجتمع الحب حبى كله تبل . قال الأصمعى : قوله : تبل كأن قد أصيب بتبل أى بدحل[٢] .

أما التبريزى فقال « علقتنى معناه أحبتنى ، أى : أحبتنى ولم أحبها والتى أحبها لا أصل إليها . وتلائمنى : توافقنى . وتبل : كأنه قد أصيب بتبل أى بدحل وحب مرفوع بدل من الحب . ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى كله حب تبل . ويجوز نصبه على الحال ، كما تقول : جاء زيد رجلا صالحاً . ويروى فاجتمع الحب حبى كله تبل » .

فالتبريزى تابع النحاس فى التوجيه الإعرابى ، واختصر بقية شرحه . وليس هذا حسب ، بل تابعه فى الاحتمالات الإعرابية ، بين نصب ورفع ، وتعدد أوجه الرفع كذلك

وفى كتاب « شرح القصائد العشر » أمثلة كثيرة للمتابعة فى التوجيه النحوى منها الأبيات : ٣ ، ٤ ، ٩ فى قصيدة النابغة الذبيانى .

---

(١) قصيدة الأعشى ١٧ : ب ـ انظر النحاس /٦٩٦ والتبريزى /٤٢٨

(٢) الدحل ـ بالحاء المهملة ـ الثأر والعداوة

٤ – متابعة فى الاختصار :

ومن أنواع المتابعة الكلية ، أن النحاس يراعى فى شرح بعض الأبيات مبدأ الاختصار فيتابعه التبريزى فى ذلك ، كما تابعه فى مبدأ التوجيه الإعرابى .

ففى شرح قول الأعشى :

علقتها عرضاً وعلقت رجلا غيرى ، وعلق أخرى غيرها الرجل

قال النحاس : « يقال عرض له أمر : إذا أتاه على غير تعمد ، وقوله : عرضاً منصوب على البيان ، كما تقول : قتلته عمداً ، ومات هزلا »[١] .

فتابعه التبريزى ونقل ما قاله النحاس مع تغيير طفيف فى بعض الكلمات ، فقال : « يقال عرض له أمر ، إذا أتاه على غير تعمد . وعرضاً منصوب على البيان كقولك : مات هزلا وقتله عمداً »[٢] .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها شرح الأبيات : ١ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ من قصيدة النابغة الذبيانى[٣] .

٥ – متابعته فى رفض الآراء :

ومن أنواع المتابعة الكلية أن النحاس يرفض رأياً من الآراء ويأتى بحجة يسندها بما يراه صواباً فيتابعه التبريزى فى كل ما صنع دون أن يغادر شيئاً صغيراً كان أم كبيراً .

---

(١) قصيدة الاعشى ب ١٥ ـ انظر شرح النحاس ٦٩٥ والتبريزى /٤٢٨ وينظر البيت ٢١ من القصيدة نفسها

(٢) قصيدة الاعشى ب ١٥ ـ انظر شرح النحاس /٦٩٥ والتبريزى /٤٢٨ وينظر البيت ٢١ من القصيدة نفسها

(٣) شرح النحاس /٧٣٣ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ وشرح التبريزى /٥٨٣

وفى شرح قول الأعشى :

أأن رأت رجلا أعشى، أضر به   ريب المنون ، ودهر مفند خبل

قال النحاس : « أأن رأت » أن « فى موضع نصب ، والمعنى أمِنْ أنْ رأتْ رجلا أعشى صَدّتْ . ثم حذف « من » وذلك أن تحقق الهمزتين فتقول : أأن . ولك أن تخفف الثانية فتقول : آان . وعلى هذا قرىء : أآنذرتهم وأأنذرتهم . وقال بعض النحويين : إذا خففتها جئت بهـا ساكنة ، وهذا القول خطأ ، لأن النون فى أأنذرتهم ساكنة : وكذلك هى فى « أأن » ساكنة فلو كانت ساكنة لاجتمع ساكنان »[1]

أما التبريزى فقال : (وقوله : أأن رأت ، أن فى موضع نصب . والمعنى أمن أن رأت رجلا ، ثم حذف « من » وذلك أن تحقق الهمزتين فتقول : أأن ، ولك أن تخفف الثانية فتقول : آان . وقال بعض النحويين : إذا خففتها جئت بها ساكنة ـ وهذا خطأ لأن النون ساكنة فلو كانت الهمزة ساكنة لالتقى ساكنان)[2]

٦ ـ متابعته فى المصطلحات :

ومن مظاهر المتابعة العامة أنه يستعمل المصطلحات النحوية التى أدار النحاس عليها شرحه . . . مع وجود مايقابلها ، لأننا نعلم أن للكوفيين مصطلحات يخالفون بها البصريين . كما أن للنحاس منهجه الخاص عندما يستعمل المصطلحات النحوية فهو يستعمل مصطلحات بصرية ـ أحياناً ـ

(١ ، ٢) قصيدة الاعشى بيت ٢٠ ـ انظر شرح النحاس /٦٨٩ والتبريزى

ومصطلحات كوفية فى أحيان أخرى[١] .

أما التبريزى فإنه يتابع النحاس فى استعمال المصطلحات ويأخذها كما هى مع سياقها الذى جاءت فيه[٢] ، وهذا لون من ألوان المتابعة القوية ، وتدل على تأثير شرح النحاس فى شرح التبريزى[٢]

(ب) المتابعة الجزئية :

وهذا النوع من المتابعة يتمثل فى استعانة التبريزى بشرح النحاس فى المظاهر الآتية :

المظهر الأول :

أنه يختصر شرح النحاس ، فيحذف شيئاً من الكلمات ذات الطبيعة التفصيلية مع محافظته على نص العبارات المستعارة الباقية . ومن أمثلة هذا شرح الأبيات ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ من قصيدة الأعشى .

المظهر الثانى :

أنه يتابع النحاس فى إيراد روايتين لبيت واحد. كما فى أبيات الأعشى: ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، مع التسلسل نفسه .

المظهر الثالث :

أنه يستعين بالنحاس وأبى بكر بن الأنبارى . والاستعانة به مع النحاس تأتى على صورتين : فى الصورة الأولى يذكر اسم ابن الأنبارى ، وفى الصورة الأخرى لا يذكره .

---

(١) شرح النحاس /١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٥٥ ، ٢٦٣ واعراب القرآن له ورقة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

(٢) قصيدة الاعشى الابيات ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، وينظر شرح النحاس صفحات ٦٩٤ ، ٦٩٦ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، وتقابل بشرح التبريزى صفحات ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢

ومن الأمثلة على الصورة الأولى ماجاء فى شرح التبريزى لقول امرىء القيس :

ويومَ دخلتُ الخدرَ خدرَ عُنيزةٍ
فقالت : لكَ الويلات ، هل أنتَ مُرجلى ؟

حيث قال فى ذلك: «قوله : ويوم: معطوف على قوله : ويوم عقرت ، فيه ماجاء فيه . والخدر : الهودج . وقوله : لك الويلات : دعاء عليه ، ومرجلى فيه وجهان : أحدهما : أن يكون المراد أنى أخاف أن تعقر بعيرى كما عقرت بعيرك . والثانى وهو الصحيح أن يكون المراد أنها لما حملته على بعيرها ومال معها فى شقها كرهت أن يعقر البعير ، قال ابن الأنبارى ... » ثم يسرد ما أخذه عن أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى»(١) .

أما الصورة الأخرى فهى بارزة بالموازنة بين الشرحين وليست ظاهرة بالمعاينة وقد أشار الدكتور فخر الدين قباوة محقق كتاب القصائد العشر إلى كثير من تلك المواضع فى هوامش الكتاب(٢) .

* * *

٧ ـ بين النحاس وأبى البركات الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ)

أو

أثر اعراب القرآن فى «البيان فى غريب اعراب القرآن»

يبدو أثر كتاب « إعراب القرآن » لأبى جعفر النحاس فى كتاب « البيان فى غريب إعراب القرآن » لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد

---

(١) انظر شرح القصائد العشر /١٩ ــ ٢٠

(٢) انظر : شرح القصائد العشر صفحات ٣١ ، ٣٥ ، ٣٢٧ على سبيل المثال وليس على سبيل الاحصاء والتعديد .. وأكدها محقق شرح القصائد التسع

الأنبارى (المتوفى ٥٧٧ هـ) كبيراً جداً ونستطيع أن نقول: إن أبا البركات تأثر بمنهج النحاس الإعرابى ، وأخذ منه مادة غزيرة تفوق أية مادة ، لغوية أو نحوية ، أخذها أبو البركات الأنبارى من مصادر أخرى كونت البناء التام لكتابه ، كما أخذ من كتاب النحاس كثيراً من التعليلات النحوية والدقائق اللغوية والنحوية وجل القراءات الواردة فى كتاب « البيان » إجمالا وتفصيلا هى من كتاب إعراب القرآن للنحاس .

وقد أضاف أبو البركات إلى ما أخذه من النحاس أشياء جزئية ليست ذات بال . والذى أضافه هو بعض التعليلات النحوية أو الأوجه الإعرابية وبعض التفاصيل فى الخلافات النحوية . لكن جميع المسائل الخلافية التى ذكرها النحاس فى إعراب القرآن ذكرها أبو البركات فى « البيان » مع أن قسماً من هذه المسائل ليس له وجود فى كتابه « الإنصاف فى مسائل الخلاف » ... أليس هذا يؤكد أنه أخذها من النحاس ؟؟

والشيء الوحيد الذى يمكن أن يعد من إضافة أبى البركات هو مجموعة من الشواهد الشعرية .

كما أن أبا البركات الأنبارى يستعمل المصطلحات البصرية فى حين يستعمل النحاس المصطلحات الكوفية والبصرية معاً .

أهم نواحى التأثر :

ولكن يمكن حصر أهم نواحى تأثر كتاب « البيان » بكتاب « إعراب القرآن » فى النقاط الآتية :

أولا ـ التأثر بمنهج الاحتمالات النحوية :

من خصائص منهج النحاس فى الإعراب أنه يذكر جميع الاحتمالات الإعرابية للكلمة الواحدة .

وأبو البركات يفعل ذلك، ولا يكتفى بذلك، بل يأخذ جميع الاحتمالات النحوية التى يذكرها النحاس فى الآية ولا يضيف إلا قليلا، وقد يحذف بعض الأوجه الإعرابية :

١ - ففى إعراب « غير » من قوله تعالى « غير المغضوب عليهم » سورة الفاتحة أوجه فى الخفض وأوجه فى النصب .

ففى أوجه الجر قال النحاس : (غير : خفض على البدل من الذين[١] . وإن شئت نعتاً ، قال ابن كيسان : ويجوز أن يكون بدلا من الهاء والميم فى عليهم)[٢] .

وفى أوجه النصب قال : (روى عن الخليل عن عبد الله بن كثير : غيرَ المغضوب عليهم بالنصب ، قال الأخفش : هو نصب على الحال وإن شئت على الاستثناء ، قال أبو العباس : هو استثناء ليس من الأول)[٣] .

أما أبو البركات فقال : (غير : يجوز فيه الجر والنصب ، فأما الجر فمن ثلاثة أوجه ، أحدها : أن يكون مجروراً على البدل من الضمير من عليهم. والثانى أن يكون مجروراً على البدل من « الذين » والثالث : أن يكون على الوصف للذين) .

وأما النصب فمن ثلاثة أوجه : (الأول أن يكون منصوباً على الحال من الهاء والميم فى عليهم أو من الذين . والثانى أن يكون منصوباً بتقدير أعنى . . . والثالث أن يكون منصوباً على الاستثناء المنقطع)[٤] .

---

(١) أى قوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم »

(٢ ، ٣) اعراب القرآن لوحة ٣ : أ

(٤) البيان فى غريب اعراب القرآن ١/ ٤٠ ـ ٤٠

٢ - أما « ذلك » فى قوله تعالى « ذلك الكتاب لاريب فيه »[1] ففيه ستة أوجه . يقول النحاس : (ذلك فيه ستة أوجه يكون بمعنى هذا ذلك الكتاب ، واجتزىء بعضها من بعض . ويكون رفعاً بالابتداء والكتاب خبره . ويكون الكتاب عطف البيان الذى يقوم مقام النعت . وهدى خبراً ويكون « لا ريب فيه » الخبر .

والكوفيون يقولون الهاء العائدة الخبر . والوجه السادس : أن يكون الخبر « لا ريب فيه » لأن المعنى لاشك حق . ويكون التمام على هذا « لاريب »)[2] .

وقد أخذ أبو البركات أربعة من هذه الأوجه فقال :

(ذلك فى موضع رفع من أربعة أوجه : الأول : أن يكون مبتدأ والكتاب خبره . والثانى أن يكون خبر مبتدأ مقدر وتقديره : هو ذلك الكتاب . والثالث : أن يكون الكتاب بدلا من ذلك ، والرابع : أن يكون عطف بيان)[3] .

٣ - أما « هدى » فى قوله تعالى : « فيه هدى للمتقين »[4] .

ففيه ثمانية أوجه عند النحاس: (يكون فى موضع رفع خبراً عن ذلك. وعلى إضمار مبتدأ . وعلى أن يكون خبراً بعد خبر . وعلى أن يكون رفعاً بالابتداء قال أبو إسحاق[5] : يكون المعنى فيه هدى ولاريب التمام .فهذه

---

(١) سورة البقرة آية : ٢
(٢) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب
(٣) البيان ١/٤٤
(٤) سورة البقرة آية : ٢
(٥) أى الزجاج

أربعة أوجه فى الرفع ، ويكون على وجه خامس هو أن يكون رداً على موضع لا ريب فيه أى حق هدى ، ويكون نصباً على الحال من ذلك . ويكون حالا من الكتاب ويكون حالا من الهاء)[1]

وقد أخذ أبو البركات معظم هذه الأوجه فقال : (هدى : يحتمل أن يكون فى موضع رفع ونصب ، فالرفع من أربعة أوجه : الأول : أن يكون خبر مبتدأ مقدر تقديره هو هدى . والثانى : أن يكون خبراً بعد خبر . فيكون ذلك مبتدأ والكتاب عطف بيان « ولا ريب فيه خبر أول — وهدى خبر ثان . الثالث : أن يكون مبتدأ وفيه خبره والوقف على هذا القول « لا ريب » . والرابع : أن يكون مرفوعاً بالظرف والنصب على الحال من ذا . أو من الكتاب أو من الضمير فى فيه)[2] .

ثانيـا ـ التأثر ببيان أوجه القراءات :

ومن نواحى تأثير كتاب إعراب القرآن فى كتاب « البيان » ناحية القراءات فأبو البركات أثار القراءات وناقشها فى جميع المواضع التى ناقشها النحاس وترك المواضع التى تركها . وكل ما جاء من وجوه القراءات وما فيها من وجوه الإعراب عند أبى البركات فهو من كتاب النحاس ... والذى فعله أبو البركات هو زيادة وجه من وجوه القراءات المتعددة أو حذف وجوه ، والحالة الأخيرة هى أكثر من الأولى إذ النحاس مقرىء معروف وواسع الاطلاع فى كل موضوع تناوله وكتب فيه .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٤ : أ

(٢) البيـان ١/٤٥

فمثال الحالة الأولى : ما ذكر النحاس فى قراءات « مالك » من قوله تعالى « مالك يوم الدين» من سورة الفاتحة ، فإنه يقال: (مالك ، ومَلِك ، ومَلْك ، ومليك . وفيه من العربية خمسة وعشرون وجهاً يقال : مَلِكِ يوم الدين على النعت . والرفع على إضمار مبتدأ والنصب على المدح وعلى النداء وعلى الحال . وعلى النعت على قراءة من قرأ : « ربَّ العالمين » فهذه ستة أوجه . وفى مَلْك مثلها وفى مليك مثلها ، فهذه أربعة وعشرون وجهاً ، والخامس والعشرون روى عن أبى حيوة شريح بن يزيد أنه قرأ :« مَلَكَ يومَ الدين »[1] .

وقد أخذ أبو البركات هذه القراءات بأوجهها الإعرابية وبجزئياتها ولم يزد عليها إلا وجهاً واحداً . وليس هذا حسب بل كان منهجه اتباعاً لمنهج النحاس ، قال أبو البركات : (وفى مالك خمس قراءات وهى : مالك ، وملك ، ومليك ، وملاك . وفيها فى العربية : أحد وثلاثون وجهاً : يقال مالكِ بالجر على البدل ، والرفع على تقدير مبتدأ ، والنصب على المدح ، وعلى النداء وعلى الحال ، وعلى البدل على قراءة من قرأ : رب العالمين بالنصب فهذه ستة أوجه ، وفى « ملك » مثلها . فهذه خمس قراءات فى كل قراءة ستة أوجه وخمسة فى ستة ثلاثون ، والأحد والثلاثون قراءة أبى حيوة : « ملك يوم الدين »[2] .

ومثال الحالة الأخيرة ماجاء عن قراءات «أأنذرتهم» فى قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون »[3]

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٢ : ب

(٢) البيان ١/٣٥ ــ ٣٦

(٣) سورة البقرة آية : ٦

قال النحاس : (أأنذرتهم فيه ثمانية أوجه : أجودها عند الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية وتحقيق الأولى وهى لغة قريش وسعد بن بكر وكنانة . وهى قراءة أبى عمرو وأهل المدينة والأعمش : « أأنذرتهم » ، قال ابن كيسان : روى عن ابن محيصن أنه قرأ بحذف الهمزة الأولى : سواء عليهم أنذرتهم ، وروى عن ابن أبى إسحاق أنه قرأ : أأنذرتهم ، حقق الهمزتين وأدخل بينهما ألفاً لئلا يجمع بينهما . قال أبو حاتم : ويجوز أن يدخل بينهما ألفاً ويخفف الثانية وأبو عمرو ونافع يفعلان ذلك كثيراً . وقرأ حمزة وعاصم والكسائى بتحقيق الهمزتين : أأنذرتهم وهو اختيار أبى عبيد . فهذه خمسة أوجه ، والسادس قاله الأخفش ، قال : ويجوز أن تخفف الأولى من الهمزتين .. إلخ)[١] .

أما أبو البركات فقال : (ويجوز فى : « أأنذرتهم » ستة أوجه : الأول : أأنذرتهم بهمزتين . الثانى : أانذرتهم بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية . . . والثالث : أاأنذرتهم بإدخال ألف بين الهمزتين وتحقيقهما والرابع بإدخال ألف بين الهمزتين وتحقيق الأولى وتخفيف الثانية. والخامس: عليهمَ أنْذرتهم بحذف الهمزة الأول وإلقاء حركتها على الميم . السادس : أنذرتهم بهمزة واحدة)[٢]

والمثال الآخر هو قراءات « فيه » من قوله تعالى : « فيه هدى للمتقين »[٣] . قال النحاس : (وفى الهاء خمسة أوجه : أجودها فيهِ هدى ، ويليه فيهُ هدى بضم الهاء وهى قراءة الزهرى . ويليه : فيهى هّدى بإثبات الياء ،

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

(٢) البيـان ١/ ٥٠

(٣) سورة البقرة آية : ٢

وهى قراءة ابن كثير ، ويجوز «فيهو هدى المتقين» ويجوز فيه هُدى مدغما والأصل فيهو هدى)[١] .

أما أبو البركات فقال : (وفى « فيه » قراءتان مشهورتان : فيه بكسر الهاء من غير ياء وفيهى بإثباتها والأصل فى « فيهى » فيهو بضم الهاء وإثبات الواو إلا أنه كسرت الهاء لمكان الياء ، وقراءة من قرأ فيه أوجه من قراءة من قرأ « فيهى »)[٢] ، ويلاحظ أن أبا البركات غالباً ما يحذف أسماء القراء .

ثالثا ـ التأثر ببيان الخلافات النحوية :

ويتابع أبو البركات النحاس حين يبين الخلافات النحوية فى موضوع من موضوعات الإعراب ويترك ما يتركه .

ومن الأمثلة التى تابعه فيها بيان النحاس لاختلاف النحاة فى إعراب موضع الباء من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم » . قال النحاس : (وموضع الباء وبعدها عند الفراء نصب بمعنى ابتدأت بسم الله الرحمن الرحيم ، وأبتدىء باسم الله ، وعند البصريين رفع بمعنى ابتدائى باسم الله)[٣] .

وتابعه أبو البركات فقال : اختلف النحويين فى موضع الجار والمجرور على وجهين : فذهب البصريين : إلى أنه فى موضع رفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره : ابتدائى بسم الله الرحمن الرحيم .

---

(١) اعراب القرآن لوحة ٣ : ب

(٢) البيان ١/٤٤ ـ ٤٥

(٣) اعراب القرآن لوحة ٢ : أ

وذهب الكوفيون إلى أنه نصب بفعـــل مقدر وتقديره ابتدأت بسم الله)(١) .

ومما يؤيد متابعة أبي البركات للنحاس أن هذه المسألة لا توجد في كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » .

ومن المسائل الخلافية التي نقلها من النحاس ولا توجد في «الإنصاف» الخلاف في أصل (أول) .

فعند الحديث عن إعراب قوله تعالى : « ولا تكونوا أول كافر به »(٢) . قال النحاس : (أول عند سيبويه مما لم ينطق منه بفعل . وهو على أفعل . عينه وفاؤه واو . وإنما لم ينطق منه بفعل لئلا يعتل من جهتين .. وهذا مذهب البصريين .

وقال الكوفيون : هو من «وأل»(٣) . ويجوز أن يكون من «أأل» فإن كان من « وأل » فالأصل فيه « أوأل » ثم خففت الهمزة فقلت : «أول» كما تخفف همزة خطيئة فتقول: خطية . وإن كان من «أأل» فالأصل فيه أأول ثم أبدلت من الأول واواً لأنه لا ينصرف)(٤)

وقد تابعه أبو البركات فقال : (أول وزنه أفعل ، فاؤه وعينه واو ولم تنطق العرب منه بفعل .

وذهب الكوفيون إلى أنه « أفعـل » من « وأل » وأصله أوأل

---

(١) البيان ١/٣١ ـ ٣٢

(٢) سورة البقرة آية : ٤١

(٣) وأل بمعنى نجـا

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٠ : أ

نخففت الهمزة الثانية وأبدلت منها واو وأدغمت الأولى فيها ، كما قالوا فى مقروءة : مقروة ، وفى مخبوءة : مخبوة)[١].

رابعا — المتابعة فى التعليلات اللغوية والنحوية :

ومن أنواع متابعة أبى البركات للنحاس أنه أخذ تعليلاته اللغوية والنحوية ، ولم يغير فيها ولم يضف إلا أشياء ليست ذات بال . ومن تلك المسائل الكثيرة التى تابع فيها النحاس :

١ — تعليل ضم واو « اشتروا » من قوله تعالى : « اشتروا الضلالة بالهدى »[٢].

قال النحاس : (وفى ضم الواو أربعة أقوال: قال سيبويه: إنما ضمت فرقاً بينها وبين الواو الأصلية نحو: «وأن لو استقاموا»[٣] قال الفراء : كان يجب أن يكون قبلها واو مضمومة لأنها واو جمع فلما حذفوا الواو التى قبلها واحتاجوا إلى حركتها حركوها بحركة التى حذفت . قال ابن كيسان : الضمة فى الواو أضعف من غيرها لأنها من جنسها . قال أبو إسحاق : هى واو جمع حركت بالضم كما فعل فى « نحن » . وقرأ ابن أبى إسحاق ويحيى ابن يعمر : « اشتروِا الضلالة » على أصل التقاء الساكنين . وروى أبو زيد الأنصارى عن قعنب أبى السمال العدوى[٤] . أنه قرأ : اشتروَا الضلالة بفتح الواو لخفة الفتحة وأن قبلها مفتوحاً . وأجاز الكسائى : اشترؤا بالهمز كما

---

(١) البيان ٧٨/١

(٢) سورة البقرة آية : ١٦

(٣) سورة الجن آية : ١٦

(٤) أبو السمال قعنب البصرى العدوى له اختيار فى القراءة يعد من الشواذ رواه عنه أبو زيد الانصارى • أورد ابن جنى بعض حروفه ينظر : المحتسب ٥٤/١ وطبقات القراء ٢٧/٢

يقال أقتت وأدؤد . قال أبو جعفر : وهذا غلط لأن همز الواو إذا انضمت إنما يجوز فيها إذا انضمت لغير علة)[١] .

وقد تابعه أبو البركات فقال : (وحركت الواو لالتقاء الساكنين ، فرقاً بين واو الجمع والواو الأصلية ، نحو : « لو استطعنا » وكانت الضمة أولى لثلاثة أوجه : أنها : واو جمع فضمت كما ضمت النون فى « نحن » . أنها حركت بمثل حركة الياء المحذوفة قبلها ، لأن الضمة فى الواو أخف من الكسرة التى هى الأصل ، لأنها من جنسها . وقد قرىء بالكسر على الأصل . وقرىء بالفتح طلباً للخفة . وأجاز الكسائى همزها لانضمامها . وهو ضعيف لأن الواو إنما تقلب همزة إذا انضمت ضماً لازماً ، وهذه ضمة عارضة لالتقاء الساكنين ، فلا تقلب لأجلها همزة)[٢] .

والمثال الثانى : تعليل مجىء « سمع » بلفظ المفرد فى قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم »[٣] ، وعدم مجيئه للفظ الجمع . قال النحاس : (لم لم يقل على أسماعهم وقد قال على قلوبهم ؟ ؟ ففيه ثلاثة أجوبة : منها أن السمع مصدر فلم يجمع . وقيل : هو واحد يؤدى عن جميع . وقيل : التقدير : على موضع سمعهم)[٤] .

وقال أبو البركات : (إنما وحد سمعهم ولم يجمعه كقلوبهم وأبصارهم لثلاثة أوجه : الأول : أن السمع مصدر ، والمصدر اسم جنس يقع على القليل والكثير ولا يفتقر إلى التثنية والجمع . والثانى : أن يقدر مضاف

(١) اعراب القرآن لوحة ٥ : ب
(٢) البيان ١/٥٨
(٣) سورة البقرة آية : ٧
(٤) اعراب القرآن لوحة ٤ : ب

على لفظ الجمع والتقدير على مواضع سمعهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والثالث: أن يكون اكتفى باللفظ المفرد لما أضافه إلى الجمع لأن الإضافة إلى الجمع يعلم بها أن المراد به الجمع)[1]

والمثال الثالث هو من النحو. وهو تعليل ضم نون «نحن»: قال النحاس: (فأما ضم «نحن» ففيه أقوال للنحويين: قال هشام: الأصل: نَحُنْ قلبت حركة الحاء على النون وأسكنت الحاء. وقال محمد بن يزيد: نحن مثل قبل وبعد لأنها متعلقة بالإخبار عن اثنين أو أكثر. قال أحمد ابن يحيى. هي مثل حيث تحتاج إلى شيئين بعدها. قال أبو إسحاق الزجاج: نحن لجماعة ومن علامة الجماعة الواو، والضمة من جنس الواو، فلما اضطروا إلى حركة «نحن» لالتقاء الساكنين حركوها بما يكون للجماعة. قال: ولهذا ضموا واو الجميع)[2].

وتابعه أبو البركات فقال: (ونحن ضمير مرفوع منفصل، وهو مبنى لأنه مضمر، وبنى على حركة لالتقاء الساكنين. وبنى على الضم لأنه يقع للجمع. والواو من علامات الجمع. والضم أخو الواو فكان الضم أولى. وقيل: هو من علامات المرفوع فحرك بما يشبه الرفع وهو الضم وقد قيل فيه عدة أقاويل)[3]

خامسا ـ المتابعة فى التفاصيل الاعرابية:

ومن مظاهر تأثر كتاب «البيان» بإعراب القرآن «المتابعة في تفصيل الإعراب».

---

(١) البيان ٥٢/١

(٢) اعراب القرآن لوحة ٥: أ.

(٣) البيان ٥٧/١

ومن الأمثلة على ذلك إعراب قوله تعالى : «ألا إنهم هم المفسدون»[١] .

قال النحاس فى إعراب هذه الآية : (كسرت إن لأنها مبتدأة . قال على بن سليمان : يجوز فتحها كما أجاز سيبويه : حقاً إنك منطلق . بمعنى ألا . «والهاء والميم» اسم إنّ . و «هم» : مبتدأ . والمفسدون : خبر المبتدأ والمبتدأ وخبره خبر ان . ويجوز أن يكون توكيداً للهاء والميم ، ويجوز أن تكون فاصلة)[٢] .

وقد تابعه أبو البركات فقال : (كسرت إن لأنها مبتدأة . ويجوز أن تفتح إذا جعلت « ألا » بمعنى حقاً . « هم المفسدون » ، ويجوز أن يكون هم مبتدأ والمفسدون خبراً ، والجملة من المبتدأ والخبر فى موضع رفع خبر إن ، ويجوز أن يكون هم فصلا لا موضع لها من الإعراب ، أو تكون توكيداً للهاء والميم فى أنهم ، والمفسدون خبران)[٣] .

والخلاصة أن أبا البركات عبدالرحمن بن الأنبارى تأثر بكتاب « إعراب القرآن » للنحاس فى النواحى الآتية :

منهج الاحتمالات النحوية . . وبيان أوجه القراءات . . وبيان الخلافات النحوية . . والمتابعة فى التعليلات اللغوية « والمتابعة فى التفاصيل النحوية » .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢

(٢) اعراب القرآن لوحة ٥ : أ

(٣) البيان ١/٥٧ (فصلا : : ضمير فصل)

٨ ـ بين النحاس والقرطبى (ت ٦٧١ هـ)

أو

أثر ((اعراب القرآن)) و ((معانيه)) فى تفسير القرطبى

« الجامع لأحكام القرآن » لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (المتوفى ٦٧١ هـ) من دراسات القرآن المعتمدة والأساسية ومعنى اعتماده على النحاس الاعتماد الذى سنوضحه أن كتب الأخير كانت من المصادر المهمة لمثل كتاب القرطبى .

وأكثر الأسماء التى ترددت فى تفسيره ونسب إليها الآراء هى أسماء : الكسائى (ت ١٨٩ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) والأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) وأبى عبيد (ت ٢٢٤ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) والنحاس (ت ٣٣٨ هـ) والمهدوى (ت بعد ٤٣٠ هـ) ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) وابن عطية (ت ٥٤١ هـ) .

ولكن يبدو أن جميع الأسماء التى سبقت النحاس ، وترددت فى تفسير القرطبى مأخوذة من كتابى النحاس : إعراب القرآن ومعانى القرآن ، كما سيتضح من الأمثلة .

كما أن أقوال النحاس فى كتابه الأول أكثر تردداً من أى كتاب يماثله ، فقد اعتمد عليه القرطبى فى الجزء الأول من تفسيره اثنتين وعشرين مرة ، واعتمد عليه فى الجزء الثانى تسع عشرة مرة ، ويمكن أن تقاس بقية الأجزاء على هذين الجزأين .

وبالرغم من ذكره لكتابى النحاس فإنه نقل منهما أحياناً دون أن يذكر ذلك .

ففى شرح معانى الرحمن والرحيم نقل من كتاب معانى القرآن دون أن يشير .(١)

وفى تعليل الجمع بين الرحمن والرحيم نقل منه والظاهر أن أسماء العلماء والنحاة الذين استشهد بأقوالهم أمثال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى وقطرب والمبرد إنما نقلها من معانى القرآن للنحاس(٢) .

وفى وجوه القراءات فى « مالك » من قوله تعالى « مالك يوم الدين » فى سورة الفاتحة نقل المادة كلها من « إعراب القرآن » « للنحاس » دون أن يشير(٣) .

وفى وجوه إعراب « ما بعوضة » فى قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »(٤) ، نقل القرطبى ثلاث صفحات من إعراب القرآن للنحاس ، دون أن يشير(٥) .

ولم يقتصر اعتماد « القرطبى » على النحاس فى مادة الإعراب والمعانى فقط ، بل أخذ مادة لغوية كبيرة ، وأخذ منه مادة كبيرة تتعلق بموضوعات القراءات . واعتمد على آرائه فى حل بعض المشكلات اللغوية والنحوية . والمهم أن « القرطبى » اعتمد على أقوال النحاس فى كل هذه النقاط التى أشرت إليها ، كأنها مسلمات ، لأنه لم يعترض على شيء منها .

وسأعطى لكل نقطة مثلا يوضحها ...

١ ـ المعانى بين القرطبى والنحاس :

ففى شرح معانى « الرحمن » و « الرحيم » وتعليل الجمع بينهما قال

---

(١) ـ ينتظر تفسير القرطبى ١٠٤/١ ، ومعانى القرآن للنحاس ورقة ٢ : ب ، ٣ : أ

(٣) تفسير القرطبى ١٣٩/١ واعراب القرآن لوحة ٢ : ب

(٤) الآية : ٢٦ من سورة البقرة .

(٥) تفسير القرطبى ٢٤١/١ ـ ٢٤٤ واعراب القرآن لوحة ٧ : ب

القرطبي : (زعم المبرد فيما ذكره ابن الأنباري في كتاب الزاهر له أن « الرحمن » اسم عبراني فجاء معه بـ « الرحيم ») .

قال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن ، قال أحمد بن يحي : الرحيم عربي والرحمن عبراني فلهذا جمع بينهما . . . وهذا القول مرغوب عنه .

وقال أبو العباس : النعت قد يقع للمدح كما تقول : قال جرير الشاعر

وروى مطرف عن قتادة في قول الله عزوجل : « بسم الله الرحمن الرحيم » قال : مدح نفسه .

قال أبو إسحاق : هذا قول حسن .

وقال قطرب : يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد .

قال أبو إسحاق : وهذا قول حسن ، وفي التوكيد أعظم الفائدة ، وهو كثير في كلام العرب ويستغنى عن الاستشهاد . والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد : إنه تفضل بعد تفضل وإنعام بعد إنعام ، وتقوية لمطامع الراغبين ، ووعد لا يخيب آمله)[١] .

ثم قال القرطبي : واختلفوا هل هما بمعنى واحد ، أي (الرحمن والرحيم) أو بمعنيين ؟

(فقيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم . قال العرزمي[٢] : الرحمن بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة . والرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم . وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر)[٣] .

---

(١) تفسير القرطبي ١/١٠٤

(٢) العرزمي : عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي كما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٣) تفسير القرطبي ١/١٠٤

وهذان النصان جل ماجاء فيهما مأخوذ من معانى القرآن للنحاس دون إشارة فقد قال النحاس : (ويسأل عن التكرير فى قوله عز وجل : الرحمن الرحيم ؟ فروى عن ابن عباس أنه قال : الرحمن الرحيم : اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر : فالرحمن الرقيق والرحيم العاطف على خلقه بالرفق . قال محمد بن كعب القرظى : الرحمن بخلقه الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته وحجته . وقال العرزمى : الرحمن بجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين . وقال أبو عبيدة هما من الرحمة كقولهم ندمان ونديم . قال قطرب : يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد . وهذا قول حسن . وفى التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير فى كلام العرب يستغنى عن الاستشهاد . والفائدة فى ذلك مما قاله محمد بن يزيد : إنه تفضل بعد تفضل وإنعام بعد إنعام وتقوية لمطامع الراغبين ووعد لا يخيب آمله)[١] .

٢ - الاعراب بين القرطبى والنحاس :

ففى إعراب قوله تعـــالى : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات[٢] » قال القرطبى : (سبع : منصوب على البدل من الهاء والنون ، أى : فسوى سبع سموات . ويجوز أن تكون مفعولا على تقدير يسوى منهن[٣] سبع سموات . كما قال تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلا » أى : من قومه . قاله النحاس[٤] .

---

(١) معانى القرآن : الورقة ٢ : ب

(٢) سورة البقرة آية : ٢٩.

(٣) فى المطبوع من تفسير القرطبى « بينهن » والذى اثبتناه يتفق مع السياق .

(٤) تفسير القرطبى ١/٢٦٠ واعراب القرآن لوحة ٨ : أ ، وينظر تصريح القرطبى بنقل مادة اعرابية عن النحاس فى تفسير القرطبى ١/٢٦١ ، ٢/١٣٣، ومواضع كثيرة

٣ ـ مادة القراءات عند القرطبي والنحاس :

أما في مادة القراءات وتفاصيلها وترجيحها ورفضها فقد اعتمد القرطبي على « إعراب القرآن » للنحاس ، وقد صرح القرطبي بنقله في جل تلك المواضع . . . . ولكنه يشير إلى جزء يسير فقط . . .

ففي بيان القراءات في قوله تعالى . « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس[١] » قال القرطبي : (قرأ الجمهور شهر بالرفع ، على أنه خبر ابتداء مضمر ، أي: ذلكم شهر أو المفترض عليكم صيامه شهرُ رمضان ... وقيل ارتفع على أنه مفعول مالم يسم فاعله بـ « كتب » أى كتب عليكم شهر رمضان. وقرأ مجاهد وشهر بن حوشب :شهر بالنصب. قال الكسائي: المعنى كتب عليكم الصيام وأن تصوموا شهر رمضان . .[٢]) .

كل هذا النص مأخوذ من إعراب القرآن للنحاس[٣] ، ولكن لم يشر إليه القرطبي بل أشار إلى رأى النحاس في الجزء الذى يتممه فقال : (وقال النحاس لا يجوز أن ينتصب شهر رمضان بـ « تصوموا » ، لأنه يدخل في الصلة ثم يفرق بين الصلة والموصول ، وكذلك إن نصبته بالصيام ، ولكن يجوز أن تنصبه على الإغراء ، أى : الزموا شهر رمضان ، وصوموا شهر رمضان ، وهذا بعيد أيضاً لأنه لم يتقدم ذكر الشهر فيغرى به[٤]) .

غير أنه في بيان القراءات في الجزء الآخر من آية الصيام السابقة « لتكملوا العدة » تصرف بالنقل عن النحاس بجزء أكبر من الجزء السابق.

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

(٢) تفسير القرطبي ٢/٢٩٦

(٣) اعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب

(٤) تفسير القرطبي ٢/٢٩٦ ، واعراب القرآن لوحة ٢٠ : ب

وذلك ضمن النص الآتى : (قرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو – فى بعض ما روى عنه – والحسن وقتادة والأعرج : ولتكمّلوا العدة . والباقون بالتخفيف . واختار الكسائى التخفيف . قال النحاس : هما لغتان بمعنى واحد : كما قال عز وجل « فمهل الكافرين أمهلهم رويداً . ولا يجوز ولتكملوا بإسكان اللام والفرق بين هذا وبين ما تقدم أن التقدير ويريد لأن تكملوا ولا يجوز حذف أن والكسر . هذا قول البصريين ... وهذه اللام هى الداخلة على المفعول كالتى فى قولك . ضربت لزيد ، المعنى ويريد إكمال العدة . وقيل هى متعلقة بفعل مضمر تقديره لأن تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة . وهذا قول الكوفيين ، وحكاه : النحاس عن الفراء . قال النحاس : « هذا قول حسن ، ومثله : وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » . أى : وليكون من الموقنين فعلنا ذلك[(١)]) .

والنص السابق باستثناء بعض التفاصيل الجزئية ، هو فى إعراب القرآن للنحاس[(٢)] .

أما مشكلات القراءات فقد اعتمد فيها على النحاس أكثر من اعتماده على غيره . بل وأثار ما أثاره النحاس من مشكلات وسكت عما سكت عنه .....[(٣)] .

ولكنى أكتفى بمثل واحد تابع فيه القرطبى النحاس مثلما تابعه

---

(١) تفسير القرطبى ٢/٣٠٥

(٢) اعراب القرآن لوحة ٢١ أ

(٣) ينظر تفسير القرطبى ١/٢٢٢ ، ٣٩٤ ، ٢/٥ ، ٤١٤ وغيرها

« مكى » كما سيشير النص عند تفسير قوله تعالى « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة[1] »

قال النحاس : (وقرأ أبو عمرو وأبو جعفر[2] وشيبة « وعدنا » بغير ألف وهو اختيار أبى عبيد ، وأنكر « واعدنا » لأن المواعدة عنده إنما تكون من البشر ، فأما الله عز وجل فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد وعلى هذا وجدنا القرآن كقوله: « وعدكم وعد الحق » ، « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قال أبو جعفر[3] : وكلام أبى عبيد هذا غلط بين لأنه أدخل باباً فى باب وأنكر ما هو أحسن وأجود ، وواعدنا أحسن ، وهى قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائى . وليس قوله سبحانه «وعدالله الذين آمنوا» من هذا فى شىء، لأن « واعدنا موسى » هى من باب الموافاة وليس من باب الوعد والوعيد فى شىء . وإنما هو من قولك : موعدك يوم الجمعة . والفصيح من هذا أن يقال : « واعدته[4] ») .

أما نص القرطبى عند هذه الآية فهو : (قرأ أبو عمرو : وعدنا بغير ألف . واختاره أبو عبيد ورجحه ، وأنكر « واعدنا » قال لأن المواعدة إنما تكون من البشر ، فأما الله جل وعز فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد . وعلى هذا وجدنا القرآن كقوله عز وجل : « وعدكم وعد الحق » ... وقوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » . وقوله : «وإذ يعدكم الله

---

(١) سورة البقرة آية : ٥١

(٢) أبو جعفر الأول هو يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة (ت ١٣٠ هـ) أما الآخر فهو النحاس .

(٣) اعراب القرآن لوحة ١٠ : ب

(٤) اعراب القرآن لوحة ١٠ : ب

إحدى الطائفتين أنها لكم ، . قال مكي : وأيضاً فإن ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى ، وليس فيه وعد من موسى فوجب حمله على الواحد . وقال مكي : المواعدة أصلها من اثنين . وقد تأتى المفاعلة من واحد فى كلام العرب قالوا : داويت العليل وعاقبت اللص والفعل واحد . فيكون لفظ المواعدة من الله خاصة لموسى كمعنى وعدنا ، فتكون القراءاتان بمعنى واحد . والاختيار : واعدنا بالألف لأنه بمعنى وعدنا فى أحد معنييه ،ولأنه لا بد لموسى من وعد أو قبول يقوم مقام الوعد فتصح المفاعلة[1]) .

وهذا النص يدل دلالة واضحة على أن كلا من القرطبى ومكى قد ارتضيا رأى النحاس وتعليله لهذه المشكلة من مشكلات اللغة المتصلة بالقراءات... وليس هذان وحدهما بل تابعه غيرهما كما فى النصوص الأخرى التى نقلها القرطبى وأعرضنا عنها بعداً عن الإطالة[2] .

والخلاصة أن القرطبى اعتمد على كتابى «إعراب القرآن» «ومعانى القرآن» للنحاس فى بيان لغات القرآن ومعانيه وماجاء فيه من قراءات وما ورد فيها من تعليلات وآراء . واعتماده على « إعراب القرآن » أكثر من اعتماده على « معانيه » . . . واعتماده على كتابى النحاس يفوق اعتماده على أى مصدر آخر من مصادر إعراب القرآن ومعانيه قبل النحاس وبعده .

---

(١) تفسير القرطبى ١/٣٩٤

(٢) تفسير القرطبى ١/٣٩٤

٩ - بين النحاس وابن الامام (ت ٧٤٥ هـ)

أو

أثر « القطع والائتناف » فى « علم الاهتـداء »

ومن الكتب التى اعتمدت على كتاب « القطع والائتناف » كتاب « علم الاهتداء فى الوقف والابتداء »[١] لأبى عبد الله محمد بن محمد بن على ابن همام المصرى الشافعى المعروف بابن الإمام (٦٨٢ - ٧٤٥ هـ) ، وهو مقرىء علامة ومحقق[٢] .

وكتابه « علم الاهتداء » من أخصر ماألف فى موضوعه ، وأحسنه . وقد طالعه أبو حيان النحوى محمد بن يوسف (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) بتكليف من الملك الناصر محمد بن قلاوون فكتب عليه : (طالعت هذا الكتاب على وجه الانتقاد لا على نية حسن الظن والاعتقاد فوجدته أحسن ما صنف فى هذا الباب وأحرى التصانيف فيه إلى الصواب)[٣] .

هـذا كلام رجل نحرير وعالم بفنون شتى ، ومن ذا الذى لا يعرف أبا حيان النحوى من دارسى اللغة العربية ؟ ؟

والكتاب الذى وصفه بهذا الوصف ـــ وأظنه لم يطلع على كتاب النحاس ـــ كان كثير الاعتماد على كتاب « القطع والائتناف » للنحاس منهجاً وتفصيلا .

---

(١) مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب رقم ١٥٥
(٢) ترجمته فى طبقات القراء ٢/٢٤٥
(٣) طبقات القراء ٢/٢٤٥

وحيثما قلبت نظرك فى ثنايا كتاب «علم الاهتداء» وجدت آثار كتاب القطع والائتناف بادية .

وقد صرح ابن الإمام بالاعتماد على بعض آراء النحاس [١] فى مواضع قليلة جداً ... ولكنها ليست كل المواضع التى تأثر بها .

فإن تأثره من ناحيتين :

(١) ناحية المنهج العام .

(٢) ناحية التفاصيل .

١ — أما من ناحية المنهج العام فإن تأثره بكتاب النحاس يبدو فى التعليلات النحوية التى يعتمد عليها منهج النحاس اعتماداً كبيراً ... وهذه الناحية ذات أثر فى كتاب «علم الاهتداء» ومثال ذلك قول « ابن الإمام» فى الحديث عن الوقف الحسن — فى سورة الفاتحة — «أما الحسن فهو الذى يحسن الوقف عليه لأنه كلام مفيد حسن ، والأحسن الابتداء بما بعده لتعلقه لفظاً ومعنى كقوله عز وجل : « الحمد لله » فهذا كلام حسن مفيد ، وقوله بعد ذلك : « رب العالمين » غير مستغن عن الأول . إلا أن الحسن إذا كان رأس آية يجوز :« رب العالمين » فإنهم أجازوا الابتداء بما بعده ، وأن يعلق بما قبله فى اللفظ والمعنى لحديث أم سلمة ، ثم يقول : « الرحمن الرحيم » ثم يتوقف ، ثم يقول : « مالك يوم الدين »[٢] .

---

(١) علم الاهتداء فى الوقف والابتداء .

(٢) علم الاهتداء فى الوقف والابتداء .

وهذا المنهج بسطه النحاس فى أول كتابه فى الحديث عن « الأئمة » فى سورة الفاتحة كما أنه استشهد بحديث أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم[١] .

وبعد الحديث بسط تفسيراً له ، ثم تكلم عن الأئمة فى « الفاتحة» فقال: (والقطع على « بسم الله » جائز إلا أن الائتناف بما بعده لا ينبغى لأنه نعت وكذا على « الرحمن » والتمام : « بسم الله الرحمن الرحيم » ولا تقف على « الحمد » لأنه مبتدأ لم يأت خبره ، والوقف على « الله » جائز إلا أنه لا ينبغى أن يفعل ذلك لأن قوله « رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » نعت ، وهذا التمام)[٢] .

أما الحديث الذى استشهد به « ابن الإمام » على القطع عند رؤوس الآيات ، فهو الغرض الذى أورد النحاسُ الحديثَ من أجله[٣] .

٢ ـ أما من ناحية التفاصيل فإن « ابن الإمام » أخذ من النحاس تفاصيل كثيرة لكنه لم يشر إلى ذلك . ومن الأمثلة عليه قول «ابن الإمام»: (ومن الاختلاف فى الوقف لاختلاف المعنى قوله عز وجل : « وما يعلم تأويله إلا الله » . هو وقف تام على أن ما بعده مبتدأ وخبر وإلى هذا الوقف ذهب : «نافع والكسائى والفراء والأخفش وابن كيسان وأبو حاتم ويعقوب وأبو إسحاق[٤] والطبرى . وإلى معناه ذهب مالك بن أنس .

(١) القطع والائتناف لوحة ١٠ : أ
(٢) القطع والائتناف لوحة ١١ : أ
(٣) القطع والائتناف لوحة ١٠ : أ
(٤) أبو اسحاق هو الزجاج .

ومعنى « يقولون : آمنا به » : يسلمون ويصدقون . فى قول ابن عباس وعائشة وابن مسعود رضى الله عنهم . وقال عروة بن الزبير : « الراسخون فى العلم لا يعلمون تأويله ولكن يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » ، وعلى هذا أكثر المفسرين)[1] .

وهذا النص مختصر من نص طويل للنحاس يستغرق صفحتين كاملتين أعرضنا عن إيراده اختصاراً ويمكن مراجعته فى كتاب « القطع والائتناف »[2] .

* * *

(١) القطع والائتناف لوحة ٤٧ : أ

(٢) علم الاهتداء فى الوقف والابتداء .

خاتمـــة
البحث
ونتائجـه

لقد تتبعت فى ها البحث « الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر ، منــذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجرى » ٠

وتتبعت منابع تلك الدراسات ومصباتها أو مصادرها وآثارها ، وقسمته أربعة فصول :

الفصل الأول : « الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى القراء » ٠

ويتضمن جهود القراء ـ فى مصر ـ فى ميدان القراءات والتفســـير ، وهو قسمان :

القسم الأول : ميدان القراءات ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : مرحلة القراء الرواد ٠

المبحث الثانى : مرحلة تكون أصول المدرسة المصرية ٠

المبحث الثالث : مرحلة بروز الظواهر اللغوية والنحوية المميزة للمدرســة المصرية ٠

المبحث الرابع : مرحلة ظهور الدراسات اللغوية والنحوية لدى القراء ٠

أما القسم الثانى فتحته مبحثان :

المبحث الأول : مدرسة « ابن زيد » فى مصر ٠

وأهم النتائج التى توصلت اليها عند دراسة هذا الفصل هى :

١ ـ ان الصحابة للقراء هم رواد الحركة العلمية فى مصر ، منذ القــرن الأول الهجرى وأهم من نشير اليهم : عقبة بن عامر الجهنى (ت ٥٨ هـ) ، وعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥ هـ) ، وعبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ) ، وعبد الله ابن عباس (ت ٦٨ هـ) ٠

وهم أول من مهد لقيام « مدرسة القراء » ، وكونوا أول مدرسة لغــوية تهتم بمعانى القرآن ٠

وان التابعين ـ ومن تبعهم باحسان ـ أكملوا تلك الحركة وواصــلوا المسير فى القرنين الأول والثانى ، فتكونت على أيديهم أول مدرســة تهتم بالاساليب والجمل ، فكانت على أيديهم بداية الاهتمام بالقضايا النحوية انطلاقا من النص القرآنى ٠

٢ ـ ان مدرسة القراء المدنية هى أساس تكوين مدرسة القراء المصرية ، وقد أخذ أصولها ورش المصرى (١١٠ ـ ١٩٧ هـ) ، عن الامام نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٧ هـ) ٠

٣ ـ ان « ورش المصرى » نجح فى تكوين مدرسة القراء المصرية ـ من بين سائر تلاميذ نافع ـ للاسباب الاتية : لانه تبتل للقراءة ، ولأنه تعمق فى النحو فاتقنه ، ولانه كان حسن الصوت جيد القراءة ، ولانه كان ذا شخصية متميزة وعقلية متوقدة مستنيرة ، ولأنه رزق تلاميذ نشطوا لنشر قراءته وألفوا عنها الكتب ٠

٤ ـ ان « مدرسة ورش » تمثل أقوى مدرسة لغوية ونحوية فى مصر من حيث الامتداد الزمنى ، والمنهج المتميز ، وكمية الدراسات ، وتأثيرها ٠

٥ ـ ان الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالقراءات قام معظمها على يد رجال مدرسة « ورش » ، ولم يقم غيرهم من القراء المصريين الا بقسم قليل نسبيا ٠

٦ ـ امتد تأثير مؤلفات « مدرسة ورش » الى الاندلس والمغرب ايجابا وسلبا ، أما من حيث التأثير الايجابى فقد تابع المؤلفون الاندلسيون والمغاربة منهج المدرسة المصرية وتأثروا بتفاصيل قراءة ورش فتابعوه ، وتشابهت حتى عناوين كثير من كتب القراء الاندلسيين ، مع مؤلفات المدرسة المصرية أما من حيث التأثير السلبى فان المؤلفين فى الاندلس أهملوا الدراسات التى أهملها قراء مدرسة ورش ٠

٧ ـ ان « كتاب الاستكمال فى التفخيم والامالة » للامام عبد المنعم ابن غليون (ت ٣٨٩ هـ) كان رائدا فى موضوعه ليس فى مصر وحدها بل فى العالم الاسلامى المعروف آنذاك ٠

٨ ـ اختص القراء المصريون برواية كتاب « وقف التمام » للامام «نافع»، وعنهم روى ونقل الى سائر أقطار العالم الاسلامى ٠

٩ ـ ان جهود الصحابة القراء لم تقتصر على ميدان القراءات ، بل كان لهم جهد ملحوظ فى ميدان التفسير ، وأهم من نشير اليه عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) ، أول مفسر فى الاسلام بالمعنى الدقيق لكلمة تفسير ، وقد اهتم تفسيره بالكلمة المفردة أكثر من اهتمامه بالسياق الجملى ، وقد تميز منهجه لغات العرب ، والاهتمام بالكلمة المفردة ٠

١٠ ـ انه لا توجد مدرسة لغوية أثرت فى تكوين البناء اللغوى فى مصر مثل مدرسة ابن عباس المكية ، وان أهم المصريين المعدودين من هذه المدرسة بالخصائص الآتية : الاستشهاد بالشعر لبيان معانى الكلمات الغريبة ، وبيان أو المتأثرين بها : يزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨ هـ) ، وقياث بن رزين المصرى

(ت ١٥٦ هـ) ، وعبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤ هـ) ، وأبو صالح عبد الله بن صالح (١٣٧ ـ ٢٢٣ هـ) : كاتب الليث بن سعد ، وبكر بن سهل الدمياطى (ت ٢٨٩ هـ) ، ويموت بن المزرع (ت ٣٠٣ هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، وابن حسنون المقرىء (ت ٣٨٦ هـ) ٠

١١ ـ وان تفسير ابن عباس برواية أبى صالح اختص بروايته المصريون وعنهم أخذ ٠

١٢ ـ تأتى مدرسة ابن زيد المدنى (ت ١٨٢ هـ) ، بعد مدرسة « ابن عباس » فى الاهمية ، اذ أن تأثيرها فى الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر أقل من مدرسة ابن عباس ٠

١٣ ـ لكن تأثير مدرسة ابن زيد فى الدراسات اللغوية والنحوية ـ خارج مصر ـ كبير ٠ فقد تأثر بها كل من : الامام الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، فى تفسيره : « جامع البيان » تأثر كبيرا من حيث التفاصيل ، وتأثر بها الامام عبد الرحمن ابن أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ) فى تفسيره ، وكلاهما أخذ تفسير ابن زيد عن تلميذ ورش : يونس بن عبد الأعلى (١٧٠ ـ ٢٦٤ هـ) وأخذ الاخير عن عبد الله ابن وهب (ت ١٢٥ ـ ١٩٧ هـ) تلميذ ابن زيد المباشر ٠

١٤ ـ اذا كانت مدرسة ابن عباس قد اهتمت بالكلمة المفردة اهتماما يكاد يكون كليا ، فان مدرسة ابن زيد اهتمت بالسياق الجملى وبالقرائن المفسرة للنص أكثر من اهتمامها بالكلمة المفردة ٠

واستخدمت مدرسة « ابن عباس » الشعر وسيلة لتفسير الكلمات الغربية لكن مدرسة « ابن زيد » يكاد ينعدم استخدامها للشعر ٠

أما الفصل الثانى فهو « الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى غير القراء » ، ويتناول بحث جهود اللغويين والنحاة فى مصر فى القرن الثالث الهجرى ٠ وهو فى مدخل وخمسة مباحث هى :

المبحث الأول : دراسات عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) ، وأهم دراسة باقية له هى « تهذيب السيرة النبوية » ٠

المبحث الثانى : دراسات أحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) ٠ اللغوية ، وهى : اصلاح المنطق ، ولحن العامة ، وكتاب الهجاء ، والنحوية ، وهى : ضمائر القرآن والمهذب فى النحو ، وكتاب وقف التمام ٠

المبحث الثالث : دراسات أبى موسى الضرير تلميذ الدينورى وهى كتاب الفرق ، وكتاب الكتابة والكتاب ٠

المبحث الرابع : دراسات محمد بن ولاد التميمى (ت ٢٩٨ هـ) ٠ وهى

المنمق فى النحو ، والمقصور والممدود ، ورسالة فى اعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ٠

المبحث الخامس : دراسات الاخفش الصغير ، وهى أولا : الدراسات اللغوية : كتاب الانواء ، وكتاب الجراد ، والتعليقات على « الكامل » للمبرد ٠
ثانيا الدراسات النحوية شرح كتاب سيبويه ، وتفسير رسالة سيبويه ، وكتاب التثنية والجمع ، والمهذب فى النحو ٠

أما أهم نتائج هذا الفصل فهى :

١٥ - انتقل منهج الخليل وتراثه الى مصر فى فترة مبكرة ترجع الى عهده، فقد نقل عنه « ولاد التميمى » الذى يعد المؤسس الأول للدراسات اللغوية والنحوية خارج محيط القراء وبهذا نفسر قول الزبيدى فيه (انه لم يكن بمصر كبير شىء من كتب اللغة والنحو قبله) ٠

وقد أخذ عنه ابنه محمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) ، وترتب على ذلك أن نحاة مصر كانوا من الفريق الذى يرى صحة نسبة كتاب العين للخليل ، كما يظهر من كتاب المقصور والممدود لأحمد بن محمد بن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) وكتاب شرح القصائد التسع للنحاس ٠

وتأثر بوجهة النظر هذه معظم نحاة الاندلس خلال الفترة التى ندرسها ٠ وأقدمهم أبو بكر الزبيدى (ت ٣٨٩ هـ) ، مؤلف مختصر العين ٠

١٦ - وان أول لغوى ونحوى مصرى طبق المنهج البصرى ، خارج محيط القراء ، وبقى لنا شىء من مؤلفاته هو عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) صاحب كتاب « تهذيب السيرة النبوية » ٠ وقد نقل الى العالم كله عن طريق ابن هشام ٠

١٧ - تعد مؤلفات الدينورى « الستة رائدة بين المؤلفات اللغوية والنحوية فى مصر ٠ وان كتاب الهجاء كان ذا تأثير فى الدراسات اللغوية خارج مصر ، وأنه وكتاب وقف التمام متأثران بكتب هجاء المصاحف ٠

١٨ - أما أبو موسى الضرير - تلميذ الدينورى - فهو رائد بكتابيه : الفرق ، وكتاب الكتابة والكتاب ، بين لغويى مصر ٠

١٩ - أما محمد بن ولاد - تلميذ الدينورى الآخر - فهو أول من نقل كتاب سيبويه الى مصر ٠ وأول من أقرأه تلاميذه وأول من شرح جزءا منه فى مصر ٠

وترتب على ذلك أن نقل الكتاب الى الاندلس عن طريق العائلة الولادية ٠

٢٠ - ان الاخفش الصغير أكثر نحاة مصر تأثيرا فى الحركتين : اللغوية والنحوية فى مصر ، وفى غيرها ٠

فقد تأثر به من نحاة مصر تلميذه أبو جعفر النحاس • أما من غيرهم فقد تأثر به كل من أبى على القالى (ت ٣٥٦ هـ) وأبى الفرج الاصفهانى (ت ٣٥٦هـ) وأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) •

أما الفصل الثالث فهو مخصص « للدراسات اللغوية والنحوية بمصر فى القرن الرابع الهجرى • وتحته خمسة مباحث هى :

المبحث الأول : دراسات كراع النمل اللغوية ، لا سيما كتاب المنجد وكتاب المجرد • وهما كل ما بقى من كتبه التسعة •

المبحث الثانى : دراسات أحمد بن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) اللغوية والنحوية • ويتضمن دراسة كتابيه المقصور والممدود ، والانتصار لسيبويه من المبرد • وما قام حول كتابه الأول من دراسات لا سيما تنبيهات البصرى • ويتضمن دراسة مسائل الغلط للمبرد التى تضمنها كتاب « الانتصار » •

المبحث الثالث : دراسات أبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، اللغوية والنحوية • وقد قسمتها ثلاثة أقسام هى :

(أ) الدراسات اللغوية • وهى : اشتقاق أسماء الله عز وجل ، والانواء ، وخلق الانسان •

(ب) الدراسات النحوية • وهى : مؤلفات النحاس حول كتاب سيبويه واعراب القرآن ، وكتاب التفاحة ، وكتاب الكافى فى النحو ، وكتاب اللامات ، والمقنع فى اختلاف البصريين والكوفيين •

(ج) الدراسات المشتركة بين اللغة والنحو • وما بقى منها كتابان هما: شرح القصائد التسع ، ومعانى القرآن •

المبحث الرابع : وهو مخصص لدراسة ثلاث قضايا كبيرة تميز بها النحاس عن غيره من اللغويين والنحاة بمصر وخارجها •• وهذه القضايا هى : نظرية مبكرة فى النظم ، والمزج بين منهج القراء ومنهج النحاة ، ونظرية الاحتمالات النحوية •

المبحث الخامس : وفيه تحدثت عن طبيعة الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر بعد « كراع وابن ولاد والنحاس » لا سيما كتاب « المنتهى فى اللغة » لمحمد بن تميم البرمكى (ت ٣٩٧ هـ) •

أما أهم نتائج الفصل الثالث فهى :

٢١ ـ ان « كراع النمل » يعد أول معجمى مصرى على الاطلاق ، وأنه ألف تسعة كتب قسم منها يمثل معاجم المعانى والقسم الآخر يمثل معاجم الالفاظ •

٢٢ – وكان أكثر اهتمامه بالغريب حيث خصص له كتابين هما أمثال الغريب ، « ومجرد الغريب » ، كما انه كان يضحى بالمعنى المعروف للكلمة فى كتاب « المنجد » ويكتفى بمعنى واحد غريب والكتاب مؤلف لما اتفق لفظه واختلف معناه ٠

٢٣ – وظهر لى أنه يهتم فى كتابه « المنجد » بالقضايا اللغوية الآتية: ذكر الجموع وذكر اللغات ، وبالمذكر والمؤنث ، أكثر من اهتمامه بقضايا أخرى ٠

٢٤ – أما من ناحية الشواهد فقد اهتم بالشاهد الشعرى أكثر من اهتمامه بالشاهد القرآنى فلم تصل الا الى ٤٧ آية غير أن مجموع شواهده الشعرية بلغ (٧٠٤) شواهد ٠ أى بنسبة ١ : ١٥

أما شواهده من الحديث النبوى فقليلة جدا وقد تختلط بأقوال الصحابة ٠ وقد بلغ مجموعها (١٣ حديثا) ٠

٢٥ – ويظهر لى أن كراع النمل من أكثر اللغويين المعجمين استشهادا بالشعراء المحدثين (العباسيين) وقد بلغوا عنده خمسة شعراء وتجاوز الحدود التاريخية التى وقف عندها النقاد اذ ختموا الشعر بابن هرمة ، ولكن كراعا استشهد بأبى شبل عصم بن وهب وقد عاش فى خلافة المأمون (١٩٨ – ٣٢٨ هـ) وعمر بعده طويلا ٠

٢٦ – وظهر لى – خلافا لياقوت والسيوطى – ومن تابعهما – ان «المنجد» ليس اختصارا للمجرد – كما ذهبا – بل كتاب مستقل ،

أما بالنسبة لكتاب « ابن ولاد » المقصور والممدود فقد توصلت الى النتائج الآتية

٢٧ – أن كتاب « المقصور والممدود » أول كتاب فى موضوعه يراعى ترتيب المواد هجائيا ، متحاشيا طريقة الخليل الصوتية ، الصعبة على الدارسين ٠

٢٨ – يلتزم ترتيبا شبه ثابت بالنسبة لحركات الممدود والمقصور فيبدأ بالممدود المفتوح ثم يتبعه المضموم ، ثم المكسور ٠

٢٩ – أما المواد داخل الأبواب فلم يلتزم فيها ترتيبا هجائيا ٠

٣٠ – ولم يلتزم بكون الحرف الاول ، الذى عقد له الباب أصليا أو زائدا، وبكونه صحيحا أو معتلا ، بل ساوى بينها ليخفف على الطالب الحرف ولا يكلفة عناء البحث ٠

٣١ – كما ظهر لى أن « ابن ولاد » كان ذا نزعة عقلية تجريدية ، وقد بدأ أثر ذلك واضحا فى كتابه فهو يتلمس القواعد الكلية فى قسم المسموع من كتابه المقصور والممدود وانه كان يبنى من الأمثلة مالا مثال له قياسا لا سماعا ٠٠ ولذلك بنى « افعلوت » من « رميت » ٠

٣٣ - ومع ذلك فقد كان كتابه « المقصور والممدود » ذا أثر كبير فى الحركة اللغوية داخل مصر وخارجها - وأشهر الذين اهتموا به على حمزة البصرى فى كتابه « التنبيهات على أغاليط الرواة » ٠ وكان مجموع تنبيهاته (٤٥) ٠

وقد ظهر لى أن « البصرى » لا يكاد يعتد باختلاف رواية الشعر ٠ وأنه يتجاهل الابدال الصوتى ٠٠ ولذلك فان منهجه قاصر لا يصلح أساسا للنقد السليم ٠

٣٤ - أما فى كتابه « الانتصار لسيبويه من المبرد » فقد انتهج فيه نهجا يتركز حول الدفاع عن آراء سيبويه ، والرد على المبرد فجاء أسلوبه شديدا فرمى المبرد بالشناعة وكان دفاعه يخرج عن حدود المسألة أحيانا ٠

٣٥ - وان المبرد كان على حق فى مجموعة من المسائل التى أخذها على سيبويه - وأنه جانب فى بعض مسائل الغلط التى رد فيها على سيبويه ، الصواب ٠

أما بالنسبة لدراسات النحاس ، فقد توصلت الى النتائج الآتية :

٣٦ - ان ظهور موسوعية النحاس أذنت - فى مصر - بظهور أول كتاب فى اعراب القرآن وأول كتاب فى معانى القرآن ، وأول كتاب فى شرح المفضليات ، وأول كتاب فى أخبار الشعراء ، وأول كتاب فى الحماسة ، وأول كتاب فى معانى الشعر ، وأول كتاب فى طبقات الشعراء ، وأول كتاب فى خلق الانسان ٠

٣٧ - ان مفهوم معانى القرآن ، يشتمل على كتب : غريب القرآن ، ومتشابه القرآن ، واعرابه القرآن ، ومشكل القرآن ، ومجاز القران ، وما يسمى كتب التفسير ٠

٣٨ - وانه أثار فى « المعانى » قضايا تلفت النظر وهى :

(أ) أنه قلما يذكر أسماء القراء السبعة مع أن كتاب السبعة لابن مجاهد (ت ٤٢٤ هـ) ، معروف فى عصره ، لأنه ألف سنة ٣٠٠ هـ ٠

(ب) وانه يكثر من القراءات التى عدت فيما بعد شاذة لأنها خارجة عن محيط القراءات السبع ٠

وقد ظهر لى أن النحاس العالم المتسع الأفق لم يكن يخضع لمفهوم « ابن مجاهد » أول من سبع السبعة ، بل كان له رأى مستقل ، حيث يرى أن القراءات السبع وغيرها متساوية فى الصحة ، ما دامت مستوفية لشروط القراءة المقبولة ٠

٣٩ - أما فى كتابه اعراب القرآن فقد اهتم بالاعراب وما شاكله ، وطبق نظرية الاحتمالات النحوية تطبيقا واضحا ومتكاملا ٠

٤٠ - وذكر مجموعة كبيرة من القراءات وعللها ، ولذلك يعد كتابه اعراب القرآن أول كتاب وصل الينا فى تعليل القراءات ٠ وهذا الكتاب أشمل من كتاب « الحجة فى علل القراءات السبع » لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، لان الاخير اقتصر على القراءات السبع التى أودعها « ابن مجـاهد » كتاب السبعة ٠

٤١ - وان كتاب « اعراب القرآن » اهتم باللغات ونسبتها الى قبائلها بشكل يجعله مصدرا أساسيا من مصادر دراسة اللغات ٠ وبذلك يميز عن جميع كتب اعراب القرآن ٠

٤٢ - وانه مصدر أساسى لآراء مجموعة كبيرة من اللغويين والنحاة الذين ضاعت بعض كتبهم أو كلها أمثال الخليل بن أحمد (١٧٠ هـ) ، ويونس بن حبيب (١٨٣ هـ) ، والكسائى (١٨٩ هـ) ، وقطرب (٢٠٦ هـ) ، ومحمد ابن ولاد (٢٩٨ هـ) ، والزجاج (٣١١ هـ) ، وعلى بن سليمان الأخفش (٣١٥ هـ) ، وابن كيسان (٣٢٠ هـ) ٠

٤٣ - ان رسالة النحاس : « اعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية » ، قد وصلت بنظرية الاحتمالات النحوية الى قمة ليس بعـدها تحليق لأى نحوى آخر ٠ لان النحاس أوصل الاحتمالات الاعرابيـة الى بضعة وأربعين احتمالا ، فهل بعد ذلك من مزيد ؟

٤٤ - أما كتابه « التفاحة » فانه خلو من ذكر الآراء النحوية ، لأنه راعى فيه الناحية التعليمية ، ولذلك امتاز ببساطة الأسلوب ، ووضوح الامثلة ٠

٤٥ - أما أهم خصائصه فهى : انه اهتم بالظاهرة الاعرابية بشكل واضح ٠٠ وأعطى مفهوما جديدا لحروف الخفض ، اذ أضاف اليها « ذو ولعمرى وأيم وكم الخبرية » ٠ وجعل الاسماء الظاهرة المضافة من حروف الخفض أيضا وجعل الفعل يثنى ويجمع خلافا لجمهور النحاة ٠٠ وخالف سيبويه فى مجموعة من الآراء فى الوقت الذى وافق فيه الفراء والكوفيين فى مجموعة أخرى ٠

٤٦ - أما فى كتابه شرح شواهد كتاب سيبويه فانه رتب الأبواب بشكل يختلف عن ترتيب كتاب سيبويه ٠ وجميع الشواهد المتماثلة فى أبواب ، وقد جاءت فى كتاب سيبويه متفرقة فى ثنايا الأبواب ٠

٤٧ - وقد ظهر أن الكتاب الموجود بشكله الحالى مختصر من الأصل وذلك بالموازنة بينه وبين النصوص المنقولة فى كتاب : خزانة الأدب ، للبغدادى ٠

٤٨ - وأن بعض شواهد كتاب شرح أبيات سيبويه لا توجد فى كتاب سيبويه المطبوع ٠

٤٩ – وقد صرح فيه النحاس برأى يعد خطيرا بالنسبة لعصره ، اذ شكك فى أصالة سيبويه ونسفه نسفا ، اذ جعل كتابه يرجع الى مصادر تعرية من الاصالة والابداع ٠٠

٥٠ – اما فى كتابه « القطع والائتناف » ، فقد وصل فيه الى صورة جعلته متميزا بين الكتب المؤلفة فى موضوعه من حيث : استقصاء المصادر المتصلة بالموضوع واستيعاب جل الآراء المختلفة ، وشمول التعليل لا سيما النحوى ٠

وقد بسط فيه نظرية النظم النحوى التى جعلته يستخدم القراءات استخداما خاصا محددا بهذه النظرية ٠

وانه استخدم النحو فى هذا الكتاب استخداما يخالف استخدامه اياه فى اعراب القرآن ، ففى « القطع والائتناف » ظهرت المعيارية النحوية بأوضح صورها حيث لا يصح الا وجه واحد هو أحسن الوجوه وأكثرها ملاءمة لوقف التمام ٠ وقد صرح فى كتابه هذا بقوله : « لا يحمل كتاب الله الا على أفصح اللغات » وهى عبارة تعد غير مألوفة فى كتبه الأخرى ، حيث أعطى لمالك يوم الدين (٢٥) وجها من العربية ٠

٥١ – أما كتابه اللامات فهو يمثل منهج القراء فى معالجة القضايا النحوية ٠

٥٢ – وان الكتاب الموجود الآن هو مختصر من الأصل وذلك بالموازنة بين نصوصه ، ونصوص مماثلة نقلها « ابن هشام » فى « المغنى » ، من كتاب اللامات ٠

٥٣ – أما فى كتابه « شرح القصائد التسع المشهورات » ، فقد اهتم بالقضايا النحوية أكثر من اهتمامه بالقضايا اللغوية ٠

٥٤ – وظهر أثر كونه قارئا فى منهجه فاستخدم القراءات لتوجيه الشعر وتفسيره وأجاز قراءتين للبيت الواحد قياسا على القراءات ٠٠ وبذلك جاء بمنهج جديد خالف فيه جميع من سبقه حيث فسروا القراءات ووجهوها قياسا على الشعر وكذلك فعل كثير من اللاحقين له كابى على الفارسى فى « الحجة » ٠

٥٥ – ولكن الذى ظهر لى أنه قلما ينسب القراءات فى كتابه شرح القصائد التسع ، وقد فعل عكس هذا فى اعراب القرآن فنسب القراءات الى أصحابها ، وقلما أهمل نسبة قراءة ٠

٥٦ – ان النحاس أبدع نظرية النظم النحوى فى كتابه «القطع والائتناف» وكانت غاية هذه النظرية التفريق بين المعانى والعصمة من الخطأ فى محيط القرآن وفى الكلام أيضا ٠ وكانت الوسيلة اليها هى قوانين علم النحو ٠ أو المعيارية النحوية ٠

٥٧ ـ وأنه أول من مزج بين منهج القراء الذى يعتمد على الرواية ومنهج النحاة الذى يعتمد على القياس وانه صار بذلك صاحب منهج جديد فى معالجة القراءات يعتمد على الأسس الآتية الاعتماد على الفصيح من لغات العرب ولهجاتها ، والاعتماد على قراءة أئمة القراء ، ومراعاة سياق الآيات القرآنية ومراعاة خط المصحف ، ومراعاة أواخر الآيات ، والاعتماد على الأصول العامة للنحو العربى .

٥٨ ـ وانه صاحب نظرية الاحتمالات النحوية ، حيث تتساوى الوجوه الاعرابية فى عبارة واحدة أو جملة معينة . وتعتمد هذه النظرية على الأسس الآتية : اختلاف رواية البيت الشعرى ، والعلل النحوية ، والقياس .

٥٩ ـ أما بعد هؤلاء الثلاثة : « كراع وابن ولاد والنحاس » ، فلم ترق الدراسات اللغوية الى مستوى دراسات هؤلاء بل عاشت على سفحها أو حامت حولها ، فلم تأت بجديد الا نادرا وعلى يد محمد بن تميم البرمكى (ت ٣٩٧ هـ) حيث طور منهج القافية فى المعجم العربى حيث راعى الحرف الأخير فجعله بابا أما الحرف الذى قبله فيمثل الفصل ..

أما الفصل الرابع فيتناول منابع الدراسات اللغوية والنحوية بمصر . ومصباتها أو تأثرها وتأثيرها . وهو في قسمين :

القسم الأول : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر آخذة . وفيه تحدثت عن الصلة المباشرة بين الدارسين المصريين والعلماء البارزين فى عصرهم من الكوفيين والبصريين . ثم تحدثت عن الدراسات اللغوية والنحوية التى كانت من مصادر الدراسات المماثلة بمصر .

القسم الثانى : الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر معطية . وفيه تحدثت عن أثر الدراسات اللغوية والنحوية بمصر فى الدراسات المماثلة خارجها. كما تحدثت عن اتصال طلاب العلم بأساطين اللغة والنحو فى مصر من النشأة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

أما نتائج القسم الأول فهى :

٦٠ ـ ان عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) أول مؤلف مصرى وصل الينا بعض مؤلفاته ، لا سيما « تهذيب السيرة النبوية » .

وهو يمثل تيارا لغويا ونحويا يحمل بذور المنهج البصرى . وامتد هذا التيار الى محمود بن حسان (ت ٢٧٢ هـ) ، ثم الى الامام أبى جعفر الطحاوى (ت ٣٢١ هـ) ثم الى النحاس .

٦١ ـ وان يموت بن المزرع (ت ٣٠٣ هـ) يمثل امتداد مدرسة ابن عباس اللغوية فى مصر ، وعنه أخذ النحاس فى كتابه « الناسخ والمنسوخ فى القرآن » ، كثيرا .

٦٢ - أما الذين نقلوا المنهج الكوفى فى القرن الثالث فأهمهم أبو الحسن الأعز (ت ٢٢٧ هـ) ، والدينورى ختن ثعلب ، أما فى القرن الرابع فقد نقله كل من كراع النمل وابن ولاد والنحاس ، مع ملاحظة أنهم - سوى أبى الاعز - نقلوا المذهب البصرى أيضا •

٦٣ - أما مصادر (كراع النمل) فان كتابى الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، واصلاح المنطق لابن السكيت من أكثرها تأثيرا فى مؤلفاته •

٦٤ - وان منهج « كراع » يمتاز بعدم ذكر المصادر •

٦٥ - أما مصادر (ابن ولاد) فى كتاب المقصور والممدود فهى قسمان : **الأول** : مصادر ذكرها • وترجع فى مجموعها الى أصول كوفية ومصرية ، لكننا لاحظنا أنه اعتمد على الفراء أكثر من اعتماده على الخليل والمبرد • **الثانى** : مصادر لم يذكرها • وقد وجدت أنه لم يذكر أستاذه الزجاج لكنه اعتمد على كتابه خلق الانسان وكذلك اعتمد على كتابى الأصمعى وثابت فى الموضوع نفسه • ولم يذكرها • ومن مصادره المهمة التى اعتمد عليها اعتمادا كبيرا ولم يذكرها ، كتاب التقفية للبندنيجى اليمان بن أبى اليمان (ت ٢٨٤ هـ) • فقد أخذ منه فى أبواب الممدود بمعدل ٣ مواد فى كل صفحة • وقد ظهر لى أن « ابن ولاد » أخذ كتاب التقفية عن أستاذه « أحمد بن قتيبة » (ت ٣٢٢ هـ) •

٦٦ - وان « ابن ولاد » لم يتعد - فى مصادره التى ذكرها - حدود القرن الثالث الهجرى الا نادرا •

٦٧ - أما (النحاس) فان مصادره فى « اعراب القرآن » هى : أولا : كتب معانى القرآن مثل : كتاب معانى القرآن للكسائى ، ومعانى القرآن للفراء ، ومعانى القرآن للاخفش ، ومعانى القرآن للمبرد ، ومعانى القرآن للزجاج ، ومعانى القرآن لابن كيسان • وثانيا : كتب اعراب القرآن • وهى : اعراب القرآن لقطرب ، واعراب القرآن لأبى عبيدة ، واعراب القرآن لابن قتيبة ، واعراب القرآن لثعلب • ثالثا : كتب اللغات • وهى : كتاب اللغات ليونس ابن حبيب ، وكتاب اللغات للكسائى ، وكتاب اللغات للفراء ، وكتاب اللغات لأبى زيد الانصارى • رابعا : كتب القراءات ، وأهمها كتاب القراءات لابى عبيد القاسم بن سلام • خامسا : كتب النحو لا سيما كتاب سيبويه وكتاب المقتضب للمبرد •

٦٨ - أما مصادره فى رسالة اعراب قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ، فهى : شروح أساتذته • محمد بن ولاد والزجاج وابن كيسان لهذا القول نفسه •

٦٩ - أما مصادره فى كتاب التفاحة فهى معانى القرآن للفراء ، وكتاب

سيبويه والمقتضب للمبرد ، وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، ومجموعة من آراء الكوفيين ٠

٧٠ - أما مصادره فى « شرح القصائد التسع » فهى قسمان : أولا : المصادر المتخصصة ، وهى القصائد الست للاصمعى ، وشرح المعلقات لابن السكيت والسبع الطوال الجاهليات لابن كيسان ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر بن الانبارى ٠ ثانيا : المصادر المساعدة ، وهى : مصادر نحوية ٠ ويمثلها كتاب سيبويه وكتاب المقتضب والمذكور والمؤنث للمبرد وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ٠ وآراء الكسائى والفراء النحوية ٠ ومصادر لغوية ، وهى : كتاب العين للخليل ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ، وكتاب الفرق للاصمعى ٠ ومصادر مشتركة بين اللغة والنحو ويمثلها معانى القرآن للفراء ، وكتاب الكامل للمبرد ، وأمالى الزجاج ٠

٧١ - أما مصادره فى شرح أبيات سيبويه فهى : كتاب سيبويه ، وشرح أبيات سيبويه للمبرد ، وكتاب المقتضب ، وشرح أبيات سيبويه للزجاج ، وشرح كتاب سيبويه للاخفش الصغير ٠

٧٢ - ويظهر من خلال النصوص التى نقلها البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) فى كتاب الخزانة من شرح أبيات سيبويه أن النسخة الوحيدة الباقية منه هى مختصرة وليست أصلا ٠

٧٣ - أما مصادره فى كتاب « القطع والائتناف » فهى نوعان : أولا : المصادر المتخصصة ويمثلها كتاب وقف التمام للامام نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٧ هـ) وكتاب وقف التمام ليعقوب الحضرمى (ت ٢٠٥ هـ) ، وكتاب وقف التمام للاخفش (ت ٢١٥ هـ) ، وكتاب وقف التمام لأحمد بن جعفر الدينورى (ت ٢٨٩ هـ) ، وكتاب الوقف والابتداء للفراء ، وكتاب وقف الابتداء لخلف ابن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ) ، وكتاب المقاطع والمبادىء لأبى حاتم السجستانى ، وكتاب المقاطع والمبادىء للعباس بن الفضل بن شاذان (ت ٣١٠ هـ) ٠ ثانيا : المصادر المساعدة : وتمثلها كتب القراءات ، وكتب النحو ٠

٧٤ - أما مصادره فى « كتاب اللامات » فهى : كتاب اللامات للاخفش ، وكتاب اللامات لابن كيسان ، وآراء يونس بن حبيب وخلف الأحمر وقطرب ٠

٧٥ - أما مصادره فى « معانى القرآن » فهى : اما مصادر متخصصة تمثلها كتب معانى القرآن ، أمثال : معانى القرآن للكسائى ، ومعانى القرآن للفراء ، ومعانى القرآن لابن قتيبة ، ومعانى القرآن للمبرد ، ومعانى القرآن للزجاج ، ومعانى القرآن لابن كيسان ، ومجاز القرآن ، وتفسير الطبرى والتفسير المأثور لا سيما تفسير ابن عباس وتفسير تلميذه مجاهد (ت ١٠٢ هـ) برواية ابن ابى نجيح (ت ١٣١ هـ) ٠ واما مصادر مساعدة ٠ وتمثلها آراء اللغويين والنحاة وكتب القراءات وكتب الحديث ٠

٧٦ - كما ظهر لى أن النحاس لم يذكر من أسماء مصادره الكثيرة فى « اعراب القرآن » سوى معانى القرآن للفراء وكتاب سيبويه ٠

٧٧ - أما فى « شرح القصائد التسع » فلم يذكر سوى اسم كتاب سيبويه واسم أمالى الزجاج ٠

أما فى « القطع والائتناف » فقد ذكر جل مصادره فى أول الكتاب ٠

أما فى كتابيه : التفاحة واللامات فلم يذكر اسم أى كتاب من الكتب التى اعتمد عليها ٠

٧٨ - ان النحاس اعتمد على كتابى : ايضاح الوقف والابتداء ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لاستاذه : أبى بكر محمد بن القاسم الانبارى (ت ٣٢٨ هـ) فى كتابيه : القطع والائتناف وشرح القصائد التسع ، ولكنه لم يشر الى اسمه أبدا ٠٠

٧٩ - وان النحاس قد استوعب جل مصادره المهمة فى كتبه : اعراب القرآن ، وشرح القصائد التسع ، والقطع والائتناف ، ومعانى القرآن ٠

٨٠ - ان أكثر مصادره تأثيرا فى بنائه العلمى المترامى الاطراف الكتب الآتية : تفسير ابن عباس برواية يموت بن المزرع وغيره ، وتفسير مجاهد برواية ابن أبى نجيح ، وكتاب سيبويه وكتب الكسائى ، ومعانى القرآن والمذكر والمؤنث للفراء ، ومعانى القرآن للاخفش ، والوقف والابتداء للاخفش سعيد ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ، وكتاب القراءات لابى عبيد القاسم بن سلام ، « وفعل وأفعل » لأبى حاتم ، ومجموعة من كتب أساتذته : الزجاج وابن كيسان وعلى بن سليمان ، وابن الانبارى ، وتفسير الطبرى ٠

أما نتائج القسم الثانى من الفصل الرابع فهى :

٨١ - ان كتب (كراع النمل) أثرت فى كتاب « التنبيهات على أغاليط الرواة » للبصرى (ت ٣٧٥ هـ) ٠ وكتاب « فصل المقال » لأبى عبيد البكرى ، و « المحكم » لابن سيده ٠

٨٢ - وان كتاب « المقصور والممدود » أثر فى كتاب « التكملة » لأبى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، منهجا وتفصيلا ٠

وأثر فى كتاب « فصل المقال » ، وكتاب « تثقيف اللسان » لابن مكى الصقلى (ت ٥٠١ هـ) ، وكتاب « خزانة الأدب » للبغدادى ٠ تأثيرا عاما من حيث التفاصيل ٠

٨٣ - وما دام كتاب « المخصص » لابن سيده قد تأثر بكتاب « التكملة »، وان الأخير قد تأثر بكتاب المقصور والممدود ، فان تأثير « ابن ولاد » قد

انتقل الى « المخصص » . وهذا سر التشابه بين مادة المقصور والممدود فى كتابى ابن ولاد وابن سيده .

٨٤ - ان أبا سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) قد أخذ مادة رسالة النحاس: « اعراب قول سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية » ، فأودعها كتابه شرح كتاب سيبويه .

٨٥ - ومن القراء الذين تأثروا بمنهج النحاس وبارائه مكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) فقد اعتمد على كتابه « القطع والائتناف » فلخص منه رسالة « الوقف على كلا وبلى فى القرآن الكريم » .

٨٦ - وان ابن رشيق القيراونى (ت ٤٦٣ هـ) قد تأثر بالنحاس من الناحية اللغوية - وأكثر ما أخذ منه : اشتقاق مجموعة من الكلمات .

٨٧ - وان عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) من أشهر النحاة الذين تأثروا بنظرية النظم النحوى عند النحاس .

٨٨ - ومن المفسرين الذين اعتمدوا على كتب النحاس وتأثروا بارائه أبو المظفر السمعانى (ت ٤٨٩ هـ) ، فقد أخذ من كتابه اعراب القرآن بعض التعليلات النحوية واللغوية وشيئا من الاعراب . وبعض ما يتصل بالقراءات. أما « معانى القرآن » فهو أكثر تأثيرا فى تفسير السمعانى من الاعراب فقد أخذ منه شيئا من المعانى والاشتقاق وتعليل بعض القراءات . كما استفاد من الآراء والتفصيلات النحوية الواردة فى كتاب « القطع والائتناف » . لكنه لم يشر اليه أبدا ..

٨٩ - ومن اللغويين الذين تأثروا بكتب النحاس أبو عبيد البكرى فى كتابه « فصل المقال » ، اذ أخذ منه فى خمسة أبواب ، وأشار الى كتابيه : الاشتقاق ، وشرح أبيات سيبويه .

٩٠ - أما الخطيب التبريزى ٦ ت ٥٠٢ هـ) ، فقد أخذ معظم المادة اللغوية والنحوية فى كتابه « شرح القصائد العشر » من كتاب النحاس : « شرح القصائد التسع . واستعان بكتاب : « شرح القصائد السبع الطوال » لابن الانبارى .

٩١ - وأكثر النحاة تأثرا بالنحاس أبو البركات الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) ، فقد أخذ مادة كتابه : « البيان فى غريب اعراب القرآن » من كتاب « اعراب القرآن » للنحاس .

ولكنه لم يشر اليه الا فى موضع الرد عليه .

٩٢ - أما الامام القرطبى (ت ٦٧١ هـ) فقد أخذ كل مادة اعراب القرآن من كتاب النحاس . وأودعها كتاب « الجامع لأحكام القرآن » . وأخذ منه

آراء النحاس مسلمات فلم يناقشها ٠ كما تأثر بكتاب معانى القرآن له تأثرا أقل ٠ أما مادة القراءات فقد اعتمد فيها على اعراب القرآن للنحاس ٠

ولكنه أشار اليه فى أكثر المواضع ٠ وصرح باسمه ٠

٩٣ - ومن القراء الذين تأثروا به عبد الله بن محمد المعروف بابن الامام (ت ٧٤٥ هـ) اذ أخذ كل مادة كتابه « علم الاهتداء فى الوقف والابتداء » من كتاب النحاس : « القطع والائتناف » ٠ وأشار اليه فى بعض المواضع وأهمل ذكره فى كثير منها ٠٠

وتوجد فى ثنايا البحث نتائج أخرى يمكن أن يتلمسها القارىء ٠٠

وبعـــد ٠٠٠

فأرجو أن يكون فى هذا البحث ونتائجه ما يفتح مغلقا ، وما يحل مشكلة من مشاكل الدراسات اللغوية والنحوية ، وأن يكون له أثر عن دراسة الحركتين: اللغوية والنحوية ٠٠ وفوق ذلك كله أرجو أن يكون رائدا فى موضوعه ٠

والله حسبى ونعم الوكيل ٠٠

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ٠٠

المصـادر

أولا : المخطـوطات

١ ـ الادغام الكبير ، للدانى : عثمان بن سعيد ـ ت ٤٤٤ هـ ـ مخطـوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٣ قراءات ٠

٢ ـ ارشاد المبتدى وتذكرة المنتهى ، لأبى العز محمد بن الحسين القلانسى ـ ت ٥٢١ هـ ـ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٥ قراءات ٠

٣ ـ كتاب الاستكمال فى التفخيم والامالة للامام عبد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون ـ ت ٣٨٩ هـ ـ مخطوط المتحف البريطانى المرقم ٢/٣٩٤١ شرقيات ٠

٤ ـ اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ـ ت ٣٣٨ هـ ـ مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول ، رقم ٨٨

٥ ـ اقامة الدليل على صحة التمثيل لابن هشام عبد الله بن يوسف الانصارى ـ ت ٧٦١ هـ ـ مخطوط المتحف العراقى رقم ٣٨٣٩ ٠

٦ ـ الانتصار لسيبويه من المبرد ، لابن ولاد ـ ت ٣٣٢ هـ ـ مخطوط دار الكتب رقم ٧٠٥ نحو ـ تيمور ٠

٧ ـ الايضاح فى القراءات للاندرابى ـ ت حوالى ٥٠٠ هـ ـ مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٩ قراءات ٠

٨ ـ البدر المنير فى قراءة نافع وأبى عمرو وابن كثير للامام عمر بن قاسم المعروف بالنشار ـ ت ٩٠٠ هـ ـ مخطوط بدار الكتب رقم ٣٠٧ قراءات ٠

٩ ـ التبصرة فى القراءات السبع ، لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) مخطوط مصور بدار الكتب برقم ٢٠١٠٣

١٠ ـ التذكرة فى القراءات الثمان ـ لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت ٣٩٩ هـ) مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم ٢٨٢ ق ٠

١١ ـ تفسير ابن أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ) مخطوط دار الكتب رقم ١٥ تفسير ٠٠

١٢ ـ تفسير أبى المظفر السمعانى (ت ٤٨٩ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ١٣٦ تفسير ٠

١٣ ـ تفسير مجاهد (ت ١٠٢ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ١٠٧٥ تفسـير ٠

١٤ ـ التقريب والحرش المتضمن لقراءة قالون وورش ٠ تأليف ابن المرابط : عيسى ابن محمد بن فتوح (ت ٤٠٣ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ١/٨ (اسكوريال) ٠٠

١٥ ـ تهذيب اصلاح المنطق ، للوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٤٣ لغـة ٠

١٦ ـ جامع البيان فى القراءات السبع للدانى ، مخطوط دار الكتب رقم ٣ م قراءات ٠

١٧ ـ كتاب الجيم فى اللغة لابى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٠٨ لغـة ٠

١٨ ـ رسالة فى اعراب قول سيبويه فى أول الكتاب : « هذا باب علم ما لكالم من العربية » لابى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، مخطوط ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ بمكتبة شهيد على باشا بتركيا ٠

١٩ ـ رسالة فى معنى الحديث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ٠ للامام أبن الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى (ت ٤٥٤ هـ) ٠ مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ١٣٤ لغة ٠

٢٠ ـ كتاب سيبويه برواية محمد بن يحيى الرباحى (ت ٣٥٨ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات (برقم ٢٣٢ قائمة السعودية الأخيرة) ٠

٢١ ـ شرح كتاب سيبويه ، للسيرافى (ت ٣٦٨ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ١٣٦ نحـو ٠

٢٢ ـ شرح كتاب سيبويه للسيرافى ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦١٨١

٢٣ ـ شرح أبيات سيبويه ، للنحاس ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ نحـو ٠

٢٤ ـ علم الاهتداء فى الوقف والابتداء ، لابن الامام (ت ٧٤٥ هـ) ، مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب رقم ١٥٥

٢٥ ـ كتاب العين ٠ المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠ هـ) مخطوط بمكتبة الاثار ببغداد رقم ٧٧٣ ٠

٢٦ ـ الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ١٢١ لغـة ٠

٢٧ ـ قراءات النبى ، لابى عمر حفص بن عمر الدورى (ت ٢٤٠ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٥٦ قراءات ٠

٢٨ ـ قراءة الكسائى ٠ مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٥ قراءات

٢٩ ـ قرة العين فى الفتح والامالة وبين اللفظين ، لابن القاصح (ت ٨٠١ هـ) ، مخطوط دار الكتب برقم ١٠ قراءات خليل أغا ٠

٣٠ ـ القطع والائتناف ، للنحاس ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٩٦٧٠ (ب) ٠

٣١ ـ الكافى فى القراءات السبع ، لمحد بن شريح (ت ٤٧٦ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ٦١٤ قراءات ٠

٣٢ ـ ما تفرد به بعض علماء اللغة للصاغانى : الحسن بن محمد (ت ٦٥٠ هـ) مخطوط دار الكتب رقم ٤١٨ لغـة ٠

٣٣ ـ المبهج فى القراءات لسبط الخياط البغـدادى (ت ٥٤١ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ٦٨١ قراءات ٠

٣٤ ـ كتاب المثلثات ، لابن السيد البطليموسى (ت ٥٢١ هـ) ، مخطوط الخزانة الملكية بالمغرب رقم ١٣٤ ٠

٣٥ ـ المجرد فى اللغة تأليف : كراع النمل (ت ٣١٠ هـ) ، مخطوط دار الكتب رقم ٨٥٨ لغـة ٠

٣٦ ـ المسائل البصريات ، لابن على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ١٥١ نحـو ٠

٣٧ ـ المسائل الحلبيات للفارسى ، مخطوط دار الكتب رقم ٢٦٦ نحو ـ تيمـور ٠

٣٨ ـ المسائل العسكريات ، للفارسى ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ١٥٤ نحـو ٠

٣٩ ـ معانى القرآن للاخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) ، مخطوط مدينة مشهد ٦٩/٣ رقم ٢٢٠ (مصورة الزميل الدكتور كامل حسن البصير) ٠

٤٠ ـ معانى القرآن ، للزجاج (ت ٣١١ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٤٧ تفسير « الجزء الأول » ٠

٤١ ـ معانى القرآن ، للزجاج ، مخطوط دار الكتب رقم ١١ م تفسير (الجزء الثانى من نسخة أخرى) ٠

٤٢ ـ معانى القرآن ، للنحاس ، مخطوط دار الكتب رقم ٣٨٥ تفسير ٠

٤٣ ـ المقفى ، للمقريزى (ت ٨٤٠ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥١٠ تاريخ ٠

٤٤ - المكتفى فى الوقف والابتداء ، للدانى ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٩١ قراءات ٠

٤٥ - المنتهى فى اللغة ، تأليف محمد بن تميم البرمكى (ت ٣٩٧ هـ) مخطوط مصور بمعهد المخوطات رقم ٢٧٦ لغـة ٠

٤٦ - منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون ٠٠ مخطوط جامعة ييل (مصورة الدكتور محمد باقر العلوان) ٠

٤٧ - الموضح فى الفتح والامالة ، للدانى ، مخطوط المكتبة الازهرية رقم ١٠٣ قراءات ٠

ثانيـا : الرسـائل الجامعيـة

٤٨ - الأزهرى وكتابه تهذيب اللغة ، رسالة دكتوراه باداب القـاهرة قدمها السيد رشيد عبد الرحمن العبيدى سـنة ١٩٧٣ م ٠

٤٩ - الاصوات فى قراءة أبى عمرو بن العلاء ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم بالقاهرة رقم ٦ رسائل ، قدمها السيد عبد الصبور شاهين ٠

٥٠ - التعدى واللزوم فى العربية مع تحقيق كتاب فعلت وأفعلت ٠ لابى حاتم السجستانى ، رسالة ماجستير باداب عين شمس برقم ٦٠٤ رسائل قدمها السيد خليل ابراهيم العطية ٠

٥١ - كتاب التقفية للبندنيجى (ت ٢٨٤ هـ) ، تحقيق ودراسة ، رسالة دكتوراه قدمها السيد خليل العطية لآداب عين شمس سنة ١٩٧٣ ٠

٥٢ - كتاب التكملة لابى على الفارسى ، دراسة وتحقيق ، رسالة ماجستير قدمها السيد كاظم بحر المرجان لاداب القاهرة سنة ١٩٧٢ ٠

٥٣ - مشكل اعراب القرآن لمكى بن أبى طالب ، دراسة وتحقيق ، رسالة ماجستير قدمها السيد حاتم صالح الضامن لآداب بغداد سنة ١٩٧٣ ٠

٥٤ - المنجد فى اللغة ، لكراع النمل ، تحقيق السيد فوزى مسعود ، رسالة ماجستير باداب القاهرة سـنة ١٩٧٣ ٠

٥٥ - النقـد عند اللغويين فى القرن الثانى الهجرى ، رسالة ماجستير قدمتها الآنسة سنية أحمد محمد لاداب القاهرة سنة ١٩٧٣ ٠

ثالثـا : المطبوعات العربية والمعربة

٥٦ الابانـة عن معانى القراءات ، لمكى بن أبى طالب ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبى القاهرة ١٩٦٠ ٠

٥٧ – الابدال لابى الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) ، تحقيق الاستاذ عز الدين التنوخى . دمشق ١٩٦٠ – ١٩٦١ م .

٥٨ – اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ، تأليف الشيخ أحمد بن محمد الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) ، القاهرة ١٣٥٩ هـ .

٥٩ – أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى ، تحقيق الاستاذ عبد المنعم خفاجى وزميله ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٦٠ – الادب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى الى نهاية العصر الأيوبى للاستاذ مصطفى محمود ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦١ – أدب الكاتب لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٥٨

٦٢ – الازمنة والانواء لابن الاجدابى : ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله (المتوفى ٦٠٠ هـ) ، ط . دمشق .

٦٣ – الاستيعاب ، لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الاستاذ محمد البجاوى ، ط . مصر .

٦٤ – اسطورة الابيات الخمسين فى كتاب سيبويه ، للدكتور رمضان عبد التواب فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ٢ م ٤٩ ، دمشق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ..

٦٥ – الاصابة فى تمييز الصحابة تأليف الحافظ بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ .

٦٦ – اصلاح المنطق ، لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، تحقيق الاستاذين أحمد محمد شاكر وهارون ، ط دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م .

٦٧ – الاشباه والنظائر فى النحو ، للسيوطى (ت ٩١١ هـ) ، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٩ هـ – ١٣٦٠ هـ .

٦٨ – الاصوات اللغوية ، للدكتور ابراهيم أنيس ، ط رابعة ، مصر ١٩٧١

٦٩ – الاضداد ، لابن السكيت : ضمن ثلاثة كتب فى الاضداد ، نشره « هفنر » ببيروت ١٩١٣ م .

٧٠ – الاضداد ، لابى بكر بن الانبارى (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط الكويت ١٩٦٠ م .

٧١ – الاضداد ، لابى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) ، ضمن ثلاثة كتب نى الاضداد ، نشر هفنر ، ببيروت ١٩١٣ م .

٧٢ ـ اعتاب الكتاب ، لابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، دمشق ١٣٨٠ هـ /
القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، دمشق ١٣٨٠ هـ /
١٩٦١ م ٠

٧٣ ـ الأعلم على سيبويه (تحصيل عين الذهب) ، للاعلم الشنتمرى بهامش كتاب سيبويه ، هـ بولاق ١٣١٨ ٠

٧٤ ـ الأغانى لابى الفرج الاصفهانى (ت ٣٥٦ هـ) ، ط بولاق ١٢٥٨ هـ ، وط دار الكتب ١٩٢٧ ـ ١٩٦٢ م ٠

٧٥ ـ الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، لابن السيد البطليوسى ، المطبعة الأدبية ببيروت ١٩٠١ م ٠

٧٦ ـ الأمالى ، لابى على القالى (ت ٣٥٦ هـ) ، ط دار الكتب المصرية ٠٠

٧٧ ـ الامالة فى القراءات واللهجات ٠ للدكتور عبد الفتاح شلبى ، مصر ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ٠

٧٨ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ) ، ط بولاق ١٨٩٤ م ٠

٧٩ ـ انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى (ت ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط دار الكتب ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م ٠

٨٠ ـ الأنتساب لابى سعد عبد الكريم بن محمد السمعانى (ت ٥٦٢ هـ) ، نشر المستشرق مرجليوث ، ليدن ١٩١٢ م ٠

٨١ ـ الانصاف فى مسائل الخلاف ، لأبى البركات الانبارى (ت ٥٧٧ هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٣ م ٠

٨٢ ـ كتاب الأنواء ، لابن قتيبة ، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥٦ م ٠

٨٣ ـ ايضاح الوقف والابتداء فى القرآن ، لأبى بكر بن الانبارى (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق محيى الدين رمضان ، دمشق ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ٠

٨٤ ـ الايضاح فى علل النحو للزجاجى ، تحقيق الاستاذ مازن المبارك ، القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ٠

٨٥ ـ البحر المحيط لأبى حيان النحوى (ت ٧٤٥ هـ) ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ ٠

٨٦ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٤ م ٠

٨٧ - البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لأبى البركات الانبـارى ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

٨٨ - البيان فى غريب اعراب القرآن ، لأبى البركات الانبارى ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

٨٩ - البيان والتبيين ، للجاحظ (ت ٢٢٥ هـ) ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ، ط مصر ١٩٦٨ م ٠

٩٠ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) ، القاهرة ١٩٣١ م ٠

٩١ - تاريخ التراث العربى للدكتور فؤاد سزكين ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور فهمى أبو الفضل ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

٩٢ - تاريخ علماء الأندلس ، تاليف ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠

٩٣ - تاريخ اللغة العربية فى مصر للدكتور أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ٠

٩٤ - كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس : تحقيق كوركيس عواد ، بغداد ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ٠

٩٥ - تثقيف اللسان ، لابن مكى الصقلى (ت ٥٠١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ٠

٩٦ - تذكرة الحفاظ للامام شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) ، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م ٠

٩٧ - ترتيب المدارك ، للقـاضى عيـاض (ت ٥٤٤ هـ) ، ط بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠

٩٨ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق محمد كامل بركات ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ٠٠

٩٩ - التطور النحوى للغة العربية ، للمستشرق الالمانى برجشتراسر ط القاهرة ١٩٢٩ م ٠

١٠٠ - تفسير الطبرى ، للامام محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢١ هـ ٠

١٠١ - تفسير القرطبى (الجامع لاحكام القرآن) ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (ت ٦٧١ هـ) ، ط دار الكتب المصرية

١٠٢ - التنبيهات على أغاليط الرواة تاليف على بن حمزة البصرى

(ت ٣٧٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م ٠

١٠٣ - التنبيه على حدوث التصحيف ، تأليف حمـزة بن الحسن الاصفهانى (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمد أسعد طلس ، دمشق ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م

١٠٤ - تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥ هـ ٠

١٠٥ - تهذيب اللغة ، لأبى منصور محمد بن أحمد الازهرى (ت ٣٧٠ هـ) ط مصر ١٩٦٦ وما بعدها ٠

١٠٦ - كتاب التيجان فى ملوك حمير ، ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٧ هـ ٠

١٠٧ - جذوة المقتبس للحميدى (ت ٤٨٨ هـ) ، ط القاهرة ١٩٦٦ م ٠

١٠٨ - أبو جعفر النحاس مقال للدكتور عبد الله درويش منشور بمجلة كلية الشريعة ببغداد ، العدد الثالث ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م ٠

١٠٩ - كتاب جمهرة اللغة ، لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، حيدر آباد الدكن الهند ١٣٤٤ هـ ٠

١١٠ - الجنى الدانى فى حروف المعانى ، لابن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة وزميله ، حلب ١٩٧٣ م ٠

١١١ - الحجة فى علل القراءات السبع ، لأبى على الفارسى ، تحقيق الأستاذ على النجدى وزميليه ، القاهرة ٠

١١٢ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٦٧ م ٠

١١٣ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادى ، (ت ١٠٩٣ هـ) ، ط بولاق ١٢٩٩ هـ ٠

١١٤ - الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد على النجار ، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م ٠

١١٥ - خلق الانسان لثابت بن أبى ثابت ، تحقيق عبد الستار فراج ٠ ط ٠ الكويت ١٩٦٥ ٠

١١٦ - خلق الانسان ، للزجاج ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى بغداد ١٩٦٣ م ٠

١١٧ - دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) ، مطبعة المنار ١٣٣١ هـ ٠

١١٨ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ ٠

١١٩ - الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى (ت ٥٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٤٧ م ٠

١٢٠ - رسالة فى حروف العربية للرازى : أحمد بن محمد بن المظفر (ت ٦٣١ هـ) تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدى ، فصلة من مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة - المجلد العشرون ، مايو ١٩٧٤ ٠

١٢١ - الروض الأنف للامام عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلى (ت ٥٨١ هـ) المطبعة الجمالية بمصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م ٠

١٢٢ - الزجاجى حياته وآثاره من خلال كتابه الايضاح تأليف مازن المبارك ٠ دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م ٠

١٢٣ - أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ، للدكتور أحمد مكى الأنصارى ٠ القاهرة ١٩٦٢ ٠

١٢٤ - كتاب الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية ، للشيخ أبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى (ت ٣٢٢ هـ) ٠ تحقيق حسين بن فيض الله الهمدانى ، القاهرة ١٩٥٧ ٠

١٢٥ - زهر الاداب ، لأبى اسحاق الحصرى (ت ٤٥٣ هـ) ، نشر الدكتور زكى مبارك ، مصر ١٩٣٠ م ٠

١٢٦ - كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، مصر ١٩٧٢ ٠

١٢٧ - السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٣٦ ٠

١٢٨ - سر صناعة الاعراب ، لابن جنى ، تحقيق الاستاذ مصطفى السقا وآخرين القاهرة ١٩٥٤ ٠

١٢٩ - كتاب سيبويه وشروحه ، للدكتورة خديجة الحديثى بغداد ١٩٦٧م

١٣٠ - كتاب سيبويه ، ط بولاق ١٣١٨ هـ ٠

١٣١ - سير أعلام النبلاء للذهبى ، تحقيق ابراهيم الابيارى ط مصر ١٩٥٧ م ٠

١٣٢ - شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) القاهرة ١٣٥١ هـ ٠

١٣٣ - شرح الأبيات ، المشكلة ، للفارقى تحقيق سعيد الافغانى - دمشق ١٩٥٨

١٣٤ - شرح الاشمونى على ألفية ابن مالك ، ط القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٣٥ - شرح ديوان النابغة ،لابن السكيت ، تحقيق الدكتور شكرى فيصل ، ط دار الفكر ١٣٨٨ - ١٩٦٨ ٠

١٣٦ - شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ط دمشق ١٩٦٦ ٠

١٣٧ - شرح القصائد التسع المشهورات ، صنعة أبى جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، بغداد ١٩٧٣ ٠

١٣٨ - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر ، لأحمد بن محمد الجزرى (ت ٨٥٩ هـ) ، مصر ١٩٥٠ ٠

١٣٩ - شرح القصائد العشر ، صنعة الخطيب التبريزى (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٦٩ ٠

١٤٠ - شرح أشعار الهذليين للسكرى (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦٥ م ٠

١٤١ - شرح ديوان زهير ، لثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، ط مصر ١٩٦٤ ٠

١٤٢ - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبى أحمد العسكرى (ت ٣٨٢ هـ) تحقيق عبد العزيز أحمد ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

١٤٣ - شرح المفصل ، لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، ط المنيرية (بدون تاريخ) ٠

١٤٤ - شرح القصائد السبع الطوال ، لأبى بكر بن الانبارى ، تحقيق الاستاذ هارون ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

١٤٥ - شرح السيرة النبوية ، لأبى ذر الخشنى (ت ٦٠٣ هـ) ط ٠ القاهرة ٠

١٤٦ - الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر - ط دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م ٠

١٤٧ - الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامهم ، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، القاهرة ١٩١٠ م ٠

١٤٨ - صبح الأعشى ، للقلقشندى (ت ٨٢١ هـ) ، ط دار الكتب المصرية ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ ٠

١٤٩ ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، للجوهرى (ت حوالى ٤٠٠ هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ١٩٥٦ ٠

١٥٠ ـ صحيح البخارى ، للامام محمد بن اسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ، المطبعة العينية بمصر ١٣٠٩ هـ ٠

١٥١ ـ صفوة الصفوة ، لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) ، ط حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ ٠

١٥٢ ـ طبقات ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ، دار صادر بيروت ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م ٠

١٥٣ ـ طبقات القراء (غاية النهاية فى طبقات القراء) ، لابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) ، تحقيق المستشرق برجشتراسر ط ٠ مصر ١٣٥١ هـ ٠

١٥٤ ـ طبقات المفسرين ، للداودى (ت ٩٤٥ هـ) ، تحقيق على محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٢ ٠

١٥٥ ـ طبقات النحويين واللغويين ، لأبى بكر الزبيدى (ت ٣٧٩ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ٠

١٥٦ ـ العمدة ، لابن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٢ ٠

١٥٧ ـ علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى ، القاهرة ١٩٦٢ م ٠

١٥٨ ـ أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى القاهرة ١٩٥٧ م ٠

١٥٩ ـ غريب القرآن (نزهة القلوب) ، لأبى بكر محمد بن عزيز (ت ٣٣٠ هـ) مصر ١٩٣٦ ٠

١٦٠ ـ الفاضل ، للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز اليمنى القاهرة ١٩٥٦ ٠

١٦١ ـ فتح المعطى وغنية المقرى فى شرح مقدمة ورش المصرى للشيخ محمد بن أحمد المتولى (ت ١٣١٣ هـ) ، مصر ١٩٤٧ ٠

١٦٢ ـ فتوح مصر وأخبارها ، لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) ، تحقيق المستشرق : تشارلس تورى ، ليدن ١٩٢٠ م ٠

١٦٣ ـ فحولة الشعراء ، للاصمعى (ت ٢١٦ هـ) ، تحقيق عبد المنعم خفاجى وزميله ، القاهرة ١٩٥٣ ٠

١٦٤ ـ فصل المقال فى شرح كتاب الامثال ، لأبى عبيد البكرى (ت ٤٨٧

) تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين ، والدكتور احسان عباس ، الخرطوم ١٩٥، م ٠

١٦٥ - فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧ م ٠

١٦٦ - كتاب الفرق للاصمعى ، نشر هاينريش مللر ، فينا ١٨٧٦ م ٠

١٦٧ - الفروق اللغوية ، لأبى هلال العسكرى ، ط القاهرة ١٣٥٣ هـ ٠

١٦٨ - فى اللهجات العربية ، للدكتور ابراهيم أنيس ، القاهرة ١٩٥٢ م

١٦٩ - الفهرست لابن النديم ، تحقيق غوستاف فلوجل ، ليبزك ١٩٧١م

١٧٠ - فهرسة ابن خير الاشبيلى (ت ٥٧٥ هـ) ، مطبعة قومش بسرقسطة ١٨٩٣ م ٠

١٧١ - القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، تأليف عبد الله خورشيد البرى ، القاهرة ١٩٦٧ م ٠

١٧٢ - القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ، للدكتور عبد العال سالم ، مصر ١٩٦٨ ٠

١٧٣ - القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين القاهرة ١٩٦٦ ٠

١٧٤ - القلب والابدال لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوى فى اللسـن العربى) نشر هفنر ، بيروت ١٩٠٣ م ٠

١٧٥ - القوافى وما اشتقت ألقابها منه ، للمبرد ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٧٢ ٠

١٧٦ - الكامل فى اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، القاهرة ١٩٥٦ ٠

١٧٧ - كتاب الكتاب لابن درستويه : عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧ هـ) نشر لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٧ ٠

١٧٨ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكى بن أبى طالب تحقيق محيى الدين رمضان ، دمشق ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ٠

١٧٩ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ط اسطنبول ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ ٠

١٨٠ - كتاب اللامات ، للنحاس ، تحقيق الأستاذ طه محسن ، منشور بمجلة « المورد » بغداد ، المجلد الأول سنة ١٩٧١ م ٠

١٨١ ـ لحن العوام ، لأبى بكر الزبيدى ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

١٨٢ ـ لحن العامة والتطور اللغوى ، للدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٦٧ م ٠

١٨٣ ـ لسان العرب ، لابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ هـ ٠

١٨٤ ـ لطائف الاشارات لفنون القراءات ، للامام شهاب الدين القسطلانى (٩٢٣ هـ) ، تحقيق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين القاهرة ١٩٧٢ ٠

١٨٥ ـ كتاب اللغات فى القرآن ، لابن عباس (ت ٦٨ هـ) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ٠

١٨٦ ـ اللغة ، تأليف ج٠ فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ، القاهرة ١٩٥٠ ٠

١٨٧ ـ اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحى القاهرة ١٩٦٩ ٠

١٨٨ ـ المؤتلف والمختلف للامدى (ت ٣٧٠ هـ) القاهرة ١٣٥٤ هـ ٠

١٨٩ ـ ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، تحقيق هدى محمد قراعة ، القاهرة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ٠

١٩٠ ـ ما خالف فيه الانسان البهية فى أسماء الوحوش ومعانيها ، لقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ، نشر جاير فى مجلة S b W A فينا ١٨٨٧ م ٠

١٩١ ـ ما يجوز للشاعر فى الضرورة ، لأبى عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق المنجى الكعبى ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ م ٠

١٩٢ ـ مجاز القرآن ، لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢ ٠

١٩٣ ـ مجالس العلماء ، للزجاجى (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق الأستاذ هارون ط ٠ الكويت ١٩٦٢ م ٠

١٩٤ ـ المجتمعات الاسلامية فى القرن الأول الهجرى ، للدكتور شكرى فيصل نشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ ٠

١٩٥ ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، لابن جنى ، تحقيق الأستاذ على النجدى ناصف وزميله ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ٠

١٩٦ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ، لأبى محمد عبد الحق ابن عطية (ت ٥٤١ هـ) ، تحقيق الأستاذ أحمد صادق الملاح ، القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ·

١٩٧ - المحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين القاهرة ١٩٥٨ وما بعدها ·

١٩٨ - المحكم فى نقط المصاحف ، للدانى ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ·

١٩٩ - المخصص فى اللغة ، لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) ، ط بولاق ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ ·

٢٠٠ - المدارس النحوية ، للدكتور شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٧٢ م ·

٢٠١ - المذكر والمؤنث ، للمبرد ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادى ، القاهرة ١٩٧٠ ·

٢٠٢ - المذكر والمؤنث ، للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق مصطفى الزرقا ، حلب ١٣٤٥ هـ ·

٢٠٣ - المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وزميليه ، القاهرة ١٩٥٨ م ·

٢٠٤ - مسند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ ·

٢٠٥ - معانى الشعر ، للاشناندانى : سعيد بن هارون (ت ٢٨٨ هـ) ، تحقيق الأستاذ سعيد الافغانى ، دمشق ١٩٦٩ م ·

٢٠٦ - كتاب المصاحف ، للحافظ أبى بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى (ت ٣١٦ هـ) تحقيق آرثر جفرى ، مصر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ·

٢٠٧ - معانى القرآن ، للفراء ، مصر ١٩٥٥ وما بعدها ·

٢٠٨ - المعجم العربى وتطوره للدكتور حسين نصار ، مصر ١٩٦٨ ·

٢٠٩ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لابى عبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ) تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٩ م·

٢١٠ - معجم البلدان ، لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ، القاهرة ١٣٢٣ هـ

٢١١ - معجم الأدباء ، لياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ ·

٢١٢ - معجم الشعراء ، للمرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٢١٣ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والامصار للذهبى (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٦٩ .

٢١٤ - مغنى اللبيب عن كتاب الاعاريب ، لابن هشام الانصارى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى بالقاهرة (بدون تاريخ) .

٢١٥ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لطاش كبرى زاده ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ .

٢١٦ - المفردات السبع ، للدانى ، ط مصر (بدون تاريخ) .

٢١٧ - المفضليات ، للمفضل الضبى ، (ت ١٦٨ هـ) ، ط دار المعارف بمصر .

٢١٨ - مفاتيح الغيب ، للامام الفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ) ، القاهرة ١٣٠٨ هـ .

٢١٩ - مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق الأستاذ هارون ، القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ

٢٢٠ - المقتضب ، للمبرد ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٨ .

٢٢١ - مقدمة الصحاح ، تأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ١٩٥٦ .

٢٢ - المقصور والممدود لابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) ، نشر بولس برونله ، ليدن ١٩٠٠ .

٢٢٣ - الممتع فى التصريف ، لابن عصفور الاشبيلى (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٧٠ .

٢٢٤ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى ، نشره الأستاذ حسام الدين القدسى ، بتوصية من الاستاذ محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٢٢٥ - المنقوص والممدود للفراء ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز اليمنى القاهرة ١٩٦٧ .

٢٢٦ - المنصف لابن جنى بشرح تصريف المازنى ، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ .

٢٢٧ - الموشح للمرزبانى ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ .

٢٢٨ ـ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، للذهبى ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ١٩٦٣ ٠

٢٢٩ ـ الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم ، للنحاس ، مصر ١٣٢٣ هـ ٠

٢٣٠ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) ط ٠ دار الكتب المصرية ١٩٢٩ وما بعدها ٠

٢٣١ ـ نزهة الالباء فى طبقات الأدباء لابى البركات الانبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ ٠

٢٣٢ ـ النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى ، تصحيح الشيخ على محمد الضباغ ، ط مصر (بدون تاريخ) ٠

٢٣٣ ـ نصوص باقية من صناعة الكتاب للنحاس ، جمعها وعلق عليها، أحمد نصيف الجنابى ، منشورة فى مجلة المورد ، ببغداد ، العدد الرابع سنة ١٩٧٣ م ٠

٢٣٤ ـ نظرية الأدب ، تأليف ، رينيه ويليك وأوستن وارين ، ترجمة محيى الدين صبحى ٠

٢٣٥ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرى ، ط ٠ بيروت ٠

٢٣٦ ـ نوادر أبى زيد الانصارى ، بيروت ١٨٩٤ م ٠

٢٣٧ ـ نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزبانى ، اختصار أبى المحاسن يوسف بن أحمد اليغمورى ، تحقيق المستشرق الألمانى رودلف زلهايم ، فيسبادن ١٩٦٤ ٠

٢٣٨ ـ كتاب الهمز لأبى زيد الانصارى (ت ٢١٥ هـ) ، بيروت ١٩١٠ ٠

٢٣٩ ـ همع الهوامع ، للسيوطى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ ٠

٢٤٠ ـ الوافى بالوفيات ، للصفدى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ ٠

٢٤١ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٤٨ ٠

٢٤٢ ـ الوقف على كلا وبلى فى القرآن ، لمكى بن أبى طالب ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، رسالة منشورة فى مجلة كلية الشريعة ببغداد ، العدد الثالث سنة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ٠

٢٤٣ ـ الولاة والقضاة لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى (ت ٣٥٠ هـ) ، ط بيروت ١٩٠٨ م ٠

رابعـا : المراجع غير العربية

(244) C. Brockelmann: GAL (S) = Geschichte der arabischen Litteratur, Bd. 1-11, Leiden 1947-49 and Suppl. 1-111; Leitden 1937-42

(245) W. Empson: Seven Types of Ambiguity, London 1947.

(245) P. Christophersen: An English Phonetics Course, London 1966.

(247) O. Rescher, in M. F. O., Vol. 5, P. 532, Beirut 1912

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الفصل الثانى

الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر لدى غير القراء فى القرن الثالث الهجرى

الفصـل الثـالث

الموضوع	الصفحة
ثانيا : الانتصار لسيبويه والمبرد	٣٠٥
١ - وصف كتاب الانتصار	٣٠٥
٢ - مسائل « الانتصار »	٣٠٧
٣ - مسائل « الغلط »	٣٠٨
٤ - منهج « الانتصار »	٣٠٨
(أ) تسلسل الأفكار	٣٠٨
(ب) غلبة النزعة العقلية التجريدية	٣٠٩
٥ - أسلوبه	٣١١
٦ - رأيي في مسائل الانتصار والغلط	٣١٧
المبحث الثالث : دراسات أبي جعفر النحاس اللغوية والنحوية	٣٢٢
أولا : الدراسات اللغوية	٣٢٦
ثانيا : الدراسات النحوية	٣٢٦
١ - اعراب القرآن	٣٢٦
(أ) وصفه	٣٢٦
(ب) منهجه	٣٢٨
١ - معنى الاعراب	٣٢٩
٢ - موقفه من اختلاف النحويين	٣٣٤
٣ - موقفه من نحو القراءات ولغتها	٣٣٩
٤ - منهجه في بيان المعاني	٣٤٢
٥ - منهجه في بيان اللغات	٣٤٥
- وجهة نظري في الكتاب	٣٥١
(أ) النواحي الايجابية	٣٥١
(ب) النواحي السلبية	٣٥٣
٢ - مؤلفات النحاس حول كتاب سيبويه	٣٥٥
(أ) رسالة في اعراب قول سيبويه في أول الكتاب : « هذا باب علم ما الكلم من العربية »	٣٥٥
- وصف الرسالة وأهميتها	٣٥٥
- منهج الرسالة	٣٥٦
(ب) شرح أبيات سيبويه	٣٥٨
- وصفه	٣٥٨

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الدراسات اللغوية والنحوية في مصر

منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الدكتور احمد نصيف الجنابي

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية
ساعدت الجامعة المستنصرية على نشر الكتاب
١٩٧٨

الناشر
مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة
تليفون ٩١٤٢٢٣